حدائق الأولياء

١٣٤ مجلساً في شتى فروع المعرفة
من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها

تأليف

الإمام سراج الدين عمر بن علي بن أحمد
ابن الملقن الأنصاري الأندلسي
المتوفى ٨٠٤ هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
السيد يوسف أحمد



حدائق الأولياء

١٣٤ مجلساً في شتّى فروع المعرفة
من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها

تأليف

الإمام سراج الدين عمر بن علي بن أحمد
ابن الملقن الأنصاري الأندلسي
المتوفى ٨٠٤ هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
السيد يوسف أحمد

الجزء الأول



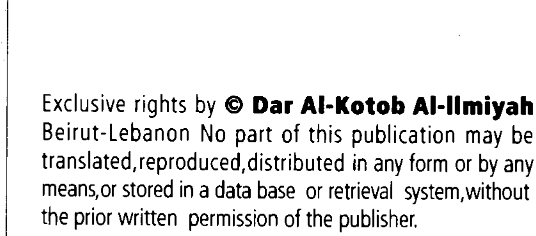
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

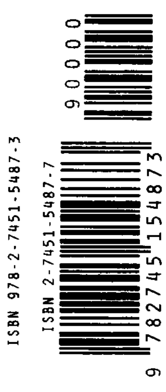
Title:	**ḤADĀ'IQ AL-'AWLIYĀ'** *(Gardens of the holy men)*	حدائق الأولياء	**الكتاب:**
Classification:	Jurisprudence and morals	فقه وأخلاق	**التصنيف**
Author	: Imām Sirājuddīn Ibn al-Mulaqqin	الإمام سراج الدين ابن الملقن	**المؤلف**
Editor	: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad	السيد يوسف أحمد	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah	دار الكتب العلميـــة – بيروت	**الناشر**
Pages	: 1216 (2 volumes)	1216 (جزءان)	**عدد الصفحات:**
Year	: 2009	2009	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	لبنان	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	الأولى	**الطبعة**

DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠







المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا طيبا طاهرا مباركا فيه، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لك الحمد يا ربي على مل تكرمت به علينا وأوليت من نعمة الإسلام، وتمام الدين بأن بعثت لنا خير خلقك؛ سيدنا محمد ﷺ بخير رسالة وأكرم دعوة، فكان نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء، فأكملت به الرسالات، وكان دين الإسلام هو دين الله؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقد كَمُلَ الإسلام وتم على خير وجه رضي عنه الجليل بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فصلى عليك الله يا علم الهدى. سيدي وحبيبي. أفضل صلاة وأتم تسليم، فقد أبلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة، وكشف الله بك الغمة، وتركتنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلا هالك.

وقد حمل الصحابة بعد النبي ﷺ أمانة تبليغ الرسالة، فقاموا بها خير قيام، ومن بعدهم قام السلف الصالح من علماء الأمة بأمر الدين فصنفوا العلوم المختلفة من علوم القرآن والسنة؛ فمن التفسير إلى الحديث إلى علوم الفقه إلى كتب اللغة حتى يمكن كل موحد من أمة الإسلام أن يشق طريقه إلى المعرفة بأمور دينه، فعلى مدار القرون لم يتوقف هؤلاء العلماء عن القيام بدورهم في إخراج المصنفات المختلفة التي كان لها الأثر الأكبر في شرح وبيان أحكام الشريعة المختلفة.

وكان لهذا الكتاب الذي بين أيدينا دور كبير في الإلمام بفروع شتى؛ فقد احتوى على مجالس عدة قال المصنف إنها أربع وثلاثون ومائة مجلس في جميع فروع المعرفة، وقد وجدته أكثر من هذا العدد عند تحقيق هذا الكتاب. وإذا نظرت إلى جملة المجالس وجدت تنوعا عظيما؛ فقد بدأ بمجلس في الحمد لله تعالى، ثم الصلاة على رسول الله، ثم مجلس الإخلاص، ثم التوبة ثم الصدق ثم العلم، ثم الصبر، ثم المراقبة، واستمر إلى آخر المجالس، وهي جملة من المجالس المتنوعة في التفسير وغيره.

وفي كل مجلس بدأ بكتاب الله فيذكر الآيات الدالة على المجلس مع شرح

وتلميحات وإشارات في بيان معنى ومغزى هذه الآيات .

ثم يبدأ في سرد الأحاديث النبوية من كتب الصحاح الستة ومعها بعض الكتب الأخرى ، إلا أنه قد ركز علىٰ كتب الصحاح الستة ، وبدأ بالصحيحين ثم السنن الأربعة : أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ثم ينتقل إلىٰ ذكر حكايات عن الصالحين متخللة للنوادر والأشعار والفوائد ، وقد وصل عدد الأحاديث المذكورة نحواً من ألفي حديث ، ومن الحكايات نحو ستمائة ، مع النوادر والأشعار والآثار .

وكل ذلك في سرد جميل ورائع ومفيد ليتمكن المتناول الموضوع من الإحاطة به من شتى جوانبه .

التعريف بالمصنف : قال في معجم المؤلفين (٧/ ٢٩٧) :

الإمام عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الوادياشي الأندلسي التكروري الأصل الوادباشي الأندلسي المصري الشافعي ، ويعرف بابن الملق سراج الدين أبي حفص ، فقيه أصولي محدث حافظ مؤرخ مشارك في بعض العلوم .

ولد في القاهرة في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وتوفي في ستة عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة ، ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر - رحمه الله تعالىٰ - وجعل الجنة مثواه[1] .

مؤلفاته :

تدل مؤلفاته العديدة علىٰ سعة علمه في جميع المعارف والعلوم ، فأولى علومه الحديث ثم الفقه ، وقد أخذ عن شيوخ عصره ومهر فيها ووصفه فضلاء عصره بالحفظ ونحوه من الصفات العلمية ،ودخل دمشق سنة سبعين وسبعمائة ، فمن مصنفاته الكثيرة : الإشارات إلىٰ ما وقع في المنهاج للنووي، ومختصر مسند أحمد، وشرح ألفية ابن مالك في النحو ، وشرح الوصول إلىٰ علم الأصول، وإذا أردت المزيد فانظر مقدمة المؤلف والتي تصدرت الكتاب ، وقد تعرضت لترجمة قيمة له ، وأظنها من المخطوط الذي في القرون التالية ، وأكثر ظني في القرن الحادي عشر عند كتابة هذا المخطوط ، كما هو مذكور في آخر المخطوط .

خطة العمل بالكتاب :

١ ـ تفسير الآيات القرآنية الواردة فيه .

---

(١) ترجمته : معجم المؤلفين (٧/ ٢٩٧) ، الضوء اللامع (٦/ ١٠٠) ، إيضاح المكنون (١/ ١٥٣) ، شذرات الذهب (٧/ ٤٤) ، حسن المحاضرة (١/ ٢٤٩) ، طبقات الشافعية (٩٠، ٩١) .

٢ ـ تخريج الأحاديث الواردة بالنص مع شرح بعضها ، واعتمدنا بدرجة كبيرة علىٰ شرح مسلم للإمام النووي .

٣ ـ ترجمة بعض الرجال مع نبذة مختصرة عنهم ومصادر ترجمتهم .

٤ ـ توضيح معاني الكلمات الغريبة الواردة في الأشعار والحكايات والنوادر وغيرها .

٥ ـ التعليق علىٰ على بعض الحكايات الواردة ، وخاصة الواردة عن الأولياء ، وخاصة الصوفية منهم ؛ لأن في بعض الحكايات لهم شطحات ، قال ابن قيم الجوزية في شرح كتاب الهروي (ص ٢٠) : هذه الشطحات أوجبت فتنة علىٰ طائفتين من الناس ؛ أحدهما حجب عن محاسن هذه الطائفة ، ولطف نفوسهم وصدق معاملاتهم ، فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بها مطلقا ،وهذا عدوان وإسراف ، فلو كان من أخطأ أو غلط تُرِكَ جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها .

والثانية : حجبوا بما رأوه من محاسن القوم ، وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم علىٰ عيوب شطحاتهم ونقصانها ، فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول والانتصار ، وهؤلاء معتدون مفرطون .

وقال ابن القيم أيضا : ويجب علىٰ أهل العدل والإنصاف الذين أعطاهم الله الفهم أن يعطوا كل ذي حق حقه من بيان خطأ أهل الشطحات، وأن ينزلوا لكل ذي منزلة منزلته ؛ فلا يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١١/ ١٧) :

الصوفيون قد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم ، والصديق في العصر الأول أكمل منهم ، والصديقون درجات وأنواع . ثم يقول بعد ذلك :

ولأجل ما يقع في كثير من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء ، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعة .

فالصوفية الحقة أناس مجتهدون في طاعة الله كما غيرهم من أهل الطاعة ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين ، وفي كل

من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب .

وأهل السنة يؤمنون بكرامة الأولياء وما يجري علىٰ أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، انتهى كلام ابن تيمية .

وقد ألمحنا إلىٰ رأي هذين الإمامين الجليلين : ابن تيمية وابن القيم لما ستجدونه في بعض الحكايات من خوارق العادات والأمور التي قد تعتبرها من الشطحات الخارجة عن المنطق والمعقول .

الختام

وفي الختام أسأل الله تعالىٰ أن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعل ما قمنا به في ميزان حسناتنا يوم يقوم الناس لرب العالمين. وأهدي عملي هذا إلىٰ روح والديَّ. رحمهما الله. ودائما ما أذكر وأردد قول المولى عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤] سائلا الله تعالىٰ أن يجعل مثواهم الجنة ، وأن يلحقنا بهم علىٰ الإيمان والإسلام ، وعلىٰ الكتاب والسنة، ويتوفنا وهو راضٍ عنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير

كما لا أنسى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من قدم لنا العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل ، وخاصة شريكة العمر ؛ الزوجة الصالحة ، لما وفرته لنا من الراحة والهدوء وتوفير كل متطلبات العمل ومراعاة البيت والأسرة ، فلها مني الدعاء إلىٰ الله تعالىٰ أن يكرمها في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلها من الذين رضي عنهم ورضوا عنه .

كما أهدي عملي هذا إلىٰ فلذات الأكباد ؛ أولادي الأعزاء ، الكبرى رنا بالمرحلة الثانوية، وأخويها : أحمد بالإعدادية ، والأخ الصغير محمد بمراحل تعليمه الأولى ، راجيا من الله تعالىٰ أن يكونوا له طائعين موحدين، وبكتابه متمسكين مهديين ، ولسنة نبيه متبعين وعاملين ، إنه علىٰ كل شيء قدير .

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

وصلىٰ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين.

المحقق السيد يوسف أحمد

القاهرة . المطرية . عزبة النخل الغربية

في ٢١من ذي القعدة سنة ١٤٢٧هجرية

الموافق ١٢من ديسمبر سنة ٢٠٠٦ميلادية

ترجمة المصنف[1]

هذه ترجمة المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أذكرها مختصرة علىٰ حسب المحل والوقت .

هو: عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الشيخ الإمام العالم العلامة عمدة المصنفين سراج الدين أبو حفص الأنصاري، الأندلسي الأصل المغربي، المعروف بابن الملقن .

كان أبوه عالماً نحوياً معروفاً بالتقدم في ذلك، ومات والده، فرباه زوج أمه الشيخ عيسى المغربي الملقن، فعُرف به .

ميلاده ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

وسمع الحديث الكثير، حتىٰ ذكر بعضهم أنه سمع ألف جزء حديثية .

ودخل دمشق سنة سبعين وسبعمائة، واشتهر بعلوم ومهر فيها .

وأولى علومه الحديث، وتخرج فيه بالشيخ زين الدين الرحبي، وبالشيخ علاء الدين (. . . . . . .)[2]، وكتب عنهما الكثير، وأكثر من تحصيل الأجزاء، وسمع الكتب الكبار، وعني بالفقه، وأخذ عن شيوخ عصره ومهر فيه .

ووصفه فضلاء عصره في طبقات السماع بالحفظ، ونحوه من الصفات العلمية .

وشرح البخاري في عشرين مجلداً، وشرح زوائد مسلم، ثم زوائد أبي داود، ثم زوائد الترمذي، ثم زوائد النسائي، ثم زوائد ابن ماجه .

ومن تصانيفه (الرافعي)[3] سماه البدر المنير في ست مجلدات، واختصره في نحو عشرة، وسماه الخلاصة، ثم اختصره في تصنيف لطيف .

وتخريج أحاديث المهذب، وتخريج أحاديث الوسيط، وشرح العمدة سماه: «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» وسيد الأنام، وتلخيص مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان، والاعتراض علىٰ مستدرك الحاكم، واختصر تهذيب الكمال للمزي، واختصر الكتب الستة الزائدة علىٰ ذلك: مسند أحمد، وصحيحي ابن خزيمة وابن

---

(١) أظنها ترجمة من وضع الناسخ وليس المصنف .

(٢) بياض بالأصل قدر كلمة . (٣) كذا بالأصل .

حبان، ومستدرك الحاكم، والدارقطني . والمقنع في علوم الحديث، ومختصر دلائل النبوة، وطبقات المحدثين، وطبقات الشافعية، وطبقات الصوفية، وتاريخ دولة الترك.

وله شرح المنهاج المسمى بالعمدة في ثمان مجلدات، والعجالة شرح مختصر في ثلاث مجلدات، والاعتراضات على المنهاج في مجلد واحد، وشرح التنبيه الكبير المسمى بغنية الفقيه، وله شرح ثان متوسط (....) [*] نحو الزنكلوني، وآخر صغير، والأمنية على أسلوب نكت النسائي .

ومن محاسن تصانيفه: شرح الحاوي، وتحرير (...)[*]و وله كتاب تحفة المحتاج في أدلة المنهاج، وكتاب الإشارات في لغات المنهاج، وله نكت المنهاج في شرح كتاب (...)[*] من غاية أبي سراج عبد ربه نسخه .

وله كتاب غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، وشرح التنبيه، وشرح منهاج البيضاوي، وشرح مختصر ابن الحاجب، وعمل الأشباه والنظائر .

وجمع في الفقه كتاباً سماه (الكآبة)[١] من النقول الغريبة، وله ـ رحمه الله تعالىٰ ـ الكتاب الجليل الشأن لم أر في الدقائق مثله[٢]، وله مصنفات أُخر، قال بعضهم: بلغت نحو الثلاثمائة .

وكان رحمه الله فريد الدهر في كثرة التصانيف وحسنها .

وكان منقطعاً عن الناس جداً، وكان من أعذب الناس صوتاً، وأحسنهم خلقاً، وأجملهم صورة، كثير الأدب والتواضع .

وكان موسَّعاً عليه، كثير الكتب جداً، ثم احترق غالبها، وذلك قبل موته، فحجبه ولده إلىٰ أن مات في سنة أربع وثمانمائة، ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالىٰ، وجعل الجنة مثواه، وأعاد عليَّ من بركاته، وحشرني في زمرته إلىٰ دار كرامته بمحمد وآله وصحبه، والحمد لله وحده .

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(*) بياض بالأصل قدر كلمة .

(١) وجدناها بالأصل منفصلة بينهما بياض كذا (الكا .... بة) .

(٢) أظنه يقصد الكتاب الذي بين أيدينا .



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره، شيخ الإسلام ومفتي الأنام سراج الدين عمر بن الملقن الشافعي: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ ﴾[1] أحمد الله على ما أنعم، وأشكره على ما ألهم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الأعظم، وأن محمداً عبده ورسوله المبجل المكرم، وبعد:

فهذا كتاب الحدائق يشتمل على نحو ألفي حديث، ومن حكايات الصالحين نحو ستمائة، خلا الآثار والأشعار والنوادر .

جعله الله خالصاً لوجهه بمنه وكرمه موجباً للفوز لديه، ونفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه ومن نظر فيه، وجميع المسلمين . آمين .

محتوى الكتاب:[2]

١- الحمد لله تعالى - أحاديث عديدة .

٢- في الصلاة على رسول الله ـ عدة أحاديث، وست وعشرون حكاية .

٣- الإخلاص ـ اثنا عشر حديثاً، وسبع حكايات .

٤- التوبة ـ اثنا عشر حديثاً، وست حكايات .

٥- الصدق ـ ستة أحاديث .

٦- العلم ـ فيه أحاديث.

٧- الصبر ـ تسعة وعشرون حديثاً، وحكايات .

٨- المراقبة ـ تسعة أحاديث، وعدة حكايات .

٩- التقوى ـ خمسة أحاديث، وعشر حكايات .

١٠- اليقين والتوكل ـ أحد عشر حديثاً، وثلاث وعشرون حكاية .

١١- الاستقامة ـ عدة أحاديث .

---

(١) سورة الكهف [١٠] .

(٢) هذا العنوان من وضعنا ليتوافق مع النص .

١٢- التفكر ـ عدة أحاديث .

١٣- المبادرة إلىٰ الخيرات ـ ثمانية أحاديث، وأربع وثلاثون حكاية .

١٤- المجاهدة ـ سبعة عشر حديثاً، واثنتا عشرة حكاية .

١٥- الحث علىٰ الازدياد في الخير في أواخر العمر ـ خمسة أحاديث .

١٦- الحب في الله والحث عليه ـ أحاديث عدة، وثلاث عشرة حكاية .

١٧- الوفاء بالعهد ـ ستة أحاديث، وست حكايات .

١٨- الاقتصاد في العبادة ـ أحد عشر حديثاً .

١٩- المحافظة علىٰ الأعمال ـ أربعة أحاديث .

٢٠- الأمر بالمحافظة علىٰ السنة وآدابها ـ أحد عشر حديثاً، وفصول عديدة .

٢١- الدلالة علىٰ الخير ـ وفيه أحاديث .

٢٢- التعاون علىٰ البر والتقوى ـ أربعة .

٢٣- الأمر بالمعروف ـ ثلاثة عشر .

٢٤- تغليظ عقوبة من خالفه ـ واحد .

٢٥- الأمر بأداء الأمانة ـ اثنان .

٢٦- تعظيم الحرمات ـ ثمانية عشر حديثاً

٢٧- ستر العورة ـ أربعة .

٢٨- قضاء الحوائج ـ اثنان .

٢٩- الشفاعة ـ اثنان .

٣٠- الإصلاح ـ أربعة .

٣١- الملاطفة ـ ثلاثة عشر .

٣٢- النساء .[١]

٣٣- حق الزوج علىٰ امرأته ـ ثمانية .

٣٤- النفقة علىٰ العيال ـ ثمانية .

٣٥- الإنفاق مما تحب ـ واحد .

٣٦- أمر الأهل بالطاعة ـ خمسة .

٣٧- حق الجار ـ تسعة .

(١) كذا بالأصل بدون ذكر أي عدد بجوارها .

٣٨- بر الوالدين ـ خمسة وعشرون حديثاً، وثلاث حكايات .
٣٩- العقوق ـ خمسة .
٤٠- بر أصدقاء الأب ـ أربعة .
٤١- إكرام بنت الرسول ﷺ اثنان .
٤٢- الزهد ـ أربعة وعشرون حديثاً، وعشر حكايات .
٤٣- الدعاء ـ تسعة وعشرون حديثاً .
٤٤- الدعاء بظهر الغيب ـ واحد .
٤٥- مسائل منه ـ أي من الدعاء ـ ثماني عشرة حكاية .
٤٦- الصمت ـ واحد وأربع حكايات .
٤٧- الغيبة ومتعلقاتها ـ خمسة وعشرون حديثا، وست عشرة حكاية .
٤٨- النميمة ـ واحد .
٤٩- ذم ذي الوجهين ـ اثنان .
٥٠- تحريم الكذب ـ خمسة .
٥١- التثبت فيما يحكيه ـ اثنان .
٥٢- شهادة الزور ـ واحد .
٥٣- المنهيات ـ مائتان وستون حديثاً .
٥٤- الصدقة ـ ست وعشر حكايات .
٥٥- الجد في العمل ـ اثنان .
٥٦- السخاء ـ حديث، وعشر حكايات .
٥٧- إكرام الضيف ـ أربعة أحاديث، وحكايات مثلها .
٥٨- فضل الجوع ـ واحد وثلاثون حديثاً .
٥٩- القناعة ـ أحد عشر .
٦٠- جواز الأخذ ـ واحد .
٦١- عمل اليد ـ أربعة .
٦٢- التنافس في الآخرة ـ اثنان .
٦٣- فضل الغنيّ الشاكر ـ ثلاثة .
٦٤- الكرم ـ ثمانية عشر حديثاً .
٦٥- البخل ـ حديث واحد .

٦٦- الورع ـ ثمانية .
٦٧- العزلة ـ خمسة .
٦٨- الكبر ـ ثمانية .
٦٩- حسن الخلق ـ عشرة .
٧٠- الحلم ـ تسعة .
٧١- العفو ـ أربعة .
٧٢- احتمال الأذى ـ واحد .
٧٣- الغضب ـ أربعة .
٧٤- الرفق ـ ستة .
٧٥- الولي العادل ـ أربعة .
٧٧-[(١)] وجوب الطاعة ـ أحد عشر .
٧٨- سؤال الإمارة ـ ثلاثة .
٧٩- الوزير الصالح ـ ثلاثة .
٨٠- التولية ـ واحد
٨١- الحياء ـ أربعة .
٨٢- حفظ السر ـ أربعة .
٨٣- المحافظة علىٰ الخير ـ واحد .
٨٤- طيب الكلام ـ ثلاثة .
٨٥- بيانه ـ أي الكلام ـ اثنان .
٨٦- إصغاء الجليس ـ واحد .
٨٧- الوعظ ـ أربعة .
٨٨- السكينة ـ ثلاثة .
٨٩- التهنئة ـ أربعة .
٩٠- الوداع ـ خمسة .
٩١- الاستخارة ـ واحد .
٩٢- اليمين ـ سبعة .

---

(١) كذا بالأصل لا يوجد رقم [٧٦] .

٩٣- آداب الطعام - تسعة وعشرون .

٩٤- السراب - اثنان وعشرون .

٩٥- اللباس - ثلاثة وثلاثون .

٩٦- آداب النوم والمجلس - اثنان وعشرون .

٩٧- الرؤيا - سبعة .

٩٨- السلام - أربعة وعشرون .

٩٩- الاستئذان - ستة .

١٠٠- التشميت - ستة .

١٠١- المصافحة ونحوها - ثمانية .

١٠٢- العيادة والجنائز - خمسة وستون حديثاً .

١٠٣- فضل يوم الجمعة - اثنا عشر .

١٠٤- آداب السفر - خمسة وثلاثون .

١٠٥- فضل قراءة القرآن - إحدى وثلاثون .

١٠٦- فضل الصلاة ومتعلقاتها - مائة وثلاثة وعشرون حديثاً، وست عشرة حكاية.

١٠٧- الحج نحو مائة حديث، وخمسين حكاية .

١٠٨- تحريم الظلم - ثمانية عشر .

١٠٩- النصيحة - ثلاثة، وإحدى عشرة حكاية .

١١٠- التواضع - ثمانية، وخمس عشرة حكاية .

١١١- الخوف - ستة عشر حديثاً، وست عشرة حكاية .

١١٢- الرجاء - واحد وثلاثون، وسبع حكايات .

١١٣- الجمع بينهما - ثلاثة أحاديث، وعشر حكايات .

١١٤- تكثرة طرق الخير - خمسة وعشرون .

١١٥- الاشتغال بالله - واحد، وثماني عشرة حكاية .

١١٦- الفرج بعد الشدة - سبع حكايات .

١١٧- البكاء من الخشية - عشرة .

١١٨- الجهاد - اثنان وسبعون حديثاً، وثلاث حكايات .

١١٩- الزكاة - تسعة .

١٢٠- الصوم - اثنان وخمسون، وأربع حكايات .

١٢١- السواك - عشرة .

١٢٢- الاعتكاف - ثلاثة .

١٢٣- الضَّعفة والفقراء - ثمانية .

١٢٤- توقير الكبار - تسعة .

١٢٥- صحبة أهل الخير - اثنا عشر .

١٢٦- ذم الدنيا وذكر الموت - ثمانية وعشرون حكاية .

١٢٧- زيارة القبور - ستة .

١٢٨- تمني الموت - ثلاثة .

١٢٩- الدجال ومتعلقاته - ستون حديثاً .

١٣٠- منثورات ومِلَح ومواعظ وزهد ورقائق وغير ذلك .

١٣١- العبادة في الهرج - واحد .

١٣٢- الذكر وفضله - سبعة وسبعون، وآثار، وسبع حكايات .

١٣٣- كرامات الأولياء - اثنا عشر حديثاً، فضائلهم - عشرون، وآثار، التحذير من إيذائهم - ثلاثة أحاديث .

١٣٤- الاستغفار - أحد عشر حديثاً .

جملة المجالس مائة وأربعة وثلاثون .

وفي آخره مجالس تعلمنا فيها علىٰ آيات .

مجموع ما ذكر فيه من الأحاديث نحو ألفي حديث، ومن حكايات الصالحين نحو ستمائة، خلا الآثار والأشعار والنوادر .

وعلىٰ الله الاعتماد، وإليه التفويض والاستناد .

مجلس في الحمد لله تعالى وشكره

أفضل ما أفاء به اللسان، واستفتح به الإنسان كلام الواحد المنان .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وهو الثناء على المحمود بجميل صفاته، والشكر بإنعامه، قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[1]

وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]

ففائدته قيد الموجود وصيد المفقود .

وقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .[3]

وقال: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .[4]

فهو شأن أهل الجنة وختام دعواهم، فختامها مسك، وإنما قدمت آية الشكر للاهتمام به، فلا تجد الناس أكثرهم شاكرين، كما حرص عليه الشيطان[5] نعوذ بالله من الخذلان .

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁: " أنه ﷺ أتى ليلة أسري به بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة؛ لو أخذت الخمر غوت أمتك "[6] .

فمن أهله الروح الأمين جبريل، ومحله التوفيق والهداية الربانية للخيرات الدينية، وصفته الحمد لله، لهو المحل الأعلى .

فالمحب من يحبه على إحنانه، والعارف يخبر به .

---

(١) سورة البقرة [١٥٢]
روى البخاري في صحيحه [٧٤٠٥] كتاب التوحيد، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: « يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم . . . » الحديث .

(٢) سورة إبراهيم [٧] . (٣) سورة الإسراء [١١١] .

(٤) سورة يونس [١٠] .

(٥) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ الأعراف [١٥-١٧] .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٢ ـ (١٦٨)] كتاب الإيمان، [٧٤] باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السماوات وفرض الصلوات .

وروينا في سنن أبي داود وغيره بإسناد حسن من حديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع »[١].

فترك الابتدائية يفوت الجمال والنفع والتمام، فيصير أقطع عديم البركة.

وروينا في جامع الترمذي محسناً من حديث أبي موسى مرفوعاً: « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي ؟ فيقولون: حمدك واسترجعك، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد »[٢].

فمن مهمات محاله المعظمة لثوابه الحمد لله في المطايب ونزول النوائب.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس مرفوعاً: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها »[٣].

ومن مهمات الحمد في النعم الرضوان من الله ـ تعالىٰ ـ أكبر شيء.

نعوذ بالله من حرمانه.

فمدار هذه الأحاديث علىٰ بيان صفة الحمد وأهله، ومحاله وما يفوت بتركه وما ينجلب بفعله، كما أبدينا[٤].

والحاصل أن محل الحمد حصول لكل ديني، وبدأة كل ذي بال، وختام كل مهم، وعقد كل محنة وبلية، وألم وثواب محبوب وكل محنة ونعمة ولذة وسرور، واندفاع ألم ومكروه، ألهمه الله لنا علىٰ الدوام، وأيقظنا من سنة النَّوام.

---

(١) أخرجه أبو داود [٤٨٤٠] كتاب الأدب [٢١] باب الهدي في الكلام، والنسائي [٤٩٤] في عمل اليوم والليلة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٥٩]، وابن ماجه [١٨٩٤] في النكاح، [١٩] باب خطبة النكاح، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩].

(٢) أخرجه الترمذي [١٠٢١] كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسبت، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٣٦]، وابن حبان في صحيحه [٧٢٦ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٣٣٧]، وابن المبارك في الزهد [٢/ ٢٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٥٧].

(٣) أخرجه مسلم [٨٩ ـ (٢٧٣٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٤] باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل والشرب، والترمذي [١٨١٦] كتاب الأطعمة، ما جاء في الحمد علىٰ الطعام إذا فرغ منه، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٠ - ١١٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٤٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٠٠]، وابن السني [٤٨٠].

(٤) قال النووي في الحديث المتقدم: " وفيه استحباب حمد الله ـ تعالىٰ ـ عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، وجاء غير ذلك، ولو اقتصر علىٰ الحمد لله حصل أصل السنة " النووي في شرح مسلم [١٧/ ٤٢] طبعة دار الكتب العلمية.

مجلس في الصلاة على رسول الله ﷺ

قال الله ـ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[1] الآية، وهي مفخمة لأمره، أمر الله المؤمنين كافة بعد ندائهم بخطابه الشفاهي بما ذكر من الصلاة والتسليم مؤنساً بأن الله وملائكته تفعل ذلك، أي أن أمركم به ليس لحاجة إليه إلىٰ ذلك، بل لقصد تشريفكم لما آمنتم به بأمر توافقون فيه مالك الملك الأعظم ـ تعالىٰ ـ وخواص عباده المكرمين، مع أنه النبي الذي هداكم الله به إليه، وأرشدكم علىٰ لسانه إلىٰ كل ما يزلف لديه، فعليه منا كما أمرنا وأهلنا له أكمل صلاة وأفضلها وأدومها وأعمها وسلّم .

شعر :

صلوا علىٰ الهادي البشير محمد ... تحظوا من الرحمن بالغفران
الله قد صلى عليه مصرّحاً ... في محكم الآيات والقرآن
الله زاد محمداً تكريماً ... وحباه فضلاً من لدنه عظيماً
واختاره في المرسلين كريما ... ذا رأفة بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليماً[2]

يا أمة الهادي خصصتم بالوفاء ... بين الورى والصدق أيضاً والصفا
صلوا علىٰ هذا النبي المصطفى ... فالله قد صلى عليه قديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

فمتى رأى الحادي يبشر باللقا ... ويضُمُّنا باب المحصَّب والنقا
وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا ... مولا رسولا لن يزال رحيماً

---

(١) سورة الأحزاب [٥٦]
روى أبو داود في سننه [٤٨٥٦] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا علىٰ نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم».

(٢) روى أحمد في مسنده [٢/٥٢٧] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام » .

صلوا عليه وسلموا تسليماً

ثم الرضا عن آله الكرما وكذاك عن أصحابه الخلفا

فهو (أمم)[١] ديني وعقد ولاء قوم تراهم في المعاد نجوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

وروينا في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص: «من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً»[٢].

وهذا تعظيم لجنابه، ورفع لشأنه.

ومن يقدر صلاة الرب ـ جل جلاله ـ أو يحيط به ـ تعالىٰ كماله - فيا سعادة من ملأ جوفه منها، وأذاب نفسه فيها، فإنه يفاض عليه سبب العطاء، ويجازى بأكمل الجزاء، ويدفع عنه بها أشد الشدائد وتجزل لديه العوائد.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذاً تُكفَى همك»[٣] فاملأ من هذا همك.

وما أربح هذه التجارة، وأعظم من يجازي علىٰ هذه البضاعة.

شعر:

من عامل الله لم تخسر تجارته وكل قلب خراب بالتقى عمدة

وما تصلي علىٰ المختار واحدة إلا عليك يصلي ربه عشرة

فاغنم صلاتك يا هذا عليه تفز بالربح عند إله زاد من شكره

رواه أنس مرفوعاً بزيادة: «وحطت عنه عشر خطيات، ورفعت له عشر درجات»[٤].

رواه النسائي، وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) كذا بالأصل، وأظنها (إمام).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، وأبو داود [١٥٣٠]، والترمذي [٤٨٥]، والنسائي [٣/ ٥٠ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٨]، والحاكم [١/ ٥٥٠]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٠٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٥١٧].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٤٥٧] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وقال حسن صحيح، والحاكم في المستدرك [٢/ ٤٢١]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/ ٥١].

(٤) أخرجه النسائي [٣/ ٥٠ ـ المجتبى]، وفي عمل اليوم والليلة [٦١- ٦٢]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٥٠]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٩٠ - الموارد]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٢، ٢٦١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٥١٧]، [١١/ ٥٠٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢٢].

ورواه النسائي أيضاً من حديث عمير الأنصاري بمعناه، وزيادة: « وكتب له بها عشر حسنات » .

وله من طريق آخر عن أنس أيضاً: « من ذكرت عنده فليصل عليّ » .

وروينا في جامع الترمذي، وقال: حسن، وصححه ابن حبان من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة »[١] .

أي أولاهم بشفاعتي وأقربهم مني مجلساً وأحقهم بالإضافة من أنواع الخيرات ودفع المكروهات .

وروينا في سنن أبي داود من حديث أوس بن أوس مرفوعاً: « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، وإن صلاتكم معروضة عليّ » قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت، فقال: « إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء »[٢] .

ومعنى معروضة عليّ ؛ موصولة إليّ توصل الهدايا، وقد كان أشد الناس مكافأة، فماذا يكافئ هذا .

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليّ » .[٣]

أي أنه مدعو عليه أو مخبر بلزوم ذُلّ وصغار لا يطاق .

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح عنه مرفوعاً: « لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » .[٤]

أي فالبعد كالقرب، فلا تقلل زيارته كالعيد ولا تتغالى في تعظيمه كالوثن يعبد ولا تتخذ العود إليه ديناً تتكلف به المهمات .

ولا شك أن زيارته أقرب القرب، ربنا لا تحرمناها .

---

(١) أخرجه الترمذي [٤٨٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٨٩ - الموارد]، والشجري في أماليه [١/ ١٣٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/٢١٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٣١٤] .

(٢) أخرجه أبو داود [١٠٤٧] كتاب الصلاة، باب في فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي [٣/ ٩١ - المجتبى]، وابن ماجه [١٠٨٥، ١٦٣٦]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٧٨، ٤/ ٥٦٠] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٥٤٥]كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل »، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٤٩]، والشجري في أماليه [١/ ١٢٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١١/ ١٦٨] .

(٤) أخرجه أبو داود [٢٠٤٢] كتاب المناسك، باب زيارة القبور، عن أبي هريرة .

وروينا فيه أيضاً عنه بإسناد صحيح: « ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام » .(١)

فأطلق ذلك لكل أحد ورده بركة لا يقدر قدرها، وهو ظاهر في استمرار حياته، لأنه يستحيل عادة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم عليه في ليل أو نهار، والمراد بالروح هنا النطق مجازاً، ومن لازمه وجود الروح .

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عليّ مرفوعاً: « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ » .(٢)

أي لأنه سيد الأحباب .

وذكر المحبوب يؤذن بالإقبال، فالمعرض عنه مئذن بالبخل وعدم الاتصال .

وروينا من حديث أنس مرفوعاً: « من صلى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتىٰ يرى مقعده من الجنة » .(٣) ذكره الضياء في كتابه الصلاة علىٰ النبي ﷺ، وقال لا أعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية، قال أحمد: لا بأس به، وقال يحيى بن معين: ثقة، وأي مهيح ومعز مثل ذلك .

وروينا في سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعاً: « من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة » .(٤)

وفي إسناده جبارة بن المغلس، وهو ضعيف، لكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه، عن أبي يعفر محمد بن علي الباقر مرسلا، فيقوى .

ورواه الطبراني من حديث الحسن بن علي مرفوعاً: « من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليَّ أخطأ طريق الجنة » .(٥)

---

(١) أخرجه أبو داود [٢٠٤١] كتاب المناسك، باب زيارة القبور، وأحمد في مسنده [٢/ ٥٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٤٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٦٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٩٩] .

(٢) أخرجه الترمذي [٣٥٤٦] كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل »، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠١]، والطبراني في المعجم الكبير [٣/ ١٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٦٤] وابن حبان في صحيحه [٢٣٨٨ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥١٠] .

(٣) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٣/ ٣٨٩] .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه [٩٠٨] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [٢٥] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٢٧٦]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ١٨٠] .

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٣/ ١٣٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٣٧]، [١٠/ =

وفي رواية: « من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة » .(١)

شعر:

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي　صلي علىٰ الهادي البشير محمد
يا فوز من صلى عليه فإنه　يحوي الأماني بالنعيم السرمدي
يا قومنا صلوا عليه تظفروا　بالبشر والعيش الهنيء الأرغد
صلوا عليه وارفعوا أصواتكم　يغفر لكم من يومكم قبل الغد
ويخصُّكم رب الأنام بفضله　والفوز بالجنان يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله　ما لاح في الآفاق نجم الغرقد

وروى محمد بن حمدان المروزي بإسناده من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « من لم يصل عليَّ فلا دين له ».(٢)

وروى عبد الرزاق في مصنفه، وللطبراني نحوه، عن جابر مرفوعاً: « لا تجعلوني كقدح الراكب ؛ إذا أراد أن ينطلق علق معالقه، وملأ قدحاً ماء، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ توضأ، أو أن يشرب شرب وإلا أهرقه، فاجعلوني في أول الدعاء وفي وسطه وفي آخره »(٣).

وروى ابن خزيمة عن أبي رافع مرفوعاً: « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، فليصل عليَّ وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » .(٤)

وعن ابن عباس مرفوعاً: « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له بدوام اسمي في ذلك الكتاب » .(٥)

وفي كتاب الترمذي: الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء

= ١٦٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨] .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه[١١/ ٥٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٠٨] .

(٢) ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة [٢١٤]، وذكره ابن أبي شيبة في الإيمان [٤٧] بلفظ: « من لم يصل فلا دين له » .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه [٣١١٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٥٥]، وابن حجر في المطالب العالية [٣٣١٦] .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [١/ ٣٠١]، وفي المعجم الصغير [٢/ ١٢٠]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٣٨]، وابن السني في عمل اليوم والليلة [١٦٣]، والشجري في أماليه [١/ ١٢٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٠٥]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٧٠] .

(٥) أخرجه الألباني في إرواء الغليل [٢/ ١٧٧]، وابن كثير في تفسيره [٦/ ٤٦٢] .

حتىٰ تصلي علىٰ النبي ﷺ .[(١)]

شعر:

ولأحمد فضل لا يعد ولا يحصى ... وما شابه بين الورى أبداً نقصاً

هو القرشي الهاشمي الذي سرى ... به من المسجد الأسنى إلىٰ المسجد الأقصى

نبي دنا من قاب قوسين[(٢)] مذ دنا ... فسبحان من وصَّى إليه بما وصى

عليه صلاة لا انتهاء لوصفها ... من الله ربي لا تعد ولا تحصى

وروينا في سنن أبي داود، وجامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يمجد الله ولم يصل علىٰ نبيه فقال: " عجل هذا "، ثم دعاه فقال لنا أو لغيره: " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جل وعز والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء " .[(٣)]

وفيه بيان أن الصلاة من المحال المهمة للصلاة عليه. والأمر للوجوب .

وروينا في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة قال: " خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك ؟ قال: « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .[(٤)]

وفي نحوه من حديث أبي مسعود البدري، وفيه ذكر إبراهيم في الأول،

---

(١) أخرجه الترمذي [٤٨٦] في الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٨٠ ـ (١٧٤)] كتاب الإيمان، [٧٦] باب في ذكر سدرة المنتهى، عن ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: ٩] قال ابن مسعود: " إن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح " .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [١٤٨١] كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذي في سننه [٣٤٧٦] كتاب الدعوات، والنسائي في السهو، باب التهجد والصلاة علىٰ النبي ﷺ، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٠]، وأحمد في مسنده [٦/ ١٨]، وابن خزيمة في صحيحه [٧١٠]، وابن حبان [٥١٠ - الموارد]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١٤٨] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ١٧٨، ٦/ ١٥١]، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٤٠٦)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، وأحمد في مسنده [٤/ ١١٨, ٢٤١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٥٠٧، ٥٠٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٣١٠٥، ٣١٠٦، ٣١٠٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٣٥٦، ٣٧٣]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٨٥] .

وآل إبراهيم في الثاني.[(١)] وفي الصحيحين من حديث أبي حميد[(٢)] مثل الأول إلا ذكر آل محمد، فبدلا منه: وعلىٰ أزواجه وذريته وبقيت كيفيات أخر لا نطول بذكرها.

وفي فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ من طريق أبي بردة في النسائي وأبي طلحة الأنصاري في مسند أحمد، وصحيحي ابن حبان والحاكم، وعبد الرحمن بن عوف في صحيح الحاكم، وعامر بن ربيعة عند أحمد وابن ماجه، وأبي بن كعب في جامع الترمذي مصححاً، ومسند أحمد ومستدرك الحاكم.

وأبي هريرة في الأربعة، وصحيح ابن حبان، وجابر عند النسائي، وأبي الدرداء عند الطبراني الكبير، وغير ذلك مما يطول ذكره.[(٣)]

شعر:

صلوا علىٰ خير الأنام محمد ... إن الصلاة عليه نور يعقد

من كان صلى قائما يغفر له ... قبل القعود وللمثاب تجدد

وكذاك إن صلى عليه قاعداً ... يغفر له قبل القيام ويرشد

فصل

عن ابن بنان الأصفهاني قال: " رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: هل نفعت ابن عمك الشافعي بشيء، أو خصصته بشيء ؟

قال: نعم ؛ سألت ربي أن لا يحاسبه.

فقلنا: بم ؟.

قال: إنه كان يصلي عليّ[(٤)] صلاة لم يصل عليّ بمثلها.

قلت: وما هي ؟، قال: «كان يقول اللهم صل علىٰ محمد كما ذكره الذاكرون

---

(١) انظر البخاري [٤/ ١٧٨، ٦/ ١٥١]، وفي مسلم [٦٥ ـ (٤٠٥)] كتاب الصلاة، باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد.

(٢) انظر مسلم [٦٩ ـ (٤٠٧)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد.

(٣) انظر: أبو داود [٤٨٥٦]، والترمذي [٣٣٧٧]، والنسائي [٤٠٤] في عمل اليوم والليلة، والحاكم في المستدرك [١/ ٤٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٢٢ ـ الموارد]، وفي الإحسان [٨٥٣]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨]، وابن ماجه [١٠٨٥، ١٦٣٦].

(٤) قال النووي: " اختلف العلماء في الحكمة في قوله: «اللهم صلي علىٰ محمد كما صليت علىٰ إبراهيم»، مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ ؛ قال القاضي عياض: أظهر الأقوال أن نبينا محمد ﷺ سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته، ليتم النعمة عليهم، كما أتمها علىٰ إبراهيم وعلىٰ آله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ليبقى ذلك له دائماً إلىٰ يوم القيامة، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ " النووي في شرح مسلم [٤/ ١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية.

وغفل عن ذكره الغافلون "، وروي هذا عن الشافعي من أوجه أُخر .

فروينا عن ابن عبد الحكم قال: " رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: نعمني وغفر لي، وزففت في الجنة كما تزف العروس، ونثر عليَّ كما ينثر علىٰ العروس. فقلت: بم بلغت هذا الحال ؟ قال: بقولي في كتاب الرسالة: وصلى الله علىٰ محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون " .

وروى البيهقي في مناقبه وعن أبي الحسن الشافعي[1] قال: " رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله بم جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة: صلى الله علىٰ محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ؟ قال: جزي عني أنه لا يوقف للحساب " .

وعن بعض الصالحين قال: رأيت الشافعي في المنام فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا ؟ قال: بخمس كلمات أصلي بهن علىٰ رسول الله ﷺ . فقيل: وما هي ؟ قال: كنت أقول: «اللهم صلي علىٰ محمد عدد من يصلي عليه، وصل علىٰ محمد بعدد من لم يصل عليه، وصل علىٰ محمد كما أمرت أن يصلى عليه، وصلى علىٰ محمد كما تحب الصلاة عليه، وصل علىٰ محمد كما ينبغي أن يصلى عليه " .

وحكي أنه كان شاب يطوف بالبيت ويشتغل بالصلاة علىٰ رسول الله ﷺ فقيل له: هل عندك في هذا شيء ؟ قال: نعم ؛ خرجت أنا وأبي حاجين، فمرض أبي في بعض المنازل ومات، فاسود وجهه، وازرقت عيناه، وانتفخ بطنه، فبكيت وقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، مات أبي في غربته هذه الموتة، فلما كان الليل غلبني النوم فرأيت رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض ورائحته طيبة عطرة، فدنا من أبي ومسح علىٰ وجهه فصار أشد بياضاً من الليل، ثم مسح علىٰ بطنه فصار كما كان، ثم أراد الانصراف، وإذا هو رسول الله، وقال: إن أباك كان يكثر المعاصي والذنوب، وكان يكثر من الصلاة عليَّ، فلما نزل به ما نزل استغاثني فأغثته، وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليَّ في دار الدنيا "

---

(١) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، الإمام العلم أبو عبد الله الشافعي المكي المطلبي الفقيه، نسيب رسول الله ﷺ قال يحيى بن أكثم: كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة، وكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعاً للحديث لاستغنى أمة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء . انظر تاريخ الإسلام للذهبي [٢٠١ - ٢١٠] .

وروى ابن عساكر، عن جعفر بن عبد الله قال: " رأيت أبا زرعة في المنام وهو في السماء يصلي بالملائكة، فقلت له: بما نلت هذا ؟ فقال: كتبت بيدي ألف ألف حديث، وإذا ذكرت النبي ﷺ أصلي عليه، وقد قال: « من صلى عليَّ مرة صلى الله بها عليه عشراً » [(١)].

وروى ابن بشكوال: " أن أبا بكر بن مجاهد قام يوماً للشبلي فقال له أصحابه: أنت لا تقوم لعلي بن عيسى الوزير، وتقوم لهذا ؟ فقال: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله ﷺ رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة، فإذا دخل عليك فأكرمه، فلما كان بعد ليلتين جاء رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلاً من أهل الجنة، فقلت: يا رسول الله بم استحق الشبلي هذا منك؟ قال: هذا رجل يصلي خمس صلوات يذكرني في كل صلاة، ويقرأ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[(٢)] ذلك منذ ثلاثين سنة، ألا أكرم من يفعل هذا ؟ " وفي رواية الحافظ عبد الغني هذا يقرأ بعد صلاته ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] الآية، ويتبعها بالصلاة عليَّ

شعر:

هنيئاً لعين قد رأت وجه أحمد	وفازت جهاراً منه بالحسن والرؤيا
وقد أسعد الرحمن عبداً دعا له	فأضحى سعيداً في الممات والمحيا
وبدَّل بعد الشرك بالنور والهدى	وبلغ ما يهوى من الدين والدنيا
وفاز برؤيا المصطفى سيد الورى	نبي حباه الله بالرتبة العليا
عليه صلاة الله ما طاف طائف	بمكة بيت الله قصداً أتى سعيا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، والترمذي [٤٨٤، ٤٨٥]، وأبو داود [١٥٣٠]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٢، ٢٦١]، والنسائي [٣/ ٥٠] المجتبى.

(٢) سورة التوبة [١٢٨].
يقول تعالىٰ ممتناً علىٰ المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم، وعلىٰ لغتهم، كما قال إبراهيم ـ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٢٩] أي منكم بلغتكم، كما قال معمر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته، وذكر الحديث.
وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التّوبَة: ١٢٨] أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها. تفسير ابن كثير [٢/ ٤١٢].

وصلى عليه الله[1] ما سرت الصبا | وما من مشتاق برؤياه واللقيا
صلاة شذاها عطر الكون جهرة | فمن قاسها بالمسك يوما فما استحيا

وهذه حكايات أخر مما نحن فيه :

الأولى: رؤي مسطاح الصوفي بعد موته وكان ماجنا، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي . قيل: بأي شيء ؟ قال: استمليت علىٰ بعض المحدثين مسنداً، فصلى الشيخ علىٰ رسول الله ﷺ فصليت أنا ورفعت صوتي، فصلى أهل المجلس عليه، فغفر لنا في ذلك اليوم.

الثانية: روى ابن بشكوال أن بعضهم رأى أبا إسحاق الكاغدي بعد وفاته، وكان سيداً كبيراً، فقال: ما فعل الله بك ؟ قال: رحمني وغفر لي، وأدخلني الجنة . فقيل بماذا ؟ قال: لما وقفت بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبي وحسبوا صلاتي علىٰ المصطفى ﷺ فوجدوها أكثر، فقال لهم جلت قدرته: حسبكم يا ملائكتي، لا تحاسبوه واذهبوا به إلىٰ جنتي .

الثالثة: روى أبو نعيم، عن سفيان الثوري قال: بينما أنا حاج إذ دخل عليَّ شاب لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلاَّ ويقول: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد. فقلت له: أتعلم قبول هذا ؟ قال: نعم، من أنت ؟ قلت: سفيان الثوري . قال: سفيان العراقي ؟ قلت: نعم . قال: هل عرفت الله ؟ قلت: نعم . قال: كيف عرفته ؟ قلت: بأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويصور الولد في الرحم . قال: يا سفيان[2] ما عرفت الله حق معرفته. قلت: كيف تعرفه أنت ؟ قال: بفسخ العزم والهمم، ونقض العزيمة ؛ هممت ففسخ همتي، وعزمت فنقض عزمي، فعرف أن لي رباً يدبرني . قال: قلت: فصلاتك علىٰ رسول الله ﷺ قال: كنت حاجاً ومعي والدتي، فسألتني أن أُدخلها البيت، فوقعت وتورَّم بطنها واسود وجهها، فجلست عندها وأنا حزين، فرفعت يدي نحو السماء فقلت: يا رب هكذا تفعل بمن دخل بيتك ؟ فإذا أنا بغمامة قد ارتفعت من قبل تهامة، وإذا رجل عليه ثياب بيض قد دخل البيت فأمرَّ يده علىٰ وجهها، فابيض، وأمرَّ يده علىٰ بطنها فسكن الورم، ثم مضى ليخرج، فتعلقت بثوبه فقلت: من أنت الذي فرَّجت عني ؟ قال: أنا نبيك

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، وكان ربما دلس، أخرج له الستة، توفي سنة [١٦١ أو ١٦٤] .

محمد. قلت: يا رسول الله أوصني . قال: لا ترفع قدماً ولا تضع أخرى إلا وأنت تقول: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد .

الرابعة: قال أبو الحسن البغدادي: رأيت منصور بن عمار في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: أنت منصور بن عمار ؟ قلت: بلى يا رب . قال: أنت الذي كنت تُزهد الناس في الدنيا وتُرغب فيها ؟ قال: قلت: قد كان ذلك، ولكني ما اتخذت مجلساً إلا وبدأت بالثناء عليك(١)، وثنيت بالصلاة علىٰ نبيك، وثلثت بالنصيحة لعبادك . قال: صدقت، ضعوا له كرسياً في سمائي يمجدني بين ملائكتي كما مجدني في أرضي بين عبادي . قلت: سبحان الملك المجيد الفعال لما يريد، لا إله سواه، ولا نعبد إلا إياه، وصل الله علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وسلم .

الخامسة : لما مات أبو العباس أحمد بن منصور ـ رحمه الله ـ قال رجل من أهل شيراز: رأيته في المنام البارحة وعليه حلة، وعلىٰ رأسه تاج مكلل بالجوهر، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي وأكرمني وتوجني وأدخلني الجنة . فقلت: بماذا ؟ قال: بكثرة صلاتي علىٰ رسول الله ﷺ .

السادسة: روي أن رجلا يقال له محمد بن مالك قال: مضيت إلىٰ بغداد لأقرأ علىٰ أبي بكر بن مجاهد المقري، فكنا نقرأ عليه يوماً من الأيام إذ دخل عليه شيخ وعليه عمامة رثَّة وقميص ورداء رث، فقام الشيخ أبو بكر له وأجلسه مكانه واستخبره عن حاله وحال صبيانه، فقال الرجل: وُلد لي اليوم مولود وطلبوا مني سمناً وعسلاً، ولم أملك ذرَّة، قال: فنمت وأنا حزين القلب، فرأيت النبي ﷺ في منامي، فقال لي: ما هذا الحزن ؟ اذهب إلىٰ علي بن عيسى وزير الخليفة واقرأ عليه السلام، وقل له بعلامة أنك لا تنام كل ليلة جمعة إلا بعد أن تصلي عليَّ ألف مرة، وهذه ليلة الجمعة صليت عليَّ سبعمائة مرة، فجاءك رسول الخليفة فدعاك، فمضيت معه ورجعت فما نمت حتىٰ أتممت ألفاً، فبهذه العلامة سلِّم إلىٰ هذا الرجل مائة دينار، فقام أبو بكر بن مجاهد المقري مع الشيخ ومضينا إلىٰ دار الوزير وأجلسه مكانه فقص عليه الرجل قصته، فأمر الغلام بإخراج بَدْرَة(٢) فوزن منها مائة دينار، وقال:

---

(١) روى أبو داود في سننه [١٤٨١] عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصل علىٰ النبي ﷺ فقال ﷺ: « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره: « إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء » .

(٢) البَدْرَة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به، ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود، جمعها: بِدَر .

أيها الشيخ صدقت، هذا كان سراً بيني وبين الله تعالىٰ، فخذ هذه المائة لأنك رسول رسول الله ﷺ، ووزن مائة أخرى وقال: هذه بشارتك بأن رسول الله ﷺ علم بأني أصلي عليه، ووزن مائة أيضاً، وقال: هذه من أجل أنك تعنيت وجئت إليَّ مهنئاً، وجعل يزن مائة مائة حتىٰ كمل ألفاً فقال له رجل: إني لا آخذ إلا ما أمرني به رسول الله ﷺ .

السابعة: يحكى أنه كان بمدينة بلخ رجل تاجر، وكان كثير المال، وله ابنان، فتوفي والدهما فقسَّم ابناه المال بينهما نصفين، وكان في الميراث ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ[1] فأخذ كل واحد منهما واحدة، وبقيت بينهما واحدة، فقال أكبرهما لأخيه الأصغر: نجعل الشعرة الباقية نصفين، فقال الآخر: لا والله بل هو أجل من أن يقطع شعره ﷺ فقال الكبير: تأخذ هذه الشعرة بقسطك في الميراث؟ قال: نعم، فأخذ الكبير جميع المال، وأخذ الصغير الشعرات، وجعلها في جبينه، وكلما شاهدها صلى علىٰ النبي ﷺ، ثم بعد أيام فنى مال الكبير، وكثر مال الصغير، فلما توفي الصغير رآه بعض الصالحين في النوم، ورأى النبي ﷺ فقال له: قل للناس: من كانت له إلىٰ الله ﷻ حاجة فليأت قبر فلان، فكان الناس يقصدون قبره حتىٰ بلغ إلىٰ أن صار كل من مرَّ علىٰ قبره راكباً ينزل ويمشي راجلاً، وذلك من فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ .

الثامنة: روي أن امرأة جاءت إلىٰ الحسن البصري[2] فقالت: يا شيخ، توفيت لي ابنة، وأريد أن أراها في النوم، فقال الحسن: صلي أربع ركعات واقرئي في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة ألهاكم مرة وذلك بعد صلاة العشاء الآخرة، ثم اضطجعي وصلي على النبي ﷺ حتىٰ ترقدي، ففعلت فرأتها في المنام، وهي في العقوبة وعليها لباس من قطران[3] ويداها مغلولة ورجلاها مسلسلة بسلاسل من نار، فلما انتبهت

---

(١) روى الترمذي في سننه [٣٦٣٥] كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ عن البراء قال: «ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ ؛ له شعر يضرب منكبيه . . . » الحديث.

(٢) الحسن بن يسار أبو سعيد البصري، الأنصاري، فقيه، ثقة فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا، يعني قومه الذين حدثوه وخطبوا بالبصرة، أخرج له الستة، وتوفي سنة [١١٠] وقد قارب الـ(٩٠) سنة.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال ابن كثير: وقوله ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠] أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران، وهو الذي تهنأ به الإبل ـ أي تطلى ـ وكان ابن عباس يقول: القطران هو النحاس المذاب، وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة. تفسير ابن كثير [٢/ ٥٦١] .

جاءت إلىٰ الحسن البصري وأخبرته بالقصة، فقال: تصدقي عنها لعل الله أن يعفو عنها، ثم في تلك الليلة رأى الحسن البصري كأنه في روضة من رياض الجنة، ورأى سريراً منصوباً وعليه جارية حسناء جميلة، وعلىٰ رأسها تاج من النور، فقالت له: يا حسن أتعرفني ؟ فقال: لا . فقالت: أنا ابنة تلك المرأة التي أمرتها بالصلاة . فقال الحسن: بغير هذا وصفت لي حالك . فقالت: هو كما قالت . قال: فبما إذاً بلغت هذه المنزلة ؟ فقالت: كنا سبعين ألف نفس في العقوبة، كما وصفت لك والدتي، فعبر واحد من الصالحين علىٰ قبورنا، وصلى علىٰ النبي ﷺ مرة واحدة، وجعل ثوابها لنا، فأعتقنا الله ـ تعالىٰ ـ من العقوبة ببركته، وبلغ نصيبي ما قد شاهدته فهذا من جملة بركة الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ .

التاسعة: روى الفاكهاني في كتابه الفجر المنير، عن الشيخ موسى الضرير ـ رحمه الله ـ أنه ركب في مركب في البحر المالح، قال: فثارت علينا ريح تسمى الأقلانية، قلَّ من ينجو منها من الغرق، قال: فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: قل لأهل المركب يقولون ألف مرة: اللهم صل علىٰ محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفع لنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات . قال: فاستيقظت، وأخبرت أهل المركب بالرؤيا وصلينا علىٰ النبي ﷺ نحو ثلاثمائة مرة ففرج الله عنا تلك الشدة .

العاشرة: رُوي عن الإمام العالم أبي حفص عمر بن الحسن السمرقندي قال: سمعت الأستاذ قدس الله روحه قال: سمعت رجلاً يقول: حججت في سنة كذا، فرأيت رجلاً في الحرم لم يزل يصلي علىٰ النبي ﷺ حيث كان في الحرم والبيت وعرفة ومنى، فقلت: أيها الرجل لكل مقام مقال، فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالصلاة إلا أنك تصلي علىٰ النبي ﷺ لا غير ؟ فقال له الرجل: خرجت من خراسان حاجاً إلىٰ بيت الله الحرام، ومعي والدي، فبلغنا الكوفة، فاعتل أبي هناك، فتوفي، فغطيت وجهه بإزار، فلما كشفت عن وجهه رأيت صورة كصورة الحمار، فحزنت لذلك حزناً شديداً، فقلت: كيف أظهر للناس هذا الحال، وقد صار والدي في هذه الصورة، فنعست ساعة، فرأيت في منامي كأنه دخل علينا رجل وكشف عن وجهه وقال لي: ما هذا الغم العظيم ؟ فقلت له: وكيف لا أغتم مع هذه المحنة العظيمة ؟! فقال: إن الله ﷻ قد أزال عنك هذا الغم، فانطلقت إلىٰ والدي فكشفت عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع يلوح، قال: فقلت لذلك الرجل: من أنت ؟ قال: أنا المصطفى، فلويت طرف ردائه وقلت له: بحق الله إلا ما أخبرتني بالقصة، فقال لي:

والدك كان يأكل الربا، وإن من حكم الله ﷻ أن من أكل الربا أن يجعل صورته صورة الحمار، إما في الدنيا وإما في الآخرة[١]، ولكن كان من عادة والدك أن يصلي عليَّ في كل ليلة قبل أن يضطجع مائة مرة، فلما أن عرضت له هذه الحالة جاءني الملك الذي يعرض عليّ أعمال أمتي فأخبرني بحاله، فسألت الله ـ تعالىٰ ـ فشفعني فيه .

الحادية عشرة: روي عن سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: رأيت رجلا من الحجاج يكثر الصلاة علىٰ النبي ﷺ فقلت له: هذا موضع الثناء، فقال لي: ألا أخبرك أني كنت في بيتي، وكان لي أخ قد حضرته الوفاة، فاسود وجهه، وكان البيت مظلماً، فدخل علينا رجل كأن وجهه السراج، فمسح بيده علىٰ وجهه، فصار وجه أخي كالقمر، فقلت: من أنت الذي منّ الله علينا بك ؟ فقال: أنا الملك الموكل[٢] بمن يصلي علىٰ النبي ﷺ أفعل به هكذا.

فائدة: روى أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني ـ رحمه الله ـ في كتابه الترغيب والترهيب عن أبي بكر الصديق ؓ أنه قال: " الصلاة علىٰ النبي أفضل من عتق الرقاب، وإن حب رسول الله ﷺ أفضل من بذل مهج الأنفس، أو قال من ضرب السيوف في سبيل الله " .[٣]

الثانية عشر: روى الإمام أبو القاسم القشيري: أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان رؤي في المنام بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي . فقيل: بماذا ؟ قال: صعدت ذروة الجبل يوماً، فأشرفت علىٰ جندي وعسكري، فأعجبني كثرتهم، وتمنيت أني حضرت رسول الله ﷺ فأعنته ونصرته، فجعلت أصلي عليه، فشكر الله لي ذلك فغفر لي .

---

(١) روى السيوطي في " الدر المنثور " [١/ ٣٦٤] بلفظ: " من أكل الربا بعثه الله يوم القيامة مجنونا يتخبط " .

(٢) روى النسائي [٣/ ٤٣ - المجتبى] عن ابن مسعود مرفوعاً: « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام ».

(٣) رواه العجلوني في كشف الخفاء [٢/ ٣٩] وقال: رواه التيمي في ترغيبه، وعنه أبو القاسم بن عساكر، عن أبي بكر الصديق من قوله، ورواه النميري، وابن بشكوال وغيرهما بلفظ « السلام » بدل الصلاة، قال في المقاصد: وأما قول شيخنا ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ في بعض فتاويه عن هذا: إنه كذب مختلق، فمراد به إضافته إلىٰ النبي ﷺ، زاد النجم: وإلا فهو ثابت عن أبي بكر موقوفاً، وأخرجه أيضاً القاري في " الأسرار المرفوعة " [٢٣٥ . ٢٣٦]، والفتني في " تذكرة الموضوعات " [٨٩]، والسيوطي في " الدرر المنتثرة " [١٠٣] .

فائدة: روى أبو القاسم الأصفهاني في كتاب الترغيب والترهيب عن يزيد بن مسلم الجريري قال: سمعت وهب بن منبه يقول: " الصلاة علىٰ النبي ﷺ عبادة " .

الثالثة عشر: روى أبو القاسم المذكور أيضاً بسنده عن محمد بن الحسين الحرَّاني قال: قال لي رجل من حران يقال له الفضل، وكان كثير الصوم والصلاة: كنت أكتب الحديث ولا أصلي علىٰ النبي ﷺ، فرأيته في المنام فقال: إذا كتبت أو ذكرت لم لا تصلي عليَّ ؟ قال: ثم رأيته ﷺ مرة أخرى فقال: ما تبلغني صلاتك عليَّ، فإذا صليت عليَّ أو ذكرت فقل: صلى الله عليه وسلم .

فائدة: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " وكَّل الله برسول الله ﷺ ملكاً فلا يذكر عند عبد ولا يصلي عليه إلا قال ذلك الملك: لا غفر الله لك، فتقول الملائكة: آمين .

الرابعة عشر: روي أن رجلا هرب من السلطان، وخط في الأرض خطاً وسماه قبر النبي ﷺ وتطهر وصلى عنده، وصلى عليه ألف مرة، ثم قال: اللهم إني جعلت هذا القبر شفيعي إليك فآمن روعي من هذا الظالم بحق المصطفى، فهتف به هاتف وقال له: نعم الشفيع محمد ﷺ قد آمنا روعك، وأهلكنا ظالمك، وغفرنا ذنبك .

فائدتان: الأولى: روي أن آدم ﷺ نام فرأى حواء[1] - عليها السلام - جالسة عند رأسه، فمد يده إليها فقال جبريل - عليه السلام -: لا تمسها حتىٰ تعطي مهرها . قال: وما مهرها ؟ قال: الصلاة علىٰ محمد بن عبد الله خير خلق الله ﷺ .

الثانية: روي أن الله - تبارك وتعالى - يقول: يا محمد من صلى عليك أمرت جبريل وسبعين ألف ملك أن يصلوا عليه ولا يموت حتىٰ يرى مقعده من الجنة، فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ .

الخامسة عشر: روي أن أبا الحسن علياً الميموني قال: رأيت الشيخ أبا الحسن ابن عيينة - رحمه الله - في المنام بعد موته كأن علىٰ أصابع يديه شيئاً مكتوباً بلون الذهب، أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك، فقلت: يا أستاذ أرى علىٰ أصابع يديك شيئاً مليحاً مكتوباً ما هو ؟ قال: يا بني هذا بكتابتي لحديث رسول الله ﷺ أو قال:

---

(١) يقال: إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحيشاً ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت ؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم ؟ قال: حواء، قالوا: ولم حواء ؟ قال: إنها خلقت من شيء حي . تفسير ابن كثير [١/ ٧٩] .

لكتابتي " صلى الله عليه وسلم " في حديث رسول الله ﷺ .

فائدة: روى الأصفهاني في كتابه الترغيب والترهيب: أن أبا الحسن النهاوندي الزاهد في ديار المغرب قال: لقي رجل الخضر[(١)] ﷺ فقال له: أفضل الأعمال اتباع رسول الله ﷺ والصلاة عليه، وأفضل الصلاة ما كان عند نشر حديثه .

فائدة ثانية: روى الأصفهاني أيضاً بإسناده إلىٰ أبي محمد إسماعيل الزاهد قال: سمعت أبا علي الحسن يقول: علامة أهل السنة كثرة الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ .

فائدة ثالثة: روى الأصفهاني أيضاً بإسناده إلىٰ أبي الحسن الحراني قال: كان أبو عروة الحرَّاني لا يترك أحداً يقرأ عليه الأحاديث إلا أن يصلي علىٰ النبي ﷺ، وكان يقول بركة الحديث كثرة الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ .

فائدة رابعة: روي أن ثابتاً والد أبي حنيفة[(٢)] رأى في المنام كأن أبا حنيفة دخل قبر النبي ﷺ فجمع عظامه ثم خرج بها، فقص رؤياه علىٰ ابن سيرين، فقال: إنه يجمع علم النبي ﷺ ويحيي سنته، فكان كذلك.

السادسة عشر: روي أن أم الفضل[(٣)] كانت كثيرة الصلاة علىٰ النبي ﷺ فرأت في المنام أن بضعة من جسد رسول الله ﷺ وضعت في حجرها، فقالت ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « خيراً رأيت ؛ فاطمة تلد إن شاء الله غلاماً

---

(١) قال النووي: جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تستر . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذّ بعض المحدثين، قال الحبري المفسر، وأبو عمر: وهو نبي، واختلفوا في كونه مرسلا، وقال القشيري وكثيرون: هو ولي . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الإمام العلم أبو حنيفة الكوفي الفقيه مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة (٨٠)، ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة إذ قدمها أنس، قاله ابن سعد، وروى أبو حنيفة عن عطاء بن أبي رباح وقال: ما رأيت أفضل منه، وغيره الكثير، وبرع في الرأي، وساد أهل زمانه في التفقه وتفريع المسائل، وتصدر للاشغال وتخرج به الأصحاب، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة (١٥٠) . تاريخ الإسلام، وفيات [١٤١- ١٥٠] .

(٣) لبابة بنت الحارث أم الفضل الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت ميمونة زوج النبي ﷺ، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، وتوفيت في خلافة عثمان . ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٤٩]، الثقات [٣/ ٣٦١]، أسد الغابة [٧/ ٢٥٣]، أعلام النساء [٤/ ١٧٠ ، ٢٧٢]، الإصابة [٨/ ٩٧]، تجريد أسماء الصحابة [٢/ ٣٠١] .

فيوضع في حجرك » فولدت فاطمة الحسن رضي الله عنهما فوضع في حجرها .[١]

السابعة عشر: روي أن فتى من الأنصار دخل على رسول الله ﷺ وأبو بكر جالس إلى جانبه، فأجلسه النبي ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم أقبل بوجهه عليه إلى أن انصرف، ثم أقبل على الصديق، وقال: « يا أبا بكر لعلك عزَّ عليك » قال أبو بكر رضي الله عنهما: إنه شق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد، فقال النبي ﷺ: « إن هذا يصلي عليَّ صلاة لا يصليها أحد من أمتي » قال الصديق: كيف يقول يا رسول الله ؟ قال: « يقول اللهم صل على محمد عدد من يصلي عليه، وصل على محمد عدد من لم يصل عليه، وصل على محمد كما تحب الصلاة عليه، اللهم صل على محمد الذي من نوره الأنوار، وأشرق بشعاع وجهه الأقطار، وصل على محمد المختار، وصل على أهل بيته الأبرار » .

الثامنة عشر: روي أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ وادعى أن رجلا سرق[٢] بعيراً له وأحضر شاهدان، وشهدا عليه، فهم النبي ﷺ بقطع يده، فقال المدعى عليه: يا رسول الله تأمر بإحضار البعير تسأله عن من سرقه، فإني أرجو من الله ـ تعالى ـ أن ينطق ببراءتي يا رسول الله، فأحضره النبي ﷺ وقال: « يا بعير من أنا ؟ » فقال البعير بلسان فصيح: أنت رسول الله حقاً حقاً، لا تقطع يده فإن مدعيه منافق والشاهدان منافقان، توافقا على قطع يده عناداً وعداوة لك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: « بأي شيء أجارك الله من قطع يدك ؟ » فقال: يا رسول الله مالي من كثير عمل غير أني لا أقوم ولا أقعد إلا أصلي عليك، فقال ﷺ: « سر على ذلك، فإن الله ـ تعالى ـ يبرئك من نار جهنم كما برأك من قطع يدك في الدنيا » .

التاسعة عشر: روي عن عبد الله بن سلام[٣] قال: أتيت أخي عثمان لأسلم

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه [٣٩٢٣] كتاب: تعبير الرؤيا، [١٠] باب: تعبير الرؤيا، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٣٩]، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق [٤/ ٣١٦] .

(٢) قال القاضي عياض: صان الله ـ تعالى ـ الأموال بإيجاب القطع على السارق، ولم يجعل ذلك في غير السرقة كالاختلاس والانتهاب والغصب، لأن ذلك قيل بالنسبة إلى السرقة، ولأنه لا يمكن استرجاع هذا النوع بالاستدعاء إلى ولاة الأمور، وتسهيل إقامة البينة عليه ، بخلاف السرقة فإنه تندر إقامة البينة عليها، فعظم أمرها، واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها، وقد أجمع المسلمون على قطع السارق في الجملة وإن اختلفوا في فروع منه . النووي في شرح مسلم [١١/ ١٥١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي النسب، حليف الأنصار، أسلم عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه عبد الله، وشهد له بالجنة، توفي سنة (٤٣)، =

عليه، فقال: مرحباً يا أخي، رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام فناولني دلواً فيه ماء فشربت حتىٰ رويت، وإني لأجد برده، فقلت: بماذا نلت هذا ؟ فقال: بكثرة الصلاة علىٰ النبي ﷺ .

العشرون: روي عن أحمد بن عطاء قال: سمعت عبد الله بن صالح يقول: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي . فقيل: بماذا ؟ فقال: بصلاتي في كتبي علىٰ النبي ﷺ .

الحادية بعد العشرين: روي أن ابن الموفق حج عن رسول الله ﷺ وكان يكثر الصلاة عليه، قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا ابن الموفق حججت عني ؟ قلت: نعم . قال: ولبيت عني ؟ قلت: نعم . قال: فإني كافيك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف وأدخلك الجنة، والخلائق في كرب الحساب .

الثانية بعد العشرين: روى أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ أن امرأة كانت تحب النبي ﷺ حباً شديداً، وكانت تكثر الصلاة عليه، فقصدت زيارته، فلما وصلت المدينة نزلت في بيت عائشة، فسألت عن النبي ﷺ، فقالت عائشة : مات، فصرخت وأكثرت الصراخ، وقالت: أريني قبره، فأتت به إليه، فقالت لها اكشفي لي عنه ما نشر عليه، فألصقت جسدها بالقبر، وصاحت صيحة فماتت، وأتى أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهم أجمعين، وجمع من الصحابة فرأوها وهي ملصقة جسدها بالقبر وهي ميتة فأعظموا أمرها وتحققوا محبتها فيه، وغسَّلوها وكفنوها وصلوا عليها، وكان يوماً مشهوداً لم ير لغيرها .

الثالثة بعد العشرين: روي عن أبي محمد الجزري قال: دخل علينا الرباط فقير بعد صلاة العصر، شاب مصفر اللون أشعث الشعر، حاسر الرأس، حافي القدم، فجدد الوضوء وصلى ركعتين، ثم جلس ووضع رأسه علىٰ خشبة إلىٰ المغرب، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك يصلي علىٰ النبي ﷺ، وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة، فقمت إلىٰ الشاب وقلت له: هل لك إلىٰ دار الخليفة ؟ فرفع رأسه وقال:

= وشهد فتح بيت المقدس مع عمر، وقيل إنه من ذرية يوسف ـ عليه السلام - وكان من الأحبار، وروى عنه أنس بن مالك، وزرارة بن أوفى، وأبو سعيد المقبري، وأبو سلمة، وأبو بردة، وابناه يوسف ومحمد ابنا عبد الله، وجماعة . تاريخ الإسلام، وفيات سنة [٤٣] .

قال المالكية: لا يجوز له أن ينيب من يحج عنه، سواء كان صحيحاً أو مريضاً ترجى صحته، في حجة الفريضة، وأما حج التطوع فالإجارة مكروهة لكنها تصح . وقال الحنفية: من عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه بشرط عجزه المستمر إلىٰ الموت، فإن حج عنه وانتهى عجزه فقد سقط عنه حج الفرض، والشافعية توجب الحج إذا أناب ثم برأ من مرضه . انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة [١/ ٦١٢] .

ليس لي (رغبة)[١] إلىٰ دار الخليفة، ولكني أشتهي عصيدة[٢] حارة، فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة، وقلت في نفسي: هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد فتركته، ومضيت إلىٰ دار الخليفة، فأكلنا وسمعنا وتفرقنا آخر الليل، فلما دخلت الرباط رأيته علىٰ تلك الحال، فجلست علىٰ سجادتي، فلهجت عيناي بالنوم، وإذا بجماعة وقائل يقول: هذا رسول الله ﷺ والأنبياء ـ عليهم السلام ـ فدنوت وسلَّمت عليه، فولى بوجهه عني معرضاً، فكررت ذلك وهو يعرض عني، فخفت من ذلك وقلت: يا رسول الله: ما الذي أذنبت حتىٰ تعرض عني ؟ فقال: فقير من أمتي اشتهى عليك شهوة فتهاونت به، فاستيقظت مرعوباً، وقمت نحو الفقير فلم أره، فسمعت صوت الباب، فخرجت في إثره، فإذا هو خارج، فناديته: يا فتى نحضر شهوتك، فالتفت إليَّ وقال: إذا اشتهى فقير عليك شهوة لا توصلها إليه حتىٰ يشفع إليك مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، فلا حاجة إليها، ثم تركني وذهب

الرابعة بعد العشرين: روي عن عبد الواحد بن زيد[٣] قال: كان لنا خادم يخدم السلطان، وهو معروف بالفساد والغفلة عن الله ـ تعالىٰ ـ فرأيته الليلة في المنام ويده في يد رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن هذا العبد السوء من المعرضين عن الله ـ تعالىٰ ـ فكيف وضعت يدك في يده ؟ فقال ﷺ: قد عرفت ذلك، وها أنا ماض به لأشفع له عند الله ـ تعالىٰ ـ، فقلت: يا رسول الله، فبأي وسيلة بلغ ذلك منك ؟ قال: بكثرة صلاته عليَّ، فإنه في كل ليلة يأوي إلىٰ فراشه يصلي عليَّ ألف مرة، وإني لأرجو أن الله ـ تعالىٰ ـ يقبل شفاعتي فيه، قال عبد الواحد[٤]: فلما أصبحت فإذا أنا بذلك

(١) بالأصل (فلت) وأثبتناها هكذا لتوافق النص .

(٢) العصيدة: دقيق يُلت بالسمن ويطبخ، جمعها: عصائد .

(٣) عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري العابد القدوة شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن عطاء والحسن وعبادة بن نسي وجماعة سواهم، وعنه وكيع ومحمد بن السماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني وجماعة، وهو ضعيف الحديث، توفي بعد سنة (١٥٠) . ترجمته: تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٦٢]، الجرح والتعديل [٦/ ١٠٧]، ميزان الاعتدال [٢/ ٦٧٢]، الثقات [٧/ ١٢٤]، سير الأعلام [٧/ ١٧٨] .

(٤) قال ابن الأعرابي: قال عبد الواحد بالمحبة علىٰ مذاهب أهل الخصوص، ولو صدق نفسه لاضطره قوله بالمحبة، إلىٰ القول بالسنة والكتاب، ولكنه سامح نفسه، وتكلم في الشوق والغرق والأنس، وجميع فروع المحبة التي قال بها أهل الإثبات، وأن الله يحب من أطاعه، وأن الطاعة والاتباع أوجب المحبة من الله ـ تعالىٰ ـ ومن قول السنة: إن الله أحب قوماً فوفقهم لطاعته، فكانت محبته لهم واختياره، لما سبق من علمه لا لكسبهم، فكانت محبته لهم قبل عملهم وقبل خلقهم . تاريخ الإسلام، وفيات [١٥١ - ١٦٠] .

الخادم قد دخل المسجد باكياً، وكنت في ذكر ما رأيته له أقص على أصحابي، فلما دخل سلَّم وجلس بين يدي، وقال: يا عبد الواحد مُدَّ يدك، فقد أرسلني إليك رسول الله ﷺ لأتوب على يديك وذكر لي ما جرى بينك وبينه الليلة في شأني، فلما تاب سألته عن رؤياه، فقال: أتاني رسول الله ﷺ فأخذ بيدي وقال: لأشفعن لك إلى ربي لأجل صلاتك عليَّ، فلما انطلقت معه شفع لي، وقال لي: فأت عبد الواحد وتب على يديه، واستقم.

الخامسة بعد العشرين: روي عن علي بن عيسى الوزير أنه قال: كنت أكثر الصلاة على النبي ﷺ فلما صرفت عن الوزارة رأيت في المنام كأني راكب حماراً، ورأيت رسول الله ﷺ فترجلت له فقال لي: ارجع إلى مكانك، فأصبحت وقلدت الوزارة ببركة الصلاة عليه ﷺ.

السادسة بعد العشرين: روي عن ابن جعفر الحدَّاد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: جعت مرة بالمدينة ولم أجد طعاماً منذ خمسة عشر يوماً، فألصقت بطني بحائط قبر النبي ﷺ وأكثرت من الصلاة عليه، وقلت: يا رسول الله أشبع ضيفك فقد أضعفه الجوع عن خدمة الله تعالى، قال: فغلبني النوم، فرأيت رسول الله ﷺ وقد دفع إليَّ رغيفاً، وأنا آكله فاستيقظت وأنا شبعان، وبيدي نصفه.

فوائد: **الأولى**: عن أبي عمران الواسطي قال: خرجت من مكة أريد زيارة القبر المشرف[1] فلما خرجت من الحرم أصابني عطش شديد حتى آيست من نفسي، فجلست تحت شجرة أم غيلان آيساً، وإذا بفارس قد أقبل على فرس أخضر، وكل آلاته خضر، وفي يده قدح أخضر فيه شراب أخضر فدفعه إليَّ وقال: اشرب، فشربت ثلاثاً، والقدح بحاله، فقال لي: أين تريد؟ قلت: المدينة لأسلم على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه. فقال لي: إذا وصلت وسلمت فقل رضوان يقرئكم السلام.

الثانية: عن إبراهيم الخواص قال: عطشت في بعض أسفاري إلى المدينة، فإذا أنا بماء يرش على وجهي ففتحت عيني، فإذا أنا برجل حسن الوجه، راكب على دابة شهباء، فسقاني وقال: كن رديفي فما لبثت إلا يسيراً إذ رأيت المدينة، فقال: انزل

---

(١) زيارة قبر النبي ﷺ من أعظم القرب وأجلها شأناً، وقد بين الفقهاء آداب زيارة قبر النبي ﷺ وقالوا: إذا توجه لزيارة المصطفى ﷺ يكثر من الصلاة والسلام عليه مدة الطريق، ويصلي في المساجد التي يمر بها، وإن عاين حيطان المدينة يصلي على النبي ﷺ ويقول: اللهم هذا حرم نبيك فاجعله وقاية لي من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب، ويغتسل قبل الدخول وبعده إن أمكنه، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه .... إلى آخر الآداب. انظر الفقه على المذاهب الأربعة [١/ ٦١٥].

وقل: الخضر يقرئك السلام.

الثالثة: عن أبي الخير الأقطع قال: قدمت مدينة الرسول، فأقمت خمسة أيام فأذقت فيها ذواقاً فتقدمت إلىٰ القبر الشريف، وسلَّمت علىٰ رسول الله ﷺ، وعلىٰ صاحبيه[١]، وقلت: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة، وتنحيت ونمت خلف القبر، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وعليّ بين يديه، فحركني علي وقال: قم قد جاء رسول الله ﷺ فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه، فدفع إليّ رغيفاً فأكلت نصفه، وانتبهت وفي يدى نصفه .

وقد سبق مثلها .

وحكاية العتبي مشهورة في كتب أصحابنا نذكرها إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ آخر مجلس الحج بزيادات فيها .

شعر:

أحن إلىٰ نوح الحمام[٢] إذا غنى	وأشتاق للوادي وأصبو إلىٰ المعنى
ويعجبني مر النسيم لأنه	يحدث عن نجد الصبا حديثاً له معنى
ويخبر عن زوار ليلي بأنهم	رأوا عند بانات النقا وجهها الأسنى
بعيشك إن جئت الخيام فقف بها	وقل لمليح الحي إني به مفنى
وعرض بذكري عنده فلعله	يرق لمشتاق إلىٰ ربعه حنَّا
متى بقيا يقضي لنا منه عاشق	ويدفن في سلع ويمسي له سكنى
تمكن قلبي حب من سكن الحما	فقلبي يهواه وعقلي به جُنَّا
تكامل معناه فأصبح فاتنا	أياله بدرا حوى الحسن والحسنى

---

(١) يقول الزائر لقبره ﷺ: السلام عليك يا رسول الله، من فلان يتشفع بك إلىٰ ربك فاشفع له ولجميع المسلمين، ثم يقف عند وجهه مستدبراً القبلة ويصلي عليه ما شاء، ويتحول قدر ذراع حتىٰ يحاذي رأس الصديق – رضي الله تعالىٰ عنه ـ ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار، السلام عليك يا رفيقه في الأسفار، السلام عليك يا أمينه في الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماما عن أمة نبيه، ويتحول إلىٰ قبر عمر ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مظهر الإسلام، السلام عليك يا مكسر الأصنام جزاك الله عنا أفضل الجزاء . . . . إلىٰ آخره . المرجع السابق [١/ ٦١٦].

(٢) ناحت الحمامة نوحاً ونواحاً: سجعت، فهي نائحة ونوَّاحة، والمرأة علىٰ الميت: بكت عليه بجزع وعويل .

عـلـيـه صـلاة الـلـه(١) مـا لاح بـارق وما ناح طير في الغصون وما غنى

شعر:

بـجـاه الـنـبـي الـمـصـطـفـى أتـوسـل وما لـي سـواه فـي الـمـمـات مـوئـل
ومـن ذا الـذي أرجـو لإدراك بـغـيـة الـنـهـايـة دون الـورى أتـوصـل
إذا نـابـنـي أمـرا فـلـيـس لـي عـلـى غـيـره دون الأنـام مـعـول
إذا قـيـل هـذا يـرتـجـى فـضـل جـاء منه فـجـاه رسـول الـلـه أعـلـى وأفـضـل
ومن يرتجى في الحشر والرسل قد جُنَّت مـن الـخـوف يـرجـى غـيـره أو يـؤمـل
إذا زل بـالآمـال غـيـري فـإنـنـي لـغـيـر رسـول الـلـه لا (اتـدنـك)(٢)

---

(١) في كيفية الصلاة علىٰ النبي ﷺ روى مسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٤٠٥)] كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي مسعود الأنصاري، وفيه عن رسول الله ﷺ: « قولوا اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم » .
قال النووي: قال العلماء: معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: هو بمعنى التطهير والتزكية، واختلف العلماء في الحكمة من قوله: « اللهم صل علىٰ محمد كما صليت علىٰ إبراهيم » مع أن محمداً ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ قال القاضي عياض: أظهر الأقوال أن نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه ولأهل بيته ليتم النعمة عليهم كما أتمها علىٰ إبراهيم وعلىٰ آله.
وقيل: بل سأل ذلك لأمته، وقيل: بل ليبقى ذلك له دائماً إلىٰ يوم القيامة، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين كإبراهيم ﷺ. النووي في شرح مسلم [٤/١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية.
(٢) كذا بالأصل.

مجلس في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية

فيه آيات: قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (1) الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ (2).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ (3)

ومعنى الإخلاص: التصفية مما سوى الرب جل جلاله، وشغل القلب به.

وأما الأحاديث فكثيرة، نذكر منها اثني عشر حديثاً، أولها: حديث: «إنما الأعمال بالنيات» (4) وهو قاعدة الدين، وأساس السالكين، وشرعت لتمييز العبادات عن العادات، ورتب العبادات، وفرق بين النية والأمنية.

رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم   وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

وهو حديث أخرجه الشيخان، وغيرهما في صحيحيهما من حديث عمر بن الخطاب، ولم يصح إلا من طريقه (5).

---

(1) سورة البينة [5].
وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] ولهذا قال " ﴿حُنَفَآءَ﴾ [الحج: 31] أي متحنفين عن الشرك إلىٰ التوحيد، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3] وهي أشرف عبادات البدن، ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: 55] وهي الإحسان إلىٰ الفقراء والمحاويج. تفسير ابن كثير [4/537].

(2) سورة الحج [37].   (3) سورة آل عمران [29].

(4) أخرجه البخاري في صحيحه [1] كتاب بدء الوحي، [1] باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، عن عمر بن الخطاب، وأبو داود في سننه [2201]، والترمذي [1647] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي [1/58، 6/158 ـ المجتبى]، وابن ماجه [4227]، وأحمد في مسنده [1/25]، والبيهقي في السنن الكبرى [1/41، 215، 2/14، 6/331]، والمنذري في الترغيب والترهيب [1/56]، وابن خزيمة في صحيحه [242، 455]، وأبو نعيم في الحلية [6/342، 8/42]، والحميدي في مسنده [28].

(5) قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي: يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا =

ثانيها: حديث عائشة مرفوعا: « يغزوا جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم، ثم يبعثون علىٰ نياتهم »[(١)]

أخرجاه وهو دالٌّ علىٰ أن كل أحد يحفظ علىٰ قدر نيته، والخسف بالصالح ونحوه ليس خزياً له، بل لفراغ أجله، كما في حديث البيهقي .

وهذا الحديث والذي قبله لتميز الأعمال والأشخاص .

ثالثها: حديثها أيضاً مرفوعا: « لا هجرة بعد الفتح ولـٰكن جهاد ونية »[(٢)] أخرجاه أيضاً، أي هجرة من مكة أو كاملة .

وهو دال علىٰ ديمومية النية، وأنها قرينة الجهاد .

رابعها: حديث جابر مرفوعا: « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ؛ حبسهم المرض » .[(٣)]

أخرجه مسلم، وأخرجه البخاري من حديث أنس .

خامسها: حديث أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس الصحابيون قال: " كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها، فأتيته بها فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: « لك ما

= الحديث تنبيهاً للطالب علىٰ تصحيح النية، ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقاً، وقد فعل ذلك البخاري وغيره . النووي في شرح مسلم [١٣/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الحج [٤٩] باب هدم الكعبة، ومسلم في صحيحه [٤ - (٢٨٨٢)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢] باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والنسائي [٥/ ٢٠٦ - المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٧] ، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٧٢٠] .

(٢) أخرجه البخاري [٤٣٠٩، ٤٣١٠] كتاب المغازي، [٥٤] باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، ومسلم [٨٦ - (١٨٦٤)] كتاب الإمارة، [٢٠] باب المبايعة بعد فتح مكة علىٰ الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى « لا هجرة بعد الفتح »، والترمذي [١٥٩٠] كتاب السير، باب ما جاء في الهجرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه [٢٤٨٠]، وأحمد بن حنبل في مسنده [١/ ٣١٦]، والنسائي [٧/ ١٤٦ - المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ١٩٥، ٩/ ١٦]، والدارمي [٢/ ٢٣٩], والحاكم في المستدرك [٢/ ٢٥٧, ٣/ ١٨] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٩ - (١٩١١)] كتاب الإمارة، [٤٨] باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، وابن ماجه [٢٧٦٤]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٤]، وابن حبان في صحيحه [١٦٢٣ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٥٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨١٥، ٣٨١٦] ، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٥٤٧]، والبيهقي في دلائل النبوة [٥/ ٢٦٧]، والزبيردي في الإتحاف [١٠/ ٧]، والعراقي في المغني [٤/ ٣٥٢] .

نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن » " .(١) أخرجه البخاري .

سادسها: عن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة في قصة مرضه مرفوعاً «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتىٰ ما تجعل في في امرأتك»(٢).

أخرجاه، وهو دال علىٰ قلب العادة عبادة بالنية، والمباح قربة، وناهيك بهذا الإكسير .

سابعها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم » .(٣) أخرجه مسلم .

وهو دال علىٰ أن محلها القلب الذي هو محل نظر الجليل جل جلاله، فبحسنها يصير صاحبها جميلاً .

وهو وما قبله دالان علىٰ قلب الأعمال أعياناً، وعلواً بعد تسفل، وهذا هو الإكسير .

ثامنها: حديث أبي موسى الأشعري قال: " سئل رسول الله ﷺ عن رجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله » " .(٤) أخرجاه .

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٢٢] كتاب الزكاة، [١٧] باب إذا تصدق علىٰ ابنه وهو لا يشعر، وأحمد في مسنده [٥/ ١٣٣، ٤٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٤١] .

(٢) أخرجه البخاري [٦٧٣٣] كتاب الفرائض، [٦] باب ميراث البنات، عن سعد بن أبي وقاص، ومسلم [٥ ـ (١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث، والترمذي في سننه [٢١١٦] كتاب الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث، وقال الترمذي: حسن صحيح، وأبو داود في سننه في الوصايا، باب [٢]، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٦٨، ٢٦٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٢] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣ ـ (٢٥٦٤)]، [٣٤] كتاب البر والصلة، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، وابن ماجه [٤١٤٣]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٨٥، ٥٣٩]، والطبراني في المعجم الكبير [٣/ ٣٣٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٣١]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٠٤]، وابن المبارك في الزهد [٥٤٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٩٨، ٧/ ١٢٤] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٤٥٨] كتاب التوحيد، [٢٧] باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق، ومسلم في صحيحه [١٤٩ ـ (١٩٠٤)، ١٥٠، ١٥١] كتاب الإمارة، [٤٢] باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، والترمذي [١٦٤٦] =

وهو بيّن لجد الأعمال ورديئها، ونافعها عند الرب جل جلاله .

تاسعها: حديث أبي بكرة مرفوعاً: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار » قلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: « إنه كان حريصاً علىٰ قتل صاحبه »(١) أخرجاه، وهو بيان لفساد النية وإفسادها .

عاشرها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « صلاة الرجل جماعة تزيد علىٰ صلاته في بيته وسوقه بضعاً وعشرين درجة(٢)، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتىٰ يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون علىٰ أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه » .(٣)

أخرجاه، وهو دال علىٰ أن نية المقاصد تحرز جزاء وسائلها وتوابعها وتفاصيلها .

ومنه حديث: « من احتبس فرسا في سبيل الله . . . . الحديث » .(٤)

= كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، والنسائي [٦/ ٢٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٢٧٨٣]، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٢، ٣٩٧]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٦٧، ١٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٩٦] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٨٣] كتاب الفتن، [١٠] باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، ومسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٨٨٨)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٤] باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، والنسائي [٧/ ١٢٥ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٣٩٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٣٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٣٠٣، ٦/ ٢٦٢] .

(٢) قال النووي: المراد صلاته في بيته وسوقه منفرداً، هذا هو الصواب، وقيل فيه غير هذا، وهو قول باطل نبهت عليه لئلا يغتر به، والبضع: بكسر الباء وفتحها وهو من الثلاثة إلىٰ العشرة، هذا هو الصحيح . النووي في شرح مسلم [٥/ ١٤١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧] كتاب الأذان، [٣٠] باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم في صحيحه [٢٧٢ ـ (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٩] باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، وأبو داود في سننه [٥٥٩] كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلىٰ الصلاة، وابن ماجه [٧٨٦، ٧٨٨، ٧٩٠]، والدارمي في سننه [١/ ١٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٣١ - الموارد] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٥٣] كتاب الجهاد والسير، [٤٥] باب من احتبس فرساً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والنسائي [٦/ ٢٢٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده =

الحادي عشر: حديث ابن عباس، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالىٰ: « إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»(١) أخرجاه، وهو من المبشرات .

الثاني عشر: حديث ابن عمر مرفوعاً في قصة أصحاب الغار الثلاثة، وأن الصخرة انفرجت عنهم، وخرجوا يمشون " أخرجاه(٢)، وهو دال علىٰ أن من أخلص لله العبادة ولو عملا واحدا استجيب دعاؤه حتىٰ في المهمات، ويكون من عباده المخلصين .

وأما الحكايات:

فالأولى: قال السيد محمد بن واسع: أقمت أربعين ليلة، كل ليلة أشتهي كبداً مشوياً قلت: أخرج إلىٰ الجهاد، فلعل يقع في سهمي شاة فآكل منها شهوتي، فخرجت إليه فقتلنا وغنمنا، وأخذت في سهمي شاة، فسألت بعض أصحابي أن

= [٢/ ٣٧٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٦]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٥٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ١٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٦٨] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩١] كتاب الرقاق، [٣١] باب من هم بحسنة أو بسيئة، ومسلم في صحيحه [٢٠٧ ـ (١٣١)] كتاب الإيمان، [٥٩] باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، وأحمد في مسنده [١/ ٣١٠، ٣٦٠، ٣٦١] ، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٦، ٥٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٧٤]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٢٩٣، ٩/ ١٧٩] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦٥] في أحاديث الأنبياء . [٥٥] باب حديث الغار [٥٩٧٤] كتاب الأدب، [٥] باب إجابة دعاء من بر والديه، ومسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢٧٤٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٧] باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال . وقال النووي: استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم، وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما، وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها ويترك لله ـ تعالىٰ ـ خالصاً، وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل الحق . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية .

يشوي لي كبدها، فأخذتني هجعة فنمت، فرأيت ملائكة نزلوا من السماء فكتبوا: فلان خرج للجهاد، وفلان للغنيمة، وفلان للمفاخرة، ثم وقفوا عليَّ وقالوا شهواني مسكين ؛ اشتهى كبداً مشوياً، فقلت: بالله لا تفعلوا، فأنا تائب إلىٰ الله، ثم قلت: يا رب لا أعود، يا رب لا أعود، أنا تائب إليك من سائر الشهوات.[(١)]

الثانية: عن الشيخ أبي الحسن المعاوري قال: كنت عدة سنين معاوراً بالحرب، وعدة أخرى بالسياحة أدخل بلاد الكفار لأمور أُؤمر بالدخول لأجلها، وحجابي بحكمي إن أردت رأوني، وإلا فلا.

فورد عليَّ أمر من جهة الرب ـ تعالىٰ ـ بأن أدخل إلىٰ بلادهم لأجتمع فيها برجل صديق، فدخلتها وأريتهم نفسي، فأخذوني أسيراً، وخرج بي من أخذني، وكتفني وجاء بي إلىٰ السوق ليبيعني، وكان هذا هو الطريق المقصود الذي أُمرت به.

فاشتراني رجل معتبر منهم، ووقفني علىٰ الكنيسة لأكون خادما فيها، فباشرت خدمتها أياما، وإذا بهم قد أحضروا بسطاً كثيرة ومباخر وطيبا كثيرا .

فقلت لهم: ما الخبر ؟ قالوا: الملك عادته زيارة الكنيسة يوماً في السنة، فقد جاء وقت زيارته، فنحن نهيئها له ونحليها، ولا يبقى فيها أحد حتىٰ يدخل وحده يتعبد فيها، فلما أغلقوها وبقيت أنا فيها احتجبت عنهم فلم يروني، وإذ بالملك قد جاء ففتحوها له ودخلها وحده، وأغلقوا عليه الباب، فدار بالكنيسة يفتشها، وأنا أنظر إليه، وهو لا يراني إلىٰ أن اطمأن، فدخل المذبح الذي فيها وتوجه إلىٰ القبلة، وكبَّر بالصلاة، فقيل لي هذا الذي أردنا لك الاجتماع به فتطهرت ووقفت وراءه حتىٰ سلم من الصلاة، ثم التفت فرآني فقال: ما تكون؟ فقلت: مسلم مثلك . قال: وما جاء بك هنا ؟ قلت: أنت، فأقبل عليَّ وسألني عن أمري، فأخبرته بما أمرت به من الاجتماع، ولم يكن لي طريق إلىٰ ذلك إلا بصورة ما جرى من الأسر والبيع، واتخاذهم لي خادماً للكنيسة، وتمكيني لهم من نفسي، جميع ذلك ليقع الاجتماع .

ففرح بي وكاشفني وكاشفته، ووجدته من كبار الصديقين، فقلت له: كيف حالك بين هؤلاء الكفار في باطن الأمر ؟ فقال: يا أبا الحجاج لي فؤاد بينهم لا أبلغ مثلها لو كنت بين المسلمين، قلت له: صف لي، قال: توحيدي وإسلامي وأعمالي خالصة لله، ما لأحد اطلاع عليها، وآكل حلالاً (فيساو)[(٢)] ما فيه شبهة، وأنفع المسلمين

---

(١) وذلك في حديث: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وهو في البخاري [٧٤٥٨] ومسلم في الإمارة [١٤٩، ١٥٠، ١٥١] وتقدم من قبل فانظره .

(٢) كذا بالأصل .

نفعاً، لو كنت أكبر ملوكهم ما بلغته من الدفع عنهم، وأدفع عنهم أذى الكفار، وأفعل في الكفار من القتل وشبهه ما لو كنت أعظم ملوك الإسلام ما فعلت، وسأريك بعض تصرفي فيهم، ثم ودعني وودعته، وقال لي: ارجع إلىٰ حالتك، وأخفيت نفسي واحتجبت، فخرج الملك وقعد علىٰ باب الكنيسة، وقال: ائتوني بكل من يختص بالكنيسة، فأحضروا له جماعة وعرضوهم عليه، وقالوا هذا بطريقها[1]، وهذا شمَّاسها[2]، وهذا راهبها[3]، وهذا مشارف أوقافها، وهذا جابي ريعها، قال: فمن يخدمها؟ قالوا فلان اشترى أسيراً، ووقفه علىٰ خدمتها، فأظهر غضباً عظيماً، وقال: تكبرتم الجميع علىٰ خدمة بيت الرب، وجعلتم رجلا من غير الملة نجساً يخدم بيت الرب، فاستدعى بالسيف، وجعل يضرب رقاب الجميع في حجة الغيرة علىٰ بيت الرب، وأمر بإحضاري فقال: هذا يستحق في مقابلة الخدمة الإكرام والتعظيم والخلع والمركوب وإطلاقه إلىٰ وطنه وأهله، ففعلوا بي ذلك، وانصرفت عنه .

الثالثة: عن محمد بن يعقوب الخواساني قال: خرجت من بلدي علىٰ نية السياحة[4] والتوكل، فلم أزل علىٰ ذلك إلىٰ أن أتيت بيت المقدس، ثم وقفت في مغارة (بنية)[5] بني إسرائيل، فمكثت أياما لم أطعم طعاماً، ولم أشرب شراباً حتىٰ أشرفت علىٰ الموت، فبينا أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران أشعثان أغبران، فملت إليهما، وسلمت عليهما، وقلت لهما: أين تريدان ؟ فقالا: لا ندري، قلت: أتدريان أين أنتما ؟ قالا: نعم ؛ نحن في مملكته وبين يديه، قال: فأقبلت علىٰ نفسي بالملامة وحالهما مع كفرهما، ثم استأذنتهما في الصحبة وسرنا، فلما أمسينا قاما إلىٰ صلاتهما ومعبودهما، وقمت إلىٰ صلاتي ومعبودي، فصليت المغرب بالتيمم، فنظرا إليَّ متبسمين ضاحكين، وبحث أحدهما الأرض وإذا بالماء قد ظهر كأنه اللؤلؤ علىٰ الصفا، فبُهت، ثم إذا بطعام موضوع عن يمينه، فتعجبت، فقال مم تعجبك، تقدم وتناول من الطعام الحلال، واشرب من بارد هذا الزلال، واعبد ربك الكريم ذا الجلال، فأكلت وشربت وتوضأت، وأعدت الصلاة، ثم غار الماء كأنه لم يكن، ثم صلينا إلىٰ الصباح، ثم سرنا إلىٰ الليل، فتقدم الراهب الثاني، وصلى ودعا بدعوات

---

(١) البطريق: القائد من قواد الروم، ويطلق علىٰ رئيس رؤساء الأساقفة .
(٢) الشماس: من يقوم بخدمة الكنيسة، ومرتبته دون القسيس .
(٣) الراهب: المتعبد من النصارى في صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها .
(٤) السائحون: قال ابن كثير: الصائمون، وقال ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون انظر تفسير ابن كثير [٢/ ٤٠٠] .
(٥) كذا بالأصل .

خفية ثم بحث الأرض، فإذا الماء والطعام موضوع عن يمينه، فأكلنا وشربنا، فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي: يا محمدي الليلة ليلتك، والنوبة نوبتك، فاستحييت، وقلت: يكون خيراً إن شاء الله ـ تعالىٰ ـ ثم عدلت عنهما إلىٰ جانب آخر وقلت بعد صلاة ركعتين: اللهم سيدي ومولاي إنك تعلم أن ذنوبي كثيرة بذي الجاه الجسيم محمد عليه أفضل صلاة وأعظم تسليم أن لا تخجلني بينهما[١] ثم التفتُّ فإذا بعين ماء جارية، وطعام عن يميني موضوع، فأكلنا وشربنا وحمدنا الله، فلم نزل علىٰ ذلك إلىٰ النوبة الثانية فدعوت بمثل ذلك فحصل مثل ذلك، فلما كان في الثالثة إذا طعام اثنين وشراب اثنين، فانكسر قلبي، فقالا: يا محمدي من أين دخل عليك ؟ أما ترى هذا التقصير ؟ فقلت لهما: الحكم حكمة عسر ويسر، وشدة ورخاء، ومنع وعطاء ليبلونا فقالا: صدقت يا محمدي، إن هذا رب عظيم، ودين سليم، فأسلما، وأقاما ببيت المقدس، وأنا معهما نرزق من حيث لا نحتسب إلىٰ أن قضيا نحبهما .

الرابعة: عن إبراهيم الخواص أنه كان إذا أراد سفراً لم يُعلم أحداً، وإنما يأخذ ركوته ويمشي، ففعل ذلك يوما، قال أبو حامد الأسود: فتبعته، فقال لي: إلىٰ أين ؟ قلت: معك، قال: أنا أريد مكة، قلت: وأنا أريد ذلك، ثم انضم إلينا شاب نصراني فسأله فقال: ادعت نفسي أنها أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت حتىٰ أخرجها إلىٰ هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود ؛ أُثير ساكني، وأمتحن خاطري، فقام إبراهيم ومشى وقال: دعه يكون معك، فأتينا بطن بئر، فخلع إبراهيم خلقانه فطهرها بالماء، ثم جلس وقال له: ما اسمك ؟ قال: عبد المسيح، فقال: يا عبد المسيح هذا دهليز مكة، ولا يدخله كافر[٢] فإياك أن تدخلها، فينكر عليك، فتركناه ودخلنا مكة، فبينا نحن بالموقف إذ به أقبل علينا وهو محرم، فقبل رأس

---

(١) فيما رواه الترمذي [٣٥٧٣] من حديث توسل فاقد البصر في دعائه الذي علمه النبي ﷺ في قوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه إلىٰ ربي بك أن يكشف لي عن بصري، شفعه فيّ . . . . الحديث، قال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص ١٣٨ : وفي الحديث دليل علىٰ جواز التوسل برسول الله ﷺ إلىٰ الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه المعطي والمانع، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] أمر الله ـ تعالىٰ ـ عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس دينا عن المسجد الحرام، وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليّا صحبة أبي بكر عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً . تفسير ابن كثير [٢/ ٣٥٤] .

إبراهيم، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح ؟ فقال: هيهات أنا اليوم عبد من المسيح عبده، فقال: كيف حالك ؟ قال: تنكرت ودخلت، فلما رأيت الكعبة اضمحل عندي كل دين إلا الإسلام، فأسلمت واغتسلت وأحرمت، فالتفت إليَّ إبراهيم وقال: يا أبا حامد انظر إلىٰ صدق نيته في النصرانية كيف هداه إلىٰ الإسلام ؟!! ثم صحبنا حتىٰ مات .

شعر :

سلام علىٰ السادات من كل صادق ... له مسرح في معزل ومراح
صفاء ثم صفى فهو صوفي مخيم ... على باب سعدي ليس عنه براح
يلاقي صغار النفس في نيل وصلها ... ومن دونها بيض حمت ورماح
على حد سيف الصدق يسعون للعلا ... لتجلي لهم بيض هناك صباح
سقتهم حميا الوصل من كرم ... إذا سمها أهل الصبابة صاحوا
وناحوا وساحوا ثم باحو بنشرها ... عبيرا ومكتوم المحبة باحوا

الخامسة: عن إبراهيم الخواص أيضا قال: دخلت البادية مرة، فرأيت نصرانياً علىٰ وسطه زنار[1] فسألني الصحبة، فمشينا سبعة أيام، ثم قال لي: يا راهب الحنفية هات ما عندك فقد جعنا، فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر، فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء ورطب وماء، فأكلنا وشربنا، ومشينا سبعة أيام، ثم بادرت وقلت: يا راهب النصرانية هات ما عندك فقد انتهت النوبة إليك، قال: فأعلى عصاه ودعا، وإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان علىٰ طبقي، فتحيرت وتغيرت وأبيت أن آكل، فألحَّ عليَّ فلم أجب .

فقال: كل فإني أبشرك ببشارتين: أحدها: إسلامي وحل الذمة، والأخرى: قلت: اللهم إن كان لهذا العبد خاطر عندك فافتح عليَّ، فأكلنا ومشينا، وحج وأقمنا سنة ومات، فدفن بالبطحاء .

السادسة: حكي أن ثلاثة نفر خرجوا يستسقون في زمن داود ﷺ فقال أحدهم: اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا[2]، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا :

تعاليت ربي أنت ذا قد أمرتنا ... بعفو وصفح عن مسي لنا ظلم

---

(١) الزُّنّار: حزام يشده النصراني علىٰ وسطه، وجمعها: زنانير .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٩] باب استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » وقال النووي: قوله ﷺ: « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً » فيه أيضاً وجهان: أحدهما: أنه علىٰ ظاهره، وأن من عرف بالعفو والصفح =

وها نحن ربي قد ظلمنا نفوسنا ... وأنت الذي بالعفو أولى وبالكرم

وقال الثاني: اللهم إنك قد أمرتنا أن نعتق عبيدنا إذا شابوا في خدمتنا، وقد شبنا في خدمتك، فتفضل علينا بعتقنا:

إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق أبرار

فأنت أولى بذا يا سيدي كرماً ... قد شبت في رقك اعتقني من النار

وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا أن لا نرد المساكين إذا وقفوا ببابنا وها نحن مساكين قد وقفنا ببابك، فجد علينا بفضلك وإحسانك وعظيم امتنانك.

أتيناك نرجوا الفضل فامنن ... علينا وجد يا ذا المكارم والعلا

فأنت الذي ترجى ويكثر فضله ... إذا انسدت الأبواب وانقطع الرجا

السابعة: عن محمد بن الصباح قال: خرجنا نستسقي بالبصرة، فلما أصحرنا إذا نحن بسعدون المجنون قاعداً علىٰ الطريق، فلما رآني قام وقال لي: إلىٰ أين ؟ قلت: نستسقي، قال: بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية ؟ قلت: سماوية، قال: اجلسوا هاهنا، فجلسنا حتىٰ ارتفع النهار، وما تزداد السماء إلا صحواً، ولا الشمس إلا حراً، فنظر إلينا وقال: يا بطالون لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم، ثم توضأ وصلى ركعتين، ولحظ السماء بطرفه، وتكلم بكلام لم أفهمه، فوالله ما استتم كلامه حتىٰ رعدت وبرقت ومطرت مطراً جيداً (١).

فسألناه عن الكلام الذي تكلم به، فقال: إليكم عني، إنما هي قلوب حنَّت، فرنت، فعاينت، فعلمت، فعملت، وعلىٰ ربها توكلت، ثم أنشأ يقول:

أعرض عن الهجران والتمادي ... وارحل لمولى منعم جوادي

ما العيش إلا في جوار قوم ... قد شربوا من صافي الوداد

= ساد وعظم في القلوب، وزاد عزة وكرامة، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة، وعزه هناك. النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١٦] طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أجمع العلماء علىٰ أن الاستسقاء سنة، واختلفوا هل تسن له صلاة أم لا ؟ فقال أبو حنيفة: لا تسن له صلاة، بل يستسقى بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف، الصحابة والتابعون فمن بعدهم: تسن الصلاة، ولم يخالف فيه إلا أبو حنيفة، وتعلق بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة، واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ صلى للاستسقاء ركعتين، وأما الأحاديث التي ليس فيها ذكر الصلاة فبعضها محمول علىٰ نسيان الراوي، وبعضها كان في خطبة الجمعة، ويتعقبه الصلاة للجمعة، فاكتفي بها، ولو لم يصل أصلاً كان بياناً لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة، ولا خلاف في جوازه، وتكون الأحاديث المثبتة للصلاة مقدمة، لأنها زيادة علم ولا معارضة بينهما. النووي في شرح مسلم [٦/ ١٦٥] طبعة دار الكتب العلمية.

مجلس في التوبة وهي الرجوع إلى الرب جل جلاله

عن الاسترسال في القطيعة، وهو واجبة من كل ذنب، وشرطها الإقلاع والندم والعزم على عدم العود، ورد ظلامة الآدمي واستحلالها .

وفيها آيات: قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1] الآية .

وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[2]

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[3] أي خالصة.

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[4] .

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[5] .

وقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[6] .

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾[7] الآية.

وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[8] .

وقال: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[9] .

وقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[10] .

وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[11] الآية.

وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[12] .

---

(١) سورة النور [٣١] . (٢) سورة هود [٩٠] .

(٣) سورة التحريم [٨] . التوبة النصوح: أي الصادقة الجازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات . تفسير ابن كثير [٤/ ٣٩١] .

يقول تعالىٰ ممتناً علىٰ عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح، ويستر ويغفر كقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ . تفسير ابن كثير [٤/ ١١٤] .

(٤) سورة الشورى [٢٥] . (٥) سورة آل عمران [١٢٨] .

(٦) سورة آل عمران [١٢٨] . (٧) سورة النساء [١٧] .

(٨) سورة الأنفال [٣٨] . (٩) سورة التوبة [٣] .

(١٠) سورة التوبة [٥]، [١١] . (١١) سورة التوبة [١٠٢] .

(١٢) سورة التوبة [١٠٤] .

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

وقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾[(٢)].

وقال: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾[(٣)].

وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[(٤)] الآية.

وقال: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾[(٥)].

وقال: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[(٦)].

وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾[(٧)].

وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾[(٨)].

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾[(٩)].

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[(١٠)].

وقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾[(١١)].

وقال: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾[(١٢)].

وقال: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[(١٣)].

وقال: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[(١٤)].

وقال: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾[(١٥)].

وقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[(١٦)].

وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[(١٧)]

وقال: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[(١٨)] الآية.

وأما الأحاديث: فكثيرة نذكر منها اثني عشر حديثاً . أحدها: حديث أبي

---

(١) سورة التوبة [١٠٤] .
(٢) سورة التوبة [٢٧] .
(٣) سورة التوبة [١٠٦] .
(٤) سورة التوبة [١١٧] .
(٥) سورة التوبة [١٢٦] .
(٦) سورة النحل [١١٩] .
(٧) سورة الإسراء [٢٥] .
(٨) سورة طه [٨٢] .
(٩) سورة آل عمران [٨٩] .
(١٠) سورة النور [١٠] .
(١١) سورة الفُرقان [٧٠] .
(١٢) سورة الأحقاف [١٥] .
(١٣) سورة الأحزاب [٧٣] .
(١٤) سورة غافر [٣] .
(١٥) سورة غافر [٧] .
(١٦) سورة التحريم [٤] .
(١٧) سورة البقرة [٥٤] .
(١٨) سورة البقرة [٥٤] .

هريرة: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »(١) رواه البخاري.

وهو دال علىٰ أنها من سنن الأكابر، وشيم المآثر.

ثانيها: حديث الأغر بن يسار(٢): « يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب إلىٰ الله في اليوم مائة مرة »(٣) رواه مسلم.

وهو دال علىٰ الأمر بها مع الحمل علىٰ الاقتداء والتأسي.

ثالثها: حديث أنس: « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط علىٰ بعيره وقد أضله في الأرض فلاة »(٤) أخرجاه.

وفي مسلم: « وعليها طعامه وشرابه، فآيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح »(٥) وهو دال علىٰ أنها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٠٧] كتاب الدعوات، [٣] باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٤١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٢٥]، والألباني في السلسلة الصحيحة [٣/ ٤٣٦].

(٢) الأغر بن اليسار، البصري المزني، ويقال الجهني الغفاري، أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم، وأبو داود، والنسائي، صحابي. ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ٣٦٥]، تقريب التهذيب [١/ ٨٢]، الكاشف [١/ ١٣٧]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٠٨]، ميزان الاعتدال [١/ ٢٧٣]، لسان الميزان [١/ ٤٦٤]، تجريد أسماء الصحابة [١/ ٢٥]، أسد الغابة [١/ ١٩٩، ١٣٢]، الإصابة [١/ ٩٧]، الوافي بالوفيات [٩/ ١٩٤]، الثقات [٣/ ١٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٢] باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وابن ماجه [٧٨، ١٠٨١]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٤/ ٢١١، ٢٦٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/ ٢٢٩]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٩٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٠٩] كتاب الدعوات، [٤] باب التوبة، ومسلم في صحيحه [٨ ـ (٢٧٤٧)] كتاب التوبة، [١] باب الحض علىٰ التوبة والفرح بها، وأحمد في مسنده [٢/ ٥٠٠، ٣/ ٨٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٠٤، ١٠٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٥٨].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٧٤٧)] كتاب التوبة، [١] باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها. قال النووي: للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل. النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية.

أفرح إلىٰ الرب من جميع المفرحات، وإن تعاظم حتىٰ أدهش الألباب، وطيَّش الأحلام .

رابعها : حديث أبي موسى: « إن الله تعالىٰ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتىٰ تطلع الشمس من مغربها »[(١)] أخرجه مسلم أيضاً .

خامسها : حديث أبي هريرة: « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[(٢)] أخرجه مسلم أيضاً .

سادسها : حديث ابن عمر: « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[(٣)] رواه الترمذي وحسنه.

سابعها : حديث زر بن حبيش[(٤)]، عن صفوان: « المرء مع من أحب يوم القيامة، وإن باب التوبة مفتوح لا يغلق حتىٰ تطلع الشمس منه، والباب يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاما » رواه الترمذي[(٥)] وقال حسن صحيح .

ثامنها : حديث أبي سعيد الخدري: « كان في من كان قبلكم رجل قتل تسعة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ ـ (٢٧٥٩)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٣٦، ١٠/ ١٨٨] ، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٢٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣ ـ (٢٧٠٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٢] باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٥، ٣٩٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٣١] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٥٣٧]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٣٢، ٣/ ٤٢٥]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٥٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٩٣]، والشجري في أماليه [١/ ١٩٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٤٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٤٩ ـ الموارد]، والقضاعي في مسند الشهاب [١٠٨٥] .

(٤) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال، أبو مريم الأسدي الكوفي الغاضري، ثقه جليل، أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة [٨١ أو ٨٢ أو ٨٣] . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٣٢١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٥٩]، الكاشف [١/ ٣٢١]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٤٤٧]، الجرح والتعديل [٣/ ٢٨١٧]، والوافي بالوفيات [١٤/ ١٩٠] . البداية والنهاية [٩/ ٦٦]، الإصابة [١/ ٥٧٧]، سير الأعلام [٤/ ١٦٦]، الثقات [٤/ ٢٦٩] .

(٥) أخرجه الترمذي [٣٥٣٥] كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، وما ذكر من رحمة الله لعباده .

وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علىٰ راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة ؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علىٰ رجل، فقال إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة[1] انطلق إلىٰ أرض كذا وكذا، فإن بها ناساً يعبدون الله ـ تعالىٰ ـ فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلىٰ أرضك فإنها أرض سوء .

فانطلق حتىٰ إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلا بقلبه إلىٰ الله تعالىٰ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط .

فأتاهم ملك في صورة آدمي فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أدنى، فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلىٰ الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة »[2] أخرجاه .

وفي رواية في الصحيحين: «فكان إلىٰ القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها».

وفي أخرى فيه: « فأوحى الله ـ تعالىٰ ـ إلىٰ هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقربي أقرب».

وفي أخرى: « فنأى بصدره نحوها » .

وهو دال علىٰ العناية بالتائب حتىٰ تخرق العادة بالتقريب .

تاسعها: حديث كعب[3] في الثلاثة المتخلفين، ونزلت فيهم الآية[4] أخرجاه مطولا.

---

(١) قال النووي: مذهب أهل العلم وإجماعهم علىٰ صحة توبة القاتل عمداً، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس، وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا، فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة لا أنه يعتقد بطلان توبته، وهذا الحديث ظاهر فيه، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا، وفي الاحتجاج به خلاف، فليس موضع الخلاف، وإنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره، فإن ورد كان شرعاً لنا بلا شك . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٦٩] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٧٠] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] باب منه، ومسلم في صحيحه [٤٦ - (٢٧٦٦)] كتاب التوبة، [٨] باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.
وأحمد في مسنده [٣/ ٧٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ١٠٢] .

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله، أبو عبد الرحمن، أبو محمد الأنصاري السلمي المدني الشاعر الخزرجي، صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وتوفي في خلافة علي. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٤٤٠]، تقريب التهذيب [٢/ ١٣٥]، الكاشف [٣/ ٩]، تاريخ البخاري الكبير [٧/ ٢١٩]، الثقات [٣/ ٣٥٠]، أسد الغابة [٤/ ٤٨٧]، الإصابة [٤/ ٦١٠]، سير الأعلام [٢/ ٥٢٣] .

(٤) أخرجه البخاري [٤٦٧٧] كتاب تفسير القرآن سورة براءة، [١١٨] باب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ =

وهو دال علىٰ أن الصادق في الإيمان يحرص علىٰ التوبة، ولو يجد فيها أشد الشدائد، وأن ضيق النفس والأرض بما رحبت مفتاح التوبة والفرج .

عاشرها : حديث عمران بن حصين في قصة الزانية المرجومة: « لقد تابت توبة لو قسمت علىٰ أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جاءت بنفسها لله »(١) أخرجه مسلم .

حادي عشر: حديث ابن عباس: « لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله علىٰ من تاب »(٢) أخرجاه .

الثاني عشر: حديث أبي هريرة: « يضحك الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله علىٰ القاتل فيسلم فيستشهد»(٣) أخرجاه أيضاً .

= ﴿إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٨] الآية، ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة، [٩] باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (١٦٩٦)] كتاب الحدود، [٥] باب من اعترف علىٰ نفسه بالزنى، وأبو داود في الحدود باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة، والترمذي [١٤٣٥] كتاب الحدود، باب تربص الرجم بالحبلى حتىٰ تضع، والنسائي في الجنائز [٤/ ٦٣ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٤٠]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٩٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٠٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٨/ ٥٨١] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٣٦ - ٦٤٣٧] كتاب الرقاق، [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ، ومسلم في صحيحه [١١٨ ـ (١٠٤٩)] كتاب الزكاة، [٣٩] باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، كلاهما عن ابن عباس، والترمذي [٣٧٩٣] كتاب المناقب، عن أبي بن كعب، وابن ماجه [٤٢٣٥]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٧٠، ٣/ ٧٦، ١٩٢، ٢٣٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٢٩٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٤٤]، وابن عبد البر في التمهيد [٤/ ٢٧٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٧٨] .

(٣) أخرجه البخاري [٢٨٢٦] كتاب الجهاد والسير، [٢٨] باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ومسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (١٨٩٠)] كتاب الإمارة، [٣٥] باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، والنسائي [٦/ ١٣٩ - المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٦٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٦]، وقال النووي: قال القاضي: الضحك هنا استعارة في حق الله ـ تعالىٰ ـ لأنه لا يجوز عليه ـ سبحانه ـ الضحك المعروف في حقنا ؛ لأنه إنما يصح من الأجسام وممن يجوز عليه تغير الحالات، والله ـ تعالىٰ ـ منزه عن ذلك، وإنما المراد به الرضا بفعلهما، والثواب عليه وحمد فعلهما، ومحبته وتلقي رسل الله لهما بذلك، لأن الضحك من أحدنا إنما يكون عند موافقته ما يرضاه، وسروره وبره لمن يلقاه، قال: ويحتمل أن يكون المراد هنا ضحك ملائكة الله ـ تعالىٰ ـ الذين يوجههم لقبض روحه =

وهو دال علىٰ أن الرب ـ تعالىٰ ـ يقبل التوبة ولو كانت السيئة الكفر، وقتل النفس الصالحة، ويضحك لها، وهو توكيد لعموم من تاب الله عليه.

لا عذر لي قد أتى الشيب ... فليت شعري بني أتوب
ومن رأى هول قبر ... ساكنه مفرد غريب
ولست أدري إذا أتاني ... رسول ربي بما أجيب
هل أنا عند الجواب مني ... أُخطئ في القول أم أُصيب
أم أنا يوم الحساب ناج ... أم لي في ناره نصيب
يا رب جد لي علىٰ رجائي ... بمثله منك لا أجيب

وأما الحكايات فست:

الأولى: عن بعضهم أنه قال في آخر مجلس: اللهم اغفر لفتاناً قلبا، وأجمدنا عينا، وأقربنا بالمعصية عهداً، فقام رجل (مونث)[1] فقال: ها أنا ذا أعده عليَّ، فادع الله كي يتوب عليَّ، فرأيت في الليلة الثانية، كأني واقف بين يدي الرب ـ جل جلاله ـ، وهو يقول لي: سرني حين أوقعت الصلح بيني وبين عبدي، وقد غفرت لك وله ولأهل المجلس أجمعين من أخطأ ومن ندما.

يا رب قد تبت فاغفر زلتي كرماً ... وارحم بعفوك يا خير من رحما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله ... عمري فخذ بيدي يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل ... لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
واصفح بفضلك عمن جاء معتذراً ... واغفر ذنوب مسيء طالما اجترما
إبليس قد غواني ... ومسني منهما الذنوب
إذا انقضى للشقاء ذنب ... تجدد من بعده ذنوب

الثانية: عن ذي النون[2] قال: بينما أنا أمشي علىٰ شاطئ النيل إذ رأيت عقرباً

= وإدخاله الجنة، كما يقال: قتل السلطان فلاناً أي أمر بقتله. النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٢] طبعة دار الكتب العلمية.

(١) كذا بالأصل.

(٢) ذو النون المصري الزاهد اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال أبو الفيض بن أحمد، ويقال ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، روى عن الإمام مالك والليث بن سعد وابن لهيعة، وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وسلم الخواص وجماعة، وعنه أحمد بن صبيح وربيعة بن محمد الطائي ورضوان بن محيميد ومقدام بن داود والجنيد بن محمد وغيرهم وغيرهم. انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ ـ ٢٥٠].

تدب، فأخذت حجراً فأردت قتلها، فهربت مسرعة، فوقفت علىٰ شاطئ النيل، فوثبت العقرب عليها، فغدت بها إلىٰ ذلك فتبعتها، ونزلت عن ظهرها وإذا بنائم سكران أقبل عليه ثعبان ليلدغه، فلدغتها العقرب فتقطع الثعبان قطعاً، فأيقظت الرجل فقام فزعاً، فلما رأى الثعبان ولى هارباً .

فقلت له: لا تخف كفيت أمره، وقصصت عليه القصة، فأطرق برأسه ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: يا رب هكذا تفعل بمن عصاك، فكيف تفعل بمن أطاعك، وعزتك وجلالك لا أعصيك بعدها أبداً، ثم ولى باكياً وهو يقول :

يا راقداً والجليل يحرسه ... من كل سوء يدن في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيك منه فوائد النعم
سبحان من خلق الأشياء وقدرها ... ومن يجود علىٰ العاصي ويستره
يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمد العبد إحسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله ... إذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به في دفع نائبة ... يعطيه من فضله عزاً وينصره
ولا يضيع مثقالاً لمجتهد ... في ماله بل يربيه ويؤخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنساً ... فبالمدافع والتقوى يطهره
وليس للعبد تصريف وأن له ... مولى يغنيه أو إن شاء يفقره
فلا الحذار ينجي العبد من قدر ... يريده الله أو أمر يدبره
ونسأل الله حقاً حسن خاتمة ... عند الممات وصفواً لا يكدره

الثالثة: حكي أن إبراهيم بن أدهم[(١)] مر بسكران مطروح علىٰ قارعة الطريق، وقد طفح سكره من فمه، فنظر إليه إبراهيم وقال: أي لسان أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله به، فدنا منه وغسل فمه فلما أفاق أخبر بفعل إبراهيم فخجل، فتاب فحسنت توبته، فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلا يقول له: طهرت لأجلنا فمه، فطهرنا لأجلك قلبه .

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، يروي عن أبيه ومنصور ومحمد زياد الجمحي وأبي إسحاق وأبي جعفر الباقر ومالك بن دينار والأعمش وجماعة، وعنه الثوري وشقيق البلخي وأبو إسحاق الفزاري وبقية وضمرة بن ربيعة ومحمد بن حمير وخلف بن تميم . انظر تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠] .

الرابعة: حكي أن بشراً كان في زمن لهوه في دار، وعنده ندماء يطيبون، فاجتاز منهم رجل صالح فدق الباب، فخرجت إليه جارية، فقال لها: صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ قالت: بل حر قال: صدقت؛ لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية، وترك اللهو والطرب، فسمع بشر[1] محاورته لها، فسارع إلىٰ الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل، فقال لها: ويحك من كلمك، فأخبرته بما قال، فتبعه بشر حتىٰ لحقه، وقال له: يا سيدي أعد عليَّ كلامك، فأعاده، فمرغ بشر خده في الأرض، وقال: بل عبد، عبد، عبد، ثم هام علىٰ وجهه حافياً حاسراً حتىٰ عُرف بالحافي، فقيل له: لم لا تلبس نعلين؟ فقال: لأني ما صالحت مولاي إلا وأنا حاف، فلا أزال عليها حتىٰ أموت، وحكي عنه أنه سئل عن بدء أمره، وشهرة اسمه بين الناس فقال: هذا من فضل الله، كنت رجلاً عباراً صاحب عصبية، فوجدت قرطاساً في الطريق فرفعته، فإذا فيه البسملة، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان لا أملك غيرهما، فشريت بهما غالية، وطيبت بها القرطاس، فرأيت في المنام تلك الليلة كأن قائلاً يقول: يا بشر لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة:[2]

تتوب من الذنوب إذا مرضت ... وترجع للذنوب إذا برئتا

إذا ما الضر مسك أنت باك ... وأخبث ما تكون إذا قويتا

فكم من كربة نجاك منها ... وكم كشفت البلاء إذا بليتا

---

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال، أبو نصر المروزي المعروف بالحافي الزاهد البغدادي، ثقة قدوة، أخرج له أبو داود في مسائله، والنسائي في مسند علي، توفي سنة [٢٢٧]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ٤٤٤]، تقريب التهذيب [١/ ٩٨]، تاريخ البخاري الكبير [٢/ ٨٥]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٥٦]، ميزان الاعتدال [١/ ٣٢٨]، العبر [١/ ٣٩٩]، الذيل علىٰ الكاشف [١٢٥]، طبقات الصوفية[٣٩]، مجمع الزوائد [٧/ ٥]، الحلية [٨/ ٣٣٦]، طبقات ابن سعد [١/ ٢٩٥]، سير الأعلام [١٠/ ٤٦٩]، وفيات الأعيان [١/ ٢٧٤].

(٢) قريباً من ذلك ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام: كان بشر بن الحارث شاطراً يجرح بالحديد، وكان سبب توبته أنه وجد قرطاساً في أتون حمام فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" فعظم ذلك عليه، ورفع طرفه إلىٰ السماء وقال: سيدي اسمك هنا ملقى، فرفعه، وقلع عنه السحاة التي هو فيها، وأعطى عطاراً درهماً فاشترى له غالية لم يكن مع سواه، ولطخ بها تلك السحاة وأدخله شق حائط وانصرف إلىٰ زجاج كان يجالسه، فقال له الزجاج: والله يا أخي لقد رأيت لك في هذه الليلة رؤيا ما أقولها حتىٰ تحدثني ما فعلت بينك وبين الله، فذكر له شأن الورقة، فقال: رأيت كأن قائلاً يقول لي في المنام: قل لبشر: ترفع لنا اسماً من الأرض إجلالاً أن يداس، لننوهن باسمك في الدنيا والآخرة.
تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ - ٢٣٠].

وكم غطاك في ذنب وعنه ... مدى الأيام جهراً قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتي المنايا ... وأنت علىٰ الخطايا قد ذهبتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا ... عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا ... وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك ... إلى قبر إليه قد نعيتا

الخامسة: حكي عن بعضهم أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: أعطاني كتابي بيميني، فمررت بزلة فاستحييت أن أذكرها، فقلت: إلهي لا تفضحني، فقال: حين عملتها ولم تستحي مني لم أفضحك، أفأفضحك وأنت تستحي مني، قد غفرت لك زلتك، وأدخلتك الجنة برحمتي وكرمي .

فسبحان من أبدى جميل جماله ... علىٰ عبده لطفاً وجود جواد
وأخفى المساوئ والعيوب تكرماً ... وحلما تعالىٰ ساتر العباد

السادسة: مر عليّ ﷺ ببعض شوارع البصرة، فإذا هو بحلقة كبيرة، والناس حولها يمدون الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق، فمضى إليهم لينظر ما سبب اجتماعهم، وإذا فيهم شاب حسن الشباب نقي الثياب، عليه هيئة الوقار، وسكينة الأخيار، وهو جالس علىٰ كرسي، والناس يأتونه بقوارير من الماء، وهو ينظرها ويصف لهم ما يوافق من أنواع الدواء، فتقدم إليه وقال: السلام عليك أيها الطبيب[1] ورحمة الله وبركاته، هل عندك شيء من أدوية الذنوب، فقد أعيا الناس دواءها فأطرق برأسه ولم يتكلم، فناداه ثانية وثالثة كذلك، فرفع الطبيب رأسه بعد ما رد السلام وقال: أوتعرف أدوية الذنوب، بارك الله فيك ؟ قال: صف وبالله التوفيق، قال: تعمد إلىٰ بستان الإيمان، فتأخذ منه عروق النية، وحب الندامة، وورق التدبير، وبذر الورع، وثمر العفة، وأغصان اليقين، ولب الإخلاص، وقشور الاجتهاد، وعروق التوكل، وأكمام الاعتبار، وسيسبان الإنابة، وترياق التواضع، تأخذ هذه الأدوية بقلب حاضر، وفهم واقد، بأنامل التصريف، وكف التوفيق، ثم تضعها في طبق التحقيق، ثم تغسلها بماء الدموع، ثم تصفيها في قدر الرجاء، ثم توقد عليها

---

(١) في مرض ابن مسعود الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب ؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء ؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى علىٰ بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي بقرآن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » . تفسير ابن كثير [٤/ ٢٨١] .

بنار الشوق حتىٰ ترعى زبد الحكمة، ثم تفرغها في صحاف الرضا، ثم تروح عليها بمرواح الاستغفار[١]، ينعقد لك من ذلك شربة جدة، ثم تشربها في مكان لا يراك فيه أحد إلا مولاك، فإن ذلك يزيل عنك الذنوب، فلا يبقى عليك ذنب، ثم أنشأ يقول :

يا طالب الحوراء في حسنها شمر فتقوى الله من مهرها
وكن مجداً وانيا وجاهد النفس علىٰ صبرها

ثم شهق شهقة فارق الدنيا، فقال عليّ: والله إنك لطبيب الدنيا والآخرة . قال ذو النون: إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندما وحزنا، فجنوا من غير جنون، وإنهم لهم العارفون[٢] بالله ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفا، فوزنوا الصبر علىٰ طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت، وجالت فكرتهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم، فقرأوا صحيفة الخطايا، فأورثوا أنفسهم الجزع حتىٰ وصلوا إلىٰ علو الزهد بسلم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا، واستلانوا خشونة المضجع حتىٰ ظفروا بحبل النجاة، وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتىٰ أناخوا في رياض النعيم، وخاضوا في بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتىٰ نزلوا بفناء العلم، واستقوا من غدير الحكمة، وركبوا في سفينة العصمة، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتىٰ وصلوا إلىٰ رياض الرَّاحة، ومعدن العز والكرامة .

ركب المحب إلىٰ الحبيب سفينة تجري من الخطرات في أمواج
في (سرسر)[٣] الشر سرا أقلعت في لج بحر زاخر عجَّاج
يا حسنها تجري به متفردا بعلومه في جنح ليل داج
فالقلب مشكاة وفيه زجاجة قد علقت بسلاسل المنهاج

(١) روى أبو داود في سننه [١٥١٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

(٢) لما سأل المتوكل ذا النون فقال: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله . قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع علىٰ مفارقهم تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم علىٰ كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى . . . إلىٰ آخر كلامه . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠] .

(٣) كذا بالأصل .

متوقد بالنور من زيتونة ... تسقي سراجاً فاق كل سراج

غيرهُ:

واخجلة العبد من إحسان سيده ... يا حيرة القلب من ألطاف[1] معناه
واحسرة الطرف[2] لم ينظر لجانبه ... من المعاصي ولا يرضى بها الله
وكم أسأت وبالإحسان عاملني ... وأخجلني وأحناي حين ألقاه
وكم له من أياد غير واحدة ... وافت إليّ لعلمي أنه الله
بلطفه وبفضل منه عرفتني ... في حبه كيف أرجوه وأخشاه
يا نفس كم بخفي اللطف عاملني ... وقد رآني علىٰ ما ليس يرضاه
يا نفس توبي من العصيان وانزجري[3] ... فقد كفى ما جرى لي حسبي الله

غيره:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا ... واعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا
أما ترى للمنايا[4] كيف تلقطنا ... لقطا وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه ... نفسي مصرعة آثار موتانا
يا نفس ما لي والأموال أتركها ... خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصائرنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
كم قد رأينا أناسا صالحين مضوا ... موتى وقد سلبوا دينا وإيمانا
فاستبدلوا الكفر بالإيمان[5] وانقلبوا ... بسوء خاتمة في الموت إعلانا

---

(١) اللطف: الهدية، جمعها ألطاف.
(٢) طرف البصر طرفاً، تحرك جفناه وعينيه وبهما: حرك جفنيه.
(٣) زجر: الكلب وغيره وزجر به زجراً، كفه، وفلاناً عن كذا: منعه ونهاه وانتهره.
(٤) المنية: الموت، جمعها منايا.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١١ ـ (٢٦٥١)] كتاب القدر، [١] باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة»، وقال النووي: إن هذا قد يقع في نادر الناس لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله ـ تعالىٰ ـ وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلىٰ الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلىٰ الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالىٰ: (إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي). النووي في شرح مسلم [١٥٨/١٦] طبعة دار الكتب العلمية.

أبعد خمسين قد قضيتها لعباً ... قد آن تقصيرها قد آن قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخر له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
اخلوا منازل كان العز مفرشها ... واستفرشوا حفراً غرّاً وقيعانا
يا راكضا في ميادين الهوى مرحاً ... ورافلا[1] في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

(١) رفل رفلاً ورفولاً: جرَّ ذيله وتبختر في سيره فهو رافل وهي رافلة .

مجلس في الصدق وهو حصول الحقيقة على التمام والكمال

والفرق بينه وبين الإخلاص لائح للرجال، فكم من (مصفى)[1] لا قوة فيه، وهو عماد الأمر، وبه تمامه، وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة، في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [2] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[5].

وقال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾[6].

وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[7].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[8].

وقال: ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[9].

وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[10].

وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[11].

وقال: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[12].

وقال: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾[13].

وقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[14].

وقال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾[15].

---

(١) كذا بالأصل .
(٢) سورة النساء [٦٩] .
(٣) سورة التوبة [١١٩] .
(٤) سورة الأحزاب [٣٥] .
(٥) سورة محمد [٢١] .
(٦) سورة المائدة [١١٩] .
(٧) سورة الشعراء [٨٤] .
(٨) سورة مريم [٥٤] .
(٩) سورة الأحزاب [٨] .
(١٠) سورة الزمر [٣٣] .
(١١) سورة الأحزاب [٢٣] .
(١٢) سورة الأحزاب [٢٤] .
(١٣) سورة آل عمران [١٧] .
(١٤) سورة الحجرات [١٥] .
(١٥) سورة العنكبوت [٣] .

وأما الأحاديث الواردة في الباب فنذكر منها ستة:

أولها: حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً »(١) متفق عليه .

ثانيها: حديث الحسن بن علي مرفوعاً: « دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة »(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

ومعناه اترك ما تشك في حله إلىٰ ما لا تشك .

ثالثها: حديث أبي سفيان صخر(٣) في حديثه الطويل في قصة هرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم ؟ - ويعني رسول الله ﷺ - قال: يقول اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.(٤) متفق عليه، فجعله ربع الدين وبه قوام الباقي .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٩٤] كتاب الأدب، [٦٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبَة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب، ومسلم في صحيحه [١٠٣ - (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة والأداب، [٢٩] باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٤، ٤٣٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٩٦، ٢٤٣] والدارمي في سننه [٢/ ٢٩٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٢٧]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٩٠]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٥١٩، ١٠/ ٦٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٣٧٨].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٥١٨]، والنسائي في الأشربة باب [٤٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٣٥]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٣، ٤/ ٩٩]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٢٣٨]، وابن حبان في صحيحه [٥١٢ - الموارد]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٠٢]، والطبراني في الكبير [٣/ ٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٥٨، ٣/ ١٨٨, ٥٨٩]، والزيلعي في نصب الراية [٢/ ٤٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٣٥٢، ٨/ ٢٦٤]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١٥٧، ١٥٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٤٨٩] .

(٣) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان أبو حنظلة الأموي الصحابي الشهير القرشي، صحابي شهير، أسلم عام الفتح، وتوفي سنة [٣١ أو ٣٢ أو ٣٤]، وأخرج له: الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي . ترجمته: التهذيب [٤/ ٤١٠]، التقريب [١/ ٣٦٥]، الكاشف [٢/ ٢٦]، التاريخ الكبير للبخاري [٤/ ٣١٢]، الجرح والتعديل [٤/ ١٨٨٠]، ميزان الاعتدال [٢/ ٣٠٨]، سير الأعلام [٧/ ٤١٠], والوافي بالوفيات [١٦/ ٢٨٨], الثقات [٦/ ٤٧٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧] كتاب بدء الوحي، ومسلم في صحيحه [٧٤ - (١٧٧٣)] كتاب الجهاد والسير [٢٦] باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام .

رابعها: حديث سهل بن حنيف مرفوعاً: « من سأل الله ـ تعالىٰ ـ الشهادة بصدق بلغه الله ـ تعالىٰ ـ منازل الشهداء، وإن مات علىٰ فراشه »[١] رواه مسلم.

خامسها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولمَّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها لنا، فحبست حتىٰ فتح الله عليه[٢] فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس البقرة من ذهب، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها[٣] فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم؛ رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا »[٤] متفق عليه، وهو ظاهر في أن الغازي بصدق يفتح الله علىٰ يديه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (١٩٠٩)] كتاب الإمارة، [٤٦] باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالىٰ، والترمذي [١٦٥٣] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، والنسائي [٦/ ٣٧ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٢٧٩٧] ، وأبو داود في الدعاء ، باب [٤] ، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٧٥] .

(٢) قال القاضي: اختلف في حبس الشمس المذكور هنا، فقيل: ردت علىٰ أدراجها، وقيل: وقفت ولم تدر، وقيل أبطئ بحركتها، وكل ذلك من معجزات النبوة، قال: ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون، قال القاضي: وقد روي أن نبينا ﷺ حبست له الشمس مرتين: إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر ثم غربت فردها الله عليه حتىٰ صلى العصر، ذكر ذلك الطحاوي وقال: رواته ثقة. والثانية: صبيحة الإسراء حين انتظر العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس، ذكره يونس بن بكير في زيادته علىٰ سيرة ابن إسحاق . النووي في شرح مسلم [١٢/ ٤٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) هذه كانت عادة الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في الغنائم أن يجمعوها فتجئ نار من السماء فتأكلها، فيكون ذلك علامة لقبولها وعدم الغلول، فلما جاءت هذه المرة فأبت أن تأكلها علم أن فيهم غلولاً ، فلما ردوه جاءت فأكلتها ، وكذلك كان أمر قربانهم إذا تقبل جاءت نار من السماء فأكلته . شرح مسلم للنووي [١٢/ ٤٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣١٢٤] كتاب فرض الخمس، [٨] باب قول النبي ﷺ: « أحلت لكم الغنائم » وقال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] ، ومسلم [٣٢ ـ (١٧٤٧)] كتاب الجهاد والسير، [١١] باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٩٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٤٩٢] .

ولذلك لم يستفد من له (لفتة يشعث)[١] صدقه كذبه، وأن الداعي بصدق يحبس الله له الشمس، فالعمل الصادق هو النافع، وما سواه باطل غير نافع .

سادسها : حديث حكيم بن حزام مرفوعاً: « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما »[٢] متفق عليه أيضاً .

(١) كذا بالأصل .

(٢) أخرجه البخاري [٢١١٠] كتاب البيوع، [٤٤] باب البيعان بالخيار ما لم يفترقا، وهو بألفاظ أخرى في أرقام [٢١٠٧، ٢١٠٨، ٢١٠٩، ٢١١١، ٢١١٢، ٢١١٣، ٢١١٦]، ومسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٥٣٢)] كتاب البيوع، [١١] باب الصدقة في البيع والبيان، والترمذي في سننه [١٢٤٦] كتاب البيوع، باب ما جاء في البيعين بالخيار ما لم يتفرقا، وأبو داود في سننه [٣٤٥٧، ٣٤٥٩] ، وابن ماجه [٢١٨٢ - ٢١٨٣]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ٩، ٧٣ ، ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣] ، والدارمي في سننه [٢/ ٢٥٠]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٦٩، ٢٧٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٧/ ١٢٤، ١٢٥] .

مجلس في العلم

قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [1].

وكفى به شرفاً أن يكرم الجليل تعالىٰ أكرم خلقه وأحبهم إليه وأقربهم لديه، أن يطلب الاستزادة منه، قال الأئمة: لم يأمر الله نبيه أن يطلب المزيد في شيء إلا فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [3].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [4] والآيات فيه كثيرة.

وروينا في الصحيحين من حديث معاوية مرفوعاً: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [5] والفقه فهم ما يدق ويغمض ويخفيه الإنسان حتىٰ يفقه عنه، وتفتح به الأذهان، وقد قال تعالىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].

وقال: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

فالفقه في الدين [6] فهم وحكم كل شيء منه مع لطائفه وأسراره وحكمته وغايته وشروطه وأركانه وسننه وآدابه ومكملاته وسوابقه ولواحقه، وكل مفسد له، ومحبط

---

(١) سورة طه [١١٤].

(٢) سورة الزمر [٩].
أي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ـ ويقصد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨﴾ [الزُّمَر: ٨].

(٣) سورة المجادلة [١١].   (٤) سورة فاطر [٢٨].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١] كتاب العلم، [١٤] باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ومسلم [١٧٥٠] كتاب الإمارة، [٥٣] باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم »، والترمذي [٢٦٤٥] كتاب العلم، [١] باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين.

(٦) قال أبو المظفر الوزير: معنى فقه الرجل غاص علىٰ استخراج معنى القول؛ من قولهم: فقأت عينه إذا أنخستها فجعلت باطنها ظاهرها، فمعنى الفقه علىٰ هذا التأويل هو استخراج الغوامض والاطلاع علىٰ أسرار الكلام. انظر اختلاف الأئمة العلماء [١/ ١٩] من تحقيقنا، طبعة دار الكتب العلمية.

لأجله من موانع قبوله وغير ذلك من أسبابه وأهله ومحله كما يعرفه أهله، وافهم قوله: « من يرد الله به خيراً يفقهه » ضد عكسه، وأنه لا يراد به خير، وكفى به حسرة وشقاء.

وروينا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها »[1] أخرجاه.

والمراد بالحسد الغبطة[2]، وهو أن يتمنى مثله، والمراد بالحكمة هنا الفقه في الدين كما فسرها به، والقضاء والتعليم هو فائدة الحكمة واليقين والفقه في الدين.

وروينا فيها من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء[3] وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس ؛ فشربوا منا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فلعم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به»[4].

قلت: فالأول: العالم علم الدراية.

والثاني: رواية كالأجداب.

والثالث: من لا علم له.

---

(١) أخرجه البخاري [٧٣] كتاب العلم، [١٦] باب الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم في صحيحه [٢٦٨ ـ (٨١٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، والترمذي [١٩٣٦]، وابن ماجه [٤٢٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٨٠]، وابن عبد البر في التمهيد [٦/ ١٢٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٦٣]، والحميدي في مسنده [٦/٧]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١/ ١١٦، ٩/ ٦٦٥].

(٢) قوله ﷺ «لا حسد إلا في اثنتين . . . » قال العلماء: الحسد قسمان ؛ حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي علىٰ غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما . النووي في شرح مسلم [٦/ ٨٤، ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) في البخاري: فكان منها نقية قبلت الماء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٩] كتاب العلم، [٢١] باب فضل من علم وعلّم، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٥٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٠]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ١٢].

وروينا من حديث سهل بن ساعد الساعدي، أن النبي ﷺ قال لعلي: « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »[(١)] أخرجاه .

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[(٢)] أخرجه البخاري .

وهو إذن كريم لمن علم شيئاً، وإن قلّ أن يبلغه، ففيه بشرى كونه وارث النبي ﷺ وقائماً مقامه في بعض التبليغات .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلىٰ الجنة »[(٣)] أخرجه مسلم .

ويحتمل أن يكون المراد الطريق الحسية والمعنوية، وهو الطرق الموصلة من تكرير وحفظ، ومطالعة ومراجعة، ومذاكرة ومدارسة، ونحو ذلك .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعاً: « من دعا إلىٰ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »[(٤)] أخرجه مسلم . وفيه بشرى بالنجاة

---

(١) أخرجه البخاري [٣٧٠١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٩] باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم [٣٤ ـ (٢٤٠٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال النووي: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرّة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلىٰ الهدى وسن السنن الحسنة . انظر النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦١] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٢] باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي في سننه [٢٦٦٩] كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، والدارمي في سننه [١/ ١٣٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٥٩]، والقضاعي في مسند الشهاب [٦٦٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [١٣/ ١٥٧]، والشجري في أماليه [١/ ١٠، ٦٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٠١٥٧] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٦٩٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر، والترمذي [٢٦٤٦، ٢٦٨٢، ٢٩٤٥]، وأبو داود [٣٦٤١]، وابن ماجه [٢٢٣، ٢٢٥] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٧٤)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأبو داود في السنة، باب [٦]، والترمذي في سننه [٢٦٧٤]، وابن ماجه في سننه [٢٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٧]، والدارمي في سننه [١/ ١٣١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٢٠] .

لمن هذا حاله .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعاً: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »(١) أخرجه مسلم، والعلم المنتفع به يشمل المؤلفات وغيرها .

وروينا من حديثه أيضا مرفوعا: « الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلما »(٢) رواه الترمذي وحسنه .

وقوله: وما والاه: أي طاعة الله ؛ إذ السلامة من اللعن، أي الإبعاد من الرحمة خير كثير، وهو أحد الفضلين: الغنيمة والسلامة .

وروينا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتىٰ يرجع »(٣) رواه الترمذي وحسنه .

يعني أن رجوعه طاعة مكتوبة، ومن كان هذا حاله فهو مرضي عنه .

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « لن يشبع مؤمن من خير حتىٰ يكون منتهاه الجنة »(٤) رواه الترمذي وحسنه .

فمن شبع فليس بمؤمن، وناهيك به منقذاً من القناعة في العلم، وسره . ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] .

وروينا من حديث أبي أمامة(٥) مرفوعاً: « فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٦٣١)] كتاب الوصية، [٣] باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، والترمذي في سننه [١٣٧٦]، والزيلعي في نصب الراية [٣/١٥٩]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١١٤، ٥/ ٢٢، ٩/ ٨٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩، ١١٠]، ابن حجر في التلخيص [٣/ ٦٨] .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٢] كتاب الزهد، باب [١٤] منه ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ـ عز وجل، وابن ماجه [٤١١٢] في الزهد، باب مثل الدنيا، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٨]، والشجري في أماليه [٢/ ١٦١]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٨٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٢٥٦].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٤٧] كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٠٥]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ١٣٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٠] .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٨٦] كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٠]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٩٥، ٣٩٨] .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٨٥] كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، والشجري في أماليه [١/ ٥٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/ ٢٥١]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ١١]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٢٧٨] .

أدناكم » ثم قال الرسول ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتىٰ النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون علىٰ معلمي الناس الخير » رواه الترمذي وحسنه .

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعاً[(١)] : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العام ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان .

والجليل وملائكته يعظم طالب العلم، فكيف العالم، ونور العلم يزيد علىٰ نور العبادة، كما مثله بالقمر بالنسبة إلىٰ باقي الكواكب .

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعاً[(٢)] : « نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فرب مبلِّغ أوعى من سامع » . رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

فنضرة النعيم فضل عميم : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار »[(٣)] رواه الترمذي وحسنه . فليحذر العالم من ذلك، والمراد ما يجب بذله .

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣٦٤١] كتاب العلم، باب الحث علىٰ طلب العلم، والترمذي [٢٦٨٢] كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، وابن ماجه في سننه [٢٢٣، ٢٢٥] في المقدمة، باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، وابن حبان في صحيحه [٨٠ ـ الموارد] .

(٢) أخرجه الترمذي [٢٦٥٧] كتاب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، وابن ماجه [٢٣٢، ٢٤٢] في المقدمة، باب من بلغ علماً، وأحمد في مسنده [١/ ٤٣٧، ٥/ ٨٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٥/ ١٥٨]، وبلفظ آخر أخرجه أبو داود [٣٦٦٠] في العلم، باب فضل نشر العلم .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦٤٩] كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، وابن ماجه [٢٦٤] في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٣، ٣٠٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٤٠١، ١٠/ ١٢٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٦٣]، وهو في أبي داود في العلم، باب كراهية منع العلم .

(٤) سورة الضحى [١٠] .

قال بعضهم: من نهر السائل رده بلا جواب .

وروينا عنه مرفوعاً: « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ـ يعني ريحها »[١] رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وهو أبلغ زجر وردع عن نية غير صالحة .

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعاً: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[٢] أخرجاه .

وهو محذر من الرياسة والإفتاء بغير علم، وفيه غير ذلك من الأحاديث، وقد أفردت بالتأليف، وهذا القدر كاف منها .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم، باب [١٢]، وابن ماجه في سننه [٢٥٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٣٨]، والحاكم في المستدرك [١/ ٨٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١١٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٥٤٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٧]، وابن حبان في مصنفه [٨٩ ـ الموارد]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ١٨١] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٠٠] كتاب العلم [٣٥] باب كيف يقبض العلم، ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (٢٦٧٣)] كتاب العلم، [٥] باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، والترمذي في سننه [٢٦٥٢]، وابن ماجه [٩]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٢، ١٩٠]. والدارمي في سننه [١/ ٧٧]، والحميدي في مسنده [٥٨١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٢٠١]، وابن حجر في التلخيص [٤/ ١٨٥]، وأبو نعيم في الحلية [٢/ ١٨١] .

مجلس في الصبر

وهو مسك النفس وحبسها عما يكره الرب ـ تعالىٰ ـ وتنشأ من تعظيم أمره، وإيثار رضوانه، والحذر من مقته . ويترتب عليه الثبات - إن شاء الله ـ إلىٰ الممات.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾(1) والصبر شامل، والمصابرة فرد من أفراده .

والعطف للعناية، لينال بها في الجهاد إلىٰ أشرف غاية .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .(2)

وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾(3) أي المهمات منها .

وقال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ .(4)

فالالتجاء بهما عند حلول البليات يجزل الصلات .

وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾(5) فيعز المرء إذ ذاك أو يهان، فبالاختبار تظهر الرجال .

والآيات في الأمر بالصبر كثيرة مشهورة غزيرة، ولنذكر جملة من الأحاديث الثابتة في فوائده، ومستهلات منازله، وبيان وقته وأهله وما ينافيه، وتنوع حكمته، والزجر عن تمني موجبه، فإنما هو للضرورة في شكر العافية أغنى عنه، وصبر السَّراء أفضل من صبر الضَّراء(6)، ويحضرنا منها تسعة وعشرون حديثاً .

---

(1) سورة آل عمران [٢٠٠] .
قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا علىٰ دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتىٰ يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم، وكذلك قال غير واحد من علماء السلف . تفسير ابن كثير [١/ ٤٤٤] .

(2) سورة الزمر [١٠] .
قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم، إنما يغرف لهم غرفاً، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون علىٰ ذلك، وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠] يعني في الجنة . تفسير ابن كثير [٤/ ٤٨] .

(3) سورة الشورى [٤٣] .

(4) سورة البقرة [٤٥] .

(5) سورة محمد [٣١] .

(6) قال النووي: الصبر المحبوب في الشرع هو الصبر علىٰ طاعة الله ـ تعالىٰ ـ والصبر علىٰ معصيته =

أولها: حديث أبي مالك الحارثي الأشعري الطويل، وفيه: « والصبر ضياء »[(١)] أخرجه مسلم.

إذا وجد حصل الفرج والوضأة، وإثابة سبل السلامة، واندار مهاوي الردى .

ثانيها: حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر »[(٢)] متفق عليه .

وإذا حصل الوسع، فأي ضيق أو ضيم يوجد معه ؟ !!

ثالثها: حديث أبي يحيى صهيب بن سنان مرفوعا: « عجباً لأمر المؤمن ؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له »[(٣)] رواه مسلم .

فكأنه يقلب ضُرَّها ونفعها، وأعظم بذلك وصفاً ووضعاً .

رابعها: حديث أنس: " لما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكرب أباه، فقال: « ليس علىٰ أبيك كرب بعد اليوم »[(٤)] رواه البخاري .

= والصبر أيضاً علىٰ النائبات وأنواع المكاره في الدنيا، والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً علىٰ الصواب، قال إبراهيم الخواص: الصبر هو الثبات علىٰ الكتاب والسنة، وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال الأستاذ أبو علي الدقاق - رحمه الله تعالىٰ: حقيقة الصبر أن لا يعترض علىٰ المقدور . النووي في شرح مسلم [٣/ ٨٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١ - (٢٢٣)] كتاب الطهارة، [١] باب فضل الوضوء، والترمذي [٣٥١٧] كتاب الدعوات، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب نوع آخر ذكر حديث كعب بن عجرة في المعجمات [ص٧١]، وابن ماجه [٢٨٠]، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٤٢، ٣٤٣] ، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ٤٢]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٢٢٣]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٢٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٣٦ - الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٢]، والزبيدي في الإتحاف [٢/ ٣٠٤، ٥/ ١٥] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٦٩] كتاب الزكاة، [٥٢] باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في صحيحه [١٢٤ - (١٠٥٣)] كتاب الزكاة، [٤٢] باب فضل التعفف والصبر، وأبو داود في الزكاة، باب [٢٩]، والترمذي في سننه [٢٠٢٤] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصبر، وأحمد في مسنده [٣/ ١٢، ٩٣] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ - (٢٩٩٩)] كتاب الزهد والرقائق، [١٣] باب المؤمن أمره كله خير، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٧٨]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ١٤٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٧٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤]، والدارمي في السنن [٢/ ٣١٨] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٦٢] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، والتبريزي =

وهو دال علىٰ بدء الشدائد، وإفضال العوائد .

خامسها: حديث أسامة: " أرسلت بنت رسول الله ﷺ إن ابني قد احتضر، فأرسل إليها فلتصبر ولتحتسب[1] متفق عليه .

فليس للعبد سوى الصبر، لينال الرحمة والثواب في المحيا والممات .

سادسها: حديث صهيب في قصة الغلام مع الساحر والراهب .[2] أخرجه مسلم بطوله.

وهو دال علىٰ أن من كان علىٰ الحق لا يضره نبال ولا منشار ولا نار بقدرة الجبار .

سابعها: حديث أنس: " مر ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، وفي لفظ علىٰ صبي لها، فقال: « اتقي الله واصبري » فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمثل مصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه رسول الله، فأتت بابه فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».[3] متفق عليه .

وهو دال علىٰ بيان أهم أوقات الاعتناء به، والشارع أقرَّها علىٰ قولها: إليك عني، وما أقواه من تجني .

ثامنها: حديث أبي هريرة مرفوعا: « يقول الله ـ تعالىٰ ـ ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة »[4] رواه البخاري.

= في مشكاة المصابيح [٥٩٦١] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨٤] كتاب الجنائز، [٣٢] باب قول النبي ﷺ: « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته »، ومسلم في صحيحه [١١ ـ (٩٢٣)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت، والنسائي في الجنائز باب [٢١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٠٤] ، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٦٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٦٧٠]، والبخاري في الأدب المفرد [٥١٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٢٣] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٣٠٠٥)] كتاب الزهد والرقائق، [١٧] باب قصة الأخدود والساحر والراهب والغلام، عن صهيب .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨٣] كتاب الجنائز، [٣١] باب زيارة القبور، ومسلم في صحيحه [١٥ ـ (٦٢٦)] كتاب الجنائز، [٨] باب في الصبر علىٰ المصيبة عند الصدمة الأولى، قال النووي: معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه، وأصل الصدم الضرب في شيء صلب، ثم استعمل مجازاً في كل مكروه حصل بغتة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٢٤] كتاب الرقاق، [٦] باب العمل الذي يبتغي به وجه الله ـ تعالىٰ - وأحمد في مسنده [٢/ ٤١٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٣١] .

والصفي: هو الابن أو الحميم، أو الحبيب .

تاسعها: حديث عائشة مرفوعاً في الطاعون: « إنه كان عذاباً يبعثه الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في بلدة الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه ما يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد »[(١)] رواه البخاري .

عاشرها: حديث أنس مرفوعاً: « إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما في الجنة »[(٢)] يريد عينيه . رواه البخاري .

الحادي عشر: حديث ابن عباس في المرأة التي تُصرع وتنكشف، وأنها سألت الدعاء من رسول الله ﷺ فقال: « إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك » فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أنكشف، فدعا لها .[(٣)]

الثاني عشر: حديث ابن مسعود: «كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[(٤)] .

الثالث عشر: حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعا: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٣٤] كتاب الطب، [٣١] باب أجر الصابر في الطاعون، وأحمد في مسنده [٦/ ٦٤] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٥٣] كتاب المرضى والطب، [٧] باب فضل من ذهب بصره، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٥]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٦١، ٩/ ٢٨] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٥٢] كتاب المرضى والطب، [٦] باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم في صحيحه[٥٤ ـ (٢٥٧٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، وأحمد في مسنده [١/ ٣٤٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ٧١، ٦/ ١٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٧٧]، والبيهقي في دلائل النبوة [٦/ ١٥٦] .

(٤) أخرجه البخاري [٤/ ٢١٤]، ومسلم [١٠٥ ـ (١٧٩٢)] في الجهاد، وأحمد في مسنده [١/ ٤٤١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ١١٧]، والمنذري في الترغيب [٣/ ٤١٩]، والقاضي عياض في الشفا [١/ ٢٢٢]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٤٦] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤١، ٥٦٤٢] كتاب المرضى والطب، [١] باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٢٥٧٣)] كتاب البر والصلة والآداب .

الرابع عشر: حديث ابن مسعود: " دخلت علىٰ رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديدا، قال: « أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » قلت: ذلك أن لك أجرين ؟ قال: « أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » "(١) متفق عليهن ـ أعني الأربعة .

شعر:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

الخامس عشر: حديث أنس مرفوعاً: « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »(٢) متفق عليه أيضاً .

ووجه النهي أنه مناف للصبر الذي تركه محبط للأجر .

السادس عشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من يرد الله به خيراً يصب منه »(٣) رواه البخاري .

وهو من تسهيل التخلق بالصبر .

السابع عشر: حديث خباب بن الأرت(٤) مرفوعاً: « قد كان من قبلكم يؤخذ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤٨] كتاب المرضى والطب، [٣] باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول، ومسلم في صحيحه [٤٥ ـ (٢٥٧١)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك .

(٢) أخرجه البخاري [٦٣٥١]كتاب الدعوات، [٣٠] باب الدعاء بالموت والحياة، ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٦٨٠)] كتاب الذكر والدعاء، [٤] باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، وأبو داود في الجنائز باب [١٣]، والترمذي في سننه [٩٧١] كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن التمني للموت، والنسائي[٤/ ٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٤٢٦٥]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٤٤٣] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤٥] كتاب المرضى والطب، [١] باب ما جاء في كفارة المرض، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ٢٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٣٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٦/ ٢٩٦، ٩/ ١٤٢]، ومالك في الموطأ [٩٤١] .

(٤) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو عبد الله أبو يحيى التميمي الزهري الخزاعي، صحابي جليل مشهور، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٣٧] . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ١٣٣]، تقريب التهذيب [١/ ٢٢٢]، الكاشف [١/ ٢٧٧]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٢١٥]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ٧٨]، الجرح والتعديل [٣/ ١٨١٧]، أسد الغابة [٢/ ١١٤]، سير الأعلام [٢/ ٣٢٣]، الثقات [٣/ ١٠٦]، أسماء الصحابة الرواة [٨٩] .

الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه »[١] الحديث، رواه البخاري .

فالتبرم مناف للصبر، مخوف لعدم كشف الضر .

الثامن عشر: حديث ابن مسعود مرفوعا: لما قيل له، وقد قسم: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فتغير وجهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين بلغه، حتىٰ كان كالصِّرف[٢]، ثم قال: « فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، يرحم الله موسى ؛ لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »[٣] متفق عليه .

وهو دال علىٰ أن هذه الأمور غير منافية للصبر ولا مفوتة للأجر، والأسى يذهب الأسى، عملاً بقوله: " لقد أوذي . . . إلىٰ آخره " .

التاسع عشر: حديث أنس مرفوعاً: « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتىٰ يوافيه به يوم القيامة » .

وقال ﷺ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله ـ تعالىٰ ـ إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط »[٤] رواه الترمذي وحسنه .

فالبلاء دليل إرادة الخير، إذ عقوبة الذنب، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فمن عظم بلاؤه عظم أجره، وهو دال علىٰ محبة الله لعبده إذا عجل عقوبته في الدنيا وآجره في العقبى .

العشرون: حديثه أيضا في قصة أم سليم مع أبي طلحة في موت الولد وإخفائه حتىٰ واقعها، فبارك لهما في ليلتهما، فحصل ولد ومنه تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن .[٥] متفق عليه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٩/ ٢٦]، وأبو داود [٢٦٤٩]، والطبراني في المعجم الكبير [٤/ ٧٢].

(٢) الصرف: صبغ أحمر يصبغ به الجلود، قال ابن دريد: وقد يسمى الدم أيضاً صرفاً .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٠٥] كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه [١٤٠ ـ (١٠٦٢)] كتاب الزكاة، [٤٦] باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام، وتصبر من قوى إيمانه، وأحمد في مسنده [١/ ٤١١]، والبيهقي في دلائل النبوة [٥/ ١٨٤] .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٩٦] كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، وابن ماجه في سننه [٤٠٣١] كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، والحاكم في المستدرك [٤/ ٦٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦٥]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨٧] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠١] كتاب الجنائز، [٤١] باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، =

فكل ما عند الشخص عارية، والحق لا يشق إلا علىٰ أحمق، والخلف عند الرب - تعالىٰ - عاجلا أعظم وأكثر مما فات، يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم .

الحادي بعد العشرين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »(١).

الثاني بعد العشرين: حديث سليمان بن صرد: أنه ﷺ قال للذي احمر وجهه عند السب: « إني أعرف كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فتعوذ(٢). متفق عليهما .

الثالث بعد العشرين: حديث معاذ بن أنس مرفوعاً: « من كظم غيظاً وهو قادر علىٰ أن ينفذه، دعاه الله ﷻ علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يخيره من الحور ما شاء»(٣) رواه أبو داود والترمذي وحسنه .

فيا سعادة من وقع له ذلك بين الأمم، فيه يغبط ويسر، ويصرف كل ألم .

الرابع بعد العشرين: حديث أبي هريرة: " أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: أوصني، قال: « لا تغضب »، فردد عليه مراراً، قال: « لا تغضب » "(٤). رواه البخاري .

= ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢١٤٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٢٠] باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري، وأحمد في مسنده [٣/ ١٩٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٦٦]، وابن حبان في صحيحه [٧٣٥ - المواد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ٥٨]، والشجري في أماليه [١/ ٣٠١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٤] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٦٠٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠] باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٦، ٢٦٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٥] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٥] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٩ ـ (٢٦١٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠] باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، كلاهما عن سليمان بن صرد، ولم يذكر البخاري ومسلم هذه الكلمة الأخيرة "فتعوذ" ولكن قال في آخره: " فقام إلىٰ الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: أتدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً ؟ قال: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه ؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقال الرجل: أمجنوناً تراني ؟ " .

(٣) أخرجه أبو داود [٤٧٧٧] كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، والترمذي [٢٠٢١] كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، وابن ماجه في سننه [٤١٨٦] في الزهد، باب الحلم، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٤٩] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١١٦] كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، والترمذي =

أي لا تعمل بمقتضاه، فيخفف مؤنة الصبر وتأباه .

الخامس بعد العشرين: حديثه أيضا مرفوعاً: « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقى الله ـ تعالىٰ ـ وما عليه خطيئة »[(١)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .

فهو صارف لمشقته، ومنه حديث: « مثل المؤمن كخامة الزرع »[(٢)] وتسهيل لتناوله .

السادس بعد العشرين: حديث ابن عباس: أن عيينة بن حصن قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر حتىٰ هم أن يقع به، فقال له: الحرُّ يا أمير المؤمنين، إن الله ـ تعالىٰ ـ قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعــراف: ١٩٩] ، وإن هــذا مــن الجاهلين، والله ما جاوزها عمر، "وكان وقَّافاً عند كتاب الله " . رواه البخاري[(٣)]

وهو من صوارف المشقات، وتسهيل المعضلات .

السابع بعد العشرين: حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إنه ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » قالوا: يا رسول الله، فماذا تأمرنا ؟ قال: « تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم».[(٤)]

فالأثرة من مجاري الصبر، والسؤال ليحمل الصبر وتصرف المشقة .

الثامن بعد العشرين: حديث أسيد بن حضير: " أن رجلاً من الأنصار قال: يا

= في سننه [٢٠٢٠] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب .

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٩٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٩١]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٧٥، ٤٢٢] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨/ ١٦٨]، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٥٤، ٥/ ١٤٢] .

(٣) أخرجه البخاري [٤٦٤٢] كتاب تفسير القرآن، سورة الأعراف، [٦] باب ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

(٤) أخرجه البخاري [٣٦٠٣] كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه [٤٥ ـ (١٨٤٣)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخفاء الأول فالأول.

وقال النووي: هذا من معجزات النبوة وقد وقع هذا الإخبار متكرراً، ووجد مخبره متكرراً، وفيه الحث علىٰ السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه . النووي في شرح مسلم [١٢/ ١٩٥] طبعة دار الكتب العلمية .

رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟ قال: « إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض » "[١].

وهو مسهل للصبر علىٰ الأثرة، وصارف للمشقة، كما قيل :

كلما فات في الليالي المواضي ... فهو في ذمة الليل البواقي

التاسع بعد العشرين: حديث ابن أبي أوفى مرفوعاً: « يا أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية »[٢] الحديث، متفق عليهن ـ أعني الثلاثة .

فتمني ذلك قد يحمل علىٰ تمني البلايا والنوازل، فالصبر أجمل طريق ؛ إذ به يحصل الجزاء علىٰ التحقيق .

ونذكر من الحكايات الائقة بذلك ما حضر :

فالحكاية الأولى: ما حكي عن بعضهم أنه رأى مبتلى يقول: الحمد لله الذي أنعمت عليَّ وفضلتني علىٰ كثير من خلقك تفضيلاً[٣]، فقيل: علىٰ أي نعمة تحمده ؟ أم علىٰ أي فضل تشكره ؟ فوالله ما أرى شيئاً من البلاء إلا هو بك !! فقال: ألا ترى ما قد صنع الله بي، فوالله لو أرسل السماء علىٰ نار فأحرقتني، وأمر الجبال فدكتني، والبحار فأغرقتني، ما ازددت له إلا حمداً وشكراً؛ فإن لي إليك حاجة، كانت لي بنت تخدمني وتتعاهدني عند إفطاري، فانظر هل هي موجودة فتطلبها بين تلك الرمال، فإذا السبع قد أكلها، فأخبرته بذلك، فقال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا وفي قلبي منها شيء، ثم شهق شهقة ومات، فجهزته ودفنته، فرأيته في المنام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٩٢] كتاب مناقب الأنصار، [٨] باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض »، وعن ابن مسعود أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٠٦١)] كتاب الزكاة، [٤٦] باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، والنسائي [٨/ ٢٢٥] المجتبى، وأحمد في مسنده [٣/ ١١١، ١٦٧] ، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٣٣٩]، وابن حبان في صحيحه [٢٢٩٨ - الموارد]، وابن أبي شيبة [١١/ ٤٤٢، ١٤/ ٥٣٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٠٢٥] كتاب الجهاد والسير، [١٥٦] باب لا تمنوا لقاء العدو، ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (١٧٤٢)] كتاب الجهاد والسير، [٦] باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، وأبو داود [٢٦٣١]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٧٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩٣٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٥١٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٦٠] .

(٣) روى الترمذي في سننه [٣٤٣١] كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني علىٰ كثير ممن خلق تفضيلاً إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش ».

في روضة خضراء عليه حلتان خضراوتان، وهو قائم يتلو القرآن، فقلت: ألست صاحبي بالأمس ؟ قال: بلى، قلت: فما صيرك إلىٰ ما أرى ؟ !! قال: وردت مع الصابرين علىٰ درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء .

الثانية: عن معروف الكرخي[1] أنه توفي له ولد فلم يحزن عليه، فقيل له في ذلك، فقال: رأيت جوار الله وثوابه خيراً له مني .

الثالثة: عن أبي علي الرازي قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، فما رأيته ضاحكاً إلا يوم أن مات ولده، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمراً فأحببته .

الرابعة: عن المعافي بن عمران قال: دخلت علىٰ فتح الموصلي فرأيته قاعداً في الشمس، وصبية له عريانة، وابن له مريض، فقلت: ائذن لي حتىٰ أكسو هذه الصبية، قال: لا ، قلت: ولم ؟ قال: دعها حتىٰ يرى الله صبرها وصبري عليها فيرحمني، قال: فجاوزت إلىٰ الصبي، وقعدت عند رأسه فقلت: أتشتهي شيئاً ؟ قال: ومن أنت ؟ قلت: المعافي، فرفع رأسه إلىٰ السماء، فقال مني الصبر، ومنك البلاء .

الخامسة: عن ذي النون المصري قال: رأيت بعض أصحابي في المنام، فقلت: ما فعل بك ؟ قال: غفر لي ببركتك، ومحبتي فيك، فأدخلني الجنة، وعرض عليَّ منازلي فيها، قال ذلك ووجهه حزين، قلت: مالي أراك حزيناً ؟ فتنفس الصعداء، ثم قال: لا أزال حزيناً إلىٰ يوم القيامة، قلت: ولم ؟ قال: لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين، فلما رأيتها فرحت وهممت بدخولها، فناداني مناد من فوقها: اصرفوه عنها، فليس هذه له، إنما هي لمن أمضى في سبيل الله ـ يعني كلما أصابه شيء من أمور الدنيا، قال: في سبيل الله، ثم لا يرجع فيه، فلو كنت أمضيت

---

(١) معروف الكرخي، هو زاهد العراق، وشيخ الوقت أبو محفوظ معروف بن الفيرزان، وقيل: ابن فيروز من أهل كرخ بغداد، وقيل: كنيته أبو الحسن، وكان أبوه من أعمال واسط من الصابئة، وقد ذكر معروف عند أحمد بن حنبل فقالوا: قصير العلم، فقال للقائل: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف ؟ ومن قول معروف: إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل، توفي سنة [٢٠٠] . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٩١ - ٢٠٠] .
فتح المولى، هو فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي الزاهد أحد العارفين، ذكر المعافي ابن عمران شيخ الموصل أنه لقي ثمانمائة شيخ ما فيهم أعقل من فتح، وكان مشهوراً بالعبادة والفضل، وهو فتح الموصلي الكبير لا فتح الصغير، وكان كثير البكاء من خشية الله، ملازماً لقيام الليل، أرسل إليه المعافي بألف درهم فردها وأخذ منها درهماً واحداً مع شدة فاقة أهله، توفي سنة [١٦٥] . تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠] .

السبيل لأمضينا لك الدخول فيها .

السادسة: عن عبد الواحد بن زيد قال: خرجت إلىٰ ناحية (الخريبة)[١] فإذا أن بشاب أسود مجذوم قد تقطعت أوصاله، وعمي، وأقعد، وإذا صبيان يرجمونه حتىٰ أدموا وجهه، فرأيته يحرك شفتيه، فدنوت منه فإذا به يقول: يا سيدي إنك تعلم أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض، ونشرت عظامي بالمناشير، ما ازددت لك إلا حبا، واصنع بي ما شئت.

السابعة: روي أن يونس[٢] ﷺ قال لجبريل " دلني علىٰ أعبد أهل الأرض، فأتى به إلىٰ رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وهو يقول: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا غفور، فقال يونس: يا جبريل سألتك أن تريني صواما قواما، فقال قد كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه بصره، فأشار إلىٰ عينيه فسالتا، فقال: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بار يا غفور، فقال جبريل: هل تدعو وندعوا معك، ويرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك، وتعود إلىٰ العبادة التي كنت عليها ؟ فقال: ما أحب ذلك، قال: ولم ؟!! قال: إذا كانت محبته في هذا، فمحبته أحب إليَّ، فقال يونس: ما رأيت أحداً أعبد من هذا، فقال جبريل: هذا طريق لا يوصل إلىٰ الله بأفضل منه، وأنشدوا :

قالت لطيف الخيال زارها ومضى ... بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خلقته لو مات من ظمإ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب عادته ... يا برد ذاك الذي قالت علىٰ كبدي

الثامنة: عن أبي الحسن السراج قال: حججت فبينا أنا أطوف فإذا أنا بامرأة قد أضاء حسن وجهها، فما رأيت مثل ذلك، وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن، فسمعت ذلك القول مني فقالت: أعده فوالله إني لوثيقة بالأحزان، مكلومة الفؤاد بالهموم

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) فيما روى مسلم [١٦٧ ـ (٢٣٧٧)] في الفضائل، [٤٣] باب في ذكر يونس ﷺ عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى » قال النووي: هذه الأحاديث تحتمل وجهين: أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك قال: « أنا سيد ولد آدم »، والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، قال العلماء: وما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٠٩] طبعة دار الكتب العلمية .

والأشجان، ما يشركني فيها أحد، قلت: وكيف ذاك ؟ قالت: ذبح زوجي شاة وضحى بها، ولي ولدان صغيران يلعبان، وعلىٰ ثديي طفل يرضع، فقمت لأصنع لهم طعاما، إذ قال ابني الكبير للصغير: ألا أريك كيف صنع أبي الشاة ؟ قال: بلى، فأضجعه وذبحه، وخرج هارباً نحو الجبل، فأكله ذئب، فانطلق أبوه في طلبه، فأدركه العطش فمات، فوضعت الطفل وخرجت إلىٰ الباب أنظر ما فعل أبوهم، فدب الطفل إلىٰ البرمة، وهي علىٰ النار، فألقى يده فيها وصبها علىٰ نفسه، وهي تغلي، فانتثر لحمه عن عظمه، فبلغ ذلك ابنة لي كانت عند زوجها، فرمت بنفسها إلىٰ الأرض، فوافت أجلها، فأفردني الدهر من بينهم، فقلت لها: كيف صبرك علىٰ هذه المصائب العظيمة ؟ فقالت: ما من أحد (يبر)[1] الصبر والجزع إلا وجد منهاجاً متفاوتاً، فأما الصبر فحسن العلانية، محمود العاقبة، وأما الجزع فصاحبه غير مفوض، ثم أعرضت وهي تقول:

صبرت فكان الصبر خير معول ... وهل جزع يجدي إليَّ فأجزع
صبرت علىٰ ما لو تحمل بعضه ... جبال غروراً أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين حتىٰ رددتها ... إلى ناظري فالعين في القلب تدفع

(١) كذا بالأصل .

مجلس في المراقبة

وهي مراقبة العبد الرب ـ جل جلاله ـ والحذر من السخط منه، وشهود دوام جلاله واطلاعه، وذوق قربه . ويترتب عليه التحفظ والاعتبار وانتظار ما تقتضيه الأوقات والأحوال، لينتهز فرصة البدار، وينجو من دار البوار، وما أحسن من فسرها بمراعاة السرّ، وملاحظة الحق مع كل خطرة .

قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[2] .

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3] أي يترقب كل قول وفعل .

وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[4] .

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[5] .

والآيات فيه كثيرة معلومة .

ولنذكر من الأحاديث تسعة :

أحدها: حديث عمر الثابت في الصحيح في حديث جبريل، وفيه: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[6] .

---

(١) سورة الحديد [٤] .
أي رقيب عليكم شهيد علىٰ أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه علىٰ السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم . تفسير ابن كثير [٤/ ٣٠٤].

(٢) سورة آل عمران [٥] . (٣) سورة الفجر [١٤] .

(٤) سورة غافر [١٩] .
يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ؛ جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله ـ تعالىٰ ـ حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، وأنه ﷻ يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . تفسير ابن كثير [٤/ ٧٥] .

(٥) سورة المجادلة [٧] .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠] كتاب الإيمان، [٣٨] باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان =

ثانيها: حديث أبي ذر ومعاذ مرفوعاً: « اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن » . رواه الترمذي[(١)] وحسنه .

ثالثها: حديث ابن عباس مرفوعاً: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[(٢)] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي، بعد «احفظ الله تجده أمامك»: « تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً ».

ومعنى تجده تجاهك: أي يرفع لك أعلام التوحيد، فتستقبله كما تستقبل الأعلام، والنفع الضر بيده، والسؤال إليه، والاستعانة به .

الحديث الرابع: عن أنس قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدها علىٰ عهد النبي ﷺ من الموبقات».[(٣)] وهي من باب تحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

الخامس: عن أبي هريرة مرفوعاً: « إن الله ـ تعالىٰ ـ يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه »[(٤)] متفق عليه .

= والإسلام والإحسان، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٨)] كتاب الإيمان، [١] باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، والترمذي في سننه [٢٦١٠] كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام، والنسائي [٨/ ٩٩، ١٠٢ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٦٣]، وأحمد في مسنده [١/ ٥١، ٥٣٠، ٢/ ٤٢٦] .

(١) أخرجه الترمذي [١٩٨٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، وأحمد في مسنده [٥/ ١٥٣]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٣٧٨]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٥١٢، ٨/ ٥١٨] ، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٧٦]، والدارمي في سننه [٢/ ٣٢٣] .

(٢) أخرجه الترمذي [٢٥١٦] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والحاكم في المستدرك [٣/ ٥٤١]، وأحمد في مسنده [١/ ٢٩٣، ٣٠٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٢٣٨]، والشجري في أماليه [٢/ ١٩٤ ، ١٩٨]، والآجري في الشريعة [١٩٨ - ١٩٩] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٢] كتاب الرقاق، [٣٢] باب ما يتقى من محقرات الذنوب، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٥٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ٢٣١] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٢٣] كتاب النكاح، [١٠٨] باب الغيرة، ومسلم في صحيحه =

السادس: عن أبي هريرة مرفوعاً: في قصة الأبرص والأقرع والأعمى: الطويل في الصحيحين.(١) فمراقبته في كل حال متعينة.

السابع: عن شداد بن أوس مرفوعاً: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني »(٢) رواه الترمذي وقال: حسن.

ومعنى دان: حاسب، وفعل غير ذلك صارف عن المراقبة.

الثامن: عن أبي هريرة مرفوعاً: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »(٣) رواه الترمذي، وهو حسن؛ ففيه تنفير عن الشواغل بما لا يفيد، فالفضول من أكبر الصوارف عن المراقبة: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾(٤).

التاسع: عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: « لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته »(٥) رواه أبو داود وسره دوام حسن الظن والمراقبة بالإعراض عن الاعتراض.

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك فنقول:

سُئل حاتم الأصم، فيما أفنيت عمرك؟ فقال: في أربعة أشياء: علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه، وعلمت أن لي رزقاً لا يجاوزني

= [٣٦] كتاب التوبة، والترمذي في سننه [١١٦٨] كتاب الرضاع، باب ما جاء في الغيرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٨٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٤٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٦٤] كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٣] باب حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل، ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٩٦٤)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٥٩] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٣٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٤، ٨/ ٤٢٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٦٧، ٨/ ١٧٤]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٩٦]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٣٦]، وابن المبارك في الزهد [٥٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٢].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣١٨] كتاب الزهد، باب منه [١١] فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ١٧١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٦١٧].

(٤) سورة المؤمنون [٦٣].

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٧] كتاب النكاح، باب ضرب النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٨٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٦٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٦]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٥٢١]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٩٨].

وقد ضمنه الله لي فوثقت به وقعدت عن طلبه، وعلمت أن لي فرضاً لا يؤديه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته .

وقال ابن عباس: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبتك، وضحكك أعظم من ذنبك، وكذا فرحك به وحزنك عليه إذا فات، وكذا خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت مقبل عليه .

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعسّ[1] المدينة، فمشى حتىٰ أعيي، فاتكأ إلىٰ جدار، فإذا امرأة تقول لابنة لها صغيرة: قومي إلىٰ ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت: يا أماه أوما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت: وما كان من عزمته ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن، فقالت: امذقيه، فإنك بمكان لا يراك فيه عمر، ولا مناديه، فقالت: فإن الله ـ تعالىٰ ـ يراني، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، فزوجها عمر أحد أولاده[2]، ومن ذريتها عمر بن عبد العزيز[3].

وعن ذي النون قال: حججت سنة فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد، فأشرفت علىٰ الهلكة، فلاحت لي أشجار كثيرة ومحراب، فطرحت نفسي في فيء شجرة، فلما غربت الشمس إذا شاب متغير اللون، نحيل الجسم يؤم ذلك المحراب، فوكز برجله ربوة من الأرض، فظهرت عين تنض ماء عذباً، فشرب وتوضأ وقام إلىٰ محرابه، فقمت إلىٰ العين فشربت ماء عذبا، وتوضأت وقمت أصلي بصلاته حتىٰ برق عمود الفجر، فلما رأى الصبح وثب قائماً علىٰ قدميه، ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه، وأقبل النهار بدواميه، ولم أقض من خدمتك وطراً، خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلىٰ سواك همه، فلما أراد أن ينصرف ناديته بالذي منجك لذيذ الرغب، وأذهب عنك ملال التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة، فإني غريب أريد بيت الله الحرام، وقد ضللت عن الطريق، فقال: يا بطال تحت أرجلنا، حتىٰ رأيت المحجة، وسمعت ضجة، فقال: هؤلاء رفقتك، ثم أنشأ يقول:

من عامل الله بتقواه وكان في الخلوة يرعاه

---

(١) عسَّ فلان عساً: طاف بالليل يكشف عن أهل الريبة، فهو عاس، جمعها: عسس وعساس .

(٢) زوجها عمر رضي الله عنه بابنه عاصم بن عمر بن الخطاب، فأنجب بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان، فأنجبت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أشج بني أمية .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين أبو حفص القرشي الأموي رضي الله عنه، ولد بالمدينة سنة ستين، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وتوفي سنة إحدى ومائة .

سقاه كأساً من صفاء حبه سلبه عن لذة مرآه
وأبعد الخلق وأقصاً منهم وانفرد العبد بمولاه

وعن العباس بن أحمد قال: قال لي أبو سعيد: كان لي معلم يختلف إليّ يعلمني الخوف، ثم ينصرف، فقال لي يوماً: إني معلمك خوفاً يجمع لك كل شيء، قلت: ما هو؟ قال: مراقبة الله.[١]

وعن عبد الله بن الأحنف قال: خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الروزباري، فرآني عيسى بن يونس المصري، فقال لي: هل أدلك؟ قلت: نعم، قال: عليك بصور فإن بها شيخاً وشاباً قد اجتمعا علىٰ حال المراقبة لله، فلو نظرت إليهما نظرة لأغنتك باقي عمرك، قال: فدخلت عليهما، وأنا جائع عطشان، وليس عليّ ما يسترني من الشمس، فوجدتهما مستقبلي القبلة، فسلمت عليهما، وكلمتهما، فلم يكلماني، فقلت: أقسمت عليكما بالله إلا كلمتماني، فرفع الشيخ رأسه وقال: يا ابن الأحنف، ما أقل شغلك، حتىٰ تفرغ لنا، فأقمت بين يديهما حتىٰ صليا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والعطش، فقلت للشاب: عظني بشيء أنتفع به، فقال: تحب المصائب ليس لنا لسان العظة، فأقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم نأكل فيها ولم نشرب، فلما كان في الثالثة قلت: لا بد من سؤالهما في وصية أنتفع باقي عمري بها، فرفع الشاب رأسه وقال: عليك بصحبة من يذكر الله، تنظره يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله، ثم التفت فلم أرهما.

وعن الجنيد قال: رأيت إبليس في المنام وهو عريان، فقلت له: أما تستحي من الناس؟!! فقال: أهؤلاء عندك من الناس؟ قلت: نعم، قال: لو كانوا منهم ما تلاعبت بهم تلاعب الأكرة، ولكن الناس قوم في مسجد (الشونيرية)[٢] قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي، كلما هممت بهم أشاروا إليَّ، فأكاد أحترق، فلما استيقظت، أتيت ذلك المسجد، فإذا أنا بثلاثة رجال رؤوسهم في مرقعاتهم، فلما أحسوا بي أخرج أحدهم رأسه وقال: يا أبا القاسم لا يغرنك حديث الخبيث، وأنشدوا:

---

(١) قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال النووي: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه علىٰ الاعتناء بتتميمها علىٰ أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال ﷺ: «اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان». النووي في شرح مسلم [١/١٤١]، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) كذا بالأصل.

عبيد لمولاهم تعالىٰ وغرهم عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثرايا في ارتفاع مقامهم بهم يرفع الله البلايا عن الورى

وعن بعضهم قال: كنت في جبل (لكام)[١] أطلب الزهاد والعباد، فرأيت رجلا عليه مرقعة جالساً علىٰ حجر مطرقاً إلىٰ الأرض، فقلت له: يا شيخ، ما تصنع هاهنا ؟ قال: أنظر وأرعى، فقلت له: ما أرى بين يديك إلا الحجارة، فتغير لونه، ثم نظر إليّ مغضباً وقال: أنظر خواطر قلبي، وأرعى أوامر ربي، فبحق الذي أظهرك عليّ إلا رحت عني، فقلت له: كلمني بشيء أنتفع به حتىٰ أمضي، فقال: من لزم الباب أثبت من الخدم، ومن أكثر الذنوب أعقبه الندم، ومن استعنى بالله أمن من العدم، ثم تركني ومضى .

وعن بعضهم قال: خرجت في بعض حوائجي، فبينما أنا في فلاة من الأرض، إذا برجل يدور بشجرة شوك، ويأكل من رطبها، فسلمت عليه، فقال: وعليكم السلام، تقدم وكل، فنزلت عن ناقتي، وتقدمت إلىٰ الشجرة، فكلما أخذت منها رطباً عاد شوكا، فتبسم الرجل وقال: هيهات، لو أطعت الله في الخلوات، أطعمك الرطب في الفلوات .

وعن إبراهيم بن أدهم[٢] قال: أتيت بعض البلاد فنزلت في مسجد، فلما كان العشاء الآخرة وصلينا، أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس وقال: قم فاخرج حتىٰ أغلق الباب، فقلت: أنا رجل غريب ههنا، وذكر حكاية الزبال بطولها ـ وقد ذكرت في طبقات الصوفية فراجعها .

وحكي أن رجلا تعلق بامرأة ببغداد، فأبت تمكينه وكل من جاء ليخلصها منه طعنه بسكين، وكان شديداً، فمر عليه بشر[٣] ودنا منه، وحك كتفه بكتفه، فوقع علىٰ الأرض وهدأت المرأة، ومضى بشر، فدنا الناس من الرجل، فإذا هو يرشح عرقاً كثيراً، فسألوه عن حاله، فقال: حكَّ كتفي شيخ، وقال: إن الله ناظر إليك، وإلى عملك وما تعمل، فأصغيت لقوله وهبته، ولا أدري من هو، فقيل: إنه بشر

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) قال ابن منده بسنده عن يونس بن سليمان البلخي: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه شريفا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة، بينما إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد وهو علىٰ فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته ، ورفض الدنيا . تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١ - ١٧٠].

(٣) بشر هو الحافي، يأتي الكلام عنه .

الحافي[١]، فحمَّ وقال: واسوأتاه، كيف ينظر إليَّ بعد اليوم، فحمّ من يومه ومات يوم سابعه .

وعن عبد الواحد بن زيد قال: سألت الله ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة، فقيل له: رفيقتك فيها ميمونة السوداء، قلت: وأين هي ؟ فقيل لي: في بني فلان بالكوفة، فخرجت إليها وسألت عنها، فقالوا: هي مجنونة ترعى غنيمات، فقلت: أريد أن أراها، قالوا: اخرج إلىٰ الجبال، فخرجت، فإذا هي قائمة تصلي، فإذا بين يديها عكاز، وعليها جبة صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشترى، وإذا الغنم مع الذئاب، فلا الذئاب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف الذئاب، فلما رأتني أوجزت في صلاتها، ثم قالت: ارجع يا ابن زيد، ليس الموعد هاهنا، إنما الموعد ثَمَّ، فقلت لها: من أعلمك بي ؟!!فقالت: أما علمت أن « الأرواح جنود مجندة »[٢] الحديث .

فقلت لها: عظيني، فقالت: واعجباً لواعظ يوعَظ، إنه بلغني أنه ما من عبد أعطى من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حُب الخلوة معه، وأبدله بعد القرب بعداً، وبعد الأنس وحشة، ثم أنشأت تقول:

يا واعظاً قام لاحتساب ... يرجو توباً من الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقاً ... هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أوتبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب
تنهى عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالمريب

فقلت لها: إني أرى هذه الذئاب مع الغنم متفقة، فأي شيء هذا ؟ قالت: إني أصلحت ما بيني وبينه فأصلحهم .

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي البغدادي الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، كان عديم النظير، زهداً وورعاً وصلاحاً، كثير الحديث، إلا أنه كان يكره الرواية ويخاف من شهوة النفس في ذلك، حتىٰ إنه دفن كتبه، وقال أبو بكر المروزي: سمعت بشراً يقول: الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ - ٢٣٠] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ١٦٢]، ومسلم في صحيحه [١٥٩، ١٦٠] في البر والصلة، وأبو داود في سننه [٤٨٣٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٩٥، ٥٢٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٣٢٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ١٩٨، ٤/ ٦٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [٢/ ٣٢٩، ٤/ ٣٥١]، والبخاري في الأدب المفرد [٩٠٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٠٣، ٥٠٠٤]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٧٤، ٦/ ١٨١] .

مجلس في التقوى

وهي مجانبة ما يبعد عن الله بالحذر منه، ومن حققها هون علىٰ قلبه الإعراض عن الدنيا، وزال الاعتراض .

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ (1) .

أي واجب تقواه، فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولا تأخذه فيه لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو علىٰ أبيه وابنه .

وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (2) .

وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى، أي بالغوا في التقوى، فلا تتركوا من المستطاع منها شيئاً .

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ (3) .

أي قاصداً إلىٰ الحق .

وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (4) .

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (5) .

وقال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٩﴾ (6) .

وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (7) .

وقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ (8) .

---

(1) سورة آل عمران [١٠٢] .
قال ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن مسعود ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلىٰ أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغَابُن: ١٦] وقال ابن عباس: لم تنسخ ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢] أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو علىٰ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . انظر تفسير ابن كثير [١/ ٣٨٧، ٣٨٨] .

(2) سورة التغابن [١٦] .

(3) سورة الأحزاب [٧٠]

(4) سورة البقرة [٢٤] .

(5) سورة آل عمران [١٣٣] .

(6) سورة آل عمران [١٧٩] .

(7) سورة آل عمران [١٨٦] .

(8) سورة النساء [١] .

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(١).

وقال: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

وقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٣).

وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٤).

وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٥).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٦).

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(٧).

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾(٨) الآية.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٩) الآية.

أي نصراً وظهوراً وانتشار صيت، أو مخرجا من الشبهات، وتوفيقا، أو مرتقاً علىٰ أهل الأديان وفضلا في الدنيا والآخرة.

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١٠).

وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١١).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١٢).

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١٣).

وقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾(١٤).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾(١٥).

وقال: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾(١٦).

وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾(١٧).

---

(١) سورة البقرة [١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٣].
(٢) سورة النساء [١٢٨].
(٣) سورة النساء [١٣١].
(٤) سورة المائدة [٢].
(٥) سورة المائدة [٢٧].
(٦) سورة المائدة [٣٥].
(٧) سورة الأنفال [١].
(٨) سورة الأنفال [٢٥].
(٩) سورة الأنفال [٢٩].
(١٠) سورة التوبة [٤، ٧].
(١١) سورة التوبة [١٢٣].
(١٢) سورة التوبة [١١٩].
(١٣) سورة يوسف [٩٠].
(١٤) سورة النحل [٢].
(١٥) سورة النحل [١٢٨].
(١٦) سورة مريم [٦٣].
(١٧) سورة مريم [٧٢].

وقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾(١).

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٢).

وقال: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(٤).

وقال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٥).

وقال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾(٦).

وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٧).

وقال: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾(٨).

وقال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا﴾(٩).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾(١٠).

وقال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾(١١).

وقال: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(١٢).

وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾(١٣).

وقال: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١٤).

وقال: ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ﴾(١٥).

وقال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾(١٦).

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٧).

وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١٨).

---

(١) سورة مريم [٨٥].
(٢) سورة البقرة [١٨٧].
(٣) سورة الحج [٣٢].
(٤) سورة الحج [٣٧].
(٥) سورة يونس [٣١].
(٦) سورة الشعراء [١٨٤].
(٧) سورة التوبة [١٢٣].
(٨) سورة فصلت [١٨].
(٩) سورة لقمان [٣٣].
(١٠) سورة الأحزاب [١].
(١١) سورة الزمر [١٠].
(١٢) سورة الزمر [١٦].
(١٣) سورة الزمر [٦١].
(١٤) سورة الزخرف [٣٥].
(١٥) سورة الزخرف [٦٧]، [٦٨].
(١٦) سورة محمد [٣٦].
(١٧) سورة الحجرات [١].
(١٨) سورة الحجرات [١٣].

وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾(١).

وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾(٢).

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(٤) الآية.

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾(٥).

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾(٦).

أي من غموم الدنيا والآخرة، ومن شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن أهوال القيامة، وهي آية لو أخذ الناس بها لكفتهم، كما ورد في الحديث .

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾(٧).

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٨).

وقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٩).

وقال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾(١٠).

وقال: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾(١١).

وقال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾(١٢).

وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾(١٣).

وقال: ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾(١٤).

وأما الأحاديث فنذكر منها خمسة :

أولها: عن أبي هريرة قال: " قيل: يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال: « أتقاهم » قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله » قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فعن معادن العرب

---

(١) سورة النجم [٣٢] .
(٢) سورة الحديد [٢٨] .
(٣) سورة المائدة [٩٦] .
(٤) سورة الحشر [١٨] .
(٥) سورة المائدة [٨٨] .
(٦) سورة الطلاق [٢] .
(٧) سورة الطلاق [٥] .
(٨) سورة المائدة [١٠٠] .
(٩) سورة البقرة [٢٧٨] .
(١٠) سورة نوح [٣] .
(١١) سورة المزمل [١٧] .
(١٢) سورة المدثر [٥٦] .
(١٣) سورة الليل [١٧] .
(١٤) سورة العلق [١٢] .

تسألوني ؟ خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » "[١] متفق عليه .

وأتقى: أفعل تفضيل، وهو صريح في التفاوت في درجاته، فتقوى العامة من الشرك والعدل من المعاصي، والصالحين من الشبهات، والمريدين من الشهوات، والخواص من التوسل بالأعمال، والأولياء مما سوى الحق، والأنبياء منه إليه.

وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢].

وصح أنه ﷺ قال: « الحسب المال والكرم التقوى »[٣].

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: « إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[٤] رواه مسلم .

الحديث الثالث: عن ابن مسعود مرفوعاً: كان يقول: « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى »[٥] رواه مسلم أيضاً .

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٨٣] كتاب أحاديث الأنبياء، [١٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يُوسُف: ٧] ، ومسلم [١٦٨ ـ (٢٣٧٨)] كتاب الفضائل، [٤٤] باب من فضائل يوسف ـ عليه السلام - قال النووي: قال العلماء: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف ﷺ مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب، وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين، ثم قال: قال العلماء: لما سئل ﷺ أي الناس أكرم ؟ أخبر بأكمل الكرم وأعمه فقال: « أتقاهم لله » وقد ذكرنا أن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقياً كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العليا في الآخرة، فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « يوسف » الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما، فلما قالوا: ليس عن هذا نسأل، فهم عنهم أن مرادهم قبائل العرب، قال: « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».
النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١٠] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) سورة الحجرات [١٣] .

(٣) أخرجه الترمذي [٣٢٧١] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحجرات، وابن ماجه في الزهد، باب الورع والتقوى رقم [٤٢١٨، ٤٢١٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ١٣٦]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٦٣، ٤/ ٣٢٥]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣٥٢] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٢٧٤٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، والترمذي في سننه [٢١٩١]، وابن ماجه [٤٠٠٠]، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٦٤]، والبيهقي في سننه [٧/ ٣٦٩] .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٢ ـ (٢٧٢١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والترمذي في سننه [٣٤٨٩] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده [١/ ٤١٦، ٤٣٤، =

الرابع: عن عدي بن حاتم مرفوعا: « من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى »[(١)] رواه مسلم أيضا . وليتحلل يمينه مرجحاً ما هو أتقى لله، كما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[(٢)] الآية .

الخامس: عن أبي أمامة مرفوعاً: « اتقوا الله وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم »[(٣)] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح .

فالجنة من ثمرات التقوى وفوائدها، وناهيك بذلك عظماً وفخراً .

وصح أنه ﷺ قال: « لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي »[(٤)] .

وقال: « المسجد بيت كل تقي »[(٥)] .

فصل فيما أعده الله للمتقين

وكان من حقنا أن نختم به الكتاب، لكنا ذكرناه هنا مسارعة للثواب .

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٨] الآية، وما أبدعها من آية، وأجمعها للإيمان والإسلام، وهذا الجزاء العظيم من أنواع الخدم والمستلذات الشهية، والمناظر البهية مع الدوام، فالكم والكيف لا يوصف .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا﴾ إلى قوله:

= ٤٣٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/ ٢٠٨] .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥ ـ (١٦٥١)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢١١، ٢١٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٥١، ٥٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ١٨٣] .

(٢) سورة البقرة [٢٢٤] .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [٥/ ٢٥١، ٢٦٢]، والحاكم في مستدركه [١/ ٩، ٣٨٩، ٤٧٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٨١، ٢٠٥]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦/ ١٩١]، وابن حبان في صحيحه [٧٩٥ - الموارد]، والبخاري في التاريخ الكبير [٤/ ٣٢٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٧٦]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٨٦٧] .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده [٣/ ٣٨]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٢٨]، والدارمي في سننه [٢/ ١٠٣]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٢٨].

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٣١٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢/ ٢٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٢٠]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ٢٨٧، ٤١١]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢١٦] ، والألباني في السلسلة الصحيحة [٧١٦] .

﴿بِمُخْرَجِينَ﴾[(١)] .

وما أحسن هذه الدار ؛ معقل السلامة من كل آفة وعرض .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[(٢)] إلىٰ آخر السورة .

فيا لها من ملابس وأزواج، ومزوج جليل .

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[(٣)] الآية .

وروينا من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد، كما تلهمون النفس »[(٤)] أخرجه مسلم .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً قال: « قال الله ـ تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] »[(٥)] وأخرجاه، ولا أبلغ منه .

وروينا من حديثه أيضاً مرفوعا: « أول زمرة يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم علىٰ أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة (الأنجوج)[(٦)] عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، علىٰ خلق رجل واحد، علىٰ صورة أبيهم آدم ؛ ستون ذراعاً في السماء»[(٧)] أخرجاه .

---

(١) سورة الحجر [٤٥ - ٤٨] . والآيات ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ .

(٢) سورة الدخان [٥١] . (٣) سورة المطففين [٢٢] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩ ـ (٢٨٣٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٧] باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، والترمذي في سننه [٢٥٦٣]، وأبو داود في السنة، باب [٢٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٦٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٠] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٤] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [٢ - (٢٨٢٤)] كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، في مقدمته، وأحمد في مسنده [٢/٤٣٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٢١، ٥٥٧]، والحميدي في مسنده [١١٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/٥٦٨، ١٠/ ٥٣٥] .

(٦) كذا بالأصل، والألوة: في النهاية: الألوة هو العود الذي يتبخر به العود الهندي .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٥، ٣٢٤٦] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [١٥، ١٦] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٦] باب أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والترمذي في سننه [٢٥٢٢] ، وابن =

وفي رواية لهما « آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد, يسبحون الله بكرة وعشياً »[١].

وروينا من حديث المغيرة مرفوعاً: « سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: رجل يجيء بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف، وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلكِ ملْك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله[٢] فقال في الخامسة: رضيت يا رب، فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك، فيقول: رضيت يا رب، قال: رب فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر علىٰ قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله ـ عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية » أخرجه مسلم[٣].

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ؛ رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله ـ تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا

= ماجه في سننه [٤٣٣٣]، والحاكم في المستدرك [٣/٢٢٨]، وابن المبارك في الزهد [٥٤٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٥] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٨٣٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٧] باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً، وقال النووي: مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعماً دائماً لا آخر له ولا انقطاع أبداً. النووي في شرح مسلم [١٧/١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال النووي: في رواية: « فيقول الله ـ تعالىٰ: أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها » وفي الرواية الأخرى « أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملك من ملوك الدنيا، فيقول رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله »، قال النووي: المراد بالأولى أن يقال له أولاً: لك الدنيا ومثلها ثم يزاد علىٰ تمام عشرة أمثالها كما بينه في الرواية الأخيرة، وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلىٰ جميع الأرض، بل يملك بعضاً منها، ثم منهم من يكثر البعض الذي يملكه، ومنهم من يقل بعضه فيعطي هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات، وذلك كله قدر الدنيا كلها، ثم يقال: لك عشرة أمثال هذا فيعود معنى هذه الرواية إلىٰ موافقة الروايات المتقدمة، ولله الحمد وهو أعلم. النووي في شرح مسلم [٣/٣٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١٢ ـ (١٨٩)] كتاب الإيمان، [٨٤] باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

رب وجدتها ملأى، فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي ـ أو أتضحك بي ـ وأنت الملك؟!! ـ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه[1] - قال: فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[2] أخرجاه، وما ألذه وأطربه !!

وروينا من حديث أبي موسى مرفوعاً: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»[3] أخرجاه، وما ألذه وأطربه.

وروينا من حديث أبى سعيد الخدري مرفوعاً: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة لا يقطعها»[4].

وعنه مرفوعا:[5] «أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» أخرجاه.

---

(١) قال أبو العباس ثعلب وجماهير العلماء من أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: المراد بالنواجذ هنا الأنياب، وقيل المراد هنا الضواحك، وقيل المراد بها الأضراس، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة، ولكن الصواب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٧١] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٣٠٨ ـ (١٨٦)] كتاب الإيمان، [٨٣] باب آخر أهل النار خروجاً.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٣] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٨٣٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٩] باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/١١٦، ٥١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦١٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٥٣] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم [٨ ـ (٢٨٢٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١] باب أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وابن ماجه [٤٣٣٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/٥١٩، ٥٢٠]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٣٠]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٨٧٦، ٢٠٨٧٧].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٥٦] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم [١١ ـ (٢٨٣١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٣] باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب الدري في السماء.

وروينا من حديث أبي هريرة أيضاً: « لقاب قوس من الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب »[١] أخرجاه .

وروينا من حديث أنس مرفوعاً: « إن في الجنة لسوقاً يأتوها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً »[٢] أخرجه مسلم .

وما أحسن هذه البضاعة المربحة .

وروينا من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء »[٣] أخرجاه، وما أعلاها من منزل وأطيبها للنازل !!

وروينا عنه قال: " شهدت مع النبي ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتىٰ انتهى، ثم قال في آخر حديثه: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ "

رواه البخاري[٤]، وما أعظم ذلك وأنفسه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٥٣] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وابن ماجه في سننه، في كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، والترمذي في سننه [١٦٥١] كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وأحمد في مسنده [٢/ ١٥٧، ٣/ ١٥٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٦٨، ٤/ ٥٣٢]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٥٤٢] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣ ـ (٢٨٣٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٥] باب في سوق الجنة، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٤٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦١٨]، والشجري في أماليه [٢/ ١١٣]، والخطيب في تاريخ بغداد [١/ ٢٢٦] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٥٥] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٨٣٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٣] باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، والترمذي في سننه [٢٥٥٦] كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٤٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٩٦، ٢٠٦] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٢٤٤] كتاب بدء الخلق، [٨] باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، وبلفظه في مسلم [٥ ـ (٢٨٢٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في مقدمته، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٣٤]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٤١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ١٩٠، ٢٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٥٨] .

وروينا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ،وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً » أخرجه مسلم[١].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تمن، فيتمنى ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت ؟ فيقول: نعم، فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه » أخرجه مسلم[٢].

ومن حديث أبي سعيد مرفوعاً: « إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟!! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك ؟!! فيقول: أُحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » أخرجاه[٣].

وما ألذ هذا الخطاب الشفاهي، وأعظم هذا الإفضال .

روينا من حديث جرير قال: " كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر وقال: « إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر، لا تضاهون في رؤيته » "[٤] أخرجاه، وما ألذه !!

وروينا من حديث صهيب مرفوعاً: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢ ـ (٢٨٣٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٨] باب في دوام نعيم أهل الجنة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠١ ـ (١٨٢)] كتاب الإيمان، [٨١] باب معرفة طريق الرؤية، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٧]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ١٧٠] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٤٩] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٨٢٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها، [٢] باب إحلال الرضوان علىٰ أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، والترمذي [٢٥٥٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٨، ٣٤٢]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٦٤٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١/ ١٤٥]، [٦/ ١٧٣]، ومسلم في صحيحه [٢١١ ـ (٦٣٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٣٧] باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، والحاكم في المستدرك [١/ ٨٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٣٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٦٤٧ - الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧].

ـ تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم »[١] أخرجه مسلم .

ولنختم ذلك بحكايات لائقة به

الأولى: عن بعض الصالحين أنه عبد الله أربعين سنة، فلما كان في بعض الليالي أخذته دالة علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ فقال: إلهي، أرني ما أعددت لي في الجنة، وما أعددت لي من الحور الحسان، فما استتم الكلام حتىٰ انشق المحراب، وخرجت منه حورية لو خرجت إلىٰ الدنيا لفتنتها، فقال لها: إنسية أنت ؟!! فأنشأت تقول :

شكوت إلىٰ المولى وقد علم الشكوى وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى

وأرسلني إنساً إليك وإنني أناجيك طول الليل لو تسمع الشكوى

فقال: يا جارية لمن أنت ؟ فقالت: أنا لك، فقال: كم لي مثلك حوراء ؟ قالت: مائة حوراء، ولكل حوراء مائة خادمة، ولكل خادمة مائة وصيف، ولكل وصيف مائة قهرمانة، ففرح وقال: يا حوراء، هل أعطي أحد أكثر مني ؟ قالت: يا مسكين عطاؤك عطاء البطالين الذين يقولون: أستغفر الله، فيغفر لهم، ثم يستغفرون فيغفر لهم[٢] .

ثم أنشأت تقول :

وله خصائص مصطفون لحبه اختارهم في سالف الأزمان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩٧ ـ (١٨١)] كتاب الإيمان، [٨٠] باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ـ سبحانه وتعالى- والحاكم في المستدرك [١/ ٨٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٦٤٧ – الموارد]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٥٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٣٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٥٦].

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله ـ تعالىٰ ـ ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضاً علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله ـ تعالىٰ ـ دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله ـ تعالىٰ ـ لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً . وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح . النووي في شرح مسلم [٣/ ١٤] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٩ – (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: « أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال ـ تبارك وتعالى -: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي . . . » الحديث .

اختارهم من قبل فطرة خلقه ... فهم ودائع حكمة وبيان

وأنشدت أيضاً :

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم ... فتتابعوا وتناهموا الأعلاما

فيا حسنهم في ظل عرش مليكهم ... كل يقود من النجيب زماناً

حتى إذا صاروا بحضرة قدسه ... كشف المليك حجابه إكراماً

فهم الملوك العارفون بربهم ... والدائبون ببابه خدَّاماً

من ذاك ياقوت وزاهي جوهر ... يلقون نوراً يسكنون خياماً

ومع الحسان الحور عين لو بدت ... ليلاً[1] أنارت بالجمال ظلاماً

لعطرت كل الوجود وزخرفت ... ولمات كلٌّ بالجمال غراما

يا حسنها بين الحواري عندما ... تمشي لتلقى قادمين كراما

يُجزون غرفات بها فوق المنا ... وتحية يلقونها وسلاماً

حكاية ثانية: عن بعض عباد عبادان قال: ملح الماء عندنا نيفاً وستين سنة، وكان عندنا رجل من أهل الساحل له قصر، ولم يكن بقي في الصهاريج شيء، وحضرت المغرب، فهبطت لأتوضأ من ذلك البئر، وذلك في شهر رمضان في حر شديد، فإذا به يقول: يا سيدي أرضيت عني حتىٰ أُثني عليك ؟ أرضيت عني حتىٰ أسألك سيدي غسالة الحمام لمن عصاك كثيرا ؟ سيدي لولا أني أخاف غضبك لم أذق الماء، ثم أخذ بكفه وشرب شرابا صالحاً، فتعجبت من صبره علىٰ ملوحته، ثم أخذت من الموضع الذي أخذ منه، فإذا هو مثل السكر، فشربت حتىٰ رويت، قال: وأخبرني أنه رأى في المنام كأن قائلاً يقول: قد فرغنا من بناء دارك، فلو رأيتها قرت عيناك، وقد أمرنا بتجديدها والفراغ منها إلىٰ سبعة أيام، واسمها دار السرور، فأبشر بخير، فلما كان السابع، وهو يوم الجمعة بكر للوضوء، فنزل في النهر فزلق فغرق، فأخرجناه بعد الصلاة ودفناه، فرأيته في المنام بعد ثلاثة أيام وعليه حلل خضر، فسألته عن حاله، فقال: أنزلني الكريم في دار السرور، فماذا أعد لي فيها !! فقلت له: صفه لي، فقال: هيهات، يعجز الواصفون عن وصف ما فيها، فليت عيالي يعلمن أنه قد هيئ لهم منازل معي، فيها ما اشتهت أنفسهم، نعم وإخواني وأنت منهم .

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٥٦٨] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، عن أنس، وفي آخره « ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلىٰ الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها » .

ولريحانة شعر:

بوجهك لا تعذبني فإني أؤمل أن أفوز بخير دار
وأنت مجاور الأبرار فيها فيا طوبى في ذا الجوار

ثالثة: عن بعض السلف قال: بينما عيسى ﷺ يسيح في بعض البلاد بالشام، واشتد به المطر والرعد والبرق، فجعل يطلب كُنًا، فرفعت له خيمة من بعيد، فأتاها فإذا هو بامرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل، فأتاه، فإذا في الكهف سبع، فوضع يده عليه ثم قال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى، ولم تجعل لي مأوى، فأجابه الجليل: مأواك عندي في مستقر رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام؛ يوم فيها كعمر الدنيا، ولآمرن منادياً ينادي: أين الزهاد في الدنيا، احضروا عرس عيسى ابن مريم.

رابعة: قال أحمد الخلاسي: كانت لي أم صالحة، فقالت لي يوماً وقد عضنا الفقر والحال: يا بني إلىٰ متى نكون في هذه الشدة، فلما كان وقت السحر[١] قلت: اللهم إن كان لي عندك في الآخرة شيء، فعجل لي منه إلىٰ الدنيا، فرأيت نوراً في زاوية البيت (المعمور)[٢]، فقمت إلىٰ البيت فرأيت رجل سرير من ذهب مرصَّع بالجوهر، فقلت لها: خذي، وخرجت إلىٰ الجانع أُحدث نفسي، إلىٰ من أدفعه من أصحاب الجوهر، وكيف العمل به؟ فلما رجعت قالت لي: يا بني، اجعلني في حل، فإنك لما خرجت نمت، فرأيت كأني دخلت الجنة، فرأيت قصراً علىٰ بابه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا لأبي أحمد الخلاسي، قلت: هذا لابني؟ قال لي قائل: نعم، فدخلت ودرت في بيوته، فرأيت في بيت منها أسرَّة، بينهم سرير مكبوب، فقلت: ما أسمح هذا السرير من بين الأسرّة، فقال لي قائل: أنت أخذت رجله، فقلت: ردوها إلىٰ موضعها، فانتبهت وقد غابت عني، ولله الحمد.

خامسها: عن سفيان: أن أصحابه كلموه لما رأوا ما هو عليه من شدة الخوف، وكثرة المجاهدة والجهد، فقالوا له: يا شيخ، لو نقصت عن هذه المجاهدة التي نراها بك؛ نلت مقصودك ومرادك إن شاء الله، فقلت لهم: كيف لا أجتهد كل الاجتهاد، وقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم، فيتجلى لهم نور عظيم تضيء له الجنان الثمان من شدة ضيائه وحسن بهائه، فيظنون أن ذلك نور من قبل الرحمن، فيخرون ساجدين، فينادي مناد: ارفعوا رؤوسكم، ليس الذي تظنون، إنما هو نور

---

(١) السَّحر: آخر الليل قبيل الفجر، جمعها: أسحار.
(٢) كذا بالأصل.

حورية تبسمت في وجه زوجها، فظهر من تبسمها هذا النور، فليس يا إخوتي يلام من اجتهد في طلب الحور الحسان، فكيف لمن طلب المولى الرحمن ؟!! ثم أنشأ يقول :

ما ضر من كانت الفردوس[١] منزله ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار

تراه يمشي نحيلاً خائفاً وجلا ... إلى المساجد يسعى بين أطماري

سادسة: قال بعض الصالحين: رأيت سفيان الثوري بعد موته في المنام، فقلت له: كيف حالك يا سفيان ؟ فأنشأ يقول :

نظرت إلىٰ ربي عيانا فقال لي ... هنيئاً رضاي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قوَّاماً إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أي قصر تريده ... وزدني فإني عنك غير بعيد

سابعة: عن بعض أصحاب الإمام أحمد قال: لما مات أحمد رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيته، فقلت له: يا أخي، أي مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام، قلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب، وقال لي: هذا جزاؤ قولك القرآن كلام الله مُنزَّل غير مخلوق[٢]، وقال: يا أحمد قم حيث شئت، فدخلت الجنة، فإذا بسفيان الثوري له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلىٰ نخلة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[٣] الآية، فقلت: له: إيش خبر عبد الرزاق[٤] ؟ قال: تركته في بحر من النور، يراد به الملك

---

(١) قال مجاهد: الفردوس هو البستان بالرومية، وقال كعب والسدي والضحاك: هو البستان الذي فيه شجر الأعناب، وقال أبو أمامة: الفردوس سرة الجنة، وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وفي الصحيحين: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة». تفسير ابن كثير [٣/ ١١١].

(٢) ما زال المسلمون على قانون السلف من أن القرآن كلام الله ـ تعالىٰ ـ ووحيه وتنزيله غير مخلوق حتىٰ نبتت المعتزلة والجهمية فقالوا بخلق القرآن، متسترين بذلك في دولة الرشيد، ثم إن المأمون نظر في الكلام وباعث المعتزلة، وبقى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في دعاء الناس إلىٰ القول بخلق القرآن إلىٰ أن قوي عزمه علىٰ ذلك في السنة التي مات فيها، ثم كان ما كان من أمر الإمام أحمد ابن حنبل من صموده ضد من قال ذلك إلىٰ أن رفع الله هذه المحنة في عهد المتوكل.

(٣) سورة الزمر [٧٤].

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميدي مولاهم الصنعاني الإمام اليماني، ثقة، حافظ، مصنف شهير، عمي في آخره فتغير، وكان يتشيع، توفي سنة [٢١١] وله [٨٥] سنة. ترجمته: تهذيب التهذيب [٦/ ٣١٠]، تقريب التهذيب [١/ ٥٠٥]، الكاشف [٢/ ١٩٤]، تاريخ البخاري =

الغفور، فقلت: ما فعل بشر بن الحارث ؟ فقال: بخ بخ، ومن مثل بشر !![١] تركته بين يدي الجليل ـ سبحانه ـ وهو مقبل عليه، وهو يقول: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم .

الثامنة: قال بعضهم: رأيت معروفاً الكرخي في النوم، كأنه تحت العرش، والجليل يقول لملائكته: من هذا ؟ قالوا: أنت أعلم يا رب، قال: هذا معروف الكرخي ؛ سكر من حبي، فلم يفق إلا بلقائي .

التاسعة: قال الربيع بن سليمان[٢]: رأيت الشافعي في النوم بعد وفاته فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: أجلسني علىٰ كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب .

شاردة: قال ذو النون المصري: بينما أنا في بعض البراري إذا بشاب (كما خط)[٣] عارضاه، فلما رآني ارتعد واصفرّ لونه، وولى هاربا، فقلت له: إنسي أم جني ؟ قال: إنسي مثلك، فقلت: لم تهرب ؟!! فقال: وهل الهرب إلا من مثلك ؟ قال: فلحقته، وأقسمت عليه أن يقف لي، فوقف، فقلت له: أراك في هذه البرية وحدك، ما معك أنيس، أما تفزع ؟ فقال: بلى ؛ إن معي أنيساً، فقلت: أين هو ؟ فقال: عن يميني وشمالي وأمامي وخلفي، فقلت له: ما معك زاد ؟ قال: بلى، فقلت: لا بد لك من شيء تستعين به علىٰ قيام الليل وصيام النهار، وخدمة العليم العلام، وأكثرت عليه، فولى وهو يقول:

وليّ الله لا تؤويه دار ... ويكره أن يكون له عقار
يفر من القفار إلىٰ جبال ... فتبكي حين تفقده القفار

= الكبير [٢/ ٣٢٠]، الجرح والتعديل [٦/ ٢٠٤]، ميزان الاعتدال [٢/ ٦٠٩]، سير الأعلام [٩/ ٥٦٣]، الثقات [٨/ ٤١٢]، البداية والنهاية [١٠/ ٢٦٥، ٣٢٦] .

(١) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء أبو نصر المروزي ثم البغدادي الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، وهو ابن عم علي بن خشرم المحدث، سمع إبراهيم بن سعد وحماد بن زيد وأبا الأحوص وشريكاً ومالكاً والفضيل بن عياش، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وخالد بن عبد الله الطحان والمعافي بن عمران وعبد الله بن المبارك وغيرهم، وعنه: أحمد الدورقي ومحمد بن يوسف الجوهري، ومحمد بن المثنى السمسار وسري السقطي وعمر بن موسى الجلاد وإبراهيم ابن هانئ وخلق غيرهم . تاريخ الإسلام، وفيات [١٢١ ـ ٢٣٠] .

(٢) الربيع بن سليمان الجيزي أبو محمد الأزدي مولاهم الأعرج، سمع ابن وهب والشافعي وإسحاق بن بكر وعبد الله بن يوسف، وعنه: أبو داود والنسائي وأبو بكر بن أبي داود وأبو جعفر الطحاوي وجماعة، وكان حسن الحديث صدوقاً، توفي سنة [٢٥٦] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠] .

(٣) كذا بالأصل .

صبوروا في قيام الليل جدا وصوَّاما إذا طلع النهار
يقول لنفسه جدّي وكدّي فما في خدمة الرحمن عار
يناجي ربه والدمع جار إلهي إن قلبي مستطار
إلهي ما مناي منك داراً من الياقوت تسكنها الحوار
ولا جنات عدن يا إلهي ولا شجر تزينه الثمار
ولكن وجهك الباقي مناي به فامنن ففي ذاك الفخار

مجلس في اليقين والتوكل

وحقيقته الاعتماد علىٰ الله لشهوده تفرده بالتدبير والتأثير، وأن لا حول ولا قوة إلا به، ويترتب عليه التفويض دون الإضاعة، وخلع الأسباب دون إسقاطها، والثقة بالله دون الغرة به عجزاً وحمقاً، والسكون إلىٰ الله دون مساكنة السبب، ومناولة الرضا بالقدر[1]، والاتصاف بذلك كله حالاً وذوقاً، ودعاء الاستخارة[2] جامع لوظائف المتوكل الثلاث، وهي: العلم، والحال، والعمل، فليحتفل به.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[3].

فلما رأوا الوقائع قوي إيمانهم، وأناطت الدوافع.

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[4] الآية.

فلما سمعوا التهويل زادهم، وألهجهم بالحسبلة والتسليم، فعقب ذلك الجميل.

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[5].

---

(١) مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قدر الأشياء في القدر وعلم ـ سبحانه ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ سبحانه وتعالى ـ وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها ـ سبحانه وتعالى – وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقدرها ولم يتقدم علمه ـ سبحانه وتعالى ـ بها، وأنها مستأنفة العلم، أي إنما يعلمها ـ سبحانه وتعالى ـ بعد وقوعها، وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. النووي في شرح مسلم [١/١٣٨]. طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) دعاء الاستخارة رواه البخاري [١١٦٢، ٦٣٨٢] وفيه عن جابر قال: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به» قال: ويسمي حاجته".

(٣) سورة الأحزاب [٢٢].

(٤) سورة آل عمران [١٧٣].

(٥) سورة الفرقان [٥٨].

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١] أي لا يتوكلون علىٰ غيره.

وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢].

وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٣] فأُمر به.

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤].

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٥] أي كافيه.

وقال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٦] فالتوكل شأنهم.

وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٧].

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[٨].

وقال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٩].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾[١٠].

وقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[١١].

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[١٢].

وقال: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٣].

وقال: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾[١٤] الآية.

وقال: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[١٥].

وأما الأحاديث فكثيرة، نذكر منها أحد عشر حديثاً:

أولها: حديث ابن عباس: « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب » قيل: ومن هم؟ قال: « الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلىٰ ربهم

---

(١) سورة آل عمران [١٦٠]، المائدة [١١]، التوبة [٥١].
(٢) سورة المائدة [٢٣].
(٣) سورة آل عمران [١٥٩].
(٤) سورة آل عمران [١٥٩].
(٥) سورة الطلاق [٣].
(٦) سورة الأنفال [٢]، النحل [٤٢]، العنكبوت [٥٩].
(٧) سورة الأنفال [٤٩].
(٨) سورة يونس [٨٤، ٨٥].
(٩) سورة يوسف [٦٧].
(١٠) سورة الشعراء [٢١٧].
(١١) سورة النمل [٧٩]،
(١٢) سورة الأحزاب [٣].
(١٣) سورة الزمر [٣٨].
(١٤) سورة الممتحنة [٤].
(١٥) سورة المزمل [٩].

يتوكلون »[١] أخرجاه.

ثانيها: حديثه أيضاً: أنه ـ عليه السلام ـ كان يقول: « اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون »[٢] أخرجاه أيضاً.

ثالثها: حديث جابر في الأعرابي الذي اخترط[٣] السيف، وقال: من يمنعك مني؟ قال: « الله »، زاد الإسماعيلي في صحيحه: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: « ومن يمنعك مني؟ » فقال: كن خير آخذ، قال: « تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » فقال: لا، ولكني أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس.[٤]

رابعها: حديث ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل .رواه البخاري[٥].

وفي رواية له: إنها آخر كلمة قالها إبراهيم حين ألقي في النار.[٦].

خامسها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « يدخل الجنة من أمتي أقوام أفئدتهم مثل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٤١] كتاب الرقاق، [٥٠] باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم في صحيحه [٣٧١ ـ (٢١٨)] كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٨٥] كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ومسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٧١٧)] كتاب الذكر والدعاء، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٢، ٣٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢]، والطبراني في المعجم الكبير [١١/ ٤٣، ٤٥، ٥١].

(٣) اخترط السيف: استله من غمده.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده [٣/ ٣٦٥]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٠٥]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [٤٢٦/٧].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٦٣] كتاب تفسير القرآن، [١٣] باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] الآية، وأحمد في مسنده [١/ ٣٢٦]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ١٢٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٠١، ٥/ ٣٣٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ٨٦]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [١٠٧٩].

(٦) أخرجه البخاري [٤٥٦٤] كتاب تفسير القرآن، [١٣] باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] الآية.

أفئدة الطير»[١] رواه مسلم .

قيل معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رقيقة، فشبّه فؤاد المتوكل بأفئدة الطير، لخلوها من الاهتمام بالرزق، ومحله القلب .

سادسها : حديث عمر مرفوعاً: « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ؛ تغدوا خماصاً[٢] وتروح بطانا » . رواه الترمذي[٣] وحسنه .

ومعناه تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وتروح بطاناً أي ترجع مليئة البطون.

سابعها : حديث البراء مرفوعاً: « إذا أويت إلىٰ فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت ليلتك مت علىٰ الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً »[٤] أخرجاه، وفي رواية لهما: « واجعلهما آخر ما تقول».

ثامنها : حديث الصديق ﵁: " نظرت إلىٰ أقدام المشركين، ونحن في الغار، وهم علىٰ رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » أخرجاه[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٨٤٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١١] باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٣١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٦٢٥]، والقرطبي في تفسيره [١٣/ ١١٥] .

(٢) خمص الجوع فلاناً خمصاً وخموصاً: أدخل بطنه في جوفه، وخمُصَ بطنُهُ خمصاً: خلا وضمر.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٤٤] كتاب الزهد، باب التوكل علىٰ الله، وأحمد في مسنده [١/ ٣٠]، وابن المبارك في الزهد [١٩٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٩٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٢٣٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٣٨٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٣١٠] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣١٣] كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا نام، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٧١٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه [١٤٤٨]، وابن ماجه في سننه [١٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرىٰ [٢/ ١٩٧، ١٩٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٩، ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٨٦] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٥٣] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢] باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٢٣٨١)] كتاب فضائل الصحابة، [١] باب من فضائل أبي بكر الصديق ﵁، وأحمد في مسنده [١/ ٤]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٣٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٦٨] .

تاسعها: حديث أم سلمة: أنه ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله توكلت علىٰ الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضَلَّ، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليَّ»[١] رواه أبو داود والترمذي وصححه .

عاشرها: حديث أنس مرفوعاً: « من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيت ووُقيت، وتنحى عنه الشيطان » رواه أبو داود والترمذي وصححه .[٢]

وفي أبي داود: « فيقول ـ يعني الشيطان ـ لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟».

الحادي عشر: حديثه أيضاً قال: « كان أخوان علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي رسول الله ﷺ، والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلىٰ الرسول ﷺ فقال: «لعلك ترزق به »[٣] رواه الترمذي بإسناد علىٰ شرط مسلم .

ولنذكر من الحكايات ما يليق بهذا الموطن :

الأولىٰ: عن عبد الواحد بن زيد قال: كنا في مركب، فطرحتنا الريح إلىٰ جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً، فقلنا له: من تعبد ؟ فأومأ إليه، فقلنا: إن إلهك هذا مصنوع، عندنا من يصنع مثله، ما هذا بإله يُعبد، فقال: أنتم من تعبدون ؟ قلنا: نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأرض بطشه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه، تقدست أسماؤه، وجلت عظمته وكبرياؤه، قال: وما علمكم بهذا ؟ قلنا: وَجَّه إلينا الملك رسولا كريماً فأخبرنا بذلك، قال: فما فعل الرسول ؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الملك إليه، واختار له ما لديه، قال: فهل ترك عندكم من علامة؟ قلنا: نعم ؛ ترك عندنا كتاب الملك، قال: فأروني كتابه، فإنه ينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً، فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة، فلم يزل يبكي حتىٰ ختمناها، فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم وحسن إسلامه، وعلمناه شرائع الدين وسوراً من القرآن، فلما كان الليل صلينا العشاء،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٤، ٥٠٩٥] ، والترمذي [٣٤٢٧]، وابن ماجه [٣٨٨٥]، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٠٦، ٣١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٥١]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٨١، ٥١٩] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٥]، والترمذي [٣٤٢٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٢٥١]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ٣٢٦].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٤٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ٩٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٠٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٩٧] .

وأخذنا مضاجعنا، فقال: يا قوم هذا الملك الذي دللتموني عليه ينام إذا جنَّهُ الليل ؟ قلنا: لا، هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، قال: فبئس العبيد أنتم ؛ تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان، قلت لأصحابي: هذا قريب العهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذا، لا إله إلا الله، دللتموني علىٰ طريق لم تسلكوها، إذا كنت في جزيرة من جزائر البحر أعبد صنما من دونه، فلم يضيعني، وأنا لا أعرفه، أفيضيعني الآن وأنا أعرفه ؟!! فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي: إنه في الموت فأتيته، فقلت له: هل لك من حاجة ؟ قال: قد قضى حوائجي من جاء بكم إلىٰ الجزيرة، فغلبتني عيني، فرأيت روضة خضراء بها قبة، وفي القبة سرير وعليه جارية حسناء لم يُر أحسن منها، وهي تقول: بالله إلا ما عجلتم به إليّ، فقد اشتد شوقي إليه، فاستيقظت فإذا به قد فارق الدنيا، فغسلته وكفنته وواريته في التراب، فلما كان الليل رأيته في منامي في تلك القبة، وهو إلىٰ جانب الجارية، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرّعد: ٢٣] الآية .

الثانية: قال عبد الله بن أبي نوح: لقيت رجلا من العبَّاد في بعض الجزائر منفرداً، فقلت: يا أخي ما تصنع هنا وحدك، أما تستوحش ؟ فقال: الوحشة في غير هذا الموضع أعم، قلت: كم أنت هاهنا ؟ قال: منذ ثلاثين سنة، قلت: من أين المطعم ؟ قال: من عند المنعم، قلت: فما هنا بالقرب منك شيء تعول عليه إذا احتجت إلىٰ المطعم، ورجعت إليه ؟ قال: ما همك بما قد كفيته، وضُمن لك ؟ قلت: أخبرني بأمرك ؟ قال: ما لي أمر غير ما ترى ؛ أظل في هذا الليل، وهذا النهار متوكلا علىٰ من لا تأخذه سنة ولا نوم، ثم صاح صيحة أفزعتني فوثبت، وسقط مغشياً عليه، فتركته علىٰ تلك الحالة ومضيت، رحمه الله تعالىٰ، ونفعنا به .

وأنشدوا في هذا المعنى :

حقيقة العبد عندي في توكله ... سكوت أحشائه عن كل مطلوب

وإن تراه لكل الخلق مُطَّرحاً ... يصون أسراره عن كل محبوب

الثالثة: حكى الأصمعي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي علىٰ قعود متقلداً سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: من الرجل ؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي ؟ قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت ؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم، قال: اتل عليَّ شيئاً منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، فابتدأت سورة والذاريات، حتىٰ انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١] قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن ـ عز وجل ؟ قلت: إي والذي بعث محمداً ﷺ للخلق، إنه لكلام الرحمن، أنزله علىٰ نبيه محمد ﷺ فقال: حسبك، ثم قام إلىٰ راحلته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعني علىٰ تفريقها، ففرقناها علىٰ من أقبل وأدبر، ثم عمد إلىٰ سيفه وقوسه فكسرها، وجعلهما تحت الرمل، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢] فأقبلت علىٰ نفسي باللوم وقلت: لم لا تنتبهي لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا طائف بالكعبة، إذا هتف بي هاتف بصوت رقيق، فالتفت فإذا بالأعرابي نحيل مصفار، فسلم عليّ، وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة والذاريات، فلما انتهيت إلىٰ قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريَات: ٢٢] صاح الأعرابي، وقال: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وغير هذا، قلت: نعم ؛ يقول الله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣] فصاح الأعرابي: من أغضب الجليل حتىٰ حلف، ألم يصدقوه حتىٰ ألجأوه إلىٰ اليمين ؟!! قالها ثلاثا، فخرجت نفسه ـ رحمه الله تعالىٰ .

الرابعة: عن بشر الحافي ـ رحمه الله ـ أنه جاء نفر فسلموا عليه، فقال: من أنتم ؟ قالوا: نحن من الشام، جئنا نسلم عليك، ونريد الحج، فقال: شكر الله لكم، فقالوا: نخرج معك لنحج في صحبتك، فأبى، فألحوا عليه، فقال: إذا عزمتم علىٰ ذلك فيكون بثلاثة شروط، قالوا: وما تلك الشروط ؟ قال: لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحداً شيئاً، وإن أعطينا لا نقبل، قالوا: لا نستطيع ذلك، فقال: كأنكم خرجتم من بيوتكم متوكلين علىٰ مزاود الحجاج، لا متوكلين علىٰ الله، دعوني وحالي، وروحوا إلىٰ أشغالكم، ثم قال: أحسن الفقر ثلاثة: فقير لا يسأل، وإن أعطي لا يأخذ، فذاك من الروحانيين، أو قال: مع الروحانيين، وفقير يسأل وإن أعطي لا يأخذ، قيل قدر الكفاية، فكفايته صدقة، وفقير لا يسأل، وإن أعطي قبل فذاك من الذين يوضع لهم موائد في حضرة القدس .

فائدة: قيل: دخل جماعة علىٰ أبي القاسم الجنيد[٤] ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فقالوا

---

(١) سورة الذاريات [٢٢] . (٢) سورة الذاريات [٢٢] .

(٣) سورة الذاريات [٢٣] .

(٤) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل كان أبوه قواريرياً يعني زجاجاً، وكان هو خزازاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه ـ رحمة الله عليه ـ ولد ببغداد بعد [٢٢٠] فيما أحسب أو قبلها، وتفقه علىٰ أبي ثور، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، وتوفي سنة [٢٩٨] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٩١ - ٣٠٠] .

له: نطلب أرزاقنا ؟ فقال: إن علمتم أين هي فاطلبوها، فقالوا: نسأل الله ذلك، فقال: إن علمتم أنه ينساكم فاذكروه، فقالوا ندخل بيوتنا ونتوكل، فقال: التجربة مع الله شك، قالوا: فما الحيلة ؟ قال: ترك الحيلة .

الخامسة: عن بعضهم قال: رأيت فتى في طريق مكة يتبختر في مشيته، كأنه في صحن داره، فقلت له: ما هذه المشية ؟ فقال: مشية الفتيان ؛ خُدَّام الرحمن.

وأنشدوا :

أتيه بك افتخاراً غير أني ... أتيه من المهابة عند ذكرك

ولو أني قدر لمُت شوقاً ... وإجلالا لأجل عظيم قدرك

فقلت: أين زادك وراحلتك ؟ فنظر إليّ منكراً لقولي، ثم قال: يا هذا رأيت عبداً ضعيفاً قصد مولى كريماً، ثم حمل إلىٰ بيته طعاما، أيجمل به ذلك لو فعل ذلك لأمر الخدَّام بطرده عن بابه ؛ إن المولى ـ جلّت قدرته ـ لما دعاني إلىٰ المقصد إليه، رزقني حُسن التوكل عليه، ثم غاب عني، فما رأيته بعد ذلك رحمة الله عليه .

السادسة: حكي أن عابداً اعتكف في مسجد، ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان خيراً لك وأفضل، فلم يجبه حتىٰ أعاد عليه القول ثلاثاً، فقال له في الرابعة: بجوار المسجد رجل يهودي قد ضمن لي في كل يوم رغيفين، فقال: إن كان صادقاً في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك، فقال: ياهذا، لو لم تكن إماما بين الله ـ تعالىٰ ـ وبين عباده مع هذا النقص في التوحيد لكان خيراً لك ؛ تفضل ضمان اليهودي علىٰ ضمان الله ﷻ وأنشدوا في هذا المعنى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لتطلب رزق الله من عند غيره ... وتصبح من خوف العواقب آمناً

وترضى بصراف وإن كان مشركا ... ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

السابعة: عن علي بن عبدان ـ رحمه الله ـ قال: كان عندنا مجنون يُجنُّ بالنهار، ويفيق بالليل، ويصلي وينادي ربه إلىٰ الصباح، فقلت له يوماً: منذ كم جننت ؟ قال: مذ عرفته، ثم أنشد يقول :

أنا الذي ألبسني سيدي ... لما تعريت لباس الوداد

فصرت لا آوي إلىٰ مؤنس ... إلا إلىٰ مالك رزق العباد

قال: فخرجت فإذا به ذاهب العقل، فدخل وقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[1]، فقلت: إنه جائع، فقدمت له طعاما، فأكل ثم شرب، فأنشأ يقول:

(١) سورة الكهف [٦٢] .

عليك اتكالي لا على الناس كلهم وأنت بحالي عالم ليس تعلم
وأقسمت أني كلما جعت سيدي ستفتح لي باباً فأُسقى وأطعم

فقلت له: أوصني بوصية، فأنشأ يقول:

الزم الخوف مع الحزن وتقوى الله تربح
واترك الدنيا جميعاً إن تقوى الله أرجح
واجتهد في ظلمة الليل[1] إذا ما الليل أجنح
واقرع الباب إليه فلعل الباب يفتح

الثامنة: قال بنان الحمال ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: كنت في طريق مكة ومعي زاد، فجاءتني امرأة وقالت: يا بنان أنت حمال تحمل علىٰ ظهرك، وتظن أنه لا يرزقك؟ قال: فرميت بزادي، ثم أتى عليّ ثلاثة أيام لم آكل، فوجدت خلخالا في الطريق، فقلت في نفسي: أحمله حتىٰ تأتي صاحبته، فربما تعطيني شيئاً، فإذا بتلك المرأة فقالت: أنت تاجر تقول: حتىٰ تجيء صاحبته، وآخذ منها شيئاً، ثم رمت إليّ بشيء من الدراهم وقالت: انفقها، فاكتفيت بها إلىٰ قريب مصر.

وأنشدوا:

كم من قوي قوى في تقلبه مميز الرأي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه كأنه من ملح البحر يغترف
هذا دليل علىٰ أن الإله له في الخلق سرٌّ خفي ليس ينكشف

التاسعة: حكي عن الشيخ أبي يعقوب البصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: جُعت مرة في الحرم عشرة أيام، فوجدت ضعفاً، فحدثتني نفسي أن أخرج إلىٰ الوادي، لعلي أجد شيئاً يسكن به ضعفي، فخرجت فإذا سلجمة مطروحة فأخذتها، فوجدت منها في قلبي وحشة، وكأن قائلا يقول لي: جعت عشرة أيام فآخره يكون حظك سلجمة[2] مطروحة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد، فقعدت فإذا برجل جاء فجلس بين يدي، فوضع قمطرة وقال: هذا لك، فقلت: كيف خصصتني بها؟ قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام، فأشرفت السفينة علىٰ الغرق، فنذر كل

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٦٦ ـ (٧٥٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٣] باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه، إياه وذلك كل ليلة ».

(٢) السَّلجم: اللّفت، واحدته سلجمة.

واحد منا نذراً إن خلصنا الله أن نتصدق بها أول من يقع بصري عليه من المجاورين، وأنت أول من لقيته، قلت: افتحها، فإذا فيها كعك من سميد[١] مصر، وقلب لوز وسكر، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا، وقلت: رد الباقي إلىٰ صبيانك هدية مني إليهم، وقد قبلتها، ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك منذ عشرة أيام، وأنت تطلبه من الوادي ؟!!

وأنشدوا :

لقد علمت وما الإشراف من خلقي ... إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبه ... ولو قعدت أتاني لا يعنيني

العاشرة: حكي أن عابدا من عباد الحرم كان يأتيه رجل كل ليلة بقرصين يفطر عليهما ولا يشتغل بغير الله ﷻ فقالت له نفسه: سكنت في القوت إلىٰ هذا المخلوق، ونسيت رازق المخلوقين، ما هذه الغفلة !! فلما أتاه الرجل بالقرصين ردهما عليه، وانصرف عنه، وبقي الفقير ثلاثة أيام لم يفتح عليه بشيء من القوت، فشكى ذلك إلىٰ ربه ﷻ فرأى تلك الليلة في النوم أنه واقف بين يدي الله تعالىٰ، فقال: يا عبدي، لم رددت ما أرسلت به إليك مع عبدي ؟ فقال: يا رب، لما قام في نفسي من السكون إلىٰ غيرك، فقال: يا عبدي، فمن أرسله إليك؟ قال: أنت يا رب، قال: وكنت تأخذ من مَنْ ؟ قال: منك، قال: خذ ولا تعد، ثم رأى الرجل المتصدق كأنه واقف بين يدي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقال له: يا عبدي، لم منعت عبدي قوته ؟ قال: يا رب قد علمت ذلك، قال: يا عبدي، أنت لمن تعطي ؟ قال: لك يا رب، قال: فأجري الفقير علىٰ عادته وأبقه علىٰ عادتك، وثوابك الجنة .

وأنشدوا :

وكل جميل أو جمال فجوده ... وصنعته عن حكمة ذات إتقان

فلا نعمة إلا ومن عنده أتت ... إليك وإن جاءتك من عند إنسان

الحادية عشر: عن إبراهيم بن بشار[٢] - رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ في سفره وليس معنا شيء نفطر عليه، ولا لنا حيلة،

---

(١) السّميد: السميذ، وهو لباب الدقيق .

(٢) إبراهيم بن بشار الخراساني الصوفي، صاحب إبراهيم بن أدهم طال عمره، وبقي إلىٰ بعد الثلاثين ومائتين، روي عن إبراهيم بن أدهم وحماد بن زيد والفضيل بن عياض، روى عنه: أحمد بن عون البزوري، وإبراهيم بن نصر المنصوري، وأبو العباس السراج، وذكره ابن حبان في الثقات، قال الدارقطني: تأخرت وفاته . انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠] .

قال: فرآني الشيخ مغتماً حزيناً فقال: يا ابن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة ؛ لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج، ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، إنما يُسأل ويُحاسب عن هذا هؤلاء المساكين ـ يعني الأغنياء ـ قال: إن الأغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة[1]، أعزة في الدنيا أذلة في الآخرة، لا تغتم ولا تحزن ؛ فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك والأغنياء ؛ تعجلنا الراحة في الدنيا والآخرة، ولا نبالي علىٰ أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله تعالىٰ، ثم قام إلىٰ صلاته، وقمت إلىٰ صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة، وإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فوضعه بين أيدينا وقال: كلوا رحمكم الله . فسلم إبراهيم من صلاته وقال: كل يا مغموم يا حزين، فمر بنا سائل فقال: أطعموني شيئاً لوجه الله ـ تعالىٰ ـ فأعطاه إبراهيم ثلاثة أرغفة وتمراً، وأعطاني ثلاثة أرغفة وتمراً، وأكل هو رغيفين وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين ـ رحمهم الله .

الثانية عشرة: عن الشيخ أبي الحسن الديلمي ـ رحمه الله ـ قال: وصف لي إنسان أسود بأنطاكية يتكلم علىٰ القلوب فقصدته، فلما رأيته أبصرت معه شيئا من المباحات يريد بيعه، فساومته وقلت: بكم هذا ؟ فنظر إليّ ثم قال: اقعد حتىٰ أبيعه وأعطيك شيئاً من ثمنه ؛ فإنك جائع منذ يومين، قال: وكنت جائعا منذ يومين . فتغافلت كأني لم أسمع ما قال، وذهبت عنه وساومت غيره، ثم عدت إليه وقلت: بكم هذا ؟ فنظر إليّ وقال: اقعد فإنك جائع منذ يومين، حتىٰ إذا بعنا أعطيناك شيئاً، قال: فوقع في قلبي منه هيبة، فلما باع أعطاني شيئاً، ومضى فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئاً بقوله، فالتفت إليّ وقال: إذا عرضت لك حاجة فاتركها لله إلا أن يكون لنفسك فيها حظ، فتحجب عن الله، ومن علم أن الله كافيه[2] لا يستوحش

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٥٤٦] كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، عن عمران بن الحصين، عن النبي ﷺ قال: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »، وروى أحمد في مسنده [٢/ ٢٩٦، ٤٥١]: « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » .

(٢) روى الترمذي [٢٥١٦] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، عن ابن عباس قال: " كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » " .

من إعراض الخلق عنه، ولا بإقبال الخلق عليه، ثقة بأن الذي قُسم له لا يفوته، وإن أعرضوا عنه، والذي لم يقسم له لا يصل إليه، وإن أقبلوا عليه .

الثالثة عشر: عن بعض الشيوخ قال: دخلت أنا وعشرة نفر في جبل ركام، فسرنا فيه، فإذا نحن بواد علىٰ حافتيه أشجار مثمرة فيها من كل لون من الثمر، فرأينا من بعيد علىٰ شاطئ النهر كُركيًّا[1] قائما، فقربنا منه، فإذا هو مطموس العينين، فبقينا نتعجب من أمره، فبينما نحن قيام إذ أقبلت نحلة سوداء خلفها نحل كثير، فلما وصلت إلىٰ الكركي دنت منه ففتح منقاره، فوضعت النحلة فيه عسلا، فلم يزل النحل يدخل واحدة بعد واحدة، ويصبنّ العسل في فيه حتىٰ لم يبقى منه شيء، فامتلأ فمه عسلاً فأطبق عليه منقاره فسقط منه شيء من العسل وأخذته وأكلته وانصرفنا .

الرابعة عشر: قيل: خرج إنسان من أهل الخير يطلب الرزق في وقت حصاد الزرع، فأصابه المطر فآوى إلىٰ كهف فوجد فيه عقاباً أعمى، فبقي متفكراً، من أين يأكل ذلك العقاب ؟!! وإذا بحمامة دخلت الكهف تستكنّ من المطر، فوقعت فوق العقاب، فأمسكها العقاب وأكلها، فرجع ذلك الإنسان إلىٰ مكانه، وتوكل علىٰ الله -عزّ وجلّ- .

الخامسة عشرة: عن بعض الشيوخ قال: خرجت أنا وأبو علي البليدي نريد زيارة أخ من إخواننا، فدخلنا البرية، فأصابنا جوع، فإذا بثعلب يحفر الأرض، ويخرج كمامة منها ويرمي بها إلينا، فأخذنا منها حاجتنا، ثم سرنا، وإذا نحن بسبع عظيم قائم، فلما قربنا منه إذا به أعمى، فوقفنا عليه نتعجب منه، وإذا بغراب معه قطعة لحم كبير، فضرب بجناحه علىٰ أذن السبع ففتح فمه فطرح فيه قطعة اللحم، فقال لي أبو علي: هذه الآية لنا ليست للسبع، فسرنا في تلك البرية أياما، فإذا بكوخ فيها فقصدناه، فإذا فيه عجوز كبيرة ليس عندها شيء، وعلىٰ باب الكوخ حجر منقوب، فسلمنا وجلسنا عندها، فإذا هي مشغولة بعبادة ربها، فلما غابت الشمس خرجت من الكوخ بعد أن صلت المغرب، ومعها رغيفان عليهما قطعة تمر، فقالت: ادخلا الكوخ فخذا ما لكما فيه، فدخلنا، فإذا نحن بأربعة أرغفة وقطعتين تمراً، وما في ذلك الموضع نخل ولا تمر فأكلنا، فلما كان بعد ساعة جاءت سحابة فأمطرت علىٰ الحجر حتىٰ امتلأ، ولم يسقط خارج منه قطرة واحدة، فقلنا لها: كم لك هاهنا ؟

(١) الكركي: طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتر الذنب قليل اللحم، يأوي إلىٰ الماء أحياناً، جمعها: كراكيّ .

قالت: سبعون سنة ؛ حالي مع مولاي في أكلي وشربي كما ترون، فقلنا: هذا الماء علىٰ هذه الحالة كل ليلة ؟ قالت: نعم كل ليلة تجيء هذه السحابة في الصيف والشتاء، وهذان الرغيفان والتمر، ثم قالت: أين تريدان ؟ قالا: أبا نصر السمرقندي نزوره، فقالت: رجل صالح أبا نصر نقّال إلىٰ القوم، فإذا أبو نصر قائم عندنا، فسلم علينا وسلمنا عليه، ثم قالت: إذا أطاع العبد مولاه أطاعه مولاه .

السادسة عشر: عن أبي جعفر الفرغاني ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كنت عند بعض إخواننا من الصوفية بالديثور، فجاء قوم من الأكراد ليشتري لهم متاعاً، ثم قالوا له: لو علمت لمن نشتري هذا المتاع لسارعت إلىٰ شرائه، فقال لهم: حدثوني، فقالوا: نعم، ثم أومأوا إلىٰ رئيس لهم كانوا معه فقالوا: هذا سيد الحي، وكانت له زوجة فولدت له عدة من البنات، فقال لها وهي حامل: إن ولدت بنتاً فأنت طالق، وقُضي أنا رحلنا رحلة للشتاء نريد نحو المراغة ونواحيها، فبينما نحن نسير ذات يوم، إذ ضرب المرأة الطلق فأخذت ماء كأنها تتوضأ، فولدت جارية، فأخذتها ولفتها في خرقة وتركتها عند كهف جبل، وجاءت وأظهرت أن ذلك الحمل إنما كان ريحا وقد أنفش، ثم غبنا عن ذلك الموضع ستة أشهر، ثم رجعنا فنزلنا بذلك المكان، فأخذت المرأة ماء ومضت نحو الكهف الذي تركت الصبية فيه، فلما قربت منه، إذا غزالة قائمة عند الصبية وهي ترضع، فلما نظرتها الغزالة استوحشت وذهبت، وجاءت الأم إلىٰ الصبية، فأخذتها فبكت وشهقت، فوضعتها وتنحت عنها، فرجعت الغزالة، فلم تزل ترضعها وهي ساكنة، فجاءت المرأة إلىٰ الحيّ فأخبرتهم بذلك، فجاءوا بأجمعهم إلىٰ الكهف فرأوا الغزالة ترضع الصبية، فلما أحست بهم تنحت، فبكت الصبية، فأخذها النساء، ولم يزلن يرفقن بها حتىٰ سكنت وأنست بهم، وجاءوا بها إلىٰ الحي، وبقيت الغزالة تنظر من بعيد حتىٰ رحلنا، وهذا المتاع الذي نريد نشتريه جهازها، وقد زوجها أبوها .

السابعة عشر: قال بعض الصالحين: رأيت في سياحتي(١) أعرابية صغيرة السن، فقلت لها: أين تنزلون ؟ قالت: بالبادية، قلت لها: أما تستوحشون ؟ قالت: يا بطال، وهل يستوحش مع الله من أنس به ؟!! فقلت لها: من أين تأكلون ؟ قالت: الله يعلم من أين يرزق عباده ؛ هو سبحانه يرزق من جحده، فكيف لا يرزق من وحّده، ثم قلت: قلوب عاشت بمعرفته، فطاشت بوحدانيته، وتلاشت في محبته، غذاؤهم

(١) ساح فلان في الأرض سياحة: ذهب وسار فهو سائح، وسيّاح، والسائح: المتنقل في البلاد للتنزه أو للاستطلاع والبحث والكشف ونحو ذلك، جمعها: سُيَّاح .

الأنس بالله، والمشاهدة لله، ربانيون روحانيون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون[١] - رحمهم الله جميعا .

الثامنة عشر: حكي عن ملك كرمان أنه خطب ابنة الشيخ شاة الكرماني - رحمه الله - فاستمهله ثلاثة أيام، ثم أقبل شاة يطوف المساجد، فرأى غلاماً يحسن صلاته، فلما فرغ قال: يا غلام ألك زوجة ؟ قال: لا، قال: فهل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصلي وتصوم، وهي جميلة نظيفة ؟ قال: ومن يزوجني ؟ قال شاة: أنا أزوجك، فخذ بدرهم خبزاً، وبدرهم أدماً، وبدرهم طيباً، والأمر مفروغ منه، فعقد عليها، فلما دخلت إلىٰ بيت الغلام رأت رغيفاً يابساً علىٰ رأس جرة، فلما رأت ذلك قالت: ما هذا ؟ قال: رغيف بقي معي من أمس، فتركته لأفطر عليه، فلما سمعت ذلك ولَّت راجعة، فقال الشاب: قد علمت أنك بنت شاة لا تقنعي بفقري، ولا ترضى بي لها بعلاً[٢] فقالت: إن بنت شاة ليس خروجها من منزلك لفقرك، بل لضعف يقينك، ولست أعجب منك؛ إنما أعجب من أبي كيف قال: زوجتك من شاب عفيف ؛ كيف وصف بالعفة من لا يعتمد علىٰ الله - تعالىٰ - إلا مع ادخار رغيف، فقال الشاب: أنا عن هذا معتذر، فقالت: أما العذر فأنت أعرف بشأنك، وأما أنا فلا أقيم في بيت فيه رغيف ولا معلوم، فإما أن أخرج أنا وإما أن يخرج الرغيف من البيت، فتصدق الشاب بالرغيف .

وأنشدوا :

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء علىٰ الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

التاسعة عشر: روي أن عطاء الأزرق دفعت إليه امرأته درهمين وقالت له: اشتر لنا دقيقاً، فخرج إلىٰ السوق فرأى مملوكاً يبكي فقال: لم تبكي؟ فقال: إن مولاي دفع لي

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت].

(٢) روى الترمذي في سننه [١٠٨٤] كتاب النكاح، باب ما جاء «إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه»، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »، وفي رواية عن أبي حاتم المزني رقم [١٠٨٥] " قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه ؟ قال: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات " وفي اختيار الزوجة الصالحة روى الترمذي عن جابر [١٠٨٦] أن النبي ﷺ قال: « إن المرأة تنكح علىٰ دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك »، وقال أبو عيسى: حسن صحيح .

درهمين أشتري بهما شيئاً فسقطا مني، وأخاف أن يضربني، فدفع إليه عطاء الدرهمين ومضى يصلي إلىٰ وقت المساء، وانتظر شيئاً يفتح عليه، فلم يفتح له بشيء، فقعد علىٰ دكان صديق له نجار، فقال له: خذ من هذه النشارة لعلكم تحتاجون إليها تحمون بها التنور[١] فليس لي شيء أواسيك به، وأخذ ذلك في جرابه ورجع إلىٰ بيته، وفتح الباب وطرح الجراب في البيت ومضى إلىٰ المسجد فصلى فيه العشاء، وقعد حتىٰ مضى شيء من الليل رجاء أن ينام أهله لئلا يخاصموه، ثم جاء إلىٰ البيت فوجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم الدقيق، قالت: من الذي حملته من الجراب، ولا تعد تشتري لنا إلا من عند الذي اشتريت منه هذا الدقيق، فقال: أفعل إن شاء الله ـ تعالىٰ .

العشرون: حكي أن حبيباً العجمي كان له زوجة سيئة الخلق، فقالت له يوماً: إذا لم يفتح عليك بشيء فأجّر نفسك، فخرج إلىٰ الجبّانة وصلى العشاء، ثم أتى بيته خجلا من توبيخها، مشغول القلب من شرها، فقالت: أين أُجرتك ؟ فقال لها: الذي استأجرني كريم ؛ استحييت من استعجاله، فمكث كذلك أياما يصلي في الجبانة إلىٰ الليل، وتقول له: أين أجرتك، فيقول لها: استأجرني كريم فخفت من استعجاله، فلما طال عليها الحال قالت له: اطلب أجرتك من هذا، أو أجّر نفسك من غيره، فوعدها أن يطلب الأجرة، وخرج إلىٰ عادته، فلما أمسى الليل عاد إلىٰ منزله خائفاً منها، فرأى في بيته دخاناً، ومائدة منصوبة وزوجته مستبشرة فرحة، فقالت: لقد بعث لنا الذي استأجرك ما يبعث الكرام، وقال رسوله لي: قل لحبيب يجد في العمل ويعلم أنّا لم نؤخر أجرته بخلا بها، ولا عدما فيقر عيناً ويطيب قلباً، ثم أرته أكياساً مملوءة دنانير، فبكى حبيب وقال لزوجته: هذه الأجرة من كريم، هذه خزائن السماوات والأرض.[٢]

فلما رأت ذلك تابت إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وأقسمت أنا لا تعود إلىٰ ما تابت عنه .

الحادية بعد العشرين: حكي أن إبراهيم الخواص ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كان لي وقت، وحرت مرة، فكنت أخرج كل يوم إلىٰ نهر كبير كان حوله خوص، فكنت أقطع شيئا من الخوص وأعمله قفافاً وأطرحه في ذلك النهر وأتسلى بذلك، وكأني كنت مطالباً به، فجرى وقتي علىٰ ذلك أياماً كثيرة، ففكرت يوماً وقلت: أمضي خلف ما أطرحه من القفاف في الماء لأنظر أين يذهب، فمشيت علىٰ شاطئ النهر ساعة ولم

---

(١) التَّنور: الفرن يخبز فيه، جمعها تنانير .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧] .

أعمل ذلك اليوم شيئاً، فإذا عجوز قاعدة علىٰ شاطئ النهر تبكي، فقلت لها: ما لك تبكين ؟ فقالت: لي خمسة من الأيتام، مات أبوهم، وأصابتني فاقة وشدة بعده، فأتيت هذا الماء يوماً، فجاء علىٰ رأس الماء قفاف من الخوص، فأخذتها وبعتها وأنفقتها عليهم، وأتيت اليوم الثاني والثالث والقفاف تجيء علىٰ رأس الماء، فكنت آخذها وأبيعها، واليوم ما جاءت، قال إبراهيم: فرفعت يدي إلىٰ السماء وقلت: اللهم لو علمت أن لك خمسة من العيال لزدت في العمل، ثم قلت للعجوز: لا تغتمي، فأنا الذي كنت أعمل ذلك، ثم مضيت معها ورأيت موضعها، وكانت فقيرة، فقمت بأمرها وأمر عيالها سنين، أو كما قال .

الثانية بعد العشرين: حكي عن بعض الفقراء قال: كنت يوماً متفكراً في نفقة العيال، فاشتغل قلبي ساعة، فنمت لأستريح، فرأيت في منامي كأني في جزيرة في وسط بحر، فقلت: من أين يصل إليّ ما آكل وما أشرب في هذا المكان ؟ فهتف بي هاتف وقال لي: يا هذا لو كان رزقك خلف سبعة أبحر لأتاك، فانتبهت مسروراً، وزال عني ما كنت أجد، وبعد ذلك جاءتني رسالة علىٰ يد بعض الأصحاب من رجل لم يخطر لي ببال، فقلت: صدق الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

وحكى سيدي الشيخ الإمام عبد الله اليافعي قال: كنا جماعة في بعض الأسفار، جمعت بيننا في الطريق الأقدار، فمررنا في بعض الأيام بقرية فنزلنا فيها، وأرسل للجماعة حتىٰ دخلوها إلا واحداً منهم، فاستعار بُرمة فعصدوا فيها عصيدة وأكلوها إلا واحداً ؛ فإنه غاب عنها ولم ينادوه يأكل معهم منها ومعه قليل من الدقيق لم يجد من يصنعه له من معروف أو صديق، فخرج يدور بدقيقه بين البيوت ليجد من يصنع له ذلك القوت، فبينما هو كذلك يدور، وإذا هو بشخص ضعيف مضرور جمعت القدرة بينهما بواسطة اللطف الخفي من غير وعد، ونادى لسان حال الحكمة الإلهية، هذا رزق هذا الضعيف، ورزقك يأتي بعد، فدفع إليه رزقه ورجع إلىٰ رفقته بلا غذاء، فبينما هو غائب عن علم الغيب، وإذا باللطف الخفي قد بدا .

قيض الله إنساناً دعاه من بين الجماعة فأطعمه ثريداً ولحماً وسمناً في تلك الساعة حتىٰ شبع وقوي علىٰ المشي الكثير، فسبحان الكريم اللطيف الخبير، أيتها النفس الهلوعة الضعيفة اليقين، أما تصدقين، ويحك بوعد الحق المبين ؟ أما تتيقن، ويلك بضمان خير ضمين ؟ أما توقني بقول أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو

---

(١) سورة الطلاق [٢، ٣] .

ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[(١)].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(٢)].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[(٣)].

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(٤)].

ثم أتبع ذلك بقسم عظيم، أقسم به رب العالمين، مع أن قوله حق، ووعده صدق، لا يحتاج إلىٰ يمين، فقال عز من قائل: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[(٥)].

أما تعلمين أن وعده الوفي، ولطفه الخفي قد ضُمن للعباد في جميع البلاد، بسط أيادي الجود في جميع الموجود، وساق مطايا الأرزاق من خزائن رحمة الرزاق، القدر السابق في القدم بسوط القدرة، وقادها بزمام اللطف والكرم، حتىٰ دخلت في باب الأسماء من بعد ما خرجت من باب العدم، وسارت في الوجود إلىٰ أن وصلت إلىٰ سرادقات عالم التقريب والتمكين، فبركت في مبارك البركات بالمواهب الجليلة من المقامات العلية، فحط عنها تحف الفوائد، وطرف العوائد الجميلة، ثم حمل تلك الطرف والتحف خُدَّام القدرة، ودخل بها إلىٰ حضرة أهل الحضرة، فناولوا بتلك المواهب أعز المواهب من المقامات العالية، والمعارف الغالية، خصّهم بها المولى الكريم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[(٦)].

وأنشدوا في المعنى :

---

(١) سورة الذاريات [٥٨] .
معنى الآية أنه - تبارك وتعالى - خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم؛ فهو خالقهم ورازقهم . وروي أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يعني « قال الله تعالىٰ: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك » تفسير ابن كثير [٤/٢٣٨].

(٢) سورة هود [٦] .

(٣) سورة سبأ [٣٩] .

(٤) سورة الذاريات [٢٢] .

(٥) سورة الذاريات [٢٣] . يقسم - تعالىٰ - بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ ﷺ إذا حدث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا . تفسير ابن كثير [٤/ ٢٣٥] .

(٦) سورة الحديد [٢١] .

=

تبارك من عم الوجود بجوده ... ومن منه يفيض الفضل للخلق يغمر
ومن خص أهل القرب صفوة خلقه ... بفضل عظيم وصفه ليس يحضر
فللقوم أعلام الولايات أُعلمت ... بمحمد وخلعات الكرامات تزهر

وحكي أنه خرج بعض المريدين في طلب الرزق، فسعى حتىٰ تعب، فوجد خربة فجلس يستريح فيها، فبينما هو يتصفح الجدران، فنظر في بعضها لوحاً من رخام أخضر مكتوب فيه بخط أبيض هذه الأبيات:

لما رأيتك جالسا مستقبلا ... أيقنت أنك للهموم قرين
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ... ولعل ما ترجوه سوف يكون
يسعى الحريص فلا ينال بحرصه ... حظاً ويحظى عاجز ومهين
فارفض لها وتعرَّ من أثوابها ... إن كان عندك للقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقاً ... فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

قال: فقرأها ورجع إلىٰ منزله، ولم يهتم في الرزق بعدها ـ رحمه الله تعالىٰ.

= أي هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنّه عليهم وإحسانه إليهم، وروي في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم، قال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق، قال: «أفلا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال: فرجعوا فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

مجلس في الاستقامة

وهي لزوم الطاعة، وهي من جوامع الكلم ونظام الأمور .

قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[1]

أي من إخلاص وصدق قولا وعملا واعتقاداً .

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2] الآية .

وبشارة الملائكة لهم، إما عند الموت أو في القبر أو المحشر، أو كل موطن بما لا يحيط به الوصف .

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[3]

وثبت في صحيح مسلم من حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: « قل آمنت بالله ثم استقم »[4].

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله » قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »[5].

---

(١) سورة هود [١١٢]
يأمر تعالىٰ رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام علىٰ الاستقامة، وذلك من أكبر العون علىٰ النصر علىٰ الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهي عن الطغيان وهو البغي، فإنه مصرعه حتىٰ ولو كان علىٰ مشرك، وأعلم ـ تعالىٰ ـ أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء .
تفسير ابن كثير [٢/ ٤٧٢، ٤٧٣] .

(٢) سورة فصلت [٣٠] . (٣) سورة الأحقاف [١٣] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٣٨)] كتاب الإيمان، [١٣] باب جامع أوصاف الإسلام، وأحمد في مسنده [٣/ ٤١٣، ٤/ ٣٨٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٥٠، ١٠/ ٢٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٧٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٢٢٠، ٥/ ٣٦٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥]، والبخاري في التاريخ الكبير [٥/ ١٠٠]، والخطيب في تاريخ بغداد [٢/ ٣٧٠، ٩/ ٤٥٤] .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٦ ـ (٢٨١٦)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٧] باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله ـ تعالىٰ . وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٤، ٣١٩، ٣٤٤]، =

والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والسداد: الاستقامة والإصابة، ويتغمدني: يلبسني ويسترني .

شعر :

يا ويح من ضل سبيل الهدى وفاته منك بلوغ المرام
ومن أتى حصنك آوتيه فركنه في عزة لا يضام
كم صالح قد صف أقدامه نفى الليل يبكي بالدموع السجام
وما له حظ سوى أنه أشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب سعياً وما نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى ونال في عقباه أعلى مقام
يا أيها اللوام كفوا فمن دليله حيرة لا يلام
من لم يكن الوصف أهلا فما يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الإقدام لا تقتدى فانتبهوا من نومكم يا نيام
يا أيها المذنب قم واعتذر وتب من الذنب وكسب الآثام
إلى متى أنت ترى غاديا ورائحا في اللهو طوع الغرام
أنب إلىٰ الله وتب واستقم من قبل أن تشرب كأس الحمام
وإن تجف قبح ذنوب مضت فلذ بخير الخلق مولى الأنام

= والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٦٩]، والترمذي [٣١٦٨]، وابن ماجه [٤٢٠١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٢٣٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٣٤٣]، وذكره الحافظ في الفتح [١١/ ٣٩١].

قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله ـ تعالىٰ ـ لا يجب عليه شيء ـ تعالىٰ الله ـ بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ؛ فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر - وخبره صدق - أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه، أما المعتزلة، فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم ـ تعالىٰ الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع ـ وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٣١، ١٣٢] طبعة دار الكتب العلمية .

محمد المختار من هاشم أفضل من حج ولبى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت طلائع الصبح وولى الظلام

غيره

تعطف بفضل منك يا مالك الورى فأنت ملاذي سيدي ومعيني
لئن أبعدتني عن حماك خطيئتي فإن رجائي شافعي ويقيني

مجلس في التفكير

في عظيم المخلوقات وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها، وتقصير النفس وتهذيبها وحملها علىٰ الاستقامة.

وحاصله تلمس البصيرة لاستدراك البغية، وتمرنه العلم والعمل.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[1].

أي فتزول عنكم رقدة الغفلة، وورطة الفترة.

وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[3] الآية.

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4] الآية.

والآيات كثيرة.

ومن الأحاديث:

الحديث السالف: «الكيس من دان نفسه»[5] أي ناظراً في صلاحها وفسادها،

---

(١) سورة سبأ [٤٦].
يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين أنك مجنون ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي إنما آمركم بواحدة وهي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي تقوموا قياماً خالصاً لله عَزَّ وَجَلَّ من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سَبَإ: ٤٦] أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك. تفسير ابن كثير [٣/ ٥٦٠].

(٢) سورة آل عمران [١٩٠ - ١٩١].

(٣) سورة الغاشية [١٧].

(٤) سورة يوسف [١٠٩]، الحج [٤٦]، غافر [٨٢].

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٥٩] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٣٨، ٣٤١]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٤]، ٨/ ٤٢٨، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٣٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٨٩]، والمنذري في =

وطالباً تزكيتها .

وفي صحيح البخاري في قصة العنبر: وإن ضلعها كذا، وأكل منها كذا وكذا .

وفي جامع الترمذي من حديث العباس وقال: حسن غريب، في السحابة وأنها المزن والعنان أيضاً . ثم قالﷺ: « أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض ؟ » قالوا: لا، قال: « فإن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث سبعون سنة، والسماء التي فوقها كذلك » حتىٰ عدهن سبع سماوات كذلك . ثم قال: « فوق السابعة بحر ما بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلىٰ سماء، وفوق ذلك ثمانية أعوال ما بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلىٰ سماء، والله ـ تعالىٰ ـ فوق ذلك »[1].

وقد حكى ابن عباس في حملة العرش ما يهيم، وقد ساقه البغوي وغيره في تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾[2] وإن ما بين كعب أحدهم إلىٰ أسفل قدمه مسيرة خمسمائة عام .

ويحكى أن أقدامهم في تخوم الأرض، والأرضون والسماوات إلىٰ حجزتهم وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت .

وقال ابن أبي عروبة: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم تحت العرش .

ويروى أن ملكا من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه بمسيرة سبعمائة عام .

= الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٦٧]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٩٦] .

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٣٢٠] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحاقة، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في الجهمية، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠٦، ٢/ ٣٧٠]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٢١٧] .

(٢) سورة غافر [٧] .
يخبر تعالىٰ عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي يتقربون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح . تفسير ابن كثير [٤/ ٧١] .

مجلس في المبادرة إلى الخيرات

وحثَّ من توجه إلىٰ الخير إلىٰ الإقبال عليه بالجد من غير تردد .

قال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(١) أي لتنالوا الدرجات والمنازل العاليات .

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾(٢) الآية

أما الأحاديث فثمانية :

أحدها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا »(٣) رواه مسلم .

ثانيها: حديث عقبة بن الحارث: أنه ﷺ صلى العصر ثم قام مسرعاً فرأى أنهم عجبوا من سرعته، قال: « ذكرت شيئاً من تبر كان عندنا من الصدقة، فكرهت أن أُبيته، فأمرت بقسمته »(٤) رواه البخاري.

ثالثها: حديث جابر قال: " قال رجل لرسول الله ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قُتلت فأين أنا؟ قال: « في الجنة » فألقى تمرات كُنَّ في يده ثم قاتل حتىٰ قتل " أخرجاه(٥).

---

(١) سورة البقرة [١٤٨] .

(٢) سورة آل عمران [١٣٣] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨٦ ـ (١١٨)] كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، والترمذي في سننه [٢١٩٥] كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٤، ٥٢٣]، وابن حبان في صحيحه [١٨٦٨ - الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٨٨٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٨]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٥٠] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٠] كتاب الزكاة، [٢١] باب المنان بما أعطى، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٣٤٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٩٨]، وذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٣٥٤] .

(٥) أخرجه البخاري [٤٠٤٦] كتاب المغازي، [١٧] باب غزوة أحد، ومسلم في صحيحه [١٤٣ ـ (١٨٩٩)] كتاب الإمارة، [٤١] باب ثبوت الجنة للشهيد، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣، ٩٩]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٩٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩٣٧]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٥٦٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٦١]، =

وهذا من باب ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] .

رابعها: حديث أبي هريرة: " جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال: « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل، حتىٰ إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان » " أخرجاه[١].

خامسها: حديث أنس: " أنه ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: « من يأخذ مني هذا ؟ » فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: « فمن يأخذه بحقه ؟ » قال: فألجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة[٢]: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين "[٣] رواه مسلم .

سادسها: حديث الزبير بن عدي قال: " أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: « اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتىٰ تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم ﷺ " رواه البخاري[٤].

سابعها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: « بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنظرون إلا

= والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٩٩، ٤/ ١٦٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٠٩]، وابن أبي عاصم في السنة [١/ ٩٤] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤١٩] كتاب الزكاة، [١٢] باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (١٠٣٢)] كتاب الزكاة، [٣١] باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، والنسائي [٥/ ٦٨ - المجتبى]، وأبو داود [٢٨٦٥]، وابن ماجه [٢٧٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣١، ٤١٥]، والبيهقي في السنن [٤/ ١٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٣٢٩]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٤٥٤] .

(٢) أبو دجانة سماك بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد الساعدي، كانت عليه يوم بدر عصابة حمراء، قيل آخى النبي ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان، وقال الواقدي: وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي ﷺ وبايعه علىٰ الموت، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة وقتل يومئذ . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [١٢] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (٢٤٧٠)] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي دجانة، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ٣٩٨]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٢٣]، والحاكم في المستدرك [٣/ ٢٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ١٠٩، ٩/ ١٢٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٩/ ١]، والبيهقي في دلائل النبوة [٣/ ٢٣٢] .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٦٨] كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه، والترمذي في سننه [٢٢٠٦] في الفتن، باب منه ما جاء في أشراط الساعة، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ١٤٤]، وأحمد في مسنده [٣/ ١١١]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ١٧٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٢٩٧ - الموارد]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٥٠٥] .

فقراً منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا أو موتًا مجهدًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» رواه الترمذي[(١)] وحسنه .

ثامنها: حديثه ـ أيضا ـ: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه » قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها وقال: « امش ولا تلتفت حتىٰ يفتح الله عليك » قال: فسار علي شيئا، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، علىٰ ماذا أقاتل الناس ؟ قال: « قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله »[(٢)] رواه مسلم .

ولنذكر جملة من الحكايات اللائقة بما نحن فيه .

والذي حضرنا منها أربع وثلاثون حكاية:

ونقدم عليها قصة سلمان الفارسي[(٣)]، وتردده من شخص إلىٰ شخص إلىٰ أن جاء إلىٰ نبينا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام، وظهر له براهين نبوته، وشهد معه الخندق فما بعدها، وهو مشهور مطول .

وكذا رواه ابن سعد من قصة ذي البجادين، وأنه كان يتيما لا مال له، فكفله عمه، فلما قدم النبي ﷺ المدينة تاقت نفسه إلىٰ الإسلام، فنهاه عمه لأجل ما بيده من المال، فتركه، فجاء إلىٰ أمه، فقطعت بجاداً لها باثنين، فاتزر بواحد وارتدى بالآخر، ثم حضر تبوكاً وسأل الشهادة، فقال ﷺ: « اللهم إني أحرم دمه علىٰ الكفار » فقال: ليس هذا أردت.

فقال: «إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٢٠٦] كتاب باب الفتن، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ١٣٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣- (٢٤٠٥)] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﵁، والترمذي في سننه [٣٧٢٤] كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، وابن ماجه [١٢١]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٣١]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤/ ٩٨].

(٣) انظر قصة إسلام سلمان الفارسي ﵁ في تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [٣٦]، وقد روى البخاري في صحيحه [٣٩٤٦] كتاب مناقب الأنصار، [٥٣] باب إسلام سلمان الفارسي، عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من رب إلىٰ رب .

وإن وقصتك دابتك فأنت شهيد »[١] فأقاموا بتبوك أياما، فتوفي، فلما هيء اللحد قال: « اللهم إني أمسيت راضيا عنه فارض عنه » قال ابن مسعود: فليتني كنت أنا هو .

وكذا ما رواه أيضا: أن أم زيد بن حارثة زارت قومها، وزيد معها، فأغارت خيل بني القين في الجاهلية، فمروا علىٰ أبيات بني معد، فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفع، فوافوا به السوق فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

بكيت علىٰ زيد[٢] ولم أدر ما فعل ... فهل حيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك إلىٰ جبل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... ويعرض ذاكره إذا قارب الظلل
وإن هبت الأرياح هيَّجْنَ ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس[٣] في الأرض جامعة ... فلا أسأم التطواف أو تنام الإبل
حياتي أو تأتي عليّ منيتي ... فكل امرئ فان وإن عزه الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كلاهما ... فأوصي يزيداً ثم من بعده جبل

---

(١) روى البخاري في صحيحه [١/ ١٦٧، ١٨٤، ٤/ ٢٩]، ومسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٩١٤)] في الإمارة، [٥١] باب بيان الشهداء، عن أبي هريرة، عنه ﷺ: « الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل »، قال النووي: قال العلماء: وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضل الله ـ تعالىٰ ـ بسبب شدتها وكثرة آلمها، وقد جاء في حديث آخر في الصحيح: « من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »، وفي حديث آخر صحيح: « من قتل دون سيفه فهو شهيد » قال العلماء: المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء، وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم، وقد سبق أن الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم هؤلاء المذكورون هنا، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبراً . النووي في شرح مسلم [١٣/ ٥٤، ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو أسامة الكلبي مولى رسول الله ﷺ القضاعي الكعبي اليماني الهاشمي، صحابي مشهور، من أول الناس إسلاماً، استشهد يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ أخرج له: النسائي وابن ماجه . ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٤٠١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٧٣]، الكاشف [١/ ٣٣٧]، الجرح والتعديل [٣/ ٥٥٩]، أسد الغابة [٢/ ٢٨١]، الإصابة [٢/ ٩٨]، الاستيعاب [٢/ ٥٤٢] .

(٣) العيس: كرام الإبل .

يعني جبل بن حارثة، أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه .

فحج ناس من كعب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، وانطلقوا إذ أعلموا أباه، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن رسول الله ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا زيد، فمُنَّ علينا به، وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سندفع لك من الفداء، قال ﷺ: « فهلا غير ذلك » قالوا: وما هو ؟ قال: «ادعوه فخيروه، فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أختار علىٰ من اختارني أحداً »[(١)] قالوا: قد زدتنا علىٰ النصف وأحسنت، فدعاء رسول الله ﷺ فقال: « هل تعرف هذين ؟ » قال: نعم ؛ هذا أبي، وهذا عمي، قال: « قد علمت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما » فقال زيد: ما أنا بالذي يختار عليك أحداً يا رسول الله، أنت مني بمكانهما، فقالا: ويحك يا زيد ؛ أتختار العبودية علىٰ الحرية وعلىٰ أبيك وعمك وأهل بيتك ؟!! فقال: نعم ؛ إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلىٰ الحجر وقال: « يا معشر من حضر اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني »[(٢)] فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، فدُعي زيد بن محمد، حتىٰ جاء الله بالإسلام فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ فقيل: تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[(٣)] ونزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾[(٤)] فقالوا: زيد بن حارثة.

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٤٧٨٢] كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، [١] باب ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] عن ابن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتىٰ نزل القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] .

(٢) قال النووي: قال العلماء: كان النبي ﷺ قد تبنى زيداً ودعاه ابنه، وكانت العرب تفعل ذلك ؛ يتبنى الرجل مولاه أو غيره فيكون ابناً له يوارثه وينتسب إليه حتىٰ نزلت الآية، فرجع كل إنسان إلىٰ نسبه إلا من لم يكن له نسب معروف فيضاف إلىٰ مواليه كما قال الله ـ تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٥٨] طبعة دار الكتب العلمية .

(٣) سورة الأحزاب [٤٠] .

(٤) سورة الأحزاب [٥] .

قال ابن كثير في تفسيره: هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلىٰ آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط والبر، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح ـ تبارك وتعالى ـ زوجة الدعي، وتزوج =

وكذا ما روى عبد الواحد بن أبي عون قال:

كان الطفيل الدوسي رجلا شريفاً شاعراً، قدم مكة فلقيه رجال من قريش، فقالوا: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإن قوله كالسحر؛ يفرق بين الرجل وزوجته وبين الرجل وابنه، وإنا نخشى عليك وعلىٰ قومك منه، فوالله ما زالوا بي حتىٰ أجمعت علىٰ أن لا أسمع منه شيئاً، فلا أكلمه، فغدوت إلىٰ المسجد وقد حشوت أذني قطنا - فكان يقال له ذو القطنتين(١) - فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، فقمت قريباً منه، فسمعت بعض قوله، فقلت في نفسي: إني رجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا شيئاً، فإن كان حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتىٰ انصرف إلىٰ بيته فدخل، فدخلت معه فقلت: إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فاعرض عليَّ أمرك، فعرض عليَّ الإسلام، وتلى عليَّ القرآن، فقلت: والله ما سمعت قولا قط أحسن من هذا، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وقلت: يا نبي الله، إني امرئ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلىٰ الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم، فقال: « اللهم اجعل له آية » فخرجت إلىٰ قومي حتىٰ إذا كنت قريباً منهم وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي؛ فإني أخشى أن يظنوها مُثْلَة وقعت في وجهي لفراق دينهم، فتحول النور في رأس سوطي، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، فأتاني أبي فقلت: إليك عني، فإنك لست مني ولست منك، فقال: ولم يا بني ؟!! قلت: إني أسلمت واتبعت دين محمد، قال: بنيّ، ديني دينك، قلت: اذهب فاغتسل، وطهر ثيابك، ففعل ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام، ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليك عني لست منك ولست مني، قالت: لم ؟!! قلت: فرَّق بيني وبينك الإسلام، إني أسلمت وتابعت محمداً، قالت: ديني دينك، وأسلمت، ثم دعوت دوساً إلىٰ الإسلام، فأبطأوا عليَّ، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: قد غلبتني دوس، فادع الله عليهم، فقال: « اللهم اهد

= رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنهما . تفسير ابن كثير [٣/ ٤٨٢] .

(١) الطفيل بن عمرو الدوسي الأزدي، كان يسمى ذا القطنتين، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وغزا اليمامة فاستشهد هو وابنه، وكان شريفاً شاعراً لبيباً، وقد طول ابن عبد البر ترجمة الطفيل، وساق قصة إسلامه بمكة في آخر الخبر قال: فلما بعث الصديق بعثه إلىٰ مسيلمة قال: خرجت ومعي ابني عمرو فرأيت كأن رأسي حلق وخرج من فمي طائر، وكأن امرأة أدخلتني فرجها، فأولتها؛ حلق رأسي قطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة فالأرض أدفن فيها، فاستشهد يوم اليمامة . انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة [١٢] .

دوساً»[١] وقال: « اخرج إلىٰ قومك فادعهم وارفق بهم » فخرجت أدعوهم حتىٰ هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، ومضت بدر والخندق، ثم قدمت بمن أسلم منهم ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين، وقلنا: يا رسول الله، اجعلنا في ميمنتك، واجعل شعارنا "مبرور"، ففعل، فلم أزل مع رسول الله ﷺ حتىٰ فتح مكة، فقلت: ابعثني يا رسول الله إلىٰ ذي الكفين أحرقه، فبعثه إليه فأحرقه، فلما أحرقه بان لمن كان يتمسك به أنه ليس علىٰ شيء، فأسلموا جميعاً، ورجع الطفيل إلىٰ رسول الله ﷺ فكان معه حتىٰ مات .

وأما الحكايات، فنذكر منها :

الحكاية الأولى: حكي عن الشبلي أنه خرج ذات يوم علىٰ أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً فقال لهم: يا قوم إن الله قد تكفل بأرزاق العباد، فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٢] الآية، فتوكلوا علىٰ الله، وتوجهوا إليه، ولا تتوجهوا إلىٰ سواه، ثم تركهم ومضى، فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشيء، فلما كان اليوم الرابع دخل عليهم فقال: يا قوم، إن الله ـ تعالىٰ ـ قد أباح التسبب للعباد، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[٣] .

فانظروا إلىٰ أصدقكم نية فليخرج، عسى أن يأتيكم بشيء من القوت، فاختاروا منهم فقيراً، فخرج ومشى في جانبي بغداد، فلم يفتح له بشيء، فأخذه الجوع وأعياه المشي، فجلس عند دكان طبيب نصراني عليه خلق كثير، وهو يصف لهم الأدوية، فنظر إليه فقال: ما بك ؟ وما علتك ؟ فكره أن يشكو الجوع إلىٰ نصراني، فمد يده إليه فجسها وقال: علتك هذه أنا أعرفها وأعرف دواءها، ثم التفت إلىٰ غلامه وقال: امض إلىٰ السوق فأتني برطل خبز ورطل شواء ورطل حلوى، فمضى إلىٰ السوق وأتاه بذلك، فأخذه النصراني وناوله الفقير وقال: هذا دواء مرضك عندي، فقال له الفقير: إن كنت صادقاً في حكمتك، فهذه العلة بأربعين رجلا، فقال النصراني لغلامه: ارجع إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤/ ٥٤، ٥/ ٢٥٠]، ومسلم [١٩٧ ـ (٢٥٢٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٧] باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ، عن أبي هريرة .
وأحمد في مسنده [٢/ ٢٤٣، ٤٤٨]، والتبريزي في المشكاة [٥٩٩٦] .

(٢) سورة الطلاق [٢].
أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله .

(٣) سورة الملك [١٥] .

السوق مسرعاً، وأتني بأربعين مثل ما أتيت به، فأسرع الغلام وأتاه بذلك جميعه، فأعطاه الفقير، وأمر حمّالاً أن يحمل معه إلىٰ موضعه، وقال للفقير اذهب به إلىٰ الأربعين الذين ذكرت، فذهب الفقير والحمّال معه إلىٰ أن وصل إلىٰ أصحابه، والنصراني يتبعه من بعيد ليختبر صدقه، فلما دخل الدويرة التي فيها أصحابه وقف النصراني خارج الباب خلف طاق، فوضع الغلام الطعام، ونادى الشبلي وقدم الطعام بين يديه، فشال الشيخ يده منه وقال: يا فقراء سر عجيب في هذا الطعام، ثم أقبل علىٰ الفقير الذي أتى بالطعام وقال: أخبرني عن قصة هذا الطعام، فحكى له القصة بكاملها، فقال لهم عند ذلك: أترضون أن تأكلوا طعام نصراني وصلكم به ولم تكافئوه ؟ قالوا: وما مكافأته ؟ قال: تدعون له قبل أن تأكلوا طعامه، فدعوا له وهو يسمع، فلما رأى النصراني إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه، وسمع ما قال لهم الشيخ، قرع الباب ففتحوا له، فدخل وقطع زناره وقال: يا شيخ، مدّ يدك ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأسلم النصراني وحسن إسلامه، وصار من جملة أصحاب الشبلي .

الحكاية الثانية: قيل لحذيفة المرعشي(١): ما أعجب ما رأيت من إبراهيم بن أدهم ؟ قال: بقينا في طريق أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة، فأوينا إلىٰ مسجد خراب، فنظر إليّ إبراهيم بن أدهم وقال: يا حذيفة، أرى بك جوعاً، قلت: هو ما رأى الشيخ، فقال: إليّ بدواة وقرطاس، فجئت به، فكتب بعد البسملة: أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى.

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا خاضع أنا عاري

هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري

مدحي لغيرك لهب نار خضعتها ... فأجر عُبيدك من دخول النار

ثم دفع إليّ الرقعة وقال: أخرج ولا تعلق قلبك إلا بالله تعالىٰ، فادفع الرقعة إلىٰ أول من تلقاه، قال: فخرجت فأول من لقيني رجل علىٰ بغلة فناولته الرقعة فأخذها، فلما وقف عليها بكى وقال: وأين صاحب هذه الرقعة ؟ قلت: في المسجد الفلاني، فدفع إليّ صُرّة فيها ستمائة دينار، وأُخبرت أنه نصراني، فجئت إلىٰ

(١) حذيفة بن قتادة المرعشي الزاهد القدوة صاحب سفيان الثوري، له قدم في العبادة وكلام نافع، وهو القائل: إن لم تخش أن يعذبك الله علىٰ أفضل عملك فأنت هالك . قلت يعني: لما يعتوره من الآفات، وقال: لو وجدت من يبغضني في الله لأوجبت علىٰ نفسي حبه . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٠١ - ٢١٠] .

إبراهيم[١] فأخبرته بذلك فقال: لا تمسَّها فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة جاء، وأكب علىٰ إبراهيم وأسلم، ولله در القائل:

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم يلقى طيبكم فيطيب

الحكاية الثالثة: عن الجنيد: قال السري[٢] لي: تكلم علىٰ الناس، وكان في قلبي (حتمة)[٣] من الكلام، وكنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام ليلة الجمعة فقال لي: تكلم علىٰ الناس، فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن يصبح فدققت عليه الباب، فقيل لي: لم تصدقنا حتىٰ قيل لك، فقعد للناس في الجامع بالغداة، فانتشر في الناس أن الجنيد قد تكلم، فوقف عليه غلام نصراني متنكر وقال: أيها الشيخ، ما معنى حديث: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »[٤] فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم وحسن إسلامه.

الحكاية الرابعة: عن إبراهيم الخواص قال: كنت ببغداد وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف طيب الرائحة حسن الوجه، فقلت لأصحابي: يقع لي أنه يهودي، فكره الأصحاب قولي، فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم وقال: إيش قال الشيخ؟ فاحتشموا، فألح عليهم، فأخبروه بما قال الشيخ، فأسلم علىٰ يديه، فقيل له في ذلك، فقال: نجد في كتبنا أن الصدِّيق لا تخطئ فراسته[٥]، فقلت في

---

(١) من أقواله: أخاف ألا يكون لي أجر في تركي أطيب الطعام؛ لأني لا أشتهيه. وكان إذا جلس علىٰ طعام طيب رمى إلىٰ أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون، وعن إبراهيم أيضاً قال: كل ملك لا يكون عادلاً فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب سواء، وكل من يخدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة. تاريخ الإسلام، وفيات [١٦١- ١٧٠].

(٢) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون، وعنه: أبو العباس بن مسروق، والجنيد، وأبو الحسن النوري، وإبراهيم بن عبد الله المخزومي، وقال عنه الفرجاني: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبد لله من السري؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علة الموت. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣١٢٧] كتاب تفسير القرآن، من سورة الحجر، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٢١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ٩٤، ٦/ ١١٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٥٤٤]، والذهبي في الميزان [٨٠٩٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٤٢].

(٥) من كرامة الصديق ﷺ أنه كان يأكل هو وأضيافه من القصعة، فلا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وهي أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا، وكان من فراسته قوله لعائشة في مرضه =

نفسي: أمتحن المسلمين فإن كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة يوجد، لأنهم يقولون: إنه من يترك ما سوى الله فعرفت صديقيّة هذا الشيخ بذلك، وصار هذا الشاب من كبار الصوفية .

الحكاية الخامسة: عن بعض الصالحين أنه كان يتكلم في الناس ويعظهم، فمر عليه في بعض الأيام يهودي وهو يخوفهم، ويقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(١)] فقال اليهودي: إن كان هذا الكلام حقاً، فنحن وأنتم سواء، فقال له الشيخ: لا، ما نحن سواء؛ نحن نرد ونصدر، وأنتم تردون ولا تصدرون، ننجوا نحن منها بالتقوى، وتبقون أنتم بها جثياً بالظلم، وقرأ الآية الثانية: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[(٢)] فقال اليهودي: نحن المتقون، فقال الشيخ: كلا نحن، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[(٣)].

= الذي مات فيه في وصيته لها، وذكر لها أختها ولم يكن لها أخت إلا أسماء وزوجته حامل، فإذا بها تلد بنتاً كما قال الصديق رضي الله عنه.

(١) سورة مريم [٧١] .
روى أحمد في مسنده عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً . تفسير ابن كثير [٣/ ١٣٦] .

(٢) سورة مريم [٧٢] .
﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريَم: ٧٢] أي إذا مر الخلائق كلهم علىٰ النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نجى الله ـ تعالىٰ ـ المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم علىٰ الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم، وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه حتىٰ يخرجوا من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يخرج الله من النار من قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله. المرجع السابق [٣/ ١٣٨] .

(٣) سورة الأعراف [١٥٦، ١٥٧] .
قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعرَاف: ١٥٦] آية عظيمة الشمول والعموم، روى أحمد في مسنده [٤/ ٣١٢]، وروى أبو داود في سننه [٤٨٨٥] عن جندب أن أعرابياً جاء فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم صلى خلف رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم ركبها، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: «أتقولون هذا أضل أم بعيره؟ ألم تسمعوا ما قال؟» قالوا: بلى، قال: «لقد حظرت رحمة واسعة، إن الله عز وجل خلق مائة رحمة، فأنزل رحمة يتعاطف بها الخلق، جنها وإنسها وبهائمها، =

فقال اليهودي: هات برهاناً علىٰ صدق هذا، فقال الشيخ: البرهان حاضر، يراه كل ناظر، وهو أن تطرح ثيابي وثيابك في النار، فمن سلمت ثيابه فهو الناجي منها، ومن احترقت ثيابه فهو الباقي فيها، فنزعا ثيابهما، ورمى بالجميع في النار، ثم دخل النار وأخذ الثياب وخرج من الجانب الآخر، ثم فتحت الثياب فإذا ثياب الشيخ سالمة بيضاء نظيفة، وثياب اليهودي محترقة، وكانت مستورة بثياب الشيخ، فلما رأى ذلك أسلم .

الحكاية السادسة: حكي أنه كان في الأمم الماضية ملك متمرد علىٰ ربه، فغزاه المسلمون، وأخذوه أسيراً فقالوا: بأي قتلة نقتله ؟ فأجمع رأيهم علىٰ أن يجعلوا له قُمقُماً عظيماً ويجعلوه فيه، ويوقدوا تحته النار حتىٰ يذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك، فجعل يدعو آلهته واحداً بعد واحد: يا فلان بما كنت أعبدك أنقذني مما أنا فيه، فلما رأى الآلهة لا تغني عنه شيئاً رفع رأسه إلىٰ السماء وقال: لا إله إلا الله، ودعا مخلصاً فصبّ الله عليه مبعث ماء من السماء فأطفأ تلك النار، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم، وجعلت تدور به بين السماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله، فقذفته إلىٰ قوم يعبدون الله ﷻ وهو يقول: لا إله إلا الله، فاستخرجوه وقالوا: ويحك، مالك ؟ قال: أنا ملك بني فلان، كان من أمري وجندي كيت وكيت، وقص عليهم القصة، فآمنوا كلهم ـ رحمة الله عليه .

الحكاية السابعة: حكي أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتغالى في حسنها وزينتها، ثم صنع طعاما ودعا الناس .

وأجلس أناساً علىٰ أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيباً ؟ فيقولون: لا ، حتىٰ جاء أناس في آخر الناس عليهم أكسية، فسألوهم هل رأيتم عيباً ؟ قالوا: عيبين اثنين، فحبسوهم ودخلوا علىٰ الملك فأخبروه بما قالوا، فقال: ما كنت راضياً بعيب واحد، فأتوني بهم، فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ما هما ؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبها، قال: أفتعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها ؟! قالوا: نعم، فذكروا له الجنة ونعيمها[1] وشوقوه إليها، وذكروا له النار وعذابها وخوفوه منها،

= وأخّر عنده تسعاً وتسعين رحمة، أتقولون هو أضل أم بعيره ؟ » واللفظ لأحمد.

(١) في ذكر نعيم الجنة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ـ عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: ١٧] »، انظر البخاري [٣٢٤٤] في بدء الخلق، ومسلم [١ ـ (٢٨٢٤)] في كتاب الجنة وصفة نعيمها .

ودعوه إلىٰ عبادة الله ﷻ فأجابهم إلىٰ ذلك، وخرج من ملكه هارباً تائباً إلىٰ الله - سبحانه وتعالى رحمة الله عليه .

الحكاية الثامنة: روي أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن في قديم الزمان، فغلب أحدهما صاحبه وقتله، وشرد أصحابه، وهيأت له السرر، وزينت له دار الملك، وتلقاه الناس ليدخل، فبينما هو في بعض السكك يقصد دار الملك، فوقف له رجل يُنسب إلىٰ الجنون[1]، فأنشده:

تسمع من الأيام إن كنت حازما … فإنك فيها بين ناه وآمر

وكم ملك قد ركم التراب فوقه … وعهدي به بالأمس فوق المنابر

إذا كنت في الدنيا بصيراً فإنما … بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا علىٰ المرئ دينه … فما فاته منها فليس لضائر

فقال له: صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقى الجبل، وأقسم علىٰ أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به .

الحكاية التاسعة: عن شاة الكرماني: أنه خرج إلىٰ العبيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتىٰ وقع في برية مقفرة وحده، وإذا هو بشاب راكب علىٰ سبع وحوله سباع، فلما رأته ابتدرت نحوه، فزجرها الشاب، فلما دنا منه سلّم عليه وقال: يا شاة، ما هذه الغفلة عن الله تعالىٰ ؟ اشتغلت بدنياك عن آخرتك، وبلذاتك وهواك عن خدمة مولاك، إنما أعطاك الدنيا لتستعين بها علىٰ خدمته فجعلتها ذريعة إلىٰ الاشتغال عنه .

فبينما هو يحدثه، إذ خرجت عجوز بيدها شربة ماء، فناولتها الشاب، فشرب، ودفع باقيه إلىٰ شاة[2] فشربه وقال: ما شربت شيئاً ألذّ منه، ولا أبرد، ثم غابت، فقال الشاب: هذه الدنيا، وكّلها الله بخدمتي، فما احتجت لشيء إلا أحضرته لي

---

(١) هناك في عقلاء المجانين الكثير منهم كما ذكر الذهبي البهلول بن عمرو أبو وهب الصيرفي الكوفي، كان حياً في دولة الرشيد، وسوس في عقله، وما أظنه اختلط أو قد كان يصحو في وقت، فهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن وحكايات، وتأتي ترجمته بأوسع من ذلك قريباً .

(٢) شاة بن شجاع أبو الفوارس الكرماني الزاهد، قال السلمي: كان من أولاد الملوك فتزهد وصحب أبا تراب النخشبي وغيره، ومات قبل الثلاثمائة، وقال أبو نعيم: كان من أبناء الملوك فتشمر للسلوك، فعنه قال: من عرف ربه طمع في عفوه، ورجا فضله، وقال إسماعيل بن مخلد: كان شاة بن شجاع حاد الفراسة قل ما أخطأت فراسته . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٩١ - ٣٠٠].

حين يخطر ببالي، أما بلغك أن الله ـ تعالىٰ ـ لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه، فلما رأى ذلك تاب، وكان منه ما كان، وأنشدوا:

خُدِمت لما أن صرت في خدمك ... ودار عني السرور من نعمك

وكانت الحادثات تطرقني ... فاحتشمتني إذ صرت من حشمك

الحكاية العاشرة: عن مالك بن دينار[(١)] أنه سُئل عن سبب توبته، قال: كنت شرطياً، وكنت منهمكاً علىٰ شرب الخمر، ثم إني شريت جارية نفيسة وقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً فشغفت بها، فلما دبت ازداد حبها في قلبي، فكنت إذا وضعت المسكر، جاءت إليّ وجاذبتني إياه وهرقته علىٰ ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت، فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة جمعة، بت ثملا من الخمر ولم أُصل العشاء، فرأيت كأن أهل القبور خرجوا وحُشر الخلائق وأنا معهم. فسمعت حساً من ورائي، فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون، أسود أزرق، قد فتح فاه مُسرعاً نحوي، فمررت بين يديه فزعا مرعوبا هارباً منه، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة، فسلمت عليه، فردّ علي السلام، فقلت له: أجرني وأغثني، فقال: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني ولا أقدر عليه، ولكن مرَّ وأسرع، فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه، فوليت هارباً[(٢)]، فصعدت علىٰ شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طباق النيران، فنظرت إلىٰ هولها، فكدت أهوي فيها من فزع التنين، وهو في طلبي، فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلىٰ قوله، فأتيت الشيخ فسألته، فلم يفعل وبكى وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلىٰ هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، وإن كان لك فيه وديعة فتنصرك، فنظرت إلىٰ جبل مستدير، فيه كوى مخرقة وستور معلقة، علىٰ كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة بالياقوت، مكللات بالدرّ، وعلىٰ كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلىٰ الجبل هربت إليه، وهو ورائي، فلما قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا

---

(١) مالك بن دينار أبو يحيى أبو هاشم السلمي الناجي البصري الزاهد القرشي، صدوق عابد، أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة [١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ١٤]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٢٤]، التاريخ الكبير [٧/ ٣٠٩]، الجرح والتعديل [٨/ ٩١٦]، ميزان الاعتدال [٣/ ٤٢٦].

(٢) قال سلم الخواص: قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله ـ تعالىٰ ـ وقال مالك: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره مذمتهم لأن حامدهم مفرط وذامهم مفرط. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٢١ - ١٣٠].

الستور وافتحوا المصاريع[1] وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه .

فإذا الستور[2] قد رفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرفت علىٰ أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب عدوه منه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا بابنتي التي ماتت أشرفت معهم[3] فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتىٰ مثلت بين يدي، فمدت يدها الشمال إلىٰ يدي اليمين فتعلقت بها، ومدت اليمين إلىٰ التنين فولى هارباً .

ثم أجلستني وقعدت في حجري، وضربت بيدها اليمنى إلىٰ لحيتي وقالت: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[4] فبكيت وقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد هلاكي ؟ قالت: ذاك عملك السوء، قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي ؟ قالت: ذاك عملك الصالح، أضعفته حتىٰ لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: وما تصنعون بهذا الجبل ؟ قالت: نحن أطفال المسلمين، قد أُسكنَّا فيه إلىٰ أن تقوم الساعة ننتظركم، تقدمون علينا فنشفع لكم، فانتبهت فزعاً، فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه، وتبت إلىٰ الله وهذا سبيل توبتي .

---

(١) المصارع: مصراع الباب أحد جزأيه، وهما مصراعان: أحدهما: إلىٰ اليمين. والآخر: إلىٰ اليسار، ومن بيت الشعر نصفه، وجمعها: مصاريع .

(٢) الستار: ما يستر به وما أسدل علىٰ نوافذ البيت وأبوابه حجباً للنظر، جمعها: سُتر، والستار جمعها: أستار، وستور.

(٣) روى الأصمعي عن أبيه قال: مر المهلب بن أبي صفرة علىٰ مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته، فقال مالك: أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين ؟ فقال له المهلب: أما تعرفني ؟ قال: أعرفك ؛ أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة، فقال المهلب: الآن عرفتني حق المعرفة . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٢١ - ١٣٠] .

(٤) سورة الحديد [١٦] .

يقول تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، قال ابن المبارك بسنده، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] وروى مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٣٠٢٧)] كتاب التفسير، [١] باب قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين .

الحكاية الحادية عشرة: عن أحمد بن عبد الله المقدسي قال: صحبت إبراهيم بن أدهم فسألته عن بداية أمره، وما كان سبب بدأة أمره من المُلك الفاني إلىٰ الباقي ؟ قال: يا أخي، كنت جالساً يوماً في أعلى قصر في ملكي، والخواص قيام علىٰ رأسي، فأشرفت من الطاق فوجدت رجلا من الفقراء جالساً بفناء القصر، بيده رغيف يابس قد بله بالماء، وأكله بملح جريش، وأنا أنظر إليه إلىٰ أن فرغ من أكله، ثم شرب من الماء وحمد الله وأثنى عليه، ونام في فناء القصر، فألهمني الله الفكر فيه، فقلت لبعض مماليكي: إذا قام ذلك الفقير فأتني به، فلما استيقظ من نومه دُعي فقال: بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله[1] وجاء، فلما نظر إليَّ سلم، فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس، فلما اطمأن قلت له: يا فقير، أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت ؟ فقال: نعم، قلت: وشربت الماء سجاوة فرويت ؟ قال: نعم، قلت: ثم نمت طيباً بلا هم ولا غم فاسترحت ؟ قال: نعم، قلت في نفسي وأنا أعتبها: يا نفس ما أصنع بالدنيا، والنفس تقنع بما سمعت ورأت، فعقدت التوبة في تلك الساعة مع الله ـ تعالىٰ ـ فلما انصرف النهار وأقبل الليل، لبست مسحاً من شعر وقلنسوة من صوف، وخرجت سائحاً حافياً إليه، فلحقني رجل حسن الوجه والثياب طيب الرائحة، فتقدمت إليه وصافحته وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام وقال: يا إبراهيم أين تريد ؟ فقلت: هربت منه إليه، فقال لي: أنت جائع ؟ قلت: نعم، فقام الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين وقال لي: قم وصل كما صليت، ففعلت ذلك، فالتفت فإذا عن يمينه طعام موضوع وماء بارد، فقال لي: تقدم وكل من فضل الله واشكر ربك علىٰ ذلك، فأكلت منه كفايتي، وهو باق علىٰ حاله، وشربت وحمدت الله، فقال: يا إبراهيم اعقل وافهم ولا تستعجل في أمورك؛ فإن العجلة من الشيطان، واعلم أن الله إذا أراد بعبده خيراً اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجاً من نور

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٨٤] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » قال النووي: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم، قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة، أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله ـ تعالىٰ – وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله. وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة علىٰ طاعته إلا بمعونة، وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وكله متقارب . قال أهل اللغة: ويعبر عن هذه الكلمة بالحوقلة، وبالأول جزم الأزهري والجمهور، وبالثاني جزم الجوهري، ويقال أيضاً: لا حيل ولا قوة في لغة غريبة حكاها الجوهري وغيره . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٢٢] طبعة دار الكتب العلمية .

قدسه، يفرق به بين الحق والباطل، ويبصر به عيوب نفسه، وإني أريد أن أعلمك اسم الله الأعظم(١) فإذا أنت جعت أو عطشت فادع الله به، فإنه سيشبعك ويرويك، يا ابن أدهم إذا جالست الأخيار والفقراء فكن لهم أرضاً يطئونك، ولا تغضبهم ؛ فإن الله ﷻ يغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم، قال: ثم علمني الاسم الأعظم(٢) ثم قال: أستودعك الحي الذي لا يموت، ثم حجب عني، فأخذت الطريق، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة، مليح (الترة)(٣)، فسلمت عليه، فرد السلام وقال: ما حاجتك يا ابن أدهم؟ ومن لقيت في سفرك هذا ؟ فقلت: لقيت شيخاً من صفته كذا وكذا، وعلمني كذا وكذا، فبكى الفتى وأبكاني، فقلت له: يا سيدي أقسمت عليك بالله ـ تعالىٰ ـ من ذلك الشيخ، ومن أنت ؟ فقال: أما الشيخ فأخي إلياس، وأنا أبو العباس الخضر(٤)، قال: ففرحت فرحاً شديداً، وألزمته إلىٰ صدري وقبلته بين عينيه وصافحته وسألته الدعاء فدعا لي بالثبات والعصمة، ثم غاب عليّ فلم أدر أين ذهب. وهذه القصة حالي في ابتداء أمري .

وهذه رواية، والمشهور أن بدأته أنه طرح يوماً يصطاد، فأثار ثعلباً أو أرنباً، فبينما هو في طلبه، إذ هتف به هاتف: ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت، ثم هتف به من قربوس(٥) سرجه كذلك، فنزل عن مركوبه، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبته ـ وهي

---

(١) روى أبو داود في سننه [١٤٩٣]، والترمذي في سننه [٣٤٧٥] عن بريدة أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: « لقد سألت الله باسمه الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

(٢) روى أبو داود في سننه [١٤٩٦] عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وفاتحة آل عمران ﴿الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ » وكذا رواه الترمذي [٣٤٧٢] وقال: حسن صحيح .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، قال الحبري المفسر وأبو عمر: وهو نبي، واختلفوا في كونه مرسلا، وقال القشيري وكثيرون: هو ولي، وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال ؛ أحدها: نبي، والثاني: ولي، والثالث: أنه من الملائكة، وهذا غريب باطل . النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية .

(٥) القربوس: الجزء المرتفع المقوس من السرج، جمعها قرابيس .

صوف ـ فلبسها، وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية وكان من أمره ما كان .

الحكاية الثانية عشر: عن محمد بن المبارك قال: كان موسى بن محمد الهاشمي من أنعم بني أمية عيشاً، وأرخاهم بالاً ؛ يعطي نفسه شهوتها من صنوف اللذات في المأكل(١) والمشرب والملبس والطيب والجواري والغلمان، ليست له همة ولا فكرة إلا في الذي هو فيه من عيشه ولذّته، وكان شاباً جميلاً وجهه كاستدارة القمر، وكان ذا مال يدخل كل حول نحواً من ثلاثمائة ألف وثلاثة آلاف درهم، يصرفه كله في النعيم، وكان له مستشرف عال يقعد فيه العشاء ويشرف علىٰ الناس، له أبواب علىٰ الجادة وأخرى علىٰ بستانه، وقد ضرب فيه قبة عاج مضيئة بالفضة مطلية بالذهب، وهو علىٰ سرير عليه غلالة قصب، وعلىٰ رأسه عمامة مكللة باللآلئ، ومعه في القبة ندماؤه وإخوانه، وقد وقف علىٰ رأسه الخدم، والقينات في مجلس آخر خارج القبة، يُمسكن تارة ويندفعن أخرى بإشارته .

هذا دأبه ليلا ونهاراً في اللعب والتيه، حتىٰ مضى له سبع وعشرون سنة، فبينما هو ذات ليلة في قبته، إذ سمع نغمة من صوت شجي خلاف ما سمعه من مطربته، فأخذ بقلبه فأحضره، وإذا هو شاب نحيل ذبل شعث ضمر، وعليه طمران، حافي، قائم في المسجد يناجي ربه، فقال: أيها الشاب أسمعني ما كنت تقول، فتعوذ وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴿١٣﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٢)، ثم وعظه (وذكر)(٣) صحن

---

(١) روى ابن حبان في صحيحه [١٣٤٩ - الموارد] حديث « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٢٨/١٠] بلفظ « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه »، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس [٢١٤] بلفظ « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

(٢) سورة المطففين [٢٢ - ٢٨] .
أي في نعيم يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي السرر تحت الحجال﴿يَنظُرُونَ﴾ قيل: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴿٢٤﴾﴾ أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴿٢٥﴾﴾ أي من خمر الجنة، والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي خلطة مسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلىٰ مثله المستبقون ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴿٢٧﴾﴾ أي من شراب تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة يشربها المقربون .
مختصراً عن تفسير ابن كثير [٤/ ٤٨٧] .

(٣) كذا بالأصل .

داره، وجلس مع الشاب علىٰ الحصير ينوح علىٰ شبابه، ويندب علىٰ نفسه، والشاب يعظه إلىٰ أن أصبح، وقد عاهد الله أن لا يعود إلىٰ معصيته أبداً، فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة، وأمر بالجواهر والملابس فبيعت، وتصدق بها، ورد الضياع المقتلعة، وباع ضياعه وخدمه، وأعتق من اختار العتق، وتصدق به أجمع، ولبس الصوف الخشن، وأكل الشعير، وكان يحيي الليل ويصوم النهار، حتىٰ كان يزوره الصالحون والأخيار ويقولون له: ارفق بنفسك، فإن المولى كريم يشكر اليسير، ويثيب علىٰ الكثير، فيقول: يا قوم أنا أعرف بنفسي منكم ؛ إن جرمي عظيم، عصيت[1] ربي ليلا ونهاراً، ويكثر البكاء، ثم خرج حاجاً حافياً راجلا عليه خيشته وركوة وجراب، فقدم مكة فأقام بها إلىٰ أن مات، وكان يدخل الحجر[2] ليلا وينوح علىٰ نفسه ويقول: سيدي كم أراقبك في خلوتي، سيدي ذهبت شهوتي وبقيت تبعاتي، فالويل لي يوم ألقاك والويل لي، ثم الويل من صحيفتي إذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطاياي، بل كل الويل من سبِّك إياي، وتوبيخك لي، وإحسانك إليّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصي، وأنت مطلع علىٰ فعالي .

سيدي إلىٰ من أهرب إلا إليك ؟ إلىٰ من ألتجئ، وعلىٰ من أعتمد إلا عليك ؟ إني لا (استاهل)[3] أن أسألك الجنة، بل أسألك بجودك وكرمك وبفضلك أن تغفر لي، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة[4].

شعر:

عصيتك جاهلا يا ذا المعالي ... ففرج ما ترى من سوء حالي

---

(١) مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات علىٰ الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل . النووي في شرح مسلم [١/ ١٩٢، ١٩٣] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الحجر: هو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] أي هو أهل أن يخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب، قاله قتادة . وروى أحمد في مسنده [٣/ ١٤٢] عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] وقال: «قال ربكم أنا أهل أن أتقي فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلا أن أغفر له» .

إلـى مـن يـرجـع الـمـمـلـوك إلا إلـى مـولاه يـا مـولـى الـمـوالـي
فـإنـك أهـل مـغـفـرة وعـفـو[(١)] وتـواب ومـفـضـال الـنـوالـي

الثالثة عشر : حكي أن شاباً كان يحضر مجلس بعض علماء السلف الوعاظ، وكان الشاب إذا سمع الوعاظ يقول: يا ستار، يهتز كما تهتز السعفة، فقيل له في ذلك، فقال: اعلموا أني كنت أخرج في زي النساء، وأحضر كل موضع فيه عرس أو عزاء تجتمع فيه النساء، فحضرت يوماً عرساً لبنت بعض الملوك، فسرق عقد لبنت الملك، فصاحوا: أن أغلقوا الأبواب، وفتشوا النساء، ففتشوهن واحدة واحدة حتىٰ لم يبقىٰ إلا امرأة واحدة وأنا، فدعوت الله ـ تعالىٰ ـ وأخلصت التوبة وقلت: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود لمثل هذا أبداً، فوجدوا العقد مع المرأة التي بقيت، فقالوا: أطلقوا المرأة الأخرى ـ يعنونني ـ فأطلقوني وحالي مستور، فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستار أذكر ستره عليّ ويأخذني ما رأيتم من الاهتزاز .

الحكاية الرابعة عشر: حكي عن الشيخ أبي إسحاق الفزاري[(٢)] – رحمه الله ـ قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا، ونصف وجهه مغطى، فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعني علىٰ هذا، قال: وتعطيني الأمان ؟ قلت: نعم، قال: كنت شاباً فدُفنت امرأة، فأتيت قبرها حتىٰ وصلت إلىٰ (اللبن)[(٣)] فنزعته، ثم ضربت بيدي إلىٰ الرداء، ثم إلىٰ اللفافة، فمددتها، وجعلت تمدها هي، فقلت: أتراها تغلبني، فجثيت علىٰ ركبتي وجرَّدت اللفافة، فرفعت يدها ولطمتني، وكشف عن وجهه فإذا أثر خمسة أصابع في وجهه، قلت له: ثمّ مه، قال: ثم رددت عليها لفافتها وإزارها، ثم رددت التراب، وجعلت علىٰ نفسي أن لا أنبش ما عشت، وهذه سبب توبتي .

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٠٦] عن شداد بن أوس ﵁ عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن قالها في النهار مؤمناً بها فمات في يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

(٢) الإمام إبراهيم بن محمد الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن، أبو إسحاق الشامي الفزاري الكوفي الإمام المصيصي، ثقة حافظ له تصانيف، توفي سنة [١٨٥، ١٨٦] . ترجمته: تهذيب التهذيب [١/ ١٥١]، تقريب التهذيب[١/ ٤١]، الكاشف [١/ ٨٩]، الثقات [٦/ ٢٣]، تاريخ البخاري الكبير [١/ ٣٢١]، الأعلام [١/ ٥٩]، الجرح والتعديل [٢/ ٤٠٢]، الوافي بالوفيات [٦/ ١٠٤]، سير الأعلام [٨/ ٥٣٩]، طبقات الحفاظ [١١٧] .

(٣) أظنه يقصد الطين اللبن الذي يوضع لسد اللحد .

الخامسة عشر: عن بعض الأكراد ممن كان يقطع الطريق، وينهب الأموال قال: بينما أنا وجماعة من أصحابي جلوس وقد خرجنا لقطع الطريق[١] فانتهينا إلىٰ مكان فيه ثلاث نخلات، واحدة منهن ليس فيها تمر، وإذا بعصفور يحمل رطبة من نخلة مثمرة إلىٰ رأس تلك النخلة التي ليس فيها تمر حتىٰ تكرر منه ذلك عشر مرات وأنا أنظر، فخطر في نفسي أن أقوم وأنظر، فصعدت النخلة فإذا في رأسها حية عمياء فاتحة فاها، والعصفور يضع الرطب فيه، فبكيت وقلت: سيدي هذه حية أمر نبيك ﷺ بقتلها، لمَّا أعميتها أقمت لها عصفورا يقوم لها بالكفاية، وأنا عبدك أقرُّ بأنك واحد أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل، فوقع بقلبي: يا فلان بابي مفتوح، فكسرت سيفي ووضعت التراب علىٰ رأسي وصحت: الإقالة الإقالة، وإذا بهاتف يقول: قد أقلناك، قد أقلناك، فأتيت رفاقي فقالوا: مالك ؟ قد أزعجتنا، فقلت: كنت مهجوراً وقد صولحت، وحكيت لهم القصة فقالوا: ونحن أيضاً نصالح .

فرمينا ثيابنا وسلاحنا وأحرمنا وقصدنا مكة، وأقمنا نمشي ثلاثة أيام في البرية، ثم دخلنا قرية، فإذا نحن بعجوز عمياء مررنا عليها، فسألتنا أفيكم فلان الكردي ؟ قلنا: نعم، فأخرجت ثياباً إلينا وقالت: مات ولدي وخلف هذه الثياب، فرأيت النبي ﷺ في النوم ثلاث ليال يقول: أعطي هذه الثياب فلاناً الكردي، قال: فأخذتها فاكتسيت بها أنا وأصحابي، ثم مضينا إلىٰ أن أتينا مكة .

السادسة عشر: عن ذي النون[٢] المصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال وقد سئل عن أصل توبته قال: خرجت من مصر إلىٰ بعض القرى، فنمت في الطريق وانتبهت وفتحت عيني، فإذا أنا بقبَّرة[٣] عمياء سقطت من شجرة، فانشقت الأرض، فخرج منها (سكرجتان)[٤] إحداهما من ذهب، والأخرى من فضة، في أحديهما سمسم،

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المَائدة: ٣٣] الآية، المحاربة هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة علىٰ الكفر وعلىٰ قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق علىٰ أنواع من الشر حتىٰ قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب: إن قبض الدراهم والدنانير من الإفساد في الأرض . تفسير ابن كثير [٢/٤٩] .

(٢) ذو النون المصري الزاهد ـ رحمة الله عليه ـ اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفيض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال: أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، وقال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظاً، وقال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة . تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠] .

(٣) القُبَّرة: جنس من الطيور، من فصيلة القبريات .

(٤) كذا بالأصل، ومعنى والسكرجة: الإناء الصغير .

والأخرى ماء ورد ـ أو قال: ماء ـ فأكلت من هذه وشربت من هذه، فقلت: حسبي، ولزمت الباب إلىٰ أن قُبلت .(١)

السابعة عشر: عن بعضهم قال: ركبت في مركب في البحر ومعي رفيق، فلما سار المركب سكنت، فطلبوا مرساً وقربوا المركب من الساحل، وكان إلىٰ جنبي شاب حسن الوجه، فنزل إلىٰ الساحل، ودخل بين أشجار علىٰ شط البحر ثم رجع إلىٰ المركب، فلما غابت الشمس قال لي ولصاحبي: إني ميت الساعة، ولي إليكما حاجة، قلنا: ما هي ؟ قال: إذا أنا مت فكفناني مما في هذه الرزمة، وخذا هذه الثياب التي عليّ، فإذا دخلتما مدينة صور، فأول من يلقاكما ويقول لكما: هاتا الأمانة، فادفعوها إليه .

فلما صلينا المغرب حركنا الرجل، فإذا هو قد مات، فحملناه إلىٰ الشط، وأخذنا في غسله، وفتحنا الرزمة، فإذا فيها ثوبان أخضران مكتوبان بالذهب، وثوب أبيض فيه صرة فيها شيء كأنه الكافور، ورائحته كرائحة المسك، فغسلناه وكفناه في ذلك الكفن، وحنطناه بما كان في الصُرَّة من الطيب، وصلينا عليه ودفناه، فلما دخلنا مدينة صور استقبلنا غلام أمرد حسن الوجه، عليه ثوب (شرب)(٢) وعلىٰ رأسه منديل ديبقي، فسلم علينا وقال: هاتا الأمانة، فقلنا له: نعم وكرامة، ولكن ادخل معنا هذا المسجد نسألك عن مسألة، قال: نعم، فدخل معنا المسجد فقلنا له: أخبرنا من الميت ومن أنت ؟ ومن أين له ذلك الكفن ؟ فقال: أما الميت فكان من البدلاء(٣) من الأربعين، فأنا بدله، وأما الكفن فإنه جاء به الخضر ﷺ(٤) وعرَّفه أنه ميت، ثم لبس الثياب التي كانت معنا، ودفع لنا الثياب التي كانت عليه، وقال: بيعاها وتصدقا

---

(١) ذكره الذهبي في ترجمة ذي النون المصري .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) الأبدال إحدى طبقات الصوفية، ويزعمون أنه إذا ذهب بدل من الأبدال حل محله آخر .

(٤) قال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو لا ، واحتج من قال بنبوته بقوله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] فدل علىٰ أنه نبي أوحي إليه، وبأنه أعلم من موسىٰ ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي، وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون قد أوحى الله إلىٰ نبي في ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك، وقال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر علىٰ جميع الأقوال محجوب عن الأبصار ـ يعني عن أبصار أكثر الناس ـ قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن، وذكر الثعلبي ثلاثة أقوال في أن الخضر كان من زمن إبراهيم الخليل ﷺ أم بعده بقليل أم بكثير، وكنية الخضر أبو العباس، واسمه بليا ـ بموحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت ـ بن ملكان ـ بفتح الميم وإسكان اللام ـ وقيل: كليان . النووي في شرح مسلم [١٥/١١١] طبعة دار الكتب العلمية .

بثمنها إن لم تحتاجا إلىٰ لبسها، فأخذناها ودفعنا السراويل إلىٰ مناد يبيعه، فلم نشعر إلا والمنادي قد جاء ومعه جماعة، وأخذونا إلىٰ دار كبيرة، وإذا فيها جماعة، وإذا بشيخ يبكي وصراخ النساء في الدار، فلما وصلنا إلىٰ الشيخ سألنا عن السراويل والتكة، فحدثناه الحديث، فخرَّ ساجداً لله رب تعالىٰ، ثم رفع وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي مثله، ثم صاح لأمه وقال لنا: حدثاها الحديث، فحدثناها، فقال لها الشيخ: احمدي الله الذي رزقك بمثله، فلما كان بعد سنين بينما أنا واقف بعرفات إذ أنا بشاب حسن الوجه، عليه مطرف خز[1] فسلم عليّ وقال: أتعرفني ؟ قلت: لا، قال: أنا صاحب الأمانة الصوري، ثم ودعني وقال: لولا أن أصحابي ينتظرونني لأقمت معك، فمضى وتركني، فإذا أنا بشيخ خلفي من أهل المغرب كنت أعرفه يحج كل سنة، فقال لي: من أين تعرف هذا الشاب ؟ فقلت: هذا يقال له أنه من الأربعين، فقال: هو اليوم من العشرة وبه يغاث الناس والعباد .

الثامنة عشر: عن الجنيد[2] - رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال: كنت في المسجد مرة، فإذا رجل قد دخل إلينا وصلى ركعتين، ثم امتد ناحية من ناحية المسجد وأشار إليّ، فلما جئته قال لي: يا أبا القاسم، إنه قد حان لقاء الله ـ تعالىٰ ـ ولقاء الأحباب، فإذا فرغت من أمري فسيدخل عليك شاب مُغنِّي، فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي، فقلت: إلىٰ مغني ؟!![3] وكيف يكون ذلك ؟!! قال: إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله في مقامي، قال الجنيد: فلما قضى الرجل نحبه، وفرغنا من مواراته، إذا نحن بشاب مصري قد دخل علينا وسلّم وقال: أين الوديعة يا أبا القاسم ؟ فقلت: وكيف ذلك ؟ أخبرنا بحالك، قال: كنت في مشربة[4] بني فلان، فهتف بي هاتف: أن قم إلىٰ الجنيد وتسلم ما عنده، وهو كيت وكيت، فإنك قد جعلت مكان فلان الفلاني من الأبدال، قال الجنيد: فدفعت إليه ذلك، فنزع ثيابه واغتسل، ولبس المرقعة وخرج علىٰ وجهه نحو الشام[5].

---

(١) الخزُّ من الثياب: ما ينسج من صوف وحرير خالص، جمعها: خزوز .

(٢) قال الجنيد: كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر ؟ فقال: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي علىٰ هذه الكلمة التي قالها لي .

(٣) مُغنِّي: محترف الغناء .

(٤) المشرب: الموضع الذي يشرب منه، ومشرب الرجل: ميله وهواه، يقال: هم قوم اختلفت مشاربهم .

(٥) قال المتوكل لذي النون: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله، قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع علىٰ مفارقهم =

التاسعة عشر: عن الحسن الفارسي ـ رحمه الله ـ أنه قال: بلغنا أن رجلا من أصحاب ذي النون أُصيب بعقله، وكان يطوف ويقول: أين قلبي ؟ أين قلبي ؟ومن وجد قلبي ؟ والصبيان قد ولعوا به يرمونه من كل جانب، فقضى أن دخل يوما في بعض سكك مصر، وقد هرب من الصبيان، فجلس يستريح ساعة، إذ سمع بكاء صبي تضربه والدته، ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً، لا يدري أين يذهب ؟ ولا أين يقصد ؟ فلما سكن ما به، عاد ناكصاً علىٰ عقبيه حتى رجع إلىٰ باب دار والدته[1] فوضع رأسه علىٰ عتبة الباب، فذهب به النوم ثم انتبه، فجعل يبكي ويقول: يا أماه من يفتح لي الباب إذا أغلقت بابك عني ؟ ومن يُدنيني من نفسه إذا طردتيني من نفسك ؟ ومن الذي يدنيني بعد إذ غضبت عليّ[2]، قال: فرحمته أمه وقامت فنظرت من داخل الباب فوجدت ولدها تجري الدموع علىٰ خديه، متمعكاً في التراب، ففتحت الباب ووضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول: يا ولدي يا قرة عيني يا عزيز نفسي أنت الذي حملتني علىٰ نفسك، وأنت الذي تعرضت لما حل بك لو كنت أطعتني ما تلق مني مكروها، قال: فتواجد الفتى وصاح حتىٰ اجتمعت عليه الخلق، فقالوا: ما الذي أصابك ؟ فقال: وجدت

= تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب فهي معلمة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم علىٰ كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى، وضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وقال: يا أوليائي لو أتاكم عليل من فرقي فداووه، أو مريض من إرادتي فعالجوه، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أو فارّ مني فرغبوه، أو خائف مني فأمّنوه، أو مستوصف نحوي فأرشدوه، أو مسيء فعاتبوه، أو استغاث بكم ملهوف فأغيثوه . . . . إلىٰ آخره .
انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠] .

(١) روى مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٦٧٥)] كتاب التوبة، [١] باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول» .

(٢) قال النووي: للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية .

قلبي، وجدت قلبي، فلما أبصر ذا النون قال: يا أبا الفضل، وجدت قلبي في مكان كذا وكذا عند فلانة وسماها، ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك.

العشرون: عن بهلول[(١)] - رحمة الله عليه ـ قال: بينما أنا ذات يوم في شوارع البصرة، وإذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكي، فقلت: هذا صبي يتحسّر علىٰ ما في أيدي الصبيان، ولا شيء معه يلعب به، فقلت له: أي بني، ما يبكيك ؟ أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان ؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ؛ ما للعب خلقنا، فقلت: أي بني، فلماذا خلقنا ؟ قال: للعلم والعبادة، قلت: من أين لك هذا ؟ بارك الله فيك، قال: من قول الله ـ عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾﴾[(٢)] فقلت: أي بني، أراك حكيماً فعظني وأوجز، فأنشأ يقول:

أرى الدنيا تجهز بانطلاقي ... مشمرة علىٰ قدم وساق

فلا الدنيا بباقية لحي ... ولا حي علىٰ الدنيا بباق

فيا مغرور بالدنيا رويداً ... ومنها خذ لنفسك بالوثاق

ثم رمق السماء بعينه، وأشار إليها بكفه ودموعه تنحدر علىٰ خديه، وأنشأ يقول :

يا من إليه المبتهل ... يا من عليه المتكل

يا من إذا ما آمل ... يرجوه لم يخطئ الأمل

قال: فلما تم كلامه خرّ مغشياً عليه[(٣)] فرفعت رأسه إلىٰ حجري ونفضت التراب

---

(١) بهلول بن عمرو، أبو وهب الصيرفي الكوفي، وسوس في عقله وما أظنه اختلط، أو قد كان يصحو في وقت، فهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن وحكايات، وقد حدث عن عمرو بن دينار، وعاصم بن بهدلة، وأيمن بن نابل، وما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، ولا كتب عنه الطلبة، كان حيا في دولة الرشيد، ويروي أن البهلول مر به الرشيد فقام وناداه ووعظه، فأمر له بمال فقال: ما كنت لأسود وجه الموعظة . تاريخ الإسلام، وفيات [١٨١ - ١٩٠] .

(٢) سورة المؤمنون [١١٥] .
أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل للعبث، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] . تفسير ابن كثير [٣/ ٢٦٧] .

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، [٥] باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عَزَّ وَجَلَّ قال «أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب =

عن وجهه بكمي، فلما أفاق قلت له: أي بني ما نزل بك، وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب ؟ قال: إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا يوقد إلا بالصغار، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم، قلت: أي بني، أراك حكيما فعظني، فأنشأ يقول:

أنعم جسمي باللباس ولينه ... وليس لجسمي من لباس البلاء يد
كأني به قد مُدّ في برزخ البلاء ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحد
وقد ذهبت من المحاسن وانمحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جلد
أرى العمر قد ولى ولم أدرك المنى ... وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن[1] عاصياً ... وأحدثت أحداثاً وليس بها رد
وأرخيت خوف الناس ستراً من الحيا ... وما من سر فيَّ غدا عنده يبدو
بلى خفته لكن وثقت بحلمه ... وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
فلو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلا ... ولو لم يكن منه وعيد ولا وعد
لكان لنا في الموت شغل وفي البلا ... عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشد
عسى غافر الزلات يغفر زلتي ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا عبد سوء خنت مولاي عهده ... تذلل عن السوء ليس له عهد
فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي ... ونارك لا يقوى لها الحجر الصلد[2]
أنا الفرد عند الموت والفرد في البلا ... وأُبعث فردا فارحم الفرد يا فرد[3]

= ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك » قال النووي: وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة لها، وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر، وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته .

(١) المهيمن: هو القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه، فكل مطلع علىٰ كنه الأمر مستول عليه، حافظ له، فهو مهيمن عليه . سلاح المؤمن لابن الإمام [ص ٢٥٩] .

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤] .

(٣) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥ - (٢٦٧٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢] باب في أسماء الله - تعالىٰ - عن أبي هريرة، وفيه: «إن الله وتر يحب الوتر » قال النووي: الوتر الفرد، ومعناه في حق الله - تعالىٰ - الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، ومعنى يحب الوتر: تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة خمساً والطهارة ثلاثاً والطواف سبعاً والسعي سبعاً =

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي، فلما أفقت نظرت إلىٰ الصبيان فلم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك الغلام ؟ قالوا: وما عرفته ؟ قلت: لا، قالوا: ذلك من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، قلت: قد عجبت من أين تكون هذه الثمرة إلا من تلك الشجرة !!

الحادية بعد العشرين: عن بعض الصالحات[2] وهي شعوانة ـ رحمها الله ـ قالت: رزقت ولداً فربيته أحسن تربية، فلما كبر قال لي: يا أماه سألتك بالله إلا ما وهبتيني لله ـ سبحانه ـ فقلت له: يا بني، لا يصلح أن يهدي للملوك الرؤساء إلا أهل الأدب والتقى، وأنت يا ولدي عزَّ ما تعرف ما يراد بك، ولم يأن لك ذلك، فأمسك عني ولم يقل شيئاً. فلما كان ذات يوم خرج إلىٰ الجبل ليحتطب، ومعه دابة، فلما توسط الجبل نزل عن الدابة وأقبل يحتطب، ويحمل في حبله، حتىٰ جمع حرمة وربطها، وجاء ليطلب الدابة ليحمل عليها، فوجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع وقال: يا كلب الله، وحق سيدي لأُحملنَّك الحطب كما تعديت علىٰ دابتي، فحمل علىٰ ظهره الحطب، وجعل يقوده وهو طائع لأمره، حتىٰ وصل إلىٰ داره، فقرع الباب، فقلت: من بالباب ؟ فقال: ولدك الفقير إلىٰ رب الأرباب، ففتحت له الباب، فلما رأيت الحطب علىٰ ظهر الأسد قلت: يا بني، ما هذا ؟!! فحكى لي القصة فسررت لذلك، وعلمت أن الله ـ جل جلاله ـ قد عني به واصطفاه لخدمته

= ورمي الجمار سبعاً وأيام التشريق ثلاثاً والاستنجاء ثلاثاً وكذا الأكفان، وفي الزكاة خمسة أوسق . . . إلىٰ آخر كلامه، ثم قال: وقيل: إن معناه منصرف إلىٰ صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصاً له، والله أعلم . النووي في شرح مسلم [٦/١٧] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الهاشمي ﷺ ريحانة رسول الله ﷺ وابن بنته فاطمة، السعيد الشهيد، استشهد بكربلاء وله ست وخمسون سنة، وقد حفظ عن جده ﷺ، وروى عنه وعن أبويه وخاله هند بن أبي هالة، روى عنه أخوه الحسن وابنه علي وابن ابنه محمد بن علي الباقر وبنته فاطمة بنت الحسين وعكرمة والشعبي والفرزدق همام وطلحة بن عبيد الله العقيلي، قال ابن سعد والزبير بن بكار: مولده في خامس شعبان سنة أربع . تاريخ الإسلام، وفيات [٦١ - ٧٠] .

(٢) للصلاح والولاية شروط صنفها الشوكاني فقال في كتاب قطر الولي علىٰ حديث الولي [ص٣٧]: ليس لمنكر أن ينكر علىٰ أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع، فهذا باب قد فتحه رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين [البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣)] عنه ﷺ قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم »، ثم قال الشوكاني: حق علىٰ الولي إن بلغ في الولاية إلىٰ أعلى مقام وأرفع مكان أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفا علىٰ الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره .

وقلت له: أما الآن يا بني، فقد صلحت لخدمة الملوك، اذهب فقد وهبتك لله ﷻ وأنت وديعتي إياه، فودعته وودعها، وشيعته بالدعاء، ثم أنشأت تقول:

جعل الرضا لسباقه ميداناً ... فجرى وأطلق من يديه عنانا[1]

فتقدم السباق في غسق الدجى ... يطوي القفار[2] ويطلب الأوطانا

هجر الخلائق والعلائق في الرضا ... محبوبه وتجنب الإخوانا

شرب الظمأ حتىٰ تعطش قلبه ... فغدا وراح من الظمأ ريّانا

الثانية بعد العشرين: عن ذي النون[3] المصري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: كنت في البادية قاصداً مكة، فغلبني العطش، فملت إلىٰ حي من بني مخزوم، فرأيت جارية صغيرة حسناء، وهي تترنم بالأشعار، فعجبت منها لصدور ذلك عنها، وهي من جملة الصغار، فقلت لها: يا هذه الجارية، أما فيك حياء ؟ فقالت: صه يا ذا النون إني شربت البارحة بكأس الحب مسرورة، فأصبحت اليوم من حب المولى مخمورة، فقلت لها: يا جارية، أراك حكيمة فأوصيني بوصية، فقالت: يا ذا النون عليك بالسكوت والرضا في الدنيا بالقوت حتىٰ تزور في الجنة الحيَّ الذي لا يموت . فقلت لها: هل عندك ماء ؟ فقالت: أنا أدلك علىٰ الماء، فظننت أنها تدلني علىٰ بئر أو عين، فقالت: إن الناس يسقون يوم القيامة علىٰ أربع مراتب: فرقة تسقيهم الملائكة، قال الله عز وجل: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝٤٦﴾[4].

وفرقة يسقيهم رضوان خازن الجنة، قال الله عز وجل: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧﴾[5].

وفرقة يسقيهم المولى ﷻ وهم الخواص من عباده، قال تعالىٰ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[6] فلا تعطى بترك الدنيا غير مولاك، حتىٰ يسقيك مولاك في عقباك،

---

(١) العنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة، جمعها: أعنة .

(٢) القفر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ، ويقال: دار قفر، وجمعها: قِفار .

(٣) من أقوال ذي النون: الاستغفار اسم جامع لمعان كثيرة، أولهن: الندم علىٰ ما مضى، والثاني: العزم علىٰ ترك الرجوع، والثالث: أداء كل فرض ضيعته فيما بينك وبين الله، والرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، والخامس: إذابة كل لحم ودم نبت علىٰ الحرام، والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية .

(٤) سورة الصافات [٤٦] . (٥) سورة المطففين [٢٧] .

(٦) سورة الإنسان [٢١] .

أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: " إذا انتهى أهل الجنة إلىٰ باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك، فشربوا من إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم " . تفسير ابن كثير [٤/٤٥٦] .

ولعل ـ والله أعلم ـ بالفرقة الرابعة يسقيهم الولدان، قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾[(١)]

الحكاية الثالثة بعد العشرين: روي أنه اجتاز بعض الأمراء علىٰ باب الشيخ حاتم الأصم[(٢)] - رحمة الله عليه ـ فاستقى ماء، فلما شرب رمى إليهم شيئاً من المال، ووافقه أصحابه، ففرح أهل الدار سوى بنت صغيرة لحاتم فإنها بكت، فقيل لها: ما يبكيك ؟ فقالت: نظر إلينا مخلوق فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق ؟[(٣)]

الحكاية الرابعة بعد العشرين: عن أبي كثير، عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا رآني إلا أحبني . قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكنت أدعوها إلىٰ الإسلام، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فذكرت ذلك له وقلت: ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: « اللهم اهد أم أبي هريرة »[(٤)] فخرجت أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، فسمعت خضخضة الماء، فسمعت أمي خشخشة رجلي فقالت: يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب، وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[(٥)]، فخرجت

---

(١) سورة الواقعة [١٧ ، ١٨] .

(٢) حاتم الأصم أبو عبد الرحمن البلخي الزاهد الناطق بالحكمة، له كلام عجيب في الزهد والوعظ، وكان يقال له: لقمان هذه الأمة، وكان قد صحب شقيقاً البلخي وتأدب بآدابه، قال السلمي: هو حاتم بن عنوان، ويقال ابن يوسف، ويقال حاتم بن عنوان بن يوسف، روى عن شقيق البلخي وسعيد بن عبد الله الماهاني، روى عنه: عبد الله بن سهل الرازي وأحمد بن خضرويه البلخي الزاهد، ومحمد بن فارس البلخي، توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين. تاريخ الإسلام، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠].

(٣) قال أبو تراب: سمعت حاتما الأصم يقول: لي أربع نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يوسوس لي في شيء من أرزاقهم، وقال: المؤمن لا يغيب عن خمسة أشياء: عن الله، والقضاء، والرزق، والموت، والشيطان . انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٣١ - ٢٤٠] .

(٤) قال أبو هريرة: " نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، وكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا، فزوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً .

(٥) قال النووي: إذا أراد الكافر الإسلام بادر به ولا يؤخره للاغتسال، ولا يحل لأحد أن يأذن له في تأخيره بل يبادر به، ثم يغتسل، ومذهبنا أن اغتساله واجب إن كان عليه جنابة في الشرك، سواء كان اغتسل منها أم لا ، وقال بعض أصحابنا: إن كان اغتسل أجزأه وإلا وجب، وقال بعض أصحابنا وبعض المالكية: لا غسل عليه ويسقط حكم الجنابة بالإسلام كما تسقط الذنوب، وضعفوا هذا بالوضوء، فإنه يلزمه بالإجماع ولا يقال يسقط أثر الحدث بالإسلام، هذا كله إذا =

إلىٰ رسول الله ﷺ فبكيت من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله أبشرك، فقد استجاب الله دعاءك، وقد هدى أم أبي هريرة فادع الله أن يحببني إلىٰ عباده المؤمنين، فقال: « اللهم حبب عبدك هذا إلىٰ عبادك المؤمنين » فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا يحبني[١]

الحكاية الخامس بعد العشرين: عن ربيعة بن عثمان، وقدامة ـ رحمهما الله ـ قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم[٢] ؛ قالت: كنت أخرج إلىٰ بادية لنا فيها أهلي، فأقيم بها الثلاث والأربع، ثم أرجع إلىٰ أهلي فلا ينكرون ذهابي في البادية حتىٰ جمعت في السير، فخرجت يوماً من مكة، كأنني أريد البادية، فلقيت رجلا من خزاعة، فلما ذكر خزاعة[٣] اطمأننت ؛ لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، فقلت: إني امرأة من قريش، فإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق، فقال: أنا صاحبك حتىٰ أدلك علىٰ المدينة، ثم جاءني ببعير فركبته، وكان يقود لي البعير فوالله ما كلمني بكلمة، فإذا أناخ البعير تنحى عني، فإذا نزلت جاء إلىٰ البعير قيده بالشجرة، ثم تنحى إلىٰ شجرة، حتىٰ إذا

= كان أجنب في الكفر، أما إذا لم يجنب أصلاً، ثم أسلم فالغسل مستحب له وليس بواجب، هذا مذهبنا ومذهب مالك وآخرين . وقال أحمد وآخرون: يلزمه الغسل . النووي في شرح مسلم [١٢/ ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٨ ـ (٢٤٩١)]: كتاب فضائل الصحابة [٣٥] باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢١)، وأحمد في مسنده (٢٠/ ٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٠٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٠٥).

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديماً، وهي أخت عثمان لأمه، صحابية لها أحاديث، ماتت في خلافة علي ﷺ، وأخرج لها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٧٧]، تقريب التهذيب [٢/ ٦٢٤]، تاريخ الإسلام، وفيات [٣١/ ٤٠] .

(٣) لما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ مؤمنها وكافرها، فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل أحد بني بكر، وأرادوا أن يصيبوا ثأراً من خزاعة، وأمدتهم قريش بالسلاح، وخرج نوفل بن معاوية الديلي في قومه إلىٰ خزاعة فاقتتلوا وحازوا خزاعة إلىٰ الحرم، فقال قوم نوفل بن معاوية الديلي: اتق إلهك ولا تستحل الحرم، فقال: لا إله لي اليوم، والله يا بني كنانة إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم ؟ فقتلوا رجلا من خزاعة، ولجأت خزاعة إلىٰ دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار رافع مولى خزاعة، فلما تظاهر بنو بكر وقريش علىٰ خزاعة كان ذلك نقضاً للهدنة، وكان ما كان من فتح مكة .

كان الرواح خرج بالبعير فقرَّبه إليّ وولى عني، فإذا ركبت أخذ برأسه، ولم يلتفت وراءه حتىٰ أنزل، فلم يزل كذلك حتىٰ قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً، فدخلت علىٰ أم سلمة وأنا متنقبة، فما عرفتني حتىٰ انتسبت، فلما كشفت النقاب التزمتني، وقالت: هاجرت إلىٰ رسول الله ﷺ، قلت: نعم، وإني أخاف أن يردني كما رد أبا جندل[١] وحال الرجال ليس كحال النساء، وقد طالت غيبتي عن قومي، ولي خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا، فدخل رسول الله ﷺ علىٰ أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم، فرحب بها، فقالت: إني فررت إليك بديني، فامنعني ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي علىٰ العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلىٰ ما تعرف، فقال: « إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد نقض العهد في النساء، وحكم بحكم رضوه كلهم»[٢] وكان النبي ﷺ لا يرد النساء، فقدم أخوها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: « قد نقض الله ذلك » فانصرفا، وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذ، فتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل عنها تزوجها الزبير، فولدت له زينب، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف[٣] فولدت له إبراهيم وحميدًا، ثم تزوجها عمرو بن العاص، فماتت عنده .

الحكاية السادسة بعد العشرين: عن الحسن البصري ـ رحم الله تعالىٰ ـ قال: كانت امرأة بغيّ في زمن بني إسرائيل لها ثلث الحُسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب يعمل بيده، وعالج حتىٰ جمع مائة دينار،

---

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو، اسمه العاص من خيار الصحابة، وهو الذي جاء يوم صلح الحديبية يرسف في قيوده، وكان أبوه قيده لما أسلم، فقال أبوه للنبي ﷺ: هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده، فرده . له صحبة وجهاد، توفي بطاعون عمواس، وقتل أخوه عبد الله يوم اليمامة، وكان بدرياً . تاريخ الإسلام، وفيات سنة [١٨] .

(٢) كان ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المُمتَحنَة: ١٠] قال ابن عباس: لما سئل علىٰ امتحان رسول الله ﷺ النساء، قال: "كان يمتحنهن: بالله ما خرجت من بغض زوج ؟ وبالله ما خرجت رغبة من أرض إلىٰ أرض ؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا ؟ وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ؟ " .

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلىٰ الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وكان مولده بعد الفيل بعشر سنين، وتوفي سنة [٣٢] .

ثم جاء إليها وقال: إنك أعجبتيني، فانطلقت فعملت بيدي وعالجت[١] حتىٰ جمعت مائة دينار، فقالت له: ادخل، وكان لها سريراً من ذهب فجلست علىٰ سريرها ثم قالت: هلم، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة، ذكر مقامه بين يدي الله ـ تعالىٰ ـ فأخذته رعدة فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار، فقالت: ما بدا لك، وقد زعمت أني أعجبتك، فلم قدمت علىٰ فعلك الذي فعلت ؟ فقال: فرقا من الله، ومن مقامي بين يديه، وقد بغضك الله إليّ، فأنت أبغض الناس إليَّ[٢] قالت: إن كنت صادقاً فمالي زوج غيرك، فقال: دعيني أخرج، قالت: لا إلا أن تجعل لي أنك تتزوج بي، قال: فلعل تقنع بتوبة، وخرج إلىٰ بلده فارتحلت نادمة علىٰ ما كان منها، حتىٰ قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلَّت عليه، وكانت تُعرف بالملكة، فقيل له: إن الملكة قد جاءتك، فلما رآها شهق شهقة فمات ـ رحمه الله ـ قال: فسقط في يدها وقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب ؟ قالوا: أخوه رجل فقير، قالت: وأنا أتزوج به حباً لأخيه، فتزوجته، فنسل الله منهما سبعة أبناء .

الحكاية السابعة بعد العشرين: عن رجاء بن عمرو النخعي قال: كان في الكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلىٰ جارية جميلة فهويها، فهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمها، فاشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك[٣] فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك إلىٰ أن تأتيني إلىٰ منزلي، فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[٤].

---

(١) عالج الشيء معالجة: زاوله ومارسه .

(٢) قال تعالىٰ في قصة يوسف. عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يُوسُف: ٢٤] كذا يفعل الله بعباده الطائعين المجتنبين للمعاصي والمطهرين المختارين المصطفين الأخيار من صفوة خلقه، وعلىٰ رأسهم الأنبياء ثم الأولياء والصالحون .

(٣) في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما ورد في صحيح مسلم [٩١-(١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، عن أبي هريرة، وفيه عنه ﷺ: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» .

(٤) سورة الأنعام [١٥، يونس [١٥]، الزمر [١٣]،
وقال النووي في حديث السبعة المتقدم قبل هذا: قال القاضي: يحتمل قوله أخاف الله باللسان، ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه، وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال لا سيما، وهي داعية إلىٰ نفسها طالبة لذلك، قد =

أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهبها، فلما انصرف الرسول إليها وأخبرها بما قال قالت: وأراه مع ذلك زاهداً يخاف الله، فقالت: والله ما أحد أحق بهذا الأمر مني، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المسوح وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل وتزداد حباً للفتى وأسفاً عليه حتىٰ ماتت، فكان الفتى يأتي إلىٰ قبرها، فرآها في منامه، وكأنها في أحسن منظر، فقال: كيف أنت وما لقيتي ؟ قالت: المحبة يا أخي محبتك حباً يقود إلىٰ خير وإحسان، فقال لها: علىٰ إثر ذلك إلام صرت ؟ قالت: إلىٰ نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد مُلك ليس بالفاني، فقال لها: أذكرتيني هناك، فإني لست أنساك ؟ فقالت: ولا أنا والله أنساك، ولقد سألت ربي مولاي ومولاك فأعني علىٰ ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة، فقال لها: متى أراك ؟ قالت: ستأتينا عن قريب، ولم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال .

الحكاية الثامنة بعد العشرين: عن بعض السلف ـ رحمة الله عليه ـ قال: كان لقمان عبداً حبشياً لرجل جاء به إلىٰ السوق يبيعه، فكان لقمان كلما جاء إنسان يشتريه قال له: ما تصنع بي ؟ فإذا قال: أصنع بك كذا وكذا وكذا، قال: حاجتي إليك أن لا تشتريني حتىٰ جاء رجل فقال لقمان:[1] ما تصنع بي ؟ قال: أصيرك بواباً علىٰ بابي، قال: فاشترني، فاشتراه وجاء به إلىٰ داره، وكان له ثلاث بنات يبغين في القرية، فأراد أن يخرج إلىٰ ضيعة له، فقال له: إني أدخلت إليهن طعاما وما يحتجن إليه، فإذا خرجت فأغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتىٰ أجيء، فلما خرج فعل ما أمره به مولاه، فقال له البنات: افتح الباب، فأبى عليهن، فشججنه، فغسل الدم وجلس، فلما قدم سيده لم يخبره بشيء، ثم أراد سيده الخروج أيضاً فقال: إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه، فلا تفتح الباب، فلما خرج سيده خرجن إليه، وقلن له: افتح الباب فأبى، فشججنه، فغسل الدم وجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره

= أغنت عن مشاق التوصل إلىٰ مراودة ونحوها، فالصبر عنها لخوف الله ـ تعالىٰ ـ وقد دعت إلىٰ نفسها مع جمعها المنصب والجمال ـ من أكمل المراتب وأعظم الطاعات . النووي في شرح مسلم [١٠٩/٧] طبعة دار الكتب العلمية.

(١) اختلف السلف في لقمان ؛ هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة علىٰ قولين: الأكثرون علىٰ الثاني، وقال سفيان الثوري عن الأشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً »، وقال قتادة: عن عبد الله بن الزبير، قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال: كان قصيراً أفطس الأنف من النوبة، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة . تفسير ابن كثير [٤٥٨/٣، ٤٥٩] .

بشيء، فقالت الكبيرة منهن: ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله مني، والله لأتوبن، فتابت، فقالت الصغرى: ما بال هذا العبد الحبشي، وهذه الكبرى أولى بطاعة الله مني، والله لأتوبن[1] فتابت، فقالت الوسطى: ما بال هذا العبد الحبشي وهاتين أولى بطاعة الله مني، فتابت، فقالت غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله منا، والله لنتوبن، فتاب الجميع وصاروا عبَّاد القرية .

الحكاية التاسعة بعد العشرين: عن بعضهم قال: كنا نمشي علىٰ شاطئ الإيلة في الليل والقمر طالع، فمررنا بقصر لجندي، وفيه جارية تضرب بالعود، وإلى جانب القصر فقير عليه خرقتان، فسمع الجارية وهي تقول :

في سبيل الله ود كان مني إليك يبذل
كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح الفقير وقال: اعبديه يا جارية، فهذا حالي مع الله ـ تعالىٰ ـ فنظر صاحب الجارية إليه وقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي، فأخذت تقول والفقير يقول: هذا حالي مع الله ـ تعالىٰ ـ والجارية تردد إلىٰ أن صاح الفقير صيحة وخرّ مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو ميت، فنزل صاحب القصر، فأدخله القصر فاغتممنا وقلنا: هذا يكفنه بكفن غير طيب، فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا الأخير، ومضينا إلىٰ الإيلة، وأعلمنا الناس .

فلما أصبحنا رجعنا إلىٰ القصر، فإذا الناس يقبلون من كل وجه إلىٰ الجنازة، كأنما نودي للبصرة حتىٰ خرج القضاة والعدول وغيرهم، والجندي يمشي خلف الجنازة حافيا حاسراً حتىٰ دفن، فلما هم الناس بالانصراف، قال الجندي للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله ـ تعالىٰ - وكل ضياعي وعقاراتي في سبيل الله، ولي في صندوق كذا وكذا أربعة الآف دينار، وهي في سبيل الله[2] ثم

---

(١) للتوبة ثلاثة أركان: الإقلاع، والندم علىٰ فعل تلك المعصية، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو: التحلل من صاحب ذلك الحق، وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة . النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٠] طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) الهبة: كل ما من شأنه أن يقرب من قلوب الناس ويغرس فيها المحبة ويؤكد فيها روابط الود، مطلوب في نظر الشريعة الإسلامية، ويتفاوت طلبه بتفاوت حاجة الناس إليه، فما كان لازماً ضرورياً لحياتهم كان القيام به فرضاً لازماً علىٰ كل فرد من الأفراد كزكاة الأموال التي فرضها الله ـ تعالىٰ ـ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] لأن مما لا بد =

نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به، وبقي في سراويله، فأعطي ثوبين اتزر بواحد واتشح بالآخر، وهام علىٰ وجهه، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم علىٰ الميت .

الحكاية الثلاثون: عن أبي هاشم ـ رحمة الله عليه ـ قال: أردت البصرة، فجئت إلىٰ سفينة أكتريها[١] وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس هاهنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني ففعل، فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال: ادع ذلك المسكين ليتغذى معنا، فجئت علىٰ أني مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية، هاتي شرابك، فشرب وأمرها أن تسقيني فقلت: يرحمك الله، إن للضيف حقاً، فتركني، فلما دب فيه النبيذ قال: يا جارية، هاتي عودك، وهاتي ما عندك، فأخذت العود وغنت وهي تقول:

وكنا كغصني بانة[٢] ليس واحد ... تزول علىٰ الحالات عن رأي واحد

تبدل بي خلاً فخاللت غيره ... وخليته لما رأيت تباعدي

فلو أن كفي لم تردني أبنتها ... فلم تصحبنها بعد ذلك ساعدي

ألا قبح الرحمن كل ممازق ... بكون أخا في الخفض لا في الشدائد

فالتفت الرجل إليّ وقال: أتحسن مثل هذا ؟ فقلت: أحسن خيراً منه، فقرأت ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾[٣] فجعل الشيخ يبكي، فلما انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾[٤] قال: يا جارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وألقى ما معه من الشراب في الماء، ثم عاد إليّ فاعتنقني وقال: يا أخي، أترى أن الله يقبل توبتي ؟[٥] فقلت له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ

= منه في هذه الحياة الدنيا، أن يوجد أفراد بين الناس عاجزون عن سلوك سبيل الحياة وتحصيل الضروري من القوت، فمن المفروض إنقاذ هؤلاء وإعطاؤهم ما يدفع عنهم غائلة الجوع والعري . الفقه علىٰ المذاهب الأربعة [٣/ ٢٦٧] .

(١) اكترى الدار: استأجرها، وأكرى الدار أو الدابة آجرها، والكراء: أجر المستأجر .

(٢) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف، واحدته: بانة، وتشبه به الحسان في الطول واللين .

(٣) سورة التكوير [١ - ٣] .

(٤) سورة التكوير [١٠] .

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] ، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ الأنعام [٥٤] .

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] ثم آخيته، فاصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتىٰ مات، فرأيته في المنام فقلت: إلام صرت ؟ قال: إلىٰ الجنة، قلت: بماذا ؟ قال: بقرائتك عليّ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾.

وأنشدوا :

بادر إلىٰ التوبة الخلصاء مجتهداً فالموت ويحك لم يمدد إليك يداً

فإنما المرء في الدنيا علىٰ خطر إن لم يكن ميتا اليوم مات غداً

الحادية بعد الثلاثين: عن إسماعيل بن عبد الله الخزاعي ـ رحمه الله ـ قال: قدم رجل من المهابة من البصرة أيام البرامكة[2] في حوائج له، فلما فرغ منها انحدر إلىٰ البصرة ومعه غلام له وجارية، فلما صار في دجلة إذا بفتى علىٰ ساحل دجلة عليه جبة صوف، وبيده عكاز ومزود، فسأل الملاح أن يحمله إلىٰ البصرة، ويأخذ من الكرى، فأشرف المهلبي، فلما رآه رق له فقال للملاح: قَرِّب واحمله معك علىٰ الظلال[3]، فحمله فلما كان وقت الغداء، دعا بالسفرة وقال للملاح: قل للفتى يتغدى معنا، فأبى عليه، فلم يزل يطلبه حتىٰ أتى، فأكلوا حتىٰ إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم فمنعه الرجل، ثم دعا بشراب فشرب قدحاً، ثم سقى الجارية، ثم عرض علىٰ الفتى فأبى، فسقى الجارية وقال: هاتي ما عندك، فأخرجت عوداً لها في غشاء فهيأته وأصلحته، ثم غنت، فقال: يا فتى، أتحسن مثل هذا ؟ قال: أُحسن ما هو أحسن من هذا، فافتتح الفتى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا[4] أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[5] وكان الفتى

---

(١) سورة البقرة [٢٢٢] .

(٢) كان سبب هلاك البرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي، قال: وكان يحضرها مجلس الشراب فقال: أزوجكها علىٰ أن لا تمسها، فكانا يثملان من الشراب وهما شابان ويقوم الرشيد، فوثب جعفر عليها فولدت منه غلاماً، فخافت الرشيد، فوجهت بالطفل مع حواضن إلىٰ مكة واختفى الأمر، ثم ضربت جارية لها، فوشت بها إلىٰ الرشيد، ثم كان ما كان من قتل جعفر وسائر البرامكة. انظر تاريخ الإسلام، وفيات [١٨١ - ١٩٠] .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) الفتيل: الخيط الذي في شق النواة، يقال: ما أغنى عنه فتيلاً أي شيئاً .

(٥) سورة النساء [٧٧، ٧٨] . أي آخرة المتقي خير من دنياه ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: ٧٧] أي من أعمالكم بل توفونها أتم الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا، وترغيب لهم في الآخرة، وتحريض لهم علىٰ الجهاد، وقوله ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: ٧٨] أي أنتم صائرون إلىٰ الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم كما قال تعالىٰ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] ، =

حسن الصوت، فرمى الرجل بالقدح في الماء، وقال: أشهد أن هذا أحسن مما سمعت، فهل غير هذا ؟ قال: نعم ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[1] .

فوقعت من قلبه موقعاً، فرمى ظرف الشراب بما فيه، وكسر العود، ثم قال: يا فتى ههنا فرج ؟ قال: نعم ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2] فصاح صيحة وخر مغشيا عليه، فنظروا إليه فإذا هو فارق الدنيا، وكان رجلا معروفاً، فحمل إلىٰ منزله واجتمع الناس، فما رأيت جنازة أكثر جمعاً منه .

قال: وبلغني أن الجارية المغنية تدرعت الشعر فوق الصوف، وجعلت تصوم النهار وتقوم الليل، فمكثت أربعين ليلة، ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي[3] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[4] فلما كان الصبح وجدوها ميتة .

الثانية بعد الثلاثين: عن مالك بن دينار ـ رحمة الله عليه ـ أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رأى

= وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والمقصود أن كل أحد صائر إلىٰ الموت لا محالة ولا ينجيه من ذلك شيء سواء جاهد أو لم يجاهد فإن له أجلاً محتوماً ومقاماً مقسوماً . تفسير ابن كثير [١/ ٥٢٦] .

(١) سورة الكهف [٢٩] .

(٢) سورة الزمر [٥٣] .
هذه الآيات دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلىٰ التوبة والإنابة وإخبار بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه علىٰ غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . تفسير ابن كثير [٤/ ٥٨] .

(٣) يقول تعالىٰ لرسوله محمد ﷺ: وقل يا محمد للناس: هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي أرصدنا ﴿لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي سورها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت . تفسير ابن كثير [٣/ ٨٣، ٨٤] .

(٤) سورة الكهف [٢٩] .

مالك نادى: أيتها الجارية، أيبيعك مولاك ؟ قالت: ولو باعني، كان مثلك يشتريني ؟ قال: نعم وخيراً منك، فضحكت، وأمرت به أن يحمل به إلىٰ دارها، فحُمل، فدخلت إلىٰ مولاها فأخبرته، فضحك وأمر أن يدخل به إليه، فأُدخل فأُلقيت له الهيبة في قلب السيد قال: ما حاجتك ؟ قال: بعني جاريتك، قال: أو تطيق ثمنها ؟ قال: فثمنها عندي نواتان مسوستان، فضحكوا، قال: كيف ثمنها عندك هذا ؟ قال: لكثرة عيوبها، قال: وما عيوبها ؟ قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن تستك (نجرت)[1]، وإن لم تمتشط وتدهن قملت وتشعَّثت، وإن تعمد عن قليل هرمت، ذات حيض وبول وأقذار، وحزن وغم وأكدار، ولعلها لا تودك إلا نفسها، ولا تحبك إلا لنعيمها، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ودك، ولا تخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك، وأنا آخذ بدون ما سألتك في جاريتك منَ الثمن جارية خلقت من الكافور، ومن المسك والجوهر والنور، لو مزج بريقها أجاج لطاب، ولو دعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت[2] ولو بدا في الظلماء لأنارت به وأشرقت، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت بها وتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقضبان الياقوت والمرجان، وقصرت في خيام النعيم[3] وغُذيت بماء التسنيم، لا يخلف وعدها، ولا يبدل وُدُّها، فأيهما أحق بدفع الثمن ؟ قال: التي وصفتَ، قال: فإنها الموجودة الثمن، القريبة الخطب في كل زمن، قال: فما ثمنها ـ رحمك الله ؟

قال: اليسير المبذول، الخطير المأمول، أن تتفرغ ساعة في ليلك، تصلي ركعتين تُخلصهما لربك، وأن يوضع طعامك، فتذكر جائعك فتؤثر الله ﷻ علىٰ شهوتك، وأن ترفع حجراً أو قذراً عن الطريق[4]، وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة،

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) روى البخاري في صحيحه [٢٧٩٦] كتاب الجهاد والسير، [٦] باب الحور العين وصفتهن، عن أنس بن مالك مرفوعاً وفيه: «ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلىٰ أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها ـ يعني خمارها ـ علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢]، وقال هناك: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرَّحمٰن: ٥٦] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قُصرت وإن كان الجميع مخدرات، وقوله: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢]، فروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة طولها عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون» تفسير ابن كثير [٤/ ٢٨٠] .

(٤) روى مسلم في صحيحه [٥٨ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان =

وترفع همك عن دار الغرور والغفلة، فتعيش في الدنيا بعز القناعة، وتأتي إلىٰ موقف الكرامة آمناً غداً، وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلداً[1] فقال الرجل: يا جارية، أسمعت ما قال شيخنا هذا ؟ قالت: نعم، قال: أفصدق أم كذب ؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح، قال: فأنت إذن حرة لله ـ تعالىٰ ـ وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدام أحرار، وضيعة كذا وكذا وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله، ثم مدَّ يده إلىٰ ستر خيش كان علىٰ بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه، واستتر بالستر، فقالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي، فرمت بكسوتها، ولبست ثوباً خشناً، وخرجت معه، فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما، وأخذا طريقاً غيره، فتعبدا جميعاً حتىٰ جاء الموت، فنقلهما علىٰ حال العبادة ـ رحمة الله عليهما .

الثالثة بعد الثلاثين: عن بعض أهل العلم قال: كانت تختلف إليّ في بعض الأحيان جارية لها وضاءة، وعليها خفارة[2] فتسألني عن شرائع الإسلام وأمور الدين، وأجيبها وألطف بها، وكان حالها يميل إلىٰ السر والكتمان[3]، وكان يعجبني

= وأفضلها وأدناها، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» قال النووي: قوله ﷺ: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو مدر أو شوك أو غيره . انظر شرح مسلم [٢/ ٦] طبعة دار الكتب العلمية .

(١) في حديث مسلم [٤٠ ـ (٢٨٤٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد مرفوعاً: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح .... الحديث» إلىٰ أن قال: «فيؤمر به فيذبح» قال: «ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت .... الحديث»، قال النووي: قال المازري: الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة، وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ لقوله تعالىٰ: «خلق الموت والحياة» فأثبت الموت مخلوقاً، وعلىٰ المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره، فيتأول الحديث علىٰ أن الله يخلق هذا الجسم، ثم يذبح مثالاً لأن الموت لا يطرأ علىٰ أهل الآخرة . النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٣] طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) خفرت المرأة خفراً: اشتد حياؤها، فهي خفرة .

(٣) فيما روى من حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وفيه «ورجل ذكر الله ـ تعالىٰ ـ خالياً ففاضت عيناه» وفيه فضيلة البكاء من خشية الله ـ تعالىٰ ـ وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها، انظر الحديث في مسلم [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، عن أبي هريرة .

سمتها وحالها، فبينما أنا بعد مدة ماراً بالسوق، إذ رأيت الجارية وقد قبض علىٰ يدها إنسان وهو ينادي عليها: من يشتري هذه الجارية بعيبها، فقلت لها: ألست التي كنت تسأليني عن أمور وشرائع الإسلام ؟ فأطرقت، فبينما أنا أتكلم معها إذا بسيدها قد أقبل، فتقدمت إليه وقلت له: صف صفة جاريتك، واذكر لي ما الذي تكره منها، فقال: أخبر الشيخ أن البعيد مجوسي(١) يعبد النار والنور، وكنت قد استحسنت هذه الجارية لما رأيت من جمالها وعقلها، فاشتريتها بثمن جزيل، وكنت أراها كثيرة العبادة والتعظيم لمعبودنا، محبة طائعة لآلهتنا، وقد كانت ليلة من الليالي، فمر بنا رجل من أهل ملتكم، وقرأ شيئاً من كتابكم، فما هو إلا أن سمعت ما قرأه، صاحت صيحة فدهشنا، وأنشدت :

طرق السمع يا أهيل المحلى ... خير منكم فزاد اشتياقي
حكم النقل قد روته ثقات ... مسند بالدواة والاتفاق
عندما شمت بارقاً من حماكم ... حن قلبي إلىٰ لذيذ التلاقي
وكتمت الوشاة ما بي من الوجد ... ومن لوعتي واحتراقي
أنا أفنى بكم وتبلى عظامي ... ورسل الغرام في القلب باقي

قال: فدهشنا وهي باهتة نسألها، فلا ترد جواباً، إلا أنها تركت عبادة آلهتنا، وأبت أن تأكل طعامنا، وإذا جن عليها الليل صلَّت إلىٰ قبلتكم، وكم نهيناها فلم تنته، وقد ذهبت نضارتها وغيرت حالتها، ولم يحصل لنا بها انتفاع، ولم نستطع أن نردها عن ما هي عليه، وقد عزمت علىٰ بيعها، قال: فقلت لها: الأمر كذلك ؟ فأشارت برأسها: نعم، فقلت في نفسي: إنما عابها من جهلها، فأنشدت :

يعيبون ما لو أنهم فطنوا به ... لكانوا أشذ الناس جيئاً لما عابوا

فقلت لها: أي آية قرئت عليك ؟ قالت: قول ربك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾(٢) الآية، فمنذ سمعتها عزمت (صبري)(٣) وظهر لي ما ترى من أمري، وأنشدت:

ما بين منعرج اللوى والوادي ... يا صاحبي ضحى عدمت فؤادي
ورجعت ذو وله وكم من عاشق ... مقتول عشق ما له من فادي
يا أهل نجد ارحموا ذا لوعة ... ما بين أطناب الخيام ينادي

---

(١) المجوس: عقيدتهم في تقديس الكواكب والنار .
(٢) سورة الذاريات [٥٠] . (٣) كذا بالأصل .

ولـهـان لا يـصـغـي لـعـذل عـوازل ظـمـآن مـن مـاء الـتـواصـل صـادي
مـا هـبت لـي مـنـكـم نـسـيـم مـخـبـر بـالـوصـل فـيـه مـنـايـح الإسـعـادي
ألا سـعـيـت مـبـادراً لـلـقـاكـم ومـنـعـت عـيـنـي مـن لـذيـذ رقـاذي
وإذا نـطـقـت بـذكـر غـزلان الـنـقـا[١] أو زيـنـب أو (عـلـوة)[٢] وسـعـادي
فـلأنـتـم قـصـدي وغـايـة مـطـلـبـي ولأنـتـم دون الـجـمـيـع مـرادي
لا شـيء يـشـبـهـكـم تـعـالـىٰ ذكـركـم عـن قـول ذي زيـغ وذي إلـحـاد[٣]

قال: فقلت لها: لو أسمعتك تمام الآيات؟ فقالت: إن كنت تحسنها فاقرأ عليّ، فقرأت عليها حتىٰ انتهيت إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[٤].

فقالت: أحسنت، حسبك ما ضمنه الإله المعبود، ثم قلت لسيدها: هل لك أن تقبض ثمنها مني؟ قال: إن ثمنها جزيل، ولي ابن عم قد تعلق بها وقصدني فيها يريد أن يرجعها عن ما هي عليه من الخاطر الذي قد اعتراها، وهو مجوسي من الملة، قال: فبينما هو يخاطبني، إذ أقبل ابن عمه، فقال: أنا أردّها عما هي عليه، فدفعها إليه، فلمّا علمت بذلك قالت لي: يا شيخ، ألا تسمع كلامه ليكونن لي وله شأن عظيم يطلعك الملك عليه، فلمّا كان بعد مدة، رأيت سيدها المجوسي ذهب بها يصلي معنا في المسجد، فقلت له: ألست سيد الجارية؟ قال: بلى، قلت: كيف كان الخبر؟ قال: خبر خير، مضيت بها إلىٰ منزلي، وخرجت لحاجتي، فلما رجعت وجدتها قد نصبت كرسياً وجلست عليه، وجعلت تذكر الله وتوحده، وتُحذّر أهلي

---

(١) النّقا: الكثيب من الرمال، ونقي الشيء نقاوة ونقاء: نظف، فهو نقي وهي نقية.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) ألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، وفي الدين: طعن، وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فُصّلَت: ٤٠].

(٤) سورة الذاريات [٥٦ - ٥٨].

أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إلا ليعبدون أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] أي إلا للعبادة، وأنه ـ تبارك وتعالى ـ خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم. تفسير ابن كثير [٤/٢٣٨].

وتنهاهم عن عبادة النار، وتصف لهم الجنة، فخشيت أن تفسد علينا ديننا، فقلت: أخذت هذه الجارية طمعا أن نفسد عليها دينها فإذا هي تفسد علينا ديننا، فقصصت قصتها علىٰ صاحب لي وقلت له: ما تشير عليّ أن أفعل ؟ قال: أودعها مالاً وخذه من ورائها، واطلبه منها لتثبت عليها الحجة، ثم اضربها، قال: فأودعتها كيسا فيه خمسمائة دينار، فاشتغلت علىٰ عادتها في عبادتها، فأخذت الكيس وهي لا تشعر، فطلبته منها، فوثبت إلىٰ الموضع الذي وضعته فيه، فإذا بالكيس في موضعه، فناولتني إياه، فعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: أنا أخذت الكيس، وهذا آخر ولا شك بعد العيان، هذا يدل علىٰ قدرة إلهها الذي تعبده، فآمنت بإلهها وأسلمت أنا وصاحبي وأهلي كلهم، وأطلقت سبيلها كما اختارت - رحمها الله تعالىٰ - ما زالت تكتم الغرام حتىٰ أظهر الله حالها للأنام كما أنشد لسان حالها:

كتمت الوشاة[1] غرامي بكم وحبكم في حشا أضلعي
وموهت[2] عنكم بوادي التقى وسكان رامة والأجرع
ولولاكم ما ذكرت اللوى ولا حن قلبي إلىٰ لعلعي[3]

الرابعة بعد الثلاثين: عن سري السقطي[4] - رحمه الله تعالىٰ - قال: سهرت ليلة من الليالي، وقلقت قلقاً شديداً، فلم أطق الغمض، مع ما حرمته من التهجد، فلما صليت الصبح خرجت، لا يقَرّ بي قرار، فوقعت في الجامع أسمع بعض القصص لعلي أجد لقلبي راحة، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فمضيت، ووقفت ببعض الوعاظ، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فقلت: أمضي إلىٰ بعض أطباء القلوب، ومن يدل المحب علىٰ المحبوب ؟ فمضيت، فوجدت قلبي لا يزداد إلا

---

(١) وشى به إلىٰ السلطان: نمَّ به وسعى، فهو واشٍ، وجمعها: وُشَاة.

(٢) موه الشيء: أي طلاه بفضة أو ذهب إذا لم يكن جوهره منهما، وموه الحق: لبسه بالباطل، ويقال موه الحديث زخرفه ومزجه من الحق والباطل، وموه عليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.

(٣) اللعلعة: بصيص، والسراب: تلألأ، وتلعلع من الجوع والعطش: تضور.

(٤) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون. وعنه: أبو العباس بن مسروق والجنيد وغيرهم، قال السلمي: السري أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، وقال الجنيد له في مرض موته: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار ولا تشغلن عن الله بمجالسة الأخيار، وقال عنه أيضاً: ما رأيت أعبد لله من السري ؛ أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علة الموت، توفي سنة [٢٥٧]، وقيل [٥٣]، وقيل [٢٥١] . تاريخ الإسلام، وفيات [٢٥١ - ٢٦٠] .

قساوة، فمضيت إلىٰ الشرطة، لعلي أعتبر بمن يعاقب في الدنيا، فوجدت قلبي لا يزداد إلا قساوة، فقلت: أمضي إلىٰ المارستان لعلي أرتعد وأنزجر بمن ابتلي، فلما ولجت المارستان[١] وجدت قلبي قد انفسح، وصدري قد انشرح.

وإذا أنا بجارية من أنضر الناس وجهاً، عليها أطمار[٢] حسنة رفيعة، وشممت منها رائحة عطرة، عفيفة المنظر، وسيمة الخطر[٣]، وهي مقيدة الرجلين، مغلولة اليدين، فلما رأتني تغرغرت عيناها بالدموع، وأنشأت تقول:

أعندك أن تغل يدي ... بغير جريرة سبقت
تغل يدي إلىٰ عنقي ... وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبداً ... حسٌ بها قد احترقت
وحقك يا منى قلبي ... يميناً برة صدقت
فلو قطعتهما قطعاً ... وحقك عنك ما رجعت

قال السري: فلما سمعت كلامها قلت لصاحب المارستان: ما هذه الجارية؟ قال: مملوكة اختل[٤] عقلها فحبسها مولاها لعلها تنصلح، فلما سمعت كلام القيم تشرَّفت[٥] بدموعها وجعلت تقول:

معشر الناس ما جننت ولكن ... أنا سكرانة وقلبي صاحي
أغللتم يدي ولم آت ذنباً ... غير جهدي في حبه وافتضاحي
أنا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغي من بابه من براحي
فصلاحي الذي زعمتم فسادي ... وفسادي الذي زعمتم صلاحي
ما علىٰ من أحب مولى الموالي ... وارتضاه لنفسه من جناحي

قال: سمعت كلاماً أقلقني وأشجاني[٦] وأحرقني وأبكاني، فلما رأت دموعي قالت: يا سري هذا بكاؤك علىٰ صفته، فكيف لو عرفته حق معرفته؟! ثم أغمي عليها ساعة، فلما أفاقت جعلت تقول:

---

(١) المارستان: المصحة أو المستشفى.
(٢) الطمر: الثوب الخلق البالي، جمعها: أطمار.
(٣) الخَطْر: اهتز وتبختر فهو خاطر.
(٤) اختل العقل: تغير واضطرب.
(٥) تشرَّفت: رفعت بصرها تنظر إليه.
(٦) أشجن الأمر فلاناً: أحزنه، والشجن: الهم والحزن، وجمعها: شجون وأشجان.

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه ... فأنت مولى الورى حقاً ومولاي
كانت لقلبي أهواء مفرقة ... فاستجمعت مُذْ رأتك العين مولاي
من غصَّ [١] داوى بشرب الماء غُصَّتَهُ ... فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبي حزين علىٰ ما فات من زللي ... والنفس في جسدي من أعظم الداء
والشوق في خاطري مني وفي كبدي ... والحب مني مصون في سويدائي
إليك مني قصدت الباب معتذراً ... فأنت تعلم ما ضمته أحشائي

فقلت لها: يا جارية، قالت: لبيك يا سري، قلت: من أين عرفتيني؟ قالت: ما جهلتك مذ عرفت، ولا فترت مذ خدمت ولا انقطعت مذ وصلت، وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً، قلت: أسمعك تذكرين المحبة، فمن تحبين؟ قالت: لمن تعرَّف إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزيل عطائه، فهو قريب إلىٰ القلوب، محب لطلب المحبوب، سميع عليم بديع حكيم، جواد كريم، غفور رحيم، فقلت لها: من حبسك ههنا؟ قالت: يا سيدي حاسدون تعاونوا وتعاقدوا وتراسلوا، ثم شهقت حتىٰ ظننت أنها فارقت الحياة، ثم أفاقت وأنشأت تقول:

قلبي أراه أني إلىٰ الأحباب مرتاحا ... سكران في حب من هو بالهوى باحا
ياعين جودي بدمع خوف هجرهم ... فربَّ دمع أتى للخير مفتاحاً
ورب عين رآها الله باكية ... بالخوف منه تنال الروح والراحا
لله عبد جنى ذنباً فأحزنه ... فبات يبكي بدر الدمع سفاحا
مستوحش [٢] خائف مستيقن فطن ... كأن في قلبه للنور مصباحاً

قال السري: فقلت لقيِّم [٣] المارستان: أطلقها، ففعل، فقلت: اذهبي حيث شئت، قالت: يا سيدي إلىٰ أين أذهب؟ ومالي عنه مذهب، إن حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي ذهبت، وإلا صبرت واحتسبت، فقلت: والله هذه أعقل مني، فبينما هي تخاطبني إذ دخل مولاها فقال للقيم: أين تُحفة؟ فقال: هي داخل المارستان [٤]، وعندها السري السقطي، قال: ففرح ودخل وسلَّم عليَّ،

---

(١) غصَّ: بالماء غصّاً وغصصاً: وقف الماء في حلقه فلم يكد يبتلعه، فهو غاصٌّ وغصّان، والغُصَّة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب، جمعها غُصَص.
(٢) استوحش: فلان وجد الوحشة، ومنه لم يأنس به.
(٣) القيِّم: من يقوم بالأمر ويسوسه ومن يتولى أمر المحجور عليه، وكتاب قيِّم: ذو قيمة.
(٤) المارستان: المصحة أو المستشفى.

ورحب بي وعظمني، فقلت له: هي أولى بالتعظيم مني؛ فما الذي تكره منها؟ فقال: أمور كثيرة: لا تأكل ولا تشرب، ذاهلة [١] العقل مدهوشة اللب، لا تنام ولا تدعنا ننام، كثيرة الفكرة، سريعة الدمعة، ذات زفرة وحنين وبكاء وأنين، وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي؛ بعشرين ألف درهم، وقلت: أنا أربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها، قلت: وما صنعتها؟ قال: مطربة، قلت: ومنذ كم كان بها هذا الداء؟ قال: منذ سنة، قلت: وما كان بدؤه؟ قال: بينما العود في حجرها وهي تغني وتقول:

وحقك لا نقضت الدهر عهدا ... ولا كدَّرت بعد الصفو ودّاً
ملأت جوانحي [٢] والقلب وجدا ... فكيف أَلَذُّ وأسلو وأهدى
فيا من ليس لي مولى سواه ... تُرَاكَ رضيتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت، فاتهمتها بمحبة إنسان، فَكَشَفْتُ عن ذلك فلم أجد له أثراً، فقلت لها: هكذا كان الحديث، فأجابتني بلسان طلق وقلب محزون وهي تقول:

خاطبني الحق من جناني ... فكان وعظي علىٰ لساني
قربني منه بعد بُعد ... وخصني الله واصطفاني
أجيب لما دعيت طوعاً ... ملبيا للذي دعاني
وحققت مما جنيت قدما ... فوقع الحب بالأماني

قال السري: فقلت له: علىٰ الثمن وأزيدك، فصاح وقال: وافقداه من أين لك ثمن هذه وأنت رجل فقير؟!! فقلت له: لا تعجل عليَّ تكون في المارستان حتىٰ آتي بثمنها، ثم ذهبت باكي العين حزين القلب، ووالله ما عندي من ثمنها درهم، وبقيت طول الليل أتضرع، فلم أغمض، وأقول: يا رب إنك تعلم سري وجهري، وقد عودتني علىٰ فضلك فلا تفضحني، فبينما أنا في المحراب إذا بقارع يقرع الباب، فقلت: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب؛ جاء في سبب من الأسباب، بأمر الملك والوهاب، ففتحت الباب، وإذا برجل معه أربعة غلمان وشمعة، فقال: يا أستاذ تأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل، فدخل، فقلت له: من أنت؟ قال: أحمد بن المثنىٰ قد أعطاني من إذا أعطى لا يبخل بالعطاء، كنت الليلة نائماً، فهتف بي هاتف

(١) ذهل الأمر وعنه ذهلاً وذهولاً: نسيه وغفل عنه، وذهل ذهولاً: تدلَّه وغاب عن رشده، وأذهله الأمر: جعله يذهل.
(٢) الجانحة: الضلع القصيرة مما يلي الصدر، وجمعها جوانح.

وقال لي: خذ خمس بدرات [١] إلىٰ السري يطيب بها نفسه، ويشتري بها تحفة، فإن لنا بها عناية، فسجدت شكراً لله علىٰ ما أولاني من نعمة، وجعلت أتوقع الفجر، فلما صليت الصبح خرجت وأخذت بيد أحمد ومضيت إلىٰ المارستان، فإذا بالموكل بها يتلفت يميناً وشمالاً، فلما رآني قال: مرحباً أُدخل فإن لها عند الله عناية؛ هتف بي البارحة هاتف وهو يقول:

إنـهـا مـنـا تـنـال ... لـيـس تـخـلـو مـن نـوال
ثـم تـرقَّـت وعـلـت ... فـي كـل حـال

قال السري: فلما رأتني تحفة تغرغرت عيناها بالدموع وقالت: شهرتني بين المخلوقين، ثم أنشأت تقول:

قـد تـصـبـرت حـتـى ... عـيـل [٢] فـي حـبـك صـبـري
ضـاق مـن عـلـيَّ وقـيـدي ... وامـتـهـانـي فـيـك صـدري
لـيـس يـخـفـى عـنـك أمـري ... يـا مُـنَـى سُـؤلـي وذُخْـري

قال: فبينما نحن جلوس إذ دخل مولاها باكي العين حزين القلب متغير اللون، فقلت له: لا تَبْكِ فقد جئناك بما وزنت، وربح خمسة آلاف، قال: لا والله، قلت: وربح عشرة آلاف، قال: لا والله، قلت: وربح المثل، قال لو أعطيتني الدنيا ما قبلت، هي حرة لوجه الله تعالىٰ، فقلت له: ما القصة؟ فقال: وُبِّختُ [٣] البارحة، أُشهدك أني قد خرجت من جميع مالي، اللهم كن لي بالسعة كفيلاً، وبالرزق جميلا، فالتفت إلىٰ ابن المثنى، فرأيته يبكي، قلت: ما يبكيك؟ قال: كأن الحق ما رضيني لمَّا ندبني إليه، أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالي لوجه الله - تعالىٰ.

فقامت تحفة ونزعت ما كان عليها ولبست مِدْرَعةً [٤] من شعر وهي تبكي، فقلنا لها: قد أطلقك الله فما يبكيك؟ فأنشأت تقول:

هـربـت مـنـه إلـيـه ... بـكـيـت فـيـه عـلـيـه
وحـقـه فـهـو سُـؤلـي ... لا زلـت بـيـن يـديـه
ومـتـى أنـال وأحـظـى ... بـمـا رجـوت لـديـه؟

قال: ثم خرجنا من الباب، فلما صرنا في بعض الطريق فطلبناها فلم نجدها،

(١) البدرة: كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا، ويختلف باختلاف العهود، وجمعها: بِدَر.
(٢) عِيلَ صبره: نفد: فهو معول.
(٣) وبَّخه: لامه وعذله.
(٤) الدُّرَّاعة: ثوب من صوف.

ومات ابن المثنى في الطريق، ودخلت أنا ومولاها مكة، فبينما نحن في الطواف إذ سمعت كلام مجروح من كبد مقروح وهو يقول:

محب الله في الدنيا سقيم ... تطاول سقمه فدواه رآه
سقاه من محبته بكأس ... فأرواه المهيمن [(١)] إذ سقاه
فهام بحبه وسما إليه ... فليس يريد محبوباً سواه
كذاك من ادعى شوقاً إليه ... يهيم بحبه حتىٰ يراه

فتقدمت إليها، فلما رأتني قالت: يا سري، قلت: لبيك، من أنت يرحمك الله؟ قالت: لا إله إلا الله، وقع التناكر بعد المعرفة ! أنا تحفة، فإذا هي كالخيال، فقلت: يا تحفة ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: آنسني بقربه، وأوحشني من غيره، قلت لها: مات ابن المثنى، قالت: رحمه الله، لقد أعطاه مولاه من الكرامة ما لا عين رأت [(٢)] وهو بجواري في الجنة، قلت: جاء مولاك الذي أعتقك معي، فلم يكن بأسرع ما عاينتها تلقاء الكعبة ميتة، فلما رآها سيدها لم يتمالك أن سقط علىٰ وجهه، فحركته، فإذا هو قد قضى نحبه، فأخذت في جهازهما ودفنتهما.

---

(١) المهيمن: هو القائم علىٰ خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وقيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه، فكل مطلع علىٰ كنه الأمر مسئول عليه حافظ له فهو مهيمن له. "سلاح المؤمن لابن الإمام" [ص ٢٥٩].

(٢) حديث: قال الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» وكذلك حديث: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» قال النووي: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلىٰ المحجوب. النووي في شرح مسلم [١٧/١٣٦] طبعة دار الكتب العلمية.

مجلس في المجاهدة

ومعناها نهي النفس عن الهوى، وحملها على الهدى بتمرينها على قبول الصدق في أمورها في كل ناصح، رهبة ورغبة فيما لديه من مطلوبها، وثمرتها تقوية الأعمال وتصفية الأحوال، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [1]، وقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [2] أي فإنها غاية للمتقين.

ومن أنكر الأعمال فقد خالف حق اليقين، فربقة الربوبية موجبة لذلك إلى حين.

وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [3] أي انقطع إليه انقطاعاً كلياً لنريك من آياتنا الكبرى.

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [4] أي فلا يحقر المجاهد القليل، فإنه استدراج لكثير.

وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [5] (لقيت) [6] الأينية والكيفية والكمية، وهذا غاية الأمنية.

---

(١) سورة العنكبوت [٦٩]
أي الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة.

(٢) سورة الحجر [٩٩].
روى البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، [٥] باب قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] قال سالم: اليقين الموت، وقال ابن كثير: وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغيره. انظر تفسير ابن كثير [٢/٥٧٧].

(٣) سورة المزمل [٨]. أي أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾﴾ [الشرح: ٧]، وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] أي أخلص له العبادة، وقال الحسن: اجتهد وأبتل إليه نفسك، وقال ابن جرير: يقال للعابد متبتل. "تفسير ابن كثير [٤/٤٣٧]".

(٤) سورة الزلزلة [٧].

(٥) سورة المزمل [٢٠]. أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا. "تفسير ابن كثير [٤/٤٣٩]".

(٦) كذا بالأصل.

والآيات في الباب كثيرة معلومة ومنها:

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

ومنها: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (٢)

ومنها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ (٣)

وقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٤) أي فيحصي ولا يهمل وينسى.

وأما الأحاديث فنذكر منها سبعة عشر حديثاً مشتملة علىٰ بيان خواص المجاهدة من أنواع الجزاء وتأهل كل عبد لها، وتنوع حكمها وعموم إفادتها واحتياج كل أحد إليها، وأنها محملة للأشخاص والأوقات، فلا رونق إلا بها، ولها من الأوقات ما هو أهم، وما يسهل ملابسها تشجيعاً وتشويقاً وإلذاذاً وموافقة وقرب أمد.

وأنواعها أنها زبدة العمر، وفائدة لتحسين عمل أو صدق عهد أو غير ذلك، وما يربح عذر كل أحد ويدفع الضواري عن إقامتها.

الحديث الأول: عن أبي هريرة مرفوعا: «أن الله ـ تعالىٰ (٥) ـ قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (٦) رواه البخاري.

---

(١) سورة المجادلة [٢٢]. (٢) سورة المائدة [٥٦].

(٣) سورة النازعات [٤٠، ٤١].

(٤) سورة البقرة [٢١٥]. أي مهما صار منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم علىٰ ذلك أوفر الجزاء، فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة. "تفسير ابن كثير [١/ ٢٥١]".

(٥) الأحاديث القدسية هي من الله ـ سبحانه وتعالى ـ تلقاها النبي ﷺ بالإلهام أو المنام دون واسطة جبريل واللفظ من عند النبي ﷺ والمعنى من عند الله، وهو خلاف القرآن الكريم، فالقرآن بلفظه تلقاه النبي ﷺ من أمين الوحي جبريل من قبل الله ـ تعالىٰ ـ بترتيبه الذي عليه مما راجعه عليه جبريل قبل موته ﷺ، والحديث القدسي ما أضافه النبي ﷺ إلىٰ رب العزة ـ جل وعلا ـ ورواه عنه، والحديث النبوي: ما رواه النبي ﷺ ولم يضفه إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ ولم يروه عنه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٠٢] كتاب الرقاق، [٣٨] باب التواضع، وابن ماجه في سننه [٣٩٨٩] كتاب الفتن [١٦] باب من ترجى له السلامة من الفتن، والبيهقي في دلائل النبوة [١/ ١٣] وفي السنن الكبرى [٣/ ٣٤٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٤٧٧]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ١١٧]،/ والزبيدي في الإتحاف [٨/ ١٠٢]، وذكره الألباني في سلسلة =

وهو دال علىٰ أن خاصة التقرب بالعبادات تنويعاً وتكثيراً وإدامة وإحرازاً، المحبة الكاملة المستيقنة لأحكامها الشريفة، نحو كنت كنت، وإن وإن، وكفى بذلك شرفاً.

كفى شرفاً أني مضاف إليكم وأني بكم أجي وأرعى وأعرف.

الثاني: عن أنس مرفوعاً يرويه من ربه ـ تعالىٰ ـ قال: «إذا تقرب العبد إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» [١] رواه البخاري أيضا. وهو أيضا من خواص التقريب.

الثالث: فيه أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [٢] وهو أيضاً من الخواص، دفع الغير واحتراز هاتين النعمتين.

الرابع: عن عائشة " أنه كان ﷺ يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه، قلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً» " متفق عليه [٣] واللفظ للبخاري، ونحوه في الصحيحين من حديث المغيرة [٤].

= الأحاديث الصحيحة [١٦٤٠]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٢٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٤٠٥] كتاب التوحيد، [١٥] باب قول الله تعالىٰ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: ١١٦]، ومسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١] باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ، وأحمد في مسنده [٣/ ٢١٠، ٢٧٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٥، ٦، ٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٤٩، ١٩٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٦٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٢] كتاب الرقاق، [١] باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، والترمذي [٢٣٠٤] كتاب الزهد، [١] باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقاق، وابن ماجه في سننه [٤١٧٠] كتاب الزهد، باب الحكمة، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٠]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٠٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٤٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨٣٧] كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفَتْح: ٢]، ومسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢٨٢٠)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والترمذي في سننه [٤١٢]، والنسائي [٣/ ٢١٩ ـ المجتبى]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤]، وابن ماجه في سننه [١٤١٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٥١، ٢٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٩٧].

(٤) حديث المغيرة أخرجه البخاري في صحيحه [١١٣٠] كتاب التهجد، [٦] باب قيام النبي ﷺ =

وفيه أن حكمة المجاهدة متنوعة، فهي بسبب ذلك مفيدة لكل أحد ويحتاج إليها ولو كان كاملا، فقيام المغفور له تحقق العبودية وبالشكر يحصل المقام المحمود، وغيره من الشيم المرضية، فقيام الليل مظنة النيل، ولهذا حافظ عليها أكابر المقربين، وتفطَّرت فيها قدما سيد الأولين والآخرين.

الخامس: منها أيضاً: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر" [(١)] متفق عليه.

والمراد العشر الأواخر من رمضان [(٢)].

والمئزر الإزار، وهو كناية عن اعتزال النساء، والتشمير للعبادة، وإنما فعل ذلك لأنه محل التعرض لنفحات الرحمة، فالمجاهدة اسم من غيره فيها إحسانه وجماله وتعظيمه.

السادس: عن أبي هريرة مرفوعاً: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل [(٣)]

= بالليل حتىٰ ترم قدماه، وفي رقم [٤٨٣٦] كتاب تفسير القرآن، [٢٥] باب قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: ٢] وفي رقم [٦٤٧١] كتاب الرقاق، [٢٠] باب الصبر عن محارم الله. ومسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢٨١٩)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٠٢٤] كتاب فضل ليلة القدر، [٥] باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١١٧٤)] كتاب الاعتكاف، [٣] باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

(٢) قال النووي: في هذا الحديث أنه يستحب أن يزاد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان، واستحباب إحياء لياليه بالعبادات، وأما قول أصحابنا: يكره قيام الليل كله فمعناه الدوام عليه، ولم يقولوا بكراهة ليلة وليلتين والعشر. "النووي في شرح مسلم [٥٨/٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قال النووي: قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعاً، فأما من رد ذلك إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الغار: "لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا". قال القاضي: وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه رد قدر بعد وقوعه، قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب ما يجوز من اللو كحديث «لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت علىٰ قواعد إبراهيم، ولو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذه... الخ» قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي علىٰ ظاهره وعمومه، لكنه نهي تنزيه. "النووي في شرح مسلم [١٧٦/١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١]. أخرجه مسلم.

وفيه الإشارة إلىٰ تحصيل كل مصلحة مجاهدة أو غيرها بأيسر طريق وأسهله، وهي الحرص والاستعانة وترك العجز؛ فقوة الهمم الإيمانية ترفع أربابها إلىٰ المعالي الأخروية.

السابع: عنه مرفوعاً: «حُجِبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

وفي رواية مسلم[٢] «حُفَّت» بدل «حُجِبت» وهو بمعناه، أي بينه وبينها هذا الحجاب، فإذا فعله دخلها، وهو دال علىٰ أن احتمال المكاره والمشاق بأمر وراءه الجنة سهل يسير.

ما ضرَّ من كانت الفردوس جنته ... ماذا تحمل من بؤس وأقتار

وفي حديث علي رفعه: «من اشتاق إلىٰ الجنة سارع إلىٰ الخيرات، ومن أشفق من النار نهى عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد الدنيا هانت عليه المصيبات»[٣].

الثامن: عن حذيفة بن اليمان قال: " صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة، فقلت: يركع بعد المائة، ثم مضى[٤] مُترسِّلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، وكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤ - (٢٦٦٤)] كتاب القدر، [٨] باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، وابن ماجه في سننه [٧٩، ٤١٦٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٨٩]، والتبريزي في المشكاة [٥٢٩٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٢٩٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١ - (٢٨٢٢)]، [٥١] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في المقدمة، والترمذي في سننه [٢٥٥٩]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٠، ٣٠٨]، وابن المبارك في الزهد [٣٢٥]، والخطيب في تاريخ بغداد [٨/ ١٨٤]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٦٢٦]، والآجري في الشريعة [٣٩٠].

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٩/ ٣٣٤]، وابن عراق في تنزيه الشريعة [٢/ ٣٤١]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦/ ٣٠١]، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات [٣/ ١٨٠].

(٤) كذا بالأصل، ولكن هنا نقص نقلناه من مسلم وهو: " ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً. . . . " الحديث كما ذكره المصنف.

سجوده قريباً من قيامه »[(١)] رواه مسلم.

وفيه تسهيل احتمال المجاهدة وصرف مضضها بتخليل المناجاة والمسامرة والدعاء والثناء، ونحو ذلك في أثنائها مع الترفق والتذلل وإطالة نحو السجود والركوع، وشهود نحو العظمة والكبرياء، فمانع ذوق الحلامة من جلاله.

التاسع: عن أبي مسعود قال: « صليت مع رسول الله ﷺ ليلة فأطال حتىٰ هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه »[(٢)] أخرجاه

وفيه تسهيل المجاهدة بمخالطة أهل الجد والاجتهاد، والاقتداء بهم وبموافقتهم؛ فبتركه ذلك جعل ما همَّ به من أمر سوء عنده، ولم يتجاوز عن الهم إلىٰ الفعل.

العاشر: عن أنس مرفوعاً: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله»[(٣)] أخرجاه، وفيه تسهيل المجاهدة والترغيب البليغ فيها؛ فإنها الرفيق الدائم الذي لا يرجع إذا رجع غيره، وبها تمام النفع والأنس والراحة عند الشدائد.

الحادي عشر: عن ابن مسعود مرفوعاً: «الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٣ ـ (٧٧٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٧] باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، وقال القاضي: فيه دليل لمن يقول: إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكله إلىٰ أمته بعده، قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما. . . . إلىٰ آخر كلامه.
"النووي في شرح مسلم [٦/ ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٣٥] كتاب التهجد، [٩] باب طول القيام في صلاة الليل، ومسلم في صحيحه [٢٠٤ ـ (٧٧٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٧] باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، قال النووي: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراماً، واتفق العلماء علىٰ أنه إذا شق علىٰ المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ، وفيه جواز الاقتداء في غير المكتوبات، وفيه استحباب تطويل صلاة الليل. "شرح مسلم للنووي [٦/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥١٤] كتاب الرقاق، [٤٢] باب سكرات الموت، ومسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٩٦٠)] كتاب الزهد والرقائق في المقدمة، والترمذي في سننه [٢٣٧٩]، وأحمد في مسنده [٣/ ١١٠]، والنسائي [٤/ ٥٣ ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٦٧]، وابن المبارك في الزهد [٢٢٤].

نعله، والنار مثل ذلك»[١] أخرجه البخاري.

وفيه التسهيل بقصر الأمل وذكر العاقبة.

الثاني عشر: عن ربيعة بن كعب الصفي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني علىٰ نفسك بكثرة السجود»[٢] رواه مسلم.

الثالث عشر: عن ثوبان مرفوعاً: «عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»[٣] أخرجه مسلم.

الرابع عشر: عن عبد الله بن بسر الأسلمي ـ بالسين المهملة ـ مرفوعاً: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»[٤] رواه الترمذي وحسنه.

الخامس عشر: عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني الصحابة ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبل سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٨٨]، كتاب الرقاق، [٢٩] باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٧، ٤١٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ١٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٦٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٦ ـ (٤٨٩)] كتاب الصلاة، [٤٣] باب فضل السجود والحث عليه، وأبو داود في سننه في التطوع، والنسائي [٢/ ٢٢٨ ـ في المجتبى]، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٠٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٨٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٥ ـ (٤٨٨)] كتاب الصلاة، [٤٣] باب فضل السجود والحث عليه، وابن ماجه في سننه [١٤٢٢]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٤٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ١٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٨٩٧].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، وأحمد في مسنده [٤/ ١٨٨، ٥/ ٤٠، ٤٣، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧١]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٣٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٥٤، ٢٥٦]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٥١]، والشجري في أماليه [١/ ٢٥٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٨٥].

(٥) قال النووي: قوله: أجده دون أحد، محمول علىٰ ظاهره، وأن الله ـ تعالىٰ ـ أوجده ريحها من =

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: فكنا نرى ونظن أن هذه الآية نزلت فيه وأشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١) أخرجاه (٢)، وفيه الاستدراك عما فات من الخيرات والبذل بالمهج، فيا حسرة من أضاع عمره وأساء عمله.

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

وفيه الثناء عليهم بصدق المعاهدة إبهاج لا يتمالك في الطرب به أهله.

السادس عشر: عن عقبة بن عمرو (٣) وقال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل علىٰ ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مُرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية، أخرجاه (٤).

ومعنى نحامل: يحمل أحدنا علىٰ ظهره بالأجرة، ونتصدق بها، وفيه أن ذا الفاقة يوسع الهمة والجبلة، ويتسبب ويدخل كل مدخل، ويأخذ بالحظ الوافر من أنواع

= موضع المعركة، وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٤٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) سورة الأحزاب [٢٣].

(٢) أخرجه البخاري [٤٠٤٨] كتاب المغازي، [١٧] باب غزوة أحد، وأيضاً البخاري [٤٧٨٣] كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، [٢] باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ومسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (١٩٠٣)] كتاب الإمارة، [٤١] باب ثبوت الجنة للشهيد.

والترمذي في سننه [٣٢٠٠] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب، والنسائي في الكبرى، كتاب المناقب.

(٣) عقبة بن عمرو بن عبس بن عمر بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعه بن عدي بن غنم بن ربيعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، أبو حامد أبو عامر الجهني، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي قرب الستين، صحابي مشهور اختلف في كنيته علىٰ سبعة أقوال أشهرها أبو حماد، وكان فقيهاً فاضلاً. ترجمته: تهذيب التهذيب [٧/ ٢٤٢]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٧]، الكاشف [٢/ ٢٧٢]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٤٣٠]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٢٣]، الجرح والتعديل [٦/ ٣١٣]، الثقات [٣/ ٢٨٠]، أسد الغابة [٤/ ٥٣]، الإصابة [٤/ ٥٢٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٦٦٨] كتاب تفسير القرآن، [١١] باب قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩]، ومسلم في صحيحه [٧٢ ـ (١٠١٨)] كتاب الزكاة، [٢١] باب الحمل بأجرة يتصدق بها، والنهي الشديد من تنقيص المتصدق بقليل.

المجاهدة، ويتأسى بالإخوان ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ .

السابع عشر: عن أبي إدريس [(١)]، عن جندب [(٢)]، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم [(٣)]، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، با عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» [(٤)] أخرجه

---

(١) أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله بن عمرو، أبو إدريس الخولاني العوذي الدمشقي الشامي، ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين، وسمع من كبار الصحابة، قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٨٠].
ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٨٥]، تقريب التهذيب [١/ ٣٩٠]، الجرح والتعديل [٧/ ٢٠٠]، التاريخ الكبير [٧/ ٨٣]، الثقات [٥/ ٢٧٧]، سير الأعلام [٤/ ٢٧٢]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٥٩٥].

(٢) كذا بالأصل وما وجدناه في مسلم " عن أبي ذر ".

(٣) قال النووي: قال المازري: ظاهر هذا أنهم خلقوا علىٰ الضلال إلا من هداه الله ـ تعالىٰ ـ، وفي الحديث المشهور: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة» قال: فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ، وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة، وإهمال النظر لضلوا، وهذا الثاني أظهر، وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله، وبهدي الله اهتدى، وبإرادة الله ـ تعالىٰ ـ ذلك، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يرد هداية الآخرين، ولو أرادها لاهتدوا خلافاً للمعتزلة في قولهم الفاسد أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أراد هداية الجميع، جل الله أن يريد ما لا يقع أو يقع ما لا يريد. "
النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٠٨] طبعة دار الكتب العلمية " .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٣]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٢٤١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٢٥]، والبخاري في الأدب المفرد [٤٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب
=

مسلم من حديث سعيد بن عبد العزيز عن أبي إدريس الخولاني، عن جندب، قال سعيد، وكان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا علىٰ ركبته، وقال أحمد: ليس لأهل الشام حديث أشرف منه، وفيه (ما يريح) [(١)] عمله عن الأعذار الصارفة لكثير ممن حُرِم عن المجاهدة.

منها ترك الظلم لما ثارت عليه حميَّة نفسه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾[(٢)].

ومنها الاستهداء: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾[(٣)].

ومنها الاستطعام والاستكساء لمن يتعلل بمعاشه.

ومنها الاستغفار لمن يتوهم عدم قبول عمله من كثرة ذنوبه وإساءته.

ومنها نفي أن توهم عمله كمال الموجود كرعايا الملوك، وأن عطاياه لا تنفذ، وقد عمل العاملون ما لا يكثر وصفه.

ومنها: إنما هي أعمالكم لمن يتعلل بالأماني البارعة: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[(٤)].

وأما الحكايات: **فالأولىٰ**: بعد إيراد حديث زيد بن أرقم [(٥)] رضي الله عنهما قال: كان

= [٢/ ٤٧٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٦٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٣٢٦].

(١) كذا بالأصل.

(٢) سورة الزمر [٥٦].
أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويَوَدُّ لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل. "تفسير ابن كثير [٤/ ٦٠]".

(٣) سورة الزمر [٥٧].

(٤) سورة الزمر [٥٨].
أي تَوَدُّ لو أعيدت إلىٰ الدنيا لتحسن العمل، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه، ولما تمنى أهل الجرائم العود إلىٰ الدنيا وتحسروا علىٰ تصديق آيات الله واتباع رسله، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٩]. "تفسير ابن كثير [٤/ ٦٠]".

(٥) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة، أبو عمرو، أبو عمارة، ويقال: أبو حمزة أبو سعد الأنصاري الخزرجي المدني، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٦٦، ٦٨].
ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٣٩٤]، تقريب التهذيب [١/ ٢٧٢]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٣٨٥]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٢٠، ١٦١]، الجرح والتعديل [٣/ ٥٥٤]، أسد الغابة [٢/ =

لأبي بكر الصديق مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني علىٰ ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم [١] فوعدوني، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عُرس لهم، فأعطوني، فقال: لا أب لك، كدت تهلكني، فأدخل يده في حلقه وجعل يتقيأ، فجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذا لا يخرج إلا بالماء، فدعا بعس من ماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتىٰ رمى بها. فقيل له: رحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»[٢] فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد وأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه من حيث لا يحتسب.

وقال عبد الواحد بن زيد: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الحق ثقيل مريّ، والباطل خفيف وبّي، ورُبَّ شهوة أورثت حزناً طويلاً.

وقال عبد الواحد بن زيد [٣]: مررت براهب في صومعة فقلت لأصحابي: قفوا،

= ٢٧٦]، الإصابة [٢/ ٥٩٠]، سير الأعلام [٣/ ١٦٥]، والثقات [٣/ ١٣٩]، والوافي بالوفيات [١٥/ ٢٢].

(١) الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة لا نهي فيه، بل هو سنة، ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين أن المدح في ترك الرقى للأفضلية وبيان التوكل، والذي فعل الرقى وأذن فيها لبيان الجواز مع أن تركها أفضل، وبهذا قال ابن عبد البر، وحكاه عمن حكاه، والمختار الأول، وقد نقلوا الإجماع علىٰ جواز الرقى بآيات وأذكار الله ـ تعالىٰ ـ قال المازري: جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر، قال: واختلفوا في رقية أهل الكتاب فجوزها أبو بكر الصديق، وكرهها مالك خوفاً أن يكون مما بدلوه، ومن جوزها قال: الظاهر أنهم لم يبدلوا الرقى فإنهم لهم غرض في ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه. "النووي في شرح مسلم [١٤/ ١٤٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١] والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/ ٢٢٦، ٦/ ٨، ١٠] والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٢٨٤]، والعجلوني في كشف الخفا [٢/ ١٧٦].

(٣) عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري العابد القدوة، شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن الحسن وعطاء بن أبي رباح، وعبادة بن نسي، وعبد الله بن راشد وجماعة سواهم، وعنه: وكيع ومحمد بن السماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وهو ضعيف الحديث، قال البخاري: عبد الواحد بن زيد تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتىٰ غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه. "الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات [١٥١ ـ ١٦٠]".

وكلمته وقلت له: يا راهب، فكشف ستراً علىٰ باب صومعته فقلت له: ما علم اليقين؟ فقال: يا عبد الواحد إن أحببت أن تعلم علم اليقين، فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطاً من حديد ثم أرخى الستر.

الثانية: قال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة يأكل منها، فقلت له: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي وأباحني الجنة بأسرها، وقال لي: كل من جميع ثمارها، واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تمنع نفسك الشهوات في الدنيا.

الثالثة: حكي أنه لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بَنِيّ اذكروا صاحب الرغيف، قالوا: وما صاحب الرغيف؟ قال: كان رجل يتعبد في صومعة أراه سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد، قال: فتنه (أوشب) [1] الشيطان في عينيه بامرأة، قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال، قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً [2] فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فأواه الليل إلىٰ مكان عليه اثنا عشر مسكيناً، فأدركه الإعياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم.

وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة مع رجل فيعطي كل إنسان رغيفاً، ومر علىٰ ذلك الرجل الذي خرج تائباً ظن أنه مسكين، فأعطاه رغيفاً، فقال المتروك لصاحب الأرغفة: ما لك لم تعطني رغيفي؟ قال: تراني أمسكته عنك، هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا، قال: تراني أمسكته عنك، والله لا أعطيك الليلة شيئاً، فعمد التائب إلىٰ الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلىٰ الرجل الذي تُرِكَ، فأصبح التائب ميتاً، فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي، فرجحت الليالي، فوزن الرغيف بالسبع ليالي فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بَنِيَّ اذكروا صاحب الرغيف.

فائدة: قال سعيد بن المسيب[3] ـ رحمه الله تعالىٰ: ما أكرمت العباد أنفسها

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القرشي المخزومي العائذي المدني الأعور، قال ابن حجر في التقريب: اتفقوا علىٰ أن مراسليه أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة [٩٤، ٩٣، ١٠٠]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤/ ٨٤]، تقريب التهذيب [١/ ٣٠٥،

بمثل طاعة الله، ولا أماتت أنفسها بمثل معصية الله تعالىٰ.

الرابعة: عن وهيب بن الورد [١] ـ رحمه الله ـ قال: يقول الله ـ عز وجل: وعزتي وجلالي وعظمتي، ما من عبد آثر هواي علىٰ هواه إلا أقللت همومه، وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، وتجرت له من وراء كل تاجر.

وعزتي وجلالي وعظمتي، ما من عبد آثر هواه علىٰ هواي إلا أكثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي أوديتها هلك.

فائدة: قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فَيُنْسي الآخرة.

نادرة: قال أبو محمد الحريري: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجن الهوى، فحرم الله علىٰ قلبه الفوائد، فلا يستلذ بكلامه ولا يستحليه وإن كثر ترداده علىٰ لسانه.

الخامسة: عن بعضهم قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي علىٰ لوح، وقد ولدت في تلك الحال صبية فصاحت بي وقالت: قتلني العطش، فقلت: هو ذا يرى حالنا [٢] فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال: هاك اشربا، فأخذنا الكوز وشربنا منه، فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فقال: عبد لمولاك، فقلت: بما وصلت إلىٰ هذا؟ فقال: تركت الهوى لمرضاته فأجلسني علىٰ الهواء، ثم غاب عني فلم أره.

= ٣٠٦]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٥١٠]، الكاشف [١/ ٣٧٢]، سير الأعلام [٤/ ٢١٧].

(١) وهيب بن الورد بن أبي الورد، أبو عثمان أبو أمية القرشي مولاهم المكي، ثقة عابد، أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة [١٥٣]. ترجمته: تهذيب التهذيب [١١/ ١٧٠]، تقريب التهذيب [٢/ ٣٣٩]، الكاشف [٣/ ٢٤٦]، تاريخ البخاري الكبير [٨/ ١٧٧]، الجرح والتعديل [٩/ ١٥٧]، سير الأعلام [٧/ ١٩٨]، الثقات [٧/ ٥٥٩].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: ٦٢] قال ابن كثير: ينبه تعالىٰ أنه هو المدعوُّ عند الشدائد، المرجوّ عند النوازل كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النَّحل: ٥٣] وهكذا قال ههنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: ٦٢] أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٨٣]".

وأنشدوا:

بحق الهوى يا أهل وُدِّي تفهموا ... لسان جواد [١] بالوجود غريب

حرام علىٰ قلب تعرض للهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيب

السادسة: عن إبراهيم الخواص ـ رحمه الله ـ قال: كنت في جبل لكام فرأيت رمَّاناً فاشتهيته، فدنوت وأخذت منه واحداً، فشققته فوجدته حامضاً، فمضيت وتركته.

فرأيت رجلا مطروحاً وقد اجتمعت عليه الزنابير [٢] فقلت: السلام عليك، فقال لي: وعليكم السلام يا إبراهيم، فقلت له: أراك حالاً مع الله ـ تعالىٰ ـ فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير، قال: وإذا لك حالا مع الله ـ تعالىٰ ـ فالوسيلة أن يقيك شهوة الرمان، فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير لا يجد ألمه إلا في الدنيا، فتركته ومشيت.

السابعة: حكي أن سبب قطع يد أبي الخير أنه كان في جبال أنطاكية وحواليها يطلب المباح وينام بين الجبال، وأنه عاهد الله ـ تبارك وتعالى ـ أن لا يأكل من ثمار الجبال شيئاً إلا ما طرحته الريح، فبقي أياماً لم تطرح الريح شيئاً، فرأى يوماً شجرة كمثرى فاشتهى منها، فلم يفعل، فأمالتها الريح إليه، فأخذ واحدة، واتفق أن لصوصاً قطعوا هناك الطريق وجلسوا يقتسمون، فوقع عليهم السلطان، فأخذهم فقطع أيديهم وقطعت يده في جملتهم، فلما هم بقطع رجله عرفه رجل فقال للأمير: أهلكت نفسك؛ هذا أبو الخير، فبكى الأمير وسأله أن يجعله في حل ففعل، وقال: أنا أعرف ذنبي، فلذلك سمي الأقطع، وأنشدوا:

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فأسير كل هوى أسير هوان

الثامنة: عن شيبان بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ قال: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة ـ شرَّفها الله تعالىٰ ـ في سوق الليل عند مولد النبي ﷺ وهو يبكي ناحية من الطريق، فسلمت عليه وصليت عنده وقلت له: يا أبا إسحاق ما هذا البكاء؟ قال: خير، فعاودته مرة ثانية وثالثة، فلما أطلت عليه السؤال قال لي: يا شيبان إن أنا أخبرتك تبح به أو تستر عليَّ؟ فقلت له: يا أخي قل ما شئت.

فقال: اشتهت نفسي سكباجاً منذ ثلاثين سنة، وأنا أمنعها جهدي، فلما كان البارحة غلبني النوم، وإذا أنا بإنسان من أحسن الناس وجهاً وبيده قدح أخضر يعلو

---

(١) أجاد: أتى بالجيد من قولٍ أو عملٍ، ويقال: أجاد الشيء وفيه: صيره جيداً.

(٢) الزنبار: حشرة أليمة اللسع من الفصيلة الزنبورية، واحدته زنبارة، جمعها: زنابير.

منه البخاري ورائحة السكباج [١]، فأجمعت همتي عنه، فقربه مني وقال: يا إبراهيم كل، قلت: ما آكل شيئاً تركته لله ﷻ فقال: ولا إن أطعمك الله؟ قال: فما كان لي جواب إلا البكاء، فقال لي: كل يرحمك الله، فقلت: قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا ما نعلم، فقال لي: كل عافاك الله، فإنما ناولني هذا رضوان وقال لي: يا خضر [٢] اذهب بهذا الطعام فأطعمه للقس إبراهيم بن أدهم، فقد رحمها الله علىٰ طول صبرها علىٰ ما يحملها من منعها شهوتها، ثم قال: فالله ﷻ يطعمها وأنت تمنعها يا إبراهيم، إني سمعت الملائكة يقولون: من أعطي ولم يأخذ طلب ولم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لم آخذ بالعهد مع الله ﷻ وإذا بفتى آخر قد ناوله شيئاً وقال: يا خضر لَقِّمْه، فلم يزل يطعمني بيده فانتبهت وحلاوة ذلك في فمي، ولون الزعفران في شفتي، فدخلت زمزم فغسلت فمي، فلا الرائحة ذهبت، ولا أثر الزعفران، قال شيبان: فقلت له: أرني، فإذا أثره لم يذهب، فقلت: يا من يُطعِم مناع الشهوات إذا صححوا المنع لأنفسهم، يا من ألزم قلوب أوليائه التصحيح، يا من سقى قلوبهم من شراب محبته، أترى لشيبان ذلك عندك، قال: ثم أخذت يد إبراهيم ورفعتها إلىٰ السماء وقلت: اللهم بقدر هذه الكف وقدر صاحبها وحرمته عندك وبالجود الذي وجده منك يا الله جُد علىٰ عبدك الفقير إلىٰ فضلك وإحسانك برحمتك يا أرحم الراحمين، وإن لم يستحق ذلك منك يا رب العالمين.

التاسعة: عن بعضهم قال: لقيت رجلاً بالبصرة يعرف بالمسكى، وذلك من شدة ما كان يوجد منه من ريح المسك، حتىٰ إنه إذا دخل المسجد الجامع يعرف أنه قد جاء من شدة الرائحة، وإذا مرَّ في الأسواق كذلك، فقصدته وبت عنده وقلت له: ما أشك أنك محتاج إلىٰ مال كثير في ثمن الطيب، فقال: ما اشتريت طيباً قط ولا تطيبت بطيب قط، وأنا أحدثك بحديثي لعلك إذا متُّ تترحم عليَّ إذا ذكرتني، كان مولدي ببغداد، وكان أبي موسراً يعلمني كل ما يعلم الناس أولادهم، وكنت من أحسن الناس وجهاً، وكان فيَّ حياء، فقيل لأبي: لو أجلست ابنك في السوق لينشط، فأجلسني في دكان بزاز، وكنت أجلس عنده طرفي النهار، فلما كان في بعض الأيام

---

(١) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل مع توابل وأفاويه، القطعة منه: سكباجة.

(٢) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

جاءت عجوز فطلبت منه متاعاً مرتفعاً فأخرج لها ما طلبت، فقالت له: تُوَجِّهُ معي إنساناً حتىٰ يأخذ ما نحتاج إليه وندفع له الثمن ونرد الباقي معه، فقال لي: تنشط أن تمضي معها، فقلت: نعم، فمضيت معها حتىٰ أدخلتني إلىٰ قصر عظيم فيه قُبَّة، وعلىٰ بابه خُدَّام وحُجَّاب، فلما وصل إلىٰ صحن الدار إذا أنا ببنيان عظيم؛ قبة عليها شارة، فقالت ادخل القبة واجلس فيها، فدخلت فإذا أنا بجارية علىٰ سرير عليه فُرش كلها ذهب لم أر أحسن منها وعليها من كل الحلي، فنزلت عنه وضربت بيدها فيَّ وأخذتني إليها، فقلت لها: الله الله، فقالت: لا بأس عليك، لك عندي ما تحب، فقلت لها: إني حاقب [(١)] فصاحت بالجواري، فإذا بهن أقبلن، فقالت لهن: قدام مولاكن إلىٰ الخلاء، فلما دخلت الخلاء لم أجد لي فيه مسلكا أفر منه، فحللت سراويلي وتغوطت في كفي ومسحت به وجهي وبدني وقلبت عيناي، فدخلت جارية بيدها ماء ومنديل، فصحت في وجهها كالمجنون، فولت هاربة مني وقالت: مجنون، فجاء الجواري ومعهن بساط فأدرجتني وجملتني فطرحتني في بستان، فلما علمت أنهن مضين قمت فغسلت ثيابي ووجهي وسائر بدني، ومضيت إلىٰ منزلي ولم أُحَدِّث به أحداً، فرأيت تلك الليلة في منامي رجلاً فقال لي: ابن يوسف بن يعقوب[(٢)] بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله هل تعرفني؟ قلت: لا، فقال: أنا جبريل، فمسح بيده علىٰ وجهي وبدني، فمن ذلك الوقت صار لبدني رائحة المسك يفوح علىٰ ثيابي، فهذه الرائحة من يد جبريل ﷺ، وأنشدوا:

إذا خايلتك النفس يوماً بشهوة ... وكان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلاف صديق

العاشرة: روي أنه كان شاب في بني إسرائيل لم يُرَ في زمانه أحسن منه، وكان يبيع القِفَاف، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك

---

(١) الحاقب: الذي يحتبس غائطه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣٨٢] في كتاب أحاديث الأنبياء، [١٨] باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣] ، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. عليهم السلام» قال النووي: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف ـ عليه السلام ـ مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب، وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم خليل الله ـ عليه السلام ـ وانضم إليهم شرف علم الرؤيا وتمكنه فيه ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة وحياطته للرعية وعموم نفعه إياهم، وشفقته عليهم وإنقاذه إياهم من تلك السنين والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١١٠] طبعة دار الكتب العلمية".

بني إسرائيل، فلما رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك: إني رأيت شاباً يبيع القفاف لم أر شاباً قط أحسن منه، فقالت لها: أدخليه، فخرجت إليه وقالت: يا فتى ادخل نشتري منك، فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم دخل باباً آخر فكذلك، حتىٰ أغلقت ثلاثة أبواب، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال: اشتروا حاجتكم، فقالت: إنا لم ندعك لهذا، إنما دعوناك لكذا ـ يعني تراوده عن نفسه ـ فقال لها: اتق الله، قالت: إن لم تطاوعني علىٰ ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت عليَّ تكابدني علىٰ نفسي، فوعظها، فأبت، فقال: ضعوا لي وضوءاً، فقالت: أعليَّ يتعلل؟! يا جارية ضعي له وضوءاً فوق الجوسق ـ مكان لا يستطيع أن يفر منه ـ قال: وكان من فوق الجوسق [(١)] إلىٰ الأرض أربعون ذراعاً، فلما صار في أعلى الجوسق قال: اللهم إني دعيت إلىٰ معصيتك، وإني أختار أن أرمي بنفسي من الجوسق ولا أرتكب المعصية، ثم قال: بسم الله، وألقى بنفسه من أعلى الجوسق، فأهبط الله إليه ملكاً من الملائكة، فأخذ بضبعيه [(٢)] فوقع قائماً علىٰ رجليه، فلما صار في الأرض قال: اللهم إن شئت رزقتني رزقاً تقيني به بيع هذه القفاف، فأرسل الله إليه جرادا من ذهب، فأخذ منه حتىٰ ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه، فإن كان ينقص مما لي عندك فلا حاجة لي فيه، قال: فنودي أن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً من أجرك علىٰ إلقائك نفسك من هذا الجوسق، فقال: اللهم لا حاجة لي فيما ينقصني عندك في الآخرة، فرفع ذلك منه، وقيل للسلطان: هلا أغريته بارتكاب الفاحشة؟ فقال: كيف أغوي من بذل نفسه لله تعالىٰ.

ولله در القائل:

وسائل عنهم ماذا يقدمهم ... فقلت فعل به عن غيرهم بانوا

صانوا النفوس عن الفحشاء ولو ابتدا ... منهن في سبيل العلياء ما صانوا

الحادية عشرة: عن مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت: إذن أفضحك، فخرج هارباً من منزله وتركها فيه، قال سليمان: فرأيت بعد ذلك يوسف ـ عليه السلام [(٣)]

---

(١) الجوسق: هو القصر الصغير والحصن، وجمعها: جواسق.

(٢) الضَّبع: ما بين الإبط إلىٰ نصف العضد من أعلاها، وهما ضبعان.

(٣) لقد فعل كما فعل نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ وذلك فيما ورد من قوله ـ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف ٢٤ ـ ٢٥].

فيما يرى النائم، وكأني أقول له: أنت يوسف البريء، قال: وأنت سليمان البريء.

الثانية عشرة: قال وهيب بن الورد - رحمه الله: بلغنا أن إبليس - لعنه الله - تَبَدّى ليحيى بن زكريا [(١)] - عليهما السلام - فقال: إني أريد أن أنصحك، قال: كذبت إنك لم تنصحني، فأوحى الله - تعالىٰ - إليه: يا يحيى سله فإنه يَصْدُقُك، فقال: أخبرني عن بني آدم؟ قال: هم عندنا علىٰ ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف؛ يقتل حتىٰ نفسه ثم يفزع إلىٰ التوبة والاستغفار ويفسد كل شيء أدركناه منه، ثم يعود إليه فنعود، فلا نحن نيأس منه ولا ننال حاجتنا، فنحن من ذلك في غنى.

وأما الصنف الآخر: فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة بين أيدي صبيانكم؛ نلقيهم كيف نشاء، قد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم علىٰ شيء.

فقال يحيى عند ذلك: فهل قدرت مني علىٰ شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتىٰ أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم إلىٰ الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال يحيى - عليه السلام -: لا أشبع من طعام أبداً [(٢)] قال إبليس: لا جرم، لا أنصح آدمياً بعدك أبداً، وأنشدوا:

وكم من أكلة منعت أخاها ... بأكلة ساعة أكلات دهري
وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري

ذكر بعض المصنفين هذين البيتين بعد هذه الحكاية وليس ذلك مناسباً لحال يحيى - عليه السلام - وإنما يناسب في هذا المعنى:

وكم من أكلة حرمت كثيراً ... من الخيرات في طاعة مولى
ولذَّاتٍ بخلوات تجلى ... بها المولى وقد ناجاه ليلاً

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ مريم [١٢ - ١٥]. كان ابن المسيب يذكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يلقي الله يوم القيامة إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا» قال قتادة: ما أذنب ولا هم بامرأة، وقال محمد بن إسحاق: سنده عن ابن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا». "تفسير ابن كثير [٣/١١٧]".

(٢) روى الترمذي في سننه [٢٣٨٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، عن مقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مجلس في الحث على الازدياد في الخير في أواخر العمر

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [1] معناه أولم نعمركم ستين، ويؤيده الحديث الآتي، وقيل ثماني عشرة، وقيل أربعين، وكان أهل المدينة إذا بلغ أحدهم أربعين سنة تفرغ للعبادة. والنذير: الشارع، وقيل الشيب، والأول: هو التدبير النقلي، والثاني: العقلي والآية توبيخ من الجليل.

فيقول للمصطرخين حين ذلك إجابة لقولهم ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [2] والتوبيخ في المتطاول أعظم، وبين ذلك منادي وغايات آخرها الستون.

وأما الأحاديث فلنذكر منها خمسة، ومدارها علىٰ الترغيب في الازدياد؛ فإنه فائدة الخلق والأمر وهو المرتجى لأولي الرأي الصيِّب والكمال الباهر فلا يدوم إلا صنعه يوم القدوم.

أحدها: حديث أبي هريرة مرفوعا: «أعذر الله إلىٰ امرئ أخَّر أجله حتىٰ بَلَّغَهُ ستين سنة»[3] أخرجه البخاري، أي بلغه الغاية، ففيه الإعذار لمن بلغه والإنذار.

---

(1) سورة فاطر [٣٧]. اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا، فعن زين العابدين أنه قال: مقدار سبع عشرة سنة، وقال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية، وإن فيهم لابن ثماني عشرة سنة، وعن ابن المبارك بسنده عن وهب بن منبه قال: عشرون سنة، وعن الحسن البصري قال: أربعين سنة، وعن ابن جرير بسنده عن ابن عباس: العمر الذي أعذر الله ـ تعالىٰ ـ لابن آدم أربعون سنة، ومن طريق آخر عن ابن عباس قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فَاطِر: ٣٧] ستون سنة، قال ابن كثير: وهذه الرواية أصح عن ابن عباس، وهي الصحيحة في نفس الأمر أيضاً لما ثبت من حديث علي ﷺ أنه قال: العمر الذي عيرهم الله به في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فَاطِر: ٣٧] ستون سنة. "تفسير ابن كثير [٣/ ٥٧٦، ٥٧٧]".

(2) سورة فاطر [٣٧].

(3) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٩] كتاب الرقاق، [٥] باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فَاطِر: ٣٧]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/ ٢٥٤]، وابن كثير في تفسيره [٦/ ٥٤٠]، وبلفظ: «من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله ﷻ إليه في العمر»، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده [٣/ ٣٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٧٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٤٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [١/ ٢٩٠].

ثانيها: حديث ابن عباس قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه " الحديث إلىٰ أن قال له عمر في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] قال: "هو أجل رسول الله أعلمه له، أي ذلك علامة أجلك" (١) ووافقه عمر. رواه البخاري (٢)، ففيه الإعلام بعلامة الأجل النبوي وهو حصول ما أقيم فيه وتمامه، ومثله في آجال الناس قول الشاعر:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كبر أجسادها

وجعلت أمراضها تَعْتَادُهَا ... تلك زروع قد دنى حصادها

ثالثها: حديث عائشة: " ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النّصر: ١] إلا يقول فيها: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي» " (٣) أخرجاه.

وفي رواية لهما: " كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن (٤) أي بعد ما أُمر به في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النّصر: ٣].

وفي رواية لمسلم: " كان يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك،

---

(١) سورة النصر تعدل ربع القرآن، وذلك فيما رواه الترمذي [٢٨٩٥] في فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان ؟» قال: لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج به، قال: «أليس معك قل هو الله أحد ؟» قال: بلى، قال: «ثلث القرآن» قال: «أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن». . . . . الحديث، وقال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري [٤٢٩٤] كتاب المغازي، باب [٥٣]، ورقم [٤٤٣٠] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورقم [٤٩٧٠] كتاب تفسير القرآن، [٤] باب يلي باب ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النّصر: ٢]، ورقم [٣٦٢٧] في المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرجه الترمذي في سننه [٣٣٦٢] في كتاب تفسير القرآن، باب من سورة النصر.

(٣) أخرجه البخاري [٤٩٦٧] كتاب تفسير القرآن، [١] باب سورة إذا جاء نصر الله، ومسلم في صحيحه [٢١٩ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، والنسائي [٢/ ١٣٢، ١٩٢ـ المجتبى]، وأبو داود في سننه [٨٧٧]، وابن ماجه في سننه [٨٨٥]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٨٨، ٢/ ٤٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١٠٩]، وابن خزيمة في صحيحه [٦٠٥، ٨٤٧]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٨٧٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٦٨] كتاب تفسير القرآن، [٢] باب سورة إذا جاء نصر الله. ومسلم في صحيحه [٢١٧ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود.

أستغفرك وأتوب إليك» قالت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها(١) ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ [النّصر: ١] » " إلىٰ آخر السورة.

وفي رواية له: " كان يكثر من قول: سبحان الله وبحمده استغفره وأتوب إليه " ، قلت: يا رسول الله أراك تكثر من ذلك، فقال: «أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ①﴾ [النّصر: ١] فتح مكة» "(٢).

وناهيك بأكمل الأمة ارتضى الازدياد ليوم المعاد بأمر رب العباد.

الرابع: حديث أنس: " إن الله تابع الوحي علىٰ رسوله قبل وفاته حتىٰ يوفى أكثر ما كان الوحي "(٣) أخرجاه، ووجهه حتىٰ يتبعه علىٰ أوفر أنسٍ وأدوم حضور، وأشد شوق، فليكثر اللبيب من الوداد قبل لقاء الأحباب.

الخامس: حديث جابر مرفوعاً: «يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه» أخرجه مسلم(٤) فالعمل بالخاتمة والأمر بالتمام، فطوبى لمن ختم له بالكمال، وحظي من الوصال بأوفر خصال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، قال النووي: معنى يتأول القرآن: يعمل ما أمر به في قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ③﴾ [النّصر: ٣] ، وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل. "النووي في شرح مسلم [١٦٩/٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٠ ـ (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٥، ١٨٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٦٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٠٩]، وابن السني [١٣٨]، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية [٢/ ٢١٣].

(٣) بنحوه روى البخاري [٤٩٩٨] في فضائل القرآن، [٧] باب كان جبريل يعرض القرآن علىٰ النبي ﷺ عن أبي هريرة قال: " كان يعرض علىٰ النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض، وكان يعتكف كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض ".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢٨٧٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٩] باب الأمر بحسن الظن بالله ـ تعالىٰ ـ عند الموت، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٣١، ٣٦٦]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣٤٠، ٢/ ٤٥٢]، ٤٩٠، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٧٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٤٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٣، ٩/ ٥٨٣]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ٤٠، ٤/ ٤١٦].

مجلس في فضل الحب في الله تعالى والحث عليه

وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول إذا أعلمه قال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [1] إلىٰ آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [2].

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[3].

وروينا فيهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[4]: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد،

---

(١) سورة الفتح [٢٩].
قال ابن كثير: هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً علىٰ الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن. "تفسير ابن كثير [٤/ ٢٠٤]".

(٢) سورة الحشر [٩].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٦] كتاب الإيمان، [٩] باب حلاوة الإيمان، ورقم [٢١] في الإيمان، [١٤] باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، ورقم [٦٠٤١] في كتاب الأدب، [٤٢] باب الحب في الله، ورقم [٦٩٤١] في كتاب الإكراه، [١] باب من اختار الضرب والقتل والهوان علىٰ الكفر، ومسلم في صحيحه [٦٧ ـ (٤٣)] كتاب الإيمان، [١٥] باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، والنسائي [٨/ ٩٤ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٠٣، ١٧٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٨٥ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٣٢٠].

(٤) قال القاضي: إضافة الظل إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ إضافة ملك، وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا ظل العرش، وقد يراد به هنا ظل الجنة، وهو نعيمها كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] قال القاضي: قال ابن دينار: المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف عن المكاره في ذلك الموقف، قال: وليس المراد ظل الشمس، قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان؛ يقال: فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته، ثم قال النووي: وقوله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» معناه اجتمعا علىٰ حب الله، وافترقا

ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»(١).

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «أن الله تعالىٰ يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؛ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»(٢).

وروينا عنه مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٣).

وروينا عنه مرفوعاً: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له علىٰ مدرجته ملكاً» وذكر الحديث إلىٰ قوله: «إن الله قد أحبك كما أحببته فيه»(٤) وقد سلف.

وروينا في الصحيحين من حديث البراء مرفوعاً في الأنصار: «لا يحبهم إلا

= علىٰ حب الله، أي كان سبب اجتماعهما حب الله، واستَمَرَّا علىٰ ذلك حتىٰ تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله ـ تعالىٰ ـ حال اجتماعهما وافتراقهما. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٠٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٠] كتاب الأذان، [٣٦] باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ورقم [١٤٢٣] في الزكاة، [١٨] باب الصدقة باليمين، ورقم [٦٨٠٦] كتاب المحاربين، [٥] باب فضل من ترك الفواحش، ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة، [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي [٢٣٩١] في الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي [٨/ ٢٢٢ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٣٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٥٦٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٢] باب في فضل الحب في الله، قال النووي: قوله تعالىٰ: «المتحابون بجلالي» أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا، وقوله تعالىٰ: «يوم لا ظل إلا ظلي» أي أنه لا يكون من له ظل مجازاً كما في الدنيا، وجاء في غير مسلم: «ظل عرشي» قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس الخلق، قال: وهذا قول الأكثرين، وقال عيسى بن دينار: معناه كفاه من المكاره وأكرمه وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم السلطان ظل الله في الأرض، وقيل يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٠١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٥٤)]، ورقم [٩٤ ـ (٥٤)] كتاب الإيمان، [٢٢] باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، والترمذي [٢٦٨٨]، وابن ماجه [٦٨، ٣٦٩٢]، وأحمد في مسنده [١/ ١٦٧، ٢/ ٤٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ٩٦، ٨/ ٣٠].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٥٦٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٢] باب فضل الحب في الله.

مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[١].

وروينا في الترمذي مصححاً من حديث معاذ مرفوعاً: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»[٢].

ورواه مالك بلفظ: «قال الله: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[٣].

وروينا في جامع الترمذي مصححاً، وسنن أبي داود من حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعاً: «إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه»[٤].

وروينا في سنن أبي داود والنسائي بإسناد صحيح من حديث معاذ: " أنه ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٥].

وروينا في سنن أبي داود من حديث أنس: " أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «أعلمه» فلحقه فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له "[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٨٣] كتاب مناقب الأنصار، [٤] باب حب الأنصار من الإيمان، ومسلم في صحيحه [١٢٩ ـ (٧٥)] كتاب الإيمان، [٣٣] باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار من الإيمان، وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، والترمذي [٣٩٠٠] كتاب المناقب، باب في فضل الأنصار وقريش.

(٢) أخرجه الترمذي [٢٣٩٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ١٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٧٤].

(٣) أخرجه مالك في الموطأ [٩٥٤]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٥١٠ ـ الموارد]، والتبريزي في المشكاة [٥٠١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ١٢٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٢٤] كتاب الأدب، باب إخبار الرجل بمحبته إليه، والترمذي [٢٣٩٢] كتاب الزهد، باب ما جاء في إعلام الحب.

(٥) أخرجه أبو داود [١٥٢٢] كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٧٣، ٣/ ٢٧٣]، وابن حبان في صحيحه [٢٣٤٥ ـ الموارد]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٥١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٤١]، والشجري في أماليه [١/ ٢٣٩].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٢٥] كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧١]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٩٠٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/ ١٨٢]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٤٦، ٥٥٨] ، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٧].

فصل في علامات حب الله للعبد والحث علىٰ التخلق بهذا والسعي في تحصيلها

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١) الآية.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ (٢) الآية.

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله ـ تعالىٰ ـ قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه» (٣)

وروينا في الصحيحين من حديثه مرفوعاً: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» (٤) وذكر في البغض مثله.

وروينا فيهما من حديث عائشة: إن رسول الله ﷺ بعث رجلاً علىٰ سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم يختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه، فقال: لأنها صفة

---

(١) سورة آل عمران [٣١].
هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعى محبة الله وليس علىٰ الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتىٰ يبلغ الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تُحب. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٥٨]".

(٢) سورة المائدة [٥٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥٠٢] كتاب الرقاق، [٣٨] باب التواضع، وابن ماجه في سننه [٣٩٨٩] كتاب الفتن [١٦] باب من ترجى له السلامة من الفتن، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٤٦]، وابن حجر في التلخيص [٣/ ١١٧]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٢٨]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ١٠٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٤٠] كتاب الأدب، [٤١] باب المقة من الله، أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (٢٦٣٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٨] باب إذا أحب الله عبداً حببه إلىٰ عباده، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٥٩]، [٥/ ٢٦٣]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٣٠٦]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٧٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣١٠].

الرحمن [1]، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال ـ عليه السلام ـ: «أخبروه أن الله يحبه»[2].

وروينا عن مجاهد قال: " قال لي ابن عمر: أحب في الله وأبغض في الله، وعادِ في الله، فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتىٰ يكون كذلك " فقد صارت مواخاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزئ عن أهله شيئاً.

وقال أبو موسى: سمعت رجلاً سأل أبا يزيد فقال: دلني علىٰ عمل أتقرب به إلىٰ ربي؟ قال: أحبب أولياءه ليحبوك، وإن الله ـ تعالىٰ ـ ينظر إلىٰ قلوب أوليائه، فلعله ينظر اسمك في قلب وليه فيغفر لك ".

ولنذكر حكايات تليق بذلك: فالأولى: قيل: إن رجلاً أتى العلاء بن زياد [3] فقال له: إن آتياً أتاني في منامي فقال: إئت العلاء بن زياد وقل له: كم تبكي فقد غفر الله لك، قال: فبكى، ثم قال: حق لي أن أبكي.

وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد (المنوي) [4] حلو المذاق

تراه باكياً في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياقي

فيبكي إن ناءوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

---

(١) قال النووي في قوله: " لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها " «أخبروه أن الله يحبه»: قال المازري: محبة الله ـ تعالىٰ ـ لعباده إرادة ثوابهم وتنعيمهم، وقيل: محبته لهم نفس الإثابة والتنعيم لا الإرادة، قال القاضي: وأما محبتهم له سبحانه فلا يبعد فيها الميل منهم إليه ـ سبحانه ـ وهو متقدس علىٰ الميل، قال: وقيل: محبتهم له استقامتهم علىٰ طاعته، وقيل: الاستقامة ثمرة المحبة وحقيقة المحبة له ميلهم إليه لاستحقاقه ـ سبحانه وتعالى ـ المحبة من جميع وجوهها. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٨٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٧٤م] كتاب الأذان، [١٠٦] باب الجمع بين السورتين في الركعة، ومسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (٨١٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٥] باب فضل قراءة قل هو الله أحد، والترمذي [٢٩٠١] كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، والنسائي [٢/ ١٧١ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٣٨١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢١٢٩].

(٣) العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، أبو نصر العدوي البصري، ثقة، أحد العباد، أرسل عن النبي ﷺ حديثاً، وكان زاهداً خاشعاً قانتاً لله بكّاء، أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه، توفي سنة [٩٤]. ترجمة: تهذيب التهذيب [٨/ ١٨١]، تقريب التهذيب [٢/ ٩٢]، الكاشف [٢/ ٣٦٠]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٥٠٧]، تراجم الأحبار [٣/ ١٧١].

(٤) كذا بالأصل.

الثانية: عن خير النساج قال: كنا في المسجد فجاء الشبلي في سكره - أي في حالٍ وَرَدَ عليه - فنظر إلينا ولم يكلمنا، وهجم علىٰ الجنيد وهو جالس في بيته وعنده زوجته، فأرادت أن تستتر، فقال لها الجنيد [١]: لا عليك هو غائب لا علم له بك، فصفق الشبلي علىٰ رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب ... ورموا بالصدود والصد [٢] صعب
زعموا حين عاينوا أن جرمي ... فرط [٣] حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقي ... ما جزى من يحب إلا بحب

فاهتز الجنيد وقال: هو ذاك يا أبا بكر، فخر مغشياً عليه، ثم بعد ساعة بكى الشبلي، فقال الجنيد لامرأته: استتري عنه فقد أفاق.

الثالثة: عن ذي النون المصري [٤] قال: رأيت في جبل لبنان في كهف رجلاً أبيض الرأس واللحية، أشعث أغبر نحيفاً وهو يصلي، فسلمت عليه بعد ما سلم، فرد السلام وقام إلىٰ الصلاة فما زال راكعاً وساجداً حتىٰ صلى العصر، ثم أسند إلىٰ حجر وجعل يسبح [٥] ولا يكلمني، فقال له: رحمك الله ادع الله ﷻ لي، فقال: آنسك الله بقربه، فقلت: زدني، فقال: يا بني من آنسه بقربه أعطاه أربع خصال: عزاً

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخزاز، وقيل: كان أبوه قواريرياً يعني زجاجاً، وكان هو خزازاً، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وتفقه علىٰ أبي ثور، وسمع من الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري السقطي، وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له، وحدث بشيء يسير. توفي سنة [٢٩٨].

(٢) صدَّ عنه صداً وصدوداً: أعرض عنه، وفلاناً عن كذا صدّاً: منعه وصرفه.

(٣) الفَرْط: تجاوز الحد، يقال: من فرط شغفه به أو كرهه له.

(٤) ذو النون المصري الزاهد، اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفياض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال أبو الفياض الإخميمي، وأبوه نوبي، روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وسلم الخواص وجماعة، وعنه أحمد بن صبيح الفيومي وربيعة بن محمد الطائي والجنيد بن محمد ومقدام بن داود الرعيني والحسن بن مصعب النخعي وغيرهم، وقال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً أصله من النوبة، توفى سنة [٢٤٦]. "تاريخ الإسلام، وفيات [٢٤١ - ٢٥٠]".

(٥) روى البخاري في صحيحه [٨٤٤] كتاب الأذان [١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، عن المغيرة بن شعبة، أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة. ثم شهق شهقة، فلم يفق إلا بعد ثلاثة، وأنشدوا:

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف [(١)] لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق أنهم   قتلى من الحب يوم البين [(٢)] ما حنثوا

ثم قام فتوضأ وسألني كم فاته من صلاته، فأخبرته فقال:

إن ذكر الحبيب هيج شوقي   ثم حب الحبيب أذهل عقلي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وأنست برب العالمين، انصرف عني بسلام، فقلت له: رحمك الله، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيارة، وبكيت، فقال: أحبب مولاك، ولا ترد بحبه بديلا، فالمحبون لله هم (يتحابان) [(٣)] العبَّاد وعلم الزهاد، وهم أصفياء الله وأحباؤه وعباده وأولياؤه، ثم صرخ صرخة وفارق الدنيا، فما كان إلا هُنَيَّةً وإذا بجماعة من العبَّاد ينحدرون من الجبل، فتولوه حتىٰ واروه التراب، فسأل عن اسمه فقال: شيبان المصاب.

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم   وكان يذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه   فلست أراه عن قلبك يبرح [(٤)]
رميت ببين منك إن كنتُ كاذباً   وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرح
فإن كان شيء في البلاد بأسرها   إذا غبت عن عيني بعيني تملح [(٥)]
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل   فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

الرابعة: عن أبي الجوال المغربي قال: كنت جالساً مع رجل صالح ببيت المقدس، وإذا شاب قد طلع علينا، والصبيان حوله يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩] . الكهف هو الغار في الجبل وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون، وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس هو واد قريب من أيلة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرقيم: الكتاب، وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه علىٰ باب الكهف. "تفسير ابن كثير [٣/ ٧٥]".

(٢) البين: ما بين القوم من القرابة والصلة والمودة أو العداوة والبغضاء.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) برح برحاً وبراحاً: زال، وبرح مكانه زال عنه وغادره، وبراحاً: فارقه.

(٥) ملح الشيء ملاحة: بهج وحسن منظره فهو مليح، جمعها: ملاح.

فدخل المسجد وهو ينادي: اللهم ارحمني من هذه الدار [١] فقلت: هذا كلام حكيم، فمن أين لك هذه الحكمة؟

فقال: من أخلص لله الخدمة أورثه طريق الحكمة، وأيده بأسباب المعصية، وليس بي جنون وزلق، بل قلق وفَرَق، ثم جعل يقول:

هجرت الورى في حب من جاء بالنعم ... وعِفْتُ الكرى [٢] شوقاً إليه فلم أنم
ومَوَّهْتُ[٣] دهري بالجنون علىٰ الورى ... لأكتم ما بي من هواه فما انكتم
فلما رأيت الشوق والحب بالحشا ... كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم
فإن قيل مجنون فقد جنني الهوى ... وإن قيل سقام فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا ... وحرمة روح الأنس في خَدِينِ الظُّلَم
لقد لامني الواشون [٤] فيك جهالة ... فقلت لطرفي أفصح العذر فاحتشم[٥]
فعاتبهم طرفي بغير تكلم ... فأخبرهم أن الهوى يورث السقم
فبالحلم ياذا المَنِّ لا تبعد مني ... وقرب من أرى منك يا باري [٦] النسم

قال: فقلت: أحسنت، لقد غلط من سماك مجنونا، فنظر إليَّ وبكى وقال: أَوَلاَ تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا؟ قلت: بلى أخبري، فقال: طَهَّرُوا الأخلاق، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا من محبته في الآفاق، واتزروا بالصدق، وارْتَدَوْا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركبوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة [٧] الحذاق[٨] حتىٰ اتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهق[٩]، وغيبهم عن الخلائق، لا يأويهم دار، ولا يقر بهم قرار، فالنظر إليهم

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٥١] كتاب الدعوات [٣٠] باب الدعاء بالموت والحياة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

(٢) الكرى: النعاس، وجمعها: أكراء.

(٣) موه الشيء: طلاه بفضة أو ذهب، وموه الحق لبسه بالباطل، يقال موه الحديث: زخرفه ومزجه من الحق والباطل، وعليه الخبر: أخبره بخلاف ما سأله عنه.

(٤) وشى به إلىٰ السلطان وِشَاية: نَمَّ به وسعى، فهو واش، جمعها: وشاة، والوشاء: النمام والكذاب.

(٥) حشم حشما: خجل، احتشم: استحيا. (٦) الباري: المخترع الموجد.

(٧) الجهباذ، والجهبذ: النقاد الخبير بغوامض الأمور، جمعها: جهابذة.

(٨) حذق فلان العمل: أوغل في ممارسته حتىٰ مهر فيه، فهو حاذق، جمعها: حُذَّاق.

(٩) شهق البناء والجبل ونحوهما شهوقاً: عظم ارتفاعه فهو شاهق، جمعها: شواهق.

اعتبار، ومحبتهم افتخار، وهم صفوة الأبرار، ورهبان أحبار، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، إن حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن ماتوا لم يُشْهَدُوا، قال: فأُنسيت الدنيا عند حديثه، ثم ولى هارباً، وأنا متأسف عليه.

الخامسة: عن بعض الصالحين قال: حججت سنة من السنين، وكانت سنة كثيرة الجدب[1] والسَّموم، فلما كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز، انقطَعْتُ عن الحجاج وغفوت قليلاً، فلم أشعر إلا وأنا وحدي في البرية، فلاح لي شخص أمامي مسرعاً، فلحقته وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير والشمس الضاحية، وعليه أثر الدَّلال والترف، فقلت: السلام عليك يا غلام، فقال: وعليكم السلام يا إبراهيم، فتعجبت منه كل العجب، ورابني أمره، فلم أتمالك أن قلت: يا سبحان الله!! من أين تعرفني، ولم ترني قبلها؟!! فقال لي: يا إبراهيم ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت. فقلت: ما الذي أوقفك في هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الجدب والقيظ؟ فأجابني: يا إبراهيم ما آنست بسواه، ولا وافقت غيره، وأنا منقطع إليه بالكلية، مُقرٌّ له بالعبودية، فقلت له: من أين المأكول والمشروب؟ فقال: تكفل لي به المحبوب، فقلت: والله إني خائف عليك لأجل ما ذكرت لك، فأجابني ودموعه تنحدر كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول:

من ذا يخوفني بالبر أقطعه ... إلى المحب وقد قدمت إيماناً
الحب أقلقني والشوق أزعجني ... ولا يخاف محب الله إنساناً
فلو أجوع فذكر الله يشبعني ... ولا أكون بحمد الله عطشاناً
وإن ضعفت فوجد منه يحملني ... من الحجاز إلىٰ أقصى خراسانا
فهل لصغري تكون اليوم تحقرني ... دع عنك عذلك لي قد كان ما كانا

قال: فقلت له: سألتك بالله يا غلام إلا أعلمتني حقيقة عمرك؟ قال: فلقد آليت عليَّ بأجلّ الأيمان عندي، عمري اثنا عشر سنة، ثم قال: ما ألجأك إلىٰ ذلك؟ فقلت: أذهلني ما سمعته منك، فقال: الحمد لله علىٰ ما أولانا من نعمه وفَضَّلَنَا علىٰ كثير من عباده المؤمنين، قال: فتعجبت من حسن وجهه وبهاء طلعته وحلاوة منطقه، فقلت: سبحان الخالق المصور[2] فأطرق الغلام إلىٰ الأرض ملياً، ثم رفع رأسه ينظر

---

(١) جدب المكان جدباً: يبس لاحتباس الماء عنه، ويقال أجدبت السنة: صار بها جدب، والقوم أصابهم الجدب، والأرض وجدها جدبة.

(٢) الخالق المقدِّر، وحمل المفسرون قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] علىٰ معنى التقدير. المصور: المرتب للصور والمخترعات. "انظر سلاح المؤمن لابن الإمام [ص ٢٥٩]".

شزراً وهو يقول:

ويحي إذا كان الجحيم جزائي ... ماذا يحل ببهجتي وبهائي
يُبْلي العذاب محاسني ويشينها ... ويطول مني بالجحيم بكائي
ويقول لي الجبار جل جلاله ... أنسيت عهد ثَمَّ يوم لقائي
وترى وجوه الطائعين كأنها ... بدر بدا في ليلة ظلماء
كشفوا الحجاب فعاينوه فأدْهِشُوا ... ونسوا نعيمهم وكل رجائي
وكساهم حلل المهابة والرضا ... وحبا الوجوه بنظرة وبهاءِ

ثم قال: يا إبراهيم اعلم أن المنقطع من قطعه الحبيب، والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب، ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا إبراهيم، فقلت له: نعم، أنا ذلك، سألتك بالله إلا دعوت لي أن ألحق من سبقني من أصحابي، قال: فنظرت الغلام قد لمح بطرفه إلىٰ السماء، وتكلم بكلام حرك بها شفتيه، فعند ذلك لحقتني سِنَةٌ وأُغْمِيَ عليَّ، فلم أفق إلا وأنا في وسط الحاج، وزميلي يقول: يا إبراهيم احذر أن تقع عن الراحلة، ولم أدر أصعد الغلام إلىٰ السماء أم نزل إلىٰ الأرض، فلما وقفنا بعرفة ودخلت الحرم، فإذا أنا به متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي ويقول:

تعلقت بالأستار والقبر زرته ... وأنت بما في القلب والسر أعلم
أتيت إليه ماشياً غير راكب ... لأني علىٰ صغري محب متيم [(١)]
هويتك طفلاً حيث لا أعرف المأوى ... فلا تعذلوني إنني متعلم
وإن كان قد حانت لديك منيتي [(٢)] ... لعلي بوصلك منك أحظى وأغنم

قال: ثم أرخى نفسه ووقع ساجداً وأنا أنظر إليه، فحركته فإذا هو قد مات، فتأسفت عليه كل الأسف، ومضيت إلىٰ راحلتي وأخذت ثوباً، واستعنت بمن يساعدني عليه حتىٰ أواريه، فأتيت إليه فلم أجده، فسألت عنه الحاجَّ جميعه فلم أر له خبراً، فعلمت أنه قد ستر عن أعين الخلق وأنه لم يره غيري، فأتيت إلىٰ مكاني وأغفيت قليلاً، فرأيته في المنام في موكب عظيم، وهو في أوائلهم، وعليه من النور والحلل ما لا أحسن وصفه، فقلت له: ألست صاحبي؟ قال: نعم، فقلت له: ألست مت؟ قال: قد كان ذلك، فقلت له: والله لقد طلبتك أُكفنك وأصلي عليك فلم أجدك؟ فقال: يا إبراهيم اعلم أن الذي من بلدي أخرجني، وبحبه شوقني، وعن

---

(١) تام الهوى فلاناً تيماً: استولى عليه وذهب بعقله، وتيمه الهوى أو الحبيب تامه.
(٢) المنية: الموت، جمعها: منايا.

أملي غربني، هو كفنني، ما أحوجني، فقلت له: ما فُعل بك بعد ذلك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: ما بُغْيَتُكَ؟ فقلت: أنت، فقال: أنت عبدي حقاً حقاً، ولك عندي أن لا أحجب عنك، فما تريد؟ قلت: أن تشفعني في القرن الذي أنا فيه، قال: قد شفعتك فيه[(١)]، ثم إنه صافحني، واستيقظت وقضيت بقية مناسكي، ولم يفتر قلبي من ذكره، وصارت يدي لها رائحة من تلك المصافحة، فلم تزل في يده حتىٰ قضى نحبه.

السادسة: عن مالك بن دينار قال: خرجت حاجّاً فإذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة، فسلمت عليه، فرد السلام، فقلت: أيها الشاب من أين؟ قال: من عنده، قلت: وإلى أين؟ قال: إليه، قلت: وأين الزاد؟ قال: عليه، قلت: إن الطريق لا يقطع إلا بالماء والزاد، فهل معك شيء؟ قال: نعم؛ تزودت عند خروجي بخمسة أحرف، قلت: ما هي؟ قال: كهيعص[(٢)]، قلت: وما معناها؟ قال: الكاف من الكافي، والهاء من هادي، والياء من مؤوي، والعين من عالم، والصاد من صادق، فمن كانت صحبته ذلك لا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج إلىٰ حمل ماء وزاد، قال: فلما سمعت كلامه نزعت قميصي علىٰ أن ألبسه إياه، فأبىٰ أن يقبله، وقال: العُرْيُ خير من قميص الفناء، حلالها حساب وحرامها عذاب، وكان إذا جنَّه الليل يرفع رأسه نحو السماء ويقول: يا من تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك، فلما أحرم الناس ولبوا قلت: لم لا تلبي؟ فقال: يا شيخ أخشى أن أقول لبيك،

---

(١) مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدَّثر: ٤٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. «النووي في شرح مسلم [٣/٣١] طبعة دار الكتب العلمية».

(٢) اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلىٰ الله ولم يفسروها، حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وقاله الشعبي والثوري والربيع، واختاره ابن حبان، ومنهم من فسرها، واختلف هؤلاء في معناها، فقال عبد الرحمن بن أسلم: هي أسماء السور، وقال الزمخشري: وعليه إطباق الأكثر، وقال مجاهد: هي فواتح افتتح الله بها القرآن. «تفسير ابن كثير [١/٣٦]».

فيقول: لا لبيك ولا سعديك، لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، ثم مضى فما رأيته إلا في مِنى وهو يقول:

إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي ... دمي حلال له في الحل والحرم
والله لو علمت روحي بمن علقت ... قامت علىٰ رأسها فضلاً عن القدم
بالآي لا تلمني في هواه فلو ... عاينت منه الذي عاينت لم تلُم
ويطوف بالبيت قوم لو بخارجه ... بالله طافوا لأغناهم عن الحرم
ضحى الحبيب بنفسه يوم عيدهم ... والناس ضحوا بمثل الشاة والنعم
للناس حج ولي حج إلىٰ سكني ... تهدي الأضاحي وأهدي مهجتي[1] ودمي

ثم قال: اللهم إن الناس ذبحوا وتقربوا إليك، وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي، فتقبلها مني، ثم شهق شهقة فخرَّ ميتاً، وإذا بقائل يقول: هذا حبيب الله، هذا قتيل الله، قتل بسيف الله فجهزته وواريته، فرأيته في منامي فقلت: ما فُعل بك؟ قال: كما فُعل بشهداء بدر، قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بمحبة الجبار.

السابعة: قيل: لما وقف الشبلي بعرفات لم ينطق بشيء حتىٰ غربت الشمس، فلما جاوز العلمين هملت عينه بالدموع، ثم أنشأ يقول:

أروح وقد ختمت علىٰ فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غمضت طرفي ... فلم أنظر به حتىٰ أراكا
وفي الأحباب مختص بوجد ... وآخر يَدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تَباكى
وكل يدَّعُون وصال ليلى ... وليلى لا تُقرُّ لهم بذاكا

الثامنة: عن الجنيد قال: حججت علىٰ الوجدة[2]، وجاورت بمكة، فكنت إذا دخلت الطواف وإذا بجارية تطوف وتقول:

يأبى الحب أن يخفى وقد كتمته ... واضح عندي قد أباح وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ... وإن رمت قرباً من حبيب تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ... ويسعدني حتىٰ ألذ وأطربا

قال: فقلت لها: يا جارية أما تتقين الله؛ في مثل هذا المكان تتكلمين بهذا

---

(١) المهجة من كل شيء: خالصه، ودم القلب والروح، جمعها: مهج.
(٢) وجد فلان وجداً: حزن، ووجد به: أحبه، وتواجد: أي تظاهر بالوجد.

الكلام؟!! فالتفتت إليَّ وقالت:

لولا التقى لم ترني ... أهجر طيب الوسن
إن التقى شردني ... كما ترى عن وطني
أفر من وجدي به ... فحبه هيَّمني[1]

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أم برب البيت، فقلت: أطوف بالبيت، فرفعت رأسها إلىٰ السماء وقالت: سبحانك سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم ... وحلوا بجار القرب في باطن الكفر
وقد أخلصوا في الود غاية صفاتهم ... وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد[2]: فغشي عليَّ من قولها، فلما أفقت لم أرها.

وسيكون لنا عودة إلىٰ هذه الحكاية في مجلس الحج - إن شاء الله تعالىٰ - فإنها تليق به.

التاسعة: عن ذي النون المصري قال: رأيت امرأة في تيه بني إسرائيل عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف، وفي كفها عُكًّز من حديد، فقلت: السلام عليك، فردت ثم قالت: وذا للرجال وخطاب النساء عافاك الله، فقلت: أخوك ذو النون، فقالت: مرحباً بك، حياك الله بالسلام، قلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت: كلما أتيت إلىٰ بلد يعصى فيه الحبيب يضيق عليَّ فأنا أطلب بقعة طاهرة أخرّ عليها ساجدة أناجيه بقلب ذاب من شدة الشوق إلىٰ لقائه.

قلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب أحسن من ذكرك، فأي شيء المحبة؟ فقالت: سبحان الله! أنت الحكيم الواعظ تسألني!! أول المحبة تبعث علىٰ الكدّ الدائم، حتىٰ إذا وصلت أرواحهم إلىٰ أعلى الصفاء جرَّعتهم من محبته لذيذ الكؤوس ثم صرخت مغشياً عليها، فلما أفاقت قالت:[3]

---

(١) هام فلان هيماناً: خرج علىٰ وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه، وهام بفلانة: شغف بها.

(٢) من أقوال الجنيد: ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات، وعن الجنيد قال: أعلى درجة الكبر أن ترى نفسك، وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك، وقال أبو علي الروذباري: قال الجنيد: سألت الله أن لا يعذبني بكلامي، وربما وقع في نفسي أن زعيم القوم أرذلهم. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٩١ - ٣٠٠]".

(٣) أظنه من شعر رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، والمتوفاة سنة ثمانين =

أحـبـك حـبـيـن؛ حـب الـهـوى وحـب لأنـك أهـل لـذاكـا
فـأمـا الـذي هـو حـب الـهـوى فـذكـرٌ شـغـلـت بـه عـن سـواكـا
وأمـا الـذي أنـت أهـل لـه فكشفـك لـي الـحجب حتىٰ أراكـا
ولا حـمـد فـي ذا ولا ذاك لـي ولـكـن لـك الـحـمـد فـي ذا وذاكـا

العاشرة: عن ذي النون أيضاً قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً، وإذا جارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنـت تـدري يـا حـبـيـبـي مـن حـبـيـبـي أنـت تـدري
ونـحـول الـجـسـم والـدمـع يـبـوحـان بـسـرّي
قـد كـتـمـت الـحـب حـتـى فـي الـهـوى قـد ضـاق صـدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت منها حتىٰ انتحبت وبكيت، ثم قالت: سيدي ومولاي، بحبك لي إلا ما غفرت لي، قال: فتعاظمني ذلك وقلت: يا جارية أما يكفيك أن تقولي بحبي لك، حتىٰ تقولي بحبك لي؟ فقالت: إليك عني يا ذا النون، أما علمت أن لله عباداً أحبهم قبل أن يحبوه؟ أما سمعت الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(١) فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له، فقلت: من أين علمتِ أني ذا النون؟!! فقالت: يا بطّال جالت القلوب في ميدان الأسرار فعرفتك، ثم قالت: انظر من خلفك، فأدرت وجهي فلا أدري؛ السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعتها !!

الحادية عشرة: عن سري السقطي (٢) قال: اشتريت جارية للخدمة، فكانت تخدمني دهراً طويلاً، وتكتم أمرها ولها محراب تصلي فيه.

فلما كانت في بعض الليالي وجدتها تصلي تارة، وتناجي أخرى، فسمعتها

= ومائة، ولها ترجمة بتاريخ الإسلام للذهبي، انظر وفيات [١٧١ ـ ١٨٠] وستأتي ترجمتها قريباً.

(١) سورة المائدة [٥٤].
يقول تعالىٰ مخبراً عن قدرته وعظمته أن من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠]. "تفسير ابن كثير [٢/ ٧١]".

(٢) السري بن المغلس أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب معروفاً الكرخي، وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وعلي بن غراب ويزيد بن هارون، وعنه أبو العباس بن مسروق والجنيد وأبو الحسن النوري وإبراهيم بن عبد الله المخرمي، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي سنة [٢٥٣]. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٢٥١ ـ ٢٦٠]".

تقول: بحبك لي إلا فعلت كذا وكذا، فناديتها عند ذلك: لا تقولي هكذا، لكن قولي بحبي إياك، فقالت: يا سيدي: لولا حبه إياي ما أقعدك وأقامني، فلما أصبحت دعوتها وقلت: إنك لا تصلحين لخدمتي بل تصلحين لخدمة مولاك الأكبر، اذهبي فأنت حرة لوجه الله، ثم وصلتها بشيء وسرحتها وندمت علىٰ مفارقتها.

الثانية عشرة: عن أبي الأشهب السايح قال: بينما أنا أطوف إذا بجارية تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول:

يا وحشتي بعد أنسي ويا ذلي بعد العز

ويا فقري بعد الغنى

فقلت لها: مالك، أذهب لك مال؟ أو أُصِبْتِ بمصيبة؟ قالت: لا ولكن كان لي قلب فقدته وأنشدت:

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فارْدُدْ عليَّ فقد عيل [1] صبري في تَطَلُّبه
وأغث ما دام بي رمق [2] يا غياث المستغيث به

فقلت لها: هذه مصيبتك؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقد القلوب وانقطاعها عن المحبوب؟ فقلت لها: إن حسن صوتك قد عطّل من سمعه عن الطواف، فقالت: يا شيخ البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بيته، قالت: الحرم حرمك أم حرمه؟ قلت: بل حرمه، قالت: فدعنا نتدلل عليه علىٰ قدر ما استزارنا إليه، ثم قالت: بحبك لي إلا ما رددت عليَّ قلبي، فقلت لها: من أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: جيَّش من أجلي الجيوش [3]، وأنفق الأموال، وأخرجني من دار الشرك وأدخلني دار التوحيد [4] وعرفني نفسه بعد جهلي إياه، فهل إلا لعناية؟ قلت: فكيف حبّك له؟ قالت: أعظم شيء وأجله، قلت: وتعرفي الحب؟ قالت: فإذا جهلته فأي شيء أعرف به حلو المجتبى ما اقتصر، فإذا أفرط عاد حبلاً قاتلاً، وفساداً معضلاً، وهي شجرة غرسها

---

(١) عيل صبره: نفد، فهو معول.

(٢) الرمق: بقية الروح، وجمعها: أرماق.

(٣) تقصد الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلىٰ بلادها، وأدخلتها في الإسلام، وكانت هذه نعمة عظيمة تكَرَّم الله بها عليها.

(٤) روى البخاري في صحيحه [٢٥] كتاب الإيمان،[١٧] باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبَة: ٥] عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله».

كريم، (ومجناها) لذيذ، ثم ولت وأنشأت تقول:

وذي قلق لا يعرف الصبر والصبرا ... له مقلة غبراء أضر بها البكا
وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى ... بماذا يداوى المستهان من الضنى
ولاسيما والحب صعب مرامه ... إذا عطفت منه العواطف بالفتى

الثالثة عشرة: عن محمد بن الحسين البغدادي قال: حججت مرة، فبينا أنا أدور في شوارع مكة، وإذا أنا بشيخ قابض علىٰ يد جارية مُتغِّير لونها، نحل جسمها، وعلى وجهها نور ساطع وضياء لامع، وهو ينادي: هل من طالب؟ هل من راغب؟ هل من زايد علىٰ عشرين ديناراً؟ وأنا بريء من كل عيب، قال: فدنوت منه، قلت: وما هو؟ قال: اعلم أنها جارية مهمومة؛ قائمة ليلها صائمة نهارها، لا تأكل طعاماً ولا تشرب (مُدَاماً) قد ألفت الانفراد والوحدة في كل أرض وبلدة، فلما سمعت كلامه أحببتها فاشتريتها ورحت بها إلىٰ منزلي فرأيتها مطرقة إلىٰ الأرض، ثم رفعت رأسها إليَّ وقالت: يا مولاي الصغير من أين أنت يرحمك الله؟ قلت: من العراق، قالت: من البصرة أو من الكوفة؟ فقلت: ولا من واحدة منهن، فقالت: لعلك من مدينة السلام ببغداد؟ قلت: نعم، قالت: بخ بخ؛ مدينة الزهاد والعبَّاد، قال: فعجبت وقلت: يا جارية من حجرة إلىٰ حجرة، ينادى عليها من أين لها معرفة بالزهاد والعبَّاد، ثم أقبلت عليها شبه الملاعب لها، وقلت لها: من تعرفي منهم؟ قالت: أعرف مالك بن دينار، وبشر الحافي [1]، وصالح المزي، وأبا حاتم السجستاني، ومعروفاً الكرخي [2]، ومحمد بن الحسين البغدادي، ورابعة العدوية [3]، وشعوانة،

---

(١) بشر الحافي بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء أبو نصر المروزي البغدادي الزاهد الكبير، كان عديم النظر زهداً وورعاً وصلاحاً، كثير الحديث إلا أنه كان يكره الرواية ويخاف من شهوة النفس في ذلك حتىٰ إنه دفن كتبه. ومن قوله: أمس قد مات واليوم في نزاع وغداً لم يولد بعد، وعنه قال: لا يفلح من ألف أفخاذ النساء، وعنه قال: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وقيل لأحمد بن حنبل: مات بشر فقال: مات ـ رحمه الله ـ وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن قيس، فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة [٢٢٧]. "انظر تاريخ الإسلام، وفيات [٢٢١ ـ ٢٣٠]".

(٢) معروف الكرخي زاهد العراق وشيخ الوقت، كان أبوه من أعمال واسط من الصابئة، وقال أبو علي الدقاق قال: كان أبواه نصرانيين فأسلماه إلىٰ مؤدب نصراني، فكان يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه، فهرب، فكان أبواه يقولان: ليته رجع، ثم أسلم أبواه، وذكر السلمي أن معروفاً صحب داود الطائي ولم يصح، ومن أقواله: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة [٢٠٠]. "انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٩١ ـ ٢٠٠]".

(٣) رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، وهي رابعة بنت إسماعيل، كنيتها أم =

وميمونة، فأقبلت عليها وقلت لها: من أين لك معرفة هؤلاء؟ قالت: يا فتى كيف لا أعرفهم وهم والله أطباء القلوب ومنّ المحب علىٰ المحبوب. فقلت لها: يا جارية أنا محمد بن الحسين، فقالت: لقد سألت الله أن يجمع بيني وبينك يا أبا عبد الله، ما فعل حسن صوتك الذي يحيى به قلوب المريدين وتبكي به عيون السامعين؟ فقلت: باق علىٰ حاله، قالت: فبالله عليك أسمعني شيئاً من القرآن، فقرأت " بسم الله الرحمن الرحيم " فصرخت صرخة عظيمة، وغشي عليها.

فرششت علىٰ وجهها الماء فأفاقت فقالت: يا أبا عبد الله، هذا اسمه فكيف لو عرفته حق معرفته، وفي الجنان رأيته؟ اقرأ يرحمك الله، فقرأت: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١) الآية قالت: يا أبا عبد الله، ما عبدنا وثناً ولا قبلنا صنماً، اقرأ رحمك الله، فقرأت: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] الآية، فقالت: يا أبا عبد الله، لقد ألزمت نفسك القنوط، روح قلبي بين الرجاء والخوف، اقرأ، فقرأت: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(٢) قالت: واشوقاه إلىٰ لقائه؛

= عمرو، وولاؤها للعتكيين، وقد أفرد ابن الجوزي أخبارها في الشاميات، ورابعة العابدة معاصرة لها، فربما تداخلت أخبارهما، ومن أخبارها أن ناساً استأذنوا علىٰ رابعة ومعهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة وذكروا شيئاً من أمر الدنيا، فلما قاموا قالت لامرأة تخدمها: إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه فلا تأذني لهم؛ فإني رأيتهم يحبون الدنيا، وقال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكماً كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما، توفيت ـ رحمها الله ـ [١٨٠]. تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [١٧١ ـ ١٨٠].

(١) سورة الجاثية [٢١].
يقول تعالىٰ: لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ـ تبارك وتعالى ـ ههنا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] أي عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١] أي نساويهم بها في الدنيا والآخرة ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦] أي ساء ما ظنوا بنا وبعد لنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار.
"تفسير ابن كثير [٤/ ١٥٠]".

(٢) سورة القيامة [٢٢، ٢٣].
وقال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله ـ تعالىٰ ـ ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً علىٰ أن وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله ـ تعالىٰ ـ دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع: المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله ـ تعالىٰ ـ لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله ـ تعالىٰ ـ في الآخرة للمؤمنين. "النووي في شرح مسلم [٣/ ١٥] طبعة دار الكتب العلمية".

يوم يتجلى لأوليائه، اقرأ، فقرأت: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [١] الآيات، قالت: يا أبا عبد الله أراك قد خطبت الحور العين، فهل بذلت من مهورهن شيئاً؟ قلت: يا جارية، دليني فإني مفلس، فقالت: عليك بقيام الليل وصيام النهار، وحب الفقراء والمساكين، ثم أنشأت تقول:

يا خاطب الحوراء في خدرها ... وطالب ذاك علىٰ قدرها

انهض بجد لا تكن وانياً [٢] ... وجاهد النفس علىٰ صبرها

وقم إذا الليل بدا شطره ... وصم نهاراً فهو من مهرها

فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها

وهي تمشي بين أربابها ... وعقدها يشرف في نحرها

لهان في عينيك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهرها

قال: ثم غشي عليها، فرششت علىٰ وجهها الماء، فأفاقت، ثم أنشأت تقول:

إلهي لا تعذبني فإني ... مقرٌّ بالذي قد كان مني

فكم من زلة لي في الخطايا ... عفوت وأنت ذو فضل ومَنِّ

يظن الناس بي خيراً وإني ... لشرُّ الناس إن لم تعف عني

ومالي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظني

قال: ثم غُشي عليها، فدنوت منها، فإذا هي قد ماتت ـ رحمة الله عليها ـ فاغتممت لذلك غماً شديداً، وخرجت إلىٰ السوق لآخذ في جهازها، فلما رجعت إذا هي قد كُفنت وحُنطت وعليها خضراوتان من حلل الجنة، مكتوب علىٰ الكفن سطران: الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثاني: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [٣].

---

(١) سورة الواقعة [١٧].

(٢) الواني: الضعيف البدن، وني في الأمر: فتر وضعف وكلَّ وأعيا.

(٣) سورة يونس [٦٢].

قال الشوكاني: قال الإمام تقي الدين بن تيمية ـ رحمه الله: أولياء الله علىٰ طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله ـ سبحانه في عدة مواضع من كتابه في أول الواقعة وآخرها، وسورة الإنسان، والمطففين، وسورة فاطر إلىٰ آخر كلامه. وقال الشوكاني: وليس لمنكر أن ينكر علىٰ أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع، وهذا باب قد فتحه رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم» والمحدث: الصادق الظن المصيب الفراسة. "انظر قطر الولي علىٰ =

قال: فحملتها أنا وأصحابي وصلينا عليها ودفناها وقرأت عند رأسها سورة يس، ورجعت إلىٰ محرابي باكي العين حزين القلب علىٰ فراقها، وصليت ركعتين ونمت، فرأيت الجارية في الجنة وعليها الحلل، وهي في مرج من زعفران أفيح، عليها حلل السندس والاستبرق، وعلى رأسها إكليل مرصع بالدرّ والجوهر، وفي رجليها نعلان من الياقوت الأحمر يفوح منها ريح المسك والعنبر، ووجهها أضوأ من الشمس والقمر، فقلت: مهلاً يا جارية، ما الذي بلغك هذه المنزلة؟ قالت: حُب الفقراء والمساكين، وكثرة الاستغفار، ونقل الأذى عن طريق المسلمين، ثم أنشأت تقول:

طوبى لمن سهرت في الليل عيناه ... وبات ذا قلق من حب ولاه
وراح يوماً علىٰ تفريطه وبكى ... خوفاً لما قد جناه من خطاياه

= حديث الولي [ص ٢٦، ٣٧] طبعة دار الكتب العلمية».

مجلس في الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد والحذر من الخيانة

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ (١).

وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ (٢).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] (٣).

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ (٤).

وفي هذه الآيات الأمر بالوفاء وإنكار الخَلْف علىٰ ذي إيمان، وتشديد الذم له، وتهديد من نكبه بالمقت عند الله، والمقت أشد البغض، وعند الله أبلغ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ (٥)، وقال: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ (٦).

وقال: ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ (٧).

وقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ (٨).

وقال: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ (١٠).

---

(١) سورة الإسراء [٣٤]. ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ [الإسرَاء: ٣٤] أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسرَاء: ٣٤] أي عنه. "تفسير ابن كثير [٣/ ٤٠]".

(٢) سورة النحل [٩١].

(٣) سورة المائدة [١]. قال ابن كثير: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١] قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود، وحكى ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك قال: والعهد ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره.

(٤) سورة الصف [٢، ٣]. استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان». "تفسير ابن كثير [٤/ ٣٥٧]".

(٥) سورة آل عمران [٩].

(٦) سورة إبراهيم [٤٧].

(٧) سورة الكهف [٩٨].

(٨) سورة طه [٩٧].

(٩) سورة الأنبياء [٩].

(١٠) سورة الحج [٤٧].

وقال: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ (١).

وقال: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٢).

وقال: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (٣).

وقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ (٤).

وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٥).

وقال: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ (٦).

وقال: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٧).

وقال: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ (٨).

وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (١٠).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (١١).

وقال: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ (١٢).

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ (١٣).

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ (١٤) الآية.

وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾ (١٥) الآية.

وقال: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ (١٦).

وقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (١٧).

---

(١) سورة الروم [٦].
(٢) سورة الإسراء [٥].
(٣) سورة الإسراء [١٠٨].
(٤) سورة الذاريات [٥].
(٥) سورة الروم [٦٠].
(٦) سورة الأحقاف [١٦].
(٧) سورة غافر [٧٧].
(٨) سورة القصص [١٣].
(٩) سورة النور [٥٥].
(١٠) سورة الأنفال [٧].
(١١) سورة النساء [٥٨].
ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة حاجب الكعبة المعظمة، وكان أسلم في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة، وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه.
(١٢) سورة سورة البقرة [٢٨٣].
(١٣) سورة المؤمنون [٨].
(١٤) سورة الأحزاب [٧٢].
(١٥) سورة آل عمران [٧٥].
(١٦) سورة الأنفال [٢٧].
(١٧) سورة النساء [١٠٥].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (١).

وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ (٢).

وقال: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ (٣) الآية.

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (٤).

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٥).

وقال: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (٦).

وأما الأحاديث فكثيرة نذكر منها ستة أحاديث:

مشتملة علىٰ التحذير من إخلافه وغدر العهد، وعلى بيان أهل الوفاء من النبيين والصديقين الذين يرغب أن ينتظم في سلكهم كل لبيب.

أولها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (٧) متفق عليه، زاد مسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه

---

(١) سورة النساء [١٠٧].

(٢) سورة الأنفال [٥٨].

يقول تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةً﴾ أي نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي عهدهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتىٰ يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم علىٰ السواء، أي تستوي أنت وهم في ذلك، وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ : أي علىٰ مهل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي حتىٰ ولو في حق الكفار لا يحبها أيضاً. "تفسير ابن كثير [٢/٣٢٧]".

(٣) سورة الأنفال [٧١].　　(٤) سورة يوسف [٥٢].

(٥) سورة الحج [٣٨].

(٦) سورة التحريم [١٠]. قال الثوري بسنده عن ابن عباس في هذه الآية ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] قال: ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها علىٰ أضيافه، وقال العوفي عن ابن عباس قال: كانت خيانتهما أنهما كانتا علىٰ غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع علىٰ سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، وقال الضحاك عن ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدين. "تفسير ابن كثير [٤/٣٩٣]".

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق، ورقم [٢٦٨٢] كتاب الشهادات، [٢٨] باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، ورقم [٢٧٤٩] في الوصايا، [٨] باب قول الله ـ تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢]، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٥٩)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق، وأحمد في مسنده [٢/ =

مسلم»[(١)].

ولا تحذير أبلغ من ذلك، فمن يختار أن يكون في رتبة المنافقين التي هي أسفل الدرجات.

ثانيها: حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(٢)] متفق عليه أيضاً.

ثالثها: حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين لأعطينَّك هكذا وهكذا».

فلم يجئ حتىٰ قُبض رسول الله ﷺ فلما جاء، أمر الصديق من كان له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ أو دين فليأتينا، فأتيته وقلت: إن رسول الله ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها، فإذا هي خمسمائة، فقال: خذ مثلها[(٣)] متفق عليه أيضاً.

= ٣٥٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٨٥، ٢٨٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [١٤/ ٧٠].

(١) سورة أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٩ ـ (٥٩)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق، ورقم [٢٤٥٩] كتاب المظالم، [١٧] باب إذا خاصم فجر، ورقم [٣١٧٨] كتاب الجزية والموادعة، [١٧] باب إثم من عاهد ثم غدر، ومسلم في صحيحه [١٠٦ ـ ٥٨] كتاب الإيمان، [٢٥] باب بيان خصال المنافق، والترمذي في سننه [٢٦٣٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٨٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٣٠، ١٠/ ٧٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٢٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٩٣]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٣٩]، وقال النووي: وقد أجمع العلماء علىٰ أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه ـ بحمد الله ـ إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، والذي قاله المحققون والأكثرون، وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٤٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري [٣/ ١٢٦، ٤/ ١١٠، ١١٩]، ومسلم [٦٠ ـ (٢٣١٤)] كتاب الفضائل، [١٤] باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٩/ ١٤]، والحميدي في مسنده [١٢٣٣]، وقال النووي: قوله: "فقال: خذ مثليها " يعني خذ معها مثليها فيكون الجميع ألفاً وخمسمائة لأن له ثلاث حثيات، وإنما حثى له أبو بكر بيده لأنه خليفة رسول الله ﷺ فيده قائمة مقام يده، وكان له ثلاث حثيات بيد رسول الله ﷺ، وفيه إنجاز العِدَةِ، قال الشافعي والجمهور: إنجازها والوفاء بها =

فالصديق وفَّى موعوده، فإنها تُعادل الدين بالنسبة إلىٰ مقامه الغالي.

رابعها: حديث حذيفة قال: " حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال [(١)]، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: «ينام الرجل النومة فتُقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته علىٰ رجلك فنفط، تراه منتبراً، وليس فيه شيء [(٢)] - ثم أخذ حصى فدحرجه علىٰ رجليه - فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتىٰ يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتىٰ يقال للرجل، ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

ولقد أتىٰ عليَّ زمان وما أبالي أيَّكُمْ بايعت، لئن كان مسلما لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دينه، ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليَرُدَّنَّهُ علي ساعيه، وأما اليوم فما كنت لأبايع [(٣)] منكم إلا فلاناً وفلانا " [(٤)] متفق عليه.

= مستحب لا واجب وأوجبه الحسن وبعض المالكية. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ٦٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) الجذر بفتح الجيم وكسرها لغتان، وبالذال المعجمة فيهما وهو الأصل، قال القاضي عياض - رحمه الله: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم، وأبو عمرو يكسرها، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله - تعالىٰ - به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم، قال الإمام أبو الحسن الواحدي - رحمه الله - في قول الله - تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها الله - تعالىٰ - علىٰ العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة، وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه، وقال مقاتل: الأمانة الطاعة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) قوله: «كجمر دحرجته علىٰ رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء» فالجمر والدحرجة معروفان، ونفط بفتح النون وكسر الفاء، ويقال: تنفط بمعناه، ومنتبراً: مرتفعاً، وأصل هذه اللفظة الارتفاع، ومنه المنبر لارتفاعه لارتفاع الخطيب عليه، وقوله: «ثم أخذ حصى فدحرجه»، ووقع في أكثر الأصول «ثم أخذ حصاة فدحرجه» بإفراد لفظ الحصاة، وهو صحيح أيضاً، ويكون معناه دحرج ذلك المأخوذ أو الشيء وهو الحصاة، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قال القاضي عياض وصاحب التحرير: وحمل بعض العلماء المبايعة هنا علىٰ بيعة الخلافة وغيرها من المعاقدة والتحالف في أمر الدين، قالا: وهذا خطأ من قائله، وفي الحديث مواضع تبطل قوله؛ منها قوله: "ولئن كان نصرانياً أو يهودياً" ومعلوم أن النصراني واليهودي لا يعاقد علىٰ شيء من أمور الدين، والله أعلم. "المرجع السابق [٢/ ١٤٥]".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٧] كتاب الرقاق، [٣٥] باب رفع الأمانة، ومسلم في صحيحه =

خامسها: حديث حذيفة أيضاً وأبي هريرة " في إتيان الناس يوم القيامة إلىٰ آدم وغيره، إلىٰ أن يأتوا إلىٰ نبينا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيُؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق " الحديث[(١)] رواه مسلم.

سادسها: حديث عبد الله بن الزبير الطويل في صحيح البخاري، وأن والده كان يستودع المال فيقول: لا ولكن هو سلف فإني أخشى عليه الضيعة، فمات وعليه من الدين ألفا ألف، فوافى وقسم الباقي، ورفع الثلث، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[(٢)].

ونذكر من الحكايات أيضاً ستة:

الأولى: قال بعضهم: كنت بمكة فجاءني رجل من أهل اليمن فقال: جئتك بهدية، ثم قال لرجل كان معه: حدِّث ما كان منك، قال: خرجت من صنعاء حاجاً فشيعني جماعة وقال لي رجل منهم: إذا زرت رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وعلى سائر الصحابة، قال: فدخلت المدينة ونسيت ذلك، فخرجنا إلىٰ ذي الحليفة لنُحرم، فتذكرت الأمانة، فرجعت إلىٰ المدينة وفعلت ما استودعني، فأدركني الليل ورحلت القافلة فنمت في المسجد، فرأيت رسول الله ﷺ فقال: هذا أبو الوفا وأخذ بيدي فوُضعت بمكة، فأقمت زماناً حتىٰ وردت رفقتي.

الثانية: عن إبراهيم بن أدهم أنه حج، فبينما هو في الطواف، وإذا بشاب حسن قد أعجب الناس حسنه وجماله، فجعل إبراهيم ينظر إليه ويبكي، فقال بعض

= [٢٣٠ ـ (١٤٣)] كتاب الإيمان، [٦٤] باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، والترمذي [٢١٧٩] كتاب الفتن، باب ما جاء في رفع الأمانة، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٨٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٢٢]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٢٧١، ٨/ ٢٥٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣٨١]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٥٢]، والحميدي في مسنده [٤٤٦].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢٩ ـ ١٩٥] كتاب الإيمان، [٨٤] باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، قوله ﷺ: «وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط قال النووي: وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لِعِظَم أمرهما وكبير موقعهما، فتصوران مشخصتين علىٰ الصفة التي يريدها الله ـ تعالىٰ ـ، وقال صاحب التحرير: في الكلام اختصار والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما. "النووي في شرح مسلم [٣/ ٦٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) انظر الحديث بطوله في صحيح البخاري [٣١٢٩] كتاب فرض الخمس، [١٣] باب بركة الغازي في ماله حيّاً وميتاً مع النبي ﷺ وولاة الأمر.

أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفلة دخلت علىٰ الشيخ بلا شك، ثم قال: يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال له إبراهيم إني عقدت مع الله عهداً لا أفسخه، هذا الفتى ولدي تركته صغيراً فارّاً إلىٰ الله، وإني لأستحي أن أعود إلىٰ شيء خرجت عنه، وأنشدوا:

ولا عرضت لي نظرة مذ عرفته ... مدى الدهر إلا كان لي حيث أنظر
أغار علىٰ طرفي له فكأنني ... إذا رام طرفي غيره لست أبصر
أيا منتهى سؤلي وذخري[١] وعدتي ... ودادك في قلبي إلىٰ يوم أُحشر

ثم قال لي: امض وسلم عليه لعلي أتسلى بسلامك عليه، وأبرد ناراً علىٰ كبدي، فأتيته وقلت: بارك الله فيك لأبيك، قال: يا عم وأين أبي؟ إنه خرج فاراً إلىٰ الله، ليتني أراه ولو مرة واحدة، وتخرج نفسي عند ذلك، هيهات، وخنقته العبرة، وقال: والله أود لو أني رأيته وأموت في مكاني، ثم بكى وأنشد:

لقد حكم الزمان عليَّ حتى ... يراني في هواك كما تراني
حبيبي إن بعدت فإن قلبي ... علىٰ مرّ الزمان إليك دابي
وإن بعدت ديارك عن دياري ... فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد أسكنت حبك في فؤادي ... مكانا ليس يعرفه جناني
كأنك قد ختمت علىٰ ضميري ... فغيرك لا يمر علىٰ لساني

ثم رجعت إلىٰ إبراهيم وهو ساجد وقد بل الحصى بدموعه وهو يتضرع لله ويقول:

هجرت الخلق طراً[٢] في رضاكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما سكن الفؤاد إلىٰ سواكا

قال: فقلت: ادع الله له، فقال: حجبه الله عن معاصيه وأعانه علىٰ ما يرضيه.

الثالثة: عن يوسف بن الحسين قال: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم[٣] فخرجت من مكة قاصداً إليه حتىٰ وافيته في جزيرة مصر، فأول ما بصرني

---

(١) ذخر الشيء ذُخراً وذَخراً: جمعه وحفظه لوقت الحاجة إليه.

(٢) طرَّ طرًّا وطروراً: كان طريراً ذا رواء وجمال، والطرَّة ما تتزين به المرأة من الشعر الموفى علىٰ جبهتها بالقص والتصفيف.

(٣) روى أبو داود في سننه [١٤٩٣] عن بريدة أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دعي به أجاب» وفيه برقم [١٤٩٥] عن أنس أنه =

رآني طويل اللحية، وفي يدي ركوة كبيرة متزراً بمئزر، وعلى كتفي مئزر، وفي رجلي (تاسوتة) [(١)]، فاستشنع منظري، فلما سلمت عليه كأنه ازدراني، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة ناظره شخص، فاستظهر عليه، فقمت وقطعته، ثم دققت حتىٰ لم يفهم كلامي، فعجب مني وأكرمني، فصحبته سنة، فطلبت منه تعليمي الاسم الأعظم فلم يجبني، وأوهم أنه ربما علمني، فلما كان بعد ستة أشهر بعث معي حاجة إلىٰ شخص في طبق عليه (مكبة) [(٢)] مشدود بمنديل، فاستخففته، فكشفته، فإذا فيه فأرة هربت، فغضبت ثم رجعت، فلما رآني تبسم وقال: يا مجنون؛ ائتمنتك علىٰ فأرة فخنتني، فكيف أأتمنك علىٰ اسمه الأعظم؟ اذهب عني.

الرابعة: عن بعضهم قال: دخلت الخلوة أيام بدايتي، وعاهدت الله أن لا آكل شيئاً إلا بعد أربعين يوماً، فمكثت نيفاً وعشرين، واشتدت بي الفاقة، فخرجت ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في السوق، وإذا بفقير يتمنى رغيف حواري [(٣)] - أي أبيض - ورطل شوي، ورطل حلوى، فاستثقلته، فحصل ذلك له فأعطانيه، وأمسك بأذني وقال: من هو الثقيل؟ الذي نقض العهد وخرج من الخلوة لأجل الشهوة، أو الذي يطلب من الطيبات المعاش ما يرد عليه القوة والحواس، ثم قال: إن الذي يريد طي الأربعين يطويها علىٰ التدريج وإلا ثار عليه كَلِبَ الجوع وهاج، ثم لا يعود إلىٰ هذا المذهب، وتركني وذهب.

الخامسة: عن بعضهم أنه عقد مع الله عقداً أن لا ينظر إلىٰ مستحسنات الدنيا، فمر يوماً بسوق الصرف، فنظر إلىٰ منطقة [(٤)] معلقة وأطال النظر فرآه صاحبها، ثم التفت فلم يرها، فأمسكه وقال: أنت سرقتها، وأنت صوفي، فحلفت أني لم آخذ شيئاً، فحمل إلىٰ الأمير وقال: هذا فعال الصالحين؟ فحلفت ثانياً، فقال رجل من الحاضرين: جردوه، فإذا هي في وسطه، فصرخ الأمير وغشي عليه، فلما أفاق أخبره الخبر، ثم ولى وهو يقول:

يا عدتي في شدتي إن لم تكن أنت فمن

= كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله ﷻ باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

(١) و(٢) كذا بالأصل.

(٣) الحواري: الخالص المنقى من كل عيب.

(٤) المنطقة: ما يشد به الوسط، والنطاق: حزام يشد به الوسط، وإزار تلبسه المرأة تشده علىٰ وسطها أثناء العمل.

ينقذني من الردى [١] يا صاحب الفعل الحسن
طوبى [٢] لمن بات بكم مشرَّداً بلا وطن

السادسة: عن بعضهم قال: كنت بالمصِّيصة، فإذا رجلان يتكلمان في الخلوة مع الله تعالىٰ، فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعال نجعل لهذا العلم ثمرة، ولا يكون حجة علينا، فقال: اعزم ما شئت، قال: عزمت علىٰ أن لا آكل ما لمخلوق مال فيه صنع، قال: فتبعتهما وقلت: أنا معكما، فقالا: علىٰ الشرط؟ قلت: نعم، فصعدا جبل لكام ودلاني علىٰ كهف وقالا لي: تعبد فيه، فدخلت فيه وجعل كل واحد يأتي بما قسم الله، وبقيت مدة فقلت: إلىٰ متى أقيم هنا؟ أنا أسير إلىٰ طرسوس وآكل من حلال، وأعلم الناس العلم وأقرأ القرآن، فخرجت ودخلتها، وأقمت بها سنة، فإذا برجل منهما واقف عليَ يقول: يا فلان خُنت في عهده، ونقضت الميثاق، أما إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك كما وهب لنا، قلت: ما هو؟ قال: ثلاثة أشياء: طي الأرض من المشرق إلىٰ المغرب بقدم واحد، والمشي علىٰ الماء، والحجبة إذا (سا) [٣] ثم احتجب عني فقلت: بالذي وهب لك هذا الحال إلا ما ظهرت لي فقد شوقت قلبي، فظهر وقال: سل، فقلت: هل لي إلىٰ ذلك الحال عودة، فقال: هيهات، لا يؤتمن الخائن، ثم أنشأ يقول:

من سارروه فأبدى السر مشتهراً لم يأمنوه علىٰ الأسرار ما عاشا
وأبعدوه ولم يسعد بقربهم وأبدلوه ما كان الأسر إحياشا
ومن أتاهم فهم لا يحجبوه به حاشا ودادهم حاشاهم حاشا
لكن لهم وبهم في كل نابية إليهم ما بقيت الدهر هشاشا

---

(١) الردى: الهلاك.
(٢) الطوبى: الحسنى والخير، وفي القرآن ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۝٢٩﴾ [الرعد].
(٣) كذا بالأصل.

مجلس في الاقتصاد في العبادة

ومعناه الشيء يقصد وهو الوسط بين الإفراط والتفريط، والحسنة بين السيئتين، ومنه ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ (1).

والقصد: العدل، والاقتصاد: الاعتدال فلا غُلُوّ مسطع، ولا تقصير متساهل.

وقد قال ﷺ: «القصد القصد» (2).

قال تعالىٰ: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝﴾ (3).

فنفى كون الشقاء والكد في العبادة مفعولاً من أجله أنزل القرآن الداعي إلىٰ الله وعبادته، وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (4) أي يريد الله بكم اليسر والتخفيف بملة حنيفية سهلة لا إصر (5) ولا أغلال فيها، ولا يريد بكم العسر والمشقة والتعب والشقاء.

أما الأحاديث فنذكر منها اثنا عشر حديثاً:

ومدارها الزجر والتحذير البليغ عن غلو الخوارج المارقين، والترغيب في الاقتصاد المعتدل المُرضي لله، الموصل إلىٰ الله، المسئول في أم القرى ضمن كل صلاة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ (6).

الحديث الأول: عن عائشة أنه ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «من هذه؟»

---

(1) سورة لقمان [19].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه [8/ 122]، وأحمد بن حنبل في مسنده [2/ 514، 537]، والبيهقي في السنن الكبرى [3/ 18]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [9/ 97].

(3) سورة طه [1، 2]. قال جويبر عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن علىٰ رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه، فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن علىٰ محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝﴾ فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً.

(4) سورة البقرة [185].

(5) أصر الشيء أصراً: عقده وشده، ولواه وعطفه وحبسه، والإصر: العهد المؤكد الثقيل، وأظنها هي المقصودة في النص.

(6) سورة النحل [9].

قال مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9] قال: طريق الحق علىٰ الله، وقال =

قالت: هٰذه فلانة؛ تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملُّ الله حتىٰ تملُّوا[(١)]، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» [(٢)] متفق عليه.

ومه: كلمة زجر ونهي، ومعنى لا يملُّ الله: أي لا يقطع ثوابه عنكم، وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتىٰ تملُّوا فتتركوا، فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم، فمفاسد (الناو) [(٣)] والملل والعجز عن الدوام ونقص الخيرات.

ثانيها: عن أنسٍ ﷺ قال: " جاء ثلاثة رهط إلىٰ أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر [(٤)]، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال

= السدي ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩] الإسلام، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩] يقول: وعلى الله البيان، أي يبين الهدى والضلالة، وقول مجاهد أقوى لأنه ـ تعالىٰ ـ أخبر أن ثَمَّ طرقاً تُسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورضيها، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النّحل: ٩] أي خائر مائل زائغ عن الحق. "تفسير ابن كثير [٢/ ٥٨٠]".

(١) قال النووي: الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله ـ تعالىٰ ـ فيجب تأويل الحديث، قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المال فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه وبسط فضله ورحمته حتىٰ تقطعوا عملكم، وقيل: معناه لا يمل إذا مللتم، وقاله ابن قتيبة وغيره، وحكاه الخطابي وغيره، وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلىٰ ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً، فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق، فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب، فيفوته خير عظيم. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٣] كتاب الإيمان، [٣٣] باب أحب الدين إلىٰ الله أدومه، ورقم [١١٥١] كتاب التهجد، [١٨] باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٧٨٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣٠] باب فضيلة العمل الدائم من قيام وغيره، وابن ماجه في سننه [٤٢٣٨]، وأحمد في مسنده [٦/ ٥١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٧]، وابن خزيمة في صحيحه [١٢٨٢].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) في عبادة النبي ﷺ روى البخاري في صحيحه [٤٨٣٧] كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، [٢] باب قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفَتْح: ٢] عن عائشة: " أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه " فقالت عائشة: " لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ " قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قال فقرأ ثم ركع.

الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي [١] فليس مني» [٢] " متفق عليه.

وفيه أن مفاسده المروق من الدين، «فمن رغب عن سنتي» وحقَّر أهلها وصيامهم وصلاتهم وعبادتهم مع عبادته فليس مني.

ثالثها: عن ابن مسعود مرفوعاً: «هلك المتنطعون» " قالها ثلاثًا ". أخرجه مسلم [٣] وهم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد، فهو مهلك.

رابعها: عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الدين يسر ولن يُشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيء من الدجلة» [٤] رواه البخاري.

وفي رواية له: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا وشيء من الدجلة، القصد القصد تبلغوا» [٥].

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني معناه من تركها إعراضا عنها غير معتقد لها علىٰ ما هي عليه، أما من ترك النكاح علىٰ الصفة التي يستحب له تركه كما سبق، أو ترك النوم علىٰ الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك فلا يتناوله هذا الذم والنهي. "النووي في شرح مسلم [٩/ ١٥٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠٦٣] كتاب النكاح، [١] باب الترغيب في النكاح لقوله تعالىٰ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النِّساء: ٣] ، ومسلم في صحيحه [٥ـ (١٤٠١)] كتاب النكاح، [١] باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٧٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٥]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٢٦١، ٩/ ٣٢٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ـ (٢٦٧٠)] كتاب العلم، [٤] باب هلك المتنطعون، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٢/ ٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٨٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ٢١٦]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٩٥, ٢/ ٢١١].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٩] كتاب الإيمان، [٣٠] باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة»، ورقم [٥٦٧٣] كتاب المرض والطب، [١٩] باب تمني المريض الموت، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٢٤٦]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٦٨]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ١٢١].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٦٣] كتاب الرقاق، [١٨] باب القصد والمداومة علىٰ العمل، وأحمد في مسنده [٢/ ٣١٩]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٥٦٧]، وابن حبان في صحيحه =

قوله: الدين: هو مرفوع علىٰ ما لم يسم فاعله، وروي منصوباً، وروي: لن يشاد أحد الدين.

قوله ﷺ: «إلا غلبه» أي غلبه الدين، وعجز ذلك الشادّ عن مقاومة الدين بكثرة، والغدوة: سير أول النهار، والروحة: آخر النهار، والدجلة: آخر الليل.

وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا علىٰ طاعة الله - تعالىٰ - بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة، ولا تسأمون فتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب، والله أعلم.

فمن شاء فهو مغلوب عاجز عن مقاومته، منقطع عن مرامه، والمقتصد الواصل.[1]

خامسها: عن أنس رضي الله عنه قال: " دخل رسول الله ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال ﷺ: «حُلُوه، ليصل أحدُكُم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» "[2] أخرجاه.

والفتور: منفر من القيام ينقص فيه، وعادة أهله الرقاد، وغيره ليس بمشروع لهم، فما لهم وله.

سادسها: عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي

= [١٧٥٥ - الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ١٩٢، ٢/ ٢٢٧] ، والقرطبي في تفسيره [١٢/ ٣]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١١٦١].

(١) في الحديث الأول المتقدم في هذا الفصل، وقد رواه مسلم عن عائشة في قوله ﷺ: «عليكم من الأعمال ما تطيقون» قال النووي: أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل علىٰ الحث علىٰ الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر، وفي قوله ﷺ: «وإن أحب الأعمال إلىٰ الله ما دووم عليه وإن قل» فيه الحث علىٰ المداومة علىٰ العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال علىٰ الخالق - سبحانه وتعالى. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٣] طبعة دار الكتب العلمية" .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٥٠] كتاب التهجد، [١٨] باب ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه [٢١٩ - (٧٨٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣١] باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، والنسائي [٣/ ٢١٩ - المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠١]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٠].

فليرقد حتىٰ يذهب عنه النوم [(١)]؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» [(٢)] أخرجاه.

فالناعس فاقد التميز، فأنى له العبادة، فالسنة زاجرة عن الإفراط.

سابعها: عن جابر بن سمرة قال: " كنت أصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً " أخرجه مسلم [(٣)] أي بين الطول والقصر، فالاقتصاد محمود لأنه الهدي المحمدي المحمود، وكفى بذلك مرغباً.

ثامنها: عن أبي جحيفة: " أنه ﷺ آخا بين سلمان وأبي الدرداء، فزاره سلمان فرأى زوجته مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا " الحديث.

وفيه فقال سلمان: " إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «صدق سلمان» " [(٤)] أخرجه البخاري.

فالقصد هو من أعطى كل ذي حق حقه، وغيره معتد ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ١٨].

---

(١) فيه الحث علىٰ الإقبال علىٰ الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط، وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل في الليل والنهار، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها، قال القاضي: وحمله مالك وجماعة علىٰ نفل الليل لأنه محل النوم غالباً. "النووي في شرح مسلم [٦/ ٦٥] طبعة دار الكتب العلميه".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٢] كتاب الوضوء، [٥٥] باب الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءاً، ومسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (٧٨٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣١] باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، وأبو داود في سننه [١٣١٠]، والترمذي في سننه [٣٥٥]، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٠٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٢٤٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ ـ (٨٦٦)]، ورقم [٤٢] كتاب الجمعة، [١٣] باب تخفيف الصلاة والخطبة، وأبو داود في سننه [١١٠١] كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب علىٰ قوس، وابن ماجه في سننه [١١٠٦] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [٨٥] باب ما جاء في الخطبة يوم الجمعة، وأحمد في مسنده [٥/ ٩٣، ٩٤، ٩٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٨] كتاب الصوم، [٥١] باب من أقسم علىٰ أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ورقم [٦١٣٩] كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، والترمذي في سننه [٢٤١٣] كتاب الزهد، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٣٠٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١٦٧].

تاسعها: عن عبد الله بن عمرو في قصة صلاته وصومه وقراءته وقوله بعد ما كبر: " يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ " أخرجاه [(١)] بطوله.

فالاقتصاد سنة الأكابر المسددين، ومن شدد شُدِّد عليه [(٢)].

عاشرها: عن حنظلة بن ربيع أحد كتَّاب الوحي قال: " لقيني الصدِّيق فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: نكون عند رسول الله ﷺ فيُذكِّرنا بالجنة والنار كأنَّا رأي العين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً [(٣)] قال الصديق: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات. أخرجه مسلم [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٧٥] كتاب الصوم، [٥٥] باب حق الجسم في الصوم، ومسلم في صحيحه [١٨٢ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، وأبو داود في سننه [٢٤٢٧] كتاب الصوم، باب في صوم الدهر تطوعاً، وأحمد في مسنده [٥/ ١٨٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٧٨٦٢].

(٢) قال النووي: في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وجمع مسلم ـ رحمه الله ـ طرفه فأتقنها، وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، واختلف العلماء فيه؛ فذهب أهل الظاهر إلى منع صيام الدهر نظراً لظواهر الأحاديث، قال القاضي وغيره: وذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها، وهي العيدين والتشريق. "النووي في شرح مسلم [٨/ ٣٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) قوله: " عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات " هو بالفاء والسين المهملة، قال الهروي وغيره: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وحظوظنا، والضيعات جمع ضيعة بالضاد المعجمة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة، وروى الخطابي هذا الحرف: عانسنا بالنون، قال: ومعناه لاعبنا، ورواه ابن قتيبة بالسين المعجمة قال: ومعناه عانقنا، الأول هو المعروف وهو أعم. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٧٥٠)] كتاب التوبة، [٣] باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، وقال النووي: قوله: " نافق حنظلة " معناه أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، وساعة وساعة: أي ساعة =

(...............) [١] للبر والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون الملائكة الكرام، لكن نومتنا محسوبة كقومتنا، فزدنا عليهم هذا التنويع من الخير بإذن السميع العليم.

الحادي عشر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل؛ نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» [٢] أخرجه البخاري. فالاستدراك إنما هو في المشروع، وغيره مردود ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

= كذا وساعة كذا. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ٥٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) كلمات غير واضحة نحو ثلاث كلمات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٠٤] كتاب الأيمان والنذور، [٣١] باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٧٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٢٤]، والدارقطني في سننه [٤/ ١٦١]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤/ ١٨٧].

مجلس في المحافظة على الأعمال

ومعناه الحفظ والمراقبة من غير تضيع ولا تعريض له، ولا تغافل عن مضيع ولا تهاون في استرداد ما ضاع.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(1) الآية(2).

وقال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾(3).

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾(4).

وقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾(5).

في الآية الأولى النهي عن التشبه بأهل القلوب القاسية، وفي الثانية: بالضلال،

---

(1) سورة الحديد [16]. يقول تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، قال ابن المبارك: حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس أنه قال: " إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. "تفسير ابن كثير [4/ 310]".

(2) روى مسلم في صحيحه [24 ـ (3027)] كتاب التفسير، [1] باب في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 16] عن ابن مسعود قال: " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 16] إلا أربع سنين ".

(3) سورة الحديد [27]. هو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [الحديد: 27] وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً﴾ أي رقة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق، وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي ابتدعها أمة النصارى وما شرعناها لهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي فما قاموا بما التزموه. "تفسير ابن كثير [4/ 315]".

(4) سورة النحل [92].

(5) سورة الحجر [99]. روى البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: 99] قال سالم ـ وهو سالم بن عبد الله بن عمر: اليقين: الموت، وقال ابن كثير: ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله كما ثبت في الصحيح عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». "تفسير ابن كثير [2/ 577]".

وفي الثالثة بالحمق، وفي الآخرة الختم بالدوام علىٰ العبادة حتىٰ الممات، وهو صفة بعد الانتهاء عما سلف من الملامات.

ونذكر من الأحاديث أربعة:

ومدارها علىٰ بيان حكم المحافظة، وإن فاته بعد اجتهاده، وحكم من فوَّت العمل لتهاون أو عذر.

أولها: الحديث السالف في الباب، وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه، فمن قام بالعمل له البشرى بأحب الدين إلىٰ الله ورسوله.

ثانيها: عن عمر مرفوعاً: «من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل» (١) أخرجه مسلم.

فمن فاته العمل بنوم ونحوه من الأعذار، إذا بادر إليه كتب له كالأداء بفضل الجبار.

ثالثها: عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فتركه» (٢) أخرجاه، والتفاوت تهاوناً من النهار، إذ فيه تفويت للأعمال الزكيَّات.

رابعها: عن عائشة: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" (٣) أخرجه مسلم، فَيُتَأَسَى به في ذلك، فإنه النهل العذب لنواله في ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٢ ـ (٧٤٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٨] باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، وأبو داود في سننه [١٣١٣] كتاب الصلاة، باب من نام عن حزبه، والترمذي في سننه [٥٨١] في الصلاة، باب ما ذكر فيمن فاته حزبه من الليل فقضاه بالنهار، والنسائي [٣/ ٢٥٩، ٢٦٠ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [١٣٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٤، ٤٨٥]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٣٢٦]، والشجري في أماليه [١/ ٢٢١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١١٥٢] كتاب التهجد، [١٩] باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل يوم وإفطار يوم، والنسائي [٣/ ٢٥٣ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [١٣٣١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١٤]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٢٩]، والشجري في أماليه [١/ ٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٠ ـ (٧٤٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٨] باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، وأحمد في مسنده [٦/ ٩٥، ٢٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٥].

مجلس في الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١) أي لأنه ما نطق عن الهوى، فيرد إليه عند التنازع، فإن طاعته من طاعته، فإنه هادٍ بأحكامه وأوامره إلىٰ الصراط الأقوم؛ صراط الله، فليحذر المخالف، وليشكر الموالف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ (٢).

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٣)

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٤)

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ (٥) الآية.

وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (٦) الآية، أي إلىٰ الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الحشر [٧].

أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، وروى البخاري في صحيحه [٤٨٨٦] كتاب تفسير القرآن، سورة الحشر، [٣] باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] عن عبد الله بن مسعود قال: "لعن الله الواشمات والموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: "وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، فقال: "لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ؛ أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] " قالت: بلى، قال: " فإنه قد نهى عنه "، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: " فاذهبي فانظري " فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً، فقال: " لو كانت كذلك ما جامعتنا ".

(٢) سورة النجم [٣].

(٣) سورة آل عمران [٣١].

(٤) سورة الأحزاب [٢١].

(٥) سورة النساء [٦٥]. يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. "تفسير ابن كثير [١/ ٥٢٠]".

(٦) سورة النساء [٥٩].

وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (١)

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (٢)

وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ﴾ (٣) الآية.

وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ﴾ (٤) الآية. والآيات فيه كثيرة.

ولنذكر من الأحاديث اثنا عشر:

ومدارها علىٰ الإغرار والتحذير والإرشاد، فيرغب في المحافظة، ويحذر من الإضاعة.

فنذكر خواص المحافظة وتركها، وذكر عاقبتها، والتلويح إلىٰ أساس السنة وأهلها، والرمز إلىٰ أصل المتأهل للحفظ، والإضاعة حكمها أجلاً وحقاً، والإشارة إلىٰ ما يستحقه الروافض، والحفاظ من هجره ووداده.

الحديث الأول: عن أبي هريرة مرفوعاً: «دعوني ما تركتكم؛ إنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (٥) أخرجاه.

فالاختلاف علىٰ الأنبياء من المهلكات، والوفاق إذاً من المنجيات.

ثانيها: عن العرباض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وَجِلَتْ

---

(١) سورة النساء [٨٠].

(٢) سورة الشورى [٥٢].

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ٦٣]، أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. "تفسير ابن كثير [٣/٣١٦]".

(٤) سورة الأحزاب [٣٤]. قال ابن جرير: واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله علىٰ ذلك واحمدنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي ذا لطف بكنَّ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله، والحكمة هي السنة، ﴿خَبِيرًا﴾ بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً، وقال قتادة: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤] قال: يمتن عليهن بذلك. "تفسير ابن كثير [٣/٥٠٣]".

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٢٨٨] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [٢] باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٣٠ - (١٣٣٧)] كتاب الفضائل، [٣٧] باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، وأحمد في مسنده [٢/٢٤٧، ٣٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١/٢١٥]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/٥٧٩]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/١٥٨].

منها القلوب وذرفت منها العيون [(١)]، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلافاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» [(٢)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

النواجذ: بالذال المعجمة الأنياب، وقيل: الأضراس، فلزوم السُّنَّة والعض عليها بالنواجذ مُخرِج من الفتنة والظلمة والضلالة، وغيرها من المحدثات والبدع تدخل في الظلمة والجهالة.

ثالثها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [(٣)] أخرجه البخاري.

فعاقبة المحافظة علىٰ طاعة الرسول يورث الجنة، وعاقبة غيره حرمانها، نعوذ بالله من المحنة.

رابعها: حديث سلمة بن الأكوع: «أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلىٰ فيه» [(٤)] أخرجه مسلم.

فعاقبة الممتنع منها كبراً ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝١٥﴾ [(٥)] ذوق وبال أمره، وكان

---

(١) ذرفت منها العيون: سالت الدموع. ووجلت منها القلوب: أي خافت.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٠٧] كتاب السنة، باب في لزوم السنة، والترمذي [٢٦٧٦] كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسنده [٤/ ١٢٦، ١٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١١٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ٩٦، ٩٧]، وابن حبان في صحيحه [١٠٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٧٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٢٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٢٨٠] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [٢] باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٥، ٤/ ٢٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ١١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٣]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٢٩٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٠٢١)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٥]، والدارمي في سننه [٢/ ٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ١٥].

(٥) سورة القيامة [١٥].

عاقبة أمره خسرا.

خامسها: حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «لتُسوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم»[(١)] أخرجاه.

وفيه عاقبة المتهاون بالسنَّة سوء ذات البين والمخالفة بين الوجوه، ففيه والحديثين قبله بيان العاقبة دنيا وأخرى.

سادسها: حديث أبي موسى قال: "احترق بيتٌ علىٰ أهله من الليل، فلما حُدِّث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: «إن هذه النار عدوكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم»"[(٢)] أخرجاه.

فأساس السنة وأصلها أعظم نصيحة وأشد رحمة، وأبلغ بيان لكل عدو مؤذ من نار الدنيا[(٣)] والأخرى فأنى يصرف عنها اللبيب.

سابعها: عنه مرفوعاً: «إن مثل ما بعثني الله من الهدى كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ـ تعالىٰ ـ ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يدفه بذلك رأساً ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرسلت به»[(٤)] أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١٧] كتاب الأذان، [٧١] باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، ومسلم في صحيحه [١٢٧ ـ (٤٣٦)]، [١٢٨] كتاب الصلاة، [٢٨] باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام علىٰ الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام، وأبو داود في سننه [٦٦٣]، والترمذي [٢٢٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٧١، ٢٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٢١، ٣/ ١٠٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٤] كتاب الاستئذان، [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (٢٠١٦)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب.

(٣) قال النووي في أمره ﷺ في إطفاء النار حين النوم: هذا عام تدخل فيه نار السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بها لانتفاء العلة؛ لأن النبي ﷺ علل الأمر بالإطفاء في الحديث السابق بأن الفويسقة تضرم علىٰ أهل البيت بيتهم، فإذا انتفت العلة زال المنع. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٥٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٩] كتاب العلم، [٢١] باب فضل من علم وعلَّم، ومسلم في =

فالسنة غيث والقلوب أراضيه، فالطيب الأصل يقبل ويثبت، والمقارب يحبط ويمسك، والخبيث الأصل ضد ذلك، فطوبى لمن جبل علىٰ الخير، ويسر له وحفظه من الغير.

ثامنها: حديث جابر مرفوعاً: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها (١) وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلَّتون من يدي» (٢) أخرجه مسلم.

والجنادب: نحو الجراد والفراش المعروف الذي يقع في النار، والحجز: جمع حجزة، وهي وقعد الإزار والسراويل، والسنَّة مانعة من مواقعة النار بالعقلاء، ومن هو كالفراش ينفلت من يدها، ويحرق نفسه.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ (٣) فهذا الحديث والذي قبله لبيان الأصل النفيس والخسيس قلباً وعقلاً، والبعد حينئذ إلىٰ كل أحد فطنة وغفلة علىٰ قدر محافظته وتهاونه.

تاسعها: حديثه أيضاً: " أمر رسول الله ﷺ بلعق الأصابع والصحفة وقال: «إنكم لا تدرون في أيّه البركة» " (٤) أخرجه مسلم.

= صحيحه [١٥ ـ (٢٢٨٢)] كتاب الفضائل، [٥] باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٩٩]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٤٣٧]، وابن كثير في تفسيره [٤/ ٣٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٩].

(١) قوله: «فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها»: أما الفراش فقال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، وقال غيره: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار، وأما الجنادب فجمع جندب، وفيها ثلاث لغات: جُندُب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما، والثالثة حكاه القاضي بكسر الجيم وفتح الدال، والجنادب هذا الصرار الذي يشبه الجراد، وقال أبو حاتم: الجندب علىٰ خلقة الجراد ؛ له أربعة أجنحة كالجرادة، وأصغر منها يطير ويَصِرُّ بالليل صَرّاً شديداً، وقيل غيره. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩ ـ (٢٢٨٥)] كتاب الفضائل، [٦] باب شفقته ﷺ علىٰ أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٤٥٣]، والبيهقي في دلائل النبوة [١/ ٣٦٧]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٥٩١]، والقرطبي في تفسيره [٥/ ١٦٥]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٤/ ١٠٤، ٢١٠].

(٣) سورة الزمر [٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٧، ٢٩٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٨]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٣١].

وفي رواية: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى، فليأكلها ولا يدعها للشيطان» (١) فالخلق عقولهم قاصرة عن دراية ما فيه الخير والبركات، وما فيه حظ الشيطان والشر والهلكات، وإذا كانت المصالح والمفاسد بهذه الدقة والخفاء فلا أدري إلا الاعتصام بسنَّة السادة الأنبياء المأخوذة من رب العالمين والسماء ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (٢).

العاشرة: حديث ابن عباس: "قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس تحشرون إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ حفاة عراة غرلا (٣) ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (٤)، وأول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ﷺ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (٥).

فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم» (٦) أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٧]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٢٢٠]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٥].

(٢) سورة النور [١٩].

(٣) قال النووي: الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين، جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته، وهي الجلدة التي تقطع في الختان، قال الأزهري وغيره: هو الأغرل والأرغل والأغلف بالغين المعجمة في الثلاثة، والأقلف والأعرم بالعين المهملة، وجمعه غرل ورغل وغلف وقلف وعرم، والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتىٰ الغرلة تكون معهم. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) سورة الأنبياء [١٠٤].

(٥) سورة المائدة [١١٧، ١١٨].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٣٤٩] كتاب أحاديث الأنبياء، [٩] باب قول الله ـ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، ورقم [٣٤٤٧] [٥٠] باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، ورقم [٤٦٢٥] كتاب تفسير القرآن، [١٤] باب ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة: ١١٧ الآية، ورقم [٤٦٢٦]، [١٥] باب قوله ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨]، ورقم [٤٧٤٠] من سورة الأنبياء، [١] باب ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ورقمي [٦٥٢٥، ٦٥٢٦] كتاب الرقاق، [٤٥] باب كيف

=

غرلاً: غير مختونين، وفيه أن المسألة قد تخرج وصاحبها لا يدري له فيه حكمها وعدم عصمتها، فهذا الحديث والذي قبله يسوغ حكمها جلاء في الواضحات، وخفاء في كثرتها، فطوبى لمن حافظ على كلها.

الحديث الحادي عشر: حديث عبد الله بن مغفل: " نهى رسول الله ﷺ عن الحذف، وقال: «إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو، وإنه يفقأ العين، ويكسر السِّنَّ»[(١)] أخرجاه.

وفي رواية: "أن قريباً لابن مغفل حذف، فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تحذف لا أكلمك".

وفيه: استحقاق المتهاون بعد العلم بالسنة وبحكمها لأن يهجر فلا يُكلَّم أبداً.

الحديث الثاني عشر: حديث عابس بن ربيعة قال: " رأيت عمر بن الخطاب ؓ يقبل الحجر - يعني الأسود - ويقول: إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك "[(٢)] أخرجاه[(٣)].

= الحشر، ومسلم في صحيحه [٥٨ - (٢٨٦٠)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٤] باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، والنسائي [٤/ ١١٤ - المجتبى]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٤/ ١١٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/٣٤٩]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١٠/٤٥٦]، وابن حبان في صحيحه [٢٥٧٦ - الموارد].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٤٧٩] كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، [٥] باب الخذف والبندقة، ومسلم في صحيحه [٥٤ - (١٩٥٤)، ٥٥، ٥٦] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٠] باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف.

(٢) هذا الحديث فيه فوائد منها استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف بعد استلامه وكذا يستحب السجود على الحجر أيضاً بأن يضع جبهته عليه فيستحب أن يستلمه ثم يقبله ثم يضع جبهته عليه، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وحكاه ابن المنذر عن عمر وابن عباس وطاوس والشافعي وأحمد، وانفرد مالك عن العلماء فقال: السجود عليه بدعة، واعترف القاضي عياض المالكي بشذوذ مالك في هذه المسألة عن العلماء، وأما قول عمر ؓ: "لقد علمت أنك حجر وإني لأعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع"، فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله، وإنما قال: "وإنك لا تضر ولا تنفع" لئلا يغتر بعض قريبي العهد بالإسلام الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار تعظيماً ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير في تعظيمها، وكان العهد قريباً بذلك، فخاف عمر أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه، فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته. "
النووي في شرح مسلم [٩/ ١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٦١٠] كتاب الحج، [٦٠] باب تقبيل الحجر، ومسلم في صحيحه [٢٤٨ - (١٢٧٠)] كتاب الحج [٤١] باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، =

واعلم أن ما ذكرناه من الأحاديث مدارها علىٰ المُرضي لله، الموصل إلىٰ الله، المسؤول في أم القرى ضمن كل صلاة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النّحل: ٩].

على مهيمن: الإغراء والتحذير والبيان والإرشاد وفي المهم الأول: ست تنبيهات: ترغب في المحافظة علىٰ السنة، وترهب من إضاعتها، وذكر خواص المحافظة وعاقبتها، والتلويح إلىٰ أساس السنة وأهلها، والرمز إلىٰ أصل المتأهل للحفظ والإضاعة، وحكمتها جلاء وخفاء والإشارة إلىٰ ما تستحقه الروافض، والحافظ من هجر ووداد.

وفي المهم الثاني: بيان جملة من السنن المباركة المهمة النافعة، فمنها: مجالسة الكبراء، كما في حديث البيهقي، وذلك بأمور: أحدها: ترك السؤال الصادر عما لعله أهم للسامع، وثانيها: حسن الموافقة في كل قول وفعل وإرادة، وثالثها: مقابلة الأوامر والأخبار بالسمع والطاعة، والإيمان والتصديق لا بالعلم والرأي، وهي واضحة من الحديث الأول.

ومنها إفادة الكبير للمريدين بالمواعظ المؤثرة، وبالوصايا النافعة لاسيما إذا طلبت بصدق وبالإشارات المهمة كما في الحديث الثاني.

وفيه أيضاً حسن الاستفادة بأربعة أمور: الإقبال بالفهم والقلب كله علىٰ الكثير، وسؤال الوصية والعض بالنواجذ [1] علىٰ الطريق المرضية، وتجنب ما خالف ذلك، والحذر منه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [2]، ومنها ثلاثة أمور: التحذير الأبلغ مما يخالف بداية العقول علىٰ وجه من التغيير بدفع، والمراجعة فيما لا ينفهم حتىٰ ينفهم، وأخذ الحذر مما حذَّر منه الناصح فلا يُعصى بشيء من أوامره البتة.

ومنها: الاحتفال بالأكل باليمين والأمر به لمن يتركه، وقبول النصح والبدار إليه، وترك الكبرياء فإنه مُهلك، وترك النفاق، فلا خير في شيء منه، وتحرِّي الصدق في الاعتذار وغيره ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [3] وتغيير حذر سطوة

= والترمذي في سننه [٨٦٠] كتاب الحج، باب ما جاء في تقبيل الحجر، وأبو داود في سننه [١٨٧٣] في المناسك، باب تقبيل الحجر.

(١) الناجذ: الضرس، جمعها نواجذ، ويقال: ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ناجذ: استغرق في الضحك.

(٢) سورة يونس [٣٢].
قوله تعالىٰ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يُونس: ٣٢] أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن ينفرد بالعبادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: ٣٢] أي فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو واحد لا شريك له. "تفسير ابن كثير [٢/ ٤٢٥]".

(٣) سورة النحل [١٠٥].

الأكابر، وتغيير قلوبهم ودعائهم كما في الحديث الرابع.

ومنها: الاهتمام بآداب ثمانية؛ تسوية الصفوف، ولاسيما للإمام، وأمر المتهاونين فيها به، وترك المواجهة بالموعظة، وتحسين القول كقوله: عباد الله، ولم يقل أيُّها المسيئون.

والاحتفال بالإرشاد وتكريره حتىٰ يرى أن قد عُقِلَ، وإنذار المتعرض للهلاك بجهله، وإيضاحه له، وأخذ الحذر من الشقاق، وتخالف الوجوه، وترك احتقار شيء من السببين فيجبه من الخير ما لا يوصف كما هو جلي من الحديث الخامس.

ومنها: إطفاء النار عند النوم وأن يُؤْخَذَ العبرة مما يتحدث به شأن الناس.

ومنها: التنبيه بضرب الأمثال، ولها فوائد جليلة، فليعنى به الألباء ويتيقن الهدى، والعلم غيب يحيي الله به القلوب، فليحرص علىٰ التفقه فيه الناصح لنفسه معظماً لنعمة الله - تعالىٰ - به، وأن التعليم بعد العلم مهم كالمراعي، وأن الرواية خير كثير فليحمل العلم من كل خلف عدوله كالاجادر [(١)].

وليبك علىٰ نفسه المحروم من كل دراية ورواية ورعاية فإنه قيعان، ومنها إرغام الشيطان بلعق الأصبع والقصعة [(٢)] وأكل المتناثر، وإطابة المطاعم حسّاً ومعنى.

ومنه إماطة الأذى عن المأكول والمشروب، والتبرك باستعمال أقوال الصالحين، وترك الحذف، وتقبيل الحجر الأسود، ولا يخفى الفهم بعد ذلك ما يستنبط منه أو يُستزاد، ويؤخذ منه، وبالله الإعانة والتسديد.

فصل في وجوب الانقياد لحكم الله - تعالىٰ - وما يقوله من دعي إلىٰ ذلك وأمر بمعروف أو نهى عن منكر

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [(٣)] الآية [(٤)]

---

(١) الجدر: النبت، طلعت رؤوسه أول الربيع.

(٢) قال النووي فيما رواه مسلم من أحاديث باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وقد تقدم بعضها: في هذه الأحاديث أنواع من سنن الأكل منها: استحباب لعق اليد محافظة علىٰ بركة الطعام وتنظيفاً لها واستحباب الأكل بثلاث أصابع، ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر بأن يكون مرقاً وغيره مما لا يمكن بثلاث وغير ذلك من الأعذار، واستحباب لعق القصعة وغيرها واستحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع علىٰ موضع نجس، فإن وقعت علىٰ موضع نجس تنجست، ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيواناً، ولا يتركها للشيطان، ومنها إثبات الشياطين وأنهم يأكلون. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٧٢، ١٧٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) سورة النساء [٦٥].

(٤) روى البخاري في صحيحه [٤٥٨٥] كتاب تفسير القرآن، [١١] باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ =

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [(١)] الآية.

ومعنى الحكم التدبير الشامل للكونيات والدينيات التكليفية والجزائية، حسية وخلقية، ولا شك أن الإنسان إن خاصم أولاً فله التحكيم، وإلا فالطواعية.

وفيه من الأحاديث حديث أبي هريرة المذكور في أول الفصل قبله، وغيره من الأحاديث.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: "لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا [(٢)]: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما فعلوا ذلك نسخها [(٣)]، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾

= ﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] من سورة النساء، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلىٰ جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله إنْ كان ابن عمتك؟ فتلوّن وجهه ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتىٰ يرجع إلىٰ الجدر، ثم أرسل الماء إلىٰ جارك» واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) سورة النور [٥١].

(٢) قال الإمام أبو عبد الله المازري ـ رحمه الله: يحتمل أن يكون إشفاقهم وقولهم لا نطيقها لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تكتسب، فلهذا رأوه من قبيل ما لا يطاق، وعندنا أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، واختلف هل وقع التعبد به في الشريعة أم لا، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [٢/١٢٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) معنى أمر النبي ﷺ لهم بالإيمان والسمع والطاعة لما أعلمهم الله ـ تعالىٰ ـ من مؤاخذته إياهم، فلما فعلوا ذلك وألقى الله ـ تعالىٰ ـ الإيمان في قلوبهم وذلت بالاستسلام لذلك ألسنتهم كما نص عليه في هذا الحديث، رفع الحرج عنهم ونسخ هذا التكليف، وطريق علم النسخ إنما هو بالخبر عنه أو بالتاريخ، وهما مجتمعان في هذه الآية، قال القاضي: وقول المازري: إنما يكون نسخاً إذا تعذر البناء، كلام صحيح فيما لم يرد فيه النص بالنسخ، فإن ورد وقفنا عنده. "النووي في شرح مسلم [٢/١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية".

[البقرة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: «نعم» ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية، قال: «نعم»[(١)]. ومدار الحديث علىٰ تعظيم أمر الله بنحو ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] شق أو لم يشق، من وسط القلب، والرفق بالنفس بسؤال التخفيف بنحو ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] [(٢)]، وأن تقرن عندها ما يهون عليه التحمل، لو لم يخفف عنها شيء بنحو ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالآية الشريفة اشتدت علىٰ المؤمنين، فلولا يقينهم وإيمانهم بالله واليوم الآخر، لما ألقوا لذلك بالاً. ولولا مراقبتهم لأنفسهم وعلمهم حالها، وبضعفهم عن مثلها، لما ثبتوا لمشقتها عليهم، ولمَّا شقت الآية عليهم أتوا رسول الله ﷺ فتلا عليهم ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦] [(٣)]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [(٤)] لما سمعوا تيسير ذلك، ولولا حسن ظنهم بالله ورسوله لكتموا ما بهم عنها وبركوا علىٰ الركب استرحاما لله، وذكروا قصتهم، فلولا إخلاص قلوبهم لتظاهروا بغير ما فيها، ولولا مناصحتهم لله ولرسوله لَشَكَوْا همَّهم لغيرهما، ولولا إجلالهم للرب - جل جلاله - لانطلقت ألسنتهم بأكثر من مجرد القصد، واستضعاف أهل الطريق منزلة الخوف والرجاء له موضع يخاض فيه، وكان الشارع أعلم بالمؤمنين لسعة ذلك عليهم، ولكن مهمته ببادئ الحال، ولمَّا تعلقوا أغاثهم بترك التوقف لهم، وذكر أنهم معذورون، أو أنه يسأل الله لهم أو نحو ذلك [(٥)]، وصرفه لهم عن كل وجهة مبيناً أن جميع ما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٩ - (١٢٥)] كتاب الإيمان، [٥٧] باب بيان أنه - سبحانه وتعالى - لم يكلف إلا ما يطاق، وأحمد في مسنده [٢/ ٤١٢]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٧٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٧٤].

(٢) ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] سؤال للمغفرة والرحمة واللطف، ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] أي المرجع والمآب يوم الحساب، قال ابن جرير بسنده عن جابر: لما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية، قال جبريل: إن الله أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] "تفسير ابن كثير [١/ ٣٤٢]".

(٣) قال البخاري في تفسير سورة ألم نشرح في صحيحه في كتاب التفسير: قال مجاهد: "وزرك" في الجاهلية "أنقض": أثقل، "مع العسر يسراً": قال ابن عيينة: أي مع ذلك العسر يسراً آخر، كقوله ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ ولن يغلب عسر يسرين، وقال مجاهد: "فانصب" في حاجتك إلىٰ ربك، ويذكر عن ابن عباس ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١] شرح الله صدره للإسلام.

(٤) سورة الطلاق [٢].

(٥) اختلف الناس في هذه الآية فأكثر المفسرين من الصحابة ومَنْ بعدهم علىٰ ما تقدم فيها من النسخ =

يحاول، فإنما هو حال أهل الغضب والضلال، ولما علموا أن لا ملجأ من الله إلا إليه أرشدهم لما أرشدهم إليه، فأعظم به رسولاً وهادياً، فأزال الله ـ تعالىٰ ـ انقباضهم ببسط موجه لهم حيث قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] الآية، وسارع في رضاهم، فأزال ما شق عليهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦][1] فأبهجهم بإجابة أدعيتهم ناجزاً معقباً كل واحد بنعم، فليبشر المنقاد لحكم الله، لما يرغب عاجلاً أو آجلاً.

جزى الله يوم الروع خيراً فإنه أرانا علىٰ علاته أم سالم

فصل في إجراء الناس علىٰ الظاهر وسرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[2]

يأمر بتخلية المعقود له علىٰ مرصد، إذا فعل ذلك.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله

= وأنكره بعض المتأخرين، قال: لأنه خبر ولا يدخل النسخ الأخبار، وليس كما قال هذا المتأخر، فإنه وإن كان خبراً فهو خبر عن تكليف ومؤاخذة بما تكن النفوس والتعبد بما أمرهم النبي ﷺ في الحديث بذلك، وأن يقولوا سمعنا وأطعنا، وهذه أقوال وأعمال اللسان والقلب، ثم نسخ ذلك عنهم برفع الحرج والمؤاخذة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه ـ تعالىٰ ـ بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤] أي هو وإن حاسب وسأل، لكن لا يعذب إلا بما يملك الشخص دفعه، فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان، وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٤٢]".

(٢) سورة التوبة [٥].

قال: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وروى البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها؛ لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم».

تعالىٰ»[(١)].

وروينا في صحيح مسلم من حديث طارق بن أشيم[(٢)] مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله، حُرِّم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله»[(٣)]

وفيه وما قبله عصمة دم ومال من أسلم، وترك قتاله حكمنا ظاهر إيمانه، وما يفعله من مباني الإسلام[(٤)].

وقوله: «وحسابهم علىٰ الله» تصريح بأن الغيب لله، والظاهر هو الذي يعتمده البشر ليس إلا، ولإيراد هذا الحديث بعد الأول فوائد: أحدها: إيضاح أنه لا فرق بين مقاتل وسالم في ذلك.

ثانيها: بيان أن القول هو المراد بالشهادة المذكورة في الأول.

ثالثها: إن عصمة الدم والمال علىٰ سبيل التحريم المحتم.

رابعها: أنه عصمة منه ـ عليه السلام ـ ومن كل أحد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥] كتاب الإيمان، [١٧] باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبَة: ٥]، ومسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٢)] كتاب الإيمان، [٨] باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.....، وأبو داود [١٥٥٦، ٢٦٤٠]، والترمذي [٢٦٠٦، ٢٦٠٧]، والنسائي [٧/ ٧٧، ٧٨ ـ المجتبى]، وابن ماجه [٣٩٢٧، ٣٩٢٨].

(٢) طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي والد أبي مالك سعد بن طارق، صحابي له أحاديث، أخرج له البخاري في الأدب، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه. ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٢]، تقريب التهذيب [١/ ٣٧٦]، والكاشف [٢/ ٤٠]، أسد الغابة [٣/ ٦٩]، الإصابة [٣/ ٥٠٧]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٣٨٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٣)] كتاب الإيمان، [٨] باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.....، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٨١]، والزيلعي في نصب الراية [٣/ ٣٨٠].

(٤) قال النووي: اعلم أن هذا الحديث بطرقه مشتمل علىٰ أنواع من العلوم وجمل من القواعد، ثم ذكرها النووي ومنها: أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ، وقد جمع ذلك ﷺ بقوله: «أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وما جئت به»، وفيه: وجوب الجهاد، وفيه: صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف، وفيه: أن الأحكام تجري علىٰ الظاهر، والله ـ تعالىٰ ـ يتولى السرائر، وفيه: جواز القياس والعمل به، وفيه: وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيراً، وفيه: وجوب قتال أهل البغي، وفيه: وجوب الزكاة في السخال، وفيه: قبول توبة الزنديق. "مختصراً من شرح مسلم للإمام النووي [١/ ١٨٨، ١٨٩] طبعة دار الكتب العلمية".

وفي الحديثين بيان الأسباب، والمحل إما محل الحكم، والظاهر بالدنيا فقط، وأما الآخرة، فمدار الحقائق كما يشعر به قوله: «وحسابهم علىٰ الله».

وأما الأسباب فمنها: الاستصحاب كما في قوله: «أُمرت أن أقاتل» أي لأن الأصل عدم إيمانهم.

ومنها: إخبار العالم كما في ضميره الذي لا يعلم ما فيه إلا من جهته كما في قوله: «حتى يقولوا أو يشهدوا».

ومنها: اعتناء من أُمر بأعمال هي زاده ليوم مَعَاده بحيث يشق تضييع مثلها، فالتهاون في شرط أو فرض منها، كما في قوله: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة».

وروينا في الصحيحين من حديث أبي معبد مقداد بن الأسود [(١)] قال: قلت لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[(٢)].

معناه أنه معصوم الدم، محكوم بإسلامه، وأنت مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر.

وفيه ذكر بعض ما يصرف الناس عن الحكم بالظاهر وهو شهوة الانتقام المشعر به قوله: قطع إحدى يديه، ثم قال ذلك بعد ما قطعها.

وقوله: «وإنك بمنزلته قبل أن يقولها» [(٣)] أبلغ منقد وزاجر عن إلغاء قوله

---

(١) المقداد بن عمرو بن الأسود الكندي وكان حليفاً لبني زهرة، وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ، فالمقداد هذا هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة، هذا نسبه الحقيقي، وكان الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة قد تبناه في الجاهلية، فنسب إليه وصار به أشهر وأعرف، وكان المقداد رضي الله عنه من أول من أسلم، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة منهم: المقداد، وهاجر إلىٰ الحبشة، يكنى بأبي الأسود وقيل أبا عمرو، وقيل أبا معبد، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٦٥] كتاب الديات، مقدمته باب [١]، ومسلم في صحيحه [(٩٥) - ١٥٥] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وأبو داود [٢٦٤٤]، وأحمد في مسنده [٦/ ٤، ٦/ ١٩٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٢/ ٣٧٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٤٩]، والألباني في إرواء الغليل [٨/ ١٣٦].

(٣) قال النووي: اختلف في معناه، فأحسن ما قيل فيه، وأظهره ما قاله الإمام الشافعي وابن القصار المالكي وغيرهما أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قوله لا إله إلا الله، قال ابن =

الذي هو مظنة إيمانه.

وروينا فيهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: " بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ الحُرقة من جهينة، فصبحنا القوم علىٰ مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتىٰ قتلته، فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً، قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم " (١).

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا» فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ (٢)، ومعنى مُتعوِّذاً: معتصماً بها من القتل، لا معتقداً لها.

وفيه ذكر ما يصرف عنه وهي أنه قالها متعوذاً خوفاً من السلاح، وبيان حكمة الحكم بالظاهر، وهي سلامة مهجة الصادق كما يشير إليه قوله: «حتى تعلم أقالها خوفاً من السلاح أم لا».

وفيه أيضاً بيان سبب مشروعية الحكم بالظاهر، وهو قصور السر عن الاطلاع

= القصار: يعني لولا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٩١] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٧٢] كتاب الديات، [٢] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المَائدة: ٣٢]، ومسلم في صحيحه [١٥٩ ـ (٩٦)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، وأحمد بن حنبل في مسنده [٥/ ٢٠٠]. قوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا» الفاعل في قوله: «أقالها» هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلىٰ معرفة ما فيه، فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان وقال: «أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت علىٰ اللسان فحسب، يعني وأنت لست بقادر علىٰ هذا فاقتصر علىٰ اللسان فحسب، يعني ولا تطلب غيره. وقوله: حتىٰ تمنيتُ أني أسلمت يومئذ، معناه لم يكن تقدم إسلامي بل ابتدأت الآن الإسلام ليمحو ما تقدم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٨٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٨ ـ (٩٦)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، وأبو داود في سننه [٢٦٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٩، ١٩٢]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٠٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠/ ١٢٢]، وابن عبد البر في التمهيد [١٠/ ١٦١].

علىٰ حقائق الأمور كما يشعر به قوله: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم».

وروينا في صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله [(١)] ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلىٰ قوم من المشركين، وأنهم التقوا، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلىٰ رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته - قال: وكنا نحدِّث أنه أسامة بن زيد - فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، فجاء البشير إلىٰ النبي ﷺ فسأله، فأخبره، حتىٰ أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «لم قتلته؟» قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً - وسمى له نفراً - وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «أقتلته؟» قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله استغفر لي[(٢)]، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيده علىٰ أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» [(٣)].

وفيه ذكر ما يصرف عنه من غيره الإسلام، وحدَّة حميَّته لأهل دينه، كما يشعر قوله: «أوجع وقتل من المسلمين» كما يشعر به قوله: وإني حملت عليه، والتهمة المشعرة بها قوله: فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله [(٤)].

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله أبو سفيان البجلي العلقي الأحمسي، صحابي أخرج له أصحاب الكتب الستة. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢/ ١١٧]، تقريب التهذيب [١/ ١٣٤، ١٣٥]، الكاشف [١/ ٨٨]، تاريخ البخاري الكبير [٢/ ٢٢١]، الجرح والتعديل [٢/ ٢١٠٢]، أسد الغابة [١/ ٣٦١] تجريد أسماء الصحابة [١/ ٩١]، الإصابة [١/ ٥٠٨]، الوافي بالوفيات [١١/ ١٩٣]، سير الأعلام [٣/ ١٧٤]، الثقات [٣/ ٥٦].

(٢) أما كونه ﷺ لم يوجب علىٰ أسامة قصاصاً ولا دية ولا كفارة، فقد يستدل به لإسقاط الجميع، ولكن الكفارة واجبة والقصاص ساقط للشبهة ؛ فإنه ظنه كافراً، وظن أن إظهاره كلمة التوحيد في هذا الحال لا يجعله مسلماً، وفي وجوب الدية قولان للشافعي، وقال بكل واحد منهما بعض من العلماء، ويجاب عن عدم ذكر الكفارة بأنها ليست علىٰ الفور، بل هي علىٰ التراخي، وتأخير البيان إلىٰ وقت الحاجة جائز علىٰ المذهب الصحيح عند أهل الأصول، وأما الدية علىٰ قول من أوجبها فيحتمل أن أسامة كان في ذلك الوقت معسراً. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٩١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٠ - (٩٧)] كتاب الإيمان، [٤١] باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٥١]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ٥٩٨]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٢/ ٣٠١].

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤٣ - (٢٦)] كتاب الإيمان، [١٠] باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً، عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله =

وفيه وجه بليغ من وجوه: أحدها: قوله: «كيف تصنع بها»، وثانيها: قوله: «إذا جاءت يوم القيامة، ثالثها: الإعراض عن الاستغفار له، ورابعها: تكرير ذلك والتأوه منه.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: " إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم [(١)] ، فمن أظهر لنا خيراً أمنَّاهُ وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة ".

وفيه أن المانع من الحكم بالظاهر إنما هو يقين الوحي، ونحوه كلام عيسى وصاحب جريج وشاهد يوسف [(٢)] وأن مجرد الاحتمالات لا تصلح مانعاً، كما يشعر به قول الفاروق: " وليس لنا من سريرته شيء " وفيه أن الأعمال البشرية إذا تعارضت مع دعوى الخيرية قدمنا الأعمال كما هو جلي من قوله لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة.

وحاصل الأحاديث إيجاب الحكم بالظاهر مرتباً علىٰ سببه وملازمه، وبيان الأسباب ومحل الحكم بالظاهر، وبيان ما يصرف الناس عن الحكم بالظاهر، وحكمة الحكم بالظاهر، وفائدته وما يزجر عن تركه، وسبب مشروعيته، وما يمنع منه، وما لا يصلح مانعاً، وترجح أحد المتعارضين وسنته ذلك قتال الناس حكماً بأن لا أمان لهم بأنه الظاهر علىٰ فترة من الرسل، ومثله الإغارة علىٰ من لا أذان [(٣)] فيهم حكماً

= إلا الله دخل الجنة»، وقال النووي: مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين علىٰ مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ وأن كل من مات علىٰ الإيمان وتشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة.

(١) روى أبو داود في سننه [٣٥٨٦] كتاب الأقضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ عن ابن شهاب أن عمر رضي الله عنه قال وهو علىٰ المنبر: يا أيها الناس، إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً؛ لأن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف.

(٢) روى الحاكم في المستدرك [٢/ ٤٩٧] عن ابن عباس قال: " تكلم في المهد أربعة وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى ابن مريم "، ورواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «تكلم أربعة وهو صغار. . . .» الحديث، إلا أن الألباني ذكره في سلسلة الأحاديث الضعيفة [٢/ ٢٧٢] رقم [٨٨٠].

(٣) روى البخاري في صحيحه [٦١٠] كتاب الأذان، [٦] باب ما يحقن بالأذان من الدماء، عن أنس بن مالك: " أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتىٰ يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم. . . " الحديث.

بكفرهم لأنه ظاهر الإخلال بشعار الدين بعد أن ضرب الإيمان بجرابه، وفيها غير ذلك مما لا يخفى علىٰ متأمل ومستوضح ومتمهل.

فصل في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

والمراد بها ما خالف الحق أو تردد في الصدر أو أنكره القلب أو ردَّته الشريعة.

وهي في اللغة ما ليس له مثال سابق، ومن هذا السنَّة الحسنة [1] وغيرها.

واللغوية هي التي انقسمت إلىٰ الأحكام الخمسة، وكل بدعة ليست شرعية فضلالة.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [2] فلا واسطة بينهما، فمن أخطأ الحق وقع في الضلال.

وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [3] فكل شيء فيه خير ما، فالكتاب المجيد مشتمل عليه لم يفعل ولم يترك بناء علىٰ أن الكتاب القرآن، وهو مذهب الجمهور، لا الأجل ولا اللوح المحفوظ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [4] أي الكتاب والسُّنَّة، فيجب الرد إليهما إذ ذاك.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٦٩ - (١٠١٧)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، عن جرير بن عبد الله، وفيه: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»، وقال النووي: فيه الحث علىٰ الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات، وفيه الحث علىٰ استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، وأن من دعا إلىٰ هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلىٰ ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك". النووي في شرح مسلم [٧/ ٩٢]، [١٦/ ١٨٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) سورة يونس [٣٢]. (٣) سورة الأنعام [٣٨].

(٤) سورة النساء [٥٩].

قال مجاهد وغيره من السلف: أي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، وهذا أمر من الله عَزَّ وَجَلَّ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلىٰ الكتاب والسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الصحة. "تفسير ابن كثير [١/ ٥١٨]".

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية، فاتباع السبيل مفوق عن الإسلام الذي هو صراط أهل الإيمان الموصل إلىٰ أعالي الجنان.

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [١]، فمن أحب الله اتبع رسوله، ومن اتبعه أحبه الله، فأقبح بالبدعة الصادة عن الحق، ولا خير فيها ولا مرجع إلىٰ الله ورسوله، ولا اتباع بها لصراط الله بل لسبيل يفرق عن سبيل الله، ويبعد عن محبة الله، أعاذنا الله منها بمنه.

والآيات في الباب كثيرة معروفة.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً مشهورة منها:

حديث العرباض السالف في المحافظة علىٰ السنَّة، فهو خامة مرتعها قاتل لا يستردف [٢] سُم، ولا أرجى منه ولا أهلك.

ومنها حديث عائشة مرفوعاً: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [٣] أخرجاه.

ولمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [٤] أي فهو زيف مردود لا يتوصل به إلىٰ خير دنيا ولا أخرى.

ومنها حديث جابر رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتىٰ كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «بُعثت والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد، فإن

---

(١) سورة آل عمران [٣١]. هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعى محبة الله وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». "تفسير ابن كثير [١/ ٣٥٨]".

(٢) أردف الشيء بالشيء: أتبعه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣/ ٢٤١]، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (١٧١٨)]كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، وأبو داود [٤٦٠٦] كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وابن ماجه في سننه [١٤] في المقدمة، [٢] باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ علىٰ من عارضه، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٤٠، ٢٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١١٩، ١٥٠، ٢٥١]، والدارقطني في السنن [٤/ ٢٢٥]، والتبريزي في المشكاة [١٤٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٨٣].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨/ ١٧١٨] كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، وكذلك رواه البخاري في صحيحه [٣/ ٩١، ٩/ ١٣٢]، وأحمد في مسنده [٦/ ١٦، ١٨٠]، والدارقطني في السنن [٤/ ٢٢٧]، والقرطبي في تفسيره [٣/ ٣٥٦، ٦/ ٣٣].

خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[١] ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً لأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»[٢] أخرجه مسلم.

فالمحدث شرّ الأمور المؤذي للدين والقلب، إذ كله ظلم وغل.

فصل فيمن سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣] وهو ظاهر في مدح سؤالها في الدين، إذ هو المتبع المقتدى به، والمراد الحسن.

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾[٤] فأكرم بهذا الإنعام، وبدأنا بالآية الأولى لاقتضائها الوقوع، وبه يتحقق الإمكان.

وروينا في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه مرفوعاً[٥]: «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص

---

(١) قوله ﷺ: «وكل بدعة ضلالة» هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد علىٰ الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتاب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التَّبَسُّطُ في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران. "النووي في شرح مسلم [٦/ ١٣٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣ ـ (٨٦٧)] كتاب الجمعة، [١٣] باب تخفيف الصلاة والخطبة، وابن ماجه في سننه [٤٥] في المقدمة، [٧] باب اجتناب البدع والجدل، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٢٠٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٤٠٧]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٢٣٠، ٧/ ١١٤، ١١٥].

(٣) سورة الفرقان [٧٤].

قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير، وقال غيرهم: هداة مهتدين دعاة إلىٰ الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً إلىٰ غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآباً. تفسير ابن كثير [٣/ ٣٤٠].

(٤) سورة الأنبياء [٧٣].

(٥) قال النووي: فيه الحث علىٰ استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها إلىٰ يوم القيامة، وأن من دعا إلىٰ هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلىٰ ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقاً إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٨٥] طبعة دار الكتب العلمية".

من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[(١)] وإنما جعل الفعل سبباً من حيث إنه موقظ وموضح ومسهل.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: «ليس من نفس تُقتل ظلماً إلا كان علىٰ ابن آدم كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سنَّ القتل»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (١٠١٧)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ورقم [١٥ ـ (١٠١٧)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٥٧، ٣٥٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٩٠]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٣٤٨، ٨/ ٣٠٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٢١] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٥] باب إثم من دعا إلىٰ ضلالة أو سن سنة سيئة، ومسلم في صحيحه [٢٧ ـ (١٦٧٧)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، [٧] باب بيان إثم من سن القتل، وقال النووي: هذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل من ابتدع شيئاً من الشر كان عليه مثل وزر كل من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلىٰ يوم القيامة، ومثله من ابتدع شيئاً من أمور الخير.

مجلس في الدلالة على الخير والدعاء إلى الهدى أو الضلالة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ (١).

وقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ (٢) فالآية الأولى آمرة بالدعاء، وهذه مما يدعى به.

وهذه باعتبار مراتب المدعو في النباهة التامة وسلامة الصدور.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ (٤) فالآية الأولى معمِّمة لوجوه البِّر، والثانية مبينة بأنه فرض كفاية.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه مرفوعا: «من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله» (٥) أخرجه مسلم، وهو حاث علىٰ الترغيب بالدلالة.

وروينا فيه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من دعا إلىٰ هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» (٦).

---

(١) سورة القصص [٨٧]. (٢) سورة النحل [١٢٥].

(٣) سورة المائدة [٢].

يأمر الله ـ تعالىٰ ـ عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر علىٰ الباطل والتعاون علىٰ المآثم والمحارم، وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً ؟!! قال: «تحجزه وتمنعه من الظلم فذلك نصره».

(٤) سورة آل عمران [١٠٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (١٨٩٣)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأبو داود في سننه [٥١٢٩] كتاب الأدب، باب في الدال علىٰ الخير، والترمذي في سننه [٢٦٧١]، وأحمد في مسنده [٤/ ١٢٠، ٥/ ٢٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٨]، وابن حبان في صحيحه [٨٦٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١٢٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧/ ٢٢٥، ٢٢٦].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٦٧٤)] كتاب العلم، [٦] باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلىٰ هدى أو ضلالة، وأبو داود في سننه [٤٦٠٩] كتاب السنة، باب لزوم السنة، =

وروينا في الصحيحين من حديث سهل بن سعد ﵄: " أنه ﷺ قال لعلي ﵄ يوم خيبر: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم» [١].

وأي ترغيب أعظم من هذا في الهداية والتعليم، فإن حُمُر النعم فيها من النفع والجمال لأربابها أنفس شيء وأعزه، فكيف أجرها بالصدقة ونحوها وفي الذي قبله ترغيب في الدعاء إلىٰ الهدى، والتحذير من الدعاء إلىٰ الضلالة بمثل أجر فاعل ذلك.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس ﵄: " أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به، فقال: «ائت فلاناً فإنه قد كان تجهز فمرض» فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي عنه شيئاً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فيبارك لك فيه " [٢] وهو ظاهر في الدلالة علىٰ الخيرات كالعالم والعابد والواعظ والمتصدق وغير ذلك من العقائد والنصائح.

ومدار هذه الأحاديث علىٰ الترغيب في الدلالة والدعاء والهداية بالقول البين بجزيل الأجر وبالفعل الجاذب إلىٰ الاقتداء.

= والترمذي في سننه [٢٦٧٤]، وابن ماجه [٢٠٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٨٦٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧٠١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٩] باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﵄، ومسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٢٤٠٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب ﵄، قال النووي: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وقد سبق أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت، وفي هذا بيان فضيلة العلم والدعاء إلىٰ الهدى وسن السنن الحسنة. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (١٨٩٤)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، قال النووي: فيه فضيلة الدلالة علىٰ الخير، وفيه أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة يستحب له بذله في جهة أخرى من البر، ولا يلزمه ذلك ما لم يلتزمه بالنذر.

مجلس في التعاون على البر والتقوى (1)

كل منهما يشمل الآخر إذ أفرد، ويتميزان عند الاجتماع، فإن الأول فعل الخيرات، والثاني ترك المنكرات.

وفي الكتاب العزيز كثير من ذلك، منه قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (2).

وقال تعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ (3) إلىٰ آخرها.

قال الشافعي: كلاماً معناه أن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة، وهو كما قال، فيحتمل أملاً، فأقسم الله بالعصر، وهي الوسطى، والمراد بالإنسان جميعهم، والخسر: النقص، وذهاب رأس المال، فالكافر في ضلال حتىٰ يموت ويدخل النار فيهلك نفسه وعمره أكثر رأس ماله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العَصر: ٣] بالقرآن المجيد، ﴿بالصبر﴾ عن المعاصي.

وروى أبو أمامة (4) عن أُبي بن كعب قال: قرأت علىٰ رسول الله ﷺ

---

(1) قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلىٰ الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥] قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٩٠]".

(2) سورة المائدة [٢].

(3) سورة العصر [١، ٢].

العصر: الزمان يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر، والمشهور الأول، فأقسم ـ تعالىٰ ـ بذلك علىٰ أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العَصر: ٣] وهو أداء الطاعات وترك المحرمات ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] أي علىٰ المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٤٨]".

(4) أبو أمامة البلوي الأنصاري الحارثي، اسمه إياس، وقيل: عبد الله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٢/ ١٣]، تقريب التهذيب [٢/ ٣٩٢]، الثقات [٣/ ٤٥١]، أسد الغابة [٦/ ١٧]، الاستيعاب [٤/ ١٦٠١]، تجريد أسماء الصحابة [٢/ ١٤٨]، التاريخ الكبير [٩/ ٣]، الخلاصة [٣/ ١٩٩]، الاستبصار [٢٥١].

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العَصر: ١] فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما تفسيرها؟ فقال: «﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أبو جهل بن هشام ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الصديق، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفاروق، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العَصر: ٣] عثمان، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عليّ.

وروينا في الصحيحين [(١)] من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعاً: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا».

وفيه المعاونة للغازي بالمال، والقيام علىٰ العيال بالخدمة البدنية ونحوها، والترغيب في كل منهما بأنه غزو [(٢)].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: " أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلىٰ بني لحيان من هذيل فقال: «لينبعث من كل رجلين أحدهما، والأجر بينهما» [(٣)].

وروينا فيه أيضاً من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: «من القوم؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله»، فرفعت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٤٣] كتاب الجهاد والسير، [٨] باب فضل من جهز غازياً أو خلافته بخير، ومسلم في صحيحه [١٣٥ ـ (١٨٩٥)]، [٣٦] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأبو داود في سننه ٢٥٠٩]، والترمذي [١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣١]، والنسائي [٦/ ٤٦ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ١١٥، ١١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ٢٤٠، ٩/ ٢٨]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٨٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٥٤].

(٢) قال النووي: قوله ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا» أي حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكل جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم، وإنفاق عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحث علىٰ الإحسان إلىٰ من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (١٨٩٦)] كتاب الإمارة، [٣٨] باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٢٠]، وقال النووي: قد اتفق العلماء علىٰ أن بني لحيان كانوا في ذلك الوقت كفاراً، فبعث إليهم بعثاً يغزوهم وقال لذلك البعث: ليخرج من كل قبيلة نصف عددها، وهو المراد بقوله: من كل رجلين أحدهما، وأما كون الأجر بينهما فهو محمول علىٰ ما إذا خلف المقيم الغازي في أهله بخير. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ٣٦] طبعة دار الكتب العلمية".

إليه امرأة صبياً [١] فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر» [٢] فيه معاونة الحاج بالمال والبدن، ونية الإحرام.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «إن الخازن المسلم الأمين الذي يُنفِذُ»، وفي لفظ: «يعطي ما أُمِره به، فيعطيه كاملاً مُوَفَّراً طيبة به نفسه، فيدفعه إلىٰ الذي أُمِر له به أحد المتصدقين» [٣] فليحرص علىٰ الدفع كما أُمر له به من غير مطل بطيب نفس وبشاشة، ومدار هذه الأحاديث علىٰ الترغيب في المعاونة، وبيان مجاريها وصفتها، وقس بالأول والثاني إعانة كل دافع للشر، وبالثالث إعانة كل معظم لأمر الله، (وبالرابع من)(*) مشفق علىٰ خلق الله، وفي الرابع: الإعانة بمنفعة الوكالة، وفيما قبله بالمال والبدن (حرامته) (*) وخدمة وغير ذلك.

---

(١) هذا الحديث فيه حجة للشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام بل يقع تطوعاً، وهذا الحديث صريح فيه، وقال أبو حنيفة: لا يصح حجه، قال أصحابه: وإنما فعلوه تمريناً له ليعتاده فيفعله إذا بلغ، وهذا الحديث يرد عليهم، قال القاضي: لا خلاف بين العلماء في جواز الحج بالصبيان، وإنما منعه طائفة من أهل البدع ولا يلتفت إلىٰ قولهم، بل هو مردود بفعل النبي ﷺ وأصحابه وإجماع الأمة، وإنما خالف أبو حنيفة في أنه هل ينعقد حجه وتجري عليه أحكام الحج وتجب فيه الفدية ودم الجبران وسائر أحكام البالغ، فأبو حنيفة يمنع ذلك كله ويقول: إنما يجب ذلك تمريناً علىٰ التعليم، والجمهور يقولون: تجري عليه أحكام الحج في ذلك، ويقولون: حجه منعقد يقع نفلاً لأن النبي ﷺ جعل له حجاً، قال القاضي: وأجمعوا علىٰ أنه لا يجزئه إذا بلغ عن فريضة الإسلام إلا فرقة شذت ولم يلتفت العلماء إلىٰ قولها. "النووي في شرح مسلم [٩/ ٨٤]".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠٩ ـ (١٣٣٦)] كتاب الحج، [٧٢] باب صحة حج الصبي، وأجر من حج به، وأبو داود في سننه [١٧٣٦] في المناسك، والترمذي [٩٢٤] كتاب الحج، باب ما جاء في حج الصبي، والنسائي [٥/ ١٢١ ـ المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٢٩١٠] كتاب المناسك، باب حج الصبي، وأحمد في مسنده ١/ ٣١٩، ٢٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ١٥٥، ١٥٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٩٦، ٨/ ٢٩٥].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٨] كتاب الزكاة، [٢٧] باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد، ومسلم في صحيحه [٧٩- (١٠٢٣)] كتاب الزكاة، [٢٥] باب أجر الخازن الأمين والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي، والنسائي [٥/ ٧٩ ـ المجتبى]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٤٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٦٠]، وقال النووي: معنى هذه الأحاديث أن المشارك في الطاعة مشارك في الأجر، ومعنى المشاركة أن له أجراً كما لصاحبه أجر، وليس معناه أن يزاحمه في أجره، والمراد المشاركة في أصل الثواب، فيكون لهذا ثواب ولهذا ثواب، وإن كان أحدهما أكثر، ولا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء بل قد يكون ثواب هذا أكثر وقد يكون عكسه. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٩٨، ٩٩] طبعة دارالكتب العلمية".

(*) كذا بالأصل.

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والمعروف كل مناسب أن يتقرب به شرعاً والمنكر غيره.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١)

وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٢) الآية

وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾(٣) الآية

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٤) الآية

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ﴾(٥) الآية

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٦)

وقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾(٧)

---

(١) سورة آل عمران [١٠٤].
يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥] قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] ثم قال: «الخير اتباع القرآن وسنتي رواه ابن مردويه. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٩٠]".

(٢) سورة آل عمران [١١٠].

(٣) سورة الأعراف [١٩٩].
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] يعني خذ ما عفي لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات، قاله السدي. وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أنفق الفضل، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أمره الله بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم، واختار هذا القول ابن جرير، قال البخاري: قوله ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ١٩٩﴾ العرف المعروف. "تفسير ابن كثير [٢/ ٢٨٤]".

(٤) سورة التوبة [٧١].

(٥) سورة المائدة [٧٨].

(٦) سورة الكهف [٩٤].
يقول تعالى لرسوله ﷺ: وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] هذا ما باب التهديد والوعيد الشديد. "تفسير ابن كثير [٣/ ٨٣]".

(٧) سورة الحجر [٩٤].

=

وقال تعالىٰ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ (١) الآية، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (٢).

وروينا فيه أيضاً من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون (٣) فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» (٤).

وروينا في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: " بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله ـ تعالىٰ ـ فيه

= يقول تعالىٰ آمراً رسوله ﷺ بإبلاغ ما بعثه به وإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] أي أمضه، وفي رواية: افعل ما تؤمر، وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة. "تفسير ابن كثير [٢/ ٥٧٦]".

(١) سورة الأعراف [١٦٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٤٩)] كتاب الإيمان، [٢٠] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، والترمذي في سننه [٢٢٧٢] كتاب الفتن، باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، والنسائي [٨/ ١١١، ١١٢ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ٢٠، ٤٩، ٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٣٧]، وابن عبد البر في التمهيد [١٠/ ٢٦٠].

(٣) قال النووي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه علىٰ منكر أو تقصير في المعروف، قال العلماء: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٢٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٥٠)] كتاب الإيمان، [٢٠] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، وأحمد في مسنده [١/ ٤٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٧]، وأبو عوانة في مسنده [١/ ٣٦].

برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم "[(١)].

المَنْشَط والمَكْرَه، بفتح ميميهما: أي السهل والصعب. والأثرة: الاختصاص بالمشترك، وبَوَاحاً: ظاهراً لا يحتمل تأويلاً، فشرط الإنكار كون المنكر كُفراً بواحاً[(٢)] أن يكون فيه برهان من الله، أي دليل جلي لا يقبل الاجتهاد، وأن رعاية القلوب ليست عذراً.

فالمؤمن لا يخاف في الله لومة لائم، بل يقول الحق ولو كره المشركون.

وروينا في صحيح البخاري [(٣)] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعاً: «مثل القائم في حدود الله ـ تعالىٰ ـ والواقع فيها كمثل قوم استهموا علىٰ سفينة، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا علىٰ من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[(٤)].

معنى القائم في حدود الله: المنكر لها في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود ما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ ـ (١٧٠٩)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وقال النووي: المراد بالمبايعة المعاهدة، وهي مأخوذة من البيع لأن كل واحد من المتبايعين كان يمد يده إلىٰ صاحبه، وكذا هذه البيعة تكون بأخذ الكف، وقيل: سميت مبايعة لما فيها من المعاوضة لما وعدهم الله ـ تعالىٰ ـ من عظيم الجزاء، قال الله ـ تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

(٢) بواحاً بالواو، وفي بعض النسخ براحاً والباء مفتوحة فيهما، ومعناهما كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى عندكم من الله فيه برهان: أي تعلمونه من دين الله ـ تعالىٰ ـ ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب علىٰ ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه، قال القاضي عياض: أجمع العلماء علىٰ أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. "شرح مسلم للنووي [١٢/ ١٨٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) رواه البخاري في صحيحه [٢٤٩٣] كتاب الشركة، [٦] باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟، ورقم [٢٦٨٦] كتاب الشهادات، [٣٠] باب القرعة في المشكلات.

(٤) أخرجه البخاري وقد تقدم، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٦٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٨٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٥]، والقرطبي في تفسيره [١٦/ ٨٦]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [٦٩].

نهى الله عنه، واستهموا: اقترعوا، فالأخذ علىٰ يد العاصي أهم مهم؛ لأنه كمنع خارق السفينة من خرقها المهلك لجميع من فيها من عال أو سافل.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أم سلمة مرفوعاً: «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون منهم وتنكرون، فمن كره فقد برئ[1]، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»[2] وفي رواية: قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»[3].

ومعناه من كره بقلبه، ولم يستطع إنكاراً بيده ولا لسانه فقد برئ من الإثم وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بفعلهم وتابعهم عليه فهو عاص، فالعجز مع الأمراء ونحوهم عذر سقط غير إنكار القلب، وأن العجز عبارة عن توقف التغير عليه مقابلة ونحوها لم يأذن فيها أرباب الشوكة المطاعة.

وروينا في الصحيحين[4] من حديث زينب بنت جحش أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟[5] قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

---

(١) من كره فقد برئ، فظاهره ومعناه من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا بلسانه، فليكرهه بقلبه وليبرأ، وأما من روى فمن عرف فقد برئ فمعناه ـ والله أعلم ـ فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلىٰ البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكرهه بقلبه.
"النووي في شرح مسلم [١٢/ ٢٠٣، ٢٠٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (١٨٥٤)]، [٦٣] كتاب الإمارة، [١٦] باب وجوب الإنكار علىٰ الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ ـ (١٨٥٥)]، [٦٦] كتاب الإمارة، [١٧] باب خيار الأئمة وشرارهم، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٥٨]، والدارمي في سننه [٢/ ٣٢٤]، وابن أبي عاصم في السنة [٢/ ٥٠٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٦٧٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٥٩] كتاب الفتن، [٤] باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ومسلم في صحيحه [١ ـ (٢٨٨٠)]، [٢] كتاب الفتن، [١] باب اقتراب فتح ردم يأجوج ومأجوج، والترمذي في سننه [٢١٨٧] كتاب الفتن، باب ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج، وأحمد في مسنده [٦/ ٤٢٨]، ومالك في الموطأ [٩٩١]، والحميدي في مسنده [٣٠٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ٢٦٩].

(٥) قوله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «إذا كثر الخبث» هو بفتح الخاء والباء، وفسره الجمهور =

قلت: وهو متأيد بمثال خرق السفينة السابق.

وروينا فيهما من حديث أبي سعيد الخدري السابق مرفوعاً [(١)]: «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حقه؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [(٢)].

والمراد بكف الأذى من منكرات العين واليد واللسان وظن السوء.

وروينا في صحيح مسلم من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في أصبعه» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ [(٣)].

قلت: وهذا بيان صفة تغيير اليد.

= بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، ويهلك بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكي فتحها وهو ضعيف أو فاسد، ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون. "النووي في شرح مسلم [١٨/ ٣، ٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) هذا الحديث كثير الفوائد، وهو من الأحاديث الجامعة، وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة، وظن السوء، واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق، وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع. "النووي في شرح مسلم [١٤/ ٨٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٥] كتاب المظالم، [٢٢] باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات، ورقم [٦٢٢٩] كتاب الاستئذان، [٢] باب قول الله ـ تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**....﴾ الآية، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (٢١٢١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، ورقم [١١٤ ـ (٢١٢١)] كتاب اللباس والزينة، [٣٢] باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٦، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٦٤١]، والسيوطي في الدر المنثور [٥/ ٤١]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٤٨، ٧/ ٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٢٠٩٠)] كتاب اللباس والزينة، [١١] باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٢٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٩٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٨٥].

وروينا فيه أيضاً من حديث الحسن البصري: " أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شرُّ الرِّعاء الحطمة» [(١)]، فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس فإنما أنت من نُخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم " [(٢)].

ففيه بيان تغيير اللسان، ولم يقل فيه: أنت منهم، وإنما حذَّره، ثم أنكر بلسانه ثانياً.

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث حذيفة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» [(٣)].

ففيه التهديد البليغ ليُسمع، وفي أدنى من ذلك ما يزجر اللبيب.

وروينا في سنن أبي داود، وجامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث أبي سعيد مرفوعاً: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» [(٤)].

---

(١) قوله ﷺ: «إن شر الرعاء الحطمة» قالوا: هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سَوْقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها، وقوله: "إنما أنت من نخالتهم" يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم، بل من سقطهم، والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره، والنخالة والحقالة والحثالة بمعنى واحد، وقوله: "إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" هذا من جزيل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. "شرح مسلم للنووي [١٢/ ١٨١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣ ـ (١٨٣٠)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، وأحمد في مسنده [٥/ ٦٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٨]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٧٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ١٣٩]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٣٤٤].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢١٦٩] كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٨٩]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ١٨٠]، والشجري في أماليه [٢/ ٢٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ١٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ٣٠١، ٣٤١].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٤٤] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي [٢١٧٤]، وابن ماجه في سننه [٤٠١١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٣٨]، والخطيب في تاريخ بغداد [٧/ ٢٣٨، ٢٣٩]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٦٤]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٣/ ٥٣].

ورواه النسائي بإسناد صحيح من حديث طارق بن شهاب البجلي [١] مرفوعاً: «إن أول ما دخل النقص علىٰ بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول ما هذا، اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو علىٰ حاله ولا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» ثم قال: «﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ [المَائدة: ٧٨] إلىٰ قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾» ثم قال: «كلا والله، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن علىٰ يد الظالم ولتأطرنه علىٰ الحق أطراً، أو لتقصرنَّه علىٰ الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضاً، ثم ليلعننكم كما لعنهم» [٢] رواه الترمذي وحسنه بلفظ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم علىٰ لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

قال: فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً فقال: «لا والذي نفسي بيده حتىٰ تأطروهم [٣] علىٰ الحق أطراً» [٤].

معنى تأطروهم تعطفونهم، ولتقصرنَّه: أي لتحبسنه.

ففيه وجوب تكرير الإنكار، ولا يسقط بمرة، وكيف يسقط وقد رأى المعصية تأتي كل يوم؟ ثم المواكلة والمجالسة تأنيس لا يناسب مُلابِسَ العصيان المصرّ عليه.

---

(١) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن هلال بن سلمة بن عوف بن جُثيم أبو عبد الله أبو حية البجلي الأحمسي الكوفي البقري، رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٨٢، ٨٣]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٥/ ٣]، تقريب التهذيب [١/ ٣٧٦]، الكاشف [٢/ ٤٠]، أسد الغابة [٣/ ٧٠]، البداية والنهاية [٩/ ٥١]، تجريد أسماء الصحابة [١/ ٢٧٤]، سير أعلام النبلاء [٣/ ٤٨٦]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٣٨٠].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٣٦] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، عن ابن مسعود، والترمذي في سننه [٣٠٤٨] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩٣].

(٣) تأطروهم: أي حتىٰ تمنعوا أمثالهم من أهل المعصية: أي لا تنجوا من العذاب حتىٰ تميلوهم من جانب إلىٰ جانب، مأخوذ من أطرت القوس إذا حنيتها: أي تمنعوهم من الظلم وتميلوهم عن الباطل إلىٰ الحق فلا عذر لكم حتىٰ تجبروا الظالم علىٰ الإذعان للحق.

(٤) أخرجه الترمذي [٣٠٤٧] كتاب الفتن، باب من سورة المائدة، وأحمد في مسنده [١/ ٣٩١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٤٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٥٢]، وابن كثير في تفسيره [٣/ ١٥٢]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ١٥٠].

وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة من حديث أبي بكر الصديق قال: " يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علىٰ يديه أوشك أن يَعُمَّهُم الله بعقاب منه» " [١].

وفي موضع هذه الآية وجهان: أحدهما: وهو مذهب الصدّيق: أنها فيمن يخاف من كُفر أو وقوع عصيان في الوجود، وثانيهما: وهو مذهب ابن مسعود: أنها فيمن سقط الإنكار عنهم، وفيه وجه ثالث: أنها لرفع فرض الإنكار في آخر الزمان، ولا شك أن الإنكار لا يسقط فرضه عند اجتماع شرائطه [٢] وإذا سقط لانتفاء شرطه لم يضُر الضار إلا نفسه.

فصل في تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف فعلُهُ قوله

قال تعالىٰ: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [٣] فنسيان النفس مع نصح الناس مخالفة لبداهة العقول.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٣٣٨] كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، والترمذي [٢١٦٨] كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ورقم [٣٠٥٧] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، وابن ماجه [٤٠٠٥] في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحمد في مسنده [١/ ٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٩١]، وابن حبان في صحيحه [١٨٣٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٢٩].

(٢) في حديث مسلم المتقدم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه. . . .» الحديث، قال النووي: وأما قوله ﷺ: «فليغيره» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن يبغ هؤلاء، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة. "شرح مسلم للنووي [٢/ ٢٠]".

(٣) سورة البقرة [٤٤].

يقول تعالىٰ: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه علىٰ من قصر في أوامر الله ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم. "تفسير ابن كثير [١/ ٨٥]".

ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [(١)] فلا مقت أكبر منه.

وقال تعالىٰ إخباراً عن شعيب ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هُود: ٨٨].

فالمخالفة إلىٰ النهي لوم وسقوط مروءة، فالمخالف مخالف للعقل والشرع ولؤم الطبع.

وروينا في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار، فيندلق أقتاب بطنه [(٢)] فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؛ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى؛ قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» [(٣)].

ويندلق بالدال المهملة معناه يخرج، والأقتاب الأمعاء، واحدها قتب، وشبهه بالحمار من حيث أنه حمل أسفار العلم ولم يعمل لها، واندلاق أقتابه إما لأن المخالفة كانت للشهوات، وإما لأن جنايته الحسية والمعنوية كانت مكتومة، وظهر حسنها لما ظهر معناها، فافتضح حسّاً ومعنى.

فصل في الأمر بأداء الأمانة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: ٥٨] [(٤)]

---

(١) سورة الصف [٢، ٣].
إنكار علىٰ من يعد وعداً أو يقول قولًا لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلىٰ أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان». "تفسير ابن كثير [٤/٣٥٧]".

(٢) قوله ﷺ: «فتندلق أقتاب بطنه» هو بالدال المهملة، قال أبو عبيد: الأقتاب الأمعاء، قال الأصمعي: واحدها قتبة، وقال غيره: قتب، وقال ابن عيينة: هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقصاب، واحدها قصب، والاندلاق خروج الشيء من مكانه. "النووي في شرح مسلم [١٨/٩٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥١ ـ (٢٩٨٩)] كتاب الزهد والرقائق، [٧] باب عوقبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله.

(٤) سورة النساء [٥٨].
يخبر تعالىٰ أنه يأمر بأداء الأمانات إلىٰ أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «أدِّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك ولا تخن من خانك» رواه أحمد وأهل السنن وهو يعم الأمانات الواجبة علىٰ الإنسان من حقوق الله ﷻ علىٰ عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم علىٰ بعض =

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] (١)

وهو دال علىٰ تعظيم أمر الأمانة، وتفخيم شأنها. والمراد بالأمانة الطاعة والأحكام؛ لأنها لازمة كما أن الأمانة لازمة الأداء، ومنهم من فسّرها بالتوحيد أو أدلته، ومباني الإسلام، أو أن لا يغتاب مسلماً، أو حفظ الفرج، أو غسل الجنابة، وكله واضح، وعرض ذلك علىٰ الجمادات إما لعقل خلق لها حينئذ، وإما علىٰ سبيل العرض والتمثيل، أو المراد أهلها، وإباؤها من حيث أنه عرض لا إلزام بدليل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] في الإلزام. وحمل الإنسان لها إن كان منع أدائها فالظلم والجهل له لائح، وإن كان لحمله والتزامه فهو ظلوم لنفسه الضعيفة، جهول بما في الأمانة من الشدة، وما لها من خطر العاقبة.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً (٢): «آية المنافق ثلاث» منها «وإذا ائتمن خان»، وقد سلف في الكلام علىٰ الوفاء بالعهد.

وروينا فيهما من حديث حذيفة وقد سلف هناك بطوله، وأن محل الأمانة جذر(٣) قلوب الرجال، وأنها ترفع، وتارة تبقى لها أثر، حينئذ (تأولو) (٤) كنت، وتارة لا تبقى بل كأثر المجل.

= كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به من غير اطلاع بينة علىٰ ذلك، فأمر الله ﷻ بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة. تفسير ابن كثير [١/ ٥١٥].

(١) سورة الأحزاب [٧٢].

(٢) الحديث تقدم من قبل، وقال النووي: وقد أجمع العلماء علىٰ أن من كان مصدقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار ؛ فإن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه ـ بحمد الله تعالىٰ ـ إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم. "النووي في شرح مسلم [٢/ ٤٠] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها لغتان، وبالذال المعجمة فيهما وهو الأصل، قال القاضي عياض ـ رحمه الله: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم، وأبو عمر يكسرها، وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله ـ تعالىٰ ـ به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم، قال الإمام أبو الحسين الواحدي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]: قال ابن عباس ﵄ هي الفرائض التي افترضها الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ العباد، وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة. "النووي في شرح مسلم [٢/ ١٤٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) كذا بالأصل.

وقوله حتىٰ يقال للرجل ما أجمله! ما أظرفه! وليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، إشعار بانتفاء الإيمان، إذ لا إيمان لمن لا أمانة له. وفيه أن رفع الأمانة وقع في زمن حذيفة، وسلف فيه حديث حذيفة وأبي هريرة، وأن الأمانة والرحمة يقومان مقام جنبتي الصراط، وليس إلا لإنجائهما من قام بحقها وإخلائهما من ضيعهما، وأي ترغيب وترهيب مثل هذا، وسلف في حديث عبد الله بن الزبير الطويل، وفيه: أن الاستعانة بالمولى - سبحانه - تزيل كربة معسرها [(١)] وأن حرص الزبير ووصيته المبادرة بقضاء دينه، وحرص وصيته علىٰ ذلك أعقب ما لم يكن يحتسب من بركة لا توصف، ثم حساب الدين وضبطه والنداء في الموسم سنين، وهذه أفعال المؤمن الناصح الصادق.

---

(١) روى البخاري في صحيحه [٦٣٤٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم».
وروى أبو داود [١٥٢٥] عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهنَّ عند الكرب - أو في الكرب - الله الله ربي لا أشرك به شيئاً».

مجلس في تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (١) والحُرُمات جمع حرمة، وهو ما يجب القيام به، ويحرم انتهاكه، والتفريط فيه من الأوامر والنواهي والحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، وكل ما يجب احترامه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (٢) والشعائر جمع شعيرة، أي ما أُشْعِرَ وجعل شِعَاراً وعَلَماً في دين الله من أعمال البر ومواطنها وعلمائها والدعاة إليها والعمال بها، ونحو ذلك من المعالم الشاملة للحج وغيره، وتعظيم الحرمات والشعائر بأنها واجبة المراعاة والحفظ، ثم القيام بمن أعانه وتوفيته حقوقها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) أي النزول بهم والتواضع لهم، ولين الجانب معهم، والجلوس بينهم، ونحو ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٤).

---

(١) سورة الحج [٣٠].
أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: ٣٠] أي فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل، كذلك علىٰ ترك المحرمات واجتناب المحظورات، وقال ابن جريج: قال مجاهد في قوله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٢٥]".

(٢) سورة الحج [٣٢].
يقول تعالىٰ هذا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] أي أوامره ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس: تعظيمها استسمانها واستحسانها، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] قال: الاستسمان والاستحسان والاستعظام. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٢٦]".

(٣) سورة الحجر [٨٨].

(٤) سورة المائدة [٣٢].

ففيها تنزيل النفس الواحدة منزلة الناس جميعاً في إساءة أو إحسان؛ لأن كل إنسان يُدلي مما يدلي به الآخر من الكرامات على الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل بغير حق فقد أهان ما كرَّم الله وهتك حرمته، فإذا قتل بحق فقد عكس فالواحد والجمع إذن واحد، فالآية الأولى مرغِّبة في التعظيم من حيث إنه حرَّمه من حيث إنه شعار، والثالثة تعظيم خفض الجناح، والرابعة: تفخيم ما نوى من إحسان أو إساءة، فخفض الجناح [1] ذكر بين سبب ومرتبة، والسبب سابق وهي تابعة الموجود، وفي كل آية مُرغِّب يخصها.

ولنذكر أحاديث مدارها على بيان خاصة المؤمنين، وأصول معاملات الناس، وآثار الرحمة وأنواع الإثارة والتحذير من أذية أحد منهم، وأنواع من الأذى المجتنب والحقوق المؤداة ونوعهما اللذان هما نصرة تدفع المضرَّة، وكرامة تجلب بها المسرَّة.

فروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» [2].

قلت: فذلك نعمة تُشكر، ومصلحة تُنشر وتُحمد، وبذلك تنشط النفوس لتعظيم حرماتهم إذ هم عين الإنسان وعضده وقوة ضعفه وأنصاره في مهماته، ونحو ذلك.

وروينا فيها من حديثه أيضاً مرفوعاً: «من مرَّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها شيء» [3].

= أي من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. "تفسير ابن كثير [٢/ ٤٨]".

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ الحجر [٨٨، ٨٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٦] كتاب المظالم، [٥] باب نصر المظلوم، ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٥٨٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٧] باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، والترمذي في سننه [١٩٢٨] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، والنسائي [٥/ ٧٩ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٠٤، ٤٠٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٢٢، ١٣/ ٢٥٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٧٨، ٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٢] كتاب الصلاة، [٦٧] باب المرور في المسجد، ورقم [٧٠٧٥] كتاب الفتن، [٧] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»، ومسلم في صحيحه [١٢٤ ـ (٢٦١٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٤] باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها.

ففيه الحذر البليغ من إيذاء أحد منهم ودفع ما يتوقع من أدنى أذية لهم، وقمع كل مؤذ عنهم، وقد نبه علىٰ ذلك بما ذكر من القبض.

وروينا فيهما من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [(١)].

ففيه التوجع والتسلية والانقباض والقلق مما يقع بأحدهم مما الإنسان عاجز عن منعه ورفعه كما مثل بالجسد.

وروينا فيهما أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس [(٢)]، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «لا يُرحم من لا يَرحم» [(٣)]. وفيه التحنن والتلطف والتأنيث لأطفالهم بالقبلة وغيرها.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت: " قَدِمَ ناس من الأعراب علىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: تُقبلون صبيانكم؟ قال: «نعم» قالوا: كلنا والله ما نُقَبِّل، فقال رسول الله ﷺ: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة» " [(٤)].

وفيه رقَّة القلب ورحمته وتأثره لضعفهم بحيث يكون الباطن أشد من الظاهر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١١] كتاب الأدب، [٢٧] باب رحمة الناس بالبهائم، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٥٨٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٧] باب "تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم"، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٧٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٥٣]، والشجري في أماليه [٢/ ١٣٥، ١٥١]، والزبيدي في الإتحاف [١/ ٣٣٣، ٦/ ٢٥٣].

(٢) الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي أحد المؤلفة قلوبهم وأحد الأشراف، أقطعه أبو بكر له ولعيينة بن بدر، فعطل عليهما عمر ومحا الكتاب الذي كتب لهما أبو بكر، وكانا من كبار قومهما، وشهد الأقرع مع خالد حرب أهل العراق وكان علىٰ المقدمة، وقيل إن عبد الله بن عامر استعمله علىٰ جيش سيره إلىٰ خراسان فأصيب هو والجيش بالجوزجان، وذلك في خلافة عثمان، وقال ابن دريد: اسمه فراس بن حابس بن عقال، ولقب بالأقرع لقرع برأسه. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [سنة ٢٣]".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٧] كتاب الأدب، [١٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٣١٨)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٨] كتاب الأدب، [١٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه [٦٤ ـ (٢٣١٧)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

وروينا فيهما من حديث جرير بن عبد الله مرفوعاً: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»(١)، وفيه الرحمة الباعثة علىٰ المصالح، ولا أبلغ من هذا الترغيب والتهديد، فمن علم أن من لا يرحم لا يُرحم، احتاج إلىٰ أن يرحمهم لاضطراره إلىٰ ربه في كل نَفَسٍ، وعلى كل حال.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير» وفي لفظ «وذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء»(٢).

وفيه نوع من آثار الرحمة وهو تخفيف ما كلفوه، وتسهيل ما تقيدوا به من اقتداء في حال صلاة أو غيرها، فإن فيهم المعذور كما ذكر.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت " إن رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيُفرض عليهم "(٣).

وفيه الانفكاك عما يتوقع منه مشقة علىٰ أحد، كترك فعل يخشى أن يفرض علىٰ الناس لو لم يترك.

وروينا فيهما أيضاً من حديث عائشة قالت: " نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل؟ قال: «إني لست كهيئتكم؛ إني يطعمني ربي ويسقيني» "(٤)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٣٧٦] كتاب التوحيد، [٢] باب قول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٣١٩)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، وأحمد في مسنده [٣٥٨/٤، ٣٦٠، ٣٦٢]، والحميدي في مسنده [٨٠٢، ٨٠٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٧٨/٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٦٣].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٣] كتاب الأذان، [٦٢] باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (٤٦٧)] كتاب الصلاة، [٣٧] باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، وأبو داود [٧٩٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧١]، والنسائي [٢/ ٩٤ ـ المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ١١٧]، ومالك في الموطأ [١٣٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢/ ٦٢]، ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٧١٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٣] باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان. وأحمد في مسنده [١٧٨/٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٢] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال، ومسلم في صحيحه [٥٥ ـ (١١٠٢)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم، وقال النووي: اتفق أصحابنا علىٰ النهي عن الوصال وهو صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما، ونص الشافعي وأصحابنا علىٰ كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان، أصحهما: أنها كراهة تحريم، والثاني: كراهة تنزيه، وبالنهي عنه قال جمهور العلماء وقال القاضي عياض: اختلف العلماء في =

أي يجعل فيَّ قوة من غير أكل وشرب، وفيه إخراج من التزم ما يشق عليه التزامه كالوصال ونحوه.

ورويناه في صحيح البخاري من حديث أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أُطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّزُ في صلاتي كراهية أن أشق علىٰ أمه»[(١)].

وفيه رعاية القلوب، وإن أدى إلىٰ ترك مصالح جليلة، فَيُجَوِّز مريد التطويل كما ذكر.

وروينا في صحيح مسلم[(٢)] من حديث جندب بن عبد الله مرفوعاً: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يَكُبُّه علىٰ وجهه في نار جهنم».

وفيه التهديد الأبلغ والتحذير الأشد من الإقدام علىٰ ترك الذمة والجوار والإقدام علىٰ الجراءة علىٰ إخفار ذمة الجليل مالك الملك خطير لا يرجى معه حلم.

وروينا في الصحيحين[(٣)] من حديث ابن عمرو مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّج عن

= أحاديث الوصال؛ فقيل النهي عنه رحمة وتخفيف، فمن قدر فلا حرج، وقال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله وحرمت علىٰ الأمة. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٨٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٧] كتاب الأذان، [٦٥] باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، والبخاري أيضاً رقم [٨٦٨] كتاب الأذان، [١٦٣] باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، وأبو داود في سننه [٧٨٩] كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة للأمر يحدث، والنسائي [٢/ ٥٩]، وأحمد في مسنده [٥/ ٣٠٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٢ ـ (٦٥٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٦] باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٢/ ١٧٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٧]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ٣٠٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٥٠]، قال النووي: قوله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله» قيل: الذمة هي الضمان، وقيل: الأمان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٢] كتاب المظالم، [٣] باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ورقم [٦٩٥١] كتاب الإكراه، [٧] باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (٢٥٨٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، وأبو داود في سننه [٤٨٩٣]، والترمذي في سننه [١٤٢٦]، وابن ماجه [٢١١٩، ٢٢٤٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٧، ٣١١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٢٠، ٦/ ٩٢، ٩٤].

مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

وقد اشتمل علىٰ بيان أنواع من الأذى كالظلم والمسلم المتقاعد عن حاجة يسهل قضاؤها وتفريج كربة وستر مسلم.[١]

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم».[٢] وهو مشتمل علىٰ بيان أنواع أُخر من الأذى.

وروينا في صحيح مسلم[٣] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا».[٤]

---

(١) قال النووي: في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروف بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلىٰ ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر علىٰ هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره علىٰ مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها علىٰ من قدر علىٰ ذلك، ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلىٰ ولي الأمر إذا لم تترتب علىٰ ذلك مفسدة. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٢٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم علىٰ المسلم، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦/ ٢٨٣]، وآخره أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٨٢] كتاب الأدب، باب في الغيبة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٢، ٩٤، ٨/ ٢٥]، والألباني في إرواء الغليل [٨/ ٩٩]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢١٩، ٨/ ٥٠].

(٤) قوله ﷺ: «التقوى ههنا» ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات: معنى الرواية أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله ـ تعالىٰ ـ وخشيته ومراقبته، ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك علىٰ ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله ورؤيته محيط بكل شيء. ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من نحو قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة. . . .» الحديث، قال المازري: واحتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ أن العقل في القلب لا في الرأس. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ٩٩] =

ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». وفيه بيان أنواع أُخر كالتحاسد ونحوها.

والنجش: أن يزيد في ثمن سلعة ينادى عليها ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يغر غيره، وهذا حرام.

والتدابر: أن يعرض عن إنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء ظهره ودبره.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يُحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)].

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعاً: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره»[(٢)].

وفيه ذكر أحد نوعي المصالح المحبوبة، وهي النصرة وتقوية اليد والإعانة والإغاثة سواء كان ظالماً أو مظلوماً.

وفي قوله: «انصر أخاك ظالماً» إشعار بأن الأخذ علىٰ يده نصر له، وحينئذ سهل الأمر علىٰ الآخذ والظالم، وبسط الصدر لهم وأشباه هذا مما يندب لو عبر عنه بغير ذلك.

وروينا في الصحيحين[(٣)] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «حق المسلم علىٰ

=
طبعة دار الكتب العلمية».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣] كتاب الإيمان، [٧] باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٤٥)] كتاب الإيمان، [١٧] باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والترمذي [٢٥١٥] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والنسائي [٨/ ١١٥، ١٢٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٦، ٢٧٦، ٢٧٨]، وابن ماجه في سننه [٦٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٥٧٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٤٣]، [٢٤٤٤] كتاب المظالم، [٤] باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ورقم [٦٩٥٢] كتاب الإكراه، [٧] باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، والترمذي [٢٢٨٢]، وأحمد في مسنده [٣/ ٩٩، ٢٠١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٩٤، ١٠/ ٩٠]، وابن حبان في صحيحه [١٨٤٧ ـ الموارد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٩٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٩١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٧/ ٢٦٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٠٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٤٠] كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه [٤ ـ (٢١٦٢)] كتاب السلام، [٣] باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في =

المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

وفي رواية لمسلم: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته [(١)]، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» [(٢)]، وفيه بيان الحقوق الإلزامية السارة تعاطيها.

وروينا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار المقسم [(٣)] ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام، ونهانا عن خواتيم أو تختم الذهب وعن شرب بالفضة وعن المياثر الحُمُر وعن القسي وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج " [(٤)] وفي رواية: " وإنشاد الضالة " في السبع الأول .

= مسنده [٢/ ٥٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٨٦]، والتبريزي في المشكاة [١٥٢٤].

(١) قال ثعلب: يقال سمت العاطس وشمته إذا دعوت له بالهدى وقصد السمت المستقيم، قال: والأصل فيه السين المهملة فقلبت شيناً معجمة، وقال صاحب المحكم: تسميت العاطس معناه هداك الله إلى السمت.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢١٦٢)] كتاب السلام، [٣] باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٤٧، ١٠/ ١٠٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٢٦، ٤/ ٣١٧] ، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٢٥].

(٣) إبرار القسم فهو سنة أيضاً مستحبة متأكدة، وإنما يندب إليه إذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر أو نحو ذلك، فإن كان شيء من هذا لم يبر قسمه كما ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه لما عبر الرؤيا بحضرة النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» فقال: أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني، فقال: «لا تقسم» ولم يخبره، وأما نصر المظلوم فمن فروض الكفاية وهو من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما يتوجه الأمر به على من قدر عليه ولم يخف ضرراً. "النووي في شرح مسلم [١٤/ ٢٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٣٩] كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، وفي أرقام [٢٤٤٥، ٥١٧٥، ٥٦٣٥، ٥٦٥٠، ٥٨٣٨]، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (٢٠٦٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل وإباحته للنساء، وإباحة العَلَم ونحوه للرجال ما لم يزد على أربع أصابع، والترمذي في سننه [٢٨٠٩] كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية لبس المعصفر للرجل والقسي، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٨٤، ٢٩٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٣٥].

المياثر: جمع ميثرة، وهي شيء يتخذ من حرير ويحشى قطناً أو غيره، ويجعل في السرج وكور البعير، يجلس عليه الراكب.

والقَسِّي: بفتح القاف وكسرْ السين المهملة المشدده، وهي ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين، وإنشاد الضالة: تعريفها.

مجلس في ستر عورة المسلمين والنهي عن إشاعتها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (١).

وفيها تهديد بليغ للذين يحبون أن تظهر الفاحشة وتشيع، فما ظنك بمن يشيعها.

ومعنى العورة: العيب والتقص وكل ما يسوء ويستحيا منه، وكل ظل متخوف منه.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (٢).

وفيه الترغيب في الستر (٣) والتنفير من أن يهتك أحد ستر أحد، وما أذن الشرع في هتكه فيستثنى بدليله.

وروينا في الصحيحين أيضاً عنه مرفوعاً: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة (٤) أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه» (٥)

---

(١) سورة النور [١٩].
هذا تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقالم بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ١٩] أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [النُّور: ١٩] أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٢٨٣]".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧١ـ(٢٥٩٠)]، [٧٢] كتاب البر والصلة والآداب، [٢١] باب بشارة من ستر الله ـ تعالىٰ ـ عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٤]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٨٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٣٧]، والزيلعي في نصب الراية [٣/ ٣٠٧].

(٣) قوله ﷺ: «لا يستر عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» قال القاضي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف، والثاني: ترك محاسبته عليها وترك ذكرها، قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر يقرره بذنوبه، يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. "النووي في شرح مسلم [١١٨/١٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) بالأصل في البخاري «وإن من المجانة».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٩] كتاب الأدب، [٦٠] باب ستر المؤمن علىٰ نفسه، ومسلم =

وهو دال علىٰ التنفير من هتك الأستار.

ورويناه في الصحيحين أيضاً من حديثه مرفوعاً: «إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر»[1] ففيه النهي عن التثريب وهو التوبيخ والتقبيح والتعيير البليغ، والاستقصاء في اللوم.

ورويناه في صحيح البخاري عنه أيضاً قال: «أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب قال: «اضربوه» قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «لا تقولوا هكذا؛ لا تعينوا عليه الشيطان»[2].

ففيه النهي عن شتم الآثم وإخزائه المعين للشيطان عليه، إذ يجد طريقاً إلىٰ تبغيض المؤمنين له، وتبغيض مجالسهم ومجامعهم إليه، بل أن يروه أو يراهم، وربما جرَّه ذلك إلىٰ صحبة الأشرار الفُجَّار، ويتعذر الفلاح حينئذ.

فمدار الأحاديث إذن علىٰ إمساك اللسان عن التلمظ بمضغة طال ما لفظها الكرام، وعن التعبير والإخزاء بها.

= في صحيحه [٥٢ ـ (٢٩٩٠)] كتاب الزهد والرقاق، [٨] باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٢٢٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٣٠]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٧٢، ٨/ ٥٧٢]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ٣٣٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٣٩] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٢٣] باب لا يثرب علىٰ الأمة إذا زنت ولا تنفى، ومسلم في صحيحه [٣٠ ـ (١٧٠٣)] كتاب الحدود، [٦] باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، وأبو داود [٤٤٧٠]، والترمذي [١٤٣٣]، وابن ماجه [٢٥٦٦]، وأحمد في مسنده [٦/ ٦٥، ٢/ ٢٤٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٢٤٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٧٧] كتاب الحدود، [٥] باب الضرب بالجريد والنعال، ورقم [٦٧٨١] كتاب الحدود، [٦] باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، وأبو داود في سننه [٤٤٧٧] كتاب الحدود، باب الحد في الخمر، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٣٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٤/ ٢٥٦]، والتبريزي في المشكاة [١٦٢١].

مجلس في قضاء حوائج المسلمين

قال تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [1]

أمر الله ـ تعالىٰ ـ بذلك، والخير يُفسر بصلة الرحم ومكارم الأخلاق.

وقد روينا في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «المسلم أخو المسلم»[2] إلىٰ آخره، سلف قريباً في تعظيم حرمات المسلمين.

وروينا في صحيح مسلم[3] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر علىٰ معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلىٰ الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة [4] وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [5].

---

(١) سورة الحج [٧٧].

(٢) تقدم تخريجه من قبل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٦٩٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي في سننه [١٤٢٥]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٢]، والحاكم في المستدرك [٤/ ٣٨٣]، والشجري في أماليه [٢/ ١٧٩، ١٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٠٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٩٣].

(٤) قيل: المراد بالسكينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض وهو ضعيف لعطف الرحمة عليه، وقيل: الطمأنينة والوقار وهو أحسن، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ ويدل عليه الحديث الذي بعده، فإنه مطلق يتناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج علىٰ الغالب لاسيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يعمل به. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) قوله: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» معناه من كان عمله ناقصاً لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال، فينبغي أن لا يتكل علىٰ شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل.

ومدار الحديثين علىٰ مهمين: الترغيب بمضمون تحريهم وصفهم في دفع المكاره عن الإخوان، وجلب المسار إليهم، وذكر أنواع ذلك وأهله ومحله، ففي الحديث الأول التهييج وإثارة الرحمة، وبيان الأهل والمحل بقوله: «المسلم أخو المسلم»[1].

وفيه الترغيب بأن يدان المسلم كما دان، وبيان أنواع من الخير كالسعي في حوائج الإخوان، وبعد تفريج الكرب وستر المسلم، ففي التدريج رفع الألام والستر، ودفع الفضائح وإبقاء الرجاء للممات.

وفي الثاني تقديم التنفيس لأنه أهم في بعض الأشخاص أو بعض الأحوال إذ ضيق الحال لا قرار معه، وأردفه بالتيسير علىٰ المعسر؛ لأن الإعسار كربة، ثم أردفه بالستر والمعاونة، وهي السعي في الحاجات، ثم ختم ذلك بطلب العلم والاجتماع علىٰ التلاوة والتدارس، وهو أهم الحاجات.

---

(١) قال النووي في هذا الحديث: في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته، وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر علىٰ ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلىٰ ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر علىٰ هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره علىٰ مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها علىٰ من قدر علىٰ ذلك، ولا يحل تأخيرها.
"النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١١] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في الشفاعة

قال تعالىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ (١)

وهي التي روعي فيها حق المسلم، ورفع عنه بها شر أو جلب إليه بها خيراً، وابتغى بها وجه الله، ولم يؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله، ولا في حق من الحقوق، والسُّنَّة ما كان بخلاف ذلك.

وقيل الشفاعة الحسنة (٢): الدعوة للمسلم، والنصيب قول الملك: ولك بمثل، والسيئة الدعاء عليه، واللبيب متيقظ لحكم القرآن فيقدم علىٰ ما يسوغ ويحجم عن ضره غير غرّ ولا متغافل، وذكر النصيب في الخير والكفل في الشر من باب اليقين في البلاغة، ولا يصح أن يقال إن الكفل في الشر، فقد قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ (٣).

ورويناً في الصحيحين (٤) من حديث أبي موسى الأشعري قال: " كان رسول

---

(١) سورة النساء [٨٥].
أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النِّساء: ٨٥] أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب علىٰ سعيه ونيته كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما شاء» وقال مجاهد بن جبر: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض. "تفسير ابن كثير [١/ ٥٣١]".

(٢) في الحديث الآتي: «اشفعوا فلتؤجروا. . .» الحديث، قال النووي: فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلىٰ سلطان ووال ونحوهما أم إلىٰ أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلىٰ سلطان في كف ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق أو نحو ذلك فهي حرام. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٦]".

(٣) سورة الحديد [٢٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٣٢] كتاب الزكاة، باب التحريض علىٰ الصدقة والشفاعة فيها، ومسلم في صحيحه [١٤٥ ـ (٢٦٢٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٤] باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، وأبو داود في سننه [٥١٣٢]، والنسائي [٥/ ٧٨ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٤/ ٤٠٤، ٤٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩٥٦].

الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل علىٰ جلسائه فقال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علىٰ لسان نبيه ما أحب» وفي لفظ «ما شاء».

ورويْنا في صحيح البخاري من حديث ابن عباس في قصة بريرة وزوجها قال: قال لها رسول الله ﷺ: «لو راجعتيه» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنما أشفع» قالت: لا حاجة لي فيه. (١) ومدار هذين الحديثين علىٰ الترغيب في الشفاعة(٢) بالقول والفعل، وعلى بيان أنواعها بطلب الشافع، وطلب كل أحد لها، وفي كل محل وعند كل أحد وإيضاح العذر عند المنع، ثم المطلوب منه شفاعة تقبل لا مطلق الشفاعة وعلى أن المشفوع عنده بالخيار إن شاء قبل، وإن شاء رد.

وعلى أن الرد لا ينقص من الشافع ولا من أجره، فعفى الله عن بريرة كيف حمل قلبها رد شفاعة سيد الأولين والآخرين، لا (امترى) (*) لو قبلت ذلك لقلب الله قلبها (راجسة) (*) وبورك لها فيه، واغتبطت به، لكن الله جعل ذلك ليسهل بعده علىٰ كل شافع رد من رده، ففيمن شفع عندها أُسوة حسنة وعذرها متلمح من قولها: أتأمرني؟ فلم يقل: نعم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه [٥٢٨٣] كتاب الطلاق، [١٦] باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، والطبراني في المعجم الكبير [١١/ ٣٤٥].

(٢) في إعتاق بريرة فيما رواه مسلم [١٠ ـ (١٥٠٤)]، [١١, ١٢، ١٤] كتاب العتق، [٢] باب إنما الولاء لمن أعتق، وفيه أن النبي ﷺ خير بريرة في فسخ نكاحها، وقال النووي: وأجمعت الأمة علىٰ أنها إذا أعتقت كلها تحت زوجها وهو عبد كان لها الخيار في فسخ النكاح، فإن كان حراً فلا خيار لها عند مالك والشافعي والجمهور، وقال أبو حنيفة: لها الخيار، واحتج برواية من روى أنه كان زوجها حراً، والروايات المشهورة في صحيح مسلم وغيره أن زوجها كان عبداً، ورواية من روى أنه كان حراً غلط وشاذة مردودة لمخالفتها المعروف من روايات الثقات، ويؤيده قول عائشة: " كان عبداً، ولو كان حراً لم يخيرها " وفي فوائد الحديث قال النووي: فيه ثبوت الخيار للأمة إذا أعتقت تحت عبد، وفيه جواز الشفاعة من الحاكم إلىٰ المحكوم له للمحكوم عليه، وجواز الشفاعة إلىٰ المرأة في البقاء مع زوجها، وفيه لها الفسخ بعتقها وإن تضرر الزوج بذلك لشدة حبه إياها. . . . إلىٰ آخره. "مختصراً من شرح مسلم للنووي [١٠/ ١٢٠، ١٢٣]".

(*) كذا بالأصل.

مجلس في الإصلاح بين الناس

قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١)

ففيه أن الأمر بالإصلاح فيه خير، وإن من عمله ابتغاء مرضات الله سوف يؤتيه أجراً عظيماً.

وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٢)

ففيها الأمر بإصلاح (٣) الأحوال التي هي ذات البين حتىٰ تكون أحوال أُلفة ومحبة واتفاق واتحاد وتواخ في الله، وتواس فيما رزق الله.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (٤)

فالإيمان عقد بين أهله من النسب والسبب ما لا ينقص عن عقد الأخوة، ثم العادة السعي البليغ في الإصلاح بين أخوة الولادة، فالأخوة في الدين أولى بذلك، وأشد منه.

فالآية الأولى أمره بالصلاح، وفي الثانية وقوعه، والثالثة والرابعة الأمر بإصلاح ذات البين وبالإصلاح بين الأخوين.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كل سُلاَمَي (٥) من الناس

---

(١) سورة النساء [١١٤].

يعني كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الآية، أي إلا نجوى من قال ذلك فيما رواه ابن مردويه بسنده عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله ﷻ أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر». "تفسير ابن كثير [١/ ٥٥٤]".

(٢) سورة الأنفال [١].

(٣) قوله تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أي واتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظلموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا؛ فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه، وقال السدي: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أي لا تستبوا. "تفسير ابن كثير[٢/ ٢٩١]".

(٤) سورة الحجرات [١٠].

(٥) السلامي: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وهو المفصل وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء، وفي القاموس: السلامي كحبارى، عظام صغار طول الأصبع في اليد والرجل وجمعه سلاميات.

عليهم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، وترفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلىٰ الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة حتىٰ تعدل بينهما تصلح بينهما يصلح بينهما بالعدل»[1].

وروينا فيهما عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مرفوعاً: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً»[2].

ولمسلم زيادة: " ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ".

وروينا فيهما من حديث عائشة قالت: " سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[3] في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما فقال: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف؟» قال: أنا يا رسول الله، فله أيَّ ذلك أحب "[4].

معنى يستوضعه: يسأله أن يضع عنه بعض دينه. ويسترفقه: يسأله الرفق. والمتألي: الحالف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٠٧] كتاب الصلح، [١١] باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، ورقم [٢٨٩١] كتاب الجهاد والسير، [٧٢] باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، ورقم [٢٩٨٩] كتاب الجهاد والسير، [١٢٨] باب من أخذ بالركاب ونحوه، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (١٠٠٩)] كتاب الزكاة، [١٦] باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، وأحمد في مسنده [٢/٣١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/١٨٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٩٢] كتاب الصلح، [٢] باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (٢٦٠٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٧] باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/١٩٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٥، ٥٠٣١]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٢/ ٧٥].

(٣) قوله: "وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه" أي يطلب منه أن يضع عنه بعض الدين ويرفق به في الاستيفاء والمطالبة، وفي هذا الحديث دليل علىٰ أنه لا بأس بمثل هذا ولكن بشرط أن لا ينتهي إلىٰ الإلحاح وإهانة النفس أو الإيذاء ونحو ذلك إلا من ضرورة، والله أعلم، وقوله: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف؟» قال: "أنا يا رسول الله وله أيَّ ذلك أحب" المتألي الحالف والآلية اليمين وفي هذا كراهة الحلف علىٰ ترك الخير وإنكار ذلك، وأنه يستحب لمن حلف لا يفعل خيراً أن يحنث فيكفر عن يمينه، وفيه الشفاعة إلىٰ أصحاب الحقوق وقبول الشفاعة في الخير. "النووي في شرح مسلم [١٠/١٨٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٠٥] كتاب الصلح، [١٠] باب هل يشير الإمام بالصلح ؟ ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٥٥٧)] كتاب المساقاة، [٤] باب استحباب الوضع في الدين، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٠٥].

وروينا فيهما من حديث سهل بن سعد الساعدي: " أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج [١] رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه، فجلس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة، فجاء بلال إلىٰ أبي بكر فقال: يا أبا بكر، إن رسول الله قد حبس وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال وتقدم أبو بكر فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتىٰ وقف في الصلاة، وأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر الناس التفت، فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله، فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه [٢] حتىٰ قام في الصف، فتقدم رسول الله فصلى بالناس، فلما فرغ أقبل علىٰ الناس فقال: «أيها الناس ما لكم حين نابكم في الصلاة أخذتم بالتصفيح [٣] إنما التصفيح للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل سبحان الله» ثم التفت إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه فقال: «يا أبا بكر ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت عليك؟» قال أبو بكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ [٤].

---

(١) في هذا الحديث فضل الإصلاح بين الناس ومشي الإمام وغيره في ذلك وأن الإمام إذا تأخر عن الصلاة تقدم غيره إذا لم يخف فتنة، وإنكار من الإمام، وفي أن المقدم نيابة عن الإمام يكون أفضل القوم وأصلحهم لذلك الأمر وأقومهم به، وفيه أن المؤذن وغيره يعرض التقدم علىٰ الفاضل، وأن الفاضل يوافق. "النووي في شرح مسلم [٤/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) وفيه أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة لقوله: صفق الناس، وفيه جواز الالتفات في الصلاة للحاجة واستحباب حمد الله ـ تعالىٰ ـ لمن تجددت له نعمة ورفع اليدين بالدعاء، وفعل ذلك الحمد والدعاء عقب النعمة، وإن كان في صلاة، وفيه جواز مشي الخطوة والخطوتين في الصلاة، وفي أن هذا القدر لا يكره إذا كان لحاجة، وفيه جواز استخلاف المصلي بالقوم من يتم الصلاة لهم. "المرجع السابق [٤/ ١٢٢]".

(٣) التصفيح: في النهاية: التصفيح والتصفيق واحد وهو من ضرب صفحة الكف علىٰ صفحة الكف الآخر، وقال النووي: التصفيح أن تضرب المرأة بطن كفها الأيمن علىٰ ظهر كفها الأيسر ولا تضرب بطن كف علىٰ بطن كف علىٰ وجه اللعب واللهو فإن فعلت هكذا علىٰ جهة اللعب بطلت صلاتها لمنافاته الصلاة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢١٨] كتاب العمل في الصلاة، [١٦] باب رفع الأيدي في الصلاة لأمر ينزل به، ورقم [٢٦٩٠] كتاب الصلح، [١] باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، وأبو داود في سننه [٩٤٠] كتاب الصلاة، باب التصفيق في الصلاة، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢١٥].

في هذا الحديث أن التابع إذا أمره المتبوع بشيء وفهم منه إكرامه بذلك الشيء لا تحتم الفعل، فله أن يتركه، ولا يكون هذا مخالفة للأمر بل يكون أدباً وتواضعاً وتحذقاً في فهم المقاصد، وفيه ملازمة الأدب مع الكبار، وفيه أن السنة لمن نابه شيء في صلاته كإعلام من يستأذن عليه، وتنبيه =

ومعنى حُبِسَ: أمسكوه ليضيفوه، ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان أُجرة المُرغِّب فيه وأهله ومحله وشرطه وتوسع الطريق الموصل إليه، وأن الآلية لا تمنع منه، وأن المصالح عليه أنواع، وحسن الانقياد إليه وأنه من لسان الشارع حتىٰ يمضي إليه وإن بَعُدَ عن أهله وجماعة مسجده.

وفي الحديث الأول أن أهله كل ذي سلامى ولا يعمهم مثله، وأن محله كل اثنين فأكثر، وإن شرطه أن يكون بالقول، فلا يحل حراماً، ولا يُحَرِّم حلالاً، فإنه صدقة يرغب فيها طالب فكاكه من النار.

وفي الثاني أنها محبوبة للشرع حتىٰ أباح من أهله ما هو حرام في غيره من أقوال خير لم تكن مطابقة ونفى شرعاً أن يكون قائلها كذاباً.

وفي الثالث قوله: «أين المتألي علىٰ الله لا يفعل المعروف» وإن صاحب الحق قادر لإجابة خصمه، وأن المطلوب كان وضع بعض الدين إبراء، والإمهال والتيسير ترفقاً.

وفي الرابع خروجه ﷺ مع ناس للإصلاح، واحتباسه عندهم حتىٰ حانت الصلاة ودخل فيها الناس.

= الإمام وغير ذلك.

شرح مسلم للنووي [٤/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين

والإجابة إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ (٢) وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨] (٣)

ففيها الأمر بخفض الجناح وصبر النفس معهم، ومثل ذلك كل وداد وتأنيس (٤)

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾ (٥)

قلت: ويلتحق بهما كل إيذاء وتضييق.

وقال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [المَاعون: ١]

إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ (٦)

---

(١) سورة الحجر [٨٨].

(٢) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، ويقال إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم وضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس علىٰ حدة، فنهاه الله عن ذلك. تفسير ابن كثير [٣/ ٨٢].

(٣) سورة الكهف [٢٨].

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤٥ ـ (٢٤١٣)] كتاب فضائل الصحابة [٥] باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن سعد بن أبي وقاص: فيَّ نزلت ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الأنعَام: ٥٢] قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تُدني هؤلاء، وفي رقم [٤٦] فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الأنعَام: ٥٢].

(٥) سور الضحى [٩، ١٠].

(٦) يقول تعالىٰ: أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين، وهو المعاد والجزاء والثواب ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢﴾ [المَاعون: ٢] أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣﴾ [المـاعون: ٣] كما قال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ =

قلت: ويلتحق بالحض على طعام المسكين كل إحسان ومعروف.

ولنذكر أحاديث مشتملة على حفظ قلوب الضعفة، والقيام بمصالحهم قدر الإمكان، وترك المشقة عليهم ورعاية فضلهم وبركتهم مع بيان مجاري ذلك، وما يغري به أو يحذر من تركه وما يترجح عند التعارض، وما يخشى أن يكون منافياً، وما يستدرك به المنافي ونحو ذلك.

روينا في صحيح مسلم [١] من حديث سعد بن أبي وقاص قال: " كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] . [٢]"

ففيه حفظ قلوب الضعفة بترك طردهم، وروينا فيه أيضاً من حديث أبي هبيرة عائذ بن عمرو المزني، وهو من أهل بيعة الرضوان: " أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها[٣]، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؛ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي. [٤]"

= ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٥٤]".

(١) تقدم قريباً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف: ٢٨]، وقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي يعبدونه ويسألونه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ . "تفسير ابن كثير [٢/ ١٣٧]".

(٣) قوله: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ضبطوه بوجهين: أحدهما بالقصر وفتح الخاء، والثاني: بالمد وكسرها وكلاهما صحيح، وهذا الإتيان لأبي سفيان كان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية، وفي هذا فضيلة ظاهرة لسلمان ورفقته هؤلاء، وفيه مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الدين وإكرامهم وملاطفتهم. "النووي في شرح مسلم [١٦/ ٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٠ ـ (٢٥٠٤)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٢] باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال ، وأحمد في مسنده [٥/ ٦٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٨]، =

معنى قوله مأخذها: أي لم تستوف حقها منه، وفيه حفظ قلوب الضعفة بترك إغضابهم.

وروينا في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، فرج بينهما شيئاً (١).

وكافل اليتيم القائم بأموره، ففيه القيام بمصالح الأيتام وأمرهم.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى (٢).

وقوله: «اليتيم له أو لغيره» معناه قريبه أو الأجنبي منه، فالقريب مثل أن يكون تكفُلُه أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من أقربائه.

وروينا في صحيح البخاري من حديثه مرفوعاً أيضاً: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف» (٣)، وفي رواية لهما: «لكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطَنُ به فيُتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس» (٤).

= والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٠٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣٤٦]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٤٣٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٠٤] كتاب الطلاق، [٢٥] باب اللعان، ورقم [٦٠٠٥] كتاب الأدب، [٢٤] باب فضل من يعول يتيماً، وعن أبي هريرة في مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٩٨٣)] كتاب الزهد والرقاق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، وأبو داود في سننه [٥١٥٠] كتاب الأدب، باب في مَن ضم اليتيم، والترمذي في سننه [١٩١٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢١٣، ٨/ ٣٥١].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٩٨٣)] كتاب الزهد والرقائق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٣٩] كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، [٤٨] باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، ومسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه، وأبو داود [١٦٣١، ١٦٣٢]، والنسائي [٥/ ٨٥ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٩٥، ٧/ ١١]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٧٢]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٥٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٢٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٧٩] كتاب الزكاة، [٥٥] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] =

قلت: فمثل هذا يبادر إلىٰ القيام بمصلحته.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» أحسبه قال: «وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر» (١).

قلت: فالقيام والسعي عليها أشرف العبادات وأدومها.

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعاً: «شر الطعام طعام الوليمة؛ يُمْنَعُها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» (٢) وفي رواية له وللبخاري من قوله: «بئس الطعام طعام الوليمة؛ يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء» (٣).

وفيه أن القيام في الضيافات بالفقراء أهم من الأغنياء أو مثله.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أنس مرفوعاً: «من عال جاريتين حتىٰ يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه. (٤)

والمراد جاريتين أي بنتين، وفيه القيام بهما حتىٰ يبلغا.

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: " دخلت عليَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء(٥)

= باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٠٧] كتاب الأدب، [٢٦] باب الساعي علىٰ المسكين، ومسلم في صحيحه [٤١ ـ (٢٩٨٢)] كتاب الزهد والرقائق، [٢] باب الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، والترمذي في سننه [١٩٦٩] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في السعي علىٰ الأرملة واليتيم، والنسائي [٥/ ٨٧ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٦١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٥٩٢]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٤٧ ـ الموارد].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٠ ـ (١٤٣٢)] كتاب النكاح، [١٦] باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوة، وأبو داود في سننه [٣٧٤٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٧، ٤٠٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ١٩١، ٢٦٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٥٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (١٤٣٢)] كتاب النكاح، [١٦] باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوته، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٦٧].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٩ ـ (٢٦٣١)] كتاب البر والصلة، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٦٤].

(٥) قوله ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء» إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل: ٥٨] ، وقوله: «من =

فأحسن إليهن كنَّ له ستراً من النار» ".[1]

وفيه الإحسان إلىٰ البنات علىٰ الإطلاق، ولو بتمرة أو بشق تمرة.

وروينا في صحيح مسلم من حديثها أيضا قالت: " جاءتني جارية تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلىٰ فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»[2] وفيه إيثار البنات علىٰ البنين.

وروينا في النسائي بإسناد جيد من حديث أبي شريح خويلد بن عمر الخزاعي[3] مرفوعاً: «اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»[4].

معنى أُحرِّج: الحرج وهو الإثم لمن ضيَّع حقهما وأحذر من ذلك تحذيراً بالغاً، وأزجر عنه زجراً أكيداً، فإنه ليس من الشفقة والرحمة تضييع حق لأحد منهما، وخصم من يفعل ذلك هو الله.

وروينا في صحيح البخاري من حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: "رأى سعد أن له فضلاً علىٰ من دونه فقال النبي ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟» "[5] كذا رواه البخاري مرسلا، فإن مصعب بن سعد تابعي، ورواه

= عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه، ومعنى عالهما: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما، مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه «ابدأ بمن تعول»، ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين "النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٧، ١٤٨] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩٥] كتاب الأدب، [٨] باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٢٦٢٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والتبريزي في المشكاة [٤٩٤٩]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٣٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (٢٦٣٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٦] باب فضل الإحسان إلىٰ البنات، وأحمد في مسنده [٦/ ٩٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٦]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٣٨]، والقرطبي في تفسيره [١٠/ ١١٨].

(٣) خويلد بن عمرو، أبو شريح مشهور بكنيته الخزاعي الكعبي العدوي، صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٦٨]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ١٧١]، تقريب التهذيب [١/ ٢٢٩، ٢/ ٤٣٤]، تاريخ البخاري الكبير [٣/ ٢٢٤]، تاريخ البخاري الصغير [١/ ١٦٠]، الجرح والتعديل [٣/ ١٨٢٨]، الاستيعاب [٢/ ٤٥٥]، الإصابة [٢/ ٣٥٠]، الثقات [٣/ ١١٠].

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه [٣٦٧٨]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٣٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٨٩٦] كتاب الجهاد والسير، [٧٦] باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٣]، والطبراني في المعجم الصغير [١/ ٣٨]، =

البرقاني متصلا عن مصعب عن أبيه.

ورويـنـا فـي سـنـن أبـي داود بـإسـنـاد جـيـد مـن حـديـث أبـي الـدرداء عـويـمـر مرفوعاً: «ابغوني الضعفاء فإنما تُرزقون وتُنصرون بِضعفائكم»(١).

ففيه تعريف من يجهل أمر الضعفة بركتهم علىٰ الموجود وفضلهم علىٰ كل موجود بفضل رعاية الله العظيم لهم، ونظره إليهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾(٢) وغيرِ خاف من هذه الأحاديث من بيان مجاري اللطف والإحسان وصفته، وبيان المرغِّبات في ذلك، وأكد زجر من تركه، ودفع الصوارف عنه بسؤال الصناديد طرد الفقراء، وسهل مناولة ذلك، ومزيل نقيضه، والدوام عليه، وأرجحيته علىٰ نحو الصيام والقيام، وما يخشى أن يكون منافياً، وما يستدرك به وأشباه ذلك.

= وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ٢٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٤٩]، والتبريزي في في مشكاة المصابيح [٥٢٣٢]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٩٧]، والقرطبي في تفسيره [٣/ ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٤٣].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٩٤] كتاب الجهاد، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة، والنسائي [٦/ ٤٦ ـ المجتبى]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٤٥، ٦/ ٣٣١]، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٠٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [١٠/ ٤٣]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٧٧٩].

(٢) سورة الفتح [٢٥].

مجلس في الوصية بالنساء

قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ (1) فأمر بذلك.

وقال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ الآية (2)

ففيها أن ذلك علىٰ التشديد والمقاربة، والنهي عن كل ميل.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» (3).

وفي رواية لهما: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»(4).

قوله: «على عوج» هو بفتح العين والواو فيه تكرار الوصية التي لا تُرَدّ، وإقامة العذر بأن الاعوجاج ضروري فيهن، وذاتي لهن، والإياس من واحدة منهن مستقيمة، وأن محاولة الإقامة مجرد عناء، ولا تفضي إلا إلىٰ الكسر، وأن الاستمتاع بهنَّ متأت

---

(1) سورة النساء [19].
أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيآتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله.

(2) سورة النساء [129].
أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك. "تفسير ابن كثير [1/ 564]".

(3) أخرجه البخاري في صحيحه [5186] كتاب النكاح، [81] باب الوصاة بالنساء، ومسلم في صحيحه [60 ـ (1468)] كتاب الرضاع، [18] باب الوصية بالنساء، والمنذري في الترغيب والترهيب [3/ 50]، والبيهقي في السنن الكبرى [7/ 295]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [3238]، والزبيدي في الإتحاف [5/ 360]، وابن أبي شيبة في مصنفه [5/ 276]، والسيوطي في الدر المنثور [2/ 156].

(4) أخرجه البخاري في صحيحه [5184] كتاب النكاح، [80] باب المداراة مع النساء، وقول النبي ﷺ: «إنما المرأة كالضلع»، ومسلم في صحيحه [65 ـ (1468)] كتاب الرضاع، [18] باب الوصية بالنساء، وأحمد في مسنده [6/ 279، 2/ 428]، والهيثمي في مجمع الزوائد [4/ 303]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [2/ 47].

مع ذلك أحسن التأتي، فليستسهل غيره.

وروينا في الصحيحين أيضاً من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنهما: أنه سمع النبي ﷺ يقول وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: ١٢] انبعث لها عزيز رجل عارم منيع في رهطه»[١]، ثم ذكر النساء فوعظ فيهن فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فعلها يضاجعها من آخر يومه» ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال: «إلام يضحك أحدكم مما يفعل»[٢].

ومعنى انبعث: قام بسرعة، والعارم: بالعين المهملة والراء: الشرير المفسد، وفيه التنبيه علىٰ منافاة مضاجعتهن وملاطفتهن لمجافاتهن وجلدهن والإغلاظ عليهن.

وفيه منع العرامة[٣] والجراءة علىٰ إماء الله، والاستهانة بميثاقهنَّ الغليظ، وهو الموقع في الشقاء والتعب.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره»[٤] معنى يفرك: يبغض، يقال فرِكت المرأة زوجها وفرِكها زوجها بكسر الراء يفرَكها بفتحها: أبغضها، وفيه أن المؤمن لا بد وأن يجد في المؤمنة ما يرضيه، فيخبر به ما يكرهه ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وإذا المحب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٤٢] كتاب تفسير القرآن، من سورة والشمس وضحاها، ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٨٥٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، والترمذي في سننه [٣٣٤٣] كتاب تفسير القرآن، باب من سورة والشمس وضحاها، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٥٧].

(٢) تقدم تخريجه قبل هذا، وقال النووي: قوله ﷺ: «عزيز عارم» العارم بالعين المهملة والراء، قال أهل اللغة: هو الشرير المفسد الخبيث، وقيل: القوي الشرس، وقد عرُم بضم الراء وفتحها وكسرها عرامة بفتح العين وعراماً بضمها فهو عارم وعرم، وفي هذا الحديث النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب، وفيه النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره بل ينبغي أن يتغافل عنها ويستمر علىٰ حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره، ويظهر أنه لم يسمع، وفيه حسن الأدب والمعاشرة. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٥]".

(٣) عرم: فلان عرامة: شرس واشتد.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦١ ـ (١٤٦٩)] كتاب الرضاع، [١٨] باب الوصية بالنساء، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٢٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٠]، والتبريزي في المشكاة [٣٢٤٠].

وروينا في جامع الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص [(١)] الجشمي: أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا، ألا إن لكم علىٰ نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم علىٰ نسائكم فلا يوطئن فرشكم مَنْ تكرهون، ولا يأذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» [(٢)].

معنى عوان: أسيرات جمع عانية بالعين المهملة وهي الأسيرة، والعاني الأسير، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير، والضرب المبرح هو الشاق الشديد [(٣)].

ومعنى فلا تبغوا عليهن سبيلاً: لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن، وتؤذوهنَّ به، فقد اشتمل علىٰ بيان أمور: أحدها: إن الذي يملكه الزوج حبسها علىٰ طاعته ويجب حكمه.

ثانيها: أنه يؤدب بقدر الحاجة من غير تبريح.

ثالثها: أن الإتيان بالفاحشة المبينة، أي التي لا يحتمل التأويل يؤدبن عليه.

رابعها: أن طاعتهن إذا وجدت انتفى السبيل عليهن.

---

(١) عمرو بن الأحوص أبو سليمان الجشمي الكيلاني الأزدي، صحابي له حديث في حجة الوداع، أخرج له أصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٢]، تقريب التهذيب [٢/ ٦٥]، الكاشف [٢/ ٣٢٣]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ١٦٩]، الجرح والتعديل [٦/ ٦٤٠]، ميزان الاعتدال [٣/ ٢١٠]، المغني [٤٤٩٩]، تراجم الأحبار [٢/ ٥٥٤]، الوافي بالوفيات [٢٢/ ٥٠٢].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦٣] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ الزوج، ورقم [٣٠٨٧] كتاب تفسير القرآن، من سورة التوبة، وابن ماجه في سننه [١٨٥١] كتاب النكاح، [٣] باب حق المرأة علىٰ الزوج، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٦]، والقرطبي في تفسيره [٥/ ١٨٣]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٩٦].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤] . قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، وقال الحسن البصري: يعني غير مؤثر، قال الفقهاء: هو أن لا يكسر فيها عضواً ولا يؤثر فيها شيئاً. "تفسير ابن كثير [١/ ٤٩٢]".

خامسها: أن الحق المتوجه إليهن هو العفة والصيانة وحفظ الغيب.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث معاوية بن حيدة (١) قال: "قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت " أو اكتسيت " ولا تضرب الوجه ولا تُقبِّح ولا تهجر إلا في البيت» (٢).

ومعنى لا تقبح: لا تقول قَبَّحَكَ الله، وفيه بيان ما يجب من حقوقهن، ومجامعة الكفاية وكف الأذى بيد أو لسان أو جفاء، فيواسيها بما يسوغ شرعاً ومروءة. وروينا في جامع الترمذي مصححاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» (٣).

قلت: وهذا بيان منه ـ عليه السلام ـ علىٰ الدرجات.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء علىٰ أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم» (٤).

---

(١) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، جد بهز بن حكيم، الليثي، صحابي نزل البصرة ومات بخراسان، أخرج له البخاري تعليقاً وأصحاب السنن. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ٢٠٥]، تقريب التهذيب [٢/ ٢٥٩]، الكاشف [٣/ ١٥٦]، تاريخ البخاري الكبير [٧/ ٣٢٩]، الجرح والتعديل [٨/ ٣٧٦]، الثقات [٣/ ٣٧٤]، أسد الغابة [٥/ ٢٠٨، ٢١٤]، الاستيعاب [٣/ ٤١٥، ٤٢٥]، أسماء الصحابة [٧٥]، طبقات ابن سعد [٧/ ٣٥].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٢] كتاب النكاح، باب في حق المرأة علىٰ زوجها، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٠٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥١]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٢٧٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٩].

(٣) أخرجه الترمذي [١١٦٢] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها، وأبو داود في سننه [٤٦٨٢] كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٠، ٤٧٢]، والحاكم في المستدرك [١/ ٣]، والطبراني في الصغير [١/ ٢١٨]، وابن حبان في صحيحه [١٣١١، ١٩٢٦ ـ الموارد]، والهيثمي في المجمع [٤/ ٣٠٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/ ٢٤٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٦] كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٨٥] كتاب النكاح، [٥١] باب ضرب النساء، والدارمي في سننه [٢/ ١٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٣٠٤، ٣٠٥] ، والحاكم في المستدرك [٢/ ١٨٨، ١٩١]، وعبد الرزاق في =

معنى ذئرن: اجترأن، وأطاف: أحاط، فالذائرات يحتملن ويسامحن، ولا يؤذيهن خيار الناس وأشرافهم، بل شرارهم وأطرافهم.

وروينا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة». [(١)]

قلت: وهذا حسن بالغ، أعنى الخيرية، وتعميم الدنيا بما فيها، ومدار هذه الأحاديث إلىٰ بيان العناية الربانية بهن مع استحالة استقامتهن واستفتاح إهانتهن، وبيان الغرض المثالي والقدر المستفاد بالزواج وما تدعو الضرورة إليه من التأديب، وبيان العدل الواجب لهن، ومرتبة الفضل معهن وإن ذئرن، وبيان النعمة بهن وأشباه ذلك.

= مصنفه [١٧٩٤٥]، وابن حبان في صحيحه [١٣١٦ ـ الموارد]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ٢٠٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ ـ (١٤٦٧)] كتاب الرضاع، [١٧] باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.
والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤١]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٤/ ١٠١]، وابن كثير في تفسيره [٧/ ٣٧].

مجلس في حق الزوج على امرأته

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [1] الآية ففضله عليهن بما قام به من الكمال، وبما يكون منه من النوال، وأنه بذلك يستحق القوامية بالأمر المطاع والتدبير المرجوع إليه، ونحو هذا، كما يقدم الولاة على الرعايا والقنوت [2] ملازمة الطاعة والتذلل (والغيب) [3] النفس والمنزل والعيال وذات اليد.

والأحاديث في الباب كثيرة منها: حديث عمرو بن الأحوص السالف المجلس قبله.

ومنها: حديث أبي هريرة المرفوع: «إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح» [4] أخرجاه.

وفي رواية لهما: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح» [5]، وفي رواية: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلىٰ فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتىٰ يرضى عنها» [6].

---

(١) سورة النساء [٣٤].
أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء: ٣٤] أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم، لقوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري. "تفسير ابن كثير [١/ ٤٩١]".

(٢) القنوت: الطاعة. (٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٣] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، وأبو داود في سننه [٢١٤١]، وأحمد في مسنده [٢/ ٨٦، ٣/ ٥١٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩٢]، والدارمي في سننه [٢/ ١٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٤] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ومسلم في صحيحه [١٢٠ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢١ ـ (١٤٣٦)] كتاب النكاح، [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

قلت: وأي منفِّر أو محذر مثل هذا.

ومنها حديث أبي هريرة أيضاً مرفوعاً: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»[(١)] أخرجاه، واللفظ للبخاري، ووجهه أن الصوم يمنع الجماع شرعاً، وهذا في التطوعات.

ومنها: حديث ابن عمر مرفوعاً: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي علىٰ الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع علىٰ أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية علىٰ أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع علىٰ مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[(٢)] أخرجاه أيضاً، فليحذر من أن يضيع شيئاً من حقه أو تنتهك شيئاً من حرمته.

ومنها حديث أبي علي طلق بن علي مرفوعاً: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته، وإن كانت علىٰ التنور»[(٣)] أخرجه النسائي والترمذي وحَسَّنَهُ، وأي مبادرة وتأكيد طاعة كهذا.

ومنها: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[(٤)] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وفيه أن الزوج له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٥] كتاب النكاح، [٨٧] باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ١٣١، ٣/ ٥٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٩٣] كتاب الجمعة، [١١] باب الجمعة في القرى والمدن، ورقم [٢٤٠٩] كتاب الاستقراض وأداء الديون، [٢٠] باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ورقم [٢٥٥٤] كتاب العتق، [١٧] باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، ورقم [٢٥٥٨] في العتق، [١٩] باب العبد راع في مال سيده، ونسب النبي ﷺ المال إلىٰ السيد، ورقم [٢٧٥١] كتاب الوصايا، [٩] باب تأويل قول الله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾ [النساء: ١٢]، ورقم [٥١٨٨] كتاب النكاح، [٨٢] باب ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، ورقم [٥٢٠٠] كتاب النكاح، [٩١] باب المرأة راعية في بيت زوجها، ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (١٨٢٩)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث علىٰ الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، وأبو داود في سننه [٢٩٢٨] كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما يلزم الإمام من حق الرعية، والترمذي [١٧٠٥] كتاب الجهاد، باب ما جاء في الإمام، وأحمد في مسنده [٣/ ٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٧، ٧/ ٢٩١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦٠] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وابن حبان في صحيحه [١٢٩٥ ـ الموارد]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٢٩٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ٣٩٨].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٤٠] كتاب النكاح، باب في حق الزوج علىٰ المرأة، والترمذي في =

من المنزلة أن تسجد له المرأة ولولا أنه ممتنع شرعاً لأمرته، وأي تعظيم لأحد من الناس يداني هذا.

ومنها حديث أم سلمة مرفوعاً: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (١) رواه الترمذي وحسنه.

وما أكرم هذا الوعد وأيسر هذا الوعد، وأيسر هذا العمل، وأشرف هذه المنزلة.

ومنها: حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا» (٢) رواه الترمذي وحسنه.

وفيه تحذير المرأة من أن تدعو عليها زوجة زوجها من الحور العين، ويغتم له إذا أوذي، وفي إثارة هذا من الغيرة وخوف استجابة الله ـ تعالىٰ ـ ذلك الدعاء أبلغ زجر عن إيذاء المرأة زوجها بأي أمر صغير أو كبير.

ومنها: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ علىٰ الرجال من النساء» (٣) أخرجاه.

= سننه [١١٥٩] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٨١، ٦/ ٧٦]، والحاكم في المستدرك، [٢/ ١٨٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩١، ٢٩٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤/ ٣٠٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٥/ ٢٣٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٥، ٥٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣١٠]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٤].

(١) أخرجه الترمذي في سننه [١١٦١] كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، وابن ماجه في سننه [١٨٥٤] كتاب النكاح، باب حق الزوج علىٰ المرأة، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤/ ٣٠٣]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٧٣].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١١٧٤] كتاب الرضاع، وابن ماجه في السنن [٢٠١٤] كتاب النكاح، باب في المرأة تؤذي زوجها، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٤٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٢٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٥٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠٩٦] كتاب النكاح، [١٨] باب ما يتقي من شؤم المرأة، ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٢٧٤٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي [٢٧٨٠] كتاب الأدب، باب ما جاء في تحذير فتنة النساء، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٩١]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٦٠٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣/ ٣٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٠٨٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ١٣٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٣٣]، والقرطبي في تفسيره [٤/ ٢٩، ١٢/ ٣١١].

ففتنة النساء أضرّ علىٰ الرجال من كل فتنة، فلتتق الله امرأة كل زوج ولا تفتنه.

فمدار هذه الأحاديث علىٰ زجر المرأة أن لا تنتهك حرمة زوجها أو حقه بحسي أو شرعي، وحملها علىٰ المبادرة إلىٰ طاعته، وعلى تعظيمه، والحرص علىٰ رضا قلبه وتحذيرها من إيذائه وفتنته.

مجلس في النفقة على العيال

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [1] ففيه توظيفهما به.

وقال تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [2] الآية، وهذا تفسير للمعروف.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [3] وفيها تسهيل ذلك علىٰ النفوس بوعد الله لا غيره بأنه لا يخلفه ولا بد إما بثواب في الآخرة إما برزق غيره وإما بغير ذلك.

وروينا في صحيح مسلم [4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ دينار تنفقه في سبيل الله، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به علىٰ مسكين، ودينار أنفقته علىٰ أهلك، أعظمها أجراً [5] الذي أنفقته علىٰ أهلك».

وروينا فيه من حديث ثوبان مرفوعاً: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علىٰ

---

(١) سورة البقرة [٢٣٣].

أي وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار بحسب قدرته في يساره وتوسطه وإقتاره، كما قال تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧] . "تفسير ابن كثير [١/ ٢٨٣]".

(٢) سورة الطلاق [٧].

(٣) سورة سبأ [٣٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩ ـ (٩٩٥)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٧٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٦٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣١]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٣٦٤].

(٥) قال النووي: مقصود الباب الحث علىٰ النفقة علىٰ العيال وبيان عظم الثواب فيه؛ لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه، وهو أفضل من صدقة التطوع، ولهذا قال ﷺ في رواية ابن أبي شيبة: «أعظمها أجراً الذي أنفقته علىٰ أهلك» مع أنه ذكر قبله النفقة في سبيل الله وفي العتق، والصدقة ورجح النفقة علىٰ العيال علىٰ هذا كله.

"النووي في شرح مسلم [٧/ ٧١] طبعة دار الكتب العلمية".

عياله، ودينار ينفقه الرجل علىٰ دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه علىٰ أصحابه في سبيل الله». (١)

وروينا في الصحيحين من حديث أم سلمة قالت: " قلت: يا رسول الله هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم؟ قال: «نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم» ". (٢)

وفيه أن في الأولاد أجر النفقة إن كان الطبع يهوى ذلك.

وروينا فيهما من حديث سعد بن أبي وقاص في حديثه الطويل السالف في أوائل الكتاب في النية: " أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها حتىٰ ما تجعل في فيّ امرأتك» ". (٣)

وروينا فيهما من حديث أبي مسعود البدري مرفوعاً: «إذا أنفق الرجل علىٰ أهله يحتسبها فهو له صدقة». (٤)

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «كفى بالمرء إثماً أن يُضيِّع مَن يقوت». (٥)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٩٩٤)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، وابن ماجه في سننه [٢٧٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦١]، وأحمد في مسنده [٥/ ٢٧٧، ٢٧٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٦٧] كتاب الزكاة، [٥٠] باب الزكاة علىٰ الزوج والأيتام في الحجر، ومسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٠٠١)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٩٣، ٣١٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٧٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦] كتاب الإيمان، [٤٢] باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، ورقم [١٢٩٥] كتاب الجنائز، [٣٦] باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة، وانظر أرقام [٢٧٤٢، ٣٧٤٤، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٥٣٥٤، ٥٦٥٩، ٥٦٦٨، ٦٣٧٣، ٦٧٣٣]، ومسلم في صحيحه [٥ ـ (١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٦٨، ٢٦٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٥]، والزبيدي في الإتحاف [١٠/ ٣٦].

(٤) أخرجه البخاري [٥٥] كتاب الإيمان، [٤٢] باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ورقم [٤٠٠٦]، [٥٣٥١]، ومسلم [٤٨ ـ (١٠٠٢)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٩٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٠، ١٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٦٧، ٩/ ٢٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤/ ٣٢٥]، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٣٨٢].

ولمسلم وغيره معناه: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»[1]، قلت: ولا تهديد مثله.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً»[2].

فهذا دعاء للأول ودعاء علىٰ الثاني، فما أشرف السخاء دنيا وأخرى «ما نقص مال من صدقة»[3].

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يغنه الله»[4].

ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان رتبة الإنفاق وأرجحيته عند التعارض، وحصول الأجر في الأولاد والزوجة، وأنه صدقة، وتحذير المرء أن يضيع من يقوت أو يحبس عنه قوته، والأمر بالبدأة بمن يعول، فليعتن به اللبيب جهده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ ـ (٩٩٦)] كتاب الزكاة، [١٢] باب فضل النفقة علىٰ العيال والمملوك، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤/ ١٢٢، ٥/ ٨٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٤٢] كتاب الزكاة، [٢٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾ الآية، ومسلم في صحيحه [٥٧ ـ (١٠١٠)] كتاب الزكاة، [١٧] باب في المنفق والممسك، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٨٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٩٢٠].

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير [١/ ٥٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٣/ ١٠٥]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٥٦، ٨/ ٣٩]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٥٩، ٥/ ٣٥].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٢٧] كتاب الزكاة، [٢٠] باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم في صحيحه [٩٥ ـ (١٠٣٤)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة، وأبو داود في سننه [١٦٤٨]، والترمذي في سننه [٢٣٤٣، ٢٤٦٣]، والنسائي [٥/ ٦١ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤، ٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٧، ١٨٠]، وابن أبي شيبة [٣/ ٢١١، ٢١٢]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٤١]، وابن أبي شيبة [٣/ ٢١١]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٦٤، ١٢/ ١٤٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٨١].

مجلس في الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [1]

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [2] الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس قال: "كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء [3]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب" قال أنس رضي الله عنه: "فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] قام أبو طلحة إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» [4].

---

(١) سورة آل عمران [٩٢].

(٢) سورة البقرة [٢٦٧].
يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالإنفاق، والمراد به الصدقة ههنا، قاله ابن عباس، من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها، قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم، وقال علي والسدي ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧] : يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض، قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٢٠]".

(٣) قوله: "وكان أحب الأموال إليه بيرحاء" اختلفوا في ضبط هذه اللفظة علىٰ أوجه، قال القاضي - رحمه الله: روينا هذه اللفظة عن شيوخنا بفتح الراء وضمها مع كسر الباء والراء، قال الباجي: قرأت هذه اللفظة علىٰ أبي ذر البروي بفتح الراء علىٰ كل حال، قال: وعليه أدركت أهل العلم والحفظ بالمشرق، وقال لي الصوري: هي بالفتح، واتفقا علىٰ أن من رفع الراء وألزمها حكم الإعراب فقد أخطأ، قال: وبالرفع قرأناه علىٰ شيوخنا بالأندلس، وهذا الموضع يعرف بقصر بني جديلة قبلي المسجد. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٧٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه البخاري [١٤٦١] كتاب الزكاة، [٤٦] باب الزكاة علىٰ الأقارب، وانظر أرقام [٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٤٥٥٥، ٥٦١١]، ومسلم في صحيحه [٤٢ - (٩٩٨)] كتاب الزكاة، [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا =

فقال أبو طلحة [١]: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه".

روي: رايح، بالمثناة تحت، أي رايح عليك نفعه، وبالباء الموحدة أيضاً، وبيرحاء: حديقة نخل، بفتح الباء وكسرها.

وفيه المكافأة والاقتداء بالسادات وما يقابل والإشعار بمحبة الخير، والرغبة فيه والمبادرة إليه، واستشارة الأكابر، وقصد العمل بما فضل والتصدق بالمحبوب في الجهات المحبوبة، ومدح أهل الخير وتبشيرهم بعظيم الأجر ترغيباً لهم ولأمثالهم، فينبغي مساعدتهم علىٰ مقاصدهم الصالحة، وأعمالهم الزاكية الرابحة.

= مشركين، وأحمد في مسنده [٣/ ١٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥]، ومالك في الموطأ [٩٩٦].

(١) قوله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح» قال أهل اللغة: يقال بخ بإسكان الخاء وتنوينها مكسورة، وحكى القاضي الكسر بلا تنوين، وحكى الأحمر التشديد فيه، قال القاضي: وروى بالرفع، فإذا كررت فالاختيار تحريك الأول منوناً وإسكان الثاني، قال ابن دريد: معناه تعظيم الأمر وتفخيمه، وسكنت الخاء فيه كسكون اللام في هل وبل ومن، قال: بخ بكسره منوناً شبيه بالأصواب، كصه ومه، قال ابن السكيت: بخ بخ، وبه به بمعنى واحد، وقال الداودي: بخ كلمة تقال إذا حمد الفعل، وقال غيره: تقال عند الإعجاب. "النووي في شرح مسلم [٧/ ٧٥] طبعة دار الكتب العلمية".

مجلس في وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [1] قلت: ويلحق بها كل عبادة وخير.

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [2] قلت: فيلزموا بفعل الخيرات، وترك المنكرات، وتصحيح العقائد والنيات، وتحسين الأخلاق والمعاملات مع تسهيل التأديب وقبوله والترغيب فيه بذكر هول النار ووقودها وغلظة خزنتها، ورجوع أمرها إلىٰ مالك الملك ذي البطش جل جلاله.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال ﷺ: «كخ كخ ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة» [3] وفي رواية لهما: «لا تحل لنا الصدقة» [4].

وكخ كخ بإسكان الخاء وبكسرها من التنوين كلمة زجر للصبي من المستقذرات، وكان الحسن إذ ذاك صبياً.

---

(1) سورة طه [١٣٢].
أي استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت علىٰ فعلها كما قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦]، ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. "تفسير ابن كثير [٣/ ١٧٥]".

(2) سورة التحريم [٦].

(3) أخرجه البخاري في صحيحه [١٤٩١] كتاب الزكاة، [٦٢] باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٦١ ـ (١٠٦٩)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٢١٤].

(4) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦١ ـ (١٠٦٩)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم.

وفيه من أنواع التأديب خمسة: القبيح، ومخاطبة النصوح بما يفهم، كما يوضحها قوله: «كخ كخ»[(١)]، والأمر الموضح للمطلوب، كما في قوله: «ارم بها»، والتذكير والتعليل، كما في قوله: «أما علمت كذا..» وهو من أخف المراتب وأولها وقوعاً، ثم اليد وفيه من مجاري التأديب بعظيم حرمات الله في الأموال، وكونها مأكولة بلاغاً، وشدَّة الاعتناء لاسيما بالحرام منه، وبيان مستنده، وأن الإمام والعالم أو كبير المكان أو جد الصبي أو قريبه أهل للتأديب، وكيف باجتماعهما كما في النبي ﷺ مع الحسن.

وفيه من أسباب التأديب التساهل كما في أخذ التمرة وجعلها في الفم، ومثله كل تناول يتداعى إلىٰ الفساد، ومن شرطه وضوح عدم الحل وعدم الإقدام بغير عذر وابداؤه للنواظر كما فعل الحسن.

وفيه من الحوادث علم حكم الشرع ورحمة القلب، وحفظ الأمانة كما يشعر قوله: «كخ كخ» أي إنه مستقذر شرعاً يصير ناراً في البطن كما يشعر بأنه تضييع لحق الفقراء، والمتصدق في قوله: «لا تحل لنا الصدقة»[(٢)].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال: "كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[(٣)] فما زالت تلك طِعْمَتِي بعدُ".

---

(١) قال القاضي: يقال كخ كخ بفتح الكاف وكسرها وتسكين الخاء ويجوز كسرها مع التنوين وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات فيقال: كخ أي اتركه وارم به، قال الداودي: هي عجمية معربة بمعنىٰ بئس، وقد أشار إلىٰ هذا البخاري بقوله في ترجمة، باب من تكلم بالفارسية والرطانة. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٥٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) الحديث دليل للشافعي وموافقيه أن آله ﷺ هم بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال بعض المالكية، وقال أبو حنيفة ومالك: هم بنو هاشم خاصة، قال القاضي: وقال بعض العلماء: هم قريش كلها، وقال أصبغ المالكي: هم بنو قصي، وأما صدقة التطوع فللشافعي فيها ثلاثة أقوال: أصحها: أنها تحرم علىٰ رسول الله ﷺ وتحل لآله، والثاني: تحرم عليه وعليهم، والثالث: لا تحل له ولهم. "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٥٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٧٦] كتاب الأطعمة. [٢] باب التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، ورقم [٥٣٧٧، ٥٣٧٨] في الأطعمة، [٣] باب الأكل مما يليه، ومسلم في صحيحه [١٠٨ - (٢٠٢٢)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وابن ماجه في سننه [٣٢٦٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ١٠٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧٧]، والألباني في إرواء الغليل [٧/ ٢٩].

ومعنى تطيش [١] تدور في نواحي الصحفة، وفيه من أنواع التأديب كنداء يا غلام، والأمر بضد المنكر، فمن أكل مما يليه لم تطش يده، وفي الطيشان إخجال يمنع المؤاكلة، وإنجاس له ولأمه من حيث أنه يتيم علىٰ مائدة متصدق مهان، فليراع المؤدب أمثال هذا، فعلى من هذه مكارمه أفضل صلاة وتسليم.

وفيه [٢] من مجازي التأديب ينال التناول، ويلحق به محاولة كل مفعول عادي بما بين الأكابر والعناية الشديدة.

وفيه بدئية التسمية والتيامن، وأن الأكل مما يليه أمر تأديب، وفي جميعها الإرشاد لحفظ العرض والوجاهة وتركه الطعام.

وفيه أن من أهل التأديب زوج الأم مع ما سلف ومن محله الربيب، ولاسيما كونه في الحجر، والصبي مع المخالط لقبول النصح، ولذلك قال: " لم تزل تلك طِعْمَتِي ".

وفيه أن من أسباب التأديب الإساءة كما في الطيشان، ويلحق به كل عيب يعافه جليسه، ولا بد من كونه بغير عذر ليخرج الطيشان في الفاكهة.

وفيه من الحوادث الحاملة عليه الحنق والرحمة والنصيحة المفهومة من قوله: «يا غلام» فعليه من ربه المنان به علىٰ كل صغير وكبير أفضل صلاة وأزكى سلام.

وروينا في الصحيحين [٣] أيضاً من حديث ابن عمر مرفوعاً: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [٤]؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده

---

(١) قوله: تطيش، بكسر الطاء وبعدها مثناة تحت ساكنة، أي تتحرك وتمتد إلىٰ نواحي الصحفة ولا تقتصر علىٰ موضع واحد، والصفحة دون القصعة وهي ما تسع ما يشبع خمسة، فالقصعة تشبع عشرة، كذا قاله الكسائي فيما حكاه الجوهري وغيره عنه، وقيل: الصحفة كالقصعة، وجمعها: صحاف. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل، وهي التسمية والأكل باليمين، والثالثة: الأكل مما يليه، لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة، وترك مروءة؛ فقد يتقذره صاحبه لاسيما في الأمراق وشبهها، وهذا هو في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان تمراً أو أجناساً فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه، والذي ينبغي تعميم النهي حملاً للنهي علىٰ عمومه حتىٰ يثبت دليل مخصص. "النووي في شرح مسلم [١٣/ ١٦٣] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) تقدم تخريجه من قبل.

(٤) قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. "النووي في شرح مسلم [١٢/ ١٨٠] طبعة دار الكتب العلمية".

ومسئول عن رعيته» قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

وقد سلف قريباً وهو مبين لأهله ومحله، وأشد مرغِّب في التأديب إذ السؤال من الديان لا بد له من جواب صواب، فليعين برعايته أُولوا الألباب ليحظوا بسعادة القيام به يوم المآب.

وروينا في سنن أبي داود [(١)] بإسناد حسن من حديث عمرو بن شعيب [(٢)] عن أبيه عن جده مرفوعاً: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» [(٣)]، وفيه من أنواع التأديب والتعليم والأمر به في حال، أو الضرب في آخر.

وفيه من مجاري التأديب الصلاة، ويلحق به ما يطيقه الصبي من صيام وتلاوة وأوراد وغير ذلك من العبادات والتعليم، وفيه صيانة الفروج بالتفريق في المضاجع، وفيه أن المؤدب الوالد، ويلحق به ذو الولاية كما في حديث سبرة بن معبد الجهني [(٤)] مرفوعاً: «علِّموا الصبي الصلاة لسبع، واضربوه عليها ابن عشر سنين». رواه أبو داود والترمذي وحسنه [(٥)]، ولفظ أبي داود: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٥] كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، وأحمد بن حنبل في مسنده [٢/ ١٨٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١١، ١٤]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٠٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٦/ ٣١٧، ٩/ ١٤]، والقرطبي في تفسيره [١٨/ ١٩٥]، وابن كثير في تفسيره [٨/ ١٩٤].

(٢) عمر بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو إبراهيم، أبو عبد الله السهمي المدني الطائفي القرشي الحجازي، صدوق، أخرج له: البخاري في جزء القراءة وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة [١١٨]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/ ٤٨]، تقريب التهذيب [٢/ ٧٢]، الكاشف [٢/ ٣٣١]، تاريخ البخاري الكبير [٦/ ٣٤٢]، الجرح والتعديل [٦/ ١٣٢٣]، ميزان الاعتدال [٣/ ٢٦٣]، سير الأعلام [٥/ ١٦٥].

(٣) تقدم قبل هذا.

(٤) سبرة بن معبد بن عوسجة الجهني المدني، والد الربيع، صحابي، أول مشاهده الخندق، أخرج له: البخاري تعليقاً ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي في خلافة معاوية. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣/ ٤٥٣]، تقريب التهذيب [١/ ٢٨٣، ٢٨٤]، الكاشف [١/ ٣٤٨]، تاريخ البخاري الكبير [٤/ ١٧٨]، الجرح والتعديل [٤/ ١٢٨١]، أسد الغابة [٢/ ٣٢٥]، الوافي بالوفيات [١/ ٥٨]، الاستيعاب [٢/ ٥٧٩]، الثقات [٣/ ١٧٦]، أسماء الصحابة الرواة [١٢٨]، الإكمال [١/ ٢٣٢].

(٥) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٤] كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، والترمذي في سننه [٤٠٧] في الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ =

وفيه الأمر بالضرب في سن التمييز وهو ابن سبع ونحوها، والضرب في سن إمكان البلوغ وهو عشر ونحوها، وفيه من أسباب التأديب الحاجة إلىٰ تمرين النفس، واعتيادها الخير، وحفظ الفرج بعد التمييز عند مظنة البلوغ.

والحاصل من هذه الأحاديث بيان أنواع التأديب ومراتبه ومجاريه وأنواعه وأهله ومحله، وبيان سببه وشرطه، وبيان ما يحدث إليه ويعزي به.

= ١١ ، ١٤]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٩٧]، والخطيب في الفقيه والمتفقه [١/ ٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣١٧]، والسيوطي في الدر المنثور [١/ ٣٠٠]، والقرطبي في تفسيره [١٨/ ١٩٥].

مجلس في حق الجار والوصية به

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾. (١)

وروينا في الصحيحين (٢) من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه» وهو دال علىٰ تأكد حقه وإظهار شدة الاعتناء بشأنه وتكرير الوصية به.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» (٣) وفي رواية له عن أبي ذر قال: " إن خليلي ﷺ أوصاني: «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف». (٤)

وفيه من أنواع حقه إسداء المعروف إليه وتسهيل فعله والدوام عليه.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٥)، وفي لفظ: «لا

---

(١) سورة النساء [٣٦].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٥] كتاب الأدب، [٢٨] باب الوصاية بالجار، ومسلم في صحيحه [١٤١ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار والإحسان إليه، وأبو داود في سننه [٥١٥٢]، والترمذي في سننه [١٩٤٣] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، وابن ماجه [٣٦٧٤]، وأحمد في مسنده [٢/ ٨٥، ١٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥، ٧/ ١١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٥٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٥٢ ـ الموارد]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٧٤٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٦٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٨/ ١٦٦، ١٢/ ٣٦٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٢ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار والإحسان إليه، وأحمد في مسنده [٥/ ١٤٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٣ ـ (٢٦٢٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٢] باب الوصية بالجار، والإحسان إليه، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣٧]، والبخاري في الأدب المفرد [١١٤]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١٦٦، ١٦٧]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [١/ ٢٢٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٦] كتاب الأدب، [٢٩] باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، =

يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(١)، والبوائق: الغوائل والشرور، وفيه من أنواع حقه معاملات توجب أمن قلبه وطمأنينته بحيث لا يتوقع شيئاً من البوائق.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة جارتها، ولو فِرسِنَ شاة»(٢).

وفيه من أنواع الحق أن هداياه وإن قلت حتىٰ فرسناً محقراً لا يحتقر، وقد يلحق به كل إحسان كبشاشة ودعاء وتأنيس وتودد، ونحو ذلك.

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره» ثم يقول أبو هريرة: " مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمينَّ بها بين أكتافكم "(٣).

خشبة: ويروى بالإفراد والجمع، وبالتنوين علىٰ الإفراد، وقوله: مالي أراكم عنها معرضين، أي عن هذه السُّنَّة.

وفيه أن سؤاله لا يرد، وطلباته وحاجاته تُقضى له.

= وبلفظ يأتي في مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٤٦)] كتاب الإيمان، [١٨] باب بيان تحريم إيذاء الجار، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٨٨، ٤/ ٣، ٦/ ٣٨٥]، والحاكم في المستدرك [١/ ١٠، ٤/ ١٦٥]، والشجري في أماليه [١/ ١٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٦٩].

(١) أخرجه مسلم وقد تقدم قبل هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٧] كتاب الأدب، [٣٠] باب لا تحقرن جارة لجارتها، ومسلم في صحيحه [٩٠ ـ (١٠٣٠)] كتاب الزكاة، [٢٩] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٦٤، ٣٠٧، ٤٣٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٧٧، ٦/ ٦٠]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣١٠]، وقال النووي: قوله ﷺ: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» قال أهل اللغة: هو بكسر الفاء والسين، وهو الظلف، قالوا: وأصله في الإبل، وهو فيها مثل القدم في الإنسان، قالوا: ولا يقال إلا في الإبل، ومرادهم أصله مختص بالإبل ويطلق علىٰ الغنم استعارة، وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر، وإن كان قليلاً كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] . "النووي في شرح مسلم [٧/ ١٠٦] طبعة دار الكتب العلمية" .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٣] كتاب المظالم، [٢٠] باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره، ومسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (١٦٠٩)] كتاب المساقاة، [٢٩] باب غرز الخشب في جدار الجار، وأحمد في مسنده [٣/ ٤٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٤٧]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣/ ٤٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٩٩٤]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٢/ ٢١٤].

وروينا فيهما عنه مرفوعاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (١).

وفيه كف كل إيذاء عنه وعن أهله وعن أطفاله.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي مرفوعاً: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (٢)، وروى البخاري (٣) بعضه، وفيه الترغيب في الإحسان إليه.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عائشة: " قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أُهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً» " (٤) أي لأنه أقرب جواراً كما جاء في رواية أخرى.

وروينا في جامع الترمذي مُحَسَّناً من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه [٧٥ ـ (٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ١٧٦، ١٠/ ٣٠٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠/ ٢٤١]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٩]، والخطيب في تاريخ بغداد [١١/ ١٣٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٤٨)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث عن إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، والدارمي في سننه [٢/ ٩٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٦٧٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٥٢، ٣٥٩]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٢٥٠]، وابن المبارك في الزهد [١٢٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٨].

(٣) البخاري في صحيحه [٦٠١٩] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٢٠] كتاب الأدب، [٣٢] باب حق الجوار في قرب الأبواب، وأحمد في مسنده [٦/ ٢٣٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٧٥]، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٦٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١٩/ ٤٢١، ٤٢٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٣٦].

(٥) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٤٤] كتاب البر والصلة، ما جاء في حق الجوار، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٨]، والحاكم في المستدرك [١/ ٤٤٣، ٢/ ١٠١]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٥١ ـ الموارد]، وابن خزيمة في صحيحه [٥٢٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٩٨٧]،

قلت: فاحرص أن تكون خيرهم عند الله، واستعن بالله ولا تعجز.

والحاصل من هذه الأحاديث بيان تأكيد حق الجار، وأنواع ما ينبغي معه، وأولى الجيران عند التزاحم وتفاوت درجات الإحسان لتحرص، ويتنافس في أعلاها المتنافسون.

= والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٥٩]، والشجري في أماليه [٢/ ١٣٩، ١٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٦٠]، وابن كثير في تفسيره [٢/ ٢٦٢].

مجلس في تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (1) فالقاطع لُعِنَ وصُمَّ وَعُمِيَ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الرّعد: ٢٥] إلىٰ قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٥] (2) ذكر ذلك بلام الاستحقاق.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣](3) الآية، وأف والنَّهْرُ نوعان نبه بهما علىٰ الأعلى بالأدنى.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس وقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت * (4) فقرن عقوق الوالدين بالشرك بالله، وحكم بأنه أكبر الكبائر،

---

(1) سورة محمد [٢٢، ٢٣].
أي عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٢٢] أي تعودوا إلىٰ ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء؛ تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محَمَّد: ٢٣] وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً بل قد أمر الله - تعالىٰ - بالإصلاح في الأرض وصلة الرحم وهو الإحسان إلىٰ الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. "تفسير ابن كثير [٤/ ١٧٨]".

(2) سورة الرعد [٢٧].

(3) سورة الإسراء [٢٣]. يقول تعالىٰ آمراً بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد ﴿وَقَضَىٰ﴾ [الإسرَاء: ٢٣]: يعني وصى، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وأمر بالوالدين إحسانا، كقوله في الآية الأخرى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمَان: ١٤]، وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتىٰ ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٥]".

(4) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩١٩] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، ومسلم في صحيحه [١٤٣ - (٨٧)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، وأحمد في مسنده [٣/ ١٣١، ٥/ ٣٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٢١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١/ ١٠٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١١٧، ١٤٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١٤٠].

ولا مرتبة أعلا من هذا.

وروينا في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» (١).

واليمين الغموس التي يحلفها كاذباً عامداً، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم، فجعل العقوق بين الشرك وقتل النفس، وهي مرتبة عظمى.

وروينا في الصحيحين عنه مرفوعاً: «من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟!! قال: «نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» (٢).

وفي رواية: «من الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسبُّ الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه» (٣).

وهذا النوع من العقوق وهو السب بشتم الناس وبلعنهم إلىٰ أن يسُبَّ الأب والأم(٤).

وروينا فيهما من حديث أبي محمد جبير بن مطعم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع» (٥) قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم، قلت: وهذا غاية في التنفير.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٥] كتاب الأيمان والنذور، [١٦] باب اليمين الغموس، ورقم [٦٨٧٠] كتاب الديات، [٢] باب قول الله ـ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المَائدة: ٣٢]، ورقم [٦٩٢٠] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٤٧، ٦٢١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٣] كتاب الأدب، [٤] باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم في صحيحه [١٤٦ ـ (٩٠)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، والترمذي في سننه [١٩٠٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في عقوق الوالدين، وأحمد في مسنده [٢/ ١٦٤، ١٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٣٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩/ ٨٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٨٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٤٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٣] كتاب الأدب، [٤] باب لا يسب الرجل والديه.

(٤) قال النووي: وأما قوله ﷺ: «من الكبائر شتم الرجل والديه» إلىٰ آخره، ففيه دليل علىٰ أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين، وفيه: قطع الذرائع، وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، قال: وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة في كل ما ليس بمعصية ومخالفة أمرهما في ذلك عقوق. "مختصراً عن النووي في شرح مسلم [٢/ ٧٥، ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) البخاري في صحيحه [٥٩٨٤] كتاب الأدب، [١١] باب إثم القاطع، ومسلم في صحيحه [١٨ ـ =

وروينا فيهما من حديث أبي عيسى المغيرة بن شعبة ﷺ مرفوعاً: «إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(١).

قوله: منع معناه: منع ما وجب عليه، وهات: طلب ما ليس له، ووأد البنات: دفنهن في حال الحياة، وقيل وقال: معناه الحديث بكل ما سمعه، فيقول: قيل كذا، وقال فلان كذا مما لم يعلم صحته ولا يظنها «وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»(٢) وإضاعة المال: تبذيره وصرفه في غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا، وترك حفظه مع إمكان الحفظ، وكثرة السؤال: الإلحاح فيما لا حاجة إليه.

وفي الباب أحاديث مذكورة في باب بر الوالدين كحديث: «واقطع من قطعك»(٣)، وحديث: «من قطعني قطعه الله» (٤) فخاصة القطيعة قطع الله لصاحبها ونتائج ذلك من الشفا لا تنحصر.

وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة العقوق، وأنواع منه ونتائجه وحكمه ومنفرداته وزواجره.

= (٢٥٥٦)]، [١٩] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، وأبو داود في سننه [١٦٩٦]، والترمذي [١٩٠٩] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صلة الرحم، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٤٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧]، وأحمد في مسنده [٤/ ٨٠، ٨٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٢٢٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣٠٨].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٥] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (٥٩٣)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٦٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩١٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٥)] في المقدمة، [٣] باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦]، وقال النووي: فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو، ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثماً، والله أعلم. "النووي في شرح مسلم [١/ ٧١] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) رواه البخاري في صحيحه [٥٩٨٧] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٥٥٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٨] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٥٥٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

مجلس في فضل بر أصدقاء الأب والأم

والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه.

روينا في صحيح مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أبر البر أن يصل الرجل ودَّ أبيه»[1]، وفي رواية له: أن ابن عمر أعطى أعرابياً دابة وعمامة لأنه كان ودَّ أبيه.[2]

قلت: وهذا التعبير أعني أنه أبر البر، أعلا المراتب، ولقد كان ابن عمر شديد الاتباع، فبرَّ هذا الأعرابي صديق والده بما قدر عليه.[3]

وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم؛ الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[4].

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: " ما غِرْتُ علىٰ أحد من نساء رسول الله ﷺ ما غرت علىٰ خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٥٥٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤] باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

(٢) أخرجه بقصة الأعرابي مسلم في صحيحه [١١ـ (٢٥٥٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤] باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

(٣) الود هنا مضموم الواو، وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج، وقد سبق أحاديث إكرامه ﷺ خلائل خديجة . "انظر النووي في شرح مسلم [١٦/ ٨٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٤٢] كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، وابن ماجه في سننه [٣٦٦٤] كتاب الأدب، [٢] باب صل من كان أبوك يصل، والحاكم في المستدرك [٤/ ١٥٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٣٢٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٩٣٦].

منها ولد» "[١]، وفي رواية: " إن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهنَّ "[٢]، وفي رواية: " كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلىٰ أصدقاء خديجة»[٣]، وفي رواية قالت: " استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة علىٰ رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد»[٤]

قولها: فارتاح هو بالحاء المهملة، وفي جمع الحميدي فارتاع بالعين ومعناه: اهتم به.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: " خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً، آليت أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته "[٥].

وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة بر أصدقاء الأب، وأنه من حقوقه وبيان أنواع منه، ومحله وبيان أنه شأن الأكابر وأهل الوفاء، والترغيب فيه قولاً وفعلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨١٨] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٥ ـ (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ والترمذي في سننه [٢٠١٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن العهد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨١٦] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٤ ـ (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٥ ـ (٢٤٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالىٰ عنها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨٢١] كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها، ومسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٢٤٣٧)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ والبيهقي في السنن الكبرى [٣٠٧/٧]، وأحمد في مسنده [١/ ١٧٤، ٤/ ١٥٠]، والطبراني في المعجم الكبير [٤٧/٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٦٤/٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨١ ـ (٢٥١٣)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٥] باب في حسن صحبة الأنصار.

مجلس في إكرام بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[1].

وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢][2] وروينا في صحيح مسلم[3] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال: " قام رسول الله ﷺ فينا يوماً خطيباً بماء يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة[4] فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذَكَّر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له الحصين: ومَنْ أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة[5] بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي،

---

(١) سورة الأحزاب [٣٣].

(٢) سورة الحج [٣٢].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأحمد في مسنده [٤/ ٣٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ١٤٨، ٧/ ٣٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦١٣١].

(٤) قوله: " ماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة " هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم، وهو اسم لغيضة علىٰ ثلاثة أميال من الحسنة عندها غدير مشهور يضاف إلىٰ الغيضة، فيقال غدير خم، وقوله ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين» فذكر كتاب الله وأهل بيته، قال العلماء: سُميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما. "النووي في شرح مسلم [١٥/ ١٤٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٥) قوله: " ولكن أهل بيته من حرم الصدقة " هو بضم الحاء وتخفيف الراء، والمراد بالصدقة الزكاة، وهي حرام عندنا علىٰ بني هاشم وبني المطلب، وقال مالك: بنو هاشم فقط، وقيل بنو قصي، وقيل قريش كلها. قوله في الرواية الأخرى: فقلنا من أهل بيته نساؤه، قال: لا، هذا دليل لإبطال قول من قال: هم قريش كلها، فقد كان في نسائه قرشيات، وأما قوله في الرواية الأخرى: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة، قال: وفي الرواية الأخرى، فقلنا من أهل بيته نساؤه، قال: لا، فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض، والمعروف في معظم =

وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم.

وفي رواية له: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله، وهو حبل الله[١] من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة»[٢].

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عمر عن أبي بكر الصديق موقوفاً عليه أنه قال: "أُرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته"[٣].

ومعنى ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه.

= الروايات في غير مسلم أنه قال نساؤه لسن من أهل بيته، فتتأول الرواية الأولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم، وسماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم، وذكر فنساؤه داخلات في هذا كله، ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة، وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت الروايتان. "النووي في شرح مسلم [١٤٦/١٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) قال النووي: المراد بحبل الله عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٧١٣] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١١ باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ورقم [٣٧٥١] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢٣] باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

مجلس في فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

وهو فيما قال الجنيد:[1] استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.

وقال أبو سليمان الداراني: ترك ما هو أشغل عن الله.

وقال الشبلي: هو غروب النفس عما سوى الله، وثمرته أن لا تفرح بموجود من ذلك، ولا تأسى على مفقود منه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤] إلىٰ قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

فأخبر الله أن سرعة الدنيا وإقبالها وسرعة زوالها كالزرع، ثم ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ⑧﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[4] إلىٰ قوله: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[5].

---

(١) ومن أقواله: أعلى درجة الكبر أن ترى نفسك وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك، وقال الجريري: سمعته يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات، وذكر أبو جعفر الفرغاني أنه سمع الجنيد يقول: أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب ـ جل جلاله ـ من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة عري من الإيمان. "تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات [٣٠١ ـ ٣٢٠]".

(٢) سورة يونس [٢٤].
ضرب تبارك وتعالى مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤] أي زينتها الفانية ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] أي حسنت ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ [يونس: ٢٤] أي جذاذها وحصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤] "تفسير ابن كثير [٢/ ٤٢٢]".

(٣) سورة الحاقة [٨]. (٤) سورة الكهف [٤٥].

(٥) الكهف [٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحَديد: ٢٠] إلىٰ قوله: ﴿ٱلْغُرُورِ﴾ (١).

فالدنيا ليست إلا من محقرات الأمور، فأي جدوى لها.

وقوله: كفيت، كناية عن سرعة زوالها، وفي الآخرة الأمور العظام الذي يعتنى بمثلها أولوا النهى.

وقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤] (٢) إلىٰ قوله: ﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾، ففيها بيان الوسائل الموصلة إلىٰ ذلك من نساء وحرث وغير ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ (٣)، وفيها النهي عن الاغترار والانخداع إما بالدنيا حتىٰ يذهب التمتع بها، والتلذذ بمتاعها عن العمل للآخرة، وطلب ما عند الله.

وإما ما يوسوس به الغَرور من أنه لا يغتر من يموت، ولئن بعثت ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (٤)، وأشباه ذلك ما قعد عن سبيل الله، والتزود للقيامة.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ (٥) الآية، فعاقبة الإلهاء ومنشؤه الجهل المحض.

---

(١) سورة الحديد [٢٠].

(٢) سورة آل عمران [١٤]. يخبر تعالىٰ عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء» فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب. "تفسير ابن كثير [١/ ٣٥١]".

(٣) سورة فاطر [٥].
قوله تعالىٰ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [فَاطِر: ٥] أي المعاد كائن لا محالة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلىٰ ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمَان: ٣٣] وهو الشيطان، قاله ابن عباس، أي لا يفتنكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته؛ فإنه غرار كذاب أفاك.
"تفسير ابن كثير [٣/ ٥٦٥]".

(٤) سورة فصلت [٥٠].

(٥) سورة التكاثر [١].
يقول تعالىٰ: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها، وقال الحسن البصري: ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد. "تفسير ابن كثير [٤/ ٥٤٤]".

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[١] الآية، وفيها ازدراء الدنيا وتصغير أمرها كما يفهمه قوله: هذه، وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة[٢].

والمعنى وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها غير منتفعين بها بطائل إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، وأن الآخرة ليس فيها إلا حياة مستمرة[٣] دائمة خالدة لا موت فيها، فكأنها في ذاتها حياة.

والحيوان مصدر حي، وأصله حييان، وفي بناء حيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في فعلان من معنى الحركة والاضطراب.

والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه علىٰ بناء دال علىٰ معنى الحركة مبالغة في معناه.

وحاصل هذه الآيات البدأة بذكر ما فيه الزائل الفاسد، ثم بما فيه الباقيات الصالحات[٤]، ثم بما يوضح مقاصد الزائل ووسائله الحقيرة، ثم ما ينهي عن الاغترار به، ثم بيان وبال عاقبة ذلك وهو الاغترار.

والآيات في الباب كثيرة مشهورة، ولنختم بالأحاديث، ومدارها علىٰ التحذير من الدنيا، وذكر سبب الانحدار بها، وما يسلي عنها وما ينفر عنها، وتحقير أمرها

---

(١) سورة العنكبوت [٦٤].

(٢) روى الترمذي [٢٣٢٠] في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤٠ ـ (٢٨٤٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت» قال: «فيؤمر به فيذبح» قال: «ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] » وأشار بيده إلىٰ الدنيا.

(٤) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس: الباقيات الصالحات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي ؟ فقال: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٨٨]".

وتسهيل الغروب عنها، وكيف ينبغي أن يكون الإنسان فيها وخاصة الزهد.

ومن أهله وما حالهم ومرتبة الدنيا عند الله، وما لولاه لم يخلق وما يسقط الاعتبار منها، وأن الكافي منها قليل، والزائد مذموم مناف لمحبة الشارع، وذم الحرص وطول الأمل، ودلائل منازل الزهد، وذكر فوائده وموجباته ومجاريه.

وجماع ذلك أربعة وثلاثون حديثاً، وإن كانت أكثر من أن تحصى، وهذا الطرف ينبه علىٰ ما سواه.

الحديث الأول: حديث عمرو بن عوف الثابت في الصحيحين (١): " أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فَوَافَوْا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى انصرف، فتعرضوا له، فتبسم حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟» فقالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت علىٰ من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» (٢) وفيه أن شأن الدنيا الإغراء بالتنافس والاتباع في الهلاك الديني والدنيوي بدليل من سلف".

الثاني: من حديث أبي سعيد الخدري الثابت في الصحيحين (٣) أيضاً قال: جلس رسول الله ﷺ علىٰ المنبر وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم بعدي ما يُفْتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٠١٥] كتاب المغازي، باب [١٢] من شهود الملائكة بدراً، ورقم [٦٤٢٥] كتاب الرقاق، [٧] باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ورقم [٣١٥٨] كتاب الجزية والموادعة، [١] باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ومسلم في صحيحه [٦ ـ (٢٩٦١)] كتاب الزهد والرقائق، في فاتحته، والترمذي في سننه [٢٤٦٢] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٢٨]، وابن ماجه في سننه[٣٩٩٧] كتاب الفتن، باب فتنة المال، وأحمد في مسنده [٤/ ١٣٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤/ ٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧/ ٢٦]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٨/ ٨٧].

(٢) تقدم تخريجه في أوله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٢٧] كتاب الرقاق، [٧] باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (١٠٥٢)] كتاب الزكاة [٤١] باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، وأحمد في مسنده [٣/ ٢١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٣]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٥٣].

وفيه إرشاد إلىٰ أن الدنيا جميع سرور العالم، إذ لا محذور ولا مخوف سواها.

الحديث الثالث: حديثه أيضاً الثابت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة [(١)]، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» [(٢)].

وفيه تصريح بمقتضى ما قررناه، وفيه وما قبله أبلغ تحذير، وفيه بيان ما ينخدع به أبناء الدنيا، وأن استخلافهم فيها كرامة فيما ظنوه وليس ابتلاء.

الحديث الرابع: حديث أنس الثابت في الصحيحين مرفوعاً: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» [(٣)].

وفيه ما يسلي عن الدنيا، ورغد عيشها؛ فإنه ليس بعيش حقيقي، والحقيقي هو الأخروي، وهذه اللفظة قالها ﷺ في أشد حاليه وأشرها تزهيداً وتصبيراً.

الخامس: حديثه أيضاً في الصحيحين مرفوعاً: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» [(٤)] أخرجاه.

---

(١) قوله ﷺ: «إن الدنيا خضرة حلوة....» إلىٰ آخره، قال النووي: معناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن، ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيئان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً، فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين، ومعنى مستخلفكم فيها: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم. "النووي في شرح مسلم [١٧/٤٦] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٢٧٤٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي [٢١٩١] كتاب الفتن، باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، وابن ماجه في سننه [٤٠٠٠] كتاب الفتن، باب فتنة النساء، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٦٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/٦٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ٣١١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٣] كتاب الرقاق، [١] باب الصحة والفراغ ولا عيش إلا عيش الآخرة، ومسلم في صحيحه [١٢٦ ـ (١٨٠٤)] كتاب الجهاد والسير، [٤٤] باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، والترمذي في سننه [٣٨٥٦]، [٣٨٥٧] كتاب المناقب، باب في مناقب أبي موسى الأشعري، وأحمد في مسنده [٣/ ١٧٢، ٢٧٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٤٨، ٩/ ٣٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢/ ٣٠١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٩٧٢]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢٣٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٩٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٥١٤] كتاب الرقاق، [٤٢] باب سكرات الموت، ومسلم في =

وهذا أول المنفرات، وهو أن الدنيا مودِّع مفارق لا صديق ملازم.

أحــلام نـــوم أو كـــظـــل زائـــل   إن الـلـبـيـب بـمـثـلـهـا لا يـنـخـدع
كـيـف الـسـرور بـإقـبـال وآخـره   إذا مـا تـأمـلـه مـقـلـوب إقـبـال

السادس: حديثه مرفوعاً: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة [1] فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». أخرجه مسلم[2].

وهو ثاني التنفيرات، أي أنها توقع في النار، وحينئذ فكأنها لم تكن ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾[3].

السابع: حديث المستورد بن شداد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع»[4] أخرجه مسلم.

= صحيحه [٥ ـ (٢٩٦٠)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٣٧٩] كتاب الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وأهله وولده وماله وعمله، وأحمد في مسنده [٣/ ١١٠]، والنسائي [٤/ ٥٣ ـ المجتبى]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٧١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١٠/ ٤]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٣٠٠، ٨/ ١٤٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٦٧].

(١) قوله: «فيصبغ صبغة في الجنة» الصبغة بفتح الصاد أي يُغْمَسُ غمسة، والبؤس بالهمزة هو الشدة، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٨٠٧)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٢] باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة، وأحمد في مسنده [٣/ ٢٠٣]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [١١٦٧].

(٣) سورة الشعراء [٢٠٥ ـ ٢٠٧].
أي لو أخذناهم وأنظرناهم وأمليناهم برهة من الدهر وحيناً من الزمان وإن طال، ثم جاءهم أمر الله أيَّ شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم. "تفسير ابن كثير [٣/ ٣٦٠]".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٨٥٨)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٤] باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، والترمذي في سننه [٢٣٢٣] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل والحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٢٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٣٢٧، ٣٣٩]، والشجري في أماليه [٢/ ١٦٠]، والمنذري في =

وهو ثالث المنفرات، وهو أنها تُفوِّت الآخرة ونسبتها في القلة إليها كبلة إصبع بالنسبة إلىٰ اليم، ليت شعري هل يفهم لها نسبة أو هل يعبر عن قلة وحقارة بأبلغ من ذلك، أو هل يصرف النفس عنها بأحسن من ذلك.

الثامن: حديث جابر ﷺ: " أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟! قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم» "[1] أخرجه مسلم.

قوله: كنفته: أي عن جانبيه، والأسك الصغير الأذن.

وفي هذا البيان المنفر الرابع، وهو أنها أهون عند الله من هوان جدي أسك ميت علىٰ من يُعرض عليه بدرهم أو بلا شيء.

التاسع: حديث أبي ذر ﷺ قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرَّة المدينة فاستقبلنا أُحد، فقال: «يا أبا ذر[2]» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ما

= الترغيب والترهيب [٤/ ١٧٤].

قال النووي: اليم البحر، وقوله بم ترجع ضبطوه بم ترجع بالمثناة فوق والمثناة تحت، والأول أشهر، ومن رواه بالمثناة تحت أعاد الضمير إلىٰ أحدكم، والمثناة فوق أعاده علىٰ الأصبع، وهو الأظهر، ومعناه لا يعلق بها كثير شيء من الماء، ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلىٰ الآخرة في قصر مدتها وفناء لذتها، ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلىٰ باقي البحر. "النووي في شرح مسلم [١٧/ ١٥٩] طبعة دار الكتب العلمية".

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٩٥٧)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ١٣٩]، والبخاري في الأدب المفرد [٩٦٢].

(٢) قوله ﷺ: «يا أبا ذر» فيه مناداة العالم والكبير صاحبه بكنيته إذا كان جليلاً، وقوله: «من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق ؟!! قال: وإن زنى وإن سرق» فيه دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار، خلافاً للمعتزلة والخوارج، وقال النووي في موضع آخر: مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً علىٰ كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله ـ تعالىٰ ـ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات علىٰ التوحيد. "النووي في شرح مسلم [١/ ١٩٢، ٧/ ٦٥]، طبعة دار الكتب العلمية".

يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه ديناراً إلا شيئاً أرصده لِدَيْنٍ إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشى فقال: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله ومن خلفه - وقليل ما هم» ثم قال لي: «مكانك لا تبرح حتىٰ آتيك» ثم انطلق في سواد الليل حتىٰ توارى، فسمعت صوتاً قد ارتفع، فتخوفت أن يكون قد عرض للنبي ﷺ فأردت أن آتيه، فذكرت قوله لي: «لا تبرح حتىٰ آتيك» فلم أبرح حتىٰ أتاني، قلت: يا رسول الله لقد سمعت صوتاً تخوفت فذكرت له، فقال: «وهل سمعته؟» قلت: نعم، قال: «ذلك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»[1] أخرجاه والسياق للبخاري.

وهو بيان للمنفر الخامس، وهو أكمل العقلاء عقلاً، ما يسره أن يكون عنده مثل أحد ذهباً إلىٰ آخر الحديث، ليس ذلك إلا لعلمه بحقائق الأشياء وما فيه منها خير وما لا، ويوضحه قوله: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة»[2] وفي الرواية الأخرى: «ليسرني أن لا يمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء»[3].

وفرق بين قولك: ما يسرني أن يبقى، ويسرني أن لا يبقى.

العاشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرَّني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين»[4] أخرجاه.

الحادي عشر: حديثه أيضاً مرفوعاً: «انظروا إلىٰ من أسفل منكم، ولا تنظروا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٤] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، ومسلم في صحيحه [٣٢ - (٩٩١)] كتاب الزكاة، [٩] باب الترغيب في الصدقة، وأحمد في مسنده [٢/ ٣٩٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٨٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٦٥، ٧/ ٢٣٤]، والزبيدي في الإتحاف [٤/ ١١، ٨/ ١٤٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/ ١٧٠، ٦/ ١٤٦].

(٢) انظر ما تقدم.

(٣) هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه [٦٤٤٥] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، ومسلم في صحيحه [٣١ - (٩٩١)] كتاب الزكاة، [٨] باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، والبيهقي في السنن الكبرى [٥/ ٣٥٤]، وابن حجر في تغليق التعليق [٨٢٧]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١١٣٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٥] كتاب الرقاق، [١٤] باب قول النبي ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً»، وقد تقدم نخريجه قبل هذا، وهو في مسلم بلفظ: «تأتي عليَّ ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لدَيْن عليَّ».

إلىٰ من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» (١) أخرجاه والسياق لمسلم، وفي البخاري: «إذا نظر أحدكم إلىٰ من فُضِّل عليه في المال والخَلْق، فلينظر إلىٰ من هو أسفل منه». (٢)

وهذا أول مسهل للزهد علىٰ أهله، وهو المنازلة لا العلو.

الثاني عشر: حديثه أيضاً مرفوعاً: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة؛ إن أُعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض» (٣) أخرجه البخاري.

وهو ثاني مسهل له، وهو دعاء بذلك والإخبار به لمن عبد غير خالقه.

الثالث عشر: عنه أيضاً قال: " لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة ما منهم من رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته " (٤) أخرجه البخاري.

وهو ثالث مسهل، وهو حكاية حال الزاهدين وكثرتهم، وفي من ليس مثلهم أُسوة فكيف بهم، وإشارة شديدة لخُلُق المحاكاة.

الرابع عشر: عنه مرفوعاً: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (٥) أخرجه مسلم.

وهو رابع مسهل، فما أفرح المؤمن بضيق دنياه، وما أحزنه باتساعها (لا لكاد)(٦) ذلك.

---

(١) انظر تخريج ما يليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٩٠] كتاب الرقائق، [٣٠] باب لينظر إلىٰ من هو أسفل منه ولا ينظر إلىٰ من هو فوقه، ومسلم في صحيحه [٩ـ (٢٩٦٣)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٥١٣] كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع، وابن ماجه في سننه [٤١٤٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٨٢، ٢٥٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥/ ٦٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٣٥] كتاب الرقاق، [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، وابن ماجه في سننه [٤١٣٥، ٤١٣٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ١٥٩، ١٠/ ٢٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٢٤٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٢] كتاب الصلاة، [٥٨] باب نوم الرجل في المسجد.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٩٥٦)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه [٢٣٢٤] كتاب الزهد، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وابن ماجه [٤١١٣] في الزهد، باب مثل الدنيا، وأحمد في مسنده [٢/ ١٩٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٣٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ١٧٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٨٨ ـ الموارد].

(٦) كذا بالأصل.

الخامس عشر: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: " أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ".

وكان ابن عمر يقول: " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك "[١] أخرجه البخاري.

أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلىٰ أهله.

وهذا بيان حال العاقل في دنياه، ولا أجمع من قوله: " كن " إلىٰ آخره، فإن الغريب والمسافر لا يركن إلىٰ غير مستقره، ولا يُعْنَى به، ولا يتخذه وطناً، ولا يعلق قلبه بشيء منه كما أوضحناه.

السادس عشر: حديث سهل بن ساعد الساعدي قال: " جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دُلَّني علىٰ عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» ".[٢] حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

وفيه ذكر خاصية الزهد ولازمه، وهو محبة الله للزاهد، ومحبة الناس له، وكفى بذلك ترغيباً فيه ومدحاً له.

السابع عشر: حديث النعمان رضي الله عنهما قال " ذكرت لعمر بن الخطاب ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دَقَلاً يملأ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤١٦] كتاب الرقاق، [٣] باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، والترمذي في سننه [٢٣٣٣] كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، وابن ماجه [٤١١٤] كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والطبراني في المعجم الكبير [١٢/ ٣٩٩]، والطبراني في الصغير [١/ ٣٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٢٤٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢٧٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١/ ٣١٣].

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه [٤١٠٢] كتاب الزهد، [١] باب الزهد في الدنيا، وقال في الزوائد: في إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق علىٰ ضعفه، واتهم بالوضع، وأورد له العقيلي هذا الحديث وقال: ليس له أصل من حديث الثوري، لكن قال النووي عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، وأخرجه الحاكم في المستدرك [٤/ ٣١٣]، والطبراني في المعجم الكبير [٦/ ٢٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٨٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧/ ١٣٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ١٥٦]، والزبيدي في الإتحاف [٨/ ٣٠٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٣/ ٢٣٨].

به بطنه "[(١)] أخرجه مسلم.

والدقل بفتح الدال والقاف رديء التمر.

وفيه بيان أهله وحالهم، وأن من الزهاد سيد البرية، بل هو أَجَلَّهم، وأنه وصل من زهده إلىٰ هذه الحالة لاسيما في أرض التمر الكثير، فطوبى لمن به تأسى واقتدى واتبع واهتدى.

الثامن عشر: حديث عائشة قالت: " توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتىٰ طال عليَّ، فكلته ففني"[(٢)] أخرجاه.

وشطر الشعير أي شيء منه، كذا فسره الترمذي.

وهذا دال علىٰ استمرار هذه ودوامه حتىٰ الممات بعد أن فتحت البلاد، ودانت العباد.

التاسع عشر: حديث عمرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين قال: " ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة "[(٣)] أخرجه البخاري.

وهو وما قبله دالان علىٰ أن اقتناء ما لا بد منه ونحو الأقوات والربط والزواج ونحوه لا ينافي الزهد.

العشرون: حديث خباب بن الأرت قال: " هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٩٧٨)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته. والدقل: هو بفتح الدال والقاف، وهو تمر رديء، "كذا قاله النووي في شرح مسلم [١٨/ ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٥١] كتاب الرقائق، [١٦] باب فضل الفقر، ومسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٩٧٣)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته. قوله: "شطر شعير في رف" الرف بفتح الراء معروف، والشطر هنا معناه شيء من شعير، كذا فسره الترمذي، وقال القاضي: قال ابن أبي حازم: معناه نصف وسق، قال القاضي: وفي رواية هذا الحديث أن البرك أكثر ما تكون في المجهولات والمبهمات، وأما الحديث الآخر «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» فقالوا: المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً، ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل. "شرح مسلم للنووي[١٨/ ٨٤] طبعة دار الكتب العلمية".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٤٦١] كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وأبو داود في سننه [٢٨٦٣]، وابن ماجه في سننه [٢٦٩٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١/ ٢٠٧]، وابن عبد البر في التمهيد [٥/ ٢١]، والدارقطني في سننه [٤/ ١٨٥].

الله، فوقع أجرنا علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير؛ قتل يوم أحد وترك نمرة، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجله بدا رأسه، فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل علىٰ رجليه من الإذخر، ومنا من أينعت ثمرته فهو يهدُبُها » (١) أخرجاه.

والنمرة: كساء ملون من صوف، وأينعت: نضجت وأدركت، ويهدبها: بفتح الياء وضم الدال وكسرها لغتان: يقطعها ويجتنيها، وهذه استعارة لما فتح عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها.

وفيه أن من أهل الزهد اتباعه من السادة المهاجرين قريب مما وصف بهم حالهم، وقوله: « ومنا من أينعت له ثمرته » كالمتحزِّن من خوف تعجيل الأجر ونحو ذلك.

الحديث الحادي بعد العشرين: حديث سهل بن سعد مرفوعاً:«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»(٢) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

وفيه بيان مرتبة الدنيا عند الله، ولا أبلغ من قوله ذلك، وهل مرتبة أحسن من ذلك.

الحديث الثاني بعد العشرين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم» (٣) رواه الترمذي وحسنه، وقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٤٨] كتاب الرقاق، [١٦] باب فضل ليلة القدر، ومسلم في صحيحه [٤٤ ـ (٩٤٠)] كتاب الجنائز، [١٣] باب في كفن الميت. الإذخر: بكسر الهمزة والخاء، وهو حشيش معروف طيب الرائحة، وفيه دليل علىٰ أنه إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره جعل مما يلي الرأس، وجعل النقص مما يلي الرجلين، ويستر الرأس، فإن ضاق عن ذلك ستر العورة فإن فضل شيء جعل فوقها، فإن ضاق عن العورة سترت السوأتان لأنهما أهم، وهما الأصل في العورة، وقد يستدل بهذا الحديث علىٰ أن الواجب في الكفن ستر العورة فقط ولا يجب استيعاب البدن عند التمكن. "النووي في شرح مسلم [٧/٧] طبعة دار الكتب العلمية".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠/٢٨٨]، وابن حجر في المطالب العالية [٣١٧٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤/٩٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/١٧]، والقرطبي في تفسيره [٦/ ٤١٥]، ورواه ابن ماجه في سننه [٤١١٠] في الزهد، باب مثل الدنيا، بلفظ «ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣٢٢] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله ﷻ =

يبق في العلم.

وفيه تقرير الحديث الذي قبله، فلعن الدنيا وما فيها ليس مجرد تحقير واستصغار، بل استرذال واستقذار واستفتاح يوجب الطرد والإبعاد، والمشير يشير إلىٰ أن ذلك هو حكمة اتخاذ الدنيا والتنافس في إبقائها ولذلك تخرب إذا رفع العلم والقرآن والخير، فإذا لم يبق ما يقول: الله الله قامت القيامة.

الحديث الثالث بعد العشرين: حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً: «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»[1] رواه الترمذي وحَسَّنه.

وفيه النهي عن أسباب ينشأ عنها الرغبة في الدنيا، منها اتخاذ الضيعة التي هي نوع وطن ويتشعب أسباب عمارتها إلىٰ كل ديني ودنيوي.

الحديث الرابع بعد العشرين: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًا لنا، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: قد وَهَى فنحن نُصْلحُه. قال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك»[2] رواه أبو داود والترمذي بإسناد الشيخين، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الخامس بعد العشرين: حديث كعب بن عياض مرفوعًا: «إنَّ لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»[3] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، فالمال فتنة هذه الأمة المحمدية، فأي لبيب يعتني بالفتنة والبلية؟

السادس بعد العشرين: حديث عثمان بن عفان ﵄ أن النبي ﷺقال: «ليس

= وابن ماجه في سننه [٤١١٢] كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٧٦].

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٢٨] كتاب الزهد، باب منه ـ ما جاء في الهم في الدنيا وحبها، وابن حبان في صحيحه [٢٤٧١ ـ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٣/ ٢٤١]، وأحمد في مسنده [١/ ٣٧٧].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٣٦) كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء، والترمذي في سننه (٢٣٣٥) كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل، والنسائي (٢/ ٥٧٢. المجتبى)، وابن ماجه في الزهد، باب في البناء والخراب، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه (٢٣٣٦) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال. ، والنسائي في الكبرى، كتاب الرقائق، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٧٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٢).

لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز والماء»[١] رواه الترمذي وصححه.

الجلف: الخبز ليس معه إدام. قاله النضر. أو غليظ الخبز، أو وعاء الجوالق. والخارج عنه[٢] أقوال، فهذا هو الكافي وما سواه فضول لا ضرورة إليه.

السابع بعد العشرين: حديث عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التّكاثُر: ١] [٣] قال: يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[٤] أخرجه مسلم.

فالتكاثر المذموم ليس إلا لملك موهوم، موضحه قولهم: مال الفضول لحادث أو فارث.

والحديث السالف: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟... الحديث»[٥] وحديث: «وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت»[٦] الحديث. وهذا القدر لا يلهي، ولا تكاثر فيه.

الثامن بعد العشرين: حديث عبد الله بن المغفل، قال: جاء رجل لرسول الله

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤١) كتاب الزهد، باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠١)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٢٦، ٧/ ٢٤٠، ١٤/ ٣٠٨).

(٢) غير موجودة بالأصل، ووضعناها ليستقيم الكلام.

(٣) يقول تعالىٰ: أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها؟ وتمادى بكم ذلك حتىٰ جاءكم الموت، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها؟ وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: ١] في الأموال والأولاد. [تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٤)].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣. (٢٩٥٨)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والترمذي في سننه (٢٣٤٢) كتاب الزهد، باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا، والنسائي في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤، ٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٤، ٤/ ٣٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢١١، ٦/ ٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٢).

(٥) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٢) كتاب الرقاق، [١٢] باب ما قدم من ماله فهو له، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢)، وهو في البخاري بتكملة: " قالوا يا رسول الله ما منا إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر».

(٦) انظر ما تقدم قبل هذا.

ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إني لأحبك. فقال: «انظر ما تقول» قال: والله إني لأحبك. فقال: «انظر ما تقول» قال: والله إني لأحبك، ثلاث مرات. فقال: «إن كنت تحبُّني فأعد للفقر تِجفافا، فإن الفقر أسرع إلىٰ من يحبني من السيل إلىٰ منتهاه»[(١)] رواه الترمذي وقال: حسن.

التِجفاف: بكسر التاء المثناة فوق، وإسكان الجيم وبالفاء المكررة هو الشيء يلبسه الفرس ليتقي به الأذى، وقد يلبسه الإنسان. وذلك مؤذن بالتنافس بين الدنيا ومحبة الشارع. فإن من خاص محبته زوال رأس كل خطيئة.

التاسع بعد العشرين: من حديث كعب بن مالك مرفوعًا: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه»[(٢)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه ذم الحرص علىٰ المال والشرف، وهما ركنا الدنيا، ومنافاتهما للدين وإفسادهما له لائح.

الثلاثون: حديث عبد الله بن مسعود قال: " نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(٣)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وهو مشتمل علىٰ دلائل الزهد، وهو أن لا يخطر بالبال أدوات الدنيا كنومه علىٰ حصير ولم يطلب وطاء، وأن لا تميل النفس إلىٰ قبولها إذا عرضت عليه كما قال: «ما لي وللدنيا»، وأن يكون أمل الزهد قصير كقوله: «إنما أنا في الدنيا» إلىٰ آخره، فلا كان الحرص ولا طول الأمل، لقد أوقعاني في كل رداء وهلكة.

الحادي بعد الثلاثين: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يدخل الفقراء الجنة قبل

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في فضل الفقر، والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٦٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٦) كتاب الزهد، باب [٤٣]، والنسائي في الكبرى، في الرقائق، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٥٦، ٤٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٤، ١٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٠، ٥٤٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٧) كتاب الزهد، باب [٤٤]، وابن ماجه في سننه(٤١٠٩) كتاب الزهد، [٣] باب مثل الدنيا، وأحمد في مسنده (١/ ٣٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٨)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٠٢). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

الأغنياء بخمسمائة عام»[١] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وفيه من فوائد الزهد، وأثره الذي هو الفقر، ودخولهم الجنة قبلهم بذلك المقدار، وكفى بذلك.

الثاني بعد الثلاثين: حديث ابن عباس، وعمران بن حصين مرفوعاً: «أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[٢] أخرجاه من حديث ابن عباس، وللبخاري من حديث عمران.[٣]

وفيه من فوائده أن أكثر أهل الجنة الفقراء أو عامة من دخلها إذا قام ﷺ علىٰ بابها كما سيأتي، وأهل الجد محبوسون، وكفى بذلكم الحبس منفِّراً.

الثالث بعد الثلاثين: حديث أسامة مرفوعاً: «قمت علىٰ باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلىٰ النار»[٤] أخرجاه، والجد: الحظ والغنى.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٣، ٢٣٥٤) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وابن ماجه في سننه (٤١٢٢) كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦، ٤٥١، ٥/ ٣٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٢، ٩/ ٢٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٩) كتاب الرقاق، [١٦] باب فضل الفقر، ومسلم في صحيحه [٩٤.(٢٧٣٧)] كتاب الرقاق، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، والترمذي (٢٦٠٢) كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن أكثر أهل النار النساء، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣٤، ٣٥٩، ١٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٢، ١٦٣).

(٣) وعن عمران بن حصين أخرجه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٥٤٧) كتاب الرقاق، [٥١] باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٩٣.(٢٧٣٦)] كتاب الرقاق، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٥٩، ٢٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٧٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٣٢٢). وقال [النووي: قوله: «وإذا أصحاب الجد محبوسون»هو بفتح الجيم، قيل: المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل المراد أصحاب الولايات، ومعناه محبوسون للحساب، ويسبقهم الفقراء بخمسمائة عام كما جاء في الحديث، وقوله: «إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلىٰ النار» معناه من استحق من أهل الغنى النار بكفره أو معاصيه، وفي هذا الحديث تفضيل الفقر علىٰ الغنى، وفيه فضيلة الفقراء والضعفاء. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٤) طبعة دار الكتب العلمية].

الخاتمة: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[١] أخرجاه.

وهو بيان مجاري الزهد ومحتمة، فتأمل ذلك، وكل باطل، فحتم علىٰ العاقل عزوب النفس عنه، تواصياً بالحق، وحفظاً للتوحيد المحض ولا براعة ختم كهذا.

ولنذكر الحكايات المتعلقة بالزهد مع طرف منها:

الأولى: روي أن عيسىٰ ﷺ صحبه رجل وقال: يا نبي الله، أكون معك، فانطلقا فانتهيا إلىٰ شط نهر فجلسا يتغذَّيان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين، وبقى رغيف، فقام عيسىٰ ﷺ إلىٰ النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري، فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية[٢] معها ولدان لها، فدعا واحداً فأتاه فذبحه وشوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال له بعد ما ذبحه وأكلا منه قم بإذن الله ﷻ فقام، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية، من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري، فانطلقا حتىٰ انتهيا إلىٰ مغارة، فجمع عيسىٰ ﷺ تراباً وكثيباً ثم قال: كن ذهباً بإذن الله ﷻ فصار ذهباً، فقسمه ثلاثة أقسام وقال: ثلث لك، وثلث لي، وثلث للذي أخذ الرغيف، فقال أنا الذي أخذت الرغيف، قال: فكله لك، وفارقه عيسىٰ ﷺ فانتهيا إلىٰ رجلان في المغارة ومعه الذهب، فأرادا أن يأخذاه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً، فقبلا ذلك، فقال: يذهب واحد إلىٰ القرية حتىٰ يشتري لنا طعاماً، فذهب واحد واشترى طعاماً وقال في نفسه: لأي شيء أقاسمهما هذا المال، أنا أجعل في الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال جميعه، فجعل فيه السم، وقالا هما فيما بينهما: لأي شيء نجعل لنا ثالثاً، إذا رجع قتلناه، واقتسمنا المال نصفين، فلما رجع إليهما قتلاه، ثم أكلا من الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المغارة وأولئك الثلاثة قتلى عنده، فمر عليهم عيسىٰ ﷺ فرآهم علىٰ تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها.

الحكاية الثانية: روي أن عيسىٰ ﷺ كشفت له الدنيا في صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك، قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسىٰ- عليه السلام: بؤساً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٨٩) كتاب الرقاق، [٢٩] باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك، ومسلم في صحيحه [٣. (٢٢٥٦)] كتاب الشعر في مقدمته، وابن ماجه (٣٧٥٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٨٦).

(٢) الظبي: جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمجوفات القرون، أشهرها الظبي العربي، ويقال له الغزال الأعفر، وهي ظبية، جمعها: ظباء.

لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، فلا يكونون منك علىٰ حذر.[(١)]

الحكاية الثالثة: قال الفضيل ـ رحمه الله ـ: بلغني أن رجلاً عرج بروحه في المنام، فرأى امرأة علىٰ قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب، وإذا بها لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا أدبرت كانت أحسن الناس عجوزاً زرقاء شمطاء عمشاء، قال: فقلت لها: نعوذ بالله منك، فقالت: لا والله لا يعيذك الله حتىٰ تبغض الدرهم[(٢)] قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

الحكاية الرابعة: روي عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أدّ أمانتك فيقول: من أين يا رب؟ قد ذهبت الدنيا، فتمثل له الدنيا علىٰ هيأتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها علىٰ عاتقه، فيصعد بها، حتىٰ إذا ظن أنه خرج بها هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين.

الحكاية الخامسة[(٣)]: قال طلحة بن يحيى: حدثتني جدتي بنت عوف قالت: دخلت علىٰ طلحة فرأيته مغموماً، فقلت: ما شأنك؟ قال: إن المال الذي عندي قد كثر وأكربني، فقلت: ما عليك؛ اقسمه، فقسّمته حتىٰ ما بقي درهم، قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف.

الحكاية السادسة: قال أنس: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا جِمَال قدمت لعبد الرحمن بن عوف، وكانت سبعمائة راحلة فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن

---

(١) في الزهد في الدنيا: روى البخاري في صحيحه (٦٤١٦) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، عن ابن عمر، وفيه: " وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

(٢) في فتنة المال: روى البخاري في صحيحه (٦٤٣٥) كتاب الرقاق [١٠] باب ما يتقى من فتنة المال، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض».

(٣) روى هذه القصة بطريق آخر الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٣٦) وفيه: " قال أبو إسماعيل الترمذي بسنده عن موسى بن طلحة أن أباه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لك ؟ فقال تفكرت فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته، قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فاقسمها، فقال: إنك موفقة. وهي أم كلثوم بنت الصديق. فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلىٰ علي منها وأعطى زوجته ما فضل، فكان نحو ألف درهم.

عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه، فحدثته، قال: فإني أُشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله ـ عز وجل.[(١)]

الحكاية السابعة: عن المِسْوَر قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً من عثمان بأربعين ألف دينار، فقسَّم المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين، وبعث إلىٰ عائشة بمال من ذلك المال.

فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون»[(٢)]

سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

الحكاية الثامنة: وهو حديث عن ابن عمر قال: " كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة فدخلها في صدره بخلال[(٣)] فقال: «يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح» قال: فإن الله يقرأ عليه السلام، ويقول لك: قل له: أراض أنت عني في فقرك أم ساخط، فقال أبو بكر: أسخط علىٰ ربي، أنا علىٰ ربي راض، قالها أربعاً.[(٤)]

الحكاية التاسعة: قال عطاء: بعث معاوية إلىٰ عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوِّم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

الحكاية العاشرة: قالت أم ذرَّة:[(٥)] بعث الزبير إلىٰ عائشة بغرارتي مال فيهما ثمانون ألفاً أو مائة ألف، فدعت بطبق. وهي يومئذ صائمة. فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم. فلما أمست قالت: يا جارية ائتيني بعشائي. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت لها أم ذرة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت: لا تعتبيني، لو كنت ذكرتيني لفعلت[(*)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦ / ١١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٠، ٦/ ٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢١٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٩٩)، ورواه أحمد في مسنده (٦/ ١٠٤)، وذكره الحاكم في مستدركه (٣/ ٣١١) عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: «إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسق ابن عوف من سلسبيل الجنة».

(٣) الخِلال: منفرج ما بين الشيئين، والعود الذي يتخلل به، والديار: مضى فيها ومشى خلالها، وهنا يقصد عودًا ضم به العباءة نظراً لما أصابها من التمزق من القدم.

(٤) أخرجه ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٤٨٦) وذكره الهندي في كنز العمال (٣٥٦٥٨).

(٥) أم ذرة المدنية مولاة عائشة، مقبولة، أخرج لها أبو داود.
[انظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٦٧، رقم ٢٩٤٤).

(*) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٥١ ـ ٦٠) وفيه أيضًا عن عروة، رأيتها تصدق بسبعين ألفاً، وإنها لترفع جانب درعها.

الحكاية الحادية عشرة: قال عروة: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها (*).

الثانية عشرة: حكي أنه كان لهارون الرشيد[1] ولد قد بلغ من العمر ست عشرة سنة، وكان قد رافق الزهاد والعباد، وكان يخرج إلىٰ المقابر ويقول: قد كنتم قبلنا، وقد كنتم تملكون الدنيا، فما أراها تنجيكم، وقد صرتم إلىٰ قبوركم، فيا ليت شعري: ما قلتم وما قيل لكم؟ ويبكي بكاء شديدًا، وكان ينشد:

ترف عني الجنائز كل يوم ويحزنني بكاء النائحات

فلما كان في بعض الأيام مر علىٰ أبيه وحوله وزراؤه وكبار دولته وأهل مملكته، وعليه جبة صوف، وعلى رأسه مئزر صوف، فقال بعضهم لبعض: قد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك، فلو عاتبه لعله يرجع عما هو عليه؟ قال: فكلمه في ذلك، فقال: يا بني لقد فضحتني بما أنت عليه، فنظر إليه ولم يجبه، ثم نظر إلىٰ طائر علىٰ شرفة من شراريف القصر، فقال: أيها الطائر بحق الذي خلقك إلا ما جئت علىٰ يديّ. فانقض الطائر علىٰ كف الغلام، ثم قال: ارجع إلىٰ موضعك، فرجع علىٰ موضعه، فقال: بحق من خلقك إلا ما سقطت في كف أمير المؤمنين، فما نزل، فقال له الغلام: أنت الذي فضحتني بحبك الدنيا، وقد عزمت علىٰ مفارقتك، ففارقه ولم يتزود منه بشيء إلا مصحفًا، وانحدر إلىٰ البصرة.

وكان قد وقع في جداري حائط، فخرجت أطلب من يعمله، فرأيت غلاما لم أر أحسن منه وجهًا، وبين يديه زنبيل، وهو يقرأ في مصحف، فقلت له: يا غلام أتعمل؟ قال: ولم لا أعمل وللعمل خلقت؟ ولكن أخبرني في أي الأعمال تستعملني؟ قلت: في الطين. قال: بدرهم ودانق، وأصلي صلاتي؟ قال: لك ذلك، ثم مضيت به إلىٰ العمل وتركته يعمل، فلما كان آخر النهار وجدته عمل عمل عشرة رجال. فوزنت له درهمين فأباهما إلا درهمًا ودانقًا.

فلما كان من الغد خرجت إلىٰ السوق فلم أجده، فسألت عنه فقيل لي: إنه لا يعمل إلا يوم السبت، ثم لا نراه إلا يوم السبت الثاني، فأخرت العمل إلىٰ الثاني ثم أتيته، فوجدته، فقال لي مثل الأول، فمضيت به إلىٰ العمل، فوقفت أنظر إليه من بعيد

(*) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٥١ ـ ٦٠) وفيه أيضًا عن عروة، رأيتها تصدق بسبعين ألفاً، وإنها لترفع جانب درعها.

(١) هارون الرشيد من أشهر أمراء الدولة العباسية، وقد بلغت فيها الدولة الإسلامية أعظم قوتها واتساعها، وكانت تهابه ملوك العجم من الروم والفرنج.

وهو لا يراني، فأخذ كفا من طين وتركه علىٰ الحائط وإذا الحجارة تتركب بعضها علىٰ بعض، فقلت: هكذا أولياء الله يعانون. فلما أراد أن ينصرف وزنت له ثلاثة دراهم فأبى أن يقبلها، ولم يقبل سوى درهمًا ودانقًا[1].

فلما كان السبت الثالث جئت علىٰ السوق فلم أره، فسألت عنه، فقيل لي: له ثلاثة أيام وجِعٌ يعالج سكرات الموت، فوهبت أجرة لمن يدلني عليه، ومشينا حتىٰ وقفنا عليه في خراب بلا باب، وإذا هو مغشى عليه، فسلَّمت عليه، فإذا تحت رأسه نصف لبنة وهو في حال الموت، فسلمت عليه ثانية فعرفني، فأخذت رأسه فجعلته في حجري فمنعني من ذلك، وأنشا يقول:

يا صاحبي لا تغترَّ[2] بتنعم ... فالعمر ينفد والنعيم يزول

وإذا علمت بحال قوم مرة ... فاعلم بأنك عنهم مسئول

وإذا حملت إلىٰ القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

فقلت: يا حبيبي، ولم لا أكفنك في ثياب جديدة؟ فقال: الحي أحوج إلىٰ الجديد من الميت، الثياب تبلى والعمل يبقى، وخذ مئزري وسروالي فادفعهما للحفار، وخذ هذا المصحف والخاتم فادفعهما إلىٰ أمير المؤمنين هارون الرشيد، ولا تدفعهما إلا من يدك إلىٰ يده، وقل له: يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب، وهو يقول لك: لا تموتنَّ علىٰ غرَّتك، أو قال علىٰ غفلتك، ثم خرجت روحه. رحمه الله. فعلمت أنه ولد الخليفة، وعملت كل ما أوصاني به، وأخذت المصحف والخاتم ودخلت بغداد، وقصدت هارون الرشيد ووقفت في موضع مشرف، فخرج موكب في تقدير ألف فارس، ثم تبعه عشرة مواكب، كل موكب ألف فارس، وخرج أمير المؤمنين في الموكب العاشر، فناديت: بقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين إلا ما وقفت لي قليلاً، فلما رآني قلت: يا أمير المؤمنين معي وديعة من غلام غريب، ثم دفعت إليه المصحف والخاتم، وقلت له ما أوصاني به.

فنكَّس رأسه وأسال دمعته، وأوصى عليَّ بعض الحجَّاب وقال: ليكن هذا عندك إلىٰ أن أسألك عنه. فلما رجع هو وأصحابه أمر بالستور فرفعت ثم قال للحاجب: هات الرجل، وإن كان يُجدِّد عليَّ أحزاني، فقال لي الحاجب: يا أبا عامر إن أمير المؤمنين مهموم، فإذا أردت أن تكلمه عشر كلمات فاجعلها خمسا، فقلت: نعم.

ودخلت عليه، فإذا مجلسه خالٍ، فلما رآني قال: ادن مني يا أبا عامر، فدنوت

(١) الدانق: سدس الدرهم، جمعها: دوانق، ودوانيق.

(٢) غرَّ الرجل غرة: جهل الأمور وغفل عنها، واغتر فلان، غفل، وبكذا: خُدع به.

منه، فقال: أتعرف ولدي؟ قلت: نعم، قال: في أي شيء كان يعمل؟ قلت: في الطين والحجارة، قال: استعملته أنت؟ قلت: نعم. قال: استعملته وله اتصال برسول الله ﷺ؟ فقلت: المعذرة إلىٰ الله ثم إليك يا أمير المؤمنين؛ فإني ما علمت من هو إلا عند وفاته. قال: أنت غسَّلته بيدك؟ قلت: نعم. قال: هات يدك، فأخذها وتركها علىٰ صدره وهو يقول: بأبي كيف كفنت العزيز القريب؟ ثم أنشأ يقول:

يا غريبا عليه قلبي يذوب ... ولعيني عليه دمع سَكُوب

يا بعيد المكان حزني قريب ... كدَّر الموت كل عيش يطيب

كان نذرًا عليَّ قضيت لحين ... فمضى النذر في الشدي (والقضيب)[1]

قال: ثم تجهز وخرج إلىٰ البصرة وأنا معه، حتىٰ انتهى إلىٰ القبر. فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق أنشد يقول:

يا غائبا لا يؤوب[2] من سفره ... عاجله موته علىٰ صغره

يا قرة العين كنت لي أنسا ... في طول ليلي نعم وفي قصره

شربت كأسا أبوك شاربها ... لا بد من شربها علىٰ كبره

اشربها والأنام كلهم ... من كان من بدوه ومن حضره

فالحمد لله لا شريك له ... قد كان هذا القضاء من قدره

قال أبو عامر: فلما كان تلك الليلة قضيت وردي واضجعت، فإذا (يفتة)[3] من نور عليها صحاف من نور، وإذا قد كشف الصحاف، فإذا الغلام ينادي: يا أبا عامر جزاك الله عني خيرا، فقلت: ولدي إلىٰ ماذا صرت؟ قال: إلىٰ رب راض غير غضبان؛ أعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر[4] وآلى علىٰ نفسه أن لا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجي إلا كرمه مثل كرامتي.

فاستيقظت فرحًا به وبما قال لي وبشرني به ـ رحمه الله تعالى.

الثالثة عشرة: عن عبد الرحمن بن حفصة قال: إنه رأى عمر يبكي، فجلس يبكي لبكائه.

---

(١) كذا بالأصل، وأظنها (وانقلب).

(٢) الأوب: الجهة والناحية، يقال: جاءوا من كل أوب.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) حديث «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» أخرجه مسلم في صحيحه [٢ . (٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في مقدمته.

ثم جاء محمد فجلس يبكي لبكائهما، فاشتد بكاؤهم جميعًا، فبكى الرسول[1] أيضًا لبكائهم، ثم أرسل إلىٰ صاحبه فأخبره بذلك، وأرسل إلىٰ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يستعلم عن ذلك البكاء، فجاء ربيعة وذكر ذلك لمحمد، فقال محمد سله؛ فهو أعلم ببكائه، فاستأذن عليه ربيعة فقال: يا أخي ما الذي أبكاك من صلة الأمير؟ فقال: إني والله حسبت أن تغلب الدنيا علىٰ قلبي فلا يكون للآخرة فيها نصيب، فذلك الذي أبكاني. وأمر بالمال فتصدق به علىٰ فقراء أهل المدينة.

قال: فجاء ربيعة فأخبر الأمير بذلك، فبكى وقال: هكذا والله يكون أهل الجنة.

الرابعة عشرة: عن ذي النون[2] قال: بينما أنا أسير في بعض الطرق إذا أنا بفتى حسن الوجه، بين عينيه أثر التهجد، فقلت: حبيبي، من أين قدمت؟ فقال من عنده. فقلت: وإلى أين تريد؟ قال: إلىٰ عنده. قال: فعرضت عليه النقود، فنظر إليَّ مغضبا ثم ولى، وأنشأ يقول:

وكافر بالله مولاه ... يزداد ضعافا علىٰ كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانًا علىٰ فقره
لا خير في من لم يكن عاقلاً ... يمد رجليه علىٰ قدره

الخامسة عشرة: قال أبو علي بن جبران: مرَّ أبو تراب بمزيِّن فقال: أتحلق رأسي لله تعالى؟ فقال له: اجلس، فجلس، فبينما هو يحلق رأسه إذ مر به أمير من أهل بلده، فسأل حاشيته، فقال: أليس هذا أبو تراب؟ فقالوا نعم. فقال أي شيء معكم من الدنانير؟ فقال له رجل: معي خريطة فيها ألف دينار، قال: إذا قام فأعطه إياها واعتذر إليه، وقل له: لم يكن معنا غير هذه.

فجاء الغلام إليه فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام، ويقول لك: ما حضر معنا غير هذه الدنانير. فقال: ادفعها إلىٰ المزين، فقال المزين: أي شيء أعمل بها؟ فقال: خذها. فقال: والله ولو أنها ألف دينار ما أخذتها، فقال الغلام: إنها ألف دينار. قال لا حاجة لي بها، إنما حلقت رأسه لوجه الله. فقال له أبو تراب: ردها

---

(١) كذا بالأصل، وأظنه الرسول الذي أرسله الأمير إلىٰ عمر، هذا الذي لم يعرف ما هو، وأظنه أحد الزهاد.

(٢) اسمه ثوبان بن إبراهيم، ويقال: أبو الفيض بن أحمد، ويقال: ابن إبراهيم أبو الفيض، ويقال: أبو الفياض الأخميمي، وأبوه نوبي، وروى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل وسفيان بن عيينة وسلم الخواص، وجماعة، توفي سنة (٢٤٦،٢٤٨).

عليه وقل له إن المزين ما رضي يأخذها، فخذها أنت واصرفها في مهماتك.

السادسة عشرة: قال الشبلي: قال لي خاطري يومًا: أنت بخيل، فقلت: ما أنا بخيل، فقال: بلى أنت بخيل ثلاثا. فنويت أن أول شيء يفتح به علي أعطيه لأول فقير ألقاه، فما تم الخاطر حتىٰ دخل عليَّ إنسان. سماه[1]. بخمسمائة دينار، فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقيراً ضريرًا أو قال: أكمه[2] بين يدي مزين يحلق شعره، فناولته ذلك، قال: أعطها للمزين. فقلت: إنها دنانير، فرفع رأسه إليَّ وقال: أما قلنا لك إنك بخيل؟ فناولتها للمزيِّن فقال: عقدت مع الله عقداً أن لا آخذ من هذا الفقير شيئًا.

قال: فأخذتها وذهبت بها إلىٰ البحر فرميتها فيه، وقلت: فعل الله بك وفعل؛ ما أحبك أحد إلا أذله الله.

فإن قلت: كيف رماها الشبلي وساغ له ذلك؟ قلت: يجوز أن يكون غائبا أو شهد فيها سما مهلكا، أو كان ذلك بإشارة مؤذية اضطر إلىٰ ذلك.

السابعة عشرة: عن إبراهيم بن شبيب قال: كنا نتجالس في يوم الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به فجلس إلينا وألقى مسألة، فما زلنا نتكلم في الفقه حتىٰ انصرفنا.

ثم جاءنا في الجمعة فأجبناه وسألناه عن منزله، فأخبرنا به، وسألناه عن كنيته فقال: أبو عبد الله. فرغبنا في مجالسته، فمكثنا كذلك زمنًا، ثم انقطع عنا، واجتمعنا وأتيناه في بيته وسألنا عنه فقال: ذاك أبو عبد الله الصياد ذهب يصطاد والآن يأتي، فقعدنا ننتظره، وإذا هو قد أقبل مؤتزراً بخرقة، وعلى كتفه أخرى، ومعه أطيار مذبوحة، وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسم إلينا، فقلنا: قد كنت عمَّرت مجلسنا فما غيَّبك عنا؟ قال: إذاً أصدقكم، كان لي جار أستعير منه ذلك الثوب الذي كنت آتيكم به، وقد سافر. ثم قال: هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله، فدخلنا وقعدنا، فدخل علىٰ امرأته وسلم إليها الأطيار المذبوحة، وأخذ الأطيار الأحياء فباعها بالسوق واشترى خبزًا وملحًا، وقد صنعت المرأة ذلك وهيأته، فقدم إلينا خبزًا وطيرًا وملحًا، فأكلنا وخرجنا.

فقال القوم بعضهم لبعض: ألا تنظرون إلىٰ حال هذا الرجل وما هو فيه من الفقر مع فضله وصلاحه، وأنتم قادرون علىٰ أن تجمعوا له ما يقوم بحاله. فاتفقوا علىٰ أن

---

(١) أي سماه باسمه.

(٢) كَمِهَ الرجل كمها: عمي، فهو أكمه، وهي كمهاء.

يجمعوا له ما يستغني به، وانصرفنا علىٰ عزم أن نأتي بما وعدوه به، وهو خمسة آلاف درهم.

فلما مررنا بالمربد إذا أمير البصرة محمد بن سليمان قاعد في منظرة له، وهو يقول: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب، قال: فأتيته، فسألنا عن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث، فقال: أنا أحقكم، فأمر له بعشرة آلاف درهم. ففرحت بذلك وأسرعت، فلما رآها انقلب وتغير لونه وقال: ما لي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني؟ فأخبرته الخبر، وأن الأمير أخذ (. . . . .)[1] فازداد غضبًا وأغلق الباب، فرجعت إلىٰ الأمير فأخبرته، فقال: حروري، وأمر بضرب عنقه، فسكنته وقلت: أنا آتيك به، فسكن غضبه، ثم أتيته فإذا زوجته تبكي، وقالت: ما شأنكم بأبي عبد الله؟ دخل فنزع ما كان عليه وتوضأ ثم صلى، فسمعته يقول: اللهم اقبضني إليك ولا تفتني، فقضى نحبه.

فأخبرت الأمير، فصلى عليه وعامة أهل البصرة.

الثامنة عشرة: عن عمر بن عبد العزيز أنه قيل له لما حضرته الوفاة: تركت أولادك فقراء لا شيء لهم[2]. فقال: أولادي أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا وهو يتولى الصالحين، وإما رجل منكب علىٰ المعاصي، فلا أقويه علىٰ معاصي الله.

وكان ﷺ يؤتى بالحلة قبل أن يتولى الخلافة بألف درهم فيقول: ما أحسنها لولا خشونة ما فيها. ويؤتى بالحلة وهو في الخلافة بأربعة دراهم أو ستة فيقول: ما أحسنها لولا نعومة فيها. فقيل له في ذلك، فقال: إن لي نفسا تواقة ذواقة؛ إذا تاقت إلىٰ شيء وذاقت تاقت إلىٰ ما فوقه، فلم تزل تتوق وتذوق إلىٰ أن ذاقت الخلافة فتاقت إلىٰ ما فوقها، فلم تجد شيئًا فوقها إلا ما عند الله تعالى في الدار الآخرة

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) قال مالك بن دينار: الناس يقولون: إني زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وقال الفسوي بسنده عن عبد العزيز بن عمر، قال دعاني المنصور قال: كم كانت غلة عمر بن عبد العزيز حين أفضت إليه الخلافة؟ قلت: خمسون ألف دينار، فقال: كم كانت غلته يوم مات؟ قلت: ما زال يردها حتىٰ كانت مائتي دينار.

وبسنده عن مسلمة بن عبد الملك قال: دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لامرأته فاطمة. وهي أخت مسلمة: اغسلوا قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل، ثم عدت فإذا القميص علىٰ حاله، فقلت لها: فقالت: والله ما له قميص غيره. [تاريخ الإسلام، وفيات (١٠١ . ١١٠)].

فتاقت إليه، ولا يمكن الوصول إليه إلا بترك الدنيا.

التاسعة عشرة: سئل حاتم الأصم[١] فيما أفنيت عمرك؟ فقال: في أربعة أشياء: علمت أني لا أخلو من نظر الله طرفة عين فاستحييت أن أعصيه. وعلمت أن لي رزقا لا يجاوزني، وقد ضمنه لي فوثقت به عن طلبه، وعلمت أن عليَّ فرضًا لا يؤديه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فبادرته. وقد سلف في المراقبة.

العشرون: عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢] أنه خرج حاجًا، ولما نظر إلىٰ البيت بكى حتىٰ علا صوته، فقيل له: إن الناس ينظرون إليك، فلو رفقت صوتك قليلاً. فقال: ولم لا أبكي؟ لعل الله ينظر إليَّ برحمة منه فأفوز بها عنده غدًا. ثم طاف وركع خلف المقام ورفع رأسه من السجود فإذا موضع سجوده مبتل بدموع عينيه. فقال لبعض أصحابه: إني لمحزون، وإني مشتغل القلب. فقيل له: لِمَ؟ قال: إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه، وما عسى أن تكون الدنيا؟ هل هو إلا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة استحسنتها، أو أكلة أكلتها؟ أو كما قال[٣].

الحادية بعد العشرين: قال كعب: استخرجت من التوراة خمس عشرة كلمة فجعلتها في قصبة وربطتها في عنقي، فكنت أقرأها كل يوم خمس عشرة مرة.

أولها: يقول الله: يا ابن آدم لا تخف فوت الرزق ما دامت خزائني مملوءة، وخزائني مملوءة لا ينفد ما فيها أبدًا.

ثانيها: يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيًا، وسلطاني باق لا ينفد أبدا.

---

(١) حاتم الأصم، أبو عبد الرحمن البلخي الزاهد الناطق بالحكمة، له كلام عجيب في الزهد والوعظ، وكان يقال له لقمان هذه الأمة، وصحب شقيق البلخي وتأدب بآدابه.
قال أبو تراب: سمعت حاتم الأصم يقول: لي أربع نسوة، وتسعة أولاد ما طمع شيطان أن يوسوس في شيء من أرزاقهم.

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، الهاشمي، الباقر، العلوي الفاطمي المدني القرشي، زين العابدين، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو ثقة فاضل.
[تهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٠)، تقريب التهذيب (٢/ ١٩٢)].

(٣) روى مسلم في صحيحه [٤. (٢٩٥٩)] كتاب الزهد، في المقدمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث ؛ ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

ثالثها: يا ابن آدم لو أنني أعطيتك الدنيا كلها ما كان لك منها إلا القوت، فإذا أعطيتكه منها وجعلت حسابها علىٰ غيرك فأنا محسن إليك.

رابعها: يا ابن آدم لا تأمن مكري حتىٰ تجوز الصراط(١).

خامسها: يا ابن آدم إني خلقت الأشياء كلها من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا يشغلك ما خلقته من أجلك عما خلقتك لأجله.

سادسها: يا ابن آدم ما أنصفتني في المعاملة؛ أنا لعنت إبليس وغضبت عليه وطردته من أجلك، فصالحته وقطعتني.

سابعها: يا ابن آدم كل أحد يريدك له، وأنا أريدك لي، وأنت تفرُّ مني.

ثامنها: يا ابن آدم أنا وحقي لك محب، فبحقي كن أنت لي محبًا.

تاسعها: يا ابن آدم إني خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه إليك من حيث لا تحتسب؟(٢).

عاشرها: يا ابن آدم تغضب علي من أجل نفسك؟!

الحادية عشرة: يا ابن آدم كما لا أطالبك بعمل غدٍ لا تطالبني برزق غدٍ.

الثانية عشرة: يا ابن آدم إن لي فرضا، ولك عليّ رزق(٣) فإن خالفتني في

---

(١) فيما روى مسلم في صحيحه [٢٩٩. (١٨٢)] كتاب الإيمان، [٨١] باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي هريرة من حديث طويل، وفيه: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم....» الحديث. قال [النووي: وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف علىٰ إثباته، وهو جسر علىٰ متن جهنم، يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم، أي منازلهم، والآخرون يسقطون فيها ـ أعاذنا الله الكريم منها ـ وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري ﷺ. [النووي في شرح مسلم (٣/١٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) روى الترمذي في سننه (٢٣٢٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله عز وجل، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء».

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦. ٥٨] أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها.

ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. [تفسير ابن كثير (٤/٢٣٨)].

فرضي فلا أخالفك في رزقك على ما كان منك.

الثالثة عشرة: يا ابن آدم إن قنعت بما رزقتك أرحت قلبك وبدنك وأنت عندي مشكور، وإلا أتعبت قلبك وبدنك وسلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمت لك، وأنت عندي مذموم.

الرابعة عشرة: يا ابن آدم لا تأنس بغيري ما وجدتني فمتى طلبتني وجدتني.

الخامسة عشرة: يا ابن آدم ما خلقتك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح عليَّ.

خاتمة: قال أبو جعفر محمد بن علي السالف[1]: إن أهل التقوى أكثر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك.

قوالين بالحق قوامين بأمره، وأنزل الدنيا منك بمنزله منزل نزلت به أو ارتحلت عنه أو كمال أصبته في منامك واستيقظت، وليس معك منه شيء.

وأنشدوا في معناه:

ألا إنـمـا الـدنـيـا كـأحـلام نـائـم ... ومـا خـيـر عـيـش لا يـكـون بـدائـم

تـأمـل إذا مـا نـلـت بـالأمـس لـذَّة ... فـأفـنـيـتـهـا أنـت إلا كـحـالـم

(١) كان أحد من جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة وولد سنة [٥٦]، وتوفي سنة [١١٤، ١١٧] وله إخوة أشراف: زيد الذي صلب، وعمر، وحسين وعبد الله بنو زين العابدين رحمة الله عليهم. [تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١٠ أ ١٢٠)].

مجلس في الدعاء[1]

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]. إضافة بكاف الخطاب، وكفى به مباهاة، ووعد بالإجابة مؤكد باستقراعه في قالب الاستقبال ليؤذن به في ثاني الحال.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[3].

والتضرع هو حال الاضطرار، والخفية حال الحضور والإخلاص.

ثم أرشد إلىٰ التحذير من الاعتذار فيه ولا يرتكب شيئًا من مخالفة إذنه لئلا يعتدي بسببه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4].

ففيه إعلام تقرب الرب المدعو وإجابته دعوة كل داع، ولو من غير صالح.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[5] الآية.

فالآية الأولى فيها أصل الدعاء والثانية: صفته. والثالثة: المدعو تعالى وقربه،

---

(١) قال القاضي عياض: " إن الله أذن في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته وعلم النبي ﷺ الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء العلم بالتوحيد والعلم باللغة والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الإقتداء بالنبي ﷺ وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها علىٰ الأنبياء والصالحين، فيقولون: " دعاء آدم ودعاء نوح ودعاء يونس ودعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه فاتقوا الله في أنفسكم ولا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح منه. [مقدمة كتاب سلاح المؤمن لابن الإمام (٢٦، ٢٧)].

(٢) سورة غافر [٦٠].

(٣) سورة الأعراف [٥٥].

(٤) سورة البقرة [١٨٦].

روى ابن حاتم بسنده عن معاوية بن صبرة أن أعرابيا قال: " يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني استجبت. [تفسير ابن كثير (١ / ٢١٨)].

(٥) سورة النمل [٦٢].

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد والمرجو عند النوازل فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. [تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٣)].

والداعي وما يتصف به من الاضطرار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (١).

ولنذكر تسعة وعشرين حديثا مشتملة علىٰ مهمات الترغيب في الدعاء وجوامعه، وبيان أدعية مخصوصة كلية وجزئية مقصورا، ووسيلة وألفاظ مأثورة في طلب المغفرة ونحوها، وفي التعوذ ونحو ذلك وبيان أدعية لزمها الأكابر، واعتنت بشأنها.

الحديث الأول: حديث النعمان بن بشير مرفوعا «الدعاء هو العبادة»(٢).

رواه أبو داود والترمذي وقل: حسن صحيح أي مخها وكبدها علىٰ نحو «الحج عرفة»(٣).

ثانيها: حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك»(٤).

رواه أبو داود بإسناد جديد.

ووجه شمولها المهمات النافعات الجامعات.

ثالثها: حديث أنس، كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» أخرجاه.(٥)

---

(١) سورة الأعراف [١٨٠].

(٢) أخرجه أبو داود في سنة [١٤٧٩] كتاب الصلاة، باب الدعاء. والترمذي [٣٢٤٧] كتاب تفسير القرآن باب من سورة المؤمن (غافر). والنسائي في الكبرى في التفسير، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء. وأحمد في مسنده (٤ / ٢٧١) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩٦ أ المورد)، والطبراني في الصغير ([٢ / ٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٧٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨ / ١٢٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٠].

(٣) أخرجه أبو داود [١٩٤٩] كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة. والترمذي في سننه [٨٨٩]، والنسائي [٥ / ٢٥٦، ٢٦٤ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٣٠١٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ١٥٢، ١٧٣]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٤، ٢ / ٢٧٨] وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ٢٥٥]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٨٢٢]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٩٢، ٩٣] والزبيدي في الإتحاف [٤ / ٢٨٩]، والبخاري في التاريخ الكبير [٢ / ١١١].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٤٨٢] كتاب الصلاة، باب الدعاء، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٤٦].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٥٢٢] في التفسير، [٣٦] باب ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية، ومسلم في صحيحه [٢٦ أ (٢٦٩٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة =

زاد في روايته: " كان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو الدعاء دعا بها فيه " وسبب أكثريته ذلك عذوبة اللفظ وشموله خير الدنيا والآخرة وسيلة ومقصودا وجمعه لطلب الدفع والنفع، ونحو ذلك.

رابعها: حديث ابن مسعود: أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[1] أخرجه مسلم.

وهذا هو الحالة الحسنة في الدنيا، فأي نعمة توزاي الهدى والتقى وعفاف النفس[2] وغناها فما مثل هذين في راحة البدن كما أن الأولين ما مثلهما في حياة القلب ونوره وانتعاشه.

الحديث الخامس: حديث طارق بن أشيم قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»[3] رواه مسلم.

وفي رواية له عن طارق أنه سمع رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله كيف أقول حيث أسأل ربي؟.

قال: «اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني فإن هؤلاء يجمع لك دنياك وآخرتك»[4].

قلت: فهذا هو الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة وإنها جامعة للفوز والنجاة

= والاستغفار، [٩] باب فضل بـ (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، والترمذي [٣٤٨٧]، وأحمد في مسنده [٣ / ١٠٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٤٨] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٢٨٧].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٢ ـ (٢٧٢١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والترمذي في سننه [٣٤٨٩] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه [٣٨٣٢]، وأحمد بن حنبل في مسنده [١/ ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٧].
وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٨]، والطبراني في المعجم الكبير [١٠ / ١٢٧].

(٢) أما العفاف والعفة فهو التنزه عما لا يباح والكف عنه، والغنى ما غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم. [النووي في شرح مسلم (١٧ / ٣٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤، ٣٥ ـ (٢٦٩٧)]، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.
وأحمد في مسنده [١ / ١٨٥، ٣/ ٤٧٢، ٦ / ٣٩٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٢]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٤٤، ٨٤٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٨ / ٣٧٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٦٩٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

والهداية والعافية الماحية للأمراض القلبية الشاملة للعقاب وغيره والرزق المزيل لكل خلة وفاقة.

الحديث السادس: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا[(١)]: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك» أخرجه مسلم.

وهو منبه علىٰ اعتناء الداعي بمثله فيما يشعر بتمام الاقتدار وتعظيم الخوف وشدة الاضطرار.

ولعله ينظر علىٰ آخر دعاء الآية السالفة: «وقنا عذاب النار».

الحديث السابع: حديث أبي هريرة مرفوعا[(٢)]: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء» أخرجاه.

وفي رواية قال سفيان أشك أني زدت واحدة منها.

الحديث الثامن: حديثه أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر». أخرجه مسلم[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٦٥٤)] كتاب القدر، [٣] باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء. وأحمد في مسنده [٢/١٦٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٣٠٢، ٨ / ٥٤٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦١٦] كتاب القدر، [١٣] باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء. ومسلم في صحيحه [٥٣ـ(٢٧٠٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. [١٦] باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. قال [النووي: أما درك الشقاء فالمشهور فيه فتح الراء، وجهد البلاء بفتح الجيم وضمها والفتح أشهر وأفصح، فأما الاستعاذة من سوء القضاء فيدخل فيها سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك في الخاتمة. وأما درك الشقاء، فيكون أيضا في أمور الآخرة والدنيا، ومعناه أعوذ بك أن يدركني شقاء، وشماتة الأعداء هي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه؛ يقال منه: شمت يكسر الميم وشمت بفتحها فهو شامت، واشتمه غيره، وأما جهد البلاء فروى عن ابن عمر أنه فسره بقلة المال وكثرة العيال وقال غيره: " هي الحال الشاقة ".
[النووي في شرح مسلم [١٧ / ٢٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧١ ـ (٢٧٢٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شرما لم يعمل. وأحمد في مسنده [٤ / ٣٩٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء
(٦/ ٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ١٠٩، ١١١]، والطبراني في المعجم الصغير [٢/ ٤٨] وابن حبان في صحيحه [٥٤١ ـ المورد] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٨٣].

الحديث التاسع: حديث علي قال: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم اهدني وسددني»[١]. أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «اللهم إني أسألك الهدى والسداد»[٢] قلت: فإذا حصلت الهداية والتسديد، فقد وصل كل مقصد، فإن من سدد سهمه أصاب غرضه وأدرك لحكمه، ومن يؤتها فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

الحديث العاشر: حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[٣].

وفي رواية: «وضلع الدين وغلبة الرجال»[٤]. أخرجاه.

الحديث الحادي عشر: حديث أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعوا به في صلاتي.

قال: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٥].

أخرجاه. "كثيرًا": يروي بالمثلثة وبالباء الموحدة فينبغي الجمع بينهما.

الحديث الثاني عشر: حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وجهلي وكل ذلك عندي»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٢٧٢٥)] كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، وانظر الذي يليه في مسلم.

(٢) انظر تخريج ما قبله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٦٧] كتاب الدعوات، [٣٩] باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (٢٧٠٦)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٥] باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٦٩] كتاب الدعوات، [٤١] باب الاستعاذة من الجبن والكسل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٣٤] كتاب الأذان، [١٤٩] باب الدعاء قبل السلام. ورقم [٦٣٢٦] كتاب الدعوات، [١٧] باب الدعاء في الصلاة. ورقم [٧٣٨٨] كتاب التوحيد، [٩] باب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. ومسلم في صحيحه [٤٨ـ(٢٧٠٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٣] باب استحباب خفض الصوت بالذكر. والترمذي [٣٥٢١]، والنسائي [٣ / ١٥٣ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٨٣٥]، وأحمد في مسنده [١ / ٤].

(٦) قيل: قاله تواضعًا وعد على نفسه فوات الكمال ذنوبا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل لما =

«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»(١). أخرجاه.

والعصمة من رذائل العامة لا ينافي الاستغفار من ذنوب الخاصة التي هي أشرف ممن دونهم.

الحديث الثالث عشر: حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل»(٢). أخرجه مسلم.

الحديث الرابع عشر: حديث ابن عمر قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفُجَاءَة نقمتك، وجميع سخطك»(٣).

أخرجه مسلم.

الحديث الخامس عشر: حديث زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»(٤). أخرجه مسلم.

= كان قبل النبوة وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فدعا بهذا وغيره تواضعا؛ لأن الدعاء عبادة، قال أهل اللغة: الإسراف مجاوزة الحد. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٣٣] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٩٨]، [٦٣٩٩] كتاب الدعوات، [٦٢] باب قول النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت». ومسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٢٧١٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل. وأبو داود [١٥١٤] والترمذي [٣٤٣١، ٣٤٢٢]، وأحمد في مسنده [١ / ٩٤، ١٠٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٦ ـ (٢٧١٦)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار وأبو داود [١٥٥٥]، والنسائي [٣ / ٥٦، ٨ / ٢٨٠، ٢٨١ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٨٣٩، ٣٨٤٠]، وأحمد في مسنده [٦ / ٣١، ١٠٠، ٢١٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٢٧٣٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٦] باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء. وأبو داود [١٥٥٠]، والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦١] والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٦].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٣ ـ (٢٧٢٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

الحديث السادس عشر: حديث ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(١).

السابع عشر: حديث عائشة أنه ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار ومن شر الغنى والفقر»(٢).

رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وقال: حسن صحيح.

وهو متضمن تخوف شر ممن فيه خير من وجه، وشر من آخر.

الثامن عشر: حديث زياد بن علاقة عن عمه قطبه بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»(٣).

رواه الترمذي وحسنه.

فتعوذ من كسب النفوس خلقا، والجوارح عملا والعقول هوى، كل ذي منكر.

التاسع عشر: حديث شكل بن حميد قال: " قلت يا رسول الله علمني دعاء؟ ".

قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي ومن شر منيي»(٤). رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣١٧] كتاب الدعوات، [١٠] باب الدعاء إذا انتبه بالليل، ومسلم في صحيحه [٨٦ ـ (٢٧١٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل. وأحمد في مسنده [١ / ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ١٦٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦٣].

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه [١٥٤٣] كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة. والترمذي [٣٤٩٥] كتاب الدعوات، وابن ماجه في سننه [٣٨٣٨]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١ / ١٨٩]، والحاكم في المستدرك [١٠ / ٥٤١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٣١]، وأحمد في مسنده [٦ / ٥٧].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٩١] كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة. والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣٢]، وابن حبان في الإحسان [٩٦٠]. وقال الترمذي: حسن غريب ، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٥١] كتاب الصلاة باب في الاستعاذة. والترمذي في سننه [٣٤٩٢] كتاب الدعوات والنسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر السمع والبصر، والاستعاذة من شر البصر. وأحمد في مسنده [٣ / ٤٢٩]، والحاكم في المستدرك [١ / ٥٣٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ١٩٣]، [١٥ / ٣٠]. والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٥].

الحديث العشرون: حديث أنس أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام»(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وهذه عوارض الجوارح والعقول.

الحادي بعد العشرين: حديث أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»(٢).

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الثاني بعد العشرين: حديث عليٍّ في الترمذي، محسنا أن مكاتبا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي، فأعني قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ: لو كان عليك مثل جبل دينا أداه عنك قال: «قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»(٣).

أي أغنى عن الحرام والسؤال.

الثالث بعد العشرين: حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ علم أباه حصينًا كلمتين يدعوا بهما: «اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي»(٤).

رواه الترمذي وحسنه.

الرابع بعد العشرين: حديث العباس قال: قلت يا رسول الله علمني شيئا أسأله الله عز وجل، قال: «سل الله العافية» فمكثت أيامًا ثم جئت فقلت: يا رسول الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٥٤] كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة. وأحمد في مسنده [٣ / ١٩٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ١٨٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٧٠]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٦].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [١٥٤٧] كتاب الصلاة باب في الاستعاذة. والنسائي [٨ / ٢٦٣ - المجتبى]، وابن ماجه في سننه [٣٣٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ١٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٦٩] والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٢٥]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٨٤]، وابن حبان في صحيحه [٢٤٤٤ - الموارد]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٣٦]، والسيوطي في الدر المنثور [١٢٣/٤].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٦٣] كتاب الدعوات، والحاكم في المستدرك [٥٣٨/١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦١٣]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٢٧١].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣٤٨٣] كتاب الدعوات، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٨٠]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ١٤٧].

علمني شيئًا أسأله الله فقال لي: «يا عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»(١).

رواه الترمذي وصححه، والعفو: المحو، وهو صفة الصحة والقوة.

الخامس بعد العشرين: حديث شهر عن أم سلمة كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك»(٢).

رواه الترمذي وحسنه.

السادس بعد العشرين: حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «كان من دعاء داود: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليٰ من أهلي ونفسي، ومن الماء البارد»(٣).

رواه الترمذي وحسنه.

وهو جامع لإعلاء الأحوال والأعمال، وكان داود أعبد البشر.

السابع بعد العشرين: حديث أنس مرفوعًا: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»(٤).

رواه الترمذي، ورواه الحاكم من حديث ربيعة بن عامر الصحابي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وألظوا: الزموا ذلك، وأكثروا، فهو أصل كل المعارف والأحوال.

الثامن بعد العشرين: حديث أبي أمامه أنه ﷺ علمهم هذا لأنهم شكوا أنه دعا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥١٤] كتاب الدعوات، باب [٨٥] منه.
وأحمد في مسنده [١ / ٢٠٩، ٥ / ٢٣١، ٢٣٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٠ / ٢٠٨]، والزبيدي في الإتحاف [٣ / ٢٨٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٢١٧].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٢٢] كتاب الدعوات، باب [٩٠] منه. ورقم [٣٥٨٧] كتاب الدعوات باب منه [١٢٥] وأحمد في مسنده [٣/ ١١٢، ٢٥٧، ٦ / ٩١]. وابن ماجه [١٩٩]، وابن حبان في صحيحه [٢٤١٩ ـ الموارد]، وابن أبي شيبه في مصنفه [١٠ / ٣٦] والهيثمي في مجمع الزوائد [٧ / ٢١٠، ١٠ / ١٧٦]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٣٠٢]، وابن حجر في المطالب العالية [٤٦٢، ٤٩٤].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٤٩٠] كتاب الدعوات، باب منه [٧٣]. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥ / ٧٨، ٩ / ٥٤٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١ / ٢٢٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٥ / ٣٢٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٩٦].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٢٤] كتاب الدعوات، باب [٩٢]. وأحمد بن حنبل في مسنده [٤ / ١٧٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٥ / ٦٠]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ١٥٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ١٥٣] والبخاري في التاريخ الكبير [٣ / ٢٨٠].

بدعاء كثير لم يحفظوا منه شيئًا: «اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

رواه الترمذي وحسنه.

التاسع بعد العشرين: حديث ابن مسعود: كان من دعائه عليه السلام: «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار»(٢).

رواه الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

فصل في الدعاء بظهر الغيب

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾(٣) الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾(٤).

وقال إخبارا عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾(٥).

فالآية الأولى فيها مدح عموم المؤمنين بذلك. وفي الثانية: الأمر لنبيه وحبيبه به. وفي الثالثة: أنه كان شأن خليل الرحمن فطوبى لمن كان هجيراه ما أمر(٦) به الأنبياء والأولياء والأخلاء، فهؤلاء خاصة الخواص. وروينا في صحيح مسلم من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٧٨] وابن ماجه [٣٨٤٦] كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء. والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٤٧٣] وأحمد في مسنده [١٣٨/٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٣١٣، ٥١٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٤٩٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٢٧٩].

(٢) أخرجه ابن ماجه [١٣٨٤] كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، [١٨٩] باب ما جاء في صلاة الحاجة. والحاكم في المستدرك [١ / ٥٢٤، ٥٢٦] والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٤٥].

(٣) سورة الحشر [١٠].

(٤) سورة محمد [١٩].

(٥) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [إبراهيم: ٤١] قرأ بعضهم "ولوالدي" بالإفراد وكان هذا قبل أن يتبرأ منه أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل " وللمؤمنين " أي كلهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. تفسير ابن كثير (٢ / ٥٥٧)].

(٦) كذا بالأصل وأظنها ما نهى.

حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه[(١)] بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل» وروينا فيه أيضا، من حديثه أيضا أنه ﷺ كان يقول: «دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة؛ عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الموكل به آمين ولك بمثل»[(٢)].

فصل في مسائل من الدعاء

عن أسامة بن زيد مرفوعًا: «من صُنِعَ إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرا، فقد أبلغ في الثناء»[(٣)].

رواه الترمذي وصححه.

وفيه أن الدعاء قد يكون ثناء.

وعن جابر مرفوعًا: «لا تدعوا علىٰ أنفسكم ولا تدعوا علىٰ أولادكم، ولا تدعوا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم»[(٤)].

أخرجه مسلم. فالإجابة متوقعة كل وقت. وعن أبي هريرة مرفوعًا: «أقرب ما

---

(١) قوله ﷺ: «بظهر الغيب» فمعناه في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص. قوله: "بمثل" هو بكسر الميم وإسكان الثاء هذه الرواية المشهورة، قال القاضي ورويناه بفتحها أيضا، يقال هو مثله ومثيله بزيادة الياء أي عديلة سواء، وفي هذا أفضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها.
[النووي في شرح مسلم [١٧ / ٤١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٨ ـ ٢٧٣٣] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٣] باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأبو داود (١٥٣٤) كتاب الصلاة باب الدعاء بظهر الغيب، وابن ماجه في سننه [٢٨٩٥] كتاب المناسك [٥] باب فضل دعاء الحاج. وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ٩٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٠٣٥] كتاب البر والصلة باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص[٧٥]. والطبراني في المعجم الصغير [٢ / ١٤٨]، وابن حبان في صحيحه [٢٠٧١. المورد]، والبخاري في الأدب المفرد [٢١٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٢٤)، والزبيدي في الإتحاف [٤ / ١٥٦]، وابن السني [٢٧٠].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤ ـ (٣٠٠٩)] كتاب الزهد والرقائق، [١٨] باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر. وأبو داود في سننه [١٥٣٢] كتاب الصلاة، باب النهي عن أن يدعو الإنسان علىٰ أهله وماله. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٢٩] وابن حبان في صحيحه [٢٤١١ ـ المورد].

يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»(١).

أخرجه مسلم.

فأرجى الأحوال السجود.

وعنه مرفوعًا: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: قد دعوت ربي فلم يستجيب لي»(٢). أخرجاه.

ولمسلم: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطعية رحم، ما لم يستعجل».

قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟

قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»(٣).

قلت: فالاستعجال آفة الدعاء، ورجاء الإجابة باق.

وعن أبي أمامة: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟

قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٤٨٢)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود. وأبو داود [٨٧٥]، والنسائي [٢ / ٢٦ ـ المجتبى]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ١١٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١٠ / ٢٤٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٨٩٤]، والزبيدي في الإتحاف [٣ / ٢٠، ٥ / ٣٣]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [١/ ١٤٩، ٣٠٧]، وذكره ابن حجر في الفتح [٢ / ٣٠٠، ١١ / ١٣٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٤٠] كتاب الدعوات، [٢٢] باب يستجاب للعبد ما لم يعجل. ومسلم في صحيحه [٩٠ ـ (٢٧٣٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٥] باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجيب لي. وأبو داود [١٤٨٤]، والترمذي [٣٣٨٧]، وابن ماجه [٣٨٥٣]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٩٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٢ ـ (٢٧٣٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٥] باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجيب لي. والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٤٩٠] والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٣٥٣].

(٤) أخرجه الترمذي [٣٤٩٩] كتاب الدعوات باب [٧٩]، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص [٥١، ٥٢] باب ما يستجيب من الدعاء دبر الصلوات المكتوبات، وأحمد في مسنده [٤ / ١١٢، ١١٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٥٥، ٣ / ٤]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٦٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨٩].

رواه الترمذي وحسنه.

وعن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «ما علىٰ الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم»، فقال رجل من القوم: "إذاً نكثر " قال: «الله أكثر»(١).

رواه الترمذي وصححه.

والحاكم من حديث أبي سعيد وزاد فيه: «أو يدخر له من الأجر مثلها»، قلت: فالإجابة محققة ما لم يدع بمفوِّت حق الله أو حق آدمي.

وعن أبي عباس أنه ﷺ كان يقول عند الكرب(٢): «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم» أخرجاه(٣).

فاللجأ في الكربات والشدائد علىٰ الذكر والتذلل والإستكانة والإستغراق في شهود الجلال والعظمة من المهمات.

وفي الحديث الأول: من هذه الأحاديث الدعاء للمحسن وأنه حسن.

وفي الثاني: الدعاء علىٰ السيء، وأنه محذور والدعاء لأجنبي، وعلى غيره، أو بخير أو شر ونحوهما.

وفي الثالث: توطين الأمر بإكثار الدعاء.

وفي الرابع: الترغيب في إدامته والتحذير من الملل وسوء الظن(٤)، وذكر شرط الإجابة.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٣٥٧٣] كتاب الدعوات، في انتظار الفرج وغير ذلك، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٧] وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي واللفظ له: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٤٦] كتاب الدعوات، [٢٧] باب الدعاء عند الكرب، ومسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢٧٣٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢١] باب دعاء الكرب. والترمذي [٣٤٣١]، والنسائي في عمل اليوم والليلة [٦٥٢]، وابن ماجه [٣٨٨٣]. وأحمد في مسنده [١ / ٢٢٨، ٢٥٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢ / ٢٢٣].

(٣) قال الطبري: " كان السلف يدعون به ويسمونه دعاءالكرب، فإن قيل: هذا ذكر وليس فيه دعاء فجوابه من وجهين مشهورين: أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء. والثاني: جواب سفيان بن عيينه فقال: أما علمت قوله تعالىٰ: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين». [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٣٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) في قوله ﷺ في الحديث المتقدم: قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال: «يقول: دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». قال أهل اللغة: يقال: حسر واستحسر إذا أعيا =

وفي الخامس: تحري مواطن الإجابة، فإن له أثرًا.

وفي السادس: إكثار الطلب، فالكريم لا تنفد خزائنه.

وفي السابع: ما سلف.

وأما الخطايا: **فالأولىٰ:** عن سلمان الفارسي قال: إن العبد إذا كان يدعو في السَّراء[1] فنزلت به الضراء فدعا فقالت الملائكة: "صوت منكر من آدمي ضعيف ولا يشفعون له".

الثانية: قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلىٰ الله من أن يُسْأَل، وما يرفع القضاء إلا الدعاء[2].

فائدة: قال الغزالي رحمة الله عليه في الإحياء فإن قلت ما فائدة الدعاء، والقضاء لا مرد له؛ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء. والدعاء سبب الرد للبلاء، واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان[3].

فائدة أخرى: قال أبو سلمان: سمعت وهبًا يقول. وقد أقبل علىٰ عطاء الخرساني. ويحك ياعطاء أتأتي من يغلق بابه، ويظهر لك فقره، ويزوي عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

= وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١٩] أي لا ينقطعون عنها ففيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة. [المرجع السابق [١٧ / ٤٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) روى الحاكم في مستدركه [١ / ٥٤٤] وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يسره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء».

(٢) روى الحاكم في المستدرك [١ / ٤٩٢] وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة: قالت قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما قد نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان علىٰ يوم القيامة» ويعتلجان: يتصارعان.

(٣) كذا في الإحياء [٤ / ٢٠٢] وتكملة الكلام: وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عز وجل أن لا يحمل السلاح قال عز وجل: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النّساء: ٧١] وأن لا تسقى الأرض بعد نبت البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذرة، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر، أو هو أقرب، وترتيب تفضيل المسببات علىٰ تفاصيل الأسباب علىٰ التدريج والتقدير هو القدر.

وأنشدوا[1]:

أيها السائل العباد ليُعطى ... إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فضل المقسِّم العوَّاد

الثالثة: قال يوسف بن أحمد البغدادي: حججت أنا وأبو سليمان، فبينا نحن نسير إذا سقطت السطحية مني، وكان برد عظيم.

فلما افتقدت السطحية قلت: يا أبا سليمان بقينا بلا ماء، فقال: سلِّم وصل علىٰ محمد وقل: يا رادَّ الضالة، ويا هاديا من الضلالة أردد الضالة وإذا بواحد ينادي: من ذهب له سطحية؟، فأخذتها منه.

فقال أبو سليمان: تراه يتركنا بغير ماء؟!

فبينا نحن نسير وإذا برجل عليه طمران[2] رثان وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد وهو يرشح عرقا.

فقال أبو سليمان: " ألا نعطيك شيئا من ثيابنا " فقال: " يا داراني الحر والبرد خلقان لله أن يأمرهما أن يغشياني أصاباني وإن أمرهما أن يتركاني تركاني ".

يا داراني تصف الزهد وتخاف من البرد، أنا في هذه البرية من ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت، يلبسني في البرد فيحا من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته.

نادرة: قال جعفر الخلدي: ودعت المزين الصوفي فقلت له: زوِّدني شيئا، فقال: إن ضاع منك شيئ[3] أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان، فما دعوت بها في شيء إلا استجيب.

الرابعة: قال الشيخ أبو بكر الفرغاني: كنت أدفع علىٰ شدة الفاقة أياما كثيرة، وربما كنت أسقط مغشيا عليَّ، وكنت حينئذ قليل الدراية.

---

(١) قال الواحدي - رحمه الله: أنشدنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق ... علي فما ينفك أن ينفرجا

ورب فتى سدت عليه وجوهه ... أصاب له في دعوة الله مخرجا

(٢) الطمر: الثوب الخلق البالي، جمعها: أطمار.

(٣) روى ابن أبي شيبة في مصنفه [١٣٤٤٢] عن ابن عمر في الضالة يتوضأ ويصلي ركعتين ويتشهد ويقول: " بسم الله يا هادي الضال وراد الضالة، اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطائك وفضلك ".

فقلت ذات يوم لو علمتني اسمك الأعظم سألتك به إذا حلَّت بي فاقة متلفة.

فبينا أنا في بعض الأيام بدمشق علىٰ باب البريد جالس في المسجد إذ رأيت رجلين قد دخلا المسجد فوقع في نفسي أنهما ملكان فوقف أحدهما بحذائي فقال أحدهما للآخر تريد أعلمك اسم الله الأعظم. فقال له: نعم.

فأصغيت لهما فقال: هو أن يقول يا الله.

فقلت قد تعلمت، فقال أحدهما ليس كما تقول ولكن بصدق اللجأ.

قال الشيخ أبو بكر: صدق اللجأ أن يكون مثل الغريق في لُجَّةِ البحر، لم يبق له شيء يتعلق به ولا له ملجأ إلا الله ـ عز وجل.

الخامسة: عن ثابت البناني[1] قال: ما دعا الله المؤمن بدعوة إلا وكَّل بحاجته جبريل فيقول: لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمع صوت عبدي، وإن الفاجر يدعو الله فيوكل جبريل بحاجته ويقول: يا جبريل عجل إجابة دعوته فإني أحب أن لا أسمع صوت عبدي الفاجر.

السادسة: قال قدامه بن أيوب وكان من أصحاب عتبة الغلام: رأيت عتبة في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟

قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فلما أصبحت أتيت إلىٰ بيتي، فإذا بخط عتبة مكتوب علىٰ الحائط: يا هادي المضلين وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المبرورين، من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يا رب العالمين، آمين.

السابعة: قال عمر بن ثابت دخلت في أُذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتىٰ وصلت علىٰ صماخه، فأسهرت ليله ونغصت عيشه.

فأتي رجل من أصحاب الحسن، فشكى ذلك إليه فقال: ويحك إن كان شيء

---

(١) ثابت بن أسلم، أبو محمد البصري، البناني، القرشي، ثقة، عابد، أخرج له: الستة، توفي سنة [١٢٧] وله [٨٦ سنة]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢ / ٢]، وتقريب التهذيب [١ / ١١٥]، والكاشف [١ / ١٧٠]، الثقات [٤ / ٨٩] تاريخ البخاري الكبير [٢ / ١٥٩]، الجرح والتعديل [٢ / ١٨٠٥]، ميزان الاعتدال [١ / ٣٦٢]، حلية الأولياء [٢ / ٣١٨]، سير الأعلام [٥ / ٢٢٠]، الوافي بالوفيات [١٠ / ٤٦١]، طبقات ابن سعد [١ / ٤٧٨].

ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي[(١)] التي دعا بها في البحر وفي المغاوز. قال وما هي[(٢)]؟

قال: يا عليُّ يا عظيم يا حكيم يا عليم.

فدعا بها، فوالله ما برحنا حتىٰ خرجت من أذنه ولها طنين حتىٰ صكت الحائط وبرأ ما كان به.

وأنشدوا:

وإنـي لأدعـو الـلـه والأمـر ضـيـق ... عـلـيَّ فـمـا يـنـفـك أن يـنـفـرجـا

ورُبَّ فـتـى سُـدَّت عـلـيـه وجـوهـه ... أصـاب لـهـا في دعـوة الـلـه مـخـرجـا.

الثامنة: قال بعضهم: كنا مع إبراهيم بن أدهم، فأتاه الناس فقالوا: يا أبا إسحاق، الأسد وقف في طريقنا، فأتى إبراهيم إلىٰ الأسد وقال له: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أُمِرت به، وإن لم تُؤمر بشيء فتنح عن طريقنا، فأدبر الأسد وهو يهمهم.

فقال إبراهيم وما علىٰ أحدكم إذا أصبح وأمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا.[(٣)]

أخرى: عن الخواص: قال إبراهيم الخواص: كتب في البادية مرة فسرت في وسط النهار، فوصلت إلىٰ شجرة فنزلت، فإذا بسبع عظيم، فاستسلمت ودعوت، فلما قرب

---

(١) العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله بن عمار بن كلب بن ربيعة بن مالك بن عويف رضي الله عنه، حليف بني أميه، عامل البحرين صحابي جليل عمل علىٰ البحرين للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر، أخرج له الستة، توفي سنة [١٤]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٨/١٧٨]، تقريب التهذيب [٢ / ٩١]، الكاشف [٢ / ٣٥٩]، التاريخ الكبير [٦ / ٥١٦] الجرح والتعديل [٦ / ٣٥٧]، أسد الغاية [٤ / ٧٤]، سير الأعلام [١ / ٢٦٢].

(٢) روى الإمام البخاري في صحيحه [٦٣٤٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم».

(٣) قال يحيى بن عثمان الحمصي: حدثنا بقيه قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبت ريح هاجت الأمواج واضطربت السفينة وبكى الناس، فقلنا: يا أبا إسحاق ما ترى الناس فيه؟ فرفع رأسه وقد أشرفنا علىٰ الهلاك فقال: يا حي حين لاحى ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي، يا حي يا قيوم يا محسن يا مجمل، قد رأينا قدرتك فأرنا عفوك قال: فهدأت السفينة من ساعته.
[تاريخ الإسلام وفيات (١٦١ ـ ١٧٠)].

مني إذا هو يعرج، فهمهم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري، فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم.

فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت علىٰ يده خرقة، ومضى، فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان[١] يحملا إليَّ رغيفين.

التاسعة: قال الربيع: حج أبو جعفر[٢] سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال لي: ابعث إلىٰ جعفر بن محمد، فتغافل عنه الربيع، فأرسل إليه برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه، ففعل.

فلما جيئ به وأحضر بين يديه قال له: "يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجتبون إليك زكاة أموالهم، ونحلت من سلطاني، قتلني الله إن لم أقتلك".

فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان ـ عليه السلام ـ أعطى فشكر، وأيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر.

فقال له أبو جعفر: إليَّ يا أبا عبد الله البرئ الساحة السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله خيرًا.

ثم تناول يده وأجلسه معه علىٰ فراشه.

ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، ثم قال: انصرف في حفظ الله وفي كنفه، فانصرف فلحقته فقلت له: إني قد رأيت قبل أن تأتي ما لم تره، ورأيت بعد أن أتيت ما قدر رأيت فما هذا؟ فقال: يا أبا عبد الله حين دخلت قلت: "اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يُرام، واغفر لي بقدرتك عليَّ، لا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجل مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وبك استعيذ من شره".

العاشرة: عن سري السقطي قال: كان يسكن في جواري رجل صالح ورع من أهل القرآن. وكان فقيرا ذا عائلة فاشتدت به الفاقه والضيقة في بعض أيامه فوقع في

---

(١) الشبل: ولد الأسد، جمعها: أشبال.

(٢) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي أمير المؤمنين، وأمه سلامة البربرية ولد سنة خمس وتسعين أو في حدودها، وروى عن أبيه ورأى جده، وعنه ولده المهدي، وكان قبل أن يلي الإمامة يقال له عبد الله الطويل، ولي الخلافة بعد موت أخيه السفاح سنة [١٢٢] وكان أسمر طويلاً نحيفًا مهيبًا، وكان جمَّاعًا للمال تاركًا للهو واللعب كامل العقل جيد المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس، قتل خلقا كثيرا حتىٰ استقام ملكه، وكان في الجملة يرجع إلىٰ عدل وديانة وله حظ من صلاة وتدين، وكان فصيحًا بليغا مفوها، خليقا للإمارة، توفي سنة [١٥٨]. [تاريخ الإسلام وفيات (١٥١ ـ ١٦٠)].

نفسه أن يكتب حاله في ورقة ويدفعها إلىٰ الله عز وجل فلما كتبها أدركه الليل، فانتصب في محرابه يصلي ويدعو ويشير بالورقة علىٰ السماء، فلم يزل كذلك أكثر ليلته فمسَّه السهر وأعياه القيام.

وجلس يصلي قاعدا إلىٰ أن بقى من الليل قليل فغلب عليه النوم، فرأى في منامه رجلا حسن الوجه يقول له: ما هذه الغفلة التي لحقتك ترفع إلىٰ الله سوادا في بياض؟

قال: فكيف أصنع؟

قال: إذا أردت ذلك فاستمد بيد الشكر من بحر الذكر بقلم الصبر، واكتب علىٰ قلبك بياض الفكر علىٰ رهب الطلب.

قال: قلت: ماذا أكتب؟

قال: يا من أفضاله أفضل أفضال المتفضلين، وإنعامه أنعم إنعام المنعمين، وعجز عن شكره شكر الشاكرين.

قد جربت غيرك من المأمولين بغيري من السائلين، فإذا كل قاصد إلىٰ غيرك مردود، وكل طريق إلىٰ سواك مسدود، وكل خير عندك موجود وعند سواك معدوم مفقود.

قال: قلت: يا سيدي ما أحسن هذا؟

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية. فاكتب: يا من إليه توسَّلت وعليه في السراء والضراء عوَّلت، حاجاتي مصروفة إليك، وآمالي موقوفة لديك، وكل ما وفقتني له من خير أعمله وأطيقه، فأنت دليل عليه بطريقه.

قال: فقلت: يا سيدي وهذا أحسن.

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية، فاكتب: يا قادرا لا ترده المطالب، ويا مالكا يرغب إليه كل راغب، ما زلت مصحوبا منك بالنعم جاريا علىٰ عادات الإحسان والكرم، يا من بكرمه يبلغ الكرم، ومن حمده يزيد النعم.

قال: قلت: يا سيدي وهذا أحسن.

قال: فإن بقى في بياض بصيرتك وصرح عزيمتك بقية فاكتب: يا من جعل البصر عونا علىٰ بلائه، وجعل الشكر مادا لنعمائه أسألك صبرًا جميلاً علىٰ المحن وتوفيقا للشكر علىٰ المنن، فقد عظمت محنتك عن صبري، وجلت نعمتك عن شكري، فتفضل علي بإقراري بعفو أنت أوسع له وأقدر عليه، فإن لم يكن لذنبي عذر تقبله فاجعله ذنبا تغفره.

ثم قال: يا أبا عبد البر قم في مقام التبتل[١]، وقف موقف التنصل متعرضا للفضل بخشوع التذلل للقبول بلسان التوسل علىٰ العزيز المتفضل.

قال: قلت: يا سيدي ما أحسن هذا.

قال: هو من دعاء خاصة لملك، أفهمت.

قلت: نعم إن شاء الله تعالى، ثم مسح بيده علىٰ بطني وصدري، فانتبهت فإذا أنا ذاكر لما خاطبني به، وما ذهب عني حرف.

قال السري: حدثنا أبو عبد البر عند صلاة الفجر بهذا الحديث فاستحسناه وكتبناه ـ رحمة الله تعالى.

الحادية عشر: قال بعض الصالحين: صعدت جبل لبنان مع نفر نلتمس رجلا من العباد الزهاد المقيمين فيه، فسرنا ثلاثة أيام، فضربت علىٰ رجلي، فجلست علىٰ جبل شامخ، ومضى أصحابي يدورون في الجبل علىٰ أن يرجعوا إلي، فلم يعودوا وبقيت وحدي علىٰ غد ذلك اليوم، وطلبت ماء لأتطهر به للصلاة، فوجدت أسفل الجبل عينا فتوضأت منها، وقمت أصلي فسمعت صوت قارئ فلما فرغت من الصلاة اتبعت الصوت، فوجدت كهفا فدخلته فإذا فيه رجل ضرير جالس فسلمت عليه، فرد علي السلام.

وقال لي: أجني أنت أم إنسي؟

فقلت: بل إنسي.

فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما رأيت ههنا إنسا منذ ثلاثين سنة غيرك ثم قال لي: لعلك تعبت، اطرح نفسك، فدخلت داخل الكهف فرأيت ثلاثة قبور صفا، فنمت عندها، فلما كان وقت صلاة الظهر صاح بي الصلاة يرحمك الله، ولم أر رجلا أعرف بأوقات الصلاة منه.

فصليت معه، ثم قام يصلي، فلم يزل يصلي إلىٰ العصر، قام قائمًا يدعو فسمعته يقول في دعائه: "اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ"

فلما صلينا المغرب قلت له: من أين لك هذا الدعاء؟

قال: من دعا به كل يوم ثلاثة مرات كتبه الله من البدلاء.

فقلت له: من علمك هذا الدعاء؟

---

(١) تبتل إلىٰ الله: تفرغ لعبادته، بتَّل عمله لله: أخلصه من الرياء، وانبتل: انقطع.

قال: لا يحتمل إيمانك ذلك.

فلما صلينا العشاء قال لي: تأكل؟

فقلت: نعم.

قال: ادخل داخل الكهف فكل ما تجد، فدخلت فوجدت صخرة عليها زبيب وجوز وخرنوب وتفاح وتين وحبة الخضراء، كل واحد من ذلك ناحية فأكلت منه ما أردت.

فلما كان وقت السحر أوتر، وذلك أنه لم ينم في ليلته، ثم أكل مما هناك وصليت حتىٰ صلينا الفجر فنام وهو جالس إلىٰ أن طلعت الشمس نحو رمحين.

ثم قام فتوضأ ودخل الكهف، فقلت له من أين هذه الفاكهة؟ فما رأيت أطيب منها.

فقال سترى ذلك معاينة.

فدخل طائر جناحاه أبيضان، وصدره أحمر ورقبته خضراء، وفي منقاره حبة زبيب، وبين رجليه جوزة، فوضع الزبيبة علىٰ الزبيب، والجوزة علىٰ الجوز.

فلما أحسن بجناحه قال لي. رأيته؟

قلت: نعم.

قال: هذا الطائر يأتيني بهذه الفاكهة منذ ثلاثين سنة.

فقلت: كم يتردد إليك في اليوم؟

قال: سبع مرات.

فعددت فإذا به تردد خمسة عشر مرة، فعرَّفته ذلك، فقال: قد زادك مرة، واجعلنا في حل. ورأيت عليه من اللباس من لحاء شجر يشبه الموز، فقلت له: من أين لك هذا؟

فقال: يأتيني هذا الطائر في كل يوم عاشوراء بقشر قُطَع من هذا اللحاء، فأسوِّي منه قميصًا ومئزرا وكانت عنده مسلَّة يخيط بها اللحاء.

ورأيت بجنبه مما قد خلق من ذلك معروشًا.

ورأيت عنده حجرا يصب عليه الماء، ثم يأخذ الماء الذي ينزل منه فيسمح به الشعر الذي ينبت عليه فيحلقه.

فكنت عنده جالسا فدخل عليه سبعة نفر أعينهم مشقوقة بالطول حمر، وكانت ثيابهم شعورهم فقال لي: بالفارسية لا تفزع منهم فهم من مسلمي الجن.

فقرأ عليه أحدهم سورة طه والآخر سورة الفرقان وآخر يُلقَّن من سورة الرحمن آيات.

ثم خرجوا وسمعته وهو ساجد يقول في سجوده: اللهم مُنَّ عليَّ بإقبالي عليك، والإصغاء إليك واتصالي بك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، ورفع صوته.

فقلت له: من أين هذا الدعاء؟

فقال: أُلْهِمته، ولقد كنت أدعو به في بعض الليالي، فسمعت هاتفًا بي يقول: إذا دعوت بهذا الدعاء ففخم فإنه مستجاب.

فأقمت عنده أربعة وعشرين يوما ثم قال لي حدثني بقصتك كيف وصلت علي ههنا؟ فحدثته، وقال لي: لو علمت أن قصتك هذه ما تركتك عندي هذه المدة لأنك قد شغلت قلوب إخوانك، وقد ندموا علىٰ ما فرطوا في أمرك ورجوعك إليهم أفضل من مقامك عندي.

فقلت له: إني لا أعرف الطريق.

فسكت، فلما كان وقت الزوال قال لي: قم حتىٰ تمضي.

فقلت له: أوصني وصية.

فقال: عليك بالجوع، وحسن الأدب، فإني أرجو لك أن تلحق بالقوم، وأهدي لك هدية أيضا.

اطلب يوم الزيادة بعد العصر بين زمزم والمقام رجلا وصفه لي.

ثم قال لي: إذا لقيته فاقرأ عليه السلام واسأله أن يدعو لك.

ثم خرج من الكهف وأنا معه، فإذا بسبع قائم علىٰ باب الكهف، فتكلم معه بكلام لم أفهمه ثم قال لي: اتبعه فإذا وقف فانظر عن يمينك أو يسارك فإنك تجد الطريق.

فسار السبع أمامي ساعة.

ثم وقف فنظرت عن يميني، فإذا أنا على عتبة دمشق، فدخلت الجامع فلقيت بعض من كان معنا فحدثتهم الحديث، وخرجنا جميعا ومعنا خلق كثير حتىٰ صرنا إلىٰ ذلك الجبل وذلك الموضع بعينه، فطلبنا الكهف ثلاثة أيام فلم نجده.

فقالوا لي: هذا شيء كشف لك وغطى عنا، فكنت أحج كل سنة وألتمس الرجل الذي وصفه لي فما كنت أراه.

حتى كان بعد ذلك بثمان سنين رأيته علىٰ الصفة والمكان، فسلَّمت عليه فرد السلام، فسألته الدعاء، فدعا لي بدعوات.

فقلت له: إن إبراهيم الكرماني يقرئك السلام.

فقال لي: وأين رأيته؟

فقلت: في جبل لبنان.

قال: رحمه الله.

قلت: أو قد مات؟

قال: نعم، الساعة دفنته عند إخوتي في الغار الذي كان فيه، وصلينا عليه. فبينا نحن نغسله إذا بالطائر الذي كان يأتيه بقوته قد سقط فلم يزل يضرب بجناحيه حتىٰ مات.

فدفناه عند رجليه.

ثم قام الرجل فدخل في الطواف فلم أره بعد ذلك رحمه الله تعالى.

الثانية عشرة: قال بعضهم أدركتني ضائقة وخوف شديد، فخرجت هائما، فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة. فمشيت ثلاثة أيام، فلما كان في الرابع اشتد بي العطش والحر، وخفت علىٰ نفسي التلف ولم أجد في البرية شجرة استظل بها، فوكلت أمري إلىٰ الله، واستقبلت القبلة، فغلبتني عيناي وأنا جالس فرأيت شخصًا في المنام فصافحني وقال: أبشر أنت تسلِّم وتصل إلىٰ بيته الحرام وتزور قبر نبيه ﷺ.

فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا الخضر.

فقلت له: ادع لي.

فقال: يا لطيف بخلقه، يا خبير بخلقه، ألطف بي يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات.

فقلت ذلك.

فقال: هذه تحفة بها غنى الأبد، فإذا لحقتك ضائقة أو نزل بك نازلة فقلها، تكفي وتشفى ثم غاب عني وأنا أسمع شخصا ينادي: يا شيخ يا شيخ، فانتبهت.

فإذا برجل راكب علىٰ راحلة فقال لي: يا هذا رأيت لي شابا صفته كذا وكذا؟

فقلت: لا.

فقال: خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام، وأخبرنا أنه توجه إلىٰ الحج.

ثم قال لي: إلى أين تقصد؟

فقلت: حيث ما شاء الله، فأناخ راحلته ونزل عنها، ومد يده علىٰ جراب فأخرج منه قرصي سميد وبينهما حلوى، ونزل بسطحية مملوءة ماء.

وقال: اشرب، فشربت وأكلت قرصًا واحدا فاكتفيت به.

ثم قال لي: اركب، وركب أمامي وسرنا ليلتين ويوما فالتحقنا بالقافلة، فسأل عن الشاب فأخبر أنه في القافلة.

فتركني ومضى، ثم أتاني بعد ساعة والشاب معه وقال: يا ولدي هوَّن الله علي بالاجتماع بك اجتماعي بهذا الرجل.

ثم ودعتهما وانصرفت ولحقني الرجل بكاغدة وناولني إياها، وقبَّل يدي وانصرف.

فوجدت بها خمسة دنانير مصرية، اكتريت منها إلىٰ مكة، وتزودت ببقيتها، وحججت تلك السنة، وزرت النبي ﷺ والخليل. عليه السلام.

وكلما أدركتني ضائقة أو نازلة أذكر تلك الكلمات التي علمني الخضر وأعترف بفضله ومنه، وأشكره علىٰ نعمته.

تمن علىٰ ذي العرش ما شئت إنه مجيد كريم لا يُخَيِّبُ سائلا

الثالثة عشرة: عن الليث ـ رحمه الله ـ قال: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فأتيت مكة.

فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس، فإذا رجل جالس وهو يدعو فقال: يا رب حتىٰ انقطع نفسه ثم قال: يا الله يا الله حتىٰ انقطع نفسه.

ثم قال: يا حي يا حي كذلك.

ثم قال: يا رحيم كذلك، ثم قال: يا أرحم الراحمين سبع مرات. ثم قال: اللهم إني اشتهيت هذا العنب فأطعمنيه.

اللهم إن بُرْدِي قد خلق.

قال الليث. فوالله ما استتم كلامه حتىٰ أُتِيَ بسلة مملوءة عنبًا، وليس علىٰ الأرض يؤمئذ عنب. وبردين موضوعين، فأراد أن يأكل.

فقلت: أنا شريك.

فقال لي: ولم؟ قلت: لأنك كنت تدعو وأنا أؤمن.

فقال لي: تقدم فكل ولا تُخبأ منه شيئًا فتقدمت وأكلت شيئًا لم آكل مثله قط، وإذا عنب لا عجم فيه، فأكلت حتىٰ شبعت، والسلة لم تنقضي شيئا.

ثم قال: خذ أيَّ البردين شئت.

فقلت: أنا أغنى عنهما.

قال: توار عني حتىٰ ألبسهما، فتواريت عنه. فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر،

ثم أخذ البردين الذين كانا عليه فجعلهما علىٰ يديه، ونزل.

واتبعته حتىٰ إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال: اكسني كساك الله يا ابن رسول الله، فدفعهما إليه.

فلحقت الرجل فقلت: من هذا؟

فقال: هذا جعفر بن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فطلبته فلم أجده.

الرابعة عشرة: عن بعض المشايخ قال: كان لي زوجة كنت مشغوفًا بها، فبينا أنا عندها في بعض الأيام في البيت نائم أدركتني حالة في المنام فسمعت ما نطقت به وعاينت حركتي، وكانت حالة عظيمة.

فلما أفقت قالت: ما شأنك يا سيدي؟

فقلت: ما رأيت؟

قالت: خيرًا.

فسكت عنها، ثم خرجت وخليتها.

فقالت لخادم لنا ناد لي أمي وأختي، فناداهما.

فاجتمعت بهما وقالت جرى لزوجي كذا وكذا. وأخبرتها بالصورة، وقالت والله ما بقيت له بزوجة أبدًا، فإنه مجنون فعزلها أهلها عن ذلك وقصدوا ردها فأبت، فقالوا، تقيمين في الدار حتىٰ نجتمع معه.

فلما علمت بذلك أتيت إليها وقلت: ما مقصودك قالت: الفراق وإلا قتلت نفسي، وأنت السبب في ذلك.

فقال: أمهليني سبعة أيام.

فقالت: نعم، ثم إني وجدت مشقة كبيرة في فراقها، فقصدت رضاها بشيء من الدنيا، فأبت فأرسلت إليها جماعة من أهلي فأبت، فلما تيقنت عزمها علىٰ ما ذكرت، لحقني وَلَه وتغيرت أحوالي وتشوش خاطري ولم أجد ما يحمل ذلك عني.

فلما بقى من الأجل ليلة واحدة، وقد اشتد بي الحال، وضاقت بي الأرض، رجعت إلىٰ الله وفوضت أمري إليه وعزمت علىٰ أن ما يفعله الله أرضى به.

ثم دعوت بهذه الكلمات: اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات، ويا من بيده ملكوت الأرض والسموات، يا مجيب الدعوات استغثت بك واستجرت بك يا مجير أجرني ثلاث مرات.

ثم جلست حتىٰ كان النصف الآخر من الليل، وأنا مستقبل القبلة وإذا بها قد

دخلت فقبلت رجلي وقالت: سألتك بالله العظيم إلا رضيت عني، فقد تبت مما كنت أطلبه منك.

وقد رجعت إلىٰ الله فاسأله أن يقبل توبتي.

فقلت: لا أرضى عنك حتىٰ تخبريني بسبب هذا.

فقالت: كنت البارحة مصرة علىٰ ذلك العزم فأتى رجل في المنام وبيده اليمنى سوط، وفي الأخرى سكين وقال لي: إن رجعت عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذا السكين، ثم جلدني ثلاث جلدات.

فانتبهت مرعوبة وحرارة ذلك الضرب في قلبي فقعدت ساعة ثم نمت فرأيت الرجل بعينه قد أتاني وبيده السوط والسكين، وقال لي أما حذرتك ووعظتك وأمرتك، ثم رفع يده علي.

فانتبهت مرعوبة وأتيت إليك مسرعة لتقبل توبتي وترضي عني وتسأل الله لي.

ثم كشفت عن جسدها فرأيت أثر ثلاث ضربات فقلت لها: يتوب الله عليَّ وعليك، وقد رضيت عنك في الدنيا والآخرة.

فقالت: صداقي هبة لك، شكرا لله، وعندي عشرون دينارا من حليتي، وهي وثيابي للفقراء شكرا لله.

فلما أصبحت فعلت ذلك.

ثم نظرت لطف الله بي، وعلمت أنه ثمرة الرضا علي ما فعل، وتيقنت أن الأمور كلها بيده ثم أقمت معها بعد ذلك سبع سنين وأنا في أكمل مسرة، ثم ماتت فرأيتها في المنام في أجمل صورة وعليها من الحلي والحلل ما لا أطيق وصفه. فقلت لها: ما لقيت من ربك؟

فقالت: كما ترى، وأنا منتظرة لقاك رضي الله عنك، كما رضيت عني.

الخامسة عشرة: روى أنه كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ رجل يتجر من الشام إلىٰ المدينة ومن المدينة إلىٰ بلاد الشام.

ولا يصحب القوافل توكلا علىٰ الله.

فقدم مرة من الشام يريد المدينة، إذ عرض له لص علىٰ فرس فصاح بالتاجر، فوقف وقال شأنك مالي وخلِّ سبيلي.

فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك.

فقال له: التاجر: انظرني حتىٰ أتوضأ وأصلي وأدعو ربي قال: افعل ما بدا لك.

فقام التاجر فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه وكان من دعائه يا ودود ثلاثا يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التي قدرت بها علىٰ جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني ثلاثًا.

فلما فرغ إذا بفارس علىٰ فرس أشهب وعليه ثياب خضر وبيده حربة من نور، فلما نظر اللص قتله ثم رجع إلىٰ التاجر وقال: اعلم أني ملك من ملائكه السماء الثالثة حين دعوت المرة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار.

ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل وهو ينادي من لهذا المكروب، فدعوت ربي أن يولِيني قتله، واعلم يا عبد الله أن من دعا بدعائك هذا في كل كربة وشدة وكل نازلة، فرج الله عنه وأعانه، وجاء التاجر سالما غانما حتىٰ دخل المدينة، وجاء إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره بالقصة وبالدعاء.

فقال ﷺ: «لقد لقنك أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى».

السادسة عشرة: روى أنه كان بالكوفة رجل يكاري ويثق به التجار ويأمنونه علىٰ أموالهم، فسار وحده في وقت.

فلما خرج من العمران لقيه في طريقه رجل فقال: أين تريد؟

فقال المكاري: أريد كذا وكذا.

فقال له الرجل: لولا قلة مقدرتي علىٰ المشي لكنت رفيقك إليها، لكن إن شئت أعطيتك دينارًا، وتحملني علىٰ دابتك.

فقال له: أفعل.

فأخذه وحمله علىٰ دابته، فلما صار في بعض الطريق ظهر لهما طريقان.

فقال الراكب لصاحب الدابة أيهما نأخذ؟

فقال: الزم الجادة.

فقال له الراكب: أليس هذا الطريق أقصر وأخصب لدابتك؟

فقال: ما سلكتها قط.

قال: أنا سلكتها مرارا كثيرة.

قال: فسر حيث شئت، فسار من النهار حتىٰ رفَّت تلك الطريق، ورمتهم إلىٰ وادٍ مُوحش فيه جيف القتلى كثيرة.

فقال المكاري: أرى هذه الطريق قد انقطع.

فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكينا وقصد قتل المكاري.

فقال له: لا تفعل ودونك البغل وما عليه.

قال: لا والله لا آخذ البغل حتىٰ أقتلك.

فقال له: سألتك بالله العظيم إلا ما تركتني وأخذت البغل بما عليه.

فقال: لا بد من قتلك إلا أن يسبقني ملك الموت.

قال: فدعني أختم عملي بركعتين ولا تعجل عليَّ فضحك من كلامه وقال: قم فافعل فإنه قد فعل مثل ذلك كل من ترى، فما نفعتهم صلاتهم ولا خلصهم مني، فعجِّل صلاتك.

فقام يصلي، فكبر، ثم قرأ بأم القرآن ثم تلجلج ولم يدر ما يقول، فنهره وقال: عجِّل: لا أم لك فألهمه الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1].

فرفع صوته وهو يبكي، فإذا بفارس قد خرج من بطن الوادي وبيده رمح، وفي رأسه سنان كأنه كوكب مضيء فأجاب، فقصد الرجل أسرع من اللحظة فطعنه طعنة من ورائه خرَّ بها علىٰ وجهه.

ثم التهب في المكان الذي وقع فيه النار.

فلما رأى ذلك صاحب الدابة خر ساجدا لله ما شاء الله، ثم رفع رأسه إلىٰ الفارس وقال: سألتك بالله الذي رحمني بك من هذا المكان من أنت؟

فقال: أنا عبد لمن يجيب المضطر إذا دعاه.

اذهب حيث شئت فلا بأس عليك.

وأنشدوا:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا	وقمت أشكو إلىٰ مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة	ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها	ما لي علىٰ حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالصبر مبتهلاً	إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروي كل من يرد

السابعة عشرة: حكى أن بعض الملوك غضب علىٰ بعض الفقراء، فبنى عليه قبة ولم يترك له منفذا ومنعه الطعام والشراب.

---

(١) سورة النمل [٦٢].

فلما كان بعد ثلاث وجد الفقير خارجا في عافية فأخبر الملك بذلك، فأحضره فقال له: ما الذي نجاك من هذه الشدة، وفرج عنك هذه الكربة وأنقذك مما كنت فيه.

ما سبب خلاصك؟

قال له: دعاء دعوت به.

قال: وما هو؟

قال: قلت: اللهم إني أسألك يا لطيف ثلاثا، يا من وسع لطفه أهل السموات والأرض، أسألك أن تلطف بي من خفيّ خفيّ خفيٍّ لطفك الخفي الخفي الخفيّ الذي إذا لطف به لأحد من عبادك كفى.

فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشّورى: ١٩] الآية.

الثامنة عشرة: حكى أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك، وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها بيع الدار تأبى، فخرجت في سفر، فأمر الملك بهدمها.

فلما جاءت قالت من هدم داري؟

قيل: الملك، فرفعت رأسها علىٰ السماء، وقالت إلهي وسيدي ومولاي غبت أنا وأنت حاضر، للضعيف معين، وللمظلوم ناصر، ثم جلست فخرج الملك في موكبه، فلما نظر إليها قال: ما تنتظرين قالت: انتظر جواب قصتك.

فهزئ بقولها وضحك، فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره، ووجد علىٰ بعض حيطانه مكتوب:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه[1] ... وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء

وقد شاء الإله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

---

(١) ازدراه: حقره وعابه، وزري عليه زريا وزراية: عابه وعتب عليه. وأزرى بالشيء تهاون به وقصر.

مجلس في الصمت

قال تعالىٰ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[1].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[2].

وروينا في جامع الترمذي[3] مصححا من حديث معاذ قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار.

قال: لقد سألتني عن عظيم، وأنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل.

قال: ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[4] حتىٰ بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ .

---

(١) سورة ق [١٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ـ(٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي في سننه [١٩٦٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الضيافة كما هو، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٩٧١]. وبذلك في الموطأ [٩٢٩] قال [النووي: قوله ﷺ: «فليقل خيرا أو ليصمت» فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبا أو مندوبا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورا بتركه مندوبا إلىٰ الإمساك عنه مخافة من انجراره علىٰ المحرم أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيرا وغالبا. [النووي في شرح مسلم [٢ / ١٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦١٦] كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه في سننه [٣٩٧٣] كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، والنسائي في الكبرى في التفسير. وأحمد في مسنده [٥/ ٢٣٠، ٢٣١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٨]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٥١] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٣٣٧، ٥ / ١٧٥].

(٤) سورة السجدة [١٦].

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟»، قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟»

قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه.

قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»(١).

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك:

فالأول عن ذي النون المصري ـ رحمة الله عليه ـ قال: بينا أن أسير في نواحي الشام إذ وقعت في روضة خضراء، وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح، فتقدمت إليه، وسلمت عليه، فلم يرد علي السلام.

فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته، ثم كتب في الأرض بإصبعه:

منع اللسان من الكلام لأنه كهف البلاء وجالب(٢) الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون: فبكيت طويلاً وكتبت بإصبعي في الأرض:

وما من كاتب إلا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

قال: فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا.

فقمت لآخذ في غسله ودفنه، وإذا بقائل يقول: خل عنه فإن الله عز وجل وعده أن لا يتولى أمره إلا الملائكة.

قال ذو النون:(٣) فقمت إلىٰ شجرة فركعت عندها ركعتين، ثم أتيت الموضع

---

(١) تم تخريجه في أوله.

(٢) جلب الشيء: ساقه من موضع إلىٰ آخر فهو جالب وجلاَّب.

(٣) قال السلمي في كتاب المحن: إن ذا النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، أنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر، وكان يذهب مذهب مالك، ولذلك هجره علماء مصر، حتىٰ شاع خبره، وأنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتىٰ رموه بالزندقة. قال: فدخل عليه أخوه فقال: إن أهل مصر يقولون: أنت زنديق فأنشأ يقول:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ووضعي كفى تحت خدي وتذكاري

[انظر تاريخ الإسلام للذهبي. وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

الذي مات فيه فلم أجد له أثرا ولا أعرف له خبرا ـ رحمه الله تعالىٰ.

فائدة: قال محمد بن حازم: قال وهب: وجدت العزلة كلها في كف اللسان.

وقال وهب: يقال الحكمة عشرة، فتسعة منها في الصمت، والعاشر في عزلة الناس.

قال: فعالجت نفسي علىٰ الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه.

فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس.

الثانية: عن ميمون بن مهران[1] قال: جاء رجل إلىٰ سلمان فقال: أوصني، قال: لا تتكلم، فإن تكلمت تكلم بحق أو اسكت.

قال: زدني، قال: لا تغضب.

قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه.

قال: فإن غضبت أملك لسانك ويدك

قال: زدني، قال لا تلابس الناس.

قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة.

فائدة: قال عطاء بن رباح: " أن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، يعدون فضوله ما عدا كتاب الله أن تقرأه وتأمر بمعروف وتنهى عن المنكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2] الآية أما يستحي أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التي (أخلا)[3] صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

---

(١) ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي الفقيه، الجريري، وكان يرسل، وهو ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، أخرج له البخاري في الأدب ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة [١١٧ ـ ١١٨]. ترجمته تهذيب التهذيب [١٠/ ٣٩٠]، التقريب [٢/ ٢٩٢].

(٢) سورة ق [١٧] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] أي مترصد ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أي ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ﴾ أي ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢٤)].

(٣) كذا بالأصل.

نادرة: قال صالح بن أبي الأخضر[1]: قلت لأيوب أوصني قال: اقلل الكلام.

الثالثة: عن محمد بن رافع[2] قال: أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينا أنا في بعض الطريق رأيت رجلاً عليه جبة من الصوف وبيده ركوة.

فقلت: أين تريد؟

قال: لا أدري، فظننته موسوسًا.

فقلت: من خلقك؟ فاصفر لونه حتىٰ خلته صبغ بزعفران، ثم قال: خلقني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فقلت: رحمك الله أنا من إخوانك، ومن يأنس إلىٰ أمثالك فلا تنقبض عني، فقال: والله لو جاز لي ترك الجماعات حتىٰ أنفرد في شاهق منيف صعب المرتقى. أو في غار موحش لعلي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلها فعلت.

فقلت: وما جنت عليك الدنيا حتىٰ استحقت عليك هذا البغض؟

فقال: (حنانا)[3] بها.

فقلت: هل من دواء يعالج به هذا العمى الذي قد حجب مني ما يراد بي.

قال: ما أراك تقدر علىٰ العلاج فاستعمل من الدواء أيسره.

قلت: صف لي دواء لطيفًا.

قال فما داؤك؟

قلت: حب الدنيا.

فتبسم وقال: أي فرحة أعظم من هذه، ولكن اشرب السموم الطريفة والمكارم الصعبة.

---

(١) صالح بن أبي الأخضر اليمامي، البصري مولى هشام بن عبد الملك، ضعيف يعتبر به، أخرج له: أبو داود والترمذي في الشمائل توفي سنة [١٤٠] إلىٰ سنة [١٥٠]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤/ ٣٨٠]، تقريب التهذيب [١/ ٣٥٨]، الكاشف [٢/ ١٨]، تاريخ البخاري الكبير [٤/ ٢٧٣]، الجرح والتعديل [٤/ ١٧٢٧]، ميزان الاعتدال [٢/ ٢٨٨]، لسان الميزان [٧/ ٢٤٤]، الوافي بالوفيات [١٦/ ٢٥٧]، سير الإعلام [٧/ ٣٠٣].

(٢) محمد بن رافع بن أبي زيد، وأبو عبد الله سابور القشيري، الزاهد، النيسابوري ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة عدا ابن ماجه، توفي سنة [٢٤٥]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٩ / ١٦٠]، تقريب التهذيب [٢/ ١٦٠]، الكاشف [٣/ ٤٢]، تاريخ البخاري الكبير [١/ ٨١]، الجرح والتعديل [٧/ ١٣٩١]، العبد [١ / ٤٤٥]، الوافي بالوفيات [٣ / ٦٨]، التمهيد [١ / ٢٥٥]، سير أعلام النبلاء [١٢/ ٢١٤].

(٣) كذا بالأصل.

قلت: ثم ماذا؟

قال: الوحشة التي لا أنس فيها، والتفرقة التي لا اجتماع فيها.

قلت: ثم ماذا؟. قال: السلو عما تريد، والصبر علىٰ ما لا تحب،و إن أردت فاستعمل هذا وإلا فتأخر واحذر الفتن التي كأنها قطع الليل المظلم.

قلت: فدلني علىٰ عمل يقربني من الله.

فقال: يا أخي قد نظرت في جميع العبادات.

فلم أر أنفع من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، وقلة الكلام، يا أخي رأيت القلب عشرة أجزاء، فتسعة مع الناس وجزء مع الدنيا، فمن يقوى علىٰ الانفراد بتسعة أجزاء من القلب.

ثم غاب عني فلم أره.

الرابعة: عن أبي سلمان المغربي قال: كنت أحمل الحطب من الجبل وأتقوت من ثمنه، وكان طريقي فيه التوقي والتحري.

فرأيت في المنام جماعة من البصريين فيهم الحسن البصري وفرقد السبخي(١) ومالك بن دينار، فسألتهم من علم حالي فقلت: أنتم أئمة المسلمين دلوني علىٰ الحالات التيٰ ليس لله عز وجل فيها تبعة ولا للمخلوق فيه منة.(٢)

فمكثت آكل ثلاثة أشهر نيًّا ومطبوخًا في دار السبيل، فظهر لي حديث، فقلت: هذه فتنة.

فخرجت من دار السبيل، ومكثت آكل ثلاثة أشهر أخرى، فأوجدني الله تعالى قلبا طيبا حتىٰ قلت إن كان أهل الجنة بهذا القلب فهم والله العظيم في شيء طيب، وما كنت آنس بكلام الخلق.

فخرجت يومًا إلىٰ بعض الصهاريج، فجلست عنده وإذا أنا بفتى قد أقبل من ناحية يريد طرسوس. وقد بقى معي قطعيات من ثمن الحطب السالف فقلت: أنا قد قنعت بالحباري(٣)، أعطى هذه هذا الفقير ليأكل به شيئًا.

فلما دنا مني أدخلت يدي إلىٰ جيبي لأخرجها، وإذا أنا بالفقير قد حرَّك شفتيه،

---

(١) فرقد بن يعقوب، أبو يعقوب السبخي البصري، الكوفي، صدوق، عابد لكنه لين الحديث كثير الخطأ، أخرج له: الترمذي وابن ماجه، توفي سنة [١٣١]. تهذيب [٨/ ٢٦٢] التقريب [٢/ ١٠٨].

(٢) مَنَّ عليه منًّا: أنعم عليه نعمة طيبة والمِنَّةُ: الإحسان والإنعام، جمعها: منن.

(٣) الحُبارى: طائر طويل العنق رمادي اللون علىٰ شكل الإوزة، في منقاره طول.

وإذا كل ما حولي ذهب يتقد، كاد يخطف بصري، ولبستني منه هيبة، فجاء فلم أسلم عليه من هيبته.

ثم رأيته بعد ذلك خارج طرسوس جالسًا تحت برج بين يديه ركوة فيها ماء.

ثم استدعيت منه موعظة، فمد رجله وقلب الماء ثم قال: إن كثرة الكلام تنشف الحسنات كما نشفت الأرض هذا الماء، قم يكفيك.

شعر:

كن عن جميع الخلق مستوحشا	مستأنسًا بالواحد الحق
واصبر فبالصبر تنال المنى	وارض بما يجري من الرزق
واحذر من النطق وآفاته	فآفة المؤمن في النطق
وجدَّ في السير وشمر كما	شمر أهل السبق للسبق
أولئك الصفوة ممن سما	وخيرة الله من الخلق

مجلس من ترك الغيبة

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1] الآية.

فنهى عنها، ونفر منها بما ذكر بعد، وحذر ورغب في التوبة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2].

نهى عن اقتفاء ما لا علم له بإباحته، أو تشريعه ولو قيل: المعنى ما ليس لك به علم نافع، لساغ، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[3].

فينبغي للعاقل التحفظ من ذلك والإمساك عن الكلام، إلا ما ظهر فيه المصلحة، وقد ينجز المباح إلىٰ غيره، فالإمساك أحوط.

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم[4].

---

(١) سورة الحجرات [١٢].

(٢) سورة الإسراء [٣٦].

قال علىٰ بن أبي طلحة عن بن عباس يقول: لا تقل وقال العوفي عنه: لا ترم أحدا بما ليس به علم. وقال محمد بن الحنفية: يعني شهادة الزور، وقال قتادة: لا تقل: رأيت ولم ترى وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ومضمون ما ذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: ١٢] . [تفسير ابن كثير (٣ / ٤٠)].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) قال النووي: لكن تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك لستة أسباب: أحدها: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلىٰ السلطان والقاضي وغيرهما. والثاني: الاستغاثة علىٰ تغير المنكر ورد العاصي علىٰ الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك. الرابع: تحذير المسلمين من الشر منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين والإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته وغيره. الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة أموال الناس وجباية المكوس وتولى الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز لغيره إلا بسبب آخر. السادس: =

قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟

قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته وإن لم يكن فيه، فقد بهته»[(١)] رواه مسلم

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[(٢)] رواه أبو داود.

وفيه والترمذي وقال حسن صحيح من حديث عائشة: قالت: " قلت لرسول الله حسبك من صفية كذا وكذا "

ـ قال بعض الرواة يعني قصيرة ـ قال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنسانا.

فقال: «ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا»[(٣)].

ومعنى مزجته: خالطته يتغير طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وإنه لزجر بليغ عنها فشيء يخالط البحر المحيط بالدنيا لا أقبح منه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[(٤)].

هو ظاهر في السكوت عند عدم الخيرية.

وفيهما من حديث أبي موسى: قلت: يا رسول الله أيُّ المسلمين أفضل؟

= التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها. [مختصرا من النووي في شرح مسلم [١٦/ ١١٧، ١١٨] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ـ (٢٥٨٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٠] باب تحريم الغيبة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ٢٤٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٨].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٧٨] كتاب الأدب، باب في الغيبة. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٧/ ٣٣] والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ١٥٠، ٦ / ٩٦].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٧٥] كتاب الأدب، باب في الغيبة. والترمذي [٢٥٠٢، ٢٥٠٣] كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٥١]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٢٨، ١٣٦، ٢٠٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٠٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٤٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٠٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ـ (٤٧)] كتاب الإيمان [١٩] باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي [١٩٦٧، ٢٥٠٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، وابن ماجه في سننه [٣٩٧١] والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣٠٦، ٧ / ٣٥٨] ومالك في الموطأ [٩٢٩] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٢٢٠].

قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[١].

وفيهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ينزل بها إلىٰ النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٢].

ومعنى يتبين: يتفكر أنها حرام أو لا.

وفيهما من حديث سهل مرفوعًا: «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٣].

ورواية الترمذي مصححًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من وقاه الله تعالى شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة»[٤].

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم»[٥]

قلت: فليحذر من المعرّات﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٥].

وروينا في موطأ مالك، وجامع الترمذي من حديث بلال بن الحارث المزني مرفوعًا: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن يبلغ ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١١] كتاب الإيمان، [٥] باب أي الإسلام أفضل، ومسلم في صحيحه [٦٤ـ (٤٠)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل. والترمذي [٢٥٠٤، ٢٦٢٧]، والنسائي [٨ / ١٠٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٩١، ٢٠٦] والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٤٣]، والحاكم في المستدرك [٣ / ٦٢٦]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٩ / ٦٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٢٥٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٧] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٩٨٨)] كتاب الزهد والرقائق، [٦] باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار. والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٤٥].
والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٣٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٤] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان. والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨١٢].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٩] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، والحاكم في المستدرك [٤ / ٣٥٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥٠]، والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٣٥٧].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٤٧٨] كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٣٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٥٣٦].

بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلىٰ يوم القيامة»[١].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وسخطه تعالى لا طاقة لنا به، فكيف مؤبده نعوذ بالله من ذلك.

وروينا من حديث سفيان بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به. قال: «قل: ربي الله ثم استقم».

قال: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[٢].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وأما الحكايات: **فالأولى**: عن الجنيد ـ رحمه الله ـ قال: كنت جالسًا في مسجد الشونيزيه انتظر جنازة للصلاة، وأهل بغداد علىٰ طبقاتهم ينتظرونها رأيت فقيرًا عليه أثر النسك[٣] يسأل الناس، فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به.

فلما انصرفت إلىٰ منزلي وكان لي شيء من الوِرْدِ[٤] بالليل فثقل عليَّ وِرْدِي فسجدت وأنا قاعد وغلبتني عيني، فرأيت ذلك الفقير جاءوا به إليَّ علىٰ خوان ممدود وقالوا لي: كل لحمه فقد اغتبته، كشف لي عن الحال، فقلت ما اغتبته وإنما قلت في نفسي شيئًا.

فقيل لي: ما أنت ممن يُرْضَي منك بمثله، اذهب فاستحله.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٣١٩] كتاب الزهد، باب في قلة الكلام. والنسائي في الكبرى في الرقائق، وابن ماجه [٣٩٦٩] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة والحاكم في المستدرك [١ / ٤٥]، وابن حبان في صحيحه [١٥٧٦ ـ المورد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ٣٥٤].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤١٠] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان. و ابن ماجه في سننه [٣٩٧٢] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٣)، والحاكم في المستدرك [٤ / ٣١٣]، و ابن حبان في صحيحه [٢٥٤٣ ـ المورد] و ابن أبي عاصم في السنة [١ / ١٥]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٧٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [١ / ٦٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥١] وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٣٨)] كتاب الإيمان، [١٣] باب جامع أوصاف الإسلام.

(٣) نَسَكَ فلان نسكًا: تزهد وتعبد، وتَنَسَّك أي تزهد وتعبد.

(٤) الوِرْدُ: النصيب من القرآن أو الذكر.

فأصبحت ولم أزل أتردد حتىٰ رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقا مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال: لا تعود يا أبا القاسم.

قلت: لا، قال: غفر الله لنا ولك.

الثانية: قال: ميمون بن سياه[1] تذاكروا عندي رجلا من السلاطين فوقعوا فيه، فلما انقلبت إلىٰ أهلي رقدت إذا بجيفة منتنة، وإذا رجل علىٰ رأسي يقول: كل.

فقلت: يا أبا عبد الله لما آكل؟ قال: لما اغتيب عندك فلان، قلت: ما ذكرت منه خيرًا ولا شرًا.

قال: لكنك سمعت ورضيت.

الثالثة: قال خالد الربعي: كنت في مسجد فتناولوا رجلا، وأعنتهم عليه، فرأيت تلك الليلة في المنام كأن رجلا أتاني بطبق عليه قطعة من لحم الخنزير، فقال: كل.

قلت: لا آكل، قال: أكلت شرًا منه. ففك لحيي وأدخل فمي منه، فاستيقظت وأنا أجد طعمه في فمي. فمكثت أربعين يوما، وما ذهب نتنه من فمي.

الرابعة: قيل: أوحى الله إلىٰ موسى ﷺ يا موسى من مات تائبًا من الغيبة[2] فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرًا علىٰ الغيبة فهو أول من يدخل النار.

الخامسة: قال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك.

السادسة: قال الثوري ـ رحمه الله ـ إني لأرمي رجلا بسهم أحب إلي من أن أرميه بلساني؛ لأن رمي اللسان لا يخطئ، ورمي السهم ربما يخطيء.

السابعة: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا

---

(١) ميمون بن سياه، أبو بحرا البصري، صدوق عابد، يخطيء، أخرج له: البخاري والنسائي. ترجمته: تهذيب التهذيب [١٠/ ٣٨٨]، تقريب التهذيب [٢ / ٢٩١]، الكاشف [٣ / ١٩٢]، الجرح والتعديل [٨ / ١٠٥٢]، تاريخ البخاري الكبير [٧/٣٣٩]، ميزان الاعتدال [٤ / ٢٣٣]، لسان الميزان [٧ / ٤٠٦] المجروحين [٣ / ٦]، المغنى [٦٥٥٨]، حلية الأولياء [٣ / ١٠٦].

(٢) من أوجه الغيبة المباحة: إذا كان الإخبار عن العيب عند المشاورة، فإذا رأيت من يشتري شيئا معيبًا أو عبدًا سارقًا أو زانيًا أو ساربا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد. ومنها إذا رأيت متفقًا يتردد إلىٰ فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علمًا وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا للنصيحة ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها علىٰ وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به علىٰ حالة فلا يغتر به ويلزم الاستقامة. [النووي في شرح مسلم [١٦/١١٧] طبعة دار الكتب العلمية].

لعيوب نفسه، فاعلموا أنه قد مكر به.

الثامنة: قال حاتم الأصم - رحمه الله - ثلاثة إذا كنَّ من مجلس فالرحمة عليهم مصدومة: ذكر الدنيا، والضحك، والوقعية في الناس.

التاسعة: قال مجاهد: إن لبني آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكره بسوء، قالت الملائكة: أيها المستور عورته ارفع علىٰ نفسك، واحمد الله الذي ستر عورتك.

العاشرة: قال بشر بن السري[1]: ويحك لو قيل لك لم تغتاب فلانًا وتقع فيه.

قلت: لأنه عدوي، وظلمني، فإن كان كما زعمت فدعه وما جنى علىٰ نفسه، فإن الله سينصرك ولا تخفف عنه وتحمل عنه من خطاياه بتوقير ظهرك، ويحك يسألك والدك حسنة فتمنعها وتعطيها أعداءك، ما يفعل هذا عاقل، بل كان حقا عليك لو أن إنسانا اغتابه أخذت علىٰ فيه.

وقلت: هذا عدوي فلا (تصبني)[2] له خيرًا.

وأنشدوا:

قل للذي لست أدري من يلومه ... أناصح أم على غل تداحيني
إني لا أعجب مما سمتني عجبًا ... يد منك تسخوا وأخرى منك تأسوني
تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين وكل منك يأتيني
هذان أمران (.......)[3] بينهما ... فاكفف لسانك في ذمي وتزييني

الحادية عشرة: عن أبي أمامة الباهلي ﷺ أنه قال: إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها.

فيقول: يا رب أني لي هذا؟

فيقول: هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر.

الثانية عشرة: قال أبو تراب مثل الذي يجلس في مجلس ويغتاب الناس بلسانه، مثل الذي نصب منجنيقًا[4] لحسناته فيرميها شرقا وغربا. يذكر واحدا من الشام بسوء،

---

(١) بشر بن السري، أبو عمرو البصري الأفوة المكي، ثقة متقن، وكان واعظا طعن فيه برأي جهم ثم اعتذر وتاب، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، توفي سنة [٩٦]. ترجمته تهذيب التهذيب [١/ ٤٥٠]، تقريب التهذيب [١ / ٩٩]، الكاشف [١/ ١٥٥]، تاريخ البخاري الكبير [٢ / ٧٥]، الجرح والتعديل [٢/ ٣٥٨] ميزان الإعتدال [١/ ٣١٧]، الوافي بالوفيات [١٠/ ١٤٩] سير الأعلام [٩/ ٣٣٢].

(٢) كذا بالأصل وأظنها " تهيب ". (٣) كلمتان غير واضحتان بالأصل.

(٤) المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن كانت ترمي بها حجارة ثقيلة علىٰ الأسوار فتهدمها.

ويقع في الآخر بالعراق ويغتاب واحدًا من أهل خراسان، فيقوم حاليا من حسناته قد فرقها في بلاد شتى.

نوادر: الأولى: قال سعيد بن جبير[١] يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع إليه كتاب فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه ولا شيئًا من أعماله.

فيقول: يا رب هذا كتاب كانت لي فيه حسنات ليست فيه.

فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك كله بغيبتك للناس.

الثانية: قال وهب بن منبه: قال رجل من بني إسرائيل: اللهم ليس لي مال فأتصدق به، فأيما رجل أصاب عرضي فهو عليه صدقة.

قال: فأوحى الله إلىٰ نبي زمانه إني قد غفرت له.

الثالثة: قال عطاء الخرساني: من اغتيبت له غيبة غفر له نصف ذنوبه.

الرابعة قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال حتىٰ تكون من المحسنين: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تستره، فلا تغمه وإن لم تتكلم فيه بخير فاسكت عنه.

الحلم زين والسكوت سلامة	فإذا نطقت فلا تكن مهذارًا
ما إن ندمت علىٰ سكوت مرة	ولقد ندمت علىٰ الكلام مرارًا

غيره:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده	فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
فكم من محب ساكت لك معجب	زيارته أو نقصه في التكلم

فصل

ومن الأحاديث الواردة فيما نحن فيه حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي»[٢]. أخرجه الترمذي.

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو عبد الله الكوفي أحد الأئمة الأعلام سمع ابن عباس وعدى بن حاتم وابن عمرو عبد الله بن مغفل وغيرهم، قال ربيعة الرأي: كان سعيد ابن جبير من العبَّاد العلماء فقتله الحجاج، فلما قتل خرج منه دم كثير حتىٰ راع الحجاج فدعا الطبيب فقال ما بال دمه كثيرًا قال: قتلته ونفسه معه ليس خائفًا. قال إبراهيم النخعي: ما خلف سعيد بن جبير بعده مثله، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: مات سعيد بن جبير وما علىٰ الأرض أحد إلا وهو محتاج علىٰ علمه. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٩١ ـ ١٠٠)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤١١] كتاب الزهد، باب [٦١] منه، باب ما جاء في حفظ اللسان، =

وروينا في مصححًا من حديث عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك علىٰ خطيئتك»(١).

وفيه حديث أبي سعيد مرفوعًا: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن إعوججت إعوججنا»(٢).

وروينا(٣) من حديث معاذ قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت».

ثم قال: «ألا أدلك علىٰ أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل».

قال: ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: ١٦] حتىٰ بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبركم بملاك ذلك كله؟».

قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه.

= وقال: حديث حسن. و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٣٨] و التبريزي في مشكاة المصابيح [٢٢٧٦]، السيوطي في الدر المنثور [٥ / ٣٢٥].

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٦] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان وأبو نعيم في حلية الأولياء [٢ / ٩]، والشجري في أماليه [٢ / ٩٩]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٢٤، ٤ / ٢٣٢]، الزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣٣٩، ٧ / ٤٥٠].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٤٠٧] كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٩]، أحمد في مسنده [٣ / ٩٦]، و الزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٥١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٣٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٢٦١٦] كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في الكبرى في التفسير، ابن ماجه في سننه [٣٩٧٣] كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وأحمد في مسنده [٥ / ٢٣٠، ٢٣١]. ، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٣٠٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٥١٧، ٥٢٨) والسيوطي في الدر المنثور [١ / ١٤٧، ٢ / ٢٢١]، الطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٥١]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٢٩٥]، والألباني في إرواء الغليل [٢ / ١٣٨].

قال: «كف عليك هذا».

فقلت: " يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[(١)] أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وتقدم في الصمت.

وروينا في حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت»[(٢)]. أخرجاه.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[(٣)].

فصل في تحريم سماعها وأمر من سمعها بردها والإنكار علىٰ قائلها، فإن عجز ولم يقبل منه، فارق ذلك المجلس إن أمكنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[(٤)] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه في أول الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٧٣٩] كتاب الحج، [١٣٣] باب الخطبة أيام منى، ومسلم في صحيحه [٢٩ ـ (١٦٧٩)] كتاب القسامة، [٩] باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال. وأحمد في مسنده [٥ / ٤٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ١٦٦]، و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٠٢]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣ / ٥٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله. وأبو داود [٤٨٨٢] والترمذي [١٩٢٧]، وابن ماجه [٣٩٣٣]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٧٧، ٣٦٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٩٢، ٨ / ٢٥٠].

(٤) سورة القصص [٥٥].
أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم بل كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

(٥) سورة المؤمنون [٣].
أي عن الباطل وهو يشتمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] قال قتادة أتاهم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٦)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾[(١)] الآية.

وقال تعالى﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[(٢)] الآية.

وروينا في جامع الترمذي مصححًا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»[(٣)]

وروينا من حديث عتبان بن مالك[(٤)] في حديثه الطويل المشهور في الصحيحين قال: قام رسول الله ﷺ فقال: «أين مالك بن الدخشم»[(٥)] فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال ﷺ: «لا تقل ذلك ألا تراه قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[(٦)].

وروينا فيهما من حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته الذي ذكرناه في التوبة قال: قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟»".

فقال رجل: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت[(٧)]، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت

---

(١) سورة الإسراء [٣٦].

(٢) سورة الأنعام [٦٨].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٣١] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم. وأحمد في مسنده [٦ / ٤٥٠]، البيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥١٧]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٢٨٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٢٥٥، ٥ / ٣٥٢].

(٤) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري السلمي، البدري، العجلاني.
ويقال: عتاب بن مالك، صحابي مشهور. أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود في مسند مالك والنسائي وابن ماجه، توفي في خلافة عثمان. ترجمته: تهذيب التهذيب [٧ / ٩٣]، تقريب التهذيب [٢ / ٣]، تاريخ البخاري الكبير [٧ / ٨٠] الثقات [٣ / ٣١٨].

(٥) في روايات الدخشن.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٢٥] كتاب الصلاة، [٤٠٦] باب المساجد في البيوت، ومسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (٣٣)] كتاب المساجد ومواضيع الصلاة، [٤٧] باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

(٧) قال [النووي]: قوله " فقال معاذ بن جبل: " بئس ما قلت " هذا دليل لرد غيبة المسلم الذي ليس بمتهتك في الباطل وهو من مهمات الآداب وحقوق الإسلام. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ٧٤] طبعة دار الكتب العلمية].

رسول الله ﷺ[(١)].

والعِطْفُ: الجانب، وهو إشارة إلىٰ إعجابه بنفسه.

فصل

فيما يباح منها وضابطه إذا كان لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا به، وهو شبه أسباب مجموعة في بيت ذكرته في الشرح الصغير للمنهاج.

لقب ومستفت وفسق ظاهر والظلم تحذير مزيل المنكر

وأكثرها مجمع عليه، ومن دلائل بعضها حديث عائشة أن رجلاً[(٢)] استأذن علىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «أئذنوا له بئس أخو العشيرة»[(٣)].

أخرجاه، واحتج به البخاري.

وروينا في البخاري من حديثه[(٤)] أيضا قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا».

قال الليث بن سعد "كانا من المنافقين " ففيه تقبيح من يقصد التعلم والاستفادة منهما والتحذير من مثل حالهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٦٧٧] كتاب تفسير القرآن، سورة براءة [١٨] باب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨]. ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة، [٩] باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه. وأحمد في مسنده [٣ / ٤٥٧]، [٦ / ٣٨٧] وابن أبي شيبه في مصنفه [١٤ / ٥٤١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٣٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [١٠ / ٣١٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٩٧٤٤].

(٢) قال القاضي: هذا الرجل هو عيينه بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل علىٰ ضعف إيمانه وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرا إلىٰ أبي بكر ﷺ ووصف النبي ﷺ له بأنه: «بئس أخو العشيرة» من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول تألفا له ولأمثاله علىٰ الإسلام. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ١١٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٥٤] كتاب الأدب، [٤٨] باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب. ومسلم في صحيحه [٧٣ـ(٢٥٩١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٢] باب مداراة من يتقى فحشه. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٢٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٧، ٦٠٦٨] كتاب الأدب، [٥٩] باب ما يكون من الظن.

وروينا في الصحيحين(١) من حديث فاطمة بنت قيس قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني.

فقال ﷺ: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصى عن عاتقة» وفي رواية لمسلم: «وأما أبو الجهم فضراب للنساء»(٢) وهو تفسير لعدم وضع العصى.

وقيل معناه كثير الأسفار، وأغرب منهما أنه كناية عن كثرة الوطء.

وروينا فيهما من حديث زيد بن أرقم(٣) قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أُبَيٍّ: لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا وقال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت رسول الله فأخبرته بذلك".

فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبي، فاجتهد في يمينه ما فعل.

فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوه شدة(٤)، حتىٰ أنزل الله عز وجل تصديقي في﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافِقون: ١] ثم دعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم(٥). أخرجاه.

وفيهما من حديث عائشة(٦): قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (١٤٨٠)] كتاب الطلاق، [٦] باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها. وأبو داود [٢٢٨٤] كتاب الطلاق، [٣٩] باب في نفقة المبتوتة. والترمذي في سننه [١١٣٥] كتاب النكاح، باب ما جاء أن لا يخطب الرجل علىٰ خطبة أخيه، وأحمد في مسنده [٦ / ٤١٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ١٧٨] ومالك في الموطأ [٥٨١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣٢٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧ ـ (١٤٨٠)] كتاب الطلاق، [٦] باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها. وأحمد في مسنده [٦/ ٤١٢].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٩٠٣] كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقين، [٤] باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ الآية ومسلم في صحيحه [١ ـ (٢٧٧٢)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، في مقدمته.

(٤) قال [النووي]: في حديث زيد بن أرقم هذا أنه ينبغي لمن سمع أمرا يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاة الأمور ويخاف ضرره علىٰ المسلمين أن يبلغه ليحتذر منه، وفيه منقبة لزيد. [النووي في شرح مسلم [١٧ / ١٠١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) تقدم تخريجه في أوله.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٦٤] كتاب النفقات، [٩] باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١٧١٤)] كتاب الأقضية، [٤] باب قضية هند. والنسائي [٨ / ٢٤٧ ـ المجتبي] وابن ماجه [٢٢٩٣]، و أحمد في مسنده =

سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم.

قال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[(١)].

وهذا استفتاء، وما قبله تحذير.

فصل في تحريم النميمة

وهي الكلام بين الناس علىٰ جهة الإفساد.

قال تعالىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[(٣)].

وروينا من حديث حذيفة مرفوعًا: «لا يدخل الجنة نمَّام»[(٤)]. أخرجاه

وفيهما من حديث ابن عباس أنه ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلىٰ إنه كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[(٥)]. أخرجاه. واللفظ للبخاري.

وقوله: «في كبير» أي في زعمهما أو كبير تركه عليهما.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ألا أنبئكم ما العضْة؟، هي النميمة

= [٦ / ٣٩، ٥٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٤٦٦ ـ ٤٧٧]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٦ / ٥٨٤].

(١) قال النووي: هذا مذهبنا ـ أي الشافعي ـ ومنع ذلك أبو حنيفة ومالك ـ رحمهما الله ـ والأخذ من ماله بغير إذن القاضي وجهات لأصحابنا في أن إذن النبي ﷺ لهند امرأة أبي سفيان كان إفتاء أم قضاء، والأصح أنه كان إفتاء وأن هذا يجري في كل إمرأة اشبهتها فيجوز، والثاني كان قضاء فلا يجوز لغيرها إلا بإذن القاضي والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٢ / ٨] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) سورة القلم [١١].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٥٦] كتاب الأدب، [٥] ما يكره من النميمة. ومسلم في صحيحه [١٦٨ ـ (١٠٥)] كتاب الإيمان، [٤٥] باب بيان غلظ تحريم النميمة، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٩١، ٣٩٦]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٩٦]، الزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٦٢].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٨] كتاب الوضوء، [٥٩] باب ما جاء في غسل البول، ومسلم في صحيحه [١١١ ـ (٢٩٢)] كتاب الطهارة، [٣٤] باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الإستبراء منه.

القالة بين الناس»[١].

أخرجه مسلم.

العضه علىٰ وزن الوجه، مصدر يقال: عَضَهَ عضْهًا أي رماه بالعضه.

وروى العِضَة كالعدة، وهي الكذب والبهتان فمن فعل ذلك كأنما شجر العضاة وهو ذو الشوك نظير «فإنما تسفهم المل».

فصل

في النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلىٰ ولاة الأمور إذا لم تَدْعُ الحاجة إليه كخوف مفسدة ونحوها.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

وفيه الأحاديث السالفة.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا يُبَلِّغني أحد عن أحد من أصحابي شيئًا؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[٣].

رواه أبو داود والترمذي.

فصل في ذم ذي الوجهين

قال تعالىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾[٤] الآية.

فمن أتى قوما بوجه فإنه يستخفي منهم بالوجه الآخر، وبالعكس.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (٢٦٠٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٨] باب تحريم النميمة، وأحمد في مسنده [١/ ٤٣٧]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٩١٣].

(٢) سورة المائدة [٢].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر علىٰ الباطل والتعاون علىٰ المآثم والمحارم.

قال ابن جرير: الإثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم، وقد قال أحمد في مسنده من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قيل يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره» [تفسير ابن كثير (٢ / ٦)].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٦٠] كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، والترمذي في سننه [٣٨٩٦]، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (١/٣٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٦، ١٦٧]، والبخاري في التاريخ الكبير [٣ / ٤٩٤]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٢]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [٢/٣٧٨].

(٤) سورة النساء [١٠٨].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا(١): «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». أخرجاه

وروينا في صحيح البخاري من حديث محمد بن زيد أن أناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر إنا ندخل علىٰ سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم.

قال: «كنا نعد هذا نفاقا علىٰ عهد رسول الله ﷺ»(٢).

فصل في تحريم الكذب

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٣).

وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٤).

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعا(٥): «إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار(٦)، وإن الرجل ليكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابا» أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٩٣] [٣٤٩٤] كتاب المناقب، [١٠] باب قوله الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، ومسلم في صحيحه [١٩٩ ـ (٢٥٢٦)] كتاب فضائل الصحابة، [٤٨] باب خيار الناس. وأحمد في مسنده [٢ / ٥٢٥]، والخطيب في الفقيه والمتفقه [٩ / ١٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٧١٧٨] كتاب الأحكام، [٢٧] باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك.

(٣) سورة الإسراء [٣٦]. (٤) سورة ق [٢٨].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٩٤] كتاب الأدب، [٦٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبَة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب.
ومسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢٦٠٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٩] باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. وأحمد في مسنده [١ / ٣٨٤، ٤٣٢]، البيهقي في السنن الكبرى [١٠/ ١٩٦، ٢٤٣].

(٦) قال العلماء: معناه أن الصدق يهدي إلىٰ العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله وقيل: البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلىٰ الفجور وهو الميل من الإستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي.
[النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٣١] طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا»[1] الحديث ذكرناه في الوفاء بالعهد.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من تَحَلَّم بحُلْم لم يره كُلِّفَ أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل ومن استمع علىٰ حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك[2] يوم القيامة، ومن صور صورة عُذِّب وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[3] أخرجه البخاري.

تحلَّم: أي قال أنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

والآنك: الرصاص المذاب، فالله تعالى يكلفه ما لا يكون كما افترى ما لم يكن.

وروينا من حديث سمرة بن جندب قال: " كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا»[4]، فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما» فذكر الحديث، إلىٰ أن قال: «فأما الذي أتيت عليه يشرشر شدقة علىٰ قفاه، ومنحره علىٰ قفاه، وعينه إلىٰ قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»[5] الحديث بطوله رواه البخاري.

وأي منفر أبلغ من هذا فإنه تقشعر منه الجلود.

---

(١) تقدم تخريجه في الوفاء بالعهد.

(٢) الآنك: الرصاص المذاب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٤٢] كتاب التعبير، [٤٥] باب من كذب في حلمه. و المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٣٧] والزيلعي في نصب الراية [٤ / ٢٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٩٩].

(٤) فيه دليل لاستحباب إقبال الإمام المصلي بعد سلامه علىٰ أصحابه، وفيه استحباب السؤال عن الرؤيا والمبادرة إلىٰ تأويلها وتعجيلها أول النهار لهذا الحديث، ولأن الذهن جمع قبل أن يتشعب بأشغاله في معايش الدنيا ولأن عهد الرائي قريب لم يطرأ عليه ما يهوش الرؤيا عليه ولأنه قد يكون فيها ما يستحق تعجيله كالحث علىٰ خير أو التحذير من معصية ونحو ذلك، وفيه إباحة الكلام في العلم وتفسير الرؤيا ونحوها بعد صلاة الصبح. [النووي في شرح مسلم [١٥ / ٢٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٤٧] كتاب التعبير، [٤٨] باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح. أوله أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣-(٢٢٧٥)] كتاب الرؤيا، [٤] باب رؤيا النبي ﷺ، وأبو داود في سننه [٥٠١٧] في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، الترمذي [٢٢٩٤] كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ.

نعم يباح الكذب في بعض الأحوال وضابطه ما لا يمكن تحصيل المقصود المحمود إلا به.

وقد يجب إذا كان ذلك واجبا كما إذا طلب ظالم أو طلب ماله أو كان عنده وديعة.

والأحوط التورية.

ومما يستدل به علىٰ جواز الكذب في هذه الحالة حديث أم كلثوم المرفوع: «ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا ويقول خيرا»[(١)]. أخرجاه.

زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: «ولم أسمعه رخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث يعني الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل وامرأته وحديث المرأة زوجها».

فصل في الحث علىٰ التثبيت فيما يقوله ويحكيه

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[(٢)].

وقال تعال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[(٣)]

وروينا[(٤)] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما يسمع».

أخرجه مسلم.[(٥)]

وفيه من حديث سمرة مرفوعًا: من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٩٢] كتاب الصلح، [٢] باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس. ومسلم في صحيحه [١٠١ ـ (٢٦٠٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٧] باب تحريم الكذب وبيان المباح منه.

(٢) سورة الإسراء [٣٦].

(٣) سورة ق [١٨].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ـ(٥)] المقدمة [٣] باب النهي عن الحديث بكل ما سمع. و ابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٤٠٨] والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥٦].

(٥) قال النووي في شرح مسلم: فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، ومذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه إثما والله أعلم. [شرح مسلم للنووي [١ / ٧١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة، [١] باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين =

وروينا من حديث أسماء أن امرأة قالت: يا رسول الله إن لي ضرة فهل عليَّ جناح إن تشبعت من مال زوجي غير الذي يعطيني؟

فقال ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[1]، والمتشبع هو الذي يظهر الشبع. وليس بشبعان.

ومعناه هنا أنه يظهر أنه حصل له فضيلة وليست حاصلة، و«لابس ثوبي زور» أي ذي زور. وهو الذي يزور علىٰ الناس بأن يتزيى بزي قوم.

وليس منهم ليغتر به الناس.

فصل في غلظ تحريم شهادة الزور

قال تعالىٰ: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[2].

وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3].

وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[5]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[6].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[7].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»[8] قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق

= والتحذير من الكذب علىٰ رسول الله ﷺ والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ١١١] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٥٦] و الطبراني في المعجم الكبير [٨ / ١٤٤].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٧ ـ (٢١٣٠)] كتاب اللباس والزينة، [٣٥] باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعط وأبو داود في سننه [٤٩٩٧]، و أحمد في مسنده [٦ / ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣٠٧]، و الطبراني في المعجم الصغير [٢ / ١٠٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٩٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٧]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٣٣٢].

(٢) سورة الحج [٣٠].
(٣) سورة الإسراء [٣٦].
(٤) سورة ق [١٨] .
(٥) سورة الزخرف [١٩].
(٦) سورة الفجر [١٤].
(٧) سورة الفرقان [٧٢].

(٨) قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور أو شهادة الزور » فليس علىٰ ظاهر المبتدر إلىٰ الأفهام منه، وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل فلابد من تأويله وفي تأويله ثلاثة أوجه: أحدها أنه محمول علىٰ الكفر؛ فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به. والثاني: أنه محمول =

الوالدين» وكان متكئًا فجلس، فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتىٰ قلنا ليته سكت.[(١)]

= علىٰ المستحيل فيصير بذلك كافرا، والثالث: أن المراد من أكبر الكبائر كما قدمناه في نظائره، وهذا الظاهر أو الصواب. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٧٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٦٥٤] كتاب الشهادات، [١٠] ما قيل في شهادة الزور. ورقم [٥٩٧٦] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر. ورقم [٦٢٧٣، ٦٢٧٤] كتاب الاستئذان، [٣٥] باب من اتكأ بين يدي أصحابه. ورقم [٦٩١٩] كتاب إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة. ومسلم في صحيحه [١٤٣ـ(٨٧)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب الكبائر وأكبرها.

مجلس في المناهي الواردة في الباب والأحاديث

وترتيبه علىٰ فصول، وقد سلف النهي عن الغيبة والنميمة[1] والكذب، ونقل الحديث إذا لم تدع إليه حاجة. وذم ذي الوجهين، والنهي عن عدم التثبيت في الكلام وغلظ تحريم شهادة الزور.

فصل في تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة

روينا من حديث ثابت بن الضحاك[2] العقبي مرفوعًا: «من حلف علىٰ يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، وليس علىٰ رجل نذر فيما لا يملكه، ولعن المؤمن كقتلة»[3].

أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لَعَّانًا»[4] أخرجه مسلم.

---

(١) قال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر علىٰ من ينم قول الغير إلىٰ المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النميمة مخصومة بهذا بل حد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيمان فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة قال: وكل من حملت إليه نميمة. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٩٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) ثابت بن الضحاك بن خليفة، أبو زيد، أبو يزيد الكلابي، الأشهلي، الأوسي المدني الأنصاري، صحابي مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [٤٥، ٦٤] ترجمته: تهذيب التهذيب [٢/٨]، وتقريب التهذيب [١ / ١١٦]، والكاشف [١ / ١٧١]، تاريخ البخاري الكبير [٢ / ١٦٥]، الجرح والتعديل [٢ / ٤٥٣]، الإصابة [١ / ٣٩١]، والاستيعاب [١ / ٧٦، ٢٠٥]، الثقات [٣ / ٤٤].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٥٢] كتاب الأيمان والنذور، [٧] باب من حلف بملة سوى الإسلام. ومسلم في صحيحه [١٧٦ ـ (١١٠)] كتاب الإيمان، [٤٧] باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٦٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤ ـ (٢٥٩٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

أي رتبه الصديقية منافية له.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[١].

أخرجه مسلم.

وروينا من حديث سمرة: «لا تلاعبون بلعنة الله ولا بغضبه، ولا بالنار»[٢].

رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[٣].

رواه الترمذي وحسنه.

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلىٰ السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلىٰ الذي لُعِنَ، فإن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلىٰ قائلها»[٤].

رواه أبو داود.

وروينا من حديث عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار علىٰ ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٥(٢٥٩٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي من لعن الدواب وغيرها. وأبو داود في سننه [٤٩٠٧] كتاب الآدب، باب في اللعن. والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٦٩] والحاكم في المستدرك [١/ ٤٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣ / ٢٥٩].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٦] كتاب الأدب، باب في اللعن. والترمذي في سننه [١٩٧٦] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة. و أحمد في مسنده [٥ / ١٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٣].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٧٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣، ٤٣] والحاكم في المستدرك [١ / ١٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٨ ـ المورد]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٢٣٩، ٥ / ٥٨]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٧١، ٤٨٤].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٥] كتاب الأدب، باب في اللعن، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٤٧٢]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٩٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٠].

قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[١]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي قال: بينما جارية علىٰ ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت برسول الله ﷺ وتضايق بهم الجبل: حَلْ، اللهم العنها. فقال النبي ﷺ: «لا تصحبنا ناقة عليها لعنة»[٢]. أخرجه مسلم أيضا.

وحل: كلمة زجر للإبل، ومصاحبها[٣] الشارع فقط لا غيرها من التصرفات، كذا أوله النووي. لكن قد يقال: اطَّلع الشارع علىٰ إجابة تلك اللعنة فصارت مبعدة علىٰ مقدور علىٰ تسليمها.

وقد قال الشرع دعوها.

وأما في زمننا فالإجابة مغنية عنا

فصل في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

وقال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾[٥] الآية.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٢٥٩٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. و أحمد في مسنده [٤ / ٤٣١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٤٨٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٣]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٢٨٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ١٩٠]، والألباني في إرواء الغليل [٧ / ٢٤٠].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٢ ـ (٢٥٩٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٤] باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. و أحمد في مسنده [٤ / ٤٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٥٤]، والألباني في إرواء الغليل [٧ / ٢٤١].

(٣) أي عدم مصاحبته ﷺ لها أما غير ذلك من التصرفات التي كانت جائزة قبل هذا فهي باقية كالبيع والذبح والركوب لأن الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة فبقي الباقي. [انظر النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٢٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) سورة هود [١٨].

(٥) سورة الأعراف [٤٤].

(٦) أخرجه البخاري [٥٩٣٣] كتاب اللباس [٨٣] باب وصل الشعر، ورقم [٥٩٤٠] [٨٥] باب الموصولة. ومسلم [١١٥ ـ (٢١٢٢)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة. والمتفلجات والمغيرات خلق الله.

وأنه قال: «لعن الله آكل الربا»[(١)].

وأنه لعن المصورين.

وأنه قال: «لعن الله من غير منار الأرض»[(٢)].

أي حدودها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩] وأنه قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة»[(٣)] ووجهه أنه محارب الرب جل جلاله منتهك حرمة حماه غير راع لحقه.

وأنه قال: «لعن الله من يلعن والديه»[(*)].

«ولعن الله من ذبح لغير الله»[(*)].

أي لأنه تأله لغيره ولم يرع حرمة الأبوة.

وأنه قال: «من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[(٤)] فلم يرع حق حرمة الذي دعاه لما يجيبه، وأنه قال: «اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله»[(٥)].

وهذه ثلاث قبائل من العرب قتلوا أصحابه، فلم يراعوا حرمته.

وأنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم [١٠٥ ـ (١٥٩٧)] كتاب المساقاة، [١٠٩] باب لعن آكل الربا، وأبو داود في سننه (٣٣٣) كتاب البيوع، باب في آكل الربا وموكله. والترمذي [١٢٠٦] كتاب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، والنسائي في الطلاق، باب إحلال المطلقة ثلاثا وما فيه من التغليظ [٨ / ١٤٧ ـ المجتبي] وابن ماجه في سننه [٢٢٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٨٥]، وابن حبان في صحيحه [١١١٢ ـ المورد].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣، ٤٤ ـ (١٩٧٨)]، كتاب الأضاحي، [٨] باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٨ / ١٩٩، ٢٠٠]، مسلم في صحيحه [٧ ـ (١٦٨٧) كتاب الحدود [١] باب حد السرقة ونصابها. والنسائي [٨ / ٦٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٢٥٨٣] كتاب الحدود، باب حد السارق، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٥٣].

(*) تقدما في حديث مسلم «لعن الله من غير منار الأرض» السالف قبل السالف.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦٣ ـ (١٣٦٦)] كتاب الحج، [٨٥] باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢ / ١٩٧١] والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٧١]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ١٣٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٤ / ٢٥٥]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٨١].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [١ / ١١٦، ٢ / ١١١] ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (٥٢٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٣] باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

فأذوا الأنبياء كلهم.

وأنه «لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[(١)].

فلم يرع حق نفسه حتىٰ نسبها إلىٰ غير جنسها.

فصل في تحريم سب المؤمن بغير حق

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(٢)] الآية

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر»[(٣)] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه، وإن لم يكن صاحبه كذلك»[(٤)].

أخرجه البخاري.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتىٰ يعتدي المظلوم».

رواه مسلم.[(٥)]

وروينا من حديثه أيضًا قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل شرب، قال: «اضربوه».

قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بنعله والضارب بثوبه، فلما

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٠٩٧] كتاب اللباس، باب لباس النساء. وابن ماجه في سننه [١٩٠٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٠٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١٠٣]، والطبراني في المعجم الكبير [١١ / ٢٥٢].

(٢) سورة الأحزاب [٥٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨] كتاب الإيمان، [٣٧] باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ورقم [٦٠٤٤] كتاب الأدب، [٤٤] باب ما ينهى من السباب واللعن.
ورقم [٧٠٧٦] كتاب الفتن، [٨] باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض». ومسلم في صحيحه [١١٦ ـ (٦٤)] كتاب الإيمان [٢٨] باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٤٥] كتاب الأدب، [٤٤] باب ما ينهى من السباب واللعن.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٥٨٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٨] باب النهي عن السباب. وأبو داود في سننه [٤٨٩٤]، والترمذي [١٩٨١]، و أحمد في مسنده [٢ / ٢٣٥، ٤٤٨] والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٣٥]. وابن حبان في صحيحه [١٩٧٦ ـ الموارد] والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٧٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٦٦].

انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله.

قال: «لا تقولوا هذا لا تعينوا عليه الشيطان».

أخرجه البخاري.[١]

وروينا من حديثه مرفوعًا: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال».[٢]

أخرجاه.

فصل في تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية

وهي التحذير من الإقتداء به في بدعته وفسقه ونحو ذلك.

فيه الآية والأحاديث السالفة في الباب قبلة.

وروينا في صحيح البخاري[٣] من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدموا».

فصل في النهي عن الإيذاء

فيه الآية السالفة.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[٤] أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٧٧] كتاب الحدود، [٥] باب الضرب بالجريد والنعال. وأبو داود في سننه [٤٧٧٧] كتاب الحدود، باب الحد في الخمر. والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٣١٢،١٣٨] والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ٢٥٦]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٢٨٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٦٢١].

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٥٨] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٣٢] باب قذف العبيد، ومسلم في صحيحه [٣٧ ـ (١٦٦٠)] كتاب الأيمان، [٩] باب التغليظ علىٰ من قذف مملوكه بالزنى، والترمذي في سننه [١٩٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٦] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٠].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٩٣] كتاب الجنائز، [٩٧] باب ما ينهي من سب الأموات. والنسائي [٤ / ٥٣ ـ المجتبي] والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٧٥].
والحاكم في المستدرك [١/ ٣٨٥]، وابن حبان في صحيحه [١٩٨٥ ـ الموارد]، ومشكاة المصابيح للتبريزي [١٦٦٤]، والزبيدي في الإتحاف [٧/ ٤٩٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٠] كتاب الإيمان، [٤] باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٤١)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، وأبو داود في سننه [٢٤٨١] والترمذي [٢٦٢٧]، والنسائي [٨/ ١٠٥ ـ المجتبي] =

فكف الأذى هو الدين الحق والكامل.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يُؤتىٰ إليه»(١). أخرجه مسلم.

وقد سلف في باب طاعة ولاة الأمور بطوله.

فصل في النهي عن التقاطع والتباغض والتدابر

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

والتباغض ينافيها.

وقال تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾(٤).

وروينا من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»(٥). أخرجاه.

= وأحمد في مسنده [٢ / ١٦٣، ١٩٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٨٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٠، ٣ / ٥١٧]، وابن حبان في صحيحه [٢٦ ـ الموارد] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٣٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦ ـ (١٨٤٤)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعه الخلفاء الأول فالأول. و أحمد في مسنده [٢/١٦٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١٥ / ٦ ، ٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٥٦، ٢/ ١٠٧].

(٢) سورة الحجرات [١٠].

(٣) سورة المائدة [٥٤] هذه صفات المؤمنين الكمل؛ أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه متعززا علىٰ خصمه وعدوه كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩] وفي صفة رسول الله ﷺ أنه الضحوك القتال؛ فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه. [تفسير ابن كثير (٢ / ٧٢)].

(٤) سورة الفتح [٢٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٧٦] كتاب الأدب، [٦٢] باب الهجرة. ومسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٥٥٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٧] باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. قال النووي: التدابر: المعاداة، وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد زوال النعمة، وهو حرام، ومعنى كونوا عباد الله إخوانا أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ٩٤] طبعة دار الكتب العلمية].

ورويناً من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «يفتح الله أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا»[١]. أخرجه مسلم.

وله: «تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس»[٢] وذكر نحوه.

فصل في تحريم الحسد

وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣]. وفيه حديث أنس السالف في الباب قبله.

ورويناً في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب»[٤].

فصل في النهي عن التجسس والتسمع لكلام من يكره إسماعه

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ - (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ - (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر. والترمذي في سننه [٧٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٤، ٣/ ٤٥٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢٠٥٦]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨/ ٦٦].

(٣) سورة النساء [٥٤].

يعني بذلك حسدهم النبي ﷺ يعني ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل، وقال الطبراني بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] الآية قال ابن عباس نحن الناس دون الناس. [تفسير ابن كثير [١ / ٥١٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٠٣] كتاب الأدب، باب في الحسد. والزبيدي في الإتحاف [١ / ٢٩٤، ٨ / ٥٥] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٠٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٧٣، ٦/ ٤١٩]، وابن عبد البر في التمهيد [٦ / ١٢٤]، والبخاري في التاريخ الكبير [١ / ٢٧٢].

(٥) سورة الحجرات [١٢].

(٦) سورة الأحزاب [٥٨].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: [١] «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم» وفي رواية: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، التقوى ههنا، التقوى ههنا» ويشير إلىٰ صدره[٢]، «بحسب كل امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

وفي رواية: «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولا إلىٰ صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم».

وفي رواية: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا».

وفي رواية: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا».

وفي رواية: «لا تهاجروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض» رواه مسلم بكل هذه الروايات[٣].

وروى البخاري أكثرها.

والتجسس اتباع العورات وهو مفسد للخلق.

وروينا من حديث معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول[٤]: «إنك إن اتبعت

---

(١) أخرجه وما يليه من الروايات: البخاري في صحيحه [٦٠٦٤، ٦٠٦٥] كتاب الأدب [٥٧] باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ورقم [٦٠٦٦] [٥٨] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: ١٢]، ومسلم في صحيحه [٢٨إلى ٣١ ـ (٢٥٦٣)] ورقم [٣٢ إلىٰ ٣٤ـ (٢٥٦٤)]. [٩] باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله.

(٢) قوله ﷺ: «التقوى ههنا» ويشير علىٰ صدره ثلاث مرات وفي رواية «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم ولكن ينظر علىٰ قلوبكم» معنى الرواية الأولى: أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك علىٰ ما في القلب دون الصور الظاهرة، ونظر الله رؤيته المحيطة بكل شيء، ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب وهو من قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة....» الحديث. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) انظر التخريج في أول حديث من الفصل.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٨٨] كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس والطبراني في المعجم الكبير [١٩ / ٣٧٩]، والزبيدي في اتحاف السادة المتقين [٦ / ٢٦٩] والبيهقي في دلائل النبوة [٦ / ٢٤٧]، وابن كثير في تفسيره [٧ / ٣٥٨].

عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم»(*) حديث صحيح رواه أبو داود، وهو صحيح.

وهو شامل للإمام وغيره فيما يوجب الحد وغيره.

وروينا من حديث ابن مسعود ﷺ أنه أتى فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا. فقال له: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شئ نأخذ به».(*)

حديث صحيح. رواه أبو داود بإسناد على شرط الشيخين.

فصل في النهي عن ظن السوء بالمسلمين من غير ضرورة

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾[1] الآية.

وهي صريحة في النهي عنه وأنه غير حق.

وقال: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾[2].

وهو تهديد بالويل الجامع لكل ألم وغم وسوء حال.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[3]. أخرجه مسلم. وقد سلف بطوله، وفاعل هذا لم يرع للإسلام حقه.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا.

فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»[4].

(*) أخرجه أبو داود في سننه [٤٨٩٠] كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس.

(١) سورة الحجرات [١١] ينهي تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكبر بطر الحق وغمض الناس» ويروي: «وغمط الناس» والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ الآية
[تفسير ابن كثير (٤ / ٢١٢)].

(٢) سورة الهمزة [١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ـ (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، والترمذي في سننه (١٩٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٢، ٨/ ٢٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٤٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٧ـ (٩١)] كتاب الإيمان، [٣٩] باب تحريم الكبر وبيانه، و أحمد
=

أخرجه مسلم، وبطر الحق: دفعه، وغمطهم: احتقارهم، وقد سلف بيانه أوضح من هذا في الكلام علىٰ الكبر.

وروينا من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل والله لا يغفر الله لفلان.

فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت له وأحبطت عملك»(١).

أخرجه مسلم.

وهو دال علىٰ أن الاحتقار لشخص عن أن تناله المغفرة محبط للعمل معاذ الله منه.

فصل في تحريم الطعن في الأنساب الثابتة ظاهرًا

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٢) الآية.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»(٣).

فصل في النهي عن إظهار الشماته بالمسلم

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٤).

= ابن حنبل في مسنده [٤/١٣٣، ١٣٤]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦]، و الطبراني في المعجم الكبير [٨ / ٢٤٠، ٢٩٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٢٤٢ ، ٥ / ١٣٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥١٠٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٤٩٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (٢٦٢١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٩] باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى. قال النووي: " معنى يتألى يحلف والألية اليمين، وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفرانها بلا توبة إذا شاء الله غفرانها واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر ويتأول حبوط عمل هذا علىٰ أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته وسمى إحباطًا، مجازًا ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر وجب الكفر ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا وكان هذا حكمهم. [النووي في شرح مسلم [١٦/١٤٣] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) سورة الأحزاب [٥٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٦٨)] كتاب الإيمان، [٣٠] باب إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن غي النسب والنياحة. و أحمد في مسنده [٢ / ٤٩٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٦٣]، والسيوطي في الدر المنثور [٦ / ٩٩]، وأبو عوانه في مسنده [١/٢٦].

(٤) سورة الحجرات [١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية(١).

وهي شماتة، فإن الفاحشة كل ما يسوء من قذف وغيره.

وروينا من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «لا تُظْهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك»(٢).

رواه الترمذي وحسنه.

ومسلم سلف: وفيه حديث أبي هريرة السالف قريبا: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام» الحديث(٣).

فصل في النهي عن الغش والخداع

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الأحزاب: ٥٨] الآية(٤).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»(٥).

أخرجه مسلم.

وفي رواية له وهي مبينة سببه أنه ﷺ مر علىٰ صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله.

---

(١) سورة النور [١٩].
هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذهنه شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النُّور: ١٩] أي يختارون ظهور الكلام القبيح ﴿لهم عذاب أليم في الدينا﴾ أي بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم. [تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨٣)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٥٠٦] كتاب صفة القيامة والرقائق، الورع، باب [٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣١٠] وأبو نعيم في حلية الأولياء [٥ / ١٨٦] والزبيدي في الإتحاف [٨ / ٥٣]، والخطيب في تاريخ بغداد [٩ / ٩٦].

(٣) الحديث تقدم من قبل.

(٤) سورة الأحزاب [٥٨].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٠١)] كتاب الإيمان، [٤٣] باب قول النبي: «من غشنا فليس منا»، وأوله في مسلم [١٦١ ـ (٩٨)]، [١٦٣ ـ (١٠٠) كتاب الإيمان، [٤٢] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلام فليس منا». والترمذي [١٤٥٩]، والنسائي [٧ / ١١٧. المجتبي وابن ماجه [٢٥٧٥، ٢٥٧٦]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣، ١٦، ٥٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٧١].

قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتىٰ يراه الناس، من غشنا فليس منا»(١).

وروينا عنه مرفوعًا: «لا تناجشوا»(٢).

وروينا عن ابن عمر: «أنه ﷺ نهى عن النجش»(٣) أخرجاهما.

فالنجش: غش وخديعة، والنهي عنه وإن لم يكن فاعلة.

وروينا من حديثه ذكر رجل لرسول الله ﷺ أنه يُخْدَعُ من البيوع، فقال ﷺ: «من بايعت فقل لا خلابة»(٤) أخرجاه.

والخلابة: بخاء معجمة، ثم باء موحدة: الخديعة.

فهي إذن ليست من الدين الموسوس علىٰ النصيحة وفيه. وعظ زاجر، وموضح معنى «فليس منا»(٥).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من خَبَّب زوجة امرئ أو مملوكة فليس منا»(٦).

رواه أبو داود، وخبَّب: بخاء معجمه، ثم باء موحدة مكررة: أفسده وخدعه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (١٠٢)] كتاب الإيمان، [٤٣] باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، الترمذي في سننه [١٣١٥] في البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع. وابن ماجه [٢٢٢٤] كتاب التجارات [٣٦] باب النهي عن الغش. و البيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٢٠]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٤٢] كتاب البيوع، [٦] باب النجش، [٦] باب النجش، ومسلم في صحيحه [١١] كتاب البيوع، وأبو داود [٣٤٣٨]، والترمذي في سننه [٦٥، ١٣٠٤]، و ابن ماجه [٢١٧٤] والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٤٦]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٧٤]، وابن حبان في صحيحه [١١٠٦ ـ الموارد].

(٣) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١١٧] كتاب البيوع باب ما يكره من الخداع في البيع. ومسلم في صحيحه [٤٨ ـ (١٥٣٣)] كتاب البيوع، [١٢] باب من يخدع في البيع.

(٥) واختلف العلماء في هذا الحديث فجعله بعضهم خاصا في حقه وأن المغابنة بين المتبايعين لازمه لا خيار للمغبون بسببها سواء قلت أم كثرت، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وآخرين وهي أصح الروايتين عن مالك وقال البغداديون من المالكية للمغبون، الخيار لهذا الحديث بشرط أن يبلغ الغبن ثلث القيمة فإن كان دونه فلا، والصحيح الأول؛ لأنه لم يثبت أن النبي ﷺ أثبت له الخيار، وإنما قال له: قل لا خلابة أي لا خديعة ولا يلزم من هذا ثبوت الخيار؛ ولأنه لو ثبت أو أثبت له الخيار كانت قضية عين لا عموم لها فلا ينفذ منه إلىٰ غيره إلا بدليل، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٠/١٥١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٢١٧٥] كتاب الطلاق باب فيمن خبب امرأة علىٰ زوجها، وابن حبان في صحيحه [١٣١٨ ـ الموراد]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ١٨٠].

وهو من أمثلة النجش، والخداع للزوج والزوجة.

وحاصل الأحاديث التنفير عنه وبيان أنواعه، فمن لم يوافق الشارع، ولم يفعل أفعال المسلمين فيا تعسه وكذا إذا أخفى الغش وأظهر موهم رغبة أو نفاسه أو ما ينفره.

فصل في تحريم الغدر

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1] أمر بالإيفاء المانع من الغر، وعم كل عقد من (حين)[2] وضمان وغير ذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسرَاء: ٣٤] [3].

أي أهل وفائه أو نفس العهد هو المسئول كما في: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾﴾ أي غير متغافل عنه ولا مهمل يتهاون فيه.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[4]. أخرجاه.

وهو صحيح في التحذير من الغدر، وأن مبتغيه من المنافقين.

وروينا من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس مرفوعًا: «لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان»[5] أخرجاه.

---

(١) سورة المائدة [١].
قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود العهود، وحكى ابن جرير الإجماع علىٰ ذلك قال والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره. وقال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١] يعني العهود، يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكثوا. [تفسير ابن كثير (٢ / ٣)].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سورة الإسراء [٣٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤] كتاب الإيمان، [٢٥] باب علامة المنافق. ورقم [٢٤٥٩] كتاب المظالم، [١٧] باب إذا خاصم فجر، ورقم [٣١٧٨] كتاب الجزية والموادعة [١٧] باب إثم من عاهد ثم غدر. ومسلم في صحيحه [١٠٦ ـ (٥٨)] كتاب الإيمان، [٢٥] باب خصال المنافق، و أحمد في مسنده [٢ / ١٨٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٢٣٠، ١٠/ ٧٤]، وأبو نعيم حلية الأولياء [٧/ ٢٠٤].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣١٨٦، ٣١٨٧، ٣١٨٨] كتاب الجزية والموادعة، [٢٢] باب إثم الغادر للبر والفاجر. ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (١٧٣٦)] كتاب الجهاد والسير، [٤] باب تحريم

وما أشنعها هتكة علىٰ رؤوس الأشهاد.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «لكل غادر لواء عند استه، عند القيامة يرفع له بقدر غدره ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».

أخرجه مسلم(١). فهو خزي وعار.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا قال: «قال الله تعالىٰ: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطي بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»(٢).

رواه البخاري.

وما أعظم جناية هؤلاء، إذ الأول: ما وقَّر الرب جل جلاله والثاني: جنى علىٰ رتبة الرب تعالى حيث رفض أحكامه واتبع هواه، والثالث: كذلك إذ جعل منافعه له.

فصل في النهي عن المن بالعطية ونحوها

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾(٣).

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾(٤).

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»

قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرار.

= الغدر. و أحمد في مسنده [١ / ٤١١، ٤١٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٦٠، ٩ / ١٤٢]، مشكاة المصابيح [٣٧٢٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ١٠].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥، ١٦ ـ (١٧٣٨)]، كتاب الجهاد والسير، [٤] باب تحريم الغدر، والترمذي في سننه (١٥٨١) وأحمد في مسنده [١ / ٤١٧، ٣ / ٣٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٧٠] كتاب الإجارة، [١٠] باب إثم من منع أجر الأجير، وابن ماجه في سننه [٢٤٤٢] كتاب الرهون، باب أجر الأجراء، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٥٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ١٢١].

(٣) سورة البقرة [٢٦٤].

(٤) سورة البقرة [٢٦٢]

يمدح الله تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوه من الخيرات والصدقات منًّا علىٰ من أعطوه فلا يمنون به علىٰ احد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل. وقوله: ﴿وَلَآ أَذًى﴾ أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل علىٰ ذلك فقال: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي ثوابهم علىٰ الله لا علىٰ أحد سواه ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [تفسير ابن كثير (١/ ٣١٧، ٣١٨)].

قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟

قال: «المسبل، والمنَّان، والمُنفِّق سلعته بالحلف الكاذب».

أخرجه مسلم.(١).

وفي رواية: المسبل إزاره(٢). يعني خيلاء. أسفل من الكعبين.

وفيه آثار شديدة من الغضب الإلهي، معاذ الله منها، وكأن المسبل ينازع الرب جل جلاله في إزار عظمته وكبرياء ردائه.

ومن نازعه فيهما قصمة، والمنان منازع له في حوله وقوته ورزقه، حتىٰ كأنه الرازق.

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب متهاون بحرماته مؤثر لدنياه وهواه علىٰ مراضيه من غير مبالاة بغضبه.

فصل في النهي عن الافتخار والبغي

وهو التعدي والاستعالة.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (٣).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ (٤) الآية وروينا من حديث عياض رحمه الله مرفوعًا: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتىٰ لا يبغى أحد علىٰ أحد ولا يفخر أحد علىٰ أحد»(٥) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧١ ـ (١٠٦)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. ، أحمد في مسنده [٥ / ٤٨، ١٧٨].
و المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٧٨]، والقرطبي في تفسيره [٣ / ٤١٠].

(٢) قوله ﷺ: " المسبل إزاره " فمعناه المرخي له الجار طرفه خيلاء، كما جاء مفسرا في الحديث الآخر: لا ينظر الله إلىٰ من يجر ثوبه خيلاء، والخيلاء الكبر، وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره ويدل علىٰ أن المراد بالوعيد من جره خيلاء وقد رخص النبي ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق ﷺ وقال: «لست منهم» إذ كان جره لغير الخيلاء.
[النووي في شرح مسلم [٢ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة النجم [٣٢] أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩] [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٧)].

(٤) سورة الشورى [٤٢].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ ـ (٢٨٦٥)] كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، [١٦] باب الصفات =

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم»[(١)] أخرجه مسلم أيضا، وأهلكهم بالرفع أعنى الكاف في الرواية المشهورة وروى بنصبها.

وقال هذا النبي لمن قال ذلك عُجْبًا بنفسه وتصاغرًا للناس، وارتفاعا عليهم، وهو حرام.

فأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزُّنًا عليهم وعلى الدين فلا بأس.

قاله مالك وغيره من الأعلام.[(٢)].

فصل في تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام

إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق ونحو ذلك قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[(٣)].

والأخوة مقضية للألفة والمودة والمحبة، ومنافية للهجران والجفاء والقطع،

= التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأبو داود في سننه [٤٨٩٥]، وابن ماجه في سننه [٤١٧٨، ٤٢١٤]، والبيهقي في السنن [١٠ / ٢٣٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٥٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (٢٦٢٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤١] باب النهي عن قول: هلك الناس. وأبو داود في الأدب باب [٨٩]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٤٢]، والتبريزي في المشكاة [٤٨٢١].

(٢) اتفق العلماء علىٰ أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله علىٰ سبيل الإزراء علىٰ الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم لأنه لا يعلم سر الله في خلقه. قالوا: فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه كما قال: لا أعرف من أمة محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعا. هكذا فسره الإمام مالك وتابعه الناس عليه.
وقال الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإن فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوء حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداة ذلك إلىٰ العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ١٤٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الحجرات [١٠].
أي الجميع إخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » وفي الصحيح «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ويعني الفئتين المتقاتلتين ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي في جميع أموركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه [تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١، ٢١٢)].

ومن الإصلاح وقوعه بين المتهاجرين، واتقوا الله فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١].

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٢] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»[٣]. أخرجه مسلم.

وأي مشمت أعظم من تأخير الغفران، وأي مسلم يسهل عليه إعراض الجليل عنه، أو شماتة عدوه به.

وروينا من حديث أبي أيوب مرفوعًا: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[٤] أخرجاه.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[٥]. أخرجه مسلم.

والتحريش الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم وما أشد ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[٦] الآية.

---

(١) سورة المائدة [٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٥] كتاب الأدب، [٥٧] باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ورقم [٦٠٦٧] في الأدب، [٦٢] باب الهجرة. ومسلم في صحيحه [٣٠] كتاب البر والصلة والآداب [٩] باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. والترمذي في سننه [١٩٣٥] باب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد. وأحمد في مسنده [٢/ ٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٥٦٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [١١] باب النهي عن الشحناء والتهاجر. والترمذي في سننه [٧٤٧] والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٤]، الهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ٦٦] والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٤ / ٢٥٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٧٧] كتاب الأدب، [٦٢] باب الهجرة، ومسلم في صحيحه [٢٥ ـ (٢٥٦٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٨] باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي. وأبو داود في سننه [٤٩١١، ١٦١٤]، والترمذي [١٩٣٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٢٨١٢)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم [١٦] باب تحريش الشيطان.

(٦) سورة يس [٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[(١)].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[(٢)].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»[(٣)].

أخرجه أبو داود بإسناد علىٰ شرط الشيخين، وما أشدة من وعيد.

وروينا من حديث أبي خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي[(٤)] مرفوعًا: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[(٥)].

رواه أبو داود بإسناد صحيح، وما اشده من تغليظ.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فلقيه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة»[(٦)].

رواه أبو داود بإسناد حسن.

وقال: إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا في شيء.

والحاصل أن الحديث الأول: لبيان حكم الهجر.

والثاني: لصفته، والثالث: لما منع من الخير.

والرابع: لما يهضم من الدين، والخامس: لما يجلب من الشرِّ. والسادس: لما

---

(١) سورة الأسراء [٣٩].

(٢) سورة النساء [٤٨].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩١٤] كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم وأوله عن البخاري ومسلم كما تقدم، والترمذي [١٩٣٢] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم، والطبراني في المعجم الكبير [٤ / ١٧١، ١٧٢]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٨ / ٣٤١، ٣٤٤].

(٤) حدرد بن أبي حدرد، أبو خراش السلمي ويقال الأسلمي، صحابي له حديث واحد، أخرج له: البخاري في الأدب وأبو داود. ترجمته: تهذيب التهذيب [٢ / ٢١٧]، تقريب التهذيب [١ / ١٥٦]، والكاشف [١ / ٢٠٩]، الجرح والتعديل [٣/ ١٣٩٤]، أسد الغابة [١ / ٤٦٠]، الإصابة [٢ / ٤٤]، الوافي بالوفيات [١١ / ٤٧٩]، الاستيعاب [١ / ٤٠٨].

(٥) أخرجه أبو داود [٤٩١٥] كتاب الأدب ، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. وأحمد في مسنده [٤ / ٣٢٠]، والحاكم في المستدرك [٤ / ١٦٣]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٣٦].

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩١٢] كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٦٣] والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٥٦]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٥٠٣٧]، العجلوني في كشف الخفا [٢ / ٥١٨].

يوجب غلظ أمره والسابع: لما يخرج من حرجه.

فصل في النهي عن تناجي اثنين دون الثالث

بغير إذنه إلا لحاجة، وهو أن يحدث سرًا بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[(١)].

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث»[(٢)].

أخرجاه، ورواه داود قال أبو صالح: قلت لابن عمر: فأربعة، قال: لا يضرك[(٣)].

ورواه مالك في الموطأ.[(٤)]

وروينا من حديث عبد الله بن دينار قال: كنت أنا وابن عمر عند دار خالد بن عقبة التي بالسوق فجاء رجل يريد أن يناجيه وليس مع ابن عمر أحد غيري، فدعى ابن عمر رجلا آخر حتىٰ كنا أربعة فقال لي وللرجل الثالث الذي دعاه: استأخرا عني شيئا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتناجى اثنان دون واحد»[(٥)].

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتىٰ تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه»[(٦)]. أخرجاه.

---

(١) سورة المجادلة [١٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٨٨] كتاب الاستئذان، [٤٥] باب لا يتناجى اثنان دون الثالث. ومسلم في صحيحه [٣٧ـ (٢١٨٤)، ٣٨] كتاب السلام، [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه. وأبو داود في سننه [٤٨٥١] كتاب الأدب، باب في التناجي، والترمذي [٢٨٢٥] كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث.

(٣) أبو داود في سننه [٤٨٥٢] كتاب الأدب باب في التناجي.

(٤) في هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضره ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم فيحرم علىٰ الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن، ومذهب ابن عمر رضي الله عنهما ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء أن النهي عام في كل الأزمان وفي الحضر؛ والسفر.
وقال بعض العلماء إنما المنهي عنه المناجاة في السفر والحضر؛ لأن السفر مظنة الخوف.
[النووي في شرح مسلم [١٤/ ١٤٠] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ـ (٢١٨٣)] في السلام باب [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه. والترمذي في سننه [٢٨٢٥] كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث. وأحمد في مسنده [١ / ٤٣١، ٢ / ٧٣].
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٤٠٢].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٠] كتاب الاستئذان، [٤٧] باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا =

فصل في النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرآة والولد

لغير سبب شرعي، أو زائد علىٰ قدر الأدب، قال تعالىٰ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[(١)] الآية.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا[(٢)]: «عذبت امرآة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش[(٣)] الأرض». أخرجاه.

وخشاش الأرض بالخاء المعجمة المثلثة، وبالشين المعجمة المكررة: هوامُّها وحشراتها.

وفيه تنبيه علىٰ أن الخسيس في التعذيب كالجوع ونحوه كالنفيس، وما أشد الجزاء بالنار.

وروينا من حديثه أيضا أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير لكل خاطئة من نبلهم. فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[(٤)] أخرجاه.

والغرض بفتح الغين المعجمة، والراء: الهدف، والشيء الذي يرمي إليه الفتية.

= بأس بالمسارة والمناجاة. ومسلم في صحيحه [٣٧ ـ (٢١٨٤)] كتاب السلام، [١٥] باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه.

(١) سورة النساء [٣٦].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٣٦٥] كتاب المساقاة، [١٠] باب فضل سقى الماء. ورقم [٣٣١٨] كتاب بدء الخلق، [١٦] باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه. ورقم [٣٤٨٢] كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦]، ومسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (٢٢٤٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٧] باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي. و أحمد في مسنده [٢ / ٤٥٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢١٤، ٨ / ١٣].

(٣) خشاش الأرض بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها حكاهن في المشارق، والفتح أشهر، وروى بالحاء المهملة، والصواب المعجمة وهي هوام الأرض وحشراتها كما وقع في الرواية الثانية، وقيل: المراد به نبات الأرض وهو ضعيف أو غلط. وفي الحديث دليل تحريم قتل الهرة وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٢٠١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٥١٥] كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، [٢٥] باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ومسلم في صحيحه [٥٩ ـ (١٩٥٨)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٢] باب النهي عن صبر البهائم. و أحمد في مسنده [٤ / ١٤١].

ولا فرق بين الفتى والكهل (والجعل)[١] ودونه، والرمي بالنبل ودونه، ورمي التمرن وغيره في اللعنة، وروينا من حديث أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم»[٢] أخرجاه.

ومعناه تحبس للقتل، ويدخل فيه أي صابر كان وأي بهيمة كانت، وأي صبر وجد.

وروينا من حديث أبي علىٰ سويد بن مقرن قال: لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا.

«فأمرنا رسول اله ﷺ أن نعتقها»[٣] أخرجه مسلم.

وفي رواية: سابع أخوة لي.

وهو ظاهر في الأمر بالعتق، يعتق من لطمها أصغر السن، واستواء الصبي والسيد وابنه والخادم وغيره. واللطم وغيره في ذلك، وأن جزاء ذلك إزالة الملك[٤]، كما قيل به في ناقة لعنت، ومعصفر لبسه رجل، وسواء ما يقوم غيره مقامه أم لا.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٥١٣] كتاب الذبائح والصيد والتسمية [٢٥] باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ومسلم في صحيحه [٥٨ـ (١٩٥٦)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، [١٢] باب النهي عن صبر البهائم. قال النووي: صبر البهائم هو حبسها لتقتل برمي ونحوه، وقال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى: «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها. وهذا النهي للتحريم. [النووي في شرح مسلم [١٣ / ٩١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (١٦٥٨)] كتاب الإيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. وأبو داود في سننه [٥١٦٦] كتاب الأدب باب في حقوق المماليك. والترمذي في سننه [١٥٤٢] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في الرجل يلطم خادمه، والنسائي في الكبر في العتق.

(٤) أجمع المسلمون علىٰ أن عتقه بهذا ليس واجبًا وإنما مندوب رجاء كفارة ذنبه، فيه إزالة إثم ظلمه، وقال القاضي عياض: " وأجمع العلماء أنه لا يجب إعتاق العبد لشيء مما يفعله به مولاه مثل هذا الأمر الخفيف، قال: واختلفوا فيما كثر من ذلك وشنع من ضرب مبرح منهك لغير موجب لذلك أو حرقة بنار أو قطع عضو له أو أفسده أو نحو ذلك مما فيه مثله؛ فذهب مالك وأصحابه والليث إلىٰ عتق العبد علىٰ سيده بذلك ويكون ولاؤه له ويعاقبه السلطان علىٰ فعله، وقال سائر العلماء: لا يعتق عليه. [النووي في شرح مسلم [١١ / ١٠٦] طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا من حديث أبي مسعود ﷺ قال: كنت اضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذ هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا[١].

وفي رواية: «فسقط السوط من يدي من هيبته»[٢].

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار»[٣].

أخرجه مسلم بهذه الروايات كلها.

وافهم أنه لا فرق في المعذب بين بدري وغيره، ملكه وغيره، ولا في المعذب بين غلام وجارية، ولا في العذاب بين ضرب وغيره.

وأن جزاءه أن تلفح النار من لم يعتقه.

وفي قوله: «إن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام»[٤].

تذكير بليغ وعبره وموعظة رادعة، وتهديد زاجر.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من ضرب غلاما له حدًّا لم يأته أو لطمه كان كفارته أن يعتقه»[٥]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث هشام بن حكيم بن حزام ﷺ أنه مرَّ بالشام علىٰ أناس من الأنباط، وقد أُقيموا في الشمس، وصب علىٰ رؤوسهم الزيت.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤ - (١٦٥٩)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. وأبو داود في سننه [٥١٥٩] كتاب الأدب باب في حقوق المماليك.
والترمذي في سننه [١٩٤٨] كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخدم وشتمهم، و أحمد في مسنده [٤ / ١٢٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١١]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٢١٨].

(٢) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ - (١٦٥٩)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده.

(٤) قوله ﷺ: «أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام» قال النووي: فيه الحث علىٰ الرفق بالمملوك والوعظ والتنبيه علىٰ استعمال العفو وكظم الغيظ والحكم كما يحكم الله علىٰ عباده. [النووي في شرح مسلم [١١ / ١٠٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠ - (١٦٥٧)] كتاب الأيمان، [٨] باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده. و أحمد في مسنده [٢/ ٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١١]، والبخاري في الأدب المفرد [١٨٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣٥٢].

فقال: ما هذا؟

قيل: يعذبون في الخراج، وفي رواية: " حُبِسُوا في الجزية ".

فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»، فدخل علىٰ الأمير فحدثه.

فأمرهم فخلُوا[١]. أخرجه مسلم.

والأنباط: الفلاحون من العجم.

وفيه أنه لا فرق في المعذب بين الأمير وغيره ولا في المعذب بين المديون وغيره في الخراج وغيره، المسبي والذمي وغيرهما، والجزاء من جنس العمل سيجزيهم وصفهم.

وروينا من حديث ابن عباس ﵄ قال: رأى رسول الله ﷺ حمارا موسوم[٢] الوجه، فأنكر ذلك، فقال: «فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه» فأمر بحمار له فكوي في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين[٣] وهما حرفا الوركين حول الدبر.

وروينا من حديث جابر أنه ـ عليه السلام ـ مر عليه حمار قد وسم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه»[٤] أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٧ ، ١١٨ (٢٦١٣)] ، كتاب البر والصلة والآداب، [٣٣] باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق. وأبو داود في سننه [٣٠٤٥]، وأحمد في مسنده [٣ / ٤٠٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٢٠٥]، وابن حبان في صحيحه [١٥٦٧ ـ الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢١٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٢٢].

(٢) الوسم: فبالسين المهملة، هذا هو الصحيح المعروف في الروايات وكتب الحديث، قال القاضي ضبطه بالمهملة، قال: وبعضهم يقول بالمهملة والمعجمه، وبعضهم فرق فقال بالمهملة في الوجه وبالمعجمة في سائر جسده، وأما الجاعرتان فهما حرفا الورك المشرفان مما يلي الدبر.
[النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨١] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٨ ـ (٢١١٨)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢١١٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٦ ـ (٢١١٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢٩] باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

فصل في تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حي (العملة)[١] ونحوها

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال[٢]: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إن وجدتم فلانا وفلانا لرجلين من قريش سماهما فاحرقوهما بالنار»، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: «إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله وإن وجدتموهما فاقتلوهما» أخرجه البخاري.

وروينا من حديث ابن مسعود[٣] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة، فجعلت تغرُشُ، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها» ورأي قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار».

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قوله: قرية نمل: معناه موضع النمل.

فصل في تحريم مطل الغنى بحق طلبه صاحبه

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾[٥].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «مطل الغنى[٦] ظلم، وإذا أتبع أحدكم

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٠١٦] كتاب الجهاد والسير، [١٤٩] باب لا يعذب بعذاب الله، وأبو داود في سننه [٢٦٧٣] كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار. والترمذي في سننه [١٥٧١] كتاب السير باب [٢٠]. وأحمد في مسنده [٢ / ٣٠٧، ٣٣٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ٧١].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٦٧٥] كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٤٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٠٥]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٤٠٧]. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٤٨٧].

(٤) سورة النساء [٥٨].

(٥) سورة البقرة [٢٨٣].

(٦) قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه فمطل الغنى ظلم وحرام ومطل غير الغنى ليس بظلم ولا حرام لمفهوم الحديث ولأنه معذور ولو كان غنيا ولكنه ليس مُمَكّنًا من الأداء لغيبة المال أو لغير ذلك جاز له التأخير إلىٰ الإمكان، وهذا مخصوص من مطل الغنى، أو يقال المراد =

علىٰ مليء فليتبع»[١].

معنى أتبع: أحيل، كما جاء في مسند أحمد في مسنده.

فصل في كراهية عود الإنسان في هبة لم يسلمها للموهوب له

وفي هبة وجهها لوالده ولو لم يسلمها.

وكراهة شراء شيء تصدق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة أو نحوها، ولا بأس بشرائه من آخر قد انتقل إليه.

روينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه»[٢] أخرجاه.

وفي لفظ: «مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيئ ثم يرجع في قيئه فيأكله»[٣]. وفي آخر: «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[٤].

وروينا من حديث عمر بن الخطاب قال: حملت علىٰ فرس في سبيل الله، فأضاعه الذي كان عنده فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائعه برُخص، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «لا تشتره ولا تعُد في صدقتك، وإن أعطاكه بدرهم، وإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه»[٥]. أخرجاه، ومعنى حملت: تصدقت علىٰ بعض

= بالغنى المتمكن من الأداء فلا يدخل هذا فيه. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ١٩٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٨٧] كتاب الحوالات، [١] باب في الحوالة. ومسلم في صحيحه [٣٣] كتاب المساقاة وأبو داود في البيوع [٣٣٤٥] باب في المطل والترمذي [١٣٠٨] كتاب البيوع، باب ما جاء في مطل الغنى أنه ظلم. والنسائي [٧ / ٣١٧ ـ المجتبي] وابن ماجه [٢٤٠٤] و أحمد في مسنده [٢/ ٧١، ٢٦٠] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٧٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦٠٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢٢) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم في صحيحه [٨ (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥. (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، [٣٠] باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم [٧. (١٦٢٢)] كتاب الهبات ، [٢] باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٢٣) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، [٣٠] باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته ، ومسلم في صحيحه [١. (١٦٢٠)] كتاب الهبات ، [١] باب =

المجاهدين[١] .

فصل في تأكيد تحريم مال اليتيم

قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾[٢] الآية.

وقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[٣] .

وقال: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾[٤] الآية.

فالمخالطة ليست مذمومة إلا لذي إفساد أو شرٍّ.

وروينا من حديث أبي هريرة: «اجتنبوا السبع الموبقات»[٥] قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[٦] أخرجاه.

= كراهة شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق عليه ، والنسائي (٥/ ١٠٨. المجتبى) ، والحميدي في مسنده (١٥) ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥) ، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٥٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢٤) .

(١) في قوله ﷺ «لا تبتعه ولا تعد في صدقتك» قال النووي : هذا نهي تنزيه لا تحريم ؛ فيكره لمن تصدق بشيء أو أخرجه في زكاة أو كفارة أو نذر ونحو ذلك من القربات أن يشتريه ممن دفعه هو إليه أو يهبه أو يتملكه باختياره منه ، فأما إذا ورثه منه فلا كراهة فيه ، وكذا لو انتقل إلىٰ ثالث ثم اشتراه منه المتصدق فلا كراهة ، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور ، وقال جماعة من العلماء : النهي عن شراء صدقته للتحريم ، والله أعلم . [النووي في شرح مسلم (١١/ ٥٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) سورة النساء (١٠) .

(٣) سورة الأنعام (١٥٢)، الإسراء (٣٤) .

(٤) سورة البقرة (٢٢٠) .

(٥) الموبقات : هي المهلكات ، يقال : وبق الرجل بفتح الباء ، يبق بكسرها ، و وُبِقَ بضم الواو وكسر الباء ، يوبق : إذا هلك ، وأوبق غيره : أي أهلكه . وأما المحصنات الغافلات : فبكسر الصاد وفتحها، قراءتان في السبع ، قرأ الكسائي بالكسر ، والباقون بالفتح ، والمراد بالمحصَنات هنا العفائف . وبالغافلات : الغافلات عن الفواحش وما قُذِفْنَ به ، وقد ورد الإحصان في الشرع علىٰ خمسة أقسام : العفة والإسلام والنكاح والتزويج والحرية .
[النووي في شرح مسلم (٢/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٥٧) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، [٣١] باب رمي المحصنات ، ومسلم في صحيحه [١٤٥. (٨٩)] كتاب الإيمان ، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود في سننه (٢٨٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٤) ، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢١٩) .

الموبقات: المهلكات.

فصل في تغليظ تحريم الرِّبا

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (١) الآية إلىٰ قوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ (٢).

والأحاديث فيها كثيرة مشهورة في الصحيح، منها:

حديث أبي هريرة السالف في الباب قبله.

وحديث ابن مسعود: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله»(٣) أخرجه مسلم، زاد الترمذي وغيره: «وشاهديه وكاتبه».

فصل في تحريم الرياء

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾(٤) الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ (٥) الآية.

فالرياء يبطل العمل إبطالا يضرب به المثل، ونضرب بمثله الأمثال.

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) سورة البقرة (٢٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥.١٠٥(١٥٩٧) كتاب المساقاة، [١٩] باب لعن آكل الربا وموكله، وأبو داود في سننه (٣٣٣٣) كتاب البيوع، باب في آكل الربا وموكله، والترمذي في سننه (١٢٠٦) كتاب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا، والنسائي (٨/ ١٤٧. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٢٧٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٨٥، ٩/ ٣٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١١١٢. الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٤٤٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٧).

(٤) سورة البينة (٥).

(٥) سورة البقرة (٢٤٦).

أخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى، ثم قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه. [تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨)].

وقال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[1] الآية. فهو شأن المنافقين، وكفى به مقتا.

ورويناه من حديث أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حكاية عن الله تعالىٰ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2]أخرجه مسلم. وما أشد الإعراض.

ورويناه عنه مرفوعا[3]: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن[4]. قال: كذبت ؛ ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق لك فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه فألقي في النار»[5] أخرجه مسلم.

وفيه الاهتمام بهؤلاء الثلاثة ؛ إذ هم أول من يقضى فيهم، وما أقبح التوبيخ

---

(١) سورة النساء (١٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦.(٢٩٨٥) كتاب الزهد والرقائق ، [٥] باب من أشرك في عمله غير الله ، والشجري في أماليه (٢/ ٢٢٣) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٩) ، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٦٣، ١٠/ ٥١، ٦٣) ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٢٤١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٢.(١٩٠٥) كتاب الإمارة ، [٤٣] باب من قاتل للرياء والسمعة واستحق النار ،والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٧، ٢/ ١١٠) ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٢٢) ، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٥) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦١) ، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٥) .

(٤) قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد وعقابهم علىٰ فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل علىٰ تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته ، وعلى الحث علىٰ وجوب الإخلاص في الأعمال ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا ، وكذلك الثناء علىٰ العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات ، كله محمول علىٰ من فعل ذلك لله تعالى مخلصا .
[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤٤، ٤٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) تقدم تخريجه في أول الحديث .

الفاضح المخزي، والسحب علىٰ الوجه، والإلقاء في النار، أعاذنا الله منه.

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسًا قالوا له: إنا ندخل علىٰ سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؟ قال ابن عمر: كنا نعد هذا نفاقا علىٰ عهد رسول الله ﷺ رواه البخاري.

فحقيقة الرياء إظهار خلاف ما يبطن كالنفاق.

وروينا من حديث جندب بن عبد الله بن سفيان مرفوعًا: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»[1] أخرجاه.

ولمسلم من حديث ابن عباس. وسمَّع بتشديد الميم: أظهر عمله للناس رياء. ومعنى سمَّع الله به: فضحه يوم القيامة.

ومعنى: من يرائي يرائي الله به[2]: أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، وليس كذلك راءى الله به، أي أظهر سريرته علىٰ رؤوس الخلائق، وكفي بذلك شهرة وفضيحة.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[3] يعني ريحها.

رواه أبو داود بإسناد صحيح، فحقيقة الرياء التوسل بعمل الآخرة إلىٰ إصابة عرض من الدنيا كما صرح به الغزالي في منهاجه.

ومن آثار الرياء البعد عن الرحمة، وعن شم عرف الجنة وعن الكرامات، وكفى به شقاء.

والأحاديث فيها كثيرة وهي مشهورة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٩٩) كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، ومسلم في صحيحه [٤٨. (٢٩٨٧)] كتاب الزهد والرقائق، [٥] باب من أشرك في عمله غير الله، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٠١).

(٢) قال العلماء: معناه: من رائى بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل: معناه: من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمعه المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل: معناه: من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه.
[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٩٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٦٤) كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٤٣).

فصل فيما يتوهم أنه رياء وليس رياء

روينا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟

قال: « تلك عاجل بشرى المؤمن»(١) رواه مسلم.

لكن يوهم المدح رياء (يعبد)(٢) ولعله لتوهم أنه جزاء.

فصل في تحريم النظر إلىٰ المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾(٣) الآية.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾(٤) الآية.

فهو مسئول هل قام بالغرض الثابت فيه أو لا.

وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾(٥).

أي علما نجازي به، وفي ذلك زجر عما هو أبلغ منه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾(٦).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كتب علىٰ ابن آدم نصيبه من الزنا مُدْرِك ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنىٰ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»(٧) أخرجاه. والسياق لمسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٦ - (٢٦٤٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٥١] باب إذا أثنى علىٰ الصالح فهي بشرى ولا تضره. و أحمد في مسنده [٥ / ١٥٦، ١٥٧، ١٦٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٣١٧]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١١ / ٥٣].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) سورة النور [٣٠].
هذا أمر من الله تعالى لعبادة المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلىٰ ما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر علىٰ محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا. [تفسير ابن كثير (٣ / ٢٩٠)].

(٤) سورة الإسراء [٣٦].

(٥) سورة غافر [١٩].

(٦) سورة الفجر [١٤].

(٧) أخرجه البخاري [٦٦١٢] كتاب القدر، باب [٩]. ومسلم في صحيحه [٢١ - (٢٦٥٧)] كتاب القدر، [٥] باب قدر علىٰ ابن آدم حظه من الزنى وغيره.

=

ورواية البخاري مختصرة.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا[(١)] : «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها.

فقال: «فإن أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟.

قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» أخرجاه[(٢)].

وروينا من حديث أبي طلحة زيد بن سهل قال: كنا قعودا بالأفنية نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال: «ما لكم ولمجالس الصعدات؟ اجتنبوا مجالس الصعدات»، فقلنا: إنما قعدنا نتذاكر ونتحدث.

قال: «إما لا، فأدوا حقها غض البصر، ورد السلام وحسن الكلام»[(٣)].

وروينا من حديث جرير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة؟ فقال: «اصرف بصرك»[(٤)].

= وأحمد في مسنده [٢ / ٣١٧] والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٦]، والزبيدي في الإتحاف [٥ / ٣٢١]، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار [٣ / ٩٩].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٤٦٥] كتاب المظالم، [٢٢] أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ورقم [٦٢٢٩] كتاب الاستئذان، باب [٢] ومسلم في صحيحه [١١٤ - (٢١٢١)] كتاب اللباس والزينة، [٣٢] باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، ورقم [٣ - (٢١٢١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام. وأحمد في مسنده [٣ / ٣٦، ٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٨٩، ١٠ / ١٩٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٦٤١].

(٢) هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث. ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وظن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقا إلا ذلك الموضع. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ - (٢١٧١)] كتاب السلام، [٢] باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام. و أحمد في مسنده [٤ / ٣٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩ / ٨١]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٥٩]. وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١١ / ١١].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥ - (٢١٥٩)] كتاب الآداب، [١٠] باب نظر الفجأة، و أحمد في مسنده [٤ / ٣٦١]، وأبو داود في سننه [٢١٤٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٢ / ٣٨٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٦]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [٣ / ١٥].

أخرجهما مسلم، والإدامة كالابتداء.

وروينا من حديث أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة.

فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال ﷺ: «احتجبا منه» فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا ينظرنا ولا يعرفنا؟ قال: «أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه»[1]. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فالرجل كما لا ينظر إلىٰ المرأة كذلك عكسه.

وروينا من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «لا ينظر الرجل إلىٰ عورة الرجل، ولا المرأة إلىٰ عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلىٰ الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلىٰ المرأة في ثوب واحد»[2] رواه مسلم.

فصل في تحريم الخلوة بالأجنبية

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[3] الآية.

وهي شاملة لذلك.

وروينا من حديث عقبة بن عامر مرفوعا[4]: «إياكم والدخول علىٰ النساء»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو. قال: «الحمو الموت» أخرجاه.

الحمو: قريب الزوج كأخيه ونحوه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٢٧٧٨] وأبو داود في سننه [٤١١٢]، و أحمد في مسنده [٦ / ٢٩٦]، وابن حبان في صحيحه [٤١٥٧ ـ الموارد]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١١٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٥ / ٤٢]، والزبيدي في الإتحاف [٦/ ٤٩١].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤ـ (٣٣٨)] كتاب الحيض، [١٧] باب تحريم النظر إلىٰ العورات، وأبو داود في سننه في الحمام، باب ما جاء في التعري، والترمذي في سننه [٢٧٩٣] كتاب الأدب، باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة، وابن ماجه في سننه [٦٦٦١] في الطهارة وسننها، باب النهي أن يرى عورة أخيه، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٩٨]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١ / ١٠٦]، والحاكم في المستدرك [١/١٥٨]، وابن خزيمة في صحيحه [٧٢]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣١٠٠].

(٣) سورة الأحزاب [٥٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٣٢] كتاب النكاح، [١١٢] باب لا يخلون رجل بإمرأة إلا مع ذو محرم، والدخول علىٰ المغيبة. ومسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢١٧٢)] كتاب السلام، [٨] باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها. والترمذي في سننه [١١٧١] كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول علىٰ المغيبات، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٩٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٤ / ٤٠٩].

وروِيناه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لا يَخْلُوَنَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[(١)] أخرجاه.

وروينا من حديث بريدة مرفوعًا: «حرمة نساء المجاهدين علىٰ القاعدين، كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه[(٢)] فيهم إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتىٰ يرضى».

ثم التفت إلينا رسول الله فقال: «ما ظنكم». أخرجه مسلم.[(٣)].

وفيه تحذير من خطر الخيانة والخلوة، مؤدية إليه.

فصل في تحريم تشبيه الرجال بالنساء وعكسه

في لباس وحركة وغيرها.

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»[(٤)].

وفي رواية: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[(٥)]. أخرجه البخاري.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٣٣] كتاب النكاح، [١١٢] باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذو محرم، والدخول علىٰ المغيبة. ومسلم في صحيحه [٤٢٤ ـ (١٣٤١)] كتاب الحج، [٧٤] باب سفر المرأة مع محرم الى حج وغيره. والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٤٢٩].

(٢) قال النووي: قوله ﷺ «حرمة نساء المجاهدين علىٰ القاعدين كحرمة أمهاتهم» هذا في شيئين أحدهما تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك، والثاني من برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل إلىٰ ريبة ونحوها. [النووي في شرح مسلم [١٣ / ٣٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٨٩٧)] كتاب الإمارة، [٣٩] باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن. وأبو داود في سننه [٢٤٩٦]، والنسائي [٦ / ٥٠، ٥١ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ١٧٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٧٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٧٩٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٨٦] كتاب اللباس، [٦١] باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال. وأبو داود في سننه [٤٩٣٠] في الأدب باب في المخنثين، والترمذي في سننه [٢٧٨٥] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء. و أحمد في مسنده [١ / ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٥٤]، والطبراني في المعجم الكبير [١١ / ٢٨٣، ٣١٤]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١٠٣].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٨٥] كتاب اللباس، [٦١] باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات =

وروينا من حديث أبي هريرة: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسه المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[١]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا عنه أيضًا مرفوعًا: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، ورؤسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[٢].

أخرجه مسلم، كاسيات أي من نعمة الله.

عاريات: من شكرها أو يستر بعض بدنها وتكشف البعض، إظهار لجمالها ونحوه، أو تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها.

ومائلات: أي عن طاعة الله، وما يلزمهن حفظه، مميلات: يُعَلِّمن غيرهن فعلهنَّ المذموم.

أو مائلات: تمشين متبخرات.

مميلات لأكتافهن أو يتمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة.

رؤوسهن كأسنمة البخت يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوه.

فصل في النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

روينا من حديث جابر مرفوعًا: «لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بشمال»[٣]

= بالرجال. وأبو داود في سننه [٤٠٩٧]، والترمذي في سننه [٢٧٨٤] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء، وابن ماجه في سننه [١٩٠٤] في النكاح، باب في المخنثين.

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٠٩٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٢٥]، وابن حبان في صحيحه [١٤٥٥ - الموارد]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١٠٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٦٩].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥-٢١٢٨] كتاب اللباس والزينة، [٣٤] باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٦ ، ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٢٣٤، ٢٤٧] والزبيدي في الإتحاف [٦/ ١٥٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٥٢٤] والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٩٥]، والشجري في أماليه [٢ / ٢٦٧]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٣٢٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٤ - (٢٠١٩)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، وابن ماجه [٣٢٦٨] و أحمد في مسنده [٣ / ٣٣٤].

في رواية «ويشرب بشماله»[١]. أخرجهما مسلم.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

أخرجاه[٢]، والمراد خضاب شعر اللحية والرأس الأبيض بصفرة أو حمرة، وأما السواد فمنهي عنه كما (يستعمله)[٣].

فصل في نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

روينا من حديث جابر قال: «أُتِيَ بأبي قحافة والد أبي بكر يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال ﷺ: «غيروا هذا واجتنبوا السواد»[٤]. أخرجه مسلم[٥].

كذا ترجم عليه النووي في رياضة، وذكر هذا الحديث فقط، وكأنه يقيس المرأة عليه.

فصل في النهي عن القزع

وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقة كله للرجال دون النساء.

وروينا من حديث ابن عمر: «نهى رسول الله ﷺ عن القزع»[٦] أخرجاه.

---

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه [١٠٥ ـ (٢٠٢٠)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٩٩] كتاب اللباس، [٦٧] باب الخضاب. ومسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٢١٠٣)] كتاب اللباس والزينة، [٢٥] باب في مخالفة اليهود في الصبغ وأبو داود في سننه [٤٢٠٣]، والنسائي [٨ / ١٨٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه [٣٦٢١]، و أحمد في مسنده [٢ / ٢٤٠، ٣٠٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣٠٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٢٣].

(٣) كذلك الأصل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٢١٠٢)] كتاب اللباس والزينة، [٢٤] باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه السواد. وأبو داود [٤٢٠٤] والنسائي [٨ / ١٣٨ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٤٩٩، ٣ / ٣٣٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٠]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٤٢٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٢٤].

(٥) قال النووي: أما الثغامة بثاء مثلثه مفتوحة ثم غين معجمه مخففة، قال أبو عبيد: هو نبت أبيض الزهر والثمر يشبه بياض الشيب به، وقال ابن الأعرابي شجرة تبيض كأنها الملح. [النووي في شرح مسلم [٦٨/١٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٢١] كتاب اللباس، [٧٢] باب القزع. ومسلم في صحيحه [١١٣ ـ (٢١٢٠)] كتاب اللباس والزينة [٣١] باب كراهة القزع. وأبو داود [٤١٩٣]، والنسائي =

ولأبي داود عنه علىٰ شرط الشيخين: رأى رسول الله ﷺ صبيًا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»(١).

وله بإسناد علىٰ شر الشيخين عن عبد الله بن جعفر أنه ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثة أيام، ثم آتاهم فقال: «لا تبكوا علىٰ أخي بعد اليوم» ثم قال: «ادعوا لي بني أخي» فجيء بنا كأنا أفراخ.

فقال: «ادعوا لي الحلاق» فأمر بحلق رؤوسنا(٢).

وفي هذا إباحة حلق الكل(٣).

وفي الذي قبله أن القزع حلق البعض وترك البعض.

وروينا من حديث علي: «نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها»(٤).

فصل في تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان

قال تعالىٰ: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ﴾(٥).

وروينا من حديث أسماء : أن امرأة سألت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة، فتمرَّق شعرها، وإني زوجتها أفأصل فيه.(٦).

= [١٣٠١٨ ـ المجتبي] وابن ماجه [٣٦٣٧، ٣٦٣٨]، و أحمد في مسنده [٢ / ٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٠٥]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨ / ٣١٣].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٩٥]، والنسائي [٨/ ١٣٠ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٨٨]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٦٤].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٩٢]، والنسائي [٨ / ١٨٢ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [١/ ٢٠٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٦٣].

(٣) أجمع العلماء علىٰ كراهة القزع إذا كان في مواضع متفرقة إلا أن يكون لمداواة ونحوها، وهي كراهة تنزيه وكرهه مالك في الجارية والغلام مطلقًا. وقال بعض أصحابه: لا بأس به في القصة والقفا للغلام، ومذهبنا كراهته مطلقا للرجل والمرأة لعموم الحديث. قال العلماء: والحكمة في كراهته أنه تشويه للخلق، وقيل: لأنه زي الشر والشطارة وقيل: لأنه زي اليهود وقد جاء هذا في رواية لأبي داود، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه [٩١٤] كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء، والنسائي [٨/ ١٣٠ ـ المجتبي].

(٥) سورة النساء [١١٩].

(٦) هذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقا، وهذا هو الظاهر المختار، وقد فصله أصحابنا فقالوا إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام بلا خلاف سواء كان شعر رجل أو امرأة وسواء شعر المحرم والزوج وغيرها بلا خلاف لعموم الأحاديث، وأما الشعر =

فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[1] أخرجاه.

وفي رواية: "الموصولة"، وعن عائشة نحوه.

أخرجاه أيضا. تمرق: بالراء انتثر وسقط.

والموصولة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بآخر.

والواصلة: التي توصل شعرها.

والمستوصلة: السائلة فعل ذلك.

وروينا من حديث حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية عام حج على المنبر وتناول قصة من شعر كانت في يد حَرَسِيٍّ فقال: يا أهل المدينة: أين علماؤكم سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذا ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»[2] أخرجاه.

وروينا من حديث ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»[3]. أخرجاه.

وروينا من حديث ابن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله». فقالت له امرأة في ذلك.

= الطاهر من غير آدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضا.
[النووي في شرح مسلم [١٤ / ٨٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٥] كتاب اللباس، [٣٨] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١١٥ ـ (٢١٢٢)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة. والترمذي [١٧٥٩، ٢٧٨٣]، والنسائي [٨ / ١٤٦ ـ المجتبي]، وابن ماجه [١٩٨٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٣٩، ٦ / ١١١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٢٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ١١٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٢] كتاب اللباس، [٨٣] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١٢٢ـ(٢١٢٧)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، وأحمد في مسنده [٩٨/٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٢٩٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ١٢١].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٧] كتاب اللباس، [٨٣] باب وصل الشعر. ومسلم في صحيحه [١١٩ ـ (٢١٢٤)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله. وأبو داود في سننه [٤١٦٨] كتاب الترجل باب في صلة الشعر، وأحمد في مسنده [١ / ٤٣٤] والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٢].

فقال: «ألا ألعن من لعنه رسول الله، وهو في كتاب الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] »[١]، أخرجاه.

المتفلِّجة التي تبرد من أسنانها لتباعد بعضها عن بعض قليلا وتحسنها، وهو الوشر.

والنامصة: التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققة ليصير حسنًا.

والمتنمصة التي تأمر من يفعل بها ذلك.

وفي هذا الحديث منشأ سبب النهي، والذي قبله بيان سببه.

فصل في النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرها

وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه.

وروينا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة»[٢].

حديث حسن، ورواه أبو داود والترمذي، والنسائي بأسانيد حسنه، قال الترمذي: حسن.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهم رد»[٣] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٣٩] كتاب اللباس، [٨٤] باب المتنمصات. ومسلم في صحيحه [١٢٠ ـ (٢١٢٥)] كتاب اللباس والزينة، [٣٣] باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق الله، وأبو داود في سننه [٤١٦٩] كتاب الترجل، باب في صلة الشعر، وأحمد في مسنده [١ / ٤٣٤].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٤٢٠٣] كتاب الترجل، باب في نتف الشيب. والترمذي في سننه [٢٨٢١] كتاب الأدب باب ما جاء في النهي عن نتف الشيب. والنسائي [٨ / ١٣٦ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [٣٧٢١] كتاب الأدب، باب نتف الشيب، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٨٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٣١٧].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨ـ (١٧١٨)] كتاب الأقضية، [٨] باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. و أحمد في مسنده [١٤٦/٦، ١٨٠، ٢٥٦] والدارقطني في سننه [٤ / ٢٢٧]، وابن كثير في تفسيره [١ / ٢٢٢، ٢ / ٢٥]. قال النووي: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمة ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي هذا الحديث دليل لمن يقول من الأصوليين إن النهي يقتضي الفساد، ومن قال لا يقتضي الفساد يقول: هذا خبر واحد ولا يكفي في إثبات هذه القاعدة المهمة وهذا جواب فاسد، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الإستدلال به. [النووي في شرح مسلم [١٢/ ١٥] طبعة دار الكتب العلمية].

فصل في كراهية الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين عند الإستنجاء من غير عذر

فيه أحاديث كثيرة صحيحه منها:

حديث أبي قتادة في الصحيحين مرفوعًا: «إذا بال أحدكم فلا يأخذنَّ ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولا يتنفس في الإناء»(١).

فصل في كراهية المشي في خف أو نعل واحد لغير عذر

وكراهة لبس النعل والخف قائمًا بغير عذر.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يمشِ أحدكم في نعل واحد، لينعلها جميعا أو ليخلعها جميعا»(٢).

وفي رواية: «أو ليحفهما جميعًا» أخرجاه.

وعنه مرفوعًا: «إذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمشِ في الأخرى حتىٰ يصلحها»(٣) أخرجه مسلم.

وعن جابر أنه ﷺ «نهى أنه ينتعل الرجل قائمًا»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٠] كتاب الأشربة، [٢٥] باب التنفس في الإناء. ومسلم في صحيحه [١٢١ ـ (٢٦٧)] كتاب الأشربة، [١٦] باب كراهية التنفس في نفس الإناء، واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وأبو داود في سننه [٣١] كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء. وابن ماجه [٣١٠].
والبيهقي في السنن الكبرى [١ / ١١٢، ٧ / ٢٨٢]، وأحمد في مسنده [٥ / ٣٠٠].

(٢) أخرجه البخاري [٥٨٥٦] كتاب اللباس، [٤٠] باب لا يمشي في نعل واحد. ومسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٠٩٧)] كتاب اللباس والزينة، وأبو داود (٤١٣٦) كتاب اللباس، باب في الانتعال، وابن ماجه [٣٦١٧]. والترمذي (١٧٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/٢٢٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤١١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٠٩٨)] كتاب اللباس والزينة، [١٩] باب استحباب لبس النعل في اليمين أولاً، والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة. والترمذي [٤٣]، والنسائي [٨ / ١١٨ ـ المجتبي] و أحمد في مسنده [٢ / ٣١٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٢١٦]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٣٣٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٥ / ١٣٩].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٤١٣٥] كتاب اللباس، باب في الانتعال. والترمذي [١٧٧٦]، وابن ماجه [٣٦١٨، ٣٦١٩]، والخطيب في تاريخ بغداد [٥ / ١٥٩]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [٧١٩].

رواه أبو داود بإسناد حسن.

فصل في النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه

سواء كانت في سراج أو غيره.

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»(١) أخرجاه.

ومن حديث أبي موسى قال: «احترق بيت بالمدينة علىٰ أهله، فلما حُدِّث رسول الله ﷺ بشأنهم قال: «إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها»(٢) أخرجاه.

ولمسلم من حديث جابر مرفوعًا: «غطوا الإناء وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض علىٰ إنائه عودًا، ويذكر اسم الله عليه، فليفعل، فإن الفويسقة تضرم علىٰ أهل البيت بيتهم»(٣) الفويسقة: الفأرة، وتضرم: تحرق.

فصل في النهي عن التكلف

وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾(٤).

وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهينا عن التكلف».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٣] كتاب الاستئذان [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم. ومسلم في صحيحه [١٠٠ - (٢٠١٥)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وأبو داود في سننه [٥٢٤٦]، والترمذي [١٨١٣]، وابن ماجه في سننه [٣٧٦٩] وأحمد في مسنده [٢ / ٧، ٨]، و أبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٢٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٢٩٤] كتاب الاستئذان، [٤٩] باب لا تترك النار في البيت عند النوم. ومسلم في صحيحه [١٠١-(٢٠١٦)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٠١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ - (٢٠١٢)] كتاب الأشربة، [١٢] باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب. وابن ماجه في سننه [٣٤١٠]، و أحمد في مسنده [٣ / ٣٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١ / ٢٥٧] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٢٩٦]، [٤٢٩٨].

(٤) سورة ص [٨٦].

وعن مسروق قال: " دخلنا علىٰ عبد الله بن مسعود فقال: " يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم ".

قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦] [(١)] رواهما البخاري.[(٢)].

فصل في تحريم النياحة ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».

وفي لفظ: «ما نيح عليه»[(٣)] أخرجاه.

وعن أبي بردة قال: وجع أبو موسى فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة، فلم يستطيع أن يَرُدَّ عليها شيئا، فلما أفاق قال: أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة التي تحلق رأسها عند المصيبة والشاقة التي تشق ثوبها[(٤)].

وعن المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «من ينح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة»[(٥)] أخرجاه.

---

(١) قال ابن كثير: يقول تعالىٰ: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم علىٰ هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا» ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] «أي وما أريد علىٰ ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة». [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٨٠٩] كتاب تفسير القرآن، ومن سورة ص [٣] باب قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩٢] كتاب الجنائز، [٣٣] باب ما يكره من النياحة علىٰ الميت. ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٩٢٧)] كتاب الجنائز، [٩] باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وابن ماجه في سننه [١٥٩٣]، وأحمد بن حنبل في مسنده [٥/ ١٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣/ ٣٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٤٨]، و أبو نعيم في حلية الأولياء [٦/ ٢٩٢] وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١٣٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩٦] كتاب الجنائز، [٣٧] باب ما ينهي من الحلق عند المصيبة، ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (١٠٤)] كتاب الإيمان، [٤٤] باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٩١] كتاب الجنائز، [٣٣] باب ما يكره من النياحة علىٰ الميت.

=

وعن أم عطية نسيبة[١] قالت: «أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح»[٢] أخرجاه.

وفيه تأكيد تحريمها حتىٰ جعل مما يبيعن عليه وعن النعمان بن بشير قال: «أغمى علىٰ عبد الله بن رواحه، فجعلت أخته تبكي: واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك» رواه البخاري.

وهو بيان النوح المذموم، وهو تعداد الشمائل. وعن ابن عمر قال: " اشتكى ابن عبادة شكوى فأتاه رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود.

فلما دخل عليه وجده في غشية[٣] فقال: « أقد قضى؟». فقالوا: لا يا رسول الله فبكى رسول الله، فلما رأى القوم بكاءه بكوا، فقال: «ألا تسمعون، إن الله لا يُعذِّب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا، وأشار إلىٰ لسانه ويرحم»[٤]. أخرجاه.

وفيه أن النوح أمر لساني، وكذلك الجزع ونحوه بخلاف دمع العين وحزن القلب.

وعن أبي مالك الأشعري مرفوعًا: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[٥]. أخرجه مسلم.

= ومسلم في صحيحه [٢٨ ـ (٩٣٣)] كتاب الجنائز، [٩] باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(١) نسيبة بنت كعب ويقال بنت الحارث أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة سكنت البصرة، وأخرج لها: أصحاب الكتب الستة. ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢ / ٤٧٣]، تقريب التهذيب [٢ / ٦١٦، ٦٢٢]، الجرح والتعديل [٩ / ٤٦٥]، أسماء الصحابة الرواة [٧٩].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠٦] كتاب الجنائز [٤٥] باب ما ينهي عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك. ومسلم في صحيحه [٣١ ـ (٩٣٦)] كتاب الجنائز [١٠] باب التشديد في النياحة.

(٣) قوله: " وجده في غشية " هو بفتح الغين وكسر الشين وتشديد الياء، قال القاضي هكذا رواية الأكثرين قال: وضبطه بعضهم بإسكان الشين وتخفيف الياء، وفي رواية البخاري في غاشية وكله صحيح وفيه قولان أحدهما: من يغشاه من أهله، والثاني: ما يغشاه من كرب الموت. [النووي في شرح مسلم [٦ / ٢٠٠] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٠٤] كتاب الجنائز، [٤٤] باب البكاء عند المريض، ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (٩٢٤)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت. والبيهقي في السنن الكبرى [٤/٦٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٢٤]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [٤ / ٢٩٢].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٩٣٤)] كتاب الجنائز، [١٠] باب التشديد في النياحة و أحمد في مسنده [٥ / ٣٤٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٥١]، والتبريزي في مشكاة =

وعن أسيد بن أبي أسيد التابعي: أن امرأة من المبايعات قالت: «كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه أن لا تخمش وجها، ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيبًا ولا ننشر شعرًا».

رواه أبو داود[(١)] بإسناد حسن.

وعن أبي موسى مرفوعًا: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك إلا وكِّل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت»[(٢)].

رواه الترمذي وحسنه. اللهز: الدفع بجميع الصدر.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»[(٣)]، أخرجاه.

فصل في النهي عن إتيان الكاهن والمنجم والعرَّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى والشعير ونحو ذلك

روينا من حديث عائشة قالت[(٤)]: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان فقال: «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا، فقال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها من الجني فيُقِرُّها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة» أخرجاه.

وفي رواية للبخاري عنها مرفوعًا: «إن الملائكة تنزل في العنان. وهو السحاب. فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فيستشرف الشيطان السمع فيسمعه، فيوحيه إلىٰ الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[(٥)].

= المصابيح [١٧٢١]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٣٩٠]، وابن عراق في تنزيه الشريعة [٤ / ٩٢].

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣١٣١] كتاب الجنائز، باب في النوح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [١٠٠٣] كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء علىٰ الميت. وابن ماجه في سننه [١٥٩٤] كتاب الجنائز. باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه. المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٤٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٧٤٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢١ ـ (٦٧)] كتاب الإيمان [٣٠] باب إطلاق اسم الكفر علىٰ الطعن في النسب والنياحة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٦٢] كتاب الطب، [٤٦] باب الكهانة. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٢٢٢٨)] كتاب السلام، [٣٥] باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. و أحمد في مسنده [٦/ ٨٧] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٩٣].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ١٣٥] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٩٤]، والقرطبي في تفسيره [٧ / ٤]، والسيوطي في الحبائك في الملائك [١٣٣].

قوله: فيقرُّها: هو بفتح الياء وضم القاف والراء، أي يلقيها، والعنان: بفتح العين. وفيه تحقير أمر الكهان.

وروينا عن صفية بنت أبي عبيد[١]، عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقة لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»[٢] أخرجه مسلم.

وفي لفظ: «من أتى عرافًا فصدقه».

والعرَّاف من يخبر عن الجن ونحوهم بالغوائب.

وعن قبيصة بنت المخارق قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت»[٣].

رواه أبو داود بإسناد حسن، وقال: الطرق: الزجر أي زجر الطير، وهو أن يتيمن أو يتشاءم بطيرانه، فإذا طار إلىٰ جهة اليمين فيُمْنٌ وإلا فشؤم.

قال أبو داود والعيافة الخط.

قلت: والحصى والشعير منه.

قال الجوهري: والجبت كلمة تقع علىٰ الصنم والكاهن والتاجر، ونحو ذلك.

وروينا عن ابن عباس مرفوعًا: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٤] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

---

(١) صفية بنت أبي عبيد بن مسعود، زوج ابن عمر قيل لها إدراك وأنكره الدارقطني، قال العجلي: ثقة، وأخرج لها: البخاري تعليقًا ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٣٠]، تقريب التهذيب [٢/ ٦٠٣]، الوافي بالوفيات [١٦ / ٣٢٧] الكاشف [٣ / ٣٨٥]، والتمهيد [١ / ٢٠٤]، تراجم الأخبار [٢ / ٢١٥]، أعلام النساء [٢ / ٣٤٦]، ثقات [٤ / ٣٨٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٢٢٣٠)] كتاب السلام، [٢٥] باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٠٧] كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، و أحمد في مسنده [٣ / ٤٧٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٩]، وابن حبان في صحيحه [١٤٢٦ ـ الموارد]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨ / ٣٦٩]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٩ / ٤٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٨٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٠٥] كتاب الطب، باب في النجوم، وابن ماجه في سننه [٣٧٢٦]، وأحمد في مسنده [١ / ٣١١] والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٨]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٤١٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩ / ١١٨]، التبريزي في مشكاة المصابيح [٣٥٩٨]، والسيوطي في الدر المنثور [٣ / ٣٥]، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة [٧٩٣].

والمراد بالنجوم الأحكام دون المنازل والتوقيت ونحوها.

وعن معاوية بن الحكم قال: قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان.

قال: «فلا تأتهم»، قلت: ومِنَّا رجالاً يتطيرون.

قال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصُدَّنَّهم» قلت: ومنا رجالا يخُطُّون، قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»[1]. أخرجه مسلم.

وهذا الشرط لا يتحقق.

وعن أبي مسعود البدري أن رسول الله ﷺ «نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»[2] أخرجاه.

فصل في النهي عن التطير

فيه ما سلف في الباب قبله.

وعن أنس مرفوعًا: «لا عدوى ولا طِيَرَة، ويعجبني الفأل» قالوا: وما الفأل؟، قال: «كلمة طيبة»[3].

أخرجاه، وإنما أعجبه لأنه طيب وحسن ظن بالله، بخلاف الطيرة.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣ ـ (٥٣٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٧] باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة. ورقم [١٢١ ـ (٥٣٧)] كتاب السلام، [٣٥] باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان. وأبو داود [٣٩٠٩] كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، والنسائي [٣ / ١٦ ـ المجتبي] وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٥٠]، والزبيدي في الإتحاف [٩ / ١١٨] والسيوطي في الدر المنثور [٦/ ٣٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٢٣٧] كتاب البيوع، [١٣] باب ثمن الكلب. ومسلم في صحيحه [٣٩] كتاب المساقاة وأبو داود في سننه (٣٤٢٨) كتاب البيوع، باب في حلوان الكاهن، والترمذي [١١٣٣] كتاب النكاح، باب ما جاء في كراهية مهر البغي. ورقم [١٢٧٦] في البيوع، باب ما جاء في ثمن الكلب. والنسائي [٧ / ١٨٩، ٣٠٩، ٢ / ٥٠٠ ـ المجتبي] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٨]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٣٣]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ٨٧، ٩١]، والطبراني في المعجم الكبير [١٧ / ٢٦٥، ٢٦٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٥٦] كتاب الطب، [٤٤] باب الفأل. ومسلم في صحيحه [١١٢ ـ (٢٢٢٤)] كتاب السلام، [٣٤] باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم. وأبو داود [٣٩١٦]، وابن ماجه [٣٥٣٧] والطحاوي في مشكل الآثار [٢ / ٣٤٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤ / ٣٧٨].

الدار والمرأة والفرس»[١]. أخرجاه.

وفي رواية أخرى الجزم بذلك.

وعن بريدة أنه ﷺ «كان لا يتطير»[٢].

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٣] حديث صحيح: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفيه ما يدفع حزازات الصد مما يتطير به.

فصل في تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو دينار أو مخدة ووسادة وغير ذلك

وتحريم اتخاذ الصورة في حائط أو سقف وستر وعمامة وثوب ونحوها، والأمر بإتلاف الصور.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا[٤]: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم» أخرجاه.

وعن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٥٣] كتاب الطب، [٤٣] باب الطيرة، ومسلم في صحيحه [١١٦ ـ (٢٢٢٥)] كتاب السلام، [٣٤] باب تطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٣٩٢٠] كتاب العتق، باب في الطيرة. و أحمد في مسنده [٥ / ٣٤٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٤٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٥٨٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٩١٩] كتاب الطب، باب في الطيرة، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ١٣٥، ١٣٩] والقرطبي في تفسيره [٧ / ٢٦٦]، وابن السني في عمل اليوم والليلة [٢٨٨].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥١] كتاب اللباس، [٨٩] باب عذاب المصورين يوم القيامة. ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٢١٠٨)] كتاب اللباس والزينة [٢٦] باب تحريم صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفراش ونحوه.

(٥) السهوة بفتح السين المهملة قال الأصمعي: هي شبيهة بالرف أو بالطابق يوضع عليه الشيء، قال أبو عبيد: وسمعت غير واحد من أهل اليمن يقولون السهوة عندنا بيت صغير منحدر في الأرض وسمكه مرتفع من الأرض يشبه الخزانة الصغيرة يكون فيها المتاع، قال أبو عبيد، وهذا عندي أشبه ما قيل في السهوة، وقال الخليل: هي أربعة أعواد أو ثلاثة يعرض بعضها علىٰ بعض ثم =

فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

قالت: فقطعناه منه وسادة أو وسادتين[(١)].

أخرجاه، القرام بكسر القاف: الستر.

والسهوة: بفتح السين المهملة، الصفة تكون بين يدي البيت، وقيل: الطاق النافذ في الحائط.

وروينا من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفس فتعذبه في جهنم» قال ابن عباس: " فإن كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا روح فيه ". أخرجاه.[(٢)]

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»[(٣)].

أخرجاه، وفيه: أن من ادعى مرتبة كلف بتحقيقها فليحذر من الدعوى.

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة عند الله المصورون»[(٤)] أخرجاه، وسببه المضاهاة.

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله تعالىٰ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة»[(٥)] أخرجاه.

= يوضع عليها شيء من الأمتعة، وقال ابن الأعرابي هي الكوة بيت الدارين، وقيل: بيت صغير يشبه المخدع، وقيل: هي كالصفة تكون بين يدي البيت، وقيل شبيه دخله في جانب البيت والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ٧٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٤] كتاب اللباس، [٩١] باب ما وطئ من التصاوير، ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (٢١٠٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٢١١٠)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه. وأحمد في مسنده [١/ ٣٠٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٤٩٨]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٣ / ١٩٨].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٦٣] كتاب اللباس، [٩٧] باب من صور صورة كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. ومسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢١١٠)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٠] كتاب اللباس، [٨٩] باب عذاب المصورين يوم القيامة. ومسلم في صحيحه [٩٨ـ(٢١٠٩)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صور الحيوان.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٥٣] كتاب اللباس، [٩٠] باب نقض الصور. ومسلم في =

وهو بيان هذا الشر الموقع في أشد الضرر وقد عجز، وهذا خالع للقلوب مقطع للقلوب مقطع للأوصال، ومفتت للأكباد.

وعن أبي طلحة مرفوعًا: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة»(١) أخرجاه.

وعن ابن عمر قال: وعد رسول الله ﷺ جبريل أن يأتيه، فراث عليه حتىٰ اشتد علىٰ رسول الله ﷺ فخرج فلقيه جبريل ﷺ فشكى إليه فقال: «إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة»(٢) أخرجه البخاري.

فراث بالثاء المثلثة: أبطأ.

وما أشد هذا الحرمان، فَيُحْرَمُ البركة والإلهام والحماية وعن عائشة قالت: واعد رسول الله ﷺ جبريل في ساعة أن يأته، فجاءت تلك الساعة ولم يأتيه.(٣).

قالت: وكان بيده عصى فطرحها من يده وهو يقول: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره. فقال: «متى دخل هذا الكلب؟».

فقلت: والله ما دريت به، فأمر به فأخرج فجاء جبريل فقال له رسول الله ﷺ: «فجلست لك فلم تأتيني. فقال: منعنى الكلب الذي في بيتك، إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»(٤) أخرجه مسلم.

= صحيحه [١٠١ ـ (٢١١١)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم صور الحيوان.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٤٩] كتاب اللباس، [٨٨] باب التصاوير. ومسلم في صحيحه [٨٣ ـ (٢١٠٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه. والنسائي [٧ / ١٨٥، ٨/ ٢١٢ـ المجتبي]، وابن ماجه [٣٦٤٩]، وأحمد في مسنده [٤/ ٢٨]، وابن أبي شيبة [٥ / ٤١٠] والمنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٤٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٦٠] كتاب اللباس، [٩٤] باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة.

(٣) قال العلماء: بسبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات ولأن بعضها يسمى شيطانًا وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها.
[النووي في شرح مسلم [١٤/ ٧٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢١٠٤)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ممتهنة بالفرش ونحوه. والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٦٨] والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٣٧٧].

وعن أبي هياج حيان بن حصين[١] قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «لا تدع صورة إلا طمستها[٢] ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[٣] أخرجه مسلم.

فصل في تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»[٤] أخرجاه.

وفي رواية: " قيراط ".

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «من أمسك كلبًا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية»[٥] أخرجاه.

ولمسلم: «من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم»[٦].

---

(١) حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي ثقة، أخرج له: مسلم وأبو داود والترمذي. ترجمته: تهذيب التهذيب [٣ / ٦٧]، وتقريب التهذيب [١ / ٢٠٨]، والكاشف [١/ ٢٦٢]، تاريخ البخاري الكبير [٣ / ٥٣]، وتاريخ البخاري الصغير [١/ ١٩٤]، الجرح والتعديل [٣ / ١٠٨١]، الثقات [٤/ ١٧٠].

(٢) ما وجدناه في صحيح مسلم «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣ ـ (٩٦٩)] كتاب الجنائز، [٣١] باب الأمر بتسوية القبر، والحاكم في المستدرك [١ / ٣٦٩]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢ / ١٣٤]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٧٥]، وأحمد في مسنده [١ / ١٤٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٦٤٨٧].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٤٨٠] كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، [٦] باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشية. ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٥٧٤)] كتاب المساقاة، [١٠] باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخة وبيان تحريم إقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٣٢٢] كتاب الحرث والمزارعة، [٣] باب اقتناء الكلب للحرث. ومسلم في صحيحه [٥٩ ـ (١٥٧٥)] كتاب المساقاة، [١٠] باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ . (١٥٧٥)] كتاب المساقاة، [١٠] . باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك، والنسائي [٧/ ١٨٩ ـ المجتبي]، البيهقي في السنن الكبرى [١/ ٢٥١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٤/ ٦٧].

فصل في كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب

وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر.

ورويناه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس»(١).

وروينا عنه أيضا مرفوعًا: «الجرس مزامير الشيطان»(٢).

رواها، والثاني بيان لحكم الأول.

فصل في كراهية ركوب الجلالة وهي البعير أو الناقة التي تأكل العذرة

فإن أكلت علفًا طاهرًا فطاب لحمها زالت الكراهة.

روينا من حديث ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها»(٣).

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه

- إذا وجد فيه، والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار.

روينا من حديث أنس مرفوعًا: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»(٤) أخرجاه.

والمراد بدفنها إذا كان المسجد ترابًا أو نحوه.

فنواريها به، وقيل: تخرج منه.

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢١١٣)] كتاب اللباس والزينة، [٢٧] باب كراهة الكلب والجرس في السفر. وأبو داود في الجهاد باب في تعليق الأجراس، رقم (٢٥٥٥). والترمذي [١٧٠٣] كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية الأجراس علىٰ الخيل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة [١٠٤ ـ (٢١١٤)] كتاب اللباس والزينة، [٢٧] باب كراهة الكلب والجرس في السفر.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٥٨] كتاب الجهاد، باب في ركوب الجلالة. والحاكم في المستدرك [٢/ ٣٤]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٣٣].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤١٥] كتاب الصلاة، [٣٧] باب كفارة البزاق في المسجد. ومسلم في صحيحه [٥٥. (٥٥٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها. وأحمد في مسنده [٣ / ١٧٣]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٢٠١]، والطبراني في المعجم الصغير [١ / ٤٠]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢/ ٣٦٥].

حكاه في البحر، فإن كان مبلطًا أو مجصصًا فينزلها منه بغسل ونحوه، ولا يدلكها بمداسه كما يفعله الجهلة فإنه زيادة للخطيئة، وإكثار للقذر فيه.(١).

وروينا من حديث عائشة «أنه ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطا أو بزاقا، أو نخامة فحكها»(٢) أخرجاه.

وعن أنس مرفوعًا: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة، وقراءة القرآن »، أو كما قال رسول الله ﷺ(٣).

فصل في كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا»(٤) رواه مسلم.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»(٥).

رواه الترمذي وحسنه.

---

(١) قال النووي: قوله ﷺ: «وكفارتها دفنها» فمعناه إن ارتكب هذه الخطيئة فعليه تكفيرها كما أن الزنا والخمر وقتل الصيد في الإحرام محرمات وخطايا، وإذا ارتكبها فعليه عقوبتها. واختلف العلماء في المراد بدفنها، فالجمهور قالوا: المراد دفنها في تراب المسجد ورمله وحصاته إن كان فيه تراب أو رمل أو حصاة ونحوها، وإلا فيخرجها، وحكى الروياني من أصحابنا قولاً أن المراد إخراجها مطلقا، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [٥ / ٣٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٠٧] كتاب الصلاة، [٣٣] باب حك البزاق باليد من المسجد، ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٥٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٢٨٥)] كتاب الطهارة، [٣٠] باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلىٰ حفرها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ ـ (٥٦٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٨] باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد. وأبو داود في سننه [٤٧٣]، وابن ماجه [٧٦٧]، و أحمد في مسنده [٢ / ٣٤٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٤٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٢٠٢].

(٥) أخرجه الترمذي [١٣٢١]، البيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٤٤٧]، والحاكم في المستدرك [٢ / ٥٦]، وابن خزيمة في صحيحه [١٣٠٥].

وعن بريده أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر فقال ﷺ: «لا وجدت؛ إنما بُنيَت المساجد لما بُنِيَت له»[(١)] أخرجه مسلم.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده «أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن ينشد فيه ضالة، وأن يُنْشَد فيه شعر»[(٢)].

رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

وعن السائب بن يزيد[(٣)] الصحابي قال: كنت في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما فقال: من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف.

فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[(٤)] رواه البخاري.

فصل في نهي كل من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو غيرهما مما له رائحة كريهة من دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا»[(٥)] أخرجاه.

وفي رواية مسلم " مساجدنا ".

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٠ ـ (٥٦٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٨] باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقول من سمع الناشد. وابن خزيمة في صحيحه [١٣٠١]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٧٢١].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [١٠٧٩] والترمذي من حديث أبي هريرة رقم [١٣٢١] في البيوع باب النهي عن البيع في المسجد وبلفظ «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك. . .» الحديث.

(٣) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، وأبو يزيد الكندي ويقال: الأسدي، الليثي الهزلي، يعرف بابن أخت النمر الأزدي الكندي صحابي صغير له أحاديث قليلة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة أخرجه له: أصحاب الكتب الستة، توفي في سنة [٩١، ٩٦، ٨٨] تقريب التهذيب [١ / ٢٨٣] تهذيب التهذيب [٣/ ٤٥٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٤٧٠] كتاب الصلاة، [٨٣] باب رفع الصوت في المساجد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٣] كتاب الأذان، [١٦٠] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث. ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٥٦٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها. وأخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ـ (٥٦١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

ومن حديث أنس مرفوعًا: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يصلين معنا»[١].

ومن حديث جابر مرفوعًا: «من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا»[٢] أخرجهما.

ولمسلم: «من أكل البصل أو الثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[٣].

ومن حديث عمر أنه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: " ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم « لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحها من الرجل أمر به فأخرج إلىٰ البقيع»[٤]، فمن أكلهما فليمتهما طبخًا " أخرجه مسلم[٥].

فصل في كراهية الإحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

لأنه يجلب النوم، فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء.

روينا من حديث معاذ بن أنس الجهني «أن رسول الله ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب»[٦]. رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٦] كتاب الأذان، [١٦] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، ومسلم في صحيحه [٧٠ - (٥٦٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٨٥٥] كتاب الأذان، [١٦] باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ومسلم في صحيحه [٧٣ - (٥٦٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٣) مسلم في صحيحه [٧٤ - (٥٦٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

(٤) قال النووي: هذا فيه إخراج من وجد منه ريح الثوم والبصل ونحوهما من المسجد وإزالة المنكر باليد لمن أمكنه. وقوله «فمن أكلها فليمتهما طبخا» معناه من أراد أكلهما فليمت رائحتها بالطبخ وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته، ومنه قولهم: قتلت الخمر إذا مزجها بالماء وكسر حدتها. [النووي في شرح مسلم [٥/ ٤٦] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨- (٥٦٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٧] باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه [١١١٠] كتاب الصلاة، باب الإحتباء والإمام يخطب. والترمذي في سننه [٥١٤] في الصلاة، باب ما جاء في كراهية الإحتباء والإمام يخطب. و أحمد في مسنده [٣ / ٤٣٩]، والطحاوي في مشكل الآثار [٤ / ٧٩].

فصل

في نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحى عن شيء أن يأخذ من شعره ولا من ظفره حتىٰ يضحى. رواه مسلم(١).

فصل النهي عن الحلف بمخلوق

كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس، وحياة السلطان ونعمته وتربة فلان والأمانة وهي من أشدها نهيًا.

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»(٢) أخرجاه.

وفي رواية في الصحيح: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت»(٣).

وعن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»(٤) أخرجه مسلم.

الطواغي جمع طاغية، وهي الأصنام.

ومنه الحديث: «هذه طاغية دوس» أي صنمهم ومعبودهم. وروى مسلم «بالطواغيت» جمع طاغوت وهو الشيطان والصنم، فليحذر منه؛ فإنه تعظيم يشبه السجود.

---

(١) كذا بالأصل ولم يذكر الحديث في مسلم [٤١ ـ (١٩٧٧)] كتاب الأضاحي، [٧] باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو يريد التضحية أن يأخذ من شعره أو أظافره شيئا، عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظافره».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٤٦] كتاب الأيمان والنذور، [٤] باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في صحيحه [٣ ـ (١٦٤٦)] كتاب الأيمان، [١] باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، وأبو داود [٣٢٤٩]، والترمذي [١٥٣٤] والنسائي [٧ / ٤، ٥ ـ المجتبي]، وابن ماجه [٢٠٩٤]، وأحمد في مسنده [١ / ١٨، ٣٦]، والبيهقي في السنن [١٠/٢٨، ٢٩]، والحاكم في المستدرك [١/ ٥٢]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٦٠٥].

(٣) أخرجه الترمذي [١٥٣٤] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦ ـ (١٦٤٨)] كتاب الأيمان، [٢] باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله. وابن ماجه في سننه [٢٠٩٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٩]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٥٩٣٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٠٨]، والطبراني في المعجم الكبير [٧/ ٣٠٥]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٤ / ١٧٧] والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦].

وروينا من حديث بريدة مرفوعًا: «من حلف بالأمانة فليس منا»[(١)] حديث صحيح. رواه أبو داود بإسناد صحيح وما أشده من تبرى؛ فإنها إن كانت ضد الخيانة فهو إشراك فيمن يستحق إفراده بالتعظيم، وإن كانت مما تسميه أهل الكتاب أمانة من عقائدهم فأشد.

وروينا من حديث بريدة أيضًا مرفوعًا: «من حلف فقال إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبا، فهو كما قال: وإن كان صادقًا فلن يرجع إلىٰ الإسلام سالمًا»[(٢)].

وروينا من حديث ابن عمر أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٣)].

رواه الترمذي؛ وقال حسن.

قال: وفسَّر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك علىٰ التغليظ كما روى أنه ﷺ قال: «الرياء شرك»[(٤)] قلت: ومعنى التغليظ أن حقيقته ذلك وإنما لم يترتب عليه مقتضاه لغفلته عن فهمه وعدم القصد إليه لا ما يوهمه الأغبياء من عدم معنى له.

فصل في تغليظ تحريم اليمين الكاذبة عمدًا

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «من حلف علىٰ مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان»، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ٧٧] إلىٰ آخر الآية. أخرجاه.[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٣٢٥٣] كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٣٠]، وابن حبان في صحيحه [١٣١٨ ـ الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٤٢٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٠٧].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٣٢٥٨] كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٥٣٥] كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. وأحمد في مسنده [٢ / ١٢٥]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٨، ٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٦٠٦]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٤ / ١٦٨].

(٤) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده [٥ / ٤٢٨]، والعجلوني في كشف الخفا [١/ ٥٢٥].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٦] كتاب الأيمان والنذور. [١٧] باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٧٧]. الآية. ومسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (١٣٨)] كتاب الأيمان، [٦١] باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار. والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٥٤]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٦١٩].

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي مرفوعًا: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟، قال: «وإن قضيبًا من أراك»(١).

أخرجه مسلم.

وهو إلغاء لأمر المالية، لكن فيه انتهاك حرمة الجليل جل جلاله.

وروينا من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا: «الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس واليمين الغموس»(٢) رواه البخاري.

وفي رواية له: أن أعرابيا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟

قال: « الإشراك بالله»، قال: ثم ماذا؟

قال: « اليمين الغموس » قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقتطع مال امرئ مسلم»(٣) يعني بيمين هو فيها كاذب .

فصل في ندب من حلف علىٰ يمين فرأىٰ غيرها خيرًا منها

أن يفعل ذلك المخلوق عليه ثم يكفر عن يمينه.

وروينا من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «وإذا حلفت علىٰ يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك»(٤) أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (١٣٧)] كتاب الأيمان، [٦١] باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فأجرة بالنار. والنسائي [٢٤٦/٨ ـ المجتبي] وأحمد في مسنده [٥ / ٢٦٠] والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٦٢٥]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ٤٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٧٥] كتاب الأيمان والنذور، [١٦] باب اليمين الغموس والترمذي [٣٠٢١] كتاب تفسير القرآن. باب من سورة النساء. والنسائي [٨٨/٧، ٨٩ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٠١]، والسيوطي في الدر المنثور [١٤٧/٢، ٦٢١].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩٢٠] كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [١] باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٢٢] كتاب الأيمان والنذور، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥] الآية، ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٦٥٢)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها. وأبو داود [٣٢٧٧] والنسائي [١٠/٧ ـ المجتبي] و أحمد في مسنده [٥ / ٦٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٣١، ٣٦].

وعن أبي هريرة مرفوعًا: «من حلف علىٰ يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير»[١] أخرجه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف علىٰ يمين فأرى خيرا منها إلا كفَّرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير»[٢] أخرجاه.

وهو غاية في التأسي.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يلَجَّ أحدكم بيمينه في أهله، آثَمُ عند الله من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه»[٣] أخرجاه.

ويلج: بفتح اللام وتشديد الجيم يتمارى فيها، ولا يكفر.

وآثم: بالثاء الثلثة أكبر إثما، وهو دافع لشبهة متوسوس من تحليل يمين عقدها، فإن الذي فرَّ منه توقعه في أشد منه، فإن التحلل فيه فعل الخير، وفعل الكفارة المحللة ليعطيه اليمين، والأخذ برخصة الله المحبوبة لديه والقيام بفرض فرضه الله عليه، مع فوائد التأسي النبوي.

فصل في العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه

وهو ما يجري علىٰ اللسان بغير قصد اليمين: كلا والله، وبلى والله ونحو ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَٰنِكُمْ﴾[٤]

في قول الرجل: " لا والله، بلى والله. . . " رواه البخاري[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ـ (١٦٥٠)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه. والترمذي [١٥٣٠]، وابن ماجه [٢١٠٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٨٠] كتاب الأيمان والنذور، [١٨] باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١٦٤٩)] كتاب الأيمان، [٣] باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها، أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٢٥] كتاب الأيمان والنذور، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَ﴾ [المَائدة: ٨٩] . الآية، ومسلم في صحيحه [٢٦ ـ (١٦٥٥)] كتاب الإيمان، [٦] باب النهي عن الإصرار علىٰ اليمين فيما يتأذى به أهل الحالف مما ليس بحرام، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور [١ / ٢٦٨]، والقرطبي في تفسيره [٦ / ٢٨١].

(٤) سورة المائدة [٨٩].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٦٣] كتاب الأيمان والنذور، [٤] باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾، عن عائشة ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٥] قال: قالت أنزلت في قوله: لا والله وبلى والله.

فصل في كراهة الحلف في البيع وإن كان صادقا

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب»(١) أخرجاه.

ومن حديث أبي قتادة مرفوعًا: «إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق»(٢) أخرجه مسلم. فليحذر من ذلك.

فصل في كراهة أن يسأل بوجه الله تعالى غير الجنة

وكراهة منع من سأل بالله تعالى أو يشفع به.

روينا في حديث جابر مرفوعًا: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»(٣). رواه أبو داود.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه»(٤).

حديث حسن.

رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين.

فصل في تحريم قول شاهان شاه للسلطان وغيره

لأن معناه ملك الأملاك(٥) أخرجاه. قال سفيان بن عيينه: ملك الأملاك مثل شاهنشاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٠٨٧] كتاب البيوع، [٢٦] باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم، ومسلم في صحيحه [١٣١ ـ (١٦٠٦)] كتاب المساقاة، [٢٧] باب النهي عن الحلف في البيع. وأبو داود في سننه [٣٣٣٥]، والنسائي [٧/٢٤٦ ـ المجتبي]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٢٦٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٩٠].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٢ ـ (١٦٠٧)] كتاب المساقاة، [٢٧] باب النهي عن الحلف في البيع، وأحمد في مسنده [٥ / ٢٩٧، ٢٩٨].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٧١] كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى. والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٩٤٤] والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٥٢٠].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [١٦٧٢] كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله. والنسائي [٥ / ٨٢ ـ المجتبي]، و أحمد في مسنده [١ / ٢٥٠، ٢ / ٦٨]. والطبراني في المعجم الكبير [١٢ / ٣٩٧، ٤١٨]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/٦٠١، ٢ / ٧٦]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٥٦] وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [٢٥٣].

(٥) انظر مسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢١٤٣)] كتاب الأدب، [٤] باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك.

فصل في النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه

روينا من حديث بريدة مرفوعا[(١)]: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في كراهية سب الحمى

وروينا من حديث جابر أنه ﷺ دخل علىٰ أم السائب أو أم المسيب فقال: «ما لك يا أم السائب، أو يا أم المسيب تزفزفين؟»[(٢)].

قالت: الحمى لا بارك الله فيها.

فقال: «لا تسبى الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»[(٣)] تزفزفين تتحركين حركة سريعة، ومعناه ترتعد، وهو بضم التاء وبالزاء المكررة، وبالفاء المكررة.

وروى أيضًا بالراء وروى بالزاي المكررة بالفائين.

فصل في النهي عن سب الريح

وبيان ما يقال عند هبوبها.

روينا من حديث أبي المنذر أُبَيّ بن كعب مرفوعًا: " لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: «اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه [٤٩٧٧] كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك " ربي "، " ربتي "، وأحمد في مسنده [٥ / ٤٣٦، ٤٣٧]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٧٨٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٧٩].

(٢) قوله ﷺ: «مالك يا أم السائب تزفزفين» : بزاءين معجمتين وفاءين والتاء المضمومة قال القاضي: تضم وتفتح هذا هو الصحيح المشهور في ضبط هذه اللفظة، وادعى القاضي أنها رواية جميع رواه مسلم، ووقع في بعض نسخ بلادنا بالراء والفاء ورواه بعضهم في غير مسلم بالراء والقاف معناه تتحركين حركة شديدة أي ترعدين، وفي حديث المرأة التي كانت تصرع دليل علىٰ أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ١٠٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٤٥٧٥) كتاب البر والصلة والآداب، [١٤] باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتىٰ الشوكة يشاكها. والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٧٧] والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية [١ / ٢١، ١٣٢]. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [٧١٥، ١٢١٥].

به، ونعوذ بك من شر هذا الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به»[١] رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»[٢].

رواه أبو داود بإسناد حسن، رَوْحٌ، بفتح الراء أي رحمته بعباده.

وروينا من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به» أخرجه مسلم.[٣]

فصل في كراهية سب الديك

روينا من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة»[٤]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في النهي عن قول مطرنا بنوء كذا

ثبت ذلك في الصحيحين[٥] من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعا، والسماء

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٢٥٢]، و أحمد في مسنده [٥ / ١٢٣] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٢١٥٨]، والزبيدي في الإتحاف [٥/١٠٣]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٣٩٨].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٥٠٩٧] وأحمد في مسنده [٢ / ٢٦٨، ٥١٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [٤ / ٢٨٥]، وابن حبان [١٩٨٩ ـ الموارد]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥١٦]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠٠٠٤]، والسيوطي في الدر المنثور [١ / ١٦٥]، والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٥٢٥]، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة [١٨٧٤].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥ ـ (٨٩٩)] كتاب صلاة الإستسقاء [٣] باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر. وأبو داود في سننه [٢١٦٠]، وابن ماجه في سننه [٢٢٥٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٣ / ٣٦٠]، والسيوطي في الدر المنثور (٦/٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥/١٠٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٥١٣].

(٤) أخرجه أبو داود في سننه [٥١٠١] كتاب الأدب، باب ما جاء في الديك والبهائم. والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٤٧٤] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٣٦].

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه [٨٤٦] كتاب الأذان، [١٥٦] باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم. ورقم [١٠٣٨] كتاب الإستسقاء، [٢٧] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقِعَة: ٨٢]، ومسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٧١)] كتاب الإيمان [٣٢] باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

المذكورة فيه: المطر.

فصل في تحريم قوله لمسلم: يا كافر

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»(١).

وعن أبي ذر مرفوعًا: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك: إلا حار عليه»(٢). أخرجاه.

حار: رجع عن الفحش وبذئ اللسان

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»(٣).

ومن حديث أنس مرفوعًا: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه»(٤). رواهما الترمذي وحسنه.

فصل في كراهة التنفير بالكلام

بالتشديد وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا(٥) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٠٤] كتاب الأدب [٧٣] باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال. ومسلم في صحيحه [١١١ ـ (٦٠)] كتاب الإيمان، [٢٦] باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ٢١٩] ومسلم في صحيحه [١١٢ ـ (٦١)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [١٩٧٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٩٣]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٢]، وابن حبان في صحيحه [٤٨ ـ الموارد]، والبخاري في الأدب المفرد [٣١٢].

(٤) أخرجه الترمذي [١٩٧٤] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش. وابن ماجه في سننه [٤١٨٥]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٤٥]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٩٩]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٨٥٤].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٢٦٧٠)] كتاب العلم، [٤] باب هلك المتنطعون. والطبراني في المعجم الكبير [١٠ / ٢١٦]، والزبيدي في الإتحاف [٢ / ٥٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٨٥].

وهو المبالغون في الأمور.

ومن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه، كما تتخلل البقرة»(١).

رواه أبو داود والترمذي وحسنه.

ومن حديث جابر: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»(٢) رواه الترمذي وحسنه.

وسلف شرحه في حسن الخلق، ولا منفر كهذه الثلاثة.

فصل في كراهة قول : خبثت نفسي

روينا من حديث عائشة مرفوعًا: « لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي»(٣) أخرجاه.

ومعنى خبثت: غثت، وهو بمعنى لقست(٤)، ولكن كره لفظ الخبث.

فصل في كراهة تسمية العنب كرمًا

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم المسلم»(٥) أخرجاه، واللفظ لمسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود [٥٠٠٥] كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام. والترمذي في سننه [٢٨٥٣] كتاب الأدب باب ما جاء في الفصاحة والبيان. وأحمد في مسنده [٢ / ١٦٥، ١٨٧]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٨ / ١١٦].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [٢٠١٨] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، المنذري في الترغيب والترهيب [٣/٤٠٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٧٩] كتاب الأدب، [١٠٠] باب لا يقل خبثت نفسي. ومسلم في صحيحه [١٦ ـ (٢٢٥٠)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٤] باب كراهة قول الإنسان: خبثت نفسي.

(٤) قال أبو عبيد وجميع أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: لقست وخبثت بمعنى واحد وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبيثها قالوا: ومعنى لقست غثت، وقال ابن الأعرابي معناه ضاقت. [النووي في شرح مسلم [١٥ / ٧] طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٦١٨٣] كتاب الأدب، [١٠٢] باب قول ﷺ: «إنما الكرم قلب المؤمن». ومسلم في صحيحه[٨ ـ (٢٢٤٧)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٥٩، ٤٧٦]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٨٠]، والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦].

وفي رواية: «فإنما الكرم المسلم » أخرجاه واللفظ لمسلم

وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن»[١].

وفي رواية: «إنما تقولون: الكرم ، إنما الكرم قلب المؤمن».

ورويناٍ من حديث وائل مرفوعًا: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة»[٢] رواه مسلم.

الحبلة: بفتح الحاء، وبفتح الباء وإسكانها.

فصل في النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل لا يحتاج إلىٰ ذلك لغرض شرعي كنكاح ونحوه

روينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا:[٣] « لاتباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها». أخرجاه

فصل في كراهية قول الإنسان في الدعاء: اللهم اغفر لي إن شئت بل يعزم بالطلب

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له»[٤] أخرجاه.

وفي رواية لمسلم: «ولكن ليعزم وليعظم لرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[٥].

---

(١) انظر البخاري كما تقدم، ومسلم [٩ـ(٢٢٤٧)] كتاب الألفاظ، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (٢٢٤٨)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٢] باب كراهة تسمية العنب كرما. والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٧٦٢] والزبيدي في الإتحاف [٧ / ٥٧٦]، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٠ / ٥٦٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٤٠] كتاب النكاح، [١١٩] باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها، وأبو داود في سننه [٢١٥٠] في النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، والترمذي [٢٧٩٢] كتاب الأدب، باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٣٩] كتاب الدعوات، [٢١] باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، ومسلم في صحيحه [٩ . ٢٦٧٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت. وأبو داود في سننه [١٤٨٣]، والترمذي [٣٤٩٧]، وابن ماجه [٣٨٥٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٦٤١]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٦٣]، والزبيدي في الإتحاف [٥/ ٣٩].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ـ (٢٦٧٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ، ولا يقل إن شئت.

وعن أنس مرفوعًا: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»[١] أخرجاه.

وهو عام في كل دعاء، وطلب الغفران والرحمة في الحديث الأول من باب التمثيل.

فصل في كراهة قول ما شاء الله ثم ما شاء فلان

رواه بإسناد صحيح.

فصل في كراهة الحديث المباح بعد العشاء الأخرة[٢]

إلا في خير، كمذاكرة علم وعذر.

والأحاديث الصحيحة مصرحة بذلك.

روينا من حديث أبي برزة «أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»[٣].

وحديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ صلى العشاء في آخر حياته، فلما سلم قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن علىٰ رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو علىٰ ظهر الأرض اليوم أحد»[٤]. أخرجاهما.

وعن أنس ﵁ أنهم انتظروا النبي ﷺ فجاءهم قريبًا من شطر الليل، فصلي بهم يعني العشاء، قال: ثم خطبنا فقال: «ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا، وإنكم لن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٣٣٨] كتاب الدعوات،[٢١] باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له. ومسلم في صحيحه [٧ - (٢٦٧٨)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٣] باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٢) قال الترمذي: اختلف أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم في السمر بعد صلاة العشاء الآخرة، فكره قوم منهم السمر بعد صلاة العشاء، ورخص بعضهم إذا كان في معنى العلم وما لابد منه من الحوائج وأكثر الحديث علىٰ الرخصة. وقد روى الترمذي في سننه [١٦٩] في الصلاة، باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء عن عمر بن الخطاب قال: «كان رسول الله ﷺ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٨] كتاب مواقيت الصلاة، [٢٤] باب ما يكره من النوم قبل العشاء، وأبو داود في الصلاة باب [٣] والترمذي [١٦٨]، وأحمد في مسنده [٤ / ٤٢١].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٤] كتاب مواقيت الصلاة، [٢١] باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعا. ومسلم في صحيحه [٢١٧ - (٢٥٣٧)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٣] باب قول ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة»(١) أخرجه البخاري.

فصل في تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها

إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي.

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا دعا الرجل امرأته إلىٰ فراشه، فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح»(٢) أخرجاه.

وفي رواية: «حتى ترجع».

فصل في تحريم صوم المرأة تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»(٣) أخرجاه.

فصل في تحريم في رفع المأموم رأسه من الركوع والسجود قبل الإمام

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار»(٤) أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢] كتاب مواقيت الصلاة، [٢٦] باب وقت العشاء إلي نصف الليل. والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٦٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٣] كتاب النكاح، [٨٦] باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٤٣٦)]، كتاب النكاح [٢٠] باب تحريم امتناعها من فراش زوجها. وأبو داود في سننه [٢١٤١] في النكاح، باب في حق الزوج علىٰ المرأة. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٢٩٢]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٢٤٦]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٥٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٩٢] كتاب النكاح، [٨٥] باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا. رقم [٥١٩٥] كتاب النكاح، [١٧] باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه. ومسلم في صحيحه [٨٤ ـ (١٠٢٦)] كتاب الزكاة، [٢٦] باب ما أنفق العبد من مال مولاه.
وأبو داود في سننه [٢٤٥٨]، والترمذي [٧٨٢]، وابن ماجه في سننه [١٧٦١]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣١٦] والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٩٢، ٧ / ١٨٠]، والحاكم في المستدرك [٤ / ١٧٣]، والدارمي في سننه [٢ / ٦٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٩١] كتاب الأذان، [٥٣] باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام. ومسلم في صحيحه [١١٤ ـ (٤٢٧)] كتاب الصلاة،[٢٥] باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوها. والترمذي في سننه [٥٨٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٩٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١١٤١]، وابن خزيمة في صحيحه [١٦٠٠]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٣٣٤]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٧ / ٢٢٦].

فصل في كراهة وضع اليد علىٰ الخاصرة في الصلاة

روينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «نهى عن الخصر في الصلاة». أخرجاه[1].

فصل في كراهة الصلاة بحضرة الطعام

ونفسه تتوق إليه، أو مع مدافعة الأخبثين.

روينا من حديث عائشة مرفوعًا: «لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان»[2]. أخرجه مسلم.

فصل في النهي عن رفع البصر إلىٰ السماء في الصلاة

روينا من حديث أنس مرفوعًا: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء في صلاتهم؟» فاشتد قوله في ذلك حتىٰ قال: «لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك أو لَتُخْطَفَنَّ أبصارهم»[3]. رواه البخاري.

فصل في كراهة الإلتفات في الصلاة لغير عذر

روينا من حديث عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الإلتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[4] رواه البخاري.

---

(١) كذا بالأصل وقد أخرجه أبو داود في سننه [٩٤٧] في الصلاة، باب الرجل يصلي مختصرا، والترمذي في سننه (٣٨٣) في الصلاة، باب ما جاء في النهي عن الاختصار في الصلاة. والنسائي [٢ / ١٢٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٩٩]، والحاكم في المستدرك [١ / ٢٦٤]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٢ / ٤٨]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٣ / ٧٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٢٨٧].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٧ ـ (٥٦٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٦] باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة. والبيهقي في السنن الكبرى [٣/ ٧٣]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١٠٥٧].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٥٠] كتاب الأذان، [٩٢] باب رفع البصر إلىٰ السماء في الصلاة، وأبو داود في سننه [٩١٣]، والنسائي [٣ / ٧ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [١٠٤٤] وأحمد في مسنده [٣ / ١٠٩، ١١٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٥١] كتاب الأذان، [٩٣] باب الإلتفاف في الصلاة، والترمذي في سننه [٥٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٨١]، و عبد الرزاق في مصنفه [٣٢٧٥]، وابن خزيمة في صحيحه [٤٨٤ / ٩٣١]، والحاكم في المستدرك [١/ ٢٣٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩ / ٢٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك والإلتفات في الصلاة، فإن الإلتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة»[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في النهي عن الصلاة إلىٰ القبور

روينا من حديث أبي مرثد كناز بن الحصين مرفوعًا: «لا تصلوا إلىٰ القبور ولا تجلسوا عليها»[٢] رواه مسلم.

فصل في تحريم المرور بين يدي المصلي

روينا من حديث أبي الجهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصاري مرفوعًا: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه»[٣].

قال الراوي: " لا أدري أقال أربعين يوماً أو شهراً أو سنةً " أخرجاه.

فصل في كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في الإقامة

سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها.

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»[٤] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه [٥٨٩] في الصلاة، باب ما ذكره في الالتفات في الصلاة، والهيثمي في مجمع الزوائد [١ / ٢٧١]، والعجلوني في كشف الخفا [١ / ٣٢٣]، والزيلعي في نصب الراية [٢ / ٤٤، ٨٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٨ ـ (٩٧٢)] كتاب الجنائز، [٣٣] باب النهي عن الجلوس علىٰ القبر والصلاة عليه. والنسائي [٢/ ٦٧ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٤ / ١٣٥].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥١٠] كتاب الصلاة، [١٠١] باب إثم المار بين يدي المصلي. ومسلم في صحيحه [٢٦١ ـ (٥٠٧)] كتاب الصلاة، [٤٨] باب منع المار بين يدي المصلي، وأبو داود في سننه [٧٠١]، والترمذي [٣٣٦]، وأحمد في مسنده [٤ / ١٦٩]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢ / ٢٦٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٢ / ٦١]، والمنذري في الترغيب والترهيب [١ / ٣٧٦].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٣ ـ (٧١٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٩] باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن. وأبو داود في سننه [١٤٦٦]، والترمذي في سننه [٤٢١]، والنسائي [٢ / ١١٧ ـ المجتبي]، وابن ماجه في سننه [١١٥١]، وأحمد في مسنده [٢ / ٤٥٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٢/ ٤٨٢]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٢٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٣٩٨٩]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٨/ ١٣٨، ٩ / ٢٢٢]، والزبيدي في الإتحاف [٣/ ٤٦٢].

فصل في كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلة الجمعة بصلاة

روينا من حديث أبي هريرة: «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم»[١] رواه مسلم.

وعنه مرفوعًا: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوم قبله أو يومًا بعده»[٢] أخرجاه وبه يخرج تخصيصه.

وعن محمد بن عباد قال: سألت جابرا: «أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة قال: نعم»[٣] أخرجاه.

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث أنه ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «أصمت أمس؟»، قالت: لا، قال: «تريدين أن تصومي غدا؟»، قالت: لا، قال: «فأفطري»[٤]. رواه البخاري.

فصل في تحريم الوصال وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما

روينا من حديث أبي هريرة وعائشة «أنه ﷺ: نهى عن الوصال».

أخرجاه.[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٨ ـ (١١٤٤)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردا. والحاكم في المستدرك [١/ ٣١١]، وابن خزيمة في صحيحه [١١٧٦]، وابن حجر في تلخيص الحبير [٢/ ٢١٥]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ١٢٧].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٥] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائما يوم الجمعة فعليه أن يفطر. ومسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (١١٤٤)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهة صيام يوم الجمعة منفردا والترمذي في سننه [٧٤٣].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٤] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر. ومسلم في صحيحه [١٤٦ ـ (١١٤٣)] كتاب الصيام، [٢٤] باب كراهية صيام يوم الجمعة منفردا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٨٦] كتاب الصوم، [٦٣] باب صوم يوم الجمعة، فإذا أصبح صائمًا يوم الجمعة فعليه أن يفطر. وأبو داود في سننه [٢٤٢٢]، وأحمد في مسنده [٢ / ١٨٩]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٦ / ٣٢٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [٧٨٠٤] وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٤٤].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٤] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال. ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١١٠٣)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم.

وعن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال»، قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست مثلكم إني أُطْعَمُ، وأُسْقَى» أخرجاه[1].

واللفظ للبخاري.

وهو قاطع في أن الإطعام والإسقاء غير حسي.

وإلا لقال: إنى لست أواصل.

فصل في تحريم الجلوس علىٰ قبر

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يجلس أحدكم علىٰ جمرة فتحرق ثيابه، فيخلص إلىٰ جلده، خير له من أن يجلس علىٰ قبر»[2]. أخرجه مسلم.

فصل النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

روينا من حديث جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[3]. رواه مسلم.

فصل في تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

روينا من حديث جرير مرفوعًا: «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة»[4] رواه مسلم.

وعنه مرفوعًا: «إذ أبق العبد لم تقبل له صلاة»[5] رواه مسلم أيضا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [١٩٦٢] كتاب الصوم، [٤٨] باب الوصال. ومسلم في صحيحه [٥٥ ـ (١١٠٢)] كتاب الصيام، [١١] باب النهي عن الوصال في الصوم. وأحمد في مسنده [٢/ ١٠٢، ١٤٣]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ٢٨٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٣ / ٨٢].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٩٧١)] كتاب الجنائز، [٣٣] باب النهي عن الجلوس علىٰ القبر والصلاة عليه. وأبو داود في سننه [٣٢٢٨]، وابن ماجه في سننه [٧٩٤]، المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٧٤].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٩٧٠)] كتاب الجنائز، [٣٢] باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه. قال [النووي: المراد بالقعود الجلوس عليه، هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء وقال مالك في الموطأ: المراد بالقعود الجلوس، وقال أصحابنا: تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام، وكذا الأستناد والإتكاء عليه. [النووي في شرح مسلم [٧ / ٣٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (٦٩)] كتاب الإيمان، [٣١] باب تسمية العبد الآبق كافرا. وأحمد في مسنده [٤ / ٣٥٧، ٣٦٥]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ٢٠٤] المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٢٧].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٤ ـ (٧٠)] كتاب الإيمان، [٣١] باب تسمية العبد الآبق كافرًا.

وفي رواية: «فقد كفر».

فصل في تحريم الشفاعة في الحدود

قال تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾(١) الآية.

وروينا من حديث عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال: «أتشفع(٢) في حد من حدود الله تعالى».

ثم قام فاختطب فقال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٣) أخرجاه. وفي رواية: فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أشفع في حد من حدود الله؟» فقال أسامة: ليستغفر لي رسول الله، ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها(٤).

فصل في النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) الآية.

وروينا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللعانين» قالوا وما اللاعنين؟، قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم»(٦). رواه مسلم.

---

(١) سورة النور [٢].

(٢) أجمع العلماء علىٰ تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلىٰ الإمام لهذا الحديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلىٰ الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزيز فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون. [النووي في شرح مسلم [١١/ ١٥٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٤٧٥] كتاب أحاديث الأنبياء، آخر باب في هذا الكتاب رقم [٥٦] ومسلم في صحيحه [٨ ـ (١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود. وأبو داود في سننه [٤٣٧٣]، والترمذي في سننه [١٤٣٠]، والنسائي [٨ / ٧٣ ـ المجتبي]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨ / ٣٣٢]، وأحمد في مسنده [٢/ ٤٨٢]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٦ / ٢٥٩].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ ـ (١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود.

(٥) سورة الأحزاب [٥٨].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٦٩)] كتاب الطهارة، [٢] باب النهي عن التخلي في الطرق =

فصل في النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

روينا من حديث جابر «أنه ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد»(١) أخرجه مسلم.

فصل في كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده علىٰ بعض في الهبة

روينا من حديث النعمان بن بشير أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي.

فقال: ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال ﷺ : «فارجعه»(٢).

وفي رواية قال: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟».

قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم».

فرجع أبي فرد تلك الصدقة(٣).

وفي رواية: فقال ﷺ: «يا بشير ألك ولد سوى هذا؟» قال: نعم، قال: «أكلهم وهبت له مثل هذا؟» قال: لا، قال: «فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد علىٰ جور»(٤).

وفي رواية: «لا تشهدني علىٰ جور»(٥).

وفي رواية: «أشهد علىٰ هذا غيري»(٦).

= والظلال. وأبو داود في سننه [٢٥]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٧٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١/ ٩٧]، والحاكم في المستدرك [١ / ١٦٨]، وابن خزيمة في صحيحه [٦٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [١ / ١٣٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٢٨١)] كتاب الطهارة. [٢٨] باب النهي عن البول في الماء الراكد. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٨٨، ٤٩٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [١ / ١٤١]، والخطيب في تاريخ بغداد [٤ / ٢٥٢، ٢٧٨]، والطحاوي في شرح معاني الآثار [١ / ١٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٦] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٢] باب الهبة للولد. ومسلم في صحيحه [٩ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٧] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [١٣] باب الإشهار في الهبة. ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٦٢٣)] كتاب الهبات، [٣] باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، والنسائي [٦/ ٢٦٠ . المجتبي]، وأحمد في مسنده [٤ / ٢٦٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ١٧٦].

(٥) مسلم رقم [١٦] به.

(٦) ومسلم رقم [١٧] به.

ثم قال: «أيسرُّك أن يكونوا إليك في البر سواء» قال: بلى، قال: «فلا إذا»(١) متفق عليه.

فصل في تحريم إحداد المرأة علىٰ ميت فوق ثلاثة أيام إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرة أيام

روينا من حديث زينب بنت أبي سلمة(٢) قالت: دخلت علىٰ أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية، ثم مسَّت بعارضها ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ علىٰ ميت فوق ثلاث إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرا»(٣) قالت زينب: ثم دخلت علىٰ زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمسَّت منه، ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث إلا علىٰ زوج أربعة أشهر وعشرا»(٤). أخرجاه.

---

(١) ومسلم رقم [١٧] به ورقم [١٨] به.

(٢) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد، المخزومية القرشية، ربيبة النبي ﷺ ماتت سنة [٧٣]، وأخرج لها أصحاب الكتب الستة. ترجمتها: تهذيب التهذيب [١٢/ ٤٢١]، تقريب [٢/ ٦٠٠]، أسد الغابة [٧/ ١٣١]، الثقات [٣/ ١٤٥]، الإصابة [٧ / ٦٧٥]، تجريد أسماء الصحابة [٢ / ٢٧٢]، والكاشف [٣ / ٤٧١]، الخلاصة [٣/ ٣٨٢].

(٣) فيه دليل علىٰ وجوب الإحداد علىٰ المعتدة من وفاة زوجها وهو مجمع عليه في الجملة وإن اختلفوا في تفصيله، فيجب علىٰ كل معتدة عن وفاة سواء المدخول بها وغيرها والصغيرة والكبيرة والبكر والثيب والحرة والأمة والمسلمة والكافرة، هذا مذهب الشافعي والجمهور، وقال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين وأبو ثور وبعض المالكية لا يحد علىٰ الزوجة الكتابية بل يختص بالمسلمة لقوله ﷺ: « لا يحل لامرأة تؤمن بالله » فخصه بالمؤمنة. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ٩٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [١٢٨١، ١٢٨٢] كتاب الجنائز، [٣٠] باب إحداد المرأة علىٰ غير زوجها ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١٤٨٦)] كتاب الطلاق، [٩] باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام. وأبو داود في سننه (٢٢٩٩) والترمذي في سننه [١٨، ١١٩٥، ١١٩٦]، والنسائي [٦ / ١٩٨، ٢٠٤ ـ المجتبي]، وابن ماجه (٣٥، ٢٠٨٥، ٢٠٨٦)، وأحمد في مسنده [٦/ ٣٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٤٣٧] المنذري في الترغيب والترهيب [٤ / ٣٥٥].

فصل في تحريم بيع حاضر لباد وتلقى الركبان والبيع علىٰ بيع أخيه والخطبة أيضا إلا بإذن

رينا من حديث أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه»(١). أخرجاه.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «لا تلقوا السلع حتىٰ تهبط بها الأسواق»(٢).

وعن ابن عباس مرفوعًا: «لا تتلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد».

فقال له طاوس: ما بيع حاضر لباد؟ قال: «لا يكون له سمسار»(٣) أخرجهما.

وعن أبي هريرة(٤) قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا ولا يبع الرجل علىٰ بيع أخيه، ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها».

وفي لفظ: «نهى رسول الله ﷺ عن التلقي وأن يبتاع المهاجر للأعرابي، وأن تشترط المرأة طلاق أختها، وأن يسام الرجل علىٰ سوم أخيه، ونهى عن النجش والتصرية»(٥) أخرجاه.

وعن ابن عمر: «لا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه إلا أن يأذن له » أخرجاه. واللفظ لمسلم.(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٦١] كتاب البيوع، [٧٠] باب لا يبيع حاضر لباد بالسمسرة، ومسلم في صحيحه [٢١ - (١٥٢٣)] كتاب البيوع، [٦] باب تحريم الحاضر للبادي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٦٥] كتاب البيوع، [٧١] باب النهي عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود. ومسلم في صحيحه [١٤ـ(١٥١٧)] كتاب البيوع، [٥] باب تحريم تلقي الجلب.

(٣) أخرجه البخاري [٢١٥٨] في البيوع، [٦٨] باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر. رقم [٢١٣٦] كتاب البيوع، [٧١] باب النهي عن تلقي الركبان، ومسلم في صحيحه [١٩ـ (١٥٢١) كتاب البيوع، [٦] باب تحريم بيع الحاضر للبادي.

(٤) أخرجه البخاري [٢١٤٠] كتاب البيوع، [٥٨] باب لا يبيع علىٰ بيع أخيه ولا سوم علىٰ سوم أخيه، ومسلم [٥١ـ (١٤١٣)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن أو يترك. ورقم [٢١٦٠] كتاب البيوع، [٧٠] باب لا يبيع حاضر لباد بالسمسرة ومسلم في صحيحه [١١ - (٢٠٠٠)] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه وسومه علىٰ سومه وتحريم النجش وتحريم التصرية.

(٥) أخرجه البخاري [٢٧٢٧] كتاب الشروط، [١١] باب الشروط في الطلاق، ومسلم في صحيحه [١٢] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٢١٣٩] كتاب البيوع، [٥٨] باب لا يبيع علىٰ بيع أخيه. ومسلم في صحيحه [٥٠ - (١٤١٢)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن=

وعن عقبة بن عامر مرفوعًا: «المؤمن أخو المؤمن لا يحل أن يبتاع علىٰ بيع أخيه ولا يخطب علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يرد» أخرجه مسلم[١].

فصل في النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»[٢]. أخرجه مسلم.

وعن المغيرة أنه كتب إلىٰ معاوية: «كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال»[٣] الحديث، أخرجاه.

فصل في النهي عن الإشارة إلىٰ مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جادًا أو مازحًا

والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً.

روينا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يشير أحدكم إلىٰ أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[٤] متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: قال: «قال لي أبو القاسم ﷺ من أشار إلىٰ أخيه بحديده فإن

= أو يترك. ومسلم في صحيحه [٨ ـ (١٤١٢)] كتاب البيوع، [٤] باب تحريم بيع الرجل علىٰ بيع أخيه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (١٤١٤)] كتاب النكاح، [٦] باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه حتىٰ يأذن أو يترك.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠ ـ (١٧١٥)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات. وأحمد في مسنده [٢ / ٣٦٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٣]، وابن كثير في تفسيره [٢/ ٧٤]، والزيلعي في نصب الراية [٣ / ٢٧٧]، والخطيب في الفقيه والمتفقة [١ / ١٦٦].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٥] كتاب الأدب، [٦] باب عقوق الوالدين من الكبائر. ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (٥٩٣)] كتاب الأقضية، [٥] باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات. وأحمد في مسنده [٤ / ٢٥٠]، والبخاري في الأدب المفرد [٤٦].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٧٠٧٢] كتاب الفتن، [٧] باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» ومسلم في صحيحه [١٢٦ ـ (٢٦١٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٥] باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم.

الملائكة تلعنه حتىٰ يردها»(١).

قوله ﷺ ينزع ضبط بالعين المهملة مع كسر الزاي وبالغين المعجمة مع فتحها: ومعناهما متفاوت، ومعناه بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضًا يرمي ويفسد، وأصل النزع الطعن والفساد.

وعن جابر رضي الله عنه «نهى رسول الله ﷺ عن أن يتعاطى السيف مسلولاً»(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

فصل في كراهة الخروج من المسجد بعد الآذان إلا لعذر حتىٰ تصلي المكتوبة

روينا من حديث أبي الشعثاء قال: " كنا قعودًا مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد فأذن مؤذن فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتىٰ خرج من المسجد فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ "(٣).

فصل في كراهة رد الريحان لغير عذر

روينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح»(٤) رواه مسلم.

عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب»(٥) رواه البخاري.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (٢٦١٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٥] باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه [٢٥٨٨] كتاب الجهاد، باب في النهي أن يتعاطى السيف مسلولاً. والترمذي [٢١٦٣] كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن تعاطي السيف مسلولا، وأحمد في مسنده [٣/ ٣٠٠، ٣٦١]، والحاكم في المستدرك [٤ / ٢٩٠]، وابن أبي شيبة [٨ / ٣٩٥].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٨ ـ (٦٥٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة [٤٥] باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، وقال [النووي: فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان حتىٰ يصلي المكتوبة إلا لعذر والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [٥/ ١٣٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢٢٥٣)] كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، [٥] باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥٨٢] كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [٩] باب ما لا يرد من الهدية. والترمذي في سننه [٢٧٨٩] كتاب الأدب باب ما جاء في كراهية رد الطيب، وأحمد في مسنده [٣ / ١٣٣، ٢٦١].

فصل في كراهة المدح في الوجه لمن خيف مفسده من إعجاب وغيره

وجوازه لمن أمن ذلك في حقه.

روينا من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلا يثنى علىٰ رجل ويطريه في المدحة قال: «أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل» متفق عليه[(١)].

والإطراء المبالغة في المدح.

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا فقال النبي ﷺ: «ويحك قطعت عنق صاحبك» يقوله مرارًا: «إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكى علىٰ الله أحدًا»[(٢)]. متفق عليه.

وعن هشام بن الحارث عن المقداد رضي الله عنه أن رجلا جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثى علىٰ ركبته فجعل يحثو في وجهه الحصباء.

فقال عثمان: ما شأنك؟.

قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[(٣)].

فهذه الأحاديث في النهي.

وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦٠] كتاب الأدب، [٥٤] باب ما يكره من التمادح، ومسلم في صحيحه [٦٧ـ (٣٠٠١)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح. قال [النووي: في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول علىٰ المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو علىٰ من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهى في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطة للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الإقتداء به كان مستحبًا والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١٨ / ٩٩] طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠٦١] كتاب الأدب، [٥٤] باب ما يكره من التمادح، ومسلم في صحيحه [٦٥ ـ (٣٠٠٠)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٣٠٠٢)] كتاب الزهد والرقائق، [١٤] باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة علىٰ الممدوح، وأحمد في مسنده [٦ / ٥]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٤ / ٣٧٧].

قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ورياضة نفس ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك ولا تلعب به نفسه، فليس بحرام أو مكروه وإن خيف عليه من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفصيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك.

ومما جاء في الإباحة قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه : «أرجو أن تكون منهم»(١) أي من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها.

وفي الحديث الآخر: «لست منهم أي لست من الذين يسبلون إزارهم خيلاء»(٢).

وقال ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ما رأك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»(٣) والأحاديث في الإباحة كثيرة.

فصل في كراهة الخروج من بلد وقع فيه الوباء فرارًا منه

وكراهة القوم عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٥).

ورويناعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام.

قال ابن عباس فقال لي عمر رضي الله عنه ادع المهاجرين الأولين(٦)، فدعوتهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٦٦] كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذًا خليلاً»، ومسلم في صحيحه [٨٥ـ (١٠٢٧)] كتاب الزكاة [٢٧] باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٦٦٥] كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذًا خليلاً».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه [٣٦٩٠] كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) سورة النساء [٧٨]. (٥) سورة البقرة [١٩٥].

(٦) قال القاضي: المراد بالمهاجرين الأولين من صلى للقبلتين فأما من أسلم بعد تحويل القبلة فلا يعد فيهم قال: وأما مهاجرة الفتح فقيل: هم الذين أسلموا قبل الفتح فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح إذ لا هجرة بعد الفتح، وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة. قال القاضي: هذا أظهر لأنهم الذين ينطلق عليهم مشيخة قريش، وكان رجوع عمر رضي الله عنه لرجحان طرف الرجوع لكثرة القائلين به وأنه أحوط، ولم يكن مجرد تقليد لمسلمة =

فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرمي أن نُقْدِمَهُم علىٰ هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء. فنادى عمر رضي الله عنه إني مُصَبِّح علىٰ ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة - وكان عمر يكره خلافه - نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.

قال: فجاءه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه» فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه وانصرف. متفق عليه[1].

العدوة: جانب الوادي.

وعن أسامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها» متفق عليه[2]، وفيه دفع شبهة أظلمت المسالك علىٰ كل سالك وأورثت من ترك بسببها الدعاء والعبادات ومصالح المعايش المهالك.

= الفتح؛ لأن بعض المهاجرين الأولين وبعض الأنصار أشاروا بالرجوع وبعضهم بالقدوم عليه، وانضم إلىٰ المشيرين بالرجوع رأي مشيخة قريش فكثر القائلون به مع ما لهم من السن والخبرة وكثرة التجارب وسداد الرأي وحجة الطائفتين واضحة مبينه في الحديث. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ١٧٤، ١٧٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢٩] كتاب الطب، [٣٠] باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم في صحيحه [٩٨ـ (٢٢١٩)] كتاب السلام، [٣٢] باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. وأبو داود في سننه [٣١٠٣]، وعبد الرزاق في مصنفه [٢٠١٥٩]، والطبراني في المعجم الكبير [١/ ٩٤]، والزبيدي في الإتحاف [٩/ ٥٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٧٢٨] كتاب الطب، [٣٠] باب ما يذكر في الطاعون. ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (٢٢١٨)] كتاب السلام، [٣٢] باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها.

فصل في التغليظ في تحريم السحر

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾(١) الآية.

وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟

قال: «الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق عليه(٢).

فصل في النهي عن المسافرة بالمصحف إلىٰ بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو

روينا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو»(٣) متفق عليه.

فصل في تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة

وسائر وجوه الاستعمال.

روينا عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»(٤) متفق عليه.

---

(١) سورة البقرة [١٠٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٨٥٧] كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، [٣١] باب رمي المحصنات. ومسلم في صحيحه [١٤٥ ـ (٨٩)] كتاب الإيمان، [٣٨] باب بيان الكبائر وأكبرها. وأبو داود في سننه [٢٨٧٤] والنسائي [٦/ ٢٥٧] والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٢٨٤، ٨ / ٢٠، ٢٤٩]، والزبيدي في الإتحاف [١ / ٢١٩]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٣٠١]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٥٢]، والسيوطي في الدر المنثور [٢ / ١٤٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٢ ـ (١٨٦٩)] كتاب الإمارة، [٢٤] باب النهي أن يسافر بالمصحف إلىٰ أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم. وابن ماجه في سننه [٢٨٧٩] كتاب الجهاد، [٤٥] باب النهي أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو. وأحمد في مسنده [٢/ ٧، ٦٣، ١٢٨]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩ / ١٠٨]، وابن ماجه في سننه وأبي شيبة في مصنفه [١٤ / ١٥٢]، أبو نعيم في حلية الأولياء [٨ / ٣٢٢]، والخطيب في تاريخ بغداد [٨/ ٣٧٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٤] كتاب الأشربة، [٢٨] باب آنية الفضة، ومسلم في صحيحه =

وفي رواية لمسلم[1] : «إن الذي يأكل أو يشرب في آنيه الفضة والذهب، وهو تهديد بليغ.

وعن حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال: «هن لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة»[2] متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عن حذيفة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب، ولا تأكلوا في صحافها»[3].

وفيه بيان علة التحريم وهي أن الكفار أوتوا كذلك ونحوه طيباتهم في حياتهم الدنيا، فيقال لهم يوم القيامة: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] الآية.

وروينا في سنن البيهقي[4] بإسناد حسن من حديث أنس بن سيرين قال: كنت عند أنس بن مالك عند نفر من المجوس فجيء بفالوذج علىٰ إناء من فضة فلم يأكله، فقيل له حوله، فحوَّله علىٰ إناء (مدحلح)[5] وجيء فأكله وهو حيلة في الاستعمال من الإناء المحرم.

فصل في تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا

روينا من حديث أنس: « نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل»[6] أخرجاه.

= [١ ـ (٢٠٦٥)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره علىٰ الرجال والنساء.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٠٠٠٠)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره علىٰ الرجال والنساء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٢] كتاب الأشربة، [٢٧] باب الشرب في آنية الذهب. ومسلم في صحيحه [٤ ـ (٢٠٦٧)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل وإباحته للنساء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٦٣٣] كتاب الأشربة، [٢٨] باب آنية الفضة. ومسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٠٦٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل وإباحته للنساء.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [١ / ٢٨].

(٥) كذا بالأصل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٨٤٦] كتاب اللباس، [٣٣] باب التزعفر للرجال. ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢١٠١)] كتاب اللباس والزينة، [٢٣] باب نهي الرجل عن التزعفر، والنسائي [٥/ ١٤١، ٨/ ١٨٩ ـ المجتبي]، وأحمد في مسنده [٣ / ١٠١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٣٦]، وابن خزيمة في صحيحه [٢٦٧٤]، والخطيب في تاريخ بغداد [٦ / ٢٣٠، ١٠ / ١٣]. وابن عبد البر في التمهيد [٢ / ١٨٢].

وهو ظاهر التحريم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال: «أأمك أمرتك بهذا؟» قلت أغسلهما. قال: «بل أحرقهما»(١).

وفي رواية: «أن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»(٢). رواه مسلم.

فصل في النهي عن صمت يوم إلىٰ الليل

روينا من حديث علىٰ قال: حفظت عن رسول الله ﷺ: «لا يُتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلىٰ الليل»(٣). رواه أبو داود بإسناد حسن.

وفسره الخطابي بأن الصمات كان من نُسُك الجاهلية فنهوا في الإسلام عنه وأُمرُوا بالذكر والحديث بالخير.

وروينا من حديث قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر الصديق علىٰ امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم، فقالوا: حجت مصمته(٤)، فقال لها: «تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية» فتكلمت(٥) رواه البخاري.

فصل في تحريم إنتساب الإنسان إلىٰ غير أبيه وتوليه غير مواليه

روينا من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعًا: «من ادعى إلىٰ غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨ ـ (٢٠٧٧)] كتاب اللباس والزينة، [٤] باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٢٠٧٧)] كتاب اللباس والزينة، [٤] باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر. والبيهقي في السنن الكبرى [٥ / ٦٠]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤٣٢٧]. وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح [١٠ / ٣٠٤]. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه [١٧٠٤].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه [٢٨٧٣] كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم، والبيهقي في السنن الكبرى [٦ / ٥٧، ٧/ ٤٦١] وذكره الحافظ في الفتح [٧ / ١٥٠]، وعبد الرزاق في مصنفه [١١٤٥٠، ١٣٨٩٩، ١٥٩١٩] والسيوطي في الدر المنثور [٢٨٨/١]، والطحاوي في مشكل الآثار [١ / ٢٨٠].

(٤) قوله: مصمته اسم فاعل من أصمت بمعنى صمت أي ساكتة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٣٨٣٤] كتاب مناقب الأنصار [٢٦] باب أيام الجاهلية، والدارمي في سننه [٢٦] في المقدمة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٦٦] كتاب الفرائض، [٢٩] باب من ادعى إلىٰ غير أبيه. ومسلم =

ومن حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر»[(١)]. أخرجاهما.

وروينا من حديث يزيد بن شريك بن طارق قال: رأيت عليا ﷺ على المنبر يخطب وسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتابٍ نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة، فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرام ما بين عير إلىٰ ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، ومن والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدلاً»[(٢)] أخرجاه.

ذمة المسلمين: عهدهم وأيمانهم.

وأخفره: نقض عهده.

= في صحيحه [١١٤ ـ (٦٣)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. قال النووي: قوله ﷺ: « فالجنة عليه حرام» ففيه تأويلان أحدهما أنه محمول علىٰ من فعله مستحلا له، والثاني: أن جزاءه أنها محرمة عليه أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ثم إنه قد يجازي فيمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك. [النووي في شرح مسلم [٢ / ٤٥] طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٧٦٨] كتاب الفرائض،[٢٩] باب من ادعى إلىٰ غير أبيه. ومسلم في صحيحه [١١٣ ـ (٦٢)] كتاب الإيمان، [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. وأحمد في مسنده [٢ / ٥٢٦]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [١ / ٣٦٨]، وأبو عوانه في مسنده [١ / ٢٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [١٨٧٠] كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة. ورقم [٣١٧٢] كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم ورقم [٦٧٥٥] في الفرائض، [٢١] باب إثم من تبرأ من مواليه. ورقم [٧٣٠٠] كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع. ومسلم في صحيحه [١٨ ـ (١٥٠٨)]، [١٩] ورقم [٢٠ ـ (١٣٧٠)] كتاب العتق، [٤] باب تحريم تولي العتيق غير مواليه. [قال النووي قوله ﷺ: «من تولى قومًا بغير إذن مواليه » فقد احتج به قوم علىٰ جواز التولي بإذن مواليه، والصحيح الذي عليه الجمهور أنه لا يجوز وإن أذنوا كما لا يجوز الانتساب إلىٰ غير أبيه وإن أذن أبوه فيه، وحملوا التقييد في الحديث علىٰ الغالب لأن غالب ما يقع هذا بغير إذن الموالي فلا يكون له مفهوم يعمل به. [النووي في شرح مسلم [١٠ / ١٢٧] طبعة دار الكتب العلمية].

والصرف: التوبة، وقيل الحيلة.

والعدل: الفداء.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ليس من رجل ادعى إلىٰ غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»(١). أخرجاه واللفظ لمسلم.

فصل في التحذير من ارتكاب ما نهى الله ﷻ أو رسوله

قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾(٢) الآية وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٣).

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾(٤) الآية.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله تعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه»(٥) أخرجاه

فصل ما يقوله ويفعله من ارتكاب ما نهي عنه

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(٦).

وقال﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾(٧) الآية.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً﴾(٨) إلىٰ قوله﴿وَالْعَٰمِلِينَ﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٤ / ٢١٩] ومسلم في صحيحه [١١٢ـ (٦١)] كتاب الإيمان [٢٧] باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم. وأحمد في مسنده [٥ / ١٦٦]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٧٣]، والقرطبي في تفسيره [١٤/ ١٢١].

(٢) سورة النور [٦٣].

(٣) سورة آل عمران [٢٨، ٣٠].

(٤) سورة هود [١٠٢].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٢٢٣] كتاب النكاح، [١٠٨] باب الغيرة، مسلم في صحيحه [٣٦] كتاب التوبة، والترمذي [١١٦٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٢٨٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣/ ٢٤٢]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٢٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٣١٠]، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين [٥ / ٣٦٠].

(٦) سورة الأعراف [٢٠٠].

(٧) سورة الأعراف [٢٠١].

(٨) سورة آل عمران [١٣٥].

وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)] .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك، فليتصدق»[(٢)] .

أخرجاه، آخر المناهي ولله الحمد، وعدة أحاديثه وجملتها نحو الثلاثمائة.

---

(١) سورة النور [٣١].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٦٥٠] كتاب الأيمان والنذور، [٥] باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت. ومسلم في صحيحه [٥ـ (١٦٤٧)] كتاب الإيمان،[٢] باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. وقال [النووي: إنما أمر بقول لا إله إلا الله لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها قال أصحابنا: إذا حلف باللات والعزى وغيرهما من الأصنام أو قال: إن فعلت كذا فأنا يهودي ونصراني أو بريء من الإسلام أو بريء من النبي ﷺ أو نحو ذلك لم تنعقد يمينه بل عليه أن يستغفر الله تعالى ويقول: لا إله إلا الله ولا كفارة عليه سواء فعله أم لا هذا مذهب الشافعي ومالك وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة تجب الكفارة في كل ذلك إلا في قوله أنا مبتدع أو برئ من النبي ﷺ أو اليهودية. واحتج بأن الله تعالى أوجب علىٰ المظاهر الكفارة لأنه منكر من القول وزور، والحلف بهذه الأشياء منكر وزور. واحتج أصحابنا والجمهور بظاهر هذا الحديث فإنه ﷺ إنما أمره يقول لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة، ولأن الأصل عدمها حتىٰ يثبت فيها شرع، وأما قياسهم علىٰ الظهار فينتقض بما استثنوه والله أعلم. [النووي في شرح مسلم [١١ / ٩٠] طبعة دار الكتب العلمية].

مجلس في الصدقة والإيثار والمواساة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] وهو لائح من مدح الإيثارة وأهله.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[2] وهو محتمل لما ترجمنا به وللجود أيضًا وهذه صفة عباد الله الذين يشربون من كافور، ومن توقى شر ذلك اليوم يلقى نضرة وسرورًا، وما أعظمه من وصف.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرٌّ لك، ولا تلام علىٰ كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»[3].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ قال جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلىٰ بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلىٰ أخرى فقالت مثل ذلك حتىٰ قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.

فقال: «من يُضَيِّف هذا الليلة رحمه الله».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلىٰ رحلة، فقال لامرأته هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني.[4].

---

(١) سورة الحشر [٩].

(٢) سورة الإنسان [٨].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٧ ـ (١٠٣٦)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة. والترمذي في سننه [٢٣٤٣] كتاب الزهد، [٣٢] باب منه. ما جاء في الزهادة في الدنيا. والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٨٢]، المنذري في الترغيب والترهيب [١/ ٥٩٠، ٢ / ٤٩]، والسيوطي في الدر المنثور [١ / ٢٥٤].

(٤) هذا محمول علىٰ أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلىٰ الأكل وإنما تطلبه أنفسهم علىٰ عادة الصبيان من غير جوع يضرهم فإنهم لو كانوا علىٰ حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبًا ويجب تقديمه علىٰ الضيافة، وقد أثنى الله ورسوله ﷺ علىٰ هذا الرجل وامرأته فدل علىٰ أنهما لم يتركا واجبًا بل أحسنا وأجملا ﵄. [النووي في شرح مسلم [١٤ / ١٢] طبعة دار الكتب العلمية].

قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلىٰ السراج حتىٰ تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف.

فلما أصبح غدا علىٰ النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»[١] وهو أبلغ مدح مرغب في ذلك في الإثيار ومبين أنه من الله تعالى بمكان، كما يشعر به قوله ﷺ: «لقد عجب الله» إلىٰ آخره.

وفيه من أسباب الإيثار تعظيم الحقوق المشعر به قول الأنصاري: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ.

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «طعام الإثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٢].

ولمسلم: «طعام الواحد يكفي الإثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[٣].

فيه دفع خصاصة المواسي إذا واسا من كفايته.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل علىٰ راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به علىٰ من لا زاد له»[٤].

قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥ / ٤٢] ومسلم في صحيحه [١٧٣ ـ (٢٠٥٤)] كتاب الأشربة، [٣٢] باب إكرام الضيف وفضل إيثاره والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٨٥]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٦٢٥٢]، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار [٣ / ٢٥٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٣٩٢] كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين. ومسلم في صحيحه [١٧٨ ـ (٢٠٥٨)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك. وأحمد في مسنده [٢ / ٢٤٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٤١٧٧].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٩ ـ (٢٠٥٩)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك. والترمذي في سننه [١٨٢٠]، وابن ماجه في سننه [٣٢٥٤]، والطبراني في المعجم الكبير [٧ / ٢٧٨، ١٠/١٢٦]، وابن أبي شيبه في مصنفه [٨/ ١٣٤]، وعبد الرزاق في مصنفه [١٩٥٥٧]، وأبو نعيم في حلية الأولياء [٩/٢٨]، والهيثمي في مجمع الزوائد [٥ / ٢١].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨ ـ (١٧٢٨)] كتاب اللقطة، [٤] باب استحباب المواساة بفضول المال. والبيهقي في السنن الكبرى [٤/ ١٨٢] والتبريزي في مشكاة المصابيح [٣٨٩٨].

قلت: هو مشتمل علىٰ أنواع من البر.

وصرفه البصر إشارة إلىٰ السؤال.

وفي الحديث السالف صدح بأنه مجهود فلا منجا بعد بؤس.[(١)].

وروينا في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد في قصة البردة وأنه ﷺ أخذها، وأن سائلا سألها فدفعها إليه رجاء أن تكون كفنه فكانت كفنه.

ولو ذكر في باب الجود كما فعل القشيري لكان أجود.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي موسى مرفوعًا: «إن الأشعرين[(٢)] إذا أرملوا في الغزو، وقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسويَّة، فهم مني وأنا منهم»[(٣)].

معنى أرملوا: فرغ زادهم أو قارب الفراغ.

وأما الحكايات: **فالأولىٰ** عن الشبلي قال: خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابًا صغيرا نحيف الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة، وهو جالس في الجبانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة، ويحرك شفتيه وتسيل الدموع من عينية وهو مستغرق في الذكر والاستغفار، فلا يشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتعظيم، فلما رأيت الشاب علىٰ تلك الحال مالت نفسي إليه وطابت إلىٰ لقائه فتركت الطريق التي أروح عليها وقصدت نحوه فلما رآني أقبلت إليه انتفض من مكانه وقام يمشي هاربا فنهضت في إثره لعلى ألحقه فلم أقدر علىٰ إدراكه فقلت له: رفقا يا ولي الله، فقال: الله.

---

(١) قال النووي في الحديث المتقدم: في هذا الحديث الحث علىٰ الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلىٰ الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعريضه من غير سؤال وهذا معنى قوله فجعل يصرف بصره أي متعرضًا لشيء يدفع به حاجته، وفيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجًا وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسرًا في وطنه ولهذا يعطي من الزكاة في هذه الحال والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ٣٠)].

(٢) في هذا الحديث فضيله الأشعريين وفضيلة الإيثار والمواساة وفضيلة خلط الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم، وليس المراد بهذا القسمة المعروفة في كتب الفقه بشروطها ومنعها في الربويات واشتراط المواساة وغيرها، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضًا ومواساتهم بالموجود. [النووي في شرح مسلم [١٦/ ٥٢] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٣ / ١٨١] ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (٢٥٠٠)] كتاب فضائل الصحابة، [٣٩] باب من فضائل الأشعريين . والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ١٣٢].

فقلت: بحقه إلا ما صبرت، فأشار بأصبعه لا أفعل، وقال: الله، فقلت له إن كان حقا ما تقول فأرني صدقك مع الله، فنادي بصوت عال يا الله، فوقع في الأرض مغشيا عليه، فدنوت منه فحركته فإذا هو ميت من ساعته، فتوهمت من ذلك وتعجبت من حالة صدقه مع الله تعالىٰ.

وقلت: يختص برحمته من يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم تركته في موضعه وسرت إلىٰ حي من الأحياء لآخذ في جهازه وإصلاح شأنه.

فلما رجعت إليه حجب عني، فطلبته في المكان فلم أجد له أثرًا ولا سمعت له خبرًا، فبقيت متحيرًا في أمر هذا الشاب وقلت: من سبقني إليه فسمعت قائلا يقول: يا شبلي قد كفيت أمر الفتى وما تولاه إلا الملائكة فعليك أنت بعبادة ربك، وأكثر الصدقة من مالك، فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يومًا في الدهر؟

فقلت: سألتك يالله إلا ما أخبرتيني بصدقته يوما في الدهر ما هي؟.

فقال: يا شبلي إن هذا الفتى كان في أول عمره مذنبا عاصيا فاسقا زانيا فعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأتلفته وهي أنه رأى في المنام إحليله قد رجع ثعبانًا ودار بفيه ثم انطلق من فيه لهب النار فأحرقه حتىٰ عاد كالفحمة السوداء فقام مسرعًا مرعوبًا وخرج فارًا بنفسه مشتغلاً بعبادة ربه، وله اليوم منذ رجع إلىٰ الطاعة اثني عشرة سنة وهو علىٰ حالة التضرع والخشوع.

فلما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها إليه، ففرح السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة، فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التي فرَّحَهُ بها كما جاء في الحديث: «اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة».

الثانية: عن أبي جعفر بن خطاب ويقال إنه من الأبدال، قال: وقف علىٰ بأبي سائل، فقلت لزوجتي: هل معك شيء، قالت: أربع بيضات.

فقلت ادفعيهن للسائل، ففعلت.

فلما انصرف السائل أهدي إلي بعض إخواني مخلاة فيها بيض فقلت لزوجتي كم بيضة فيها؟

فقالت ثلاثون بيضة.

فقلت لها: ويحك أعطيت السائل أربع بيضات وجاءت ثلاثون أين حساب هذا؟

قالت: هن أربعون إلا عشرًا مكسورات.

وقيل: في هذه الحكاية كان ثلاث من البيض التي أعطت للسائل صحاح وواحدة مكسورة، فجاء بكل واحدة منهن عشرة علىٰ صفتها.

الثالثة: عن أبي أمامه الباهلي أنه كان يحب الصدقة ويجمع لها الذهب والدراهم والفلوس وكان لا يقف به سائل إلا أعطاه ما يتهيأ له حتىٰ يضع في يد أحدهم البصلة.

قالت مولاته: فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته من الطعام شيء، ولم يكن عنده غير ثلاثة دنانير، فوقف به سائل فأعطاه دينارًا، ثم وقف آخر فأعطاه الثاني، ثم وقف آخر فأعطاه الثالث.

قالت فغضبت وقلت: لم يبق لنا شيء، فاستلقى علىٰ فراشه وأغلقت عليه باب البيت حتىٰ أذن المؤذن بالظهر فجئته وأيقظته فراح إلىٰ مسجده صائمًا.

فرفقت عليه واستقرضت، ما اشتريت به عشاء وهيأت سراجًا وصنعت مائدة، ودنوت من فراشه لأمهده له، فرفعت الوسادة فإذا بذهب، فقلت في نفسي ما صنع الذي صنع إلا ثقته بما جاء به، فعددتها فإذا هي ثلاثمائة دينار فتركتها علىٰ حالها حتىٰ انصرف من صلاة العشاء.

فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله وتبسم في وجهي فقال: هذا خير من غيره، فجلس يتعشى فقلت: يغفر الله لك ورفعت الوسادة.

فلما رأى ما تحتها فزع وقال: ويحك ما هذا؟.

قالت: لا علم لي به إلا أني وجدته علىٰ ما ترى فكثر فزعه وعلم أن ذلك بسبب الصدقة بالثلاثة دنانير وأن الله تعالى عوضه ذلك.

الرابعة: حكى أن امرأة تصدقت برغيف علىٰ سائل، ثم خرجت تحمل غداء زوجها، وكان يحصد زرعه، فمرت بروضة ومعها ابن لها، وإذا بسبع قد التقم ابنها وإذا يد قد لطمت السبع، فقذف الطفل من فيه.

وإذا بصوت يسمع منه خذي ولدك فقد جازيناك لقمة بلقمة.

الخامسة: عن عطاء قال: كان أبو عبد الرحمن بن حبيب يؤتي بالطعام إلىٰ المسجد فربما استقبلوه في الطريق فيطعمه للمساكين فيدعون له بالبركة فيرد عليهم دعاءهم ويقول: قالت عائشة : «إذا تصدقتم فدعى لكم فردوا الدعاء حتىٰ يبقى لكم أجر ما تصدقتم به».

السادسة: كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره ويتصدق به ليلاً ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال: مرحبًا بمن يحمل زادي إلىٰ الآخرة.

السابعة: قال سفيان: جاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني علىٰ صفوان بن

سليم[١] فإني رأيته دخل الجنة فقلت: بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنسانا قال بعض إخوان صفوان فسألته عن القميص فقال: خرجت ليلة على المسجد في ليلة باردة فإذا برجل عار، فنزعت قميصي فكسوته.

وقال أبو مروان: انصرفت مع صفوان إلىٰ منزله فجاء بخبز يابس فوقف ببابه سائل، فأعطاه شيئًا فاتبعته لأنظر ما أعطاه فإذا هو يقول: أعطاه الله أفضل ما أعطى أحدًا من خلقه.

فقلت له: ماذا أعطاك؟

قال: أعطاني دينارًا.

فائدة: قال بشر بن الحارث: الصدقة أفضل من الحج، قيل ولم ذاك؟

قال: لأن الحاج يركب ويرجع فيراه الناس، وذاك يعطي سرًا لا يراه إلا الرب تعالى.

الثامنة: حكى أنه كان قاضي الري غني، فجاءه فقير يوم عاشوراء[٢] فقال: أعز الله القاضي أنا رجل فقير ذو عائلة وقد جئتك متشفعًا بحرمة هذا اليوم لتعطيني عشرة أمنان خبزًا، وخمسة أمنان لحمًا ودرهمين.

فوعده القاضي علىٰ وقت الظهر فدافعه إلىٰ العصر، فلما جاءه العصر لم يعطه شيئًا.

فذهب الفقير منكسرًا، فمر بنصراني جالس بباب داره فقال له بحق هذا اليوم أعطني شيئًا.

فقال النصراني: وما هذا اليوم؟

فذكر له الفقير من صفاته شيئًا.

فقال لي النصراني اذكر حاجتك؟ فقد أقسمت علىٰ تعظيم الحرمة، فذكر له ما

---

(١) صفوان بن سليم أبو عبد الله وقيل: أبو الحارث القرشي المدني الزهري الفقيه، ثقة، مفت عابد، رمى بالقدر، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [١٣٢، ١٣٣، ١٢٤]. ترجمته: تهذيب التهذيب [٤ / ٤٢٥]، تقريب التهذيب [١ / ٣٦٨]، الكاشف [٢ / ٢٩]، تاريخ البخاري الكبير [٤ / ٣٠٧]، تاريخ البخاري الصغير [٢ / ١٩]، الجرح والتعديل [٤ / ١٨٥٨]، سير الأعلام [٥ / ٣٦٤]، والوافي بالوفيات [١٦ / ٣١٧]، الثقات [٦ / ٤٦٨].

(٢) اتفق العلماء علىٰ أن صوم يوم عاشوراء سنة ليس بواجب واختلفوا في حكمه في أول الإسلام حيث شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة كان واجبا، واختلف أصحاب الشافعي علىٰ وجهين أشهرهما أنه لم يزل سنة من حين شرع، والثاني كان واجبا كقول أبي حنيفة. [النووي في شرح مسلم [٨ / ٤، ٥] طبعة دار الكتب العلمية].

سلف فأعطاه عن الخبز عشرة أقفز حنطة، وعن اللحم مائة، وعن الدرهمين عشرين درهما.

وقال هذا لك ولعيالك ما دمت حيا في كل شهر كرامة لهذا اليوم.

فذهب الفقير إلىٰ منزله، فلما كان الليل ونام القاضي سمع هاتفًا: ارفع رأسك، فرفع رأسه فأبصر قصرًا مببنيا بلبنه من فضة ولبنه من ذهب، وقصرًا من ياقوته يبين ظاهره من باطنه.

فقال: إلهي ما هذان؟ فقيل له: هذان كانا لك لو قضيت حاجة الفقير، فلما رددته صارا لفلان النصراني.

فانتبه مرعوبا ينادي بالويل فغدا علىٰ النصراني.

فقال له: ما الذي فعلت البارحة من الخير؟

قال: وكيف ذلك؟

فذكر له الرؤيا، ثم قال: بعني الجميل الذي فعلته مع الفقير بمائة ألف درهم.

فقال: لا أبيع ذلك بملئ الأرض ذهبًا.

ثم قال ما أحسن معاملة هذا الرب أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وإن دينه هو الحق.

لا يلحقنَّك ضجرة من سائل	فدوام عزك أن تُرَى مسئولاً
لا تصرفنَّ بالرد وجه مؤمل	فلخير يومك أن ترى مأمولاً
واعلم بأنك عن قليل صائر	خيرًا فكن خيرًا يروى جميلاً
يلقى الكريم فيستدل ببشره	وترى العبوس علىٰ اللئيم ذليلاً

وما أحسن قول ذلك السائل وقد وقف علىٰ جمع رحمه الله: من جاد من يسره، أو آثر من قلة أو واسا من كفاف؟ فقالوا: لم يترك لأحد منا عذرًا.

مجلس في الجد في العمل وترك العجب به

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾[1] الآية.

روينا في الصحيحين من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ: كان يقوم حتىٰ تنفطر قدماه، فقيل له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[2].

وروينا في جامع الترمذي من حديث أنس مرفوعًا: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب»[3].

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك:

فالأولى: حكى أن عيسىٰ ﷺ مر هو ورجل من الحواريين بلصٍّ في قلعة له، ألقى الله في قلبه التوبة فقال لنفسه: هذا عيسىٰ روح الله، وهذا فلان حواريه وأنت يا شقي لص بني إسرائيل قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء.

ثم هبط إليهما تائبًا علىٰ ما كان منه، فلما لحقهما قال لنفسه تريدين أن تمشي معهما، لست لذلك أهلاً، بل خلفهما كالخاطئ المذنب.

فالتفت إليه الحواري[4] فعرفه فقال: انظر إلىٰ هذا الخبيث ومشيه خلفنا.

فاطلع الله علىٰ ما في قلبه من الندامة وتوبته، وازدراء الحواري به وتفضيله نفسه

---

(١) سورة التوبة [١٠٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد، [٦] باب قيام النبي ﷺ، في أول الباب تعليقًا، عن عائشة. وقد رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة [١١٣٠] كتاب التهجد،[٦] باب قيام النبي ﷺ، وانظر رقم [٤٨٣٦، ٦٤٧١] ومسلم في صحيحه[٨١ ـ (٢٨٢٠)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، عن عائشة. وعن المغيرة في مسلم [٧٩ ـ (٢٨١٩)]، [٨٠] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١٨] باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٧٤٨)] كتاب التوبة، [٢] باب سقوط الذنوب بالاستغفار التوبة، والترمذي [٣٥٣٩] كتاب التوبة، باب في فضل التوبة والاستغفار، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٥٧١]، والعجلوني في كشف الخفا [٢ / ٢٣١].

(٤) الحواريُّ: الخالص المُنَقَّى من كل عيب، والصاحب والناصر، جمعها: حواريون، والحواريون في القرآن الكريم أنصار عيسىٰ ﷺ.

عليه وعجبه بها.

فأوحى الله إلىٰ عيسىٰ أن مُرْ الحواري واللص أن يستأنفا العمل جميعا، إن اللص قد غفرت له ما مضى لندامته.

وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه.

الثانية: قال أبو حازم إن العبد ليعمل الحسنة[1] تسره حتىٰ يعملها، وما خلق الله سيئة أضرَّ له، فإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حتىٰ يعملها، وما خلق الله من حسنه أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتحير فيها ويعجب نفسه ويرى أن له فضلاً علىٰ غيره، ولعل الله يحبطها ويحبط معها عملاً كثيرا.

وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله يحدث له بها وجلا فيلقي الله وإن خوفها لفي جوفه.

الثالثة: قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في علانية ليكون هذه بهذه أخرى.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أوحى الله تبارك وتعالى إلىٰ نبي من الأنبياء أنه ليس أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون علىٰ ما أحب فيتحولون إلىٰ ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلىٰ ما يكرهون، وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي علىٰ ما أكره فيتحولون من ذلك إلىٰ ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلىٰ ما يحبون.

الرابعة: قال أبو حازم لا يحسن أحد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ولا يعوز ما بينه وبين الله إلا أعوز الله ما بينه وبين العباد.

ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

الخامسة: قال يحيى جاء سائل إلىٰ ابن عمر فقال لإبنه أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه.

فقال لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه [٢٠٣ ـ (١٢٨)] كتاب الإيمان، [٥٩] باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا».

أتدري ممن يتقبل الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١).

أخرى: وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: ليس الخير أن يكثر مالك وتعظم دارك، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، فلا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين:

رجل أذنب ذنوبًا فهو يدارك ذلك بتوبة.

أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

أخرى: وقال أبو حازم عجبًا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويدعون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة.

أخرى: وقال محمد بن إسحاق: قال أبو حازم إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أول كسادها فإنه لو جاء يوم نَفَاقِها لم يصلوا منها لا إلىٰ قليل ولا إلىٰ كثير.

السادسة: حكى أن بعض المرابطين بعسقلان قام ذات ليلة يريد التهجد علىٰ السطح فإذا هو بهاتف يقول: يا معشر العباد قسمت العبادة ثلاثة أجزاء أولها قيام الليل وثانيها: صيام النهار، وثالثها: الدعاء والاستغفار والتسبيح، وهذا خير القسمة، فخذوا منه بالحظ الأوفر فسقط العابد علىٰ وجهه لما دخله من الصوت.

السابعة: قال شقيق البلخي(٢): طلبنا خمسًا فوجدناها في خمس: طلبنا بركة القوت، فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط(٣) فوجدناه

---

(١) سورة المائدة [٢٧]. أي ممن اتقى الله في فعله ذلك، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الدرداء قال: لئن استيقن أن الله قد تقبل لي صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها أن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] . وعنه بسنده عن معاذ بن جبل قال: "يحبس الناس في بقيع واحد فينادي مناد أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر قلت: من المتقون ؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا العبادة فيمرون إلىٰ الجنة" . [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤، ٤٥)].

(٢) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي أسلم في حياة النبي ﷺ وكان من الأذكياء الحفاظ والأولياء العبَّاد، وكان ثقة كثير الحديث توفي سنة [٨٢]، [٩٩]، [١٠٠]، أخرج له أصحاب الكتب الستة. التقريب [١/ ٣٥٤]، التهذيب [٤ / ٣٦١].

(٣) مذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف علىٰ إثباته وهو جسر علىٰ متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف. [النووي في شرح مسلم [٣ / ١٩] طبعة دار الكتب العلمية].

في الصوم والصدقة.

الثامنة: روى عن بشر الحافي أنه قال: رأيت رجلا عشية عرفة عليه الوله وهو يبكي وينتحب انتحابًا شديدًا ويقول: سبحان من لو سجدنا بالعيون له علىٰ شباك الشوك، والمحمي من الإبر، لم نبلغ العُشر من مِعْشَار نعمته، ولا العُشَيْر ولا عُشْرًا من العُشر.

وقال أيضا:

كم قد زللت فلم أذكرك في زللي. وأنت يا مالكي بالغيب تدركني
كم أكشف الستر جهلاً عند معصيتي وأنت تلطف بي حلما وتسترني.

ثم غاب عني وحجب فلم أره، فسألت عنه فقيل لي هو أبو عبيد الخوَّاص، أحد الخواص له سبعون سنة ما رفع وجهه إلىٰ السماء، فقيل له في ذلك.

فقال: إني لأستحي أن أرفع إلىٰ المحسن وجهًا مسيئًا فواعجباه من مطيع يستحي ويتذلل مع إحسانه، ومن عاص لا يتذلل ولا يستحي من عصيانه.

التاسعة: عن بعض السلف أنه نام في وقت متوسدا، فأتاه آت في منامه فقال له: قل.

فقال: ما أقول؟ قال: قل.

يا خل إنك إن توسدت لينًا وسدت بعد الموت (صم)[1] الجندل
فاعمل لنفسك في حياتك صالحًا فلتندمنَّ من غد إذا لم تفعل

العاشرة: عن محمد بن السماك[2] قال: كان لي جار بالكوفة له ولد وله من قيام الليل وصيام النهار، وكان إذا جنه الليل يبكي وينشد:

لما رأيت الليل أقبل خاشعا بادرت نحو مؤانسي بنحيبي
أبكي فيقلقني إليه صبابتي وأبيت مسرورًا بقرب حبيبي

فإذا كان آخر الليل يبكي ويقول عند السحر

ذكرت في الليل إذا لاحت معالمه ما كان أنسى فيه لمولاي
ضمنت في القلب حبا قد كلفت به والله يعلم ما مكنون أحشائي.

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) محمد بن السماك أبو العباس العطار البصري المذكر الكوفي، ويقال محمد بن صبيح بن السماك، أخرج له أحمد في المسند، قال محمد بن عبد الله بن نمير: حديثه ليس بشيء، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة [١٨٣]. تعجيل المنفعة [٩٣٩] الجرح والتعديل [٧/ ٢٩٠].

قال ابن السماك: وكان أبوه شيخا كبيرًا فسألني يومًا أن أكلم ولده يرفق بنفسه.

فبينما أنا ذات يوم جالس علىٰ باب داري، ومعي جماعة من أصحابي إذ مر الغلام فناديته: يا فتى إلينا، فأقبل فتأملته، فإذا هو قد صار كالشنِّ البالي لو هبت الريح لرمت به من شدة الضعف، فسلم وجلس، فقلت حبيبي: إن الله قد افترض عليك طاعة أبيك وطاعته، ونهاك عن معصيته كمعصيته.

وإن أباك قد أمرنا بأمر فتأذن لنا بالكلام فيه؟ فقال: يا عم لعلك تريد أن تأمرني بتقصير في العمل وترك المبادرة إلىٰ الله.

فقلت له: لا والله بدون هذا، يردك هذا الشأن الذي تطلب إن شاء الله.

فقال: هيهات إني بايعت علىٰ هذا الشأن فتية من الحي علىٰ السباق، فجروا واجتهدوا ودعوا فأجابوا ولم يبق غيري، وعملي يعرض عليهم كل يوم مرتين، فما يقولون إذا رأوا خللاً أو تقصيرا؟ ثم قال: يا عم إني بايعت علىٰ هذا الشأن فتية فجعلوا الليل لهم مطية.

فقطعوا بها عرض المفاوز وسموا بها ذري الشواهق وإذا أصبحوا نظرت إليهم قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصلت أعضاؤهم بخناجر التعب وخمص البطون من (السدا)[1].

لا يقر لهم قرار، ولا يجاورون الأشرار، دُعُوا فأجابوا الملك الجبار.

قال ابن السماك: فتركنا والله في حيرة ومضى، وما كان إلا ثلاثة أيام حتىٰ قيل: مات الفتى - رحمة الله عليه.

الحادية عشر: عن بعضهم قال: سألت الله تعالى أن يريني مقامات أهل المقابر، فرأيت في منامي في ليلة من الليالي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت، وإذا منهم النائم علىٰ السندس، ومنهم النائم علىٰ الحرير والديباج، ومنهم النائم علىٰ الريحان، ومنهم النائم علىٰ السرر، ومنهم الضاحك ومنهم الباكي.

فقلت: يا رب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة قال: فنادى مناد من أهل القبور: يا فلان هذه منازل الأعمال، أما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن[2]. وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) روى الترمذي في سننه [١٩٨٧] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال أبو عيسى: حسن صحيح.

الصائمون وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون.

وأما أصحاب المراتب فهم المتحابون في الله تعالى.

الثانية عشرة: قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ـ رحمه الله ـ نمت ليلة في سياحتي علىٰ رابية من الأرض فجاءت السباع فطافت بي وأقامت حولي إلىٰ الصباح، فما وجدت أنسا وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي أنه قد حصل لي شيء من مقام الأنس بالله، فهبطت واديا هناك فيه طيور حجل[1] لم أرها، فلما أحست بي طارت في دفعة واحدة كلها، فخفق قلبي رعبًا فسمعت قائلا يقول: يا من كان البارحة يأنس بالسباع، مالك تفزع لخفقات الحجل، ولكنك البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك.

وقال أيضًا: جعت مرة ثمانين يومًا، فخطر أنه قد حصل لي نصيب من هذا الأمر، وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها ضياء الشمس حسناء وهي تقول: منحوس جاع ثمانين يوما فأخذ يُدِلُّ علىٰ الله بعمله فأنا لي ستة أشهر لم أذق طعامًا.

وقال أيضا: قلت يوما وأنا في مفازة في سياحتي: إلهي متى أكون لك عبدًا شكورًا.

فسمعت قائلا يقول إذا لم ترى منعما عليه غيرك فقلت: إلهي كيف لا أرى مُنْعَمًا عليه غيري وقد أنعمت علىٰ الأنبياء والعلماء والملوك.

فإذا قائل يقول: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما أمنت والكل نعمة مني عليك.

الثالثة عشرة: قال إبراهيم الخواص: دخلت البادية فأصابتني شدة فكابدتها وصابرتها.

فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب.

فنادتني عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك في البادية، فلم أكلمك لأني لم أرد أن أشغل سرك عنه، أخرج هذا الوسواس عنك.

الرابعة عشرة: قال أبو الحسن المزيِّن دخلت البادية علىٰ التجريد حافيًا حاسرًا، فخطر ببالي أنه ما دخل البادية في هذه السنة أحد أشد تجريدًا مني، فحدثني إنسان من ورائي وقال: يا حجام كم تمنيك نفسك بالأباطيل.

وأنشدوا:

---

(١) الحجل: طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم.

نظرت في الراحة الكبرى فلم أرها. فقال إلا على حسن من التعب.
والجد منها بعيد في تطلبها وقد تدرك بالتقصير واللعب.

الخامسة عشرة: قال أبو يزيد: جمعت فكري وأحضرت ضميري ومثلت نفسي واقفا بين يدي ربي فقال لي: يا أبا يزيد بأي شيء أحببتني؟.

قلت: يا رب بالزهد في الدنيا.

قال: إنما كان مقدار الدنيا عندي جناح بعوضه.

ففيما زهدت منها؟، قلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هذه الحالة جئت بالتوكل.

قال: يا أبا يزيد ألم أكن ثقة فيما ضمنت لك حين توكلت علي، فقلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هاتين الحالتين، جئتك بك أو قال بالإفتقار إليك، فقال: عند ذلك قبلناك. وأنشدوا:

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذي لم تعلموه
علم الهدى فسما إليه وطالب مطلبا لم تطلبوه
أجاب دعاءه لما دعاه وقام بحقه وأضعتموه.
بنفسي ذاك من ممدوح قرب وطاعم مطعم لم تطعموه

مجلس في السخاء

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[1] الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا قال: «قال الله عز وجل: (ابن آدم أنفق أنفق عليك)، وقال: يد الله ملأى سخاء لا يغيضها نفقة شيء الليل والنهار»[2] وقد تصدق الصديق بكل ماله، وعمر بالنصف.

وروى أنه أصاب الناس مجاعة فاشترى حبيب العجمي طعاما وفرقه علىٰ الفقراء.

ثم أخاط أكياسًا وجعلها تحت رأسه، ثم دعا الله فجاءه أصحاب الطعام يطلبون منه ثمنه، فأخرج حبيب تلك الأكياس فإذا هي مملوءة دراهم فوزنها فإذا هي قدر حقوقهم سواء فدفعها إليهم. وروى أنه أتاه سائل مرة، وقد عجنت امرأته عجينًا وذهبت تجيء بنار لتخبزه فقال للسائل: خذ العجين فأخذه فجاءت وقالت: أين هو؟، قال: ذهبوا به يخبزونه، فلما أكثرت عليه أخبرها بالقصة فقالت: سبحان الله إنه لا بد لنا من شيء نأكله فإذا برجل قد جاء بجفنه عظيمه مملوءة خبزًا ولحمًا.

فقالت له: ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

حكاية أخرى: حكى عن بعضهم أنه كان يتعبد في جبل ويؤتي برغيفين يأتيه بهما طائر أبيض، فجاءه مرة بهما فحضر سائل فأعطاه أحدهما، ثم جاءه آخر فأعطاه نصف الآخر.

ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغني عن هذا الفقير شيئًا ولا هذا النصف بالذي يكفيني ولشبع واحد خير من جوع اثنين، فدفع إليه النصف الآخر.

وبات طاويا، فأتي في منامه فقيل له: سل.

فقال: أسأل الله المغفرة، فقيل له: إن هذا شيء قد أُعْطِيتَه، فسل غيره، فقال:

---

(١) سورة البقرة [٢٧٢].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٦ / ٩٢، ٩ / ١٥٠] ومسلم في صحيحه [٣٦ـ (٩٩٣)] كتاب الزكاة [١١] باب الحث علىٰ النفقة وتبشير المنفق بالخلق. والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٤٨]، والتبريزي في مشكاة المصابيح [٩٢] والخرائطي في مكارم الأخلاق [٥٦].

أسأل أن يغاث الناس وكان عام جدب، فأغيثوا ببركته وبركة دعائه.

حكاية ثالثة: قال ابن مسروق (اخترت)[١] أنا وأبو نصر المحب بالكوخ وعليه إزار له قيمة، وإذا بسائل يقول: شفيعي إليكم رسول الله، فشق أبو نصر إزاره ودفع له نصفه، ثم قال: هذا بخيل، فأعطاه الباقي.

حكاية رابعة: عن سلمة بن سلمان قال: جاء رجل إلىٰ ابن المبارك[٢] وسأله أن يقضي عنه ديناً فكتب عبد الله إلىٰ وكيله فقال له الوكيل: كم عليك؟ قال سبعمائة درهم.

فكتبت له بسبعة آلاف، وكتب إلىٰ عبد الله بذلك وأخبره أن الغلال فنيت، فكتب إليه عبد الله إن كانت فنيت فإن العمر أيضا قد فنى، فادفع له ما سبق قلمى به.

خامسا: قال الوليد بن يسار: جاءت امرأة إلىٰ حسان بن أبي سنان فسألته شيئا فقال حسان لشريكه: زن لها درهمين، فوزن لها مائتين، فعتب في ذلك فقال: إني رأيتها شابة وخشيت أن تحملها الحاجة علىٰ ما لا ينبغي، فكرهت ذلك.

سادسة: عن حبيب العجمي أنه اشترى نفسه من الله أربع مرات بأربعين ألف درهم، فأخرج عشرة آلاف وقال: يا رب اشتريت منك نفسي بهذه، ثم أخرج مثلها وقال: إلهي إن كنت قبلت الثالثة[٣] فهذه شكرها.

سابعة: عن مالك بن أنس قال: كتبت إلىٰ الليث بن سعد أسأله في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأرسل إلينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا، وبعنا الفضلة بألف دينار.

ثامنة: عن شقيق قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مر رجل فقال: إبراهيم أليس هذا فلان؟.

قيل له: نعم، فقال لرجل عنده أدركه وقل له: لم لا تُسلِّم؟. فقال له: قال إن امرأته وضعت وليس عنده شيء، فخرج شبه المجنون قال: فأخبرت إبراهيم فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف غفلنا عن صاحبنا حتىٰ نزل به هذا الأمر؟

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي التميمي مولاهم المروزي، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة [١٨١]. [التقريب (١/ ٤٤٥)].

(٣) كذا بالأصل وأظنها: إن كنت قبلت الأولى فهذه شكرها ثم أخرج الثالثة وقال في الرابعة إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكرها.

ثم قال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستلف منه دينارين واشترى ما يصلحه بدينار، وأعطه الآخر، فاشتريت بالدينار من كل شيء، وأوقفت البعير ودفعت ما فيه لأهله وكان غائبًا والدينار الآخر، فقالت: علىٰ يدي من بُعِثَ هذا؟

قلت: علىٰ يد أخيه إبراهيم بن أدهم، فرفعت طرفها إلىٰ السماء، وقالت: اللهم لا تنساها له.

تاسعة: عن بعض الصالحين قال: دخلت مسجدا لأصلي فيه، فإذا فيه رجل عابد، ورجل من التجار جالس قال: فسمعت العابد يقول يا سيدي ومولاي اشتهى عليك اليوم من الطعام لون كذا وكذا، ولون كذا وكذا من الحلوى.

فقال التاجر: والله لو سألني لأعطيته، ولكن هذا يحتال عليَّ ويُرائى حتىٰ أُعطيه، والله لا أعطيه شيئًا.

فلما فرغ من دعائه نام في ناحية من المسجد، وإذا برجل قد دخل ومعه قعبة مغطاة، فنظر يمينا وشمالا فرأى العابد نائما فأيقظه وترك القعبة بين يديه والتاجر ينظر إليه، فوجد اللون الذي اشتهاه من الطعام والحلوى، فأكل منه قدر شهوته، وغطى القعبة وردها.

فقال التاجر للذي جاء بها سألتك بالله هل تعرف هذا الرجل قبل اليوم؟ قال: لا والله ما أعرفه، وإنما أنا رجل حمال، وكنت قد اشتهيت علىٰ زوجتي وابني هذا اللون منذ سنة، فما طالت يدي إليه، وكان اليوم حملت لرجل فأعطاني مثقالين من الذهب فاشتريت به لحما وغيره، وأتيت به إلىٰ منزلي فصنعته زوجتي فغلبتني عيني فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ فقال: قدم اليوم عليكم ولي من أولياء الله، وهو في المسجد، وقد اشتهى ما عملته زوجتك، فأحمله إليه يأكل منه شهوته، ويجعل الله لك البركة فيما بقى وأنا الكفيل لك بالجنة.

فانتبهت وجئت به كما ترى.

فقال التاجر: قد سمعته يسأل الله ذلك.

ثم قال له: كم أنفقت علىٰ هذا الطعام؟

قال: مثقالاً، فقال التاجر: خذ مني عشرة مثاقيل فاجعل لي في أجرك قيراطا.

قال: لا، قال خذ عشرين، قال: لا، قال: خذ خمسين، قال: لا، قال: خذ مائة، قال: لا والله ما بعت شيئًا مما ضمنه لي رسول الله وتكفله، ولو أُعْطِيتُ الدنيا جميعًا.

فلو كان لك نصيب من أجر شهوة هذا الولي لكنت سبقتني أنت إليه، ولكن يختص من يشاء قال: فندم التاجر حيث لا ينفعه الندم، وخرج من المسجد نادمًا علىٰ ما فاته.

عاشرة: قال بعض الصالحين: كان لي صديق ابتلى بالجذام حتىٰ ذهبت يداه ورجلاه وعيناه، فأتيت به المجذومين وجعلته معهم، وكنت أتعاهده فغفلت عنه أيامًا ثم انتبهت وقلت: إني قد غفلت عنك.

فقال: إن لي من لا يغفل عني.

فقلت: والله ما ذكرتك.

فقال: إن لي من يذكرني، ثم قال: إليك عني فقد شغلتني عن ذكر الله، فلبثت أيامًا ثم جئت إليه فوجدته قد توفي، فأخرجت كفنًا فيه طول، فقطعت ما فضل عنه وكفنته ودفنته فرأيت في منامي رجلاً وقف عليَّ لم أر أحسن منه صورة.

ثم قال: بخلت علينا بكفن طويل، دونك وكفنك قد رددناه عليك.

وقد كفناه في السندس والإستبرق قال: فاستيقظت وإذا بالكفن عند رأسي، وأنشدوا:

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل

وإن كانت الأقسام رزقا مقدرا ... فقلة سعى المرء في الرزق أجمل

وإن كانت الأجساد للموت أنشئت ... فقتل امرء بالسيف في الله أفضل

وإن كان الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

مجلس في بر الوالدين وصلة الرحم

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] الآية.

فقضى الله تعالى بالوالدين إحسانا في سلك توحيده مفصلاً ما ينبغي معاملتهما به، وأن يبلغا أو أحدهما عند ولدهما الكبر من الوظائف العشر التي هي كف الأذى بنحو قوله لهما أف، واحتماله ولا ينهرهما فليس إلا قولاً كريمًا، وخفض الجناح لهما تواضعًا وتذللاً ورحمة ورقة وحنانا، أو الدعاء لهما يدا بالعجز عن مكافأتهما، والاعتراف بمكافأتهما بنحو ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] وإضمار حبهما وتعظيمهما والنصح لهما، ولعله المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾[*]. وتدارك مما ربما وقع بغير اختيار من هفوة بالندم والاعتذار والاستغفار، وتلا في ذلك بالإحسان كما هو جلى من قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[*].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله[2]: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: ٣٦] فأمر الله تعالى بالوالدين إحسانا، وبذي القربى إلىٰ آخره.

---

(١) سورة الإسراء [٢٣]. يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد: " وقضى " يعني وصى وكذا قرأ أُبَيُّ بن كعب وابن مسعود والضحاك ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه " ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾. تفسير ابن كثير [٣ / ٣٥].

(*) سورة الإسراء [٢٥] قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلىٰ أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ [الإسراء: ٢٥] وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] قال قتادة: للمطيعين أهل الصلاة، وعن ابن عباس المسبحين. وفي رواية عنه المطيعين المحسنين، وقال بعضهم هم الذين يصلون العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى، وقال شعبة عن يحيى ابن سعيد بن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون. [تفسير ابن كثير (٣ / ٣٦)].

(٢) سورة النساء [٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[١] أي أن تقطع.

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾[٢].

قلت: ووعدهم بنحو ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٤].

قلت: فأعظم به من موص لا ترد وصيته.

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٥].

وفيه تكرير الوصية معقبًا بذكر ما يكلف الوالد للولد، وتحمل من أجله وبإيجاب الشكر لله تعالى لهما.

وروينا في الصحيحين[٦] من حديث عبد الله بن مسعود سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلىٰ الله؟ قال: «الصلاة علىٰ وقتها».

قلت: ثم أي؟، قال: « بر الوالدين »، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله ».

ففيه أن بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيله وفضل الجهاد لا ينحصر، فما أعلاها من رتبة. وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[٧].

ففيه أن الأبوة منزلة لا يجزيها الولد إلا أن يخرج الأب من رتبة الرق إلىٰ كمال الحرية، الوجود بعد العدم، إذ منافعه لغيره وتصرفه مسلوب فوجوده لغيره.

وروينا في الصحيحين من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،

---

(١) سورة النساء [١].
(٢) سورة الرعد [٢١].
(٣) سورة الرعد [٢٢].
(٤) سورة العنكبوت [٨].
(٥) سورة لقمان [١٤].
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٧٨٢] كتاب الجهاد والسير، [١] باب فضل الجهاد والسير، ومسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (١٨٥)] كتاب الإيمان، [٣٦] باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال. وأحمد في مسنده [١ / ٤١٠، ٤٣٩].
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥] كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، وأبو داود في سننه [٥١٣٧]، والترمذي [١٩٠٦] كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الوالدين، وابن ماجه في سننه [٣٦٥٩] كتاب الأدب، باب بر الوالدين، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٣٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [١٠ / ٢٨٩]، والسيوطي في الدر المنثور [٤ / ١٧٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٥١].

فليقل خيرا أو ليصمت»(١). فأهل البر والصلة هم المؤمنون بالله واليوم الآخر.

وروينا فيهما من حديثه أيضًا مرفوعًا: «إن الله تعالى خلق الخلق حتىٰ إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟

قالت: بلى يا رب، قال: فذاك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢] (٢) الآية.

وفي رواية البخاري: «فقال الله تعالىٰ: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»(٣).

فبخاصة الصلة صلة الرب تعالى، فيا سعادة من حصلت له وأربح معاملته.

وروينا فيهما من حديثه أيضًا قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ قال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: «أمك»، قال ثم من؟، قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»(٤).

وفي رواية: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك ثم أدناك أدناك»(٥). والصحابة بمعنى الصحبة، وقوله ثم أباك هكذا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٦٠١٨] كتاب الأدب، [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه [٧٤ - (٤٧)] كتاب الإيمان، [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان. والترمذي [١٩٦٧] كتاب البر والصلة باب ما جاء في الضيافة كم هو، وابن ماجه في سننه [١٩٧١] والبيهقي في السنن الكبرى [٨/ ١٦٤].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٧] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله، ومسلم في صحيحه [١٦ - (٢٥٥٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٥٦] والحاكم في المستدرك [٢/ ٢٥٤]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٣٨].

(٣) البخاري في صحيحه [٥٩٨٨] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧١] كتاب الأدب، [٢] باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم في صحيحه [١-(٢٥٤٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهم أحق به. والترمذي [١٨٩٧]، وابن ماجه في سننه [٣٦٥٨]، وأحمد في مسنده [٢ / ٣٢٧]، والبيهقي في السنن الكبرى [٤ / ١٧٩]، والحاكم [٤ / ١٥٠].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢ - (٢٥٤٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

هو منصوب بفعل محذوف، أي ثم بر أباك.

وفي رواية: «ثم أبوك» وهذا أوضح.

وفيه أن الأحق بالبر أُمُّ الإنسان، ثم أبوه بعدها ثم الأدنى بعده.

وروينا في صحيح مسلم عنه أيضا: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من؟ يا رسول الله.

قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»(١).

قلت: فما أشد حسرته وخسرانه، ولا له من أحد رحمة لعامة تفريطه وشدة مهانته وتهاونه.

وروينا عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي.

فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت علىٰ ذلك»(٢).

وتسفهم: بضم التاء وكسر السين المهملة، وتشديد الفاء، والمَلّ: بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرماد الحار من الألم، فلا شيء علىٰ المحسن إليهم لكن ينالهما إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه.

وفيه أن من وصلته رحمة فقطعها كأنما يسفُّ المَلَّ وهو أشد غبنًا وحرقة من الذي قبله.

وفيه بيان أنواع من العلة وهي الصلة والإحسان والحلم.

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعًا: «من أحب أن يُبسط في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ـ (٢٥٥١)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣] باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة. والترمذي [٣٥٤٥]، وأحمد في مسنده [٢/ ٢٥٤، ٣٤٦]، وأحمد في مسنده [٤ / ٣٤٤]، والسيوطي في الدر المنثور [٢/١٥٨]، المنذري في الترغيب والترهيب [٢ / ٥٠٧، ٥٠٨].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢ ـ (٢٥٥٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. وأحمد في مسنده [٢/ ٣٠٠]، قال النووي: المل: بفتح الميم الرماد الحار، وتُسِفُّهم بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء، والدافع لأذاهم وقوله أحلم عنهم بضم اللام، ويجهلون أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار. [النووي في شرح مسلم [١٦ / ٩٤] طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٦] كتاب الأدب، [١٢] باب من بسط له في الرزق بصلة =

ومعنى: يُنسأ له في أثره: يؤخر له في أجله وعمره.

ففيه فوائد عاجلة وهو بسط الرزق وإطالة العمر.

وروينا فيهما عنه: كان أبو طلحة أكثر الأنصار مالاً... الحديث بطوله كما سبق في باب الإنفاق مما يجب.

وفيه أن الذي يرجي بره وذخره عند الله جدير أن يوضع في الآخرين، ويوضحه الحديث الذي بعده، فإن فيه الفائدة الآجلة.

وروينا في الصحيحين(١) والسياق لمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: أقبل رجل إلىٰ نبي الله ﷺ فقال: أبايعك علىٰ الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حيٌّ؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «فتبتغي الأجر من الله؟»، قال: نعم، قال: «فارجع إلىٰ والديك فأحسن صحبتهما».

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد.

فقال: «أحيٌّ والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»(٢).

وروينا في صحيح البخاري(٣) عنه مرفوعًا: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها». وقطعت: بفتح القاف والطاء، رحمه مرفوع، وفيه نفي من يقول: لو وصلوني وصلتهم إلىٰ وصل القاطعين، وهو الصلة الحقيقية وغيره مكافأة.

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة مرفوعًا: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله»(٤).

= الرحم، ومسلم في صحيحه [٢١ ـ (٢٥٥٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها. والبيهقي في السنن الكبرى [٧ / ٢٧]، المنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٣٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٧٢] كتاب الأدب، [٣] باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، ومسلم في صحيحه [٦ ـ (٢٥٤٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به والنسائي [٧/ ١٤١، ١٤٥]، وأحمد في مسنده [٤ / ٢٢٣] والحاكم [٣/ ٤٢٤].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٥٤٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [١] باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٩١] كتاب الأدب، [١٥] باب ليس الواصل بالمكافئ. وأبو داود في سننه [١٦٩٧]، والترمذي [١٩٠٨]، وأحمد في مسنده [٤/ ١٦٣، ١٩٠]، والبيهقي في السنن الكبرى [٧/ ٢٧]، والمنذري في الترغيب والترهيب [٣ / ٣٤٠].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٩٨٩] كتاب الأدب، [١٣] باب من وصل وصله الله. ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٥٥٥)] كتاب البر والصلة والآداب، [٦] باب صلة الرحم وتحريم =

وفيه ما يشعر بأن الصلة أرجح من صنائع المعروف؛ لأن الرحم معلقة بالعرش، وأي قرب هكذا، ثم هي علىٰ مرِّ الأنفاس بقول: «من وصلني وصله الله» وأي دعاء أجمع من هذا أو يسمع له ويستجاب مثله وهل في معروف آخر هكذا.

وروينا في الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين أنها قالت: أعتقت وليدتي فقال: «أوفعلت؟». قالت: نعم. قال: «أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك»[(١)]. وهو ظاهر في أن صلة الأخوال والأخوات أعظم أجرًا من العتق العظيم أجره.

وروينا فيهما من حديث أسماء بنت الصديق قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم، صلي أمك»[(٢)]. معنى راغبة: طامعة فيما عندي تسألني شيئًا، وهي أمها من النسب علىٰ الأصح، وقيل: من الرضاعة. وفيه أن كفر الأرحام ليس بمانع من برِّهم وصلتهم. وفيهما من حديث الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء[(٣)]، ولو من حليكن». قالت: فرجعت إلىٰ عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فاسأله، فإن كان كاف ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلىٰ غيركم، قالت: فقال لي

= قطيعتها. وابن حبان في صحيحه [٢٠٣٤ ـ الموارد]، وابن أبي شيبة في مصنفه [٨/ ٣٤٨]، والزبيدي في الإتحاف [٦ / ٣١١].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٢) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [١٥] باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج، فهو جائز إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز، ومسلم في صحيحه [٤٤ . (٩٩٩)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٢٠) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها،[٢٩] باب الهدية للمشركين، ورقم (٣١٨٣) كتاب الجزية والموادعة [١٨] باب حدثنا عبدان . . . .، وانظر أرقام (٥٩٧٨، ٥٩٧٩) . ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٠٠٣)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين . وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤) . وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٣٢، ١٩٤٣٠) . والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٢).

(٣) قال النووي : فيه أمر ولي الأمر رعيته بالصدقة وفعال الخير وعظة النساء إذا لم يترتب عليه فتنة، والمعشر الجماعة الذين صفتهم واحدة . وقوله ﷺ : «ولو من حليكن» هو بفتح الحاء وإسكان اللام، مفرد، وأما الجمع فيقال بضم الحاء وكسرها، واللام مكسورة فيهما، والياء مشددة . (النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٥، ٧٦) طبعة دار الكتب العلمية .

عبد الله: بل ائتيه أنت[١]. قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة. قالت فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصدقة عنهما علىٰ أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن[٢]. قالت: فدخل بلال علىٰ رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟» فقال إمرأة من الأنصار وزينب. فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيانب؟» قال: امرأة عبد الله. فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة»[٣]. وفيه أن أجر التصدق ليس بمانع من الصلة بالصدقة حتىٰ يتوقف عنها في أولي الأرحام.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعًا: «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما» وفي لفظ: ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلىٰ أهلها» أو قال: «ذمة وصهرا»[٤]. ومعنىٰ الرحم الذي لهم كون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم. والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم، ففيه أن محل الصلة كل رحم قرب أو بعد[٥]،

(١) هي زينب بنت معاوية، ويقال: زينب بنت عبد الله بن أبي معاوية الثقفية، زوج عبد الله بن مسعود، صحابية ولها رواية عن زوجها. أخرج لها أصحاب الكتب الستة، ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٢٢)، والتقريب (٢/ ٦٠٠)، الثقات (٣/ ١٤٥)، أسد الغابة (٧/ ١٣٤)، الإصابة (٧/ ٦٨١)، أعلام النساء (٢/ ١١٥).

(٢) قال النووي: قولهما: "ولا تخبر من نحن" ثم أخبر بهما، قد يقال: إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر، وجوابه أنه عارض ذلك جواب رسول الله ﷺ وجوابه ﷺ واجب محتم لايجوز تأخيره، ولا يقدم عليه غيره. وقد تقرر أنه إذا تعارضت المصالح بدئ بأهمها. (النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٦٦)، كتاب الزكاة [٥٠] باب الزكاة علىٰ الزوج والأيتام في الحجر. ومسلم في صحيحه [٤٥ . (١٠٠٠)] كتاب الزكاة [١٤] باب فضل النفقة والصدقة علىٰ الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين. والنسائي (٥/ ٩٣ . المجتبى). وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٦، ٢/ ٣٧٣، ٣/ ٥٠٢). وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١١٠، ١١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٦ . (٢٥٤٣)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٦] باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ١٠٢، ٣/ ١٢٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢١٩).

(٥) قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم، وفيه معجزات ظاهرة لرسول =

فلا أبلغ من وصيته ﷺ بأهل إقليم كثير من أجل أن أم جده الأعلى إسماعيل الذبيح ﷺ منهم، وهو الرحم، والصهر سلف. وما أشد صلة من يصل هذه الأرحام البعيدة الكبيرة جدًا.

ورويناً في الصحيحين[١] من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنهما حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم؟ . يعني النبي ﷺ قال: فقلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة[٢] قلت: لأنها كمال ومعروف في كل عقل وكل ملة.

ورويناً في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: " لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[٣] دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحما سأبُلُّها[٤] ببلالها» "[٥] ومعناه سأصلها، شبَّه

= الله ﷺ ؛ منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده، بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر، ومنها تنازع الرجلين في موضع اللبنة، ووقع كل ذلك ولله الحمد . (النووي في شرح مسلم (١٦/ ٧٨، ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية) .

(١) الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧) كتاب بدء الوحي، [٦] باب في فاتحته، ومسلم في صحيحه [٧٤ . (١٧٧٣)] كتاب الجهاد والسير [٢٦] باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام .

(٢) قوله : "قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف" : أما الصلة فصلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل، وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة، وأما العفاف : الكف عن المحارم وخوارم المروءة ؛ قال صاحب المحكم : العفة : الكف عما لا يحل ولا يحمل، يقال : عف يعف عفةً وعفافاً وعفافةً وتعففاً، واستعفَّ، ورجل عفٌّ وعفيف، وأنثى عفيفة، وجمع العفيف : أعفة وأعفاء . (النووي في شرح مسلم (١٢/ ٩١) طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) سورة الشعراء (٢١٤) .

(٤) قوله ﷺ : «غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها» ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها وهما وجهان مشهوران، ذكرهما جماعات من العلماء،قال القاضي عياض : رويناه بكسر الباء وفتحها ؛ من بله يبله، والبلال الماء. ومعنى الحديث : سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه بلوا أرحامكم : أي صلوها . (النووي في شرح مسلم (٣/ ٦٨) طبعة دار الكتب العلمية) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٤٨ . (٢٠٤)] كتاب الإيمان [٨٩] باب في قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ =

قطعها بالحرارة تطفئ بالماء فتبرد بالصلة، وهذا بمباشرته عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وروينا في الصحيحين . واللفظ للبخاري . من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: «إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما وَلِيِّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحمًا أبلها ببلالها»[1] وفيه نفي وَهْم من يرى صلة رحم فيعتقدها محبة وولاء فيتولاها ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المُمتَحنَة: ٩] ، فالكافر والفاجر ونحوهم محل للصلة لا للتولي والمودة.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي أيوب خالد بن زيد أن رجلا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فقال ﷺ: «تعبُد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[2] ففيه أن صلة الرحم تُدخل الجنة.

وروينا في جامع الترمذي مصححًا من حديث سلمان بن عامر مرفوعًا: «إذا أفطر أحدكم فليفطر علىٰ تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فالماء؛ فإنه طهور». وقال: «الصدقة علىٰ المسكين صدقة، وهي علىٰ ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»[3] وفيه المضاعفة في ثواب الصدقة لأنها صدقة وصلة، وكما سلف في الحديث السالف لها

= ﴿الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٥، ٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٧٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٠) كتاب الأدب [١٤] باب يبل الرحم ببلالها، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩١٤)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٢٥٨)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٤٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٦) كتاب الزكاة [١] باب وجوب الزكاة، ومسلم في صحيحه [١٤ . (١٣)] كتاب الإيمان [٤] باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة . وقال النووي : قوله ﷺ : «وتصل الرحم» أي تحسن إلىٰ أقاربك ذوي رحمك بما تيسر علىٰ حسب حالك وحالهم من إنفاق أو سلام أو زيارة، او طاعتهم، أو غير ذلك . (النووي في شرح مسلم (١/ ١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٥٨) كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة علىٰ ذي القرابة، وقد أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٥) كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه، وابن ماجه في سننه (١٦٩٩) كتاب الصيام، باب ما جاء علىٰ ما يستحب الفطر . والنسائي في قوله : «الصدقة علىٰ المسكين صدقة» في كتاب الزكاة، باب الصدقة علىٰ الأقارب، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٣٤) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٨٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٠٧) .

أجران؛ أجر القرابة، وأجر الصدقة.

ورويناً في سنن أبي داود وجامع الترمذي[١]. وقال: حسن صحيح. من حديث ابن عمر قال: " كان تحتي امرأة وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها، فقال لي: طلقها. فأبيت، فأتىٰ عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «طلقها» ". قلت: فقوله له في محبوبته: طلقها. لإرضاء أبيه.

ورويناً في جامع الترمذي[٢] مصححًا من حديث أبي الدرداء أن رجلا آتاه فقال: إن لي امرأة، وإن أمي تأمرني بطلاقها. قال أبو الدرداء: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» ".

ورويناً فيه مصححًا من حديث البراء بن عازب مرفوعًا: «الخالة بمنزلة الأم»[٣] وهو دال علىٰ تقارب مراتب الرحم. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها: حديث أصحاب الغار، وحديث جريج، وسيأتيان. وفي الأول استجابة دعاء من برَّ والديه حتىٰ انفرجت بهم صخرة[٤]، وفي الثاني أنطق الله ابن الراعي ببراءته لبركة عمارة باطنه بالبرِّ. ومن أهمهما حديث عمرو بن عبسة الطويل المشتمل علىٰ جمل كثيرة من قواعد الإسلام وآدابه، وسيأتي في باب الرجاء، وفيه قال: " دخلت

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٣٨) كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، والترمذي في سننه (١١٨٩) كتاب الزكاة، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته، وابن ماجه في سننه (٢٠٨٨)كتاب الطلاق، باب الرجل يأمره أبوه أن يطلق امرأته، والنسائي في سننه (٦/ ٦٧ -١٧٠ . المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣، ٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٤، ١٥٥)، وابن حبان في صحيحه (١٥٩، ٢٠٢٤. الموارد) .

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، وابن ماجه في سننه (٢٠٨٩، ٣٦٦٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٩٦، ٦/ ٤٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٣)، والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤٦٩) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩٩) كتاب الصلح، [٦] باب كيف يكتب : " هذا ما صالح فلان ابن فلان،وفلان ابن فلان " ولم ينسب إلى قبيلته أو نسبه، وأبو داود في سننه(٢٢٨٠)، والترمذي في سننه (١٩٠٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في بر الخالة، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٧٣) .

(٤) حديث الغار الشهير قال النووي ؛ استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالىٰ به ؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم، وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين، وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم . .(النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٧)طبعة دار الكتب العلمية) .

علىٰ رسول الله ﷺ بمكة . يعني في أول النبوة . فقلت له: ما أنت؟[١] قال: «نبي». قلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله». قلت: بأي شيء؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسْر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله لا يُشرك به شيء» "[٢]وذكر تمام الحديث، وناهيك بهذا. وحاصل هذه الأحاديث بيان مرتبة البِرِّ ومنزلة الأبوة وبيان أهل البر والصلة وخاصتهما ونتائجهما وما يُرغِّب فيها ويغري بها وأحق الناس وشدَّة عين من قوَّمها، ولاسيما إن وصلته رحمه، وأنواع من الصلة وفائدتها ونفعها إن عاجلا وآجلا والتنبيه علىٰ ما يظن أنه صلة وليس كذلك، وأرجحية الصلة علىٰ كل صدقة ومعروف وما يظن مانعا منها ككفر أو قصد تصدق وليس مانعا، وعظيم موقعها عند العقلاء ومحلها، وما يظن أنه ليس بصلة، وأنها من أسباب دخول الجنة مضاعفة الصدقة، وتأكيد إيثار الرحم علىٰ حفظ النفس، وتفاوت مراتب الرحم، واستجابة دعاء الباب الوصول، وخرق العادة لمن يعرض علىٰ البر وهو من قصده، وأنه الرسالة الإلهية وناهيك بذلك.

وحكي أن الله . سبحانه . أوحىٰ إلىٰ سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلىٰ ساحل البحر تنظر عجبا، فخرج ومن معه من الجن والإنس، فلما وصل إلىٰ الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئًا، فقال لعفريت معه: غُص هذا البحر ثم ائتني بعلم ما تجده. فغاصه ثم رجع بعد ساعة فقال: يا نبي الله، إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلىٰ قعره ولا نظرت فيه شيئًا. ثم أمر آخر بذلك فأخبره بمثل ما أخبر الأول وغاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخياء . وهو وزيره، وهو المعني بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٣]: ائتني بعلم هذا البحر.

---

(١) قوله: " فقلت له ما أنت " قال النووي: إنما قال: ما أنت، ولم يقل: من أنت؛ لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته، والصفات مما لا يعقل. قوله ﷺ: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» هذا فيه دلالة ظاهرة علىٰ الحث علىٰ صلة الأرحام؛ لأن النبي ﷺ قرنها بالتوحيد ولم يذكر له حزبات الأمور، وأنما ذكر مهمها وبدأ بالصلة. (النووي في شرح مسلم (٦/ ١٠١) طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩٤ .(٨٣٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها،[٥٢] باب إسلام عمرو بن عنبسة، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٥٤، ٦/ ٣٦٩).

(٣) سورة النمل (٤٠). قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنا من الإنس واسمه أسطوم، وقال قتادة في رواية عنه: كان اسمه بليخا، وقال زهير بن محمد: هو رجل من الإنس يقال له ذو النور، وقال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الزهري: قال يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدًا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. (تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦).

فغاص وجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب: باب من دُرٍّ وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد، والأبواب كلها مفتَّحة ولا يدخل فيها قطرة من الماء، وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلَّم علىٰ الشاب وقال له: ما أنزلك في قعر هذا البحر؟!

قال: يا نبي الله، أبي كان رجلا مقعدا، وكانت أمي عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت أمي الوفاة قالت: اللهم أطل عمر ابني في طاعتك. ولما حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ابني في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فيه. فخرجت إلىٰ هذا الساحل بعدما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة فاحتملها وأنزلت في قعر هذا البحر. قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل. فنظر سليمان في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة، وإذا هو شاب لا شيب في لحيته، فقال له سليمان: ما طعامك وما شرابك داخل هذا البحر؟ قال: يا نبي الله، يأتيني كل يوم طائر أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كل شيء من نعيم الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة. فقال له سليمان: تحب أن تقف معنا أو نرُدَّك إلىٰ موضعك؟ فقال: رُدَّني يا نبي الله. فأمر بردِّه مكانه فرده آصف، ثم قال لمن حوله: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين، فأحذركم العقوق. حكاية ثانية عن الأصمعي[1] قال: مات ابن لأعرابية، فما زالت تبكي حتىٰ خدت الدموع في خدها، ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إنك تعلم فرط حنو الوالدين علىٰ ولدهما فلذلك لم تأمرهما ببرهم، وعظمت وزْر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك أمرته ببرِّهما وألزمته طاعتهما، وقد كان ولدي هذا بارا بوالديه فما يكون بر والدين بولدهما، فأخبره عني بذلك صلة ومغفرة ولذّة سرورا ونضرة. فغفر الله له ورحمه بدعاء أمه.

ثالثة: قال بلال الخواص: كنت في تيه بني إسرائيل، وإذا أنا برجل يماشيني فعجبت منه ثم ألهمت أنه الخضر[2]، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مطهر بن رباح بن عمرو، أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري، صدوق سني، أخرج له مسلم في المقدمة وأبو داود والترمذي، توفي سنة (٢١٣، ٢١٦، ٢١٠). «التهذيب (٦/ ٤١٥)، التقريب ١/ ٥٢١».

(٢) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح =

الخضر. قلت: أريد أسألك. فقال: سلْ. قلت: ما تقول في الشافعي؟ فقال: صديق. فقلت: بشر. قال: لم يخلق بعده مثله. فقلت له: بأي وسيلة رأيتك؟ قال ببرِّك لأمك. شعر:

ببر الوالدين أصبت خيرًا ... وصيرني الإله له وليّا

وبوأني[1] به جنات عدن ... وفي الفردوس مشترفا عليّا

وقربني إليه واصطفاني ... وأهدى منه لي لُطفا خفيّا

فلازم برَّهم واحذر تُهنهم ... فطاوع أمرهم ما دمت حيّا

آخره، ولله الحمد.

= والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، (النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية).

(١) بوأ فلانا منزلاً، وفيه: أنزله، والمنزل له أعده، وتبوأ المكان، وبه: نزله وأقام به. وأباء فلانا منزلاً: هيأه له وأنزله.

مجلس من إكرام الضيف

قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾[(١)]. ومنها: النوع النفعي، وقد اشتملت علىٰ وجوه من الإكرام. وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾[(٢)]. ومنها: النوع الرفقي. فكرم الضيفان من السادات وعادات السادات.

وروينا في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[(٣)]. وفيه الحث علىٰ إكرامه والإلزام بحقوقه وإبراره.

وروينا من حديث أبي شريح خويلد بن عمرو مرفوعًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»[(٤)]. أخرجاه. وفي رواية: «لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتىٰ يؤثمه[(٥)]». قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به، فأقلها يوم وأكثرها ثلاث وما زاد صدقة»[(٦)]. فليحذر ذلك الضيف. وورد من حديث علي قال: " أضافنا رسول

---

(١) سورة الذاريات (٢٤). أي الذين أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل. (تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٥)».

(٢) سورة هود (٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١٨) كتاب الأدب [٣١] باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم في صحيحه [٧٤. (٤٧)] كتاب الإيمان [١٩] باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، والترمذي في سننه (٢٥٠٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٥٠]، وابن ماجه (٣٩٧١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٦، ٧/ ٣٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٣٥) كتاب الأدب، [٨٥] باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ورقم (٦٤٧٦) كتاب الرقاق، [٢٣] باب حفظ اللسان، ومسلم في صحيحه [١٤. (٤٨)] كتاب اللقطة، [٣] باب الضيافة ونحوها.

(٥) قوله ﷺ: «ولا يحل له أن يقيم عنده حتىٰ يؤثمه» معناه: لا يحل أن يقيم عنده بعد الثلاث حتىٰ يوقعه في الإثم؛ لأنه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به ما لا يجوز. (النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٨) طبعة دار الكتب العلمية).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥. (٤٨)] كتاب اللقطة، [٣] باب الضيافة ونحوها، وأبو داود =

الله ﷺ على الأسودين؛ الماء والتمر، وقال: «من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم، ومن أضاف اثنين فكأنما أضاف آدم وحواء، ومن أضاف ثلاثة فكأنما أضاف جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن أضاف أربعة فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن أضاف خمسة فكأنما صلى الخمس جماعة من أول يوم خلق الله الخلق، ومن أضاف ستة فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أضاف سبعة أُغلقت عنه أبواب جهنم، ومن أضاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن أضاف تسعة كُتبت له حسنات بعدد من عصا من أول يوم خلق الله الخلق إلىٰ يوم القيامة، ومن أضاف عشرة كتب له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلىٰ يوم القيامة»[(١)] وحكي عن محمد بن سلمان قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف علىٰ الطريق وهو يُمجِّد ربه بأبيات من الشعر، يقول:

مليك في السما فيه افتخاري عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه وسلمت عليه فقال: ما أنا برَادٍّ عليك السلام حتىٰ تؤدي من حقي الذي يجب عليك. قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام علىٰ مذهب الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا أتغدى ولا أتعشى حتىٰ أسير الميل والميلين في طلب الضيف. فأجبته إلىٰ سؤاله فرحب بي وسرت معه حتىٰ قرُبنا من خيمة شعر، فلما قربنا منها صاح: يا أختاه. فأجابته جارية من الخيمة: لبيك يا أخي. قال: قومي إلىٰ ضيفنا. قالت: حتىٰ أبدأ بشكر المولى الرب الذي سبب لنا هذا الضيف. فقامت وصلت ركعتين شكرًا لله، فأدخلني الغلام الخيمة ونامت الصبية داخل الخيمة، فكنت أسمع دوّي القرآن الليل كله بأحسن صوت وأرزنه، فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من كان البارحة؟ قال: تلك أختي تُحيي الليل كله إلىٰ الصباح. فقلت له: يا غلام، أنت أحق بهذا العمل من أختك. فتبسم وقال: صدقت، ويحك يا فتى أما علمت أنه موفق ومخذول؟

حكاية ثانية: عن الشيخ أبي الربيع المالقي قال: سمعت بامرأة صالحة في بعض القرى قد اشتهر أمرها، وكان دأبنا أن لا نزور امرأة، فدعت الحاجة إلىٰ زيارتها للاطلاع علىٰ كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بالغضية، فنزلنا القرية التي هي بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا، فاشترينا قدحًا جديدًا لم يوضع فيه شيء،

= (٣٧٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه (١١٤٣، ٢٠٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٦).

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٢٥٩٧٥).

فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها: نريد أن يظهر لنا ما في هذه الشاة. فأُعطيناها فحلبناها في القدح وشربنا، وإذا هو لبن وعسل، فسألناها عن قصة الشاة فقالت: كانت لنا شويهة ونحن قوم ضعفاء فقراء ولم يكن لنا شيء، فحضرنا العيد فقال لي زوجي - وكان صالحا: نذبح الشاة في هذا اليوم. فقلت له: لا تفعل؛ فإنه رخص لنا، والله يعلم حاجتنا إليها. فاتفق أنه استضاف بنا في ذلك اليوم شخص وقد أُمرنا بإكرامه، فأخذ الشاة فذبحها وأراق دمها، وإذا بشاة نزلت إلىٰ البيت فأخبرته وقال: لعل الله أن يكون أبدلنا خيرًا منها. فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف.

ثالثة: عن الشيخ أبي محمد الجريري قال: حضرني باز أشهب فلم أصده، ولي أربعون سنة أنصب حبلي عليه لعلي أظفر به أو بمثله فما ظفرت، قيل لي: يا أبا محمد، وما هو؟ قال: دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفر اللون أشعث الرأس حاسره حافي القدمين، فجدد الوضوء وصلى ركعتين ثم جلس ووضع رأسه في جيبه إلىٰ المغرب، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك، وإذا رسول الخليفة يستدعينا في دعوة، فقمت إلىٰ الشاب فقلت له: هل لك أن توافقنا إلىٰ دار الخليفة؟ فقال: لا، ولكني أشتهي عصيدة حارة. فطرحت قوله حيث لم يوافقني والتمس شهوة، وقلت في نفسي: هذا قريب عهد بالطريقة لم يتأدب بعد. وتركته ومضيت إلىٰ دار الخليفة فأكلنا ثم تفرقنا آخر الليل، فلما دخلت الرباط رأيته علىٰ تلك الحالة، فجلست علىٰ سجادتي ساعة فلهجت عيناي بالنوم، فرأيت كأن جماعة أقبلوا وإذا بقائل يقول: هذا رسول الله[1] والأنبياء كلهم عليهم السلام. فدنوت وسلمت فولى بوجهه عني معرضا، فكررت عليه وهو يعرض عني ولا يجيبني فخفت من ذلك، فقلت: يا رسول الله، ما الذي أذنبت حتىٰ تُعرِض عني بوجهك؟ قال: «فقير من أمتي اشتهى عليك شهوة فتهاونت فيها». فاستيقظت مرعبا وقمت نحو الفقير فلم أجده، وسمعت صوت الباب فخرجت في طلبه فإذا به قد خرج، فناديته: اصبر حتىٰ نحضر شهوتك التي اشتهيت. فالتفت إليَّ وقال: إذا اشتهى فقير عليك شهوة فلا توصلها إليه حتىٰ يشفع إليك مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي[2] فلا حاجة لي بها. ثم تركني ومضىٰ.

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢٢٧٦) كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني» عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل، والذي رواه ابن =

حكاية رابعة: قال الشيخ أبو عبد الله الدينوري: دخل عليَّ يوما فقير عليه آثار الصبر، فطالبتني نفسي أن لله فيه شيء، فهممت أن أرهن نعلي فمنعتني نفسي من ذلك وقالت: كيف يتم لك طهارة مع الحفاء؟! فهممت أن أرهن ما علىٰ رأسي فمنعتني نفسي أيضًا وقالت: تبقى مكشوف الرأس. فجعلت أُراجعها في ذلك فقام الفقير وشدَّ وسطه وأخذ عصاة بيده، ثم التفت إليَّ وقال: يا خسيس الهمة، احفظ منديلك؛ فأنا خارج عنك. قال: فعقدت مع الله أن لا آكل الخبز حتىٰ ألقاه. فقيل: إنه قام بعد ذلك ثلاثين سنة لم يأكله.

ما يكرم الضيف إلا من له كرم ... ومن علىٰ بابه الأرزاق تقتسم
كرامة الضيف لا تحصى فضائلها ... طوبى[1] لقوم علىٰ إكرامه عزموا
فإنها سنَّة في الناس ما برحت ... فكن بإكرامك الأضياف تلتزم
إن الضيافة بين الناس قد حمدت ... وإن فاعلها في قدره عِظَمُ
لا ينفع المال إلاَّ من يجود[2] به ... وإن كل بخيل ما له قيم
فالمال ينفق إلاَّ في مواضعه ... ومكرم الضيف تزكوا عنده النعم
فليس أفخر من الطعام ذي سغب[3] ... ومن أضرَّ به الإفلاس والعدم
صانع الجود لا شيء يقاس بها ... يثني عليك بها الأعراب والعجم

= مردويه في تفسيره بسنده عن أبي ذر، قال : قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت : يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : «ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير . . . .» الحديث . (تفسير ابين كثير (١/ ٥٨٥» .

(١) طوبى : الطوبى : الحسنى والخير، وفي القرآن ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ .
(٢) جاد جوداً سخا وبذل، ويقال : جاد بماله فهو جواد .
(٣) سَغِبَ : سغباً : جاع مع تعب، فهو سَغِبٌ، وهي سغبة، والمسغبة : المجاعة .

مجلس في فضل الجوع وخشونة العيش

والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرهما من حظوظ النفس وترك الشهوات.

قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾[1]؛ أي من بعد النبيين المذكورين في الآية قبلها، ﴿خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾[2]؛ أي بطنا وفرجا، وهذا عند اقتراب الساعة وذهاب صالحي هذه الأمة، ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[3]؛ أي شرا أو ضلالا عن طريق الجنة، أو وادي بقعر جهنم. وأودية جهنم تستغيث من حرِّه. أعد للزاني المُصرّ والشارب المُدمن وغيرهما. والخَلْف: قوم سوء. وهو بفتح اللام: الصالح. وبالجزم: الطالح. والخلْف بسكون اللام: الرديء من كل شيء. وهم في هذه الآية اليهود ومن لحق بهم، أو في هذه الأمة، ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوها عن مواقيتها. يعني المفروضة. أخَّروها عن مواقيتها وصلُّوها لغير وقتها. وقال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القَصَص: ٧٩] إلىٰ قوله: ﴿صَٰلِحٗا﴾ . وكانت زينته وجاهة وصورًا حسانًا

---

(١) سورة مريم (٥٩) . لما ذكر الله تعالىٰ حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره، ذكر أنه ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ أي قرون أخر ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريَم: ٥٩] وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ؛ لأنها عماد الدين وقوامه، وخير أعمال العباد، وأقبلوا علىٰ شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيا : أي خساراً يوم القيامة . (تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١) .

(٢) قال علي بن طلحة عن ابن عباس : ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريَم: ٥٩] أي خسرانا، وقال قتادة : شراً . وعن ابن مسعود قال : واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم، وعن أبي عياض : واد في جهنم من قيح ودم (مختصراً من تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢) .

(٣) سورة القصص (٧٩، ٨٠) . يقول تعالىٰ مخبرا عن قارون أنه خرج ذات يوم علىٰ قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، فقالوا : ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ أي ذو حظ وافر من الدنيا، فلما سمع مقالتهم أهل العلم قالوا لهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [القَصَص: ٨٠] (تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٤).

ومواكب وزخرفًا وأرجوان. وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[١] . وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾[٢]الآية. فلم يظفر ببغيته كلها، بل بما شاء الله منها أو من غيرها لا غير، أو لا يظفر بشيء أصلا إنما المرزوق من يؤيده الله، أو يظفر بذلك كله ثم يكون عليهم حسرة. ومآل من يريد العاجلة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] مطرودا من الرحمة، ومريدها من عقدها همته كأكثر الفسقة والغافلين، وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمُرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر ونحو ذلك. ولنذكر بعد ذلك أحاديث فيها بيان أهل التقلل من الحظوظ ومسهلات التحقيق، وبيان فوائده ومدح القوت وأن فقده شديد وبلوغه لا مشقة معه، وذم الزيادة عليه والتعريف بنعمة قوت يوم، وفضل الكفاف بأوجه ما يرغب أبناء الدنيا والأخرى. ومرتبة الخصاصة وشرف أهلها وذم الشبع وما ينفر منه ويزجر عنه وحد ما ينبغي أن ينتهي إليه إلاَّ شدَّة. وأن البذاذة من الإيمان فالعدول عنه ضلال، وأن كل حال من سعة أو تقتير له حكمة مع القصد في السعة أيضًا وغير ذلك. وجماعها نيف وثلاثون حديثا.

أولها: حديث عائشة قالت: " ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتىٰ قُبض "[٣]. أخرجاه. وفي رواية: " ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليال تباعا حتىٰ قُبض "[٤]. ونفي الشبع لا يثبت الجوع، والوسط هو الاختيار.

---

(١) سورة التكاثر (٨) .

(٢) سورة الإسراء (١٨) . يخبر تعالىٰ أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله، ومن يشاء، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الأيات ؛ فإنه قال : ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ أي في الآخرة ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ أي يدخلها حتىٰ تغمره من جميع جوانبه ﴿مَذْمُومًا﴾ أي في حال كونه مذموما علىٰ سوء تصرفه وضيعه، إذ اختار الفاني علىٰ الباقي ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدًا مقصيًا حقيرًا ذليلًا مهاناً . (تفسير ابن كثير(٣/ ٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٤)كتاب الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [٢٢ . (٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق في المقدمة، والترمذي في سننه (٢٣٥٧)، وابن ماجه في سننه (٣٣٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٩٣، ٥٢٣٧) .

(٤) أخرجه البخاري(٦٤٥٤) في الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [٢١ .(٢٩٧٠)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، وابن ماجه (٣٣٤٣،٣٣٤٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٧٨) .

ثانيها: حديث عروة عنها أنها كانت تقول[1]: " والله يا ابن أختي إن كُنَّا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهِلَّة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار " . قال: قلت: يا خالة، فما كان يُعِيشُكُم؟ قالت: " الأسودان؛ التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلىٰ رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناها " . أخرجاه. فنفي الشبع في الأول دال علىٰ تقلل المأكول، ونفي الاتقاد دال علىٰ خشونة العيش.

ثالثها: حديث أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه مَرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل وقال: " خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع "[2]. الخبر أخرجه البخاري. ومصلية بفتح الميم: أي مشوية. وفيه من المسهلات الاتباع والاقتداء، وفيه روائح ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] .

رابعها: حديث أنس: " لم يأكل رسول الله ﷺ علىٰ خوان حتىٰ مات، وما أكل خبزا مرققا حتىٰ مات "[3]. أخرجه البخاري. وفي رواية له: " ولا رأىٰ شاة سميطا بعينه قط "[4]. وفيه مسهل واتباع.

خامسها: حديث النعمان بن بشير قال: " لقد رأيت النبي ﷺ وما يجد من الدَّقَل ما يملأ به بطنه "[5]. أخرجه مسلم، والدقل: تمر رديء. وهو مسهل أيضًا فلا يبقى مالا لغيره ضرورة، فمن العصمة أن لا يجد ولا الدقل.

سادسها: حديث سهل بن سعد: " ما رأىٰ رسول الله ﷺ النقى من حين ابتعثه الله حتىٰ قبضه الله. فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه "[6]. أخرجه البخاري. النقى: الخبز الحواري

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٥٩) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [٢٨ . (٢٩٧٢)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤١٤) كتاب الأطعمة، [٢٤] باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٠) كتاب الرقاق، (١٦)باب الفقر، والترمذي (٣٦٣، ١٧٨٨)، وابن ماجه (٣٢٩٢) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٧) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ .

(٥) أخرجه: مسلم في صحيحه [٣٦ . (٢٩٧٨)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، والترمذي (٢٣٧٢)كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ . قال النووي : الدَّقَل : هو بفتح الدال والقاف وهو تمر رديء .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤١٣) كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، =

وهو الدرمك، وثريناه بالنار وعجناه. وفيه مسهل وهو التعمد عن مخالطة المسرفين مما لا شعور به من نقى وآلة له وأشباه ذلك ما أسهل اجتنابه، بل في كونه يسمى اجتنابا ما فيه.

سابعها: حديث أبي هريرة: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا». فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا[1] فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله[2] ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب. فقال: كلوا من هذه. وأخذ المُدْيَةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب». فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هذا النعيم»[3] أخرجه مسلم. ومعنىٰ يستعذب: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. والعَذق بفتح العين وإسكان الذال المعجمة وهو الكباسة

= والترمذي في سننه (٢٣٦٤) كتاب الزهد، [٣٨] باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه مالك بن أنس عن أبي حازم .

(١) الأنصاري هو أبو الهيثم مالك بن التيهان، وقول المرأة: " مرحبا وأهلا " كلمتان معروفتان للعرب، ومعناهما صادفت رحبا وسعة وأهلا تأنس بهم،وفيه استحباب إكرام الضيف بهذا القول وشبهه، وإظهار السرور بقدومه وجعله أهلا لذلك، كل هذا وشبهه إكرام للضيف، وفيه جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة، وجواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علما محققا أنه لا يكرهه، بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٠ ، ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) فيه فوائد، منها : استحباب حمد الله تعالىٰ عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة،وفي غير ذلك من الأحوال، وقد جمعت من ذلك قطعة صالحةفي كتاب الأذكار، ومنها : استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالىٰ، وهو يسمع علىٰ حصول هذه النعمة والثناء علىٰ ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٢)طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٠ . (٢٠٣٨)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تماما واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام، وابن ماجه (٣١٨٠، ٣١٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٥٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣٦ . موارد) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣١٧، ٣١٨) .

وهو الغصن. والمُدْيَةُ. بضم الميم وكسرها: السكين. والحلوب: ذات اللبن. والسؤال عن النعيم[(١)] سؤال تعديد لا سؤال توبيخ وتعذيب. وفيه من فوائد الجوع ثلاثة؛ معرفة قدر نعمة الله في رزقه، وتعظيم شكره، وإدخال السرور علىٰ قلب المَزور وتكثير الأجر له، ووجدان حرقة الجوع وألم المخرج من البيت، فبئس الضجيع. وفي ذلك من انكسار النفس وخضوعها واستصغار الحاجة والفاقة ما يدفع طغيانها ويردها إلىٰ العبودية التامة أعظم رد، ومحال عليها أن تنازع الربوبية في إزارها أو ردائها ونحو ذلك ما ينشبه من عرفان كماله. وهذا الأنصاري الذي لقوه هو الهيثم بن التيهان، كذا جاء في رواية الترمذي وغيره.

وثامنها: حديث خالد بن عمير العدوي قال: " خطبنا عتبة بن غزوان. وكان أميرا علىٰ البصرة. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصُرم[(٢)] وولت حَذَّاء، ولم يبق منها إلاَّ صُبَابَة كصُبَابَة الإناء يتصابُّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم؛ فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرًا، ووالله لتملأنَّ، أفعجبتم؟

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلاَّ ورق الشجر حتىٰ قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك[(٣)] فاتَّزرت بنصفها واتَّزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منَّا أحد إلاَّ أصبح أميرا علىٰ مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلاَّ تناسخت حتىٰ يكون آخر عاقبتها ملكًا فستخبرون وتجربون

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٣٥٨٩ في تفسير القرآن، من سورة التكاثر، عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة. يعني العبد. من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد» .

(٢) أما آذنت فبهمزة ممدودة وفتح الذال : أي أعلمت، والصرم بالضم : أي الانقطاع والذهاب، وقوله : حذاء : بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة وألف ممدودة : أي مسرعة الانقطاع، والصبابة، بضم الصاد :/ البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء، وقوله : يتصابها أي يشربها، وقعر الشيء أسفله، والكظيظ الممتلئ .[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٠)] .

(٣) هو سعد بن مالك بن أهيب، أبو إسحاق القرشي الزهري، وهو سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين، صحابي مشهور، أول من رمى بسهم في سبيل الله، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥١) . [انظر التهذيب (٣/٤٨٣)، التقريب (١/ ٢٩٠)] .

الأمراء بعدنا "(١). أخرجه مسلم. آذنت. بمد الألف: أعلمت. وقوله: بصُرم؛ هو بضم الصاد المهملة: المنقطعة السريعة. وقوله: يتصابُّها؛ هو بتشديد الباء قبل الهاء، أي يجمعها. والكظيظ: الكثير الممتليء. وقَرِحت: بفتح القاف وكسر الراء، أي صار فيها قروح. وفيه فائدة رابعة وهو ما يشعر به الجوع من معنى، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٢) فلو لم تقرح أشداقهم ما صاروا أمراء الأمصار، فيصير أهل الفاقة يملكون مفاتيح الخير؛ فالصبر مفتاح الفرج ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ (٣) الآية. ولله الحمد.

تاسعها: حديث أبي موسى الأشعري قال: " أخرجت لنا عائشة كساء وإزارًا غليظًا، قالت: قُبض رسول الله ﷺ في هذين "(٤) أخرجاه. ففائدة تقلل السادات سلوة الضعيف وانجبار المكسور، وقد قال الأئمة: حُرِّمت أواني النقدين لكسر قلوب الفقراء.

عاشرها: حديث سعد بن أبي وقَّاص: " إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام نأكله إلاَّ ورق الحُبْلَة وهذا السمر، حتىٰ إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خِلْط "(٥) أخرجاه. والحُبْلَة بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة، وهي والسمر نوعان معروفان من شجر البادية. وفيه أن اعتياد الخشونة تسهل العزبة في طلب محاب الله ومراضيه، وأما الترفه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ .(٢٩٦٧)]كتاب الزهد والرقائق في مقدمته . وحديث : «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعون سنة»أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤٣) .

(٢) سورة القصص(٥) .

(٣) سورة الأنفال (٢٦) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨١٨) كتاب اللباس، [١٩] باب الأكسية والخمائص، ومسلم في صحيحه [٢٤. (٢٠٨٠)]، [٣٥] كتاب اللباس، [٦] باب التواضع في اللباس والاقتصار علىٰ الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما . قال النووي : هذه الأحاديث المذكورة في الباب ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه، واجتزائه بما يحصل به أدنى التجزئة في ذلك كله، وفيه الندب للاقتداء به ﷺ في هذا وغيره .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٨) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [١٤] باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، ورقم (٦٤٥٣) كتاب الرقاق، [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [١٢. (٢٩٩٦)] كتاب الرقائق في مقدمته، والترمذي في سننه (٢٣٦٦) كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ .

فاعتياده مضيع لكثرة الخيرات، ومتى تصل الفاقة إلىٰ تقوُّت ورق الحُبْلة والسمر متى يعقد مثله.

الحادي عشر: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[(١)] أخرجاه. أي ما يسد الرمق، قاله أهل اللغة والغريب. أي لا ناقصا عنه ولا زائدا عليه، وهو ترغيب[(٢)] بديع ومدح مُطْر، لا سيما إذا بلغ معه وإذا سألت فأعظم الرغبة فإنه يظهر به البرهان.

الثاني عشر: حديث أبي هريرة قال: " والله الذي لا إله إلاَّ هو إن كنت لأعتمد بكبدي علىٰ الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر علىٰ بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلاَّ ليُشْبِعَني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلاَّ ليُشْبِعَني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق». ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أوفلانة. قال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق إلىٰ أهل الصُّفَّة[(٣)] فادعهم لي».

قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام لا يأوُون إلىٰ أهل ولا مال ولا علىٰ أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة، كنت أحق أنا أن أُصيب من هذا اللبن شَربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٦٠) كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا، ومسلم في صحيحه [١٨. (١٠٥٥)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، وابن ماجه (٤١٣٩)، والترمذي في سننه (٢٣٦١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٦، ٤٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤)، والبيهقى في سننه (٢/ ١٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٥٢) .

(٢) قوله ﷺ :«اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» قيل كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى " كفافا " وقيل : هو سد الرمق . [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) الصفة : مكان مظلل في مسجد المدينة المنورة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين، ويرعاهم الرسول ﷺ، وهم أهل الصفة . وهذا الحديث أخرجه البخاري، وسيأتي في آخره، وكذلك أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٥١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٣) .

بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «يا أبا هرّ». قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «خُذْ فأعطهم». قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروى ثم يرُد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتىٰ يروى ثم يرُد عليَّ القدح فيشرب حتىٰ يروى ثم يرد علي القدح، حتىٰ انتهيت إلىٰ النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه علىٰ يده فنظر إليَّ فتبسم فقال: «أبا هِرّ». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت». قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب». فقعدت فشربت، فقال: «اشرب». فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتىٰ قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا. قال: «فأرني». فأعطيته القدح فحمد الله وسمَّى وشرب الفضلة " . أخرجه البخاري[1] وفيه بيان ما يؤدي إليه نقص ذلك من الشدة والألم والذِّلَّة والتعوق عن الخيروأنواع الهلع والمنافسة ونحو ذلك، فأي شدَّة كموجب وضع الكبد علىٰ الأرض والاعتماد بها عليها؟! وأي ألم كموجب شدِّ الحجر علىٰ البطن؟! وأي ذِلَّة وتشاغل كالقعود علىٰ طرق المارة للاستعطاء؟! وأي هلع كقوله: فساءني ذلك؟! وأي منافسة كقوله: كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها؟! فلله دُرَّهُم بصائر مثل هذا من أجل صحبة نبي الله واقتباس دين الله والحرص علىٰ مراضي الله. ولقد شكر العظيم له ذلك بجبر كسره ورفع قدره وإعلاء ذكره ورزقه الإمرة مع أنه ﷺ كان قادرا علىٰ الصفق في الأسواق كغيره، لكن آثر الصحبة ولو جرى ما جرى.

الثالث عشر: حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: " لقد رأيتني وإني لأخرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلىٰ حجرة عائشة مغشيًّا عليَّ فيجيء الجائي فيضع رجله علىٰ عنقي ويرى أني مجنون وما بي جنون، ما بي إلاَّ الجوع "[2]. أخرجه البخاري. وفيه بيان ما هو أشد من ذلك من زوال العقل وسقوط القوى رأسًا.

الرابع عشر: حديث عائشة قالت: " توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير "[3]. أخرجاه. وفيه بيان ما يؤدي إليه من الدين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٢) في الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣٢٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٦] باب ما ذكر النبي ﷺ وحض علىٰ اتفاق أهل العلم، والترمذي في سننه (٢٣٦٧) كتاب الزهد [٣٩] باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٠٩) كتاب الرهن، [٢] باب من رهن درعه، وابن أبي شيبة في =

والرهن، والدين عديل الكفر مع تشديدات فيه شهيرة.

الخامس عشر: حديث أنس قال: " رهن رسول الله ﷺ درعه بشعير، ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنِخة، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد ﷺ إلاَّ صاع ولا أمسى، وإنهم لتسعة أبيات». "[١]أخرجه البخاري. الإهالة . بكسر الهمزة: الشحم الذائب. والسنخة بالنون والخاء المعجمة، وهي المتغيرة. وفيه ما يؤدي إليه من رقة قلوب الأحباب المولهة بحيث يسهل في حبها مواجهة الكبير بخبز الشعير وإهالة سنخة، ولولا عاقبتها المحمودة . كما تقدم . لما حمدت مصابرتها ولا مصابرة واحد من ذلك.

السادس عشر: حديث أبي هريرة قال[٢]: " لقد رأيت سبعين من أصحاب الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته ". أخرجه البخاري. وفيه بيان سهولة الأمر مع القوت، فأي محذور نال أصحاب الصفة في فقدهم الأردية بعد أن وجدوا سدادًا من عيش؟

السابع عشر: حديث عائشة قالت: " كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوُهُ من ليف "[٣] رواه البخاري.

الثامن عشر: حديث ابن عمر: " كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أخا الأنصار، كيف أخي سعد بن عبادة؟» فقال: صالح. فقال رسول الله ﷺ: «من يعوده منكم؟» فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قُمُص[٤]،

= مصنفه (٦/ ٥٧٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٧١٦)، وفي دلائل النبوة (٧/ ٢٧٤) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٠٨) كتاب الرهن [١] باب في الرهن في الحضر وقول الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٣] ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٢٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٣٢) كتاب الصلاة، [٥٨] باب نوم الرجل في المسجد، وروى البخاري تعليقا في الباب : وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : كان أصحاب الصفة الفقراء .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥٦)، كتاب الرقاق [١٧] باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا،وأحمد في مسنده (٧/ ٧٣) .

(٤) قوله : " ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص " فيه ما كانت الصحابة من الزهد في الدنيا والتقلل منها وإطراح فضولها وعدم الاهتمام بفاخر اللباس ونحوه، وفيه جواز المشي حافيا وعيادة الإمام والعالم المريض مع أصحابه . [النووي في شرح مسلم (٦/ ٢٠١) طبعة دار الكتب العلمية] .

نمشي في تلك السِّباخ حتىٰ جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتىٰ دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه "(١) أخرجه مسلم. وأي مشقة في فقد النعال وما ذكر معه.

التاسع عشر: حديث عمران بن الحصين مرفوعًا: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة. «ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن»(٢) أخرجاه. وفيه بيان ما يؤدي إليه الزائد عن القوت من السمن المذموم والمتعب المقرون بما واسطة عقده يخونون ولا يؤتمنون.

العشرون: حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم، إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسك شر لك، ولا تلام علىٰ كفاف وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»(٣) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه بيان ما يؤدي إليه إمساك الفضل الذي هو شرٌّ لابن آدم دينا ودنيا، وما زاد علىٰ المهم ملوم عليه ما لم يتقرب به سواء تناولته حتىٰ سمنت أو أمسكته وبخلت به علىٰ نفسك وغيرك، ولا تلام علىٰ كفاف فهو الحسنة بين السيئتين الغلو والتقصير.

الحادي بعد العشرين: حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري والخطمي مرفوعًا: «من أصبح منكم آمنا في سِرْبه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣. (٩٢٥)] كتاب الجنائز، [٧] باب في عيادة المرضى.
قال النووي : قال جمهور العلماء في معنى هذا الحديث : المراد بالسمن هنا كثرة اللحم، ومعناه أنه يكثر ذلك فيهم، وليس معناه أن يتمحضوا سمانا، قالوا : والمذموم منه من يستكسبه، وأما من هو فيه خلقة فلا يدخل في هذا، والمكتسب له المتوسع في المأكول والمشروب زائدا علىٰ المعتاد . وقيل : المراد بالسمن هنا أنهم يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وغيره، وقيل : المراد جمعهم الأموال .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٥٠) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [١] باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ومسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٣٥)] كتاب فضائل الصحابة، [٥٢] باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، والنسائي (٧/ ١٧، ١٨. المجتبى)، وأحمد ين حنبل في مسنده (١/ ٤٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٧٤، ١٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٩١) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٣) كتاب الزهد، باب منه [٣٢] ما جاء في الزهادة في الدنيا .
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه [٩٧. (١٠٣٦)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة ، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠، ٢/ ٤٩) .

حيزت له الدنيا»[١] أخرجه الترمذي وحسنه. وسربه. بكسر السين المهملة: نفسه. وقيل: قومه. ويروى بفتح السين؛ أي ملكه وطريقه. قال الجوهري: هو بالفتح: الإبل وما رعى من المال، والإنسان ابن وقته، وهَمّ الغد، عناء الأمن والعافية. وحصول القوت اليومي كحيازة الدنيا كلها؛ إذ مالك الدنيا كلها إنما ينال منها قوته.

الثاني بعد العشرين: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقنَّعه الله بما أعطاه»[٢] أخرجه مسلم. ففيه تعريف من حصل له ذلك، فما أعظم ذلك من نعمة، سعادة الدين بإسلامه، والدنيا بكفاية المؤمن وإراحة القناعة لنا له. وما أجمع قوله: «قد أفلح».

الثالث بعد العشرين: حديث فضالة بن عبيد الله الأنصاري مرفوعًا: «طوبى لمن هُدِي للإسلام وكان عيشه كفافًا وقنع»[٣] رواه الترمذي وصححه. فطوبى له: أي ما أطيب عيشه دنيا وأخرى، ولا ترغيب في الكفاف كهذا وإياك والفضول إياك، ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾[٤] الآية.

الرابع بعد العشرين: حديث ابن عباس: " كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير "[٥]أخرجه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٦) كتاب الزهد، باب [٣٤]، وابن ماجه في سننه (٤١٤١) كتاب الزهد، باب القناعة، والشجري في أماليه (٢/ ١٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٨٧، ٢٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، والخطيب في تاريخ بغداد(٦/ ١٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٠٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٩) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٥ - (١٠٥٤) كتاب الزكاة، ٤٣- باب في الكفاف والقناعة. ، والترمذي في سننه (٢٣٤٨ كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه.
وابن ماجة في سننه (٤١٣٨ كتاب الزهد، ٩- باب القناعة ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦) ، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩، ٤/ ١٦٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٤٩) كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وأحمد في مسنده (٦/ ١٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤١. الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٥٨، ٩/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦١)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٦) .

(٤) سورة التوبة (٨٥) .

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٦٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، وابن ماجه في سننه (٣٣٤٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٢٥٥، ٣٧٤)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٢١)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٨٧) .

الترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه أن تأخير الوقت كترك العشاء، ورداءة النوع لا ينافي الكفاف الممدوح.

الخامس بعد العشرين: حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه " أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس تخرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصَاصَة وهم أصحاب الصُّفَّة حتىٰ يقول الأعراب: هؤلاء مجانين. فإذا صلى رسول الله انصرف إليهم فقال: «لو علمتم ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة» "[(١)] . رواه الترمذي وصححه. والخصَاصَة: الفاقة والجوع الشديد. وفيه بيان مرتبة الخصاصة المتحمَّلة من أجل الله ومن أعظم شأنها وحب إبهامها فلم يعبر عنها إلاَّ بقوله: «لو تعلمون» إلىٰ آخره.

السادس بعد العشرين: من حديث المقدام بن معدي كرب مرفوعًا: «ما ملأ آدميٌّ وعاء شرًّا من بطنٍ بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلثٌ لِنَفَسِهِ»[(٢)] رواه الترمذي وحسنه. وأكلات: أي لُقَم. وفيه ذم الشبع بأبلغ زاجر وأشد محذِّر، وأكثر ما ينبغي الشرّ له ما قسَّمه أثلاثا. وفيه من الإيضاح والحكم ما هو ظاهر عند الفطن.

السابع بعد العشرين: حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي[(٣)] قال: " ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون ألا تسمعون، إن البَذَاذَةَ من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»[(٤)] يعني

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٦٨) كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، وأحمد في مسنده (٦/ ١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣١٠، ٣١١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣٨. الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢١٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٨٥)، وأحمد في الزهد (٣٦) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٨٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، والنسائي في الكبرى، في الوليمة، باب ذكر الذي يستحب للإنسان من الأكل، وابن ماجه (٣٣٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦)، وابن حبان في صحيحه (١٣٤٨) .

(٣) إياس بن ثعلبة، أبو أمامة البلوي الأنصاري الحارثي، حليف بني حارثة، قيل اسمه إياس، وقيل عبد الله بن ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث واحد، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

ترجمته : تهذيب التهذيب (١/ ٣٨٧)، تقريب التهذيب (١/ ٨٧)، والوافي بالوفيات (٩/ ٤٦٢)، والإصابة (١/ ٦٦٤)، والاستيعاب (١/ ١٢٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٦١) كتاب الترجل في مقدمته، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٤٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٤١) .

التقحُّل. أخرجه أبو داود. والبذاذة. بفتح الباء والذالين المعجمتين: رثاثة الهيئة وترك فاخر الثياب. والتقحُّل بالقاف والحاء، قال أهل اللغة: هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه. وفيه مدح البذاذة والتعويض بأن التَّرَفُّهَ مجانب للإيمان، وهو كذلك، فطوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد يوم لم يره.

الحديث الثامن بعد العشرين: حديث جابر بن عبد الله قال: " بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عير قريش وزوَّدنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة[(١)] قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمَصُّها كما يَمَصُّ الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلىٰ الليل، وكنا نضرب بعصيِّنا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله. قال: وانطلقنا إلىٰ ساحل البحر . .. فذكر قصة العنبر الذي أكلوا منه وتزودوا "[(٢)] أخرجه مسلم. والجِراب بكسر الجيم أفصح من فتحها. ونمَصُّها بفتح الميم، والخَبَطُ: ورق معروف. وفيه معرفة قوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطّلَاق: ٧] [(٣)] الآية. فأبو عبيدة لما قدِرَ عليه رزقه صرفه تمرة تمرة فمضت، ولما وُسِّعَ عليهم بالعنبر أكلوا منه حتىٰ سمنوا وتزودوا، فالتقلل[(٤)] مراتب ولكل مرتبة أحوال تناسبها.

الحديث التاسع بعد العشرين: حديث أسماء بنت يزيد قالت: " كان كُمُّ رسول الله ﷺ إلىٰ الرُّصْغ "[(٥)]رواه أبو داود والترمذي وحسنه. والرُّصغ بالصاد. وهو بالسين أيضا: المفصِل بين الكف والساعد. فالقصد في الفقر والغنى مطلوب لا في

---

(١) أما إعطاء أبي عبيدة إياهم تمرة فإنما كان في الحال الثاني بعد أن فني زادهم وطال لبثهم، والظاهر أن قوله: تمرة تمرة إنما كان بعد أن قسم عليهم قبضة قبضة، فلما قل تمرهم قسمه عليهم تمرة تمرة ثم فرغ وفقدوا التمر ووجدوا الماء لفقدها وأكلوا الخبط إلى أن فتح الله عليهم بالعنبر . [النووي في شرح مسلم (١٣/٧٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧. (١٩٣٥)] كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان،[٤] باب إباحة ميتات البحر،وأبو داود في سننه (٣٨٤٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٩٤، ٩/ ٢٥١) .

(٣) سورة الطلاق (٧) .

(٤) في هذا بيان ما كان الصحابة عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر علىٰ الجوع وخشونة العيش وإقدامهم علىٰ الغزو مع هذا الحال .
[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٧٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٢٧) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والترمذي في سننه (١٧٦٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والنسائي في الكبرى، كتاب الزينة، باب لبس القميص، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٢٩) .

الفقر وحده كان له إلىٰ رصغه اقتصاد لا عجز.

الحديث الثلاثون: حديث جابر في حفر الخندق قال: " إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْيَةٌ شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا. ثم ذكر قصة طحن الشعير وذبح العناق وأكل الخندق وهي علىٰ حالها "(١) أخرجاه بطوله. والكُدْيَةُ: صلبة لا يعمل فيها الناس. وفيه بيان بركة حرهم ثلاثا ولم يذوقوا ذواقا، فمنها الرزق الكافي من حيث لا يحتسب كما أجزأه علىٰ يد جابر(٢) وقلب قلبه إليه، ومنها خرق العادة وتكثير القليل وإظهار الكرامة الغريبة.

الحديث الحادي بعد الثلاثين: حديث أنس قال: " قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع. وفي رواية: عصب بطنه بعصابة من الجوع. فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصا من شعير ثم عصرت عليه عكة فآدمته، وقال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، فأكل منه عشرة عشرة حتىٰ أكلوا أجمع والقوم سبعون رجلا أو ثمانون ولم ينقص "(٣) أخرجاه بطوله. وفي رواية قالت: عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قَلَّ عنهم . .. وساق الحديث. وفيه من الأعلام ما لا يخفىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٠١) كتاب المغازي، [٣١] باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ومسلم في صحيحه [١٤١. (٢٠٣٩)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلىٰ دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام .

(٢) في حديث جابر أنواع من الفوائد وجمل من القواعد، منها : الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله ﷺ من تكثير الطعام القليل ونبع الماء، وتكثيره، وتسبيح الطعام وحنين الجذع، وغير ذلك مما هو معروف . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٨٤)طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٧٨) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه [١٤٢ .(٢٠٤٠)] كتاب الأشربة، [٢٠] باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ويتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع علىٰ الطعام، والترمذي في سننه (٣٦٣٠) كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله عز وجل به .

مجلس في القناعة والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] فالرزق مضمون، والضامن مكَّن. وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2] إلىٰ قوله: ﴿إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣] . وفيها مقتضى الآية السالفة ولازمه، فإذا فقد فالإجمال في الطلب لا يسألون الناس إلحافا وإذا وجدوا الاقتصاد، إذ الإسراف مذموم ولعله يكون سببًا لقطع أو لا يخلفه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[3]. والتنفير ذمَّه سبحانه وتعالى؛ فإنه الجواد الماجد ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[4] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[5] قلت: وذلك الحسنة بين السيئتين. وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٦] .

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، إنما الغنى غنى النفس»[6] أخرجاه. والعَرَضُ. بفتح العين والراء: المال.

---

(١) سورة هود (٦) .
أخبر تعالىٰ أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها، بحريها وبريها، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها، أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهي مستودعها . [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٧)] .

(٢) سورة البقرة (٢٧٣) .

(٣) سورة النساء (٥) .
ينهي سبحانه وتعالىٰ عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما؛ أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن ههنا يؤخذ الحجر علىٰ السفهاء، وهم أقسام، فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للمجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه . [تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٢)] .

(٤) سورة سبأ (٣٩).   (٥) سورة الفرقان (٦٧) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٤٦) كتاب الرقاق، [١٥] باب الغنى غنى النفس، ومسلم في صحيحه [١٢٠. (١٠٥١)] كتاب الزكاة، [٤٠] باب ليس الغنى عن كثرة العرض، والترمذي =

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه»[(١)] أخرجه مسلم، وقد سلف فيما مضى.

وروينا من حديث حكيم بن حِزام رضي الله عنه قال: " سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس[(٢)] لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك حتىٰ أفارق الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أُشهدكم علىٰ حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتىٰ توفي"[(٣)] أخرجاه. ويرزأ . براء ثم زاي ثم همزة: أي لم يأخذ من أحد شيئًا. وأصل الرزء النقصان، أي لم ينقص أحدا شيئًا بالأخذ منه. وإشراف النفس تطلُّعها وطمعها بالشيء، وسخاوة النفس هي عدم الإشراف إلىٰ الشيء والطمع فيه والمبالاة فيه والشدة.

(٢٣٧٣) في الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، وابن ماجه (٤١٣٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٣، ٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٢٠. الموارد) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (١٠٥٤)] كتاب الزكاة، [٤٣] باب في الكفاف والقناعة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٦٨، ١٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩، ٤/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٧، ٣٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٩)، والزبيدي إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٥٩) .

(٢) قوله ﷺ : «فمن أخذها بطيب نفس بورك له فيه . . . .» قال النووي : قال العلماء : إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه، وأما طيب النفس فذكر القاضي فيه احتمالين : أظهرهما: أنه عائد علىٰ الآخذ، ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بورك له فيه، والثاني : أنه عائد إلى الدافع، ومعناه : من أخذه ممن يدفع منشرحا بدفعه إليه طيب النفس لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه . [النووي في شرح مسلم (٧/ ١١٢، ١١٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٤٣) كتاب فرض الخمس، [١٩] باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ورقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق، [١١] باب قول النبي ﷺ : «هذا المال خضرة حلوة»، ومسلم في صحيحه [٩٦. (١٠٣٥)] كتاب الزكاة [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، والترمذي (٢٤٦٣) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٠٢) .

وروينا من حديث أبي يزيد عن أبي موسى الأشعري قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري، فكنا نلف علىٰ أرجلنا الخِرَق فسميت غزوة ذات الرِّقاع[١] لما كنا نُعصِّب علىٰ أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره؟! قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه "[٢] أخرجاه[٣].

وروينا من حديث عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ أُتِيَ بمال أو شيء فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذي ترك عتبوا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطى، ولكني أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأَكِل أقواما إلىٰ ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب». فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله حُمر النعم "[٤] أخرجه البخاري. والهلع: هو أشد الجزع، وقيل: هو الضجر.

وروينا من حديث حكيم بن حِزام مرفوعًا: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعفه الله ومن يستغن يُغنه الله»[٥] أخرجاه، والسياق للبخاري.

---

(١) قوله: " فسميت ذات الرقاع لذلك " هذا هو الصحيح في سبب تسميتها، وقيل: سميت بذلك بجبل هناك فيه بياض وسواد وحمرة، وقيل: سميت باسم شجرة هناك، وقيل: لأنه كان في ألويتهم رقاع، ويحتمل أنها سميت بالمجموع. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) قوله: " وكره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه " فيه استحباب إخفاء الأعمال الصالحة وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالىٰ، ولا يظهر شيئًا من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء، والتنبيه علىٰ الاقتداء به فيه ونحو ذلك، وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الأخبار بذلك. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٦٥، ١٦٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤١٢٨) كتاب المغازي، [٣٣] باب غزوة ذات الرقاع، ومسلم في صحيحه [١٤٩. (١٨١٦)] كتاب الجهاد والسير، [٥٠] باب غزوة ذات الرقاع.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٢٣) كتاب الجمعة، [٢٩] باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٢٧) كتاب الزكاة، [٢٠] باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم في صحيحه [٩٥. (١٠٣٤)] كتاب الزكاة، [٣٢ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة . ، والترمذي (٢٣٤٣، ٢٤٦٣)، والنسائي (٥/ ٦١، ٦٩. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤، ٦٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٧، ١٨٠).

وروينا عن معاوية مرفوعًا: «لا تُلْحِفوا في المسألة؛ فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألتُهُ مني شيئًا وأنا له كاره فيبارك له فيه فيما أعطيته»[1] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: " كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد ببيعته، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا. وأسرَّ كلمة خفية. ولا تسألوا الناس شيئًا». فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه "[2] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا تزال المسألة بأحدكم حتىٰ يلقى الله تعالىٰ وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم»[3] أخرجاه. المُزْعَةُ. بضم الميم وإسكان الزاي ثم عين مهملة: القطعة.

وروينا عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو علىٰ المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة «واليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة»[4] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا، فليستقل وليستكثر»[5] أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩. (١٠٣٨)] كتاب الزكاة، [٣٣] باب النهي عن المسألة، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٨١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه[١٠٨. (١٠٤٣)] كتاب الزكاة، [٣٥] باب كراهية المسألة للناس، والنسائي (١/ ١٢٩. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٤) كتاب الزكاة، [٥٤] باب من سال الناس تكثيرا، ومسلم في صحيحه [١٠٣.(١٠٤٠)] كتاب الزكاة [٣٥] باب كراهة المسألة للناس، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥، ٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩).

(٤) تقدم تخريجه قريبا.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه[١٠٥.(١٠٤١)] كتاب الزكاة، [٣٥] باب كراهة المسألة للناس، وابن =

وروينا من حديث سمرة مرفوعًا: «إن المسألة كدٌّ يكُدُّ بها الرجل وجهه إلاَّ أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر لا بد منه» رواه الترمذي[1] وقال: حسن صحيح. والكدُّ: الخدش ونحوه.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل وآجل»[2] رواه أبو داود والترمذي وحسنه. يوشِك. بكسر الشين: أي يُسرع.

وروينا من حديث ثوبان مرفوعًا: «من يكفُل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفَّل له بالجنة؟» فقلت: أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئًا[3] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث قبيصة بن المخارق قال: " تحملت حمالة فأتيت رسول الله أسأله فيها، فقال: «قُم حتىٰ تأتينا الصدقة فنأمر لك بهذا». ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلاَّ لأحد ثلاثة؛ رجل تحمَّل حَمَالة فحلَّت له المسألة حتىٰ يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتىٰ يُصيب قواما من عيش. أو قال: سدادا من عيش. ورجل أصابته فاقة حتىٰ يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة. فحلت له المسألة حتىٰ يصيب قوامًا من عيش. أو قال: سدادا من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْتًا يأكلها صاحبها سحتا»[4] أخرجه مسلم. الحَمَالة. بفتح الحاء: ما يتحمله ويلتزمه علىٰ نفسه.

= ماجه في سننه (١٨٣٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٥٩).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٨١) كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة. وأخرجه أبو داود (١٦٣٩) كتاب الزكاة، باب كم يعطي الرجل الواحد من الزكاة، والنسائي في الزكاة، باب مسألة الرجل ذا سلطان.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٥) كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، وأحمد في مسنده (١/ ٤٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٨)،والدارمي في السنن(٢/ ٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٦٤٣) كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٧٦)،والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ١٠٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٩.(١٠٤٤)] كتاب الزكاة، [٣٦] باب من تحل له المسألة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ٢١، ٢٣) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢١٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ١٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٣٧) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦١).

والجائحة: الآفة تصيب مال الإنسان. والقوام: ما يقوم في أمر الإنسان من مال ونحوه. والسِّداد. بكسر السين: ما يسُدُّ حاجة المعوز ويكفيه. والفاقة: الفقر. والحجا: العقل(١).

وروينا عن أبي هريرة مرفوعًا: «ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغْنيه ولا يُفْطَنُ له فيُتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس»(٢) أخرجاه.

(١) الحجى: مقصور: هو العقل، وإنما قال ﷺ «من قومه» لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرا بصاحبه، وإنما شرط الحجى تنبيها علىٰ أنه يشترط في الشاهد التيقظ، فلا تقبل من مغفل، وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث، وقال الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث علىٰ الاستحباب. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١١٨، ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٦، ١٤٧٩) كتاب الزكاة، [٥٥] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ورقم (٤٥٣٩) كتاب تفسير القران، [٤٨] باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]، ومسلم في صحيحه [١٠١. (١٠٣٩)] كتاب الزكاة، [٣٤] باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه.، وأبو داود في سننه (١٦٣١، ١٦٣٢)، والنسائي (٥/ ٨٥ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٠، ٣٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٥، ٧/ ١١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٧٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٨، ٦/ ١١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٩).

مجلس في جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

روينا من حديث سالم عن أبيه عن جده قال[1]: " كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر مني إليه. فقال: «خذه، إذا جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت فكله وإن شئت تصدق به، وما لا فلا تُتْبعه نفسك». قال سالم: فكان عبد الله لا يسأل أحدًا شيئًا ولا رَدَّ شيئًا أُعْطيه "[2] أخرجاه. مُشْرف. بالشين المعجمة: أي متطلع عليه.

---

(١) هذا الحديث فيه منقبة لعمر رضي الله عنه وبيان فضله وزهده، وإيثاره، والمشرف إلى الشيء هو المتطلع إليه الحريص عليه. ومالا فلا تتبعه نفسك: معناه: ما لم يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به، واختلف العلماء فيمن جاءه مال؛ هل يجب قبوله أم يندب، على ثلاث مذاهب حكاها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وآخرون، والصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه يستحب في غير عطية السلطان، وأما عطية السلطان فحرمها قوم وأباحها قوم وكرهها قوم. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٢٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٧٤) كتاب الزكاة، [٥٣] باب من أعطاه الله شيئًا من غير مسألة ولا إشراف نفس، ورقم (٧١٦٣، ٧١٦٤) كتاب الأحكام، [١٧] باب رزق الحكام والعاملين عليها. و مسلم في صحيحه [١١٠. (١٠٤٥)] كتاب الزكاة، [٣٧] باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف.، والنسائي (٥/ ١٠٤، ١٠٥. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٧، ٢١، ٢/ ٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٢٤، ٥/ ١٨٦، ٦/ ١٨٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٤٥).

مجلس في الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾(1).

وروينا من حديث الزبير بن العوام مرفوعًا: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»(2) أخرجه البخاري.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لأن يحتطب أحدكم حزمة علىٰ ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه»(3) أخرجاه. وعنه مرفوعًا: «كان داود ﷺ لا يأكل إلاَّ من عمل يده»(4) أخرجه البخاري. وعنه مرفوعًا: «كان زكريا نجَّارًا»(5) أخرجه

---

(1) سورة الجمعة (10).
أي إذا فرغ منها ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: 10] لما حجر عليهم من التصرف بعد النداء، وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك ﷺإذا صلى الجمعة انصرف فوقف علىٰ باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم. [تفسير ابن كثير (4/ 367)].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه(1480) كتاب الزكاة، [55] باب قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: 273] ورقم (2075) في البيوع، [15] باب كسب الرجل وعمله بيده، وابن ماجه في سننه (1836)، وأحمد بن حنبل في مسنده (1/ 167)، والمنذري في الترغيب والترهيب (2/ 522)، وعبد الرزاق في مصنفه (20010، 20013)، والسيوطي في الدر المنثور (1/ 361).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه(2074) كتاب البيوع، [15]باب كسب الرجل وعمله بيده، ومسلم في صحيحه [107. (1042)] كتاب الزكاة،[35] باب كراهة المسألة للناس، وأحمد في مسنده (2/ 455)، والمنذري في الترغيب والترهيب (1/ 192، 2/ 522) والسيوطي في الدر المنثور (1/ 362).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه(2073) كتاب البيوع، [15] باب كسب الرجل وعمله بيده، ورقم (3417) في أحاديث الأنبياء، [38] باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النِّساء: 163].

(5) أخرجه مسلم في صحيحه [169.(2379)] كتاب الفضائل، [45] باب من فضائل زكريا. عليه =

مسلم. وعن المقداد بن معدي كرب مرفوعًا: «**ما أكل أحد طعاما قَطُّ خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[1] أخرجه البخاري.

= السلام، وابن ماجه في سننه (٢١٥٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦، ٤٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٧٢) كتاب البيوع [١٥] باب كسب الرجل وعمله بيده.

مجلس في التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [1] أي في نعيم الأبرار والنضرة والرحيق المختوم، فيتنافس فيه أولوا الجد.

وروينا[2] من حديث سهل بن سعد: "أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا. فتلَّهُ رسول الله ﷺ في يده"[3] أخرجاه. تلَّهُ. بالتاء المثناة فوق: وضعه. وهذا الغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما وفيه المنافسة في السؤر النبوي، ولهذا بادر باليمين وبقوله: لا أوثر بنصيبي منك. وهو لائح في عظم الهبة والتوقير.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بينما أيوب ﷺ يغتسل عُرْيانًا فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه. عز وجل: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غِنَا بي عن بركتك»[4] أخرجه

---

(١) سورة المطففين (٢٦) .

(٢) في هذه الأحاديث بيان هذه السنة الواضحة، وهو موافق لما تظاهرت عليه دلائل الشرع من استحباب التيامن في كل ما كان من أنواع الإكرام، وفيه أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدم، وإن كان صغيرا ومفضولا ؛ لأن رسول الله ﷺ قدم الأعرابي والغلام علىٰ أبي بكر. رضي الله تعالىٰ عنه. وأما تقديم الأفاضل والكبار فهو عند التساوي في باقي الأوصاف . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٩) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٢٠) كتاب الأشربة، [١٩]باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشراب ليعطي الأكبر ؟، ومسلم في صحيحه [١٢٧.(٢٠٣٠)] كتاب الأشربة، [١٧] باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما من يمين المبتدئ . ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٦)، ومالك في الموطأ (٩٢٧) .

قوله : " فتله في يده " أي وضعه فيها، وقد جاء في مسند أبي بكر بن أبي شيبة أن هذا الغلام هو عبد الله بن عباس، ومن الأشياخ خالد ابن الوليد رضي الله عنهما، وفي هذه الأحاديث أنواع من العلم، منها : أن البداءة باليمين في الشراب ونحوه سنة، وهذا مما لا خلاف فيه، ونقل عن مالك تخصيص ذلك بالشراب، وقال ابن عبد البر وغيره : لا يصح هذا عن مالك . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٩١) كتاب أحاديث الأنبياء، [باب]قول الله تعالىٰ : ﴿۞ وَأَيُّوبَ =

البخاري. وهو لائح في الاستكثار مما يتبرك به، ووجه التبرك به أنه حديث عهد بربه، وكان ﷺ إذا رأى الباكورة من التمر قال: " اللهم بارك لنا في كذا وكذا " . إلىٰ قوله: " اللهم أريتنا أوله فأرنا آخره " . (ذهب ترى ذهب الجنة)[١] وصح أنه ﷺ قال في زمزم: «إنها بركة، إنها طعام طُعم وشفاء سُقم». والذهب كذلك فكان مباركا، وقد قال تعالىٰ: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ [٢] وهو من إتيانه كماله بركة، وكان ذلك في حق هذا النبي الكريم كرامة والكرامات يتبرك بها، وقد قيل: إن طلب نبينا . عليه أفضل الصلاة والسلام . من غنم الرقية[٣] ولحم العنبر كان للتبرك.

فصل في فضل الغني الشاكر

وهو من أخذ المال من وجهه وصدقه في وجوهه المأمور بها. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ [٤] وهذا وعد إما بالخيرات وإما بالجنة. وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧﴾ [٥] الآية. فيتجنب النار ويُعطى حتىٰ يرضى من خير الدين والدنيا والأخرى. وقال: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ [٦] الآية. وفيها إرشاد إلىٰ وجوه الإعطاء من الإبداء والإخفاء وإلى ما يسهل

= إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] ، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٩٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٢٢٤)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢١٠) .

(١) كذا بالأصل .

(٢) سورة الذاريات (١٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥.(٢٢٠١)] كتاب السلام، [٢٣] باب جواز أخذ الأجرة علىٰ الرقية بالقرآن والأذكار، عن أبي سعيد الخدري أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فإن سيد القوم لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم : نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطى قطيعا من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال: حتىٰ أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم وقال : «وما أدراك أنها رقية ؟» ثم قال :«خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم» .

(٤) سورة الليل (٥ ـ ٧) .
أي أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بالمجازاة علىٰ ذلك، قاله قتادة، وقال خصيف : بالثواب، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم : ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بالخلف، وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك : ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بلا إله إلا الله، وفي رواية عن عكرمة : ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾ [الليل: ٦] أي بما أنعم الله عليه . [تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٨)] .

(٥) سورة الليل (١٧) .

(٦) سورة البقرة (٢٧١) . أي إن أظهرتموها فنعم شيء هي، وقوله : ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ =

وجه الله من غير رياء ولا سمعة فلا أراد جزاءً ولا شكورًا، وهو الإخفاء والإبداء للفقراء، وخير الإخفاء جليا لا يخفى.

وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ (١) والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة.

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلاَّ في اثنتين(٢) رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق؛ ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمُها»(٣) أخرجاه. وسلف شرحه قريبا، فمن اتصف بذلك فهو محمود إن حصل علىٰ النعمة التامة الحقيقية، وكل ذي نعمة محسود عليها، فيا طرباه دنيا وأخرى.

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «لا حسد إلاَّ في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». أخرجاه(٤) والآناء: الساعات، فقضى بذلك علىٰ نفسه وغيره وعلَّمه لإخوانه.

= ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] فيه دلالة علىٰ أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها ؛ لأنه أبعد من الرياء، إلا أن يترتب علىٰ الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون الأفضل من هذه الحيثية . [تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢)] .

(١) سورة آل عمران (٩٢) .

(٢) قال العلماء : الحسد قسمان : حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، وأما المجازي فهو الغبطة، وهوأن يتمنى مثل النعمة التي علىٰ غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث : لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما . النووي في شرح مسلم (٦/ ٨٤، ٨٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣) كتاب العلم،[١٦]باب الاغتباط في العلم والحكمة، ورقم (١٤٠٩) كتاب الزكاة، [٥] باب إنفاق المال في حقه، ورقم (٧١٤١) كتاب الأحكام، [٣] باب أجر من قضى بالحكمة، ورقم (٧٣١٦) كتاب الأعتصام بالكتاب والسنة، [١٣] باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالىٰ، ومسلم في صحيحه [٢٦٨. (٨١٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٥٢٩) كتاب التوحيد، [٤٥] باب قول النبي ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار»، ومسلم في صحيحه [٢٦٦. (٨١٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٤٧] باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، والترمذي في سننه (١٩٣٦) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحسد، وابن ماجه في سننه (٤٢٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٣٨) .

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ: " أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدُّثُور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم. فقال: «وما ذاك؟» فقالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق[١]. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أُعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلاَّ من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبُرَ كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة». فرجع المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء». أخرجاه[٢] والسياق لمسلم. والدُّثُور: الأموال الكثيرة. وإنما ذهبوا بذلك لقيامهم بالتعظيم لأمر الله صلاة وصيامًا وتسبيحًا وحمدًا، وبالشفقة علىٰ خلق الله تصدقًا وإعتاقًا. وقد أقر عليه الشارع أولاً وصرَّح به آخرًا؛ إذ قال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وغير بعيد مع ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[٣] فإنه يؤتيكم ذلك. وحاصل الأحاديث بيان أن الغني الشاكر أهل فضل الله العظيم، وأنه يرتفع فيه أبصار الخلائق حتىٰ يحسد حقا فما أعم نفعه وأحمد جميعه.

---

(١) قوله: «ذهب أهل الدثور» هو بالثاء المثلثة، واحدها دثر، وهو المال الكثير، وفي هذا الحديث دليل لمَنْ فَضَّل الغَنِيَ الشاكر علىٰ الفقير الصابر، وفي المسألة خلاف مشهور بين السلف والخلف من الطوائف، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (٥/ ٧٨، ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٤٣) كتاب الأذان،[١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، ورقم (٦٣٢٩) كتاب الدعوات،[١٨] باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه [١٤٢.(٥٩٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة،[٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٣) سورة النساء (٣٢).

مجلس في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [1]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [2] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [3].

وروينا في الصحيحين من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «لا حسد إلاَّ في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمُها» [4] فالمراد بالحسد هنا: الغبطة؛ أي لا يغبط أحد إلاَّ علىٰ إحدى هاتين الخَصلتين.

وروينا في صحيح البخاري من حديثه أيضًا مرفوعًا: «أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلاَّ ماله أحب إليه. قال: «فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخَّر» [5].

وروينا فيهما أيضًا من حديث جابر قال: " ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا " [6].

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط

---

(١) سورة سبأ (٣٩).
أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: «يقول الله تعالىٰ: أنفق أنفق عليك»، وقال مجاهد: لا يتأولنَّ أحدكم هذه الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سَبَإ: ٣٩] إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه، الرزق مقسوم.

(٢) سورة البقرة (٢٧٢).

(٣) سورة البقرة (٢٧٣).

(٤) الحديث تقدم تخريجه قريبا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٤٢) كتاب الرقاق، [١٢] باب ما قدم من ماله فهو له، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٨٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٨٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦.(٢٣١١)] كتاب الفضائل [١٤] باب ما سئل النبي ﷺ شيئًا قط فقال لا. وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١٥).

ممسكًا تلفًا»(١).

وروينا فيهما أيضًا من حديث ابن عمرو: " أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف»(٢).

وروينا في صحيح البخاري عنه مرفوعًا: «أربعون خصلة. أعلاهن منيحة العنز. ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلاَّ أدخله الله تعالىٰ بها الجنة»(٣) وقد سلف بيانه في كثرة طرق الخير.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شرٌّ لك، ولا تُلام علىٰ كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ»(٤).

وروينا فيهما من حديث أنس قال: " ما سُئل رسول الله علىٰ الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، وقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلاَّ الدنيا فما يلبث إلاَّ يسيرًا حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها "(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٤٢) كتاب الزكاة [٢٩] باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، ومسلم في صحيحه [٥٧. (١٠١٠)] كتاب الزكاة، [١٧] باب في المنفق والممسك، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٨)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٣، ١٤/ ٣٠٧).
قال النووي: قال العلماء هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢) كتاب الإيمان، [٦] باب إطعام الطعام من الإسلام، ورقم (٢٨)، [٢٠] باب السلام من الإسلام، ورقم (٦٢٣٦) كتاب الاستئذان، [٩] باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ومسلم في صحيحه [٦٣ ـ (٣٩)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، وأبو داود (٥١٩٤)، وابن ماجه (٣٢٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٨٧، ٣/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٣١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها [٣٥] باب فضل المنيحة، وأبو داود في سننه (١٦٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ١٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٧ ـ (١٠٣٦)] كتاب الزكاة، [٣٢] باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة، والترمذي في سننه (٢٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠، ٢/ ٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٢٣١٢)]، [٥٨] كتاب الفضائل [١٤] باب ما سئل رسول الله =

وروينا فيه أيضًا من حديث عمر قال: " قسم رسول الله ﷺ قسما، فقلنا: يا رسول الله، لَغير هؤلاء كانوا أحق به منهم. قال: «إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش أو يُبَخِّلُوني ولست بباخل» "(١).

وروينا في صحيح البخاري من حديث جبير بن مطعم: " بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ مُقْفَلَة من حنين فعلقوه الأعراب حتىٰ اضطروا إلىٰ سمرة فخَطفت رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: «اعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة غنما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذَّابًا ولا جبانًا» "(٢). مقفلة: أي حال رجوعه. والسمرة: شجرة العضاة، شجر له شوك.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما نقصت صدقة من مال ولا زاد الله عبدًا بعفو إلاَّ عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه الله»(٣).

وروينا في جامع الترمذي. وقال: حسن صحيح. من حديث أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري مرفوعًا: «ثلاثة أقسم الله عليهم وأُحدِّثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة إلاَّ صبر عليها إلاَّ زاده الله عِزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلاَّ فتح الله عليه باب فقر. أو كلمة نحوها». «وأحدثكم حديثا فاحفظوه»، قال: «إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً وهو

= شيئًا قط فقال لا وكثرة عطائه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٧ ـ (١٠٥٦)] كتاب الزكاة،[٤٤] باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، وأحمد في مسنده (١/ ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٣٥، ١٣٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٤٠، ٨/ ١٩٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٠٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ (٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب [١٩] باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي في سننه (٢٠٢٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥، ٣٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥، ٤/ ١٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥، ٣/ ٣٠٧، ٥٥٨) وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٠٥).

أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٥) كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر،وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب، (١/ ٥٨، ٢/ ٣٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٩، ٥/ ٣٥)، والعراقي في المغنى عن حمل الأسفار (٤/ ٣٥١، ٣٥٢)، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان. وهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته فوزرهما سواء».

وروينا فيه أيضًا مصححًا من حديث عائشة أنهم ذبحوا شاة فقال ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: " ما بقي إلاَّ كتفها " . قال: «بقي كلها غير كتفها»[١] أي بقيت لنا في الآخرة إلاَّ كتفها، فالمعنى: تصدقوا بها إلاَّ كتفها.

وروينا في الصحيحين من حديث أسماء بنت الصديق: " قال لي رسول الله ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك»[٢]. وفي رواية لهما: «أنفقي وانفحي وانضحي، ولا تحصي فيُحصِ الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك»[٣]. وانفحي بالحاء المهملة بمعنى: أنفقي. وكذا انضحي.

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا[٤]: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلىٰ تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلاَّ سبغت. أو وفرت. علىٰ جلده حتىٰ تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلاَّ لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع». الجبة: الدرع. ومعناه: أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتىٰ تجر وراءه وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته.

وروينا فيهما أيضًا من حديثه مرفوعًا: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٧٠) كتاب صفةالقيامة والرقائق والورع، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٣٣) كتاب في الزكاة، [٢٣] باب التحريض علىٰ الصدقة، ورقم (٢٥٩٠) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٥] باب هبة، ومسلم في صحيحه [٨٨ (١٠٢٩)] كتاب الزكاة [٢٨] باب الحث في الصدقة والإنفاق وكراهة الإحصاء.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٥] باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إن كان لها زوج ، ومسلم في صحيحه [٨٨ (١٠٢٩)] كتاب الزكاة [باب] الحث في الإنفاق وكراهة الإحصاء، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٩، ٣٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٧، ٦/ ٦٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٤٣) كتاب الزكاة، [٣٠] باب مثل البخيل والمتصدق، ومسلم في صحيحه[٧٥. (١٠٢٣)] كتاب الزكاة، [٢٣] باب مثل المنفق والبخيل، والنسائي (٥/ ٧٢. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٨).

ولا يقبل الله إلاَّ الطيب. فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يُربِّيها لصاحبها كما يُربِّي أحدكم فلُوَّه حتىٰ يكون مثل الجبل»[١]. والفَلُوُّ بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وهو المُهْرُ.

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعًا: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحَّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يُحَوِّل الماء بمِسْحاتِهِ فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان. للإسم الذي سمع في السحاب، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلىٰ ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأردُّ فيه ثُلُثه»[٢]. الحرَّة: أرض بها حجارة سود. والشرجة. بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم: مسيل الماء[٣].

فصل في النهي عن البخل والشُّحِّ

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾[٤] الآية. وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[٥] الآية. وتقدمت جملة من الأحاديث في الباب السابق.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤١٠) كتاب الزكاة، [٨] باب الصدقة من كسب طيب، ومسلم في صحيحه [٦٤.(١٠١٤)] كتاب الزكاة، [١٩] باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٧، ١٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٢٦، ١٤٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥.(٢٩٨٤)] كتاب الزهد والرقائق، [٤] باب الصدقة في المساكين، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٧) .

(٣) قال النووي : قوله ﷺ : «فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج» معنى تنحى قصد، يقال : تنحيت الشيء وانتحيته ونحوته إذا قصدته، ومنه سمي علم النحو ؛ لأنه قصد كلام العرب . وأما الحرة : بفتح الحاء فهي أرض ملبسة حجارة سوداء . والشرجة : بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء، وجمعها شراج بكسر الشين، وهي مسايل الماء في الحرار، وفي الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل، وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق علىٰ العيال . النووي في شرح مسلم (١٨/ ٨٩) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) سورة الليل (٨).

(٥) سورة الحشر (٩) .

وروينا في صحيح مسلم من حديث جابر[١]: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». قلت: ولا أفحش منهما[٢].

فصل في الورع وترك الشبهات

قال تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٣] وفيها (استفاف)[٤] والمتساهل عن تساهله قرب موبقات تُرى أدق من الشعر ورُبَّ شرارة أضرمت نارًا علىٰ بلد كبير، إن الأمور صغيرها مما يهيج به العظيم، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[٥] فإن كان بذلك فقد ينزل به سخطه بأمر لا يلقى له بالا ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[٦].

وروينا من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بيِّن والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مُضْغَة إذا صلُحَت صلُحَ الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٧] أخرجاه من طرق بألفاظ متقاربة، وهو من أعظم المرغبات في الورع وذكر فوائده العظيمة الشأن، وهو الاستبراء للدين والعرض. وناهيك بأمر يحصل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٥٧٨)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣).

(٢) قوله ﷺ: «واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم»: قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني هوالأظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة، قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرص علىٰ ما ليس عنده والبخل بما عنده. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة النور (١٥).

(٤) كذا بالأصل.

(٥) سورة الفجر (١٤).

(٦) سورة طه(٨١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٢) كتاب الإيمان، [٤٠] باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (١٥٩٩)] كتاب المساقاة، [٢٠] باب أخذ الحلال وترك الشبهات، وأبو داود (٣٣٢٩)، والنسائي (٧/ ٢٤٢، ٨/ ٣١٧. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٣٤).

الوجاهة عند الله وعند الناس، وإن شئت قلت تطييب السريرة وتحسين السيرة، أو يحيي القلب وينوِّره ويصرف العرض ويطهره، وفيه بيان حقيقة الورع وأنه ليس إلاَّ اتقاء الشبهات[١]. وتسمية اتقاء المحارم ورعاء حق، ولكن العرف خصَّ اسم المحارم باسم التقى وترك الشبهات باسم الورع وترك ما لا بأس به أو ما لا يعني، إنما سمِّي ورعا لاشتباهه بمخوف العاقبة. وفيه أيضا: التحذير من تركه بذكر آفة التساهل، وهو الوقوع في الحرام إما لتمرينه علىٰ التساهل وإما لمصادفة للحرام. فمن الشبهات كما في تمثيله بالرَّاعي يرعى حول الحمى علىٰ أنه يحتمل الأول أيضا.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»[٢] أخرجاه. وفيه مرغب أخر وهو فعل الشارع له فيتجنب ما جهل إباحته.

وروينا من حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «البرُّ حسن الخُلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٣] أخرجه مسلم. حَاكَ بالحاء المهملة والكاف: أي تردد فيه.

وروينا من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: " أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئتَ تسأل عن البرّ؟» قلت: نعم. قال: «استفت قلبك، البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك» "[٤] رواه أحمد والدارمي في مسنديهما. وهو من مجاري الورع كالذي

---

(١) أجمع العلماء علىٰ عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال جماعة هو ثلث الإسلام، وإن الإسلام يدور عليه وعلى حديث «الأعمال بالنيات» وحديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» . [النووي في شرح مسلم (١١/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٥٥) في الشهادات، [٤] باب ما ينزه من الشبهات، ورقم (٢٤٣١) كتاب اللقطة، [٦] باب إذا وجد تمرة في الطريق، ومسلم في صحيحه [١٦٥. (١٠٧١)] كتاب الزكاة، [٥٠] باب تحريم الزكاة علىٰ رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنوهاشم وبنو المطلب دون غيرهم، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٥٣)] كتاب البر والصلة والآداب، ورقم (١٥) به، والترمذي في سننه (٢٣٨٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٢)، والحاكم في مستدركه (٢/ ١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٣٤) .

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٢٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٥، ١٠/ ٢٩٤)، =

قبله، وهو ما لم تطمئن إليه النفس ولا يخرجه عن ذلك الإفتاء بالحل، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

وروينا من حديث أبي سِروعة ـ بكسر السين المهملة ـ عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني أرضعت عقبة والتي تزوج بها. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلىٰ رسول الله بالمدينة فسأله فقال رسول الله: «كيف وقد قيل؟» ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره[(١)] أخرجه البخاري.

وفيه نوع آخر من مجاريه، وهو ما أخبر بتحريمه من لم يكف قوله في التحريم.

وروينا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يُريبك»[(٢)] أخرجه الترمذي وحسَّنه. أي اترك ما تشك فيه وخذ ما لا تشك فيه، وهذا نوع آخر منه وهو ما يريب الإنسان ويشك فيه، والريب أشد من مجرد التردد.

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان لأبي بكر الصديق غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانة إلاَّ أني خدعته، فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه. فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه "[(٣)] أخرجه البخاري.

= والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٣٤)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٣، ١٦٠، ٧/ ٤٢، ٦٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٧)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٣٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٨) كتاب العلم، [٢٧] باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، ورقم (٢٠٥٢) كتاب البيوع، [٣] باب تفسير المشبهات، ورقم (٢٦٤٠) كتاب الشهادات، [٤] باب إذا شهد شاهد أوشهود بشيء،ورقم (٢٦٥٩) في الشهادات، [١٣] باب شهادة الإماء والعبيد، وكذا رقم (٢٦٦٠، ٥١٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٧، ٣٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٠، ٣/ ١١٢، ١٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٣٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣، ٤/ ٩٩)، وابن حبان في صحيحه(٥١٢ـ الموارد)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٥٧، ١٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٥٢، ٣/ ٢٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٨، ٣/ ١٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار، [٢٦] باب أيام الجاهلية.

والخراج: شيء يجعله السيد علىٰ عبده يؤديه إلىٰ السيد كل يوم، وباقي كسبه يكون للعبد. وهذا نوع آخر وهو ما به استدراك السُّحت المتناول من غير علم، وهو من المطعوم ونحوه.

ورويناا من حديث نافع عن عمر بن الخطاب: "أنه فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبوه. يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه "[1] أخرجه البخاري. وفيه تنبيه علىٰ أن المتورع عنه أنواع، منها: تفاوت العطاء بحسب تفاوت الاستحقاق تورعًا من التسوية.

ورويناا من حديث عطية بن عروة السعدي الصحابي مرفوعًا: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتىٰ يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس»[2] أخرجه الترمذي وحسنه. وفيه بيان تفاوت درجات الورع، وأشد من اتقاء الشبهات اتقاء ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٩١٢) كتاب مناقب الأنصار،[٤٥] باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، [١٩]،وابن ماجه في سننه (٤٢١٥) كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ١٥٩، ٦/ ٢٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤) .

مجلس في استحباب العزلة عند فساد الزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قال تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [1] أي: فِرُّوا من المعاصي إلىٰ محبته ومراضيه، أو مما سواه إليه، أو مما لم يكن إلىٰ من لم يزل.

وروينا من حديث سعد بن أبي وقَّاص مرفوعًا: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[2] أخرجه مسلم.

والمراد بالغنى غنى النفس[3] كما سبق في الحديث الصحيح.

وفيه من خواص العزلة والاختفاء وعموم الذكر محبة الله لمن اتصف بذلك، وناهيك بذلك.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري قال: " قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «رجل يُجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من؟ قال: «رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه». وفي رواية: «يتقي الله ويدع الناس من شره» "[4] أخرجاه.

وفيه: أن المعتزل في شعب أفضل الناس. وفيه ثلاث فوائد للعزلة: عبادة الرب

---

(١) سورة الذاريات (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١١. (٢٩٦٥)] كتاب الزهد والرقائق في مقدمته، وأحمد في مسنده (١/ ١٦٨، ١٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥، ٩٤)، والزبيدي الإتحاف (٨/ ٣١، ٣٠٨)، والعجلوني في كشف الخفا(١/ ٢٨٧).

(٣) المراد بالغنىٰ غنىٰ النفس هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «ولكن الغنى غنى النفس» وأشار القاضي إلى أن المراد بالغنى بالمال، وأما الخفي فبالخاء المعجمة، هذا هو الموجود في النسخ، والمعروف في الروايات، وذكر القاضي أن بعض رواة مسلم رواه بالمهملة، فمعناه بالمعجمة الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، ومعناه بالمهملة الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح بالمعجمة. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٩٤) كتاب الرقاق، [٣٤] باب العزلة راحة من خلاط السوء، ومسلم في صحيحه [١٢٢. (١٨٨٨)] كتاب الإمارة [٣٤] باب فضل الجهاد والرباط، وأبو داود في سننه (٢٤٨٥)، والترمذي (١٦٦٠)، والنسائي (٥/ ٨٣ المجتبى)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

تعالىٰ، ولا شك أن الفراغ من كل شاغل عن الخير مُيَسِّر للخير وأن التفرد عن الخلق أبعد عن الرياء وأعون علىٰ الإخلاص. والفائدة الثانية: تقوى الله، ولا شك أن كثيرًا من المعاصي تتعذر في العزلة فكانت مَطِيَّة التقى. وثالثها: ويدع الناس من شره، وإنها لفائدة جليلة وصدقة جزيلة. وفيه أحد مواطن العزلة وهو شعب من الشعاب، ولزوم البيت قريب منه.

وروينا عنه مرفوعًا: «يُوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[1] أخرجه البخاري. وشعف الجبال أعلاها. وفيه فائدة أخرى للعزلة وهو الفرار بدينه من الفتن، وكان الغنم خير المال لإعانتها علىٰ أشرف الخلال، وقد اعتزل أبو ذر السَّادات ونزل الربذة، فما ظنك بزماننا الخلف وكثرة الأراذل والسفلة.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما بعث الله نبيا إلاَّ رعى الغنم». فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة»[2] أخرجه البخاري. قلت: فليُقتَدَ بهم. وكان أويس يرعى إبل قومه نحليًا وتكسُّبًا.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير علىٰ متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانَّه[3]، أو رجل في غُنيمة في رأس شَعَفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتىٰ يأتيه اليقين، ليس من الناس إلاَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٩٥) كتاب الرقاق، [٣٤] باب العزلة راحة من خلاط السوء، وأبو داود (٤٢٦٧)، والنسائي (٨/ ١٢٤. المجتبى)، وابن ماجه (٣٩٨٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٦، ٣٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٦٢) كتاب الإجارة، في الإجارات، [٢] باب رعي الغنم علىٰ قراريط، وابن ماجه في سننه (٢١٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٩٨٣)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ١٣٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٥٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال(٦٤٧٦).

(٣) معناه: يسارع علىٰ زهره، وهو متنه، كلما سمع هيعة، وهي الصوت عند حضور العدو، وهي بفتح الهاء وإسكان الياء: الفزعة، بإسكان الزاي، النهوض إلىٰ العدو. ومعنىٰ يبتغي القتل مظانه يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة، وفي هذا الحديث فضيلة الجهاد. والرباط الحرص علىٰ الشهادة.

وقوله ﷺ: «أو رجل في غنيمة في رأس شعفة» الغنيمة، بضم الغين: تصغير الغنم، أي قطعة منها، والشعفة بفتح الشين والعين: أعلى الجبل. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣، ٣٢) طبعة دار الكتب العلمية].

في خير»[١] أخرجه مسلم. يطير: أي يسرع. ومتنه: ظهره. والهيعة: الصوت للحرب. والفزعة نحوه، ومَظَانُّ الشيء: المواضع التي يظن وجوده فيها. والغُنيمة بضم الغين: تصغير الغنم. والشَعَفة بفتح الشين والعين: أعلى الجبل. وفيه مدح العزلة مطلقًا، وفيه أنه ليس من الناس إلاَّ في خير كما جمعه هذا الحديث، وهو من جوامع كلمه.

فصل في الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قدر علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء والصبر علىٰ الأذىٰ

هذا الذي كان عليه الشارع[٢] والأنبياء والخلفاء ومن بعدهم من العلماء وأخيارهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء. قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣] والآيات في معنىٰ ذلك كثيرة معلومة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (١٨٨٩)] كتاب الإمارة، [٣٤] باب فضل الجهاد والرباط، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٧، ٣١٩)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٩٤).

(٢) في إيذاء المشركين للنبي ﷺ روى البخاري في صحيحه (٤٨١٥) كتاب تفسير القرآن، من سورة المؤمن (غافر) عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبوبكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: "أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم". وفي إيذاء أصحابه ﷺ روىٰ أحمد في مسنده (١/ ٤٠٤) بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: "إن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.
فأما رسول ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وأوقفوهم في الشمس، فما من أحد إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا غير بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان علىٰ قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد".

(٣) سورة المائدة (٢).

مجلس في تحريم الكبر والإعجاب

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2] أي يميله ويعرض عن الناس تكبرًا عليهم، والمرح: التبختر. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾[3] إلىٰ قوله: ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: ٨١]

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسنًا ونعله حسنةً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال[4]، الكبر بَطَرُ الحق وغَمْطُ الناس» أخرجه مسلم[5].

بَطَرُ الحق: دفعه ورده علىٰ قائله. وغَمْطُ الناس: احتقارهم.

---

(١) سورة القصص (٨٣).
يخبر تعالىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي ترفعًا علىٰ خلق الله وتعظماً عليهم وتجبرًا بهم ولا فسادا فيهم، كما قال عكرمة: العلو التجبر. وقال سعيد جبير: العلو البغي، وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور، عن مسلم البطين: العلو في الأرض التكبر بغير حق، والفساد أخذ المال بغير حق. [تفسير ابن كثير (٣/٤١٦)].

(٢) سورة لقمان (١٨).

(٣) سورة القصص (٧٦).

(٤) قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»: اختلفوافي معناه، فقيل: إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل، وله الأسماء الحسنى، وصفات الجمال والكمال، وقيل: جميل بمعنى مجمل، ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع.
قال الإمام أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ معناه جليل. وحكى الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة، أي مالكهما، وقيل: معنى جميل الأفعال لكم باللطف والنظر إليكم .... إلى آخره. [النووي في شرح مسلم (٢/٧٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٧ ـ (٩١)] كتاب الإيمان، [٣٩] باب تحريم الكبر وبيانه، والترمذي في سننه (١٩٩٨، ١٩٩٩)، وأبو داود في سننه (٤٠٩١)، وابن ماجه في سننه (٥٩، ٤١٧٣)، والزبيدي في الإتحاف (٦/٤٩٨، ٨/١٩٢، ٣٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٩، ٤/١١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٠٨).

وأول من تكبر ذلك اللعين.

وروينا من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: " أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كُلْ بيمينك» قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت» ما منعه إلاَّ الكبر، قال: فما رفعها إلىٰ فيه "(١) أخرجه مسلم. ومن جملة قبائحه إيقاعه في الكذب بنحو لا أستطيع (لا جد)(٢) ما عقبه دعاء من لا يُرَدُّ بقوله: «لا استطعت».

وروينا من حديث حارثة بن وهب مرفوعًا: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جوَّاظ مستكبر»(٣) وستعلم شرحه في باب ضعفة المسلمين. وما أعظم هذا النداء، وفيه شمول لنار الدنيا والأخرى الروحانية والجثمانية.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «احتجَّت الجنة والنار، قالت النار: فِيَّ الجبَّارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس وسقطُهُم(٤) فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أُعذِّب بك ما أشاء، ولكليهما عليَّ مِلؤُها»(٥) أخرجه مسلم، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٢](٦).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جرَّ إزاره بَطَرًا»(٧) أخرجاه. وما أشد هذا الحرمان وإنه لنقيض قصده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧. (٢٠٢١)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٠٥)، والدارمي في سننه (٢/ ٩٧).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٧١) كتاب الأدب، [٦١] باب الكبر، مسلم في صحيحه [٤٦ - (٢٨٥٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء.

(٤) قوله ﷺ: «وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم» أما سقطهم فبفتح السين والقاف أي ضعفاؤهم والمتحقرون منهم، وأما عجزهم فبفتح العين والجيم، جمع عاجز، أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦. (٢٨٤٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٣] باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٦)، والترمذي في سننه (٢٥٦١)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٤).

(٦) سورةالزمر (٧٢) وسورة غافر (٧٦).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٣) كتاب اللباس، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، ورقم (٥٧٨٨) في اللباس، [٥] باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٨. (٢٠٨٧)] كتاب اللباس والزينة، [٩] باب تحريم جر الثوب خيلاء،

=

وروينا من حديثه مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم؛ شيخ زَانٍ وملك كذَّاب وعائل مستكبر»[1] أخرجه مسلم. والعائل: الفقير. وما أشد من اجتمع عليه هؤلاء الثلاثة لا سيما كلام محبوبه. وفيه أن الكبر قد يفحش ببعض (محاله)[2] فإنه لأشد قبحا بالعائل المتكبر.

وروينا عنه مرفوعًا: «العزُّ إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذَّبته»[3] أخرجه مسلم. وأي مصيبة أعظم ممن ينازع رب الأرباب في ذلك وهو من طين وماء مهين، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦] وإن تعذيبه لأقل جزائه.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «بينما رجل يمشي في حُلَّة يعجب نفسه مُرجِّل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة»[4] أخرجاه. مُرجِّل: ممشِّط. ويتجلجل تحتهن: يغوص وينزل. وفيه أبلغ الحذر من الإعجاب بالنفس وإن لم يكن كالكبر.

وروينا من حديث سلمة بن الأكوع مرفوعًا: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتىٰ يُكتب في الجبَّارين فيصيبه ما أصابهم»[5] رواه الترمذي وحسَّنه. ويذهب: يرتفع ويتكبر، وفيه التحذير من البوادي المؤدية إلىٰ الإعجاب.

= والترمذي في سننه (١٧٣٠)، وابن ماجه (٣٥٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٢. (١٠٧)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (٢٦٢٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٨] باب تحريم الكبر، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٣٨).
قال النووي: الضمير في إزاره ورداؤه يعود إلى الله تعالىٰ للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالىٰ: ومن ينازعني ذلك أعذبه، ومعنىٰ ينازعني يتخلف بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه، وأما تسميته إزارا ورداءً فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعارا ودثارا، بل معناه صفته. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٩) كتاب اللباس، [٥] باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٩. (٢٠٨٨)] كتاب اللباس والزينة، [١٠] باب تحريم التبختر في المشي مع إعجاب بثيابه.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٧١).

مجلس في حُسن الخُلق

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[(١)] وفيها استعظام خلقه ومدحه. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[(٢)] الآية. وفيها تفاصيل حرمات الأخلاق وإطلاق الإحسان واستدراك الهفوات.

وروينا عن ابن المبارك فيما حكاه عنه الترمذي أن حُسن الخُلق طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه قال: " كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا "[(٣)] أخرجاه. فحسن الخلق من سمته، فقصبات السبق حازها، وأي مُرغِّب للألبَّاء في رفقة من هذا صفته.

وروينا من حديثه أيضا: " ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة أطيب من رائحة رسول الله، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال قط: أُفٍّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا " . أخرجاه[(٤)] وما أحسن هذا الخَلق والخُلق.

---

(١) سورة القلم (٤) .
قال العوفي عن ابن عباس : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ هو الإسلام، وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس، وقال عطية : لعلى أدب عظيم، وقال معمر عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت : " كان خلقه القرآن "، يقول سعيد : كما هو في القرآن . [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢)] .

(٢) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ٥٥)، خرجه مسلم في صحيحه [٢٦٧ ـ ٦٥٩()] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٨] باب جواز الجماعة في النافلة، و[٥٥ ـ (٢٣١٠)] كتاب الفضائل، [١٣] باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٢، ٢٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٦، ٣/ ٦٦، ٥/ ٢٠٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٥١) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٣٢٢،٥٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٦١) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [٨١ ـ (٢٣٣٠)] كتاب الفضائل، [٢١] باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، ورقم [٥. (٢٣٠٩)] كتاب الفضائل، [١٣] باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا .

وروينا من حديث الصعب بن جَثَّامة قال: " أهديت إلىٰ رسول الله ﷺ حمارا وحشيًا فردَّه عليَّ، فلما رأى ما في وجهي قال: «إنَّا لم نَرُدَّهُ عليك إلاَّ أنا حُرُم» "[1] أخرجاه. وما أحسن هذا الاعتذار وألطفه.

وروينا من حديث النواس بن سمعان قال: " سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البرُّ حُسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس» "[2] أخرجه مسلم. فبذل المعروف بطلاقة الوجه لا أهم منه بعد كفِّ الأذى وتلافيه.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: " لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا» "[3] أخرجاه. وإنما لم يكن كذلك لأن الله تعالىٰ يبغض الفاحش البذيء كما سيأتي.

وروينا من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[4] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. والبذيء هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام، وفيه بيان رتبة الخُلق الحَسن وأنه أرجح من كل محبوب.

وروينا من حديث أبي هريرة: " سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الجنة، قال: «تقوى الله وحُسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٢٥) كتاب جزاء الصيد، [٦] باب إذا أهدي للمحرم حماراً وحشيًا حيا لم يقبل . ، ورقم (٢٥٧٣) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، [٦] باب قبول الهدية، ورقم (٢٥٩٦) في الهبة وفضلها والتحريض عليها، [١٧] باب من لم يقبل الهدية لعلة، ومسلم في صحيحه [٥٠ . (١١٩٣)] كتاب الحج، [٨] باب تحريم الصيد للمحرم،وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨)، ومالك في الموطأ (٣٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٢٥٥٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٥] باب تفسير البر والإثم، وكذا رقم (١٥) به، والترمذي في سننه (٢٣٨٩)،وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٤) والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٥٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٥٩) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ورقم (٣٧٥٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٢٨] باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، ورقم (٦٠٢٩) كتاب الأدب، [٣٨] باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشا، ورقم (٦٠٣٥) في الأدب، و[٣٩] باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وابن ماجه، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٢٣) .

والفرج» »[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا عنه مرفوعًا: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. فيه قوة الإيمان ودرجاته متفاوتة كدرجات الإيمان، وفرق بين قولنا الأكمل إيمانا أحسن خُلقا وعكسه كما هو ظاهر من قولنا: أشد الناس شبعا أكثرهم أكلا وعكسه.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٣] رواه أبو داود. وفيه من الجواذب إليه تعريف الحريص علىٰ الخير.

وروينا من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «أنا زعيم ببيت في رَبَضِ الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقًّا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلا الجنة لمن حسُن خلقه»[٤] رواه أبو داود بإسناد صحيح. والزعيم: الضامن.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثَّرْثَارون والمتشدِّقون والمُتَفَيْهِقُون» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثَّرثارون والمتشدِّقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»[٥] رواه الترمذي وحسنه. والثرثار هو كثير الكلام تَكَلُّفًا، والمتشدق: المتطاول علىٰ الناس بكلام، ويتكلم بملئ فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه. والمتفيهقون: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فاه بالكلام ويتوسع فيه ويُغرِب به تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة علىٰ غيره وبالمحبة السابقة والقرب من فوز وقرة عين.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٩٢٣، ٢٠٠٤. الموارد).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١١٦٢) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة علىٰ زوجها، وأبو داود في سننه (٤٦٨٢) كتاب السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٩٨)، وأحمد في مسنده (٦/ ٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٥٧، ٨/ ٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٣٠٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٣)، وابن حبان في صحيحه (١٩١٧. الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١، ٩/ ٣٢٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٢).

مجلس في الحلم والأناة والرفق

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] وهذا من صفات أهل الجنة. وقال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2]. وإذا طُلب هذا من سيد الكاملين فكيف من أحاد الناقصين. وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3] إلىٰ قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾ [النُّور: ١٦] . والدفع بذلك بحسم مادة العداوة يُريح من عمومها عاجلًا وآجلًا. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[4] فهما من عزم الأمور فلا مندوحة عنه لذي عقل، فأعظم بأمر لأهل الجنة والكمال المقرب من الله تعالىٰ فالراحة العاجلة والرأي السديد.

وروينا من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[5] أخرجه مسلم. وكفى بذلك شرفًا له.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[6]

---

(١) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٢) سورة الأعراف (١٩٩) .

قال ابن عباس : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] يعني خذ ما عفي لك من أموالهم، وما أتوك به من شيء، فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات . قاله السدي، وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] أنفق الفضل. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨٣)] .

(٣) سورة المؤمنون (٩٦) . (٤) سورة الشورى (٤٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥ (١٧)] كتاب الإيمان، [٦] باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، وأبو داود (٥٢٢٥) كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد، والترمذي (٢٠١١) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة . ، وابن ماجه (٤١٨٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٣، ٥٠، ٤/ ٢٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٠٢)، وابن حبان في صحيحه (١٣٩٣، ٢٢٦٧) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٢٤) كتاب الأدب، [٣٥] باب الرفق في الأمر كله، ومسلم في صحيحه [٧٧.(٢٥٩٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق، وأحمد في مسنده (١/ ١١٢، ٤/ ٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٢٥١)، وابن حبان في صحيحه (١٩١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٠٦)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨١، ١٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨، ٣/ ٢١٣) .

أخرجاه. فهو من صفاته وما أجلَّها.

وروينا من حديثهما أيضًا مرفوعًا: «إن الله رفيق يحب الرِّفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العُنف وما لا يعطي على ما سواه»[١] أخرجه مسلم. فكل أمر لا يوصل إليه العنف أو يوصل إليه بشدة فالله تعالىٰ يجعل الرفق موصلاً إليه، أتم إيصال وأجمله.

وروينا عنها أيضًا مرفوعًا: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزَع من شيء إلا شانه»[٢] أخرجه مسلم أيضا. وأين الزين من الشين.

وروينا من حديث أبي هريرة قال: " بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه، وأريقوا علىٰ بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنُوبا من ماء، فإنما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين»[٣] أخرجه البخاري. السَّجْل بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: الدَّلو الممتلئة ماء، كذلك الذنوب. وفيه بيان محل الرفق وصفته، فمحله أولا المنكرات وتغييرها، وصفته نحو «دعوه»، وتلافي ما وقع نحو «أريقوا»، وإسماعه نحو «فإنما بُعثتم ميسرين» فإنه آنس له ما زجر.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا»[٤] أخرجاه، وهو بيان لصفة الرفق.

وروينا من حديث جرير بن عبد الله مرغوعا: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»[٥] أخرجه مسلم. وهو منفر لتركه، وأكده بقوله: كله.

وروينا من حديث أبي هريرة أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢٥٩٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٢٥٩٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢٣] باب فضل الرفق، وأحمد في مسنده (٦/ ١٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٤٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٠) كتاب الوضوء، [٦١] باب صب الماء علىٰ البول في المسجد، والنسائي (١/ ٤٩، ١٧٥. المجتبى) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩) كتاب العلم، [١٢] باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم في صحيحه [٨ (١٧٣٤)] كتاب الجهاد والسير، [٣] باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٤. (٢٥٩٢)] كتاب، [٧٥] كتاب البر والصلة والآداب،[٢٣] باب فضل الرفق، وأبو داود في سننه (٣٦٨٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٢، ٣٦٦) وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢٢، ٣٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٦، ٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٦٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٦٨) .

تغضب». فردَّدَ مرارا، قال: «لا تغضب»[1] أخرجه البخاري. والغضب مانع من الحلم والرفق.

وروينا من حديث أبي يعلى شداد بن أوس مرفوعًا: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحِدَّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته»[2] أخرجه مسلم. وفيه ما يسهل التخلق بالحلم والأناة فيحصل المقصود من غير كلفة.

وروينا من حديث عائشة: " ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاَّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلاَّ أن تُنتهك حُرمة الله فينتقم لله تعالىٰ»[3] أخرجاه. فينبغي الاقتداء به في ذلك فنعم الأسوة.

وروينا من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «ألا أُخبرُكُم بمن يحرم علىٰ النار أو بمن تَحْرُمُ عليه النار؟ تَحرُمُ علىٰ كل قريب لين سهل»[4] رواه الترمذي وحسَّنه. وفيه ما يصرف مقتضى الحلم والرفق، وأمر بما يحرم صاحبه علىٰ النار ليصابر ويستديم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١١٦) كتاب الأدب، [٧٦] باب الحذر من الغضب، والترمذي في سننه (٢٠٢٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٥، ٣٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (١٩٥٥)] كتاب الصيد والذبائح، [١١] باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، وأبو داود (٢٨١٥)، والترمذي (١٤٠٩)، والنسائي (٧/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٣١٧٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١٢٦) كتاب الأدب، [٨٠] باب قول النبي ﷺ : «يسروا ولا تعسروا»، ومسلم في صحيحه [٧٧ ـ (٢٣٢٧)] كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، وأبو داود في سننه (٤٧٨٥) كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٥)، وابن عبد البر في التمهيد(٨/ ١٤٨، ١٤٩) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٤٥]، وابن حبان في صحيحه (١٠٩٧. الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٨٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٦٢)،وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٣٨) .

مجلس في العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾[1] وإذا كان هذا الأمر لأقرب الخلق لديه وأكرمهم عليه وأحبهم إليه فما ظنُّك بغيره؟ وقال تعالىٰ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[2] وهو كالتفسير للإعراض، والمراد بالجميل الذي لا جزع فيه ولا عتب ولا كظم بل بحلم وسماح. وقال تعالىٰ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[3] فمن عفا وصفح غُفر له وجزاه وِفاقًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشّورى: ٤٣]. أي فذلك شأن أهل العزم والكمال. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وروينا من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: " هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم

---

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) سورة الحجر(٨٥).

أخبر تعالىٰ نبيه بقيام الساعة، وأنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به، كقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ [الزّخرُف: ٨٩] وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: كان هذا قبل القتال، وهو كما قالا؛ فإن هذه مكية، والقتال إنما شرع بعد الهجرة. [تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٣)].

(٣) سورة النور (٢٢).

نزلت هذه الآية في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله علىٰ من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد علىٰ من أقيم عليه، شرح تبارك وتعالىٰ ـ وله الفضل والمنة ـ يعطف الصديق علىٰ قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفا بالمعروف، وله الفضل والأيادي علىٰ الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال والله لا أنزعها منه أبدًا. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٤)].

عليٰ وجهي فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل ﷺ فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشَبين. فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[2] أخرجاه.

الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ. وفيه: أن أهل العفو والمتصف به سادة الأنبياء وهم أرفع الناس قدرًا وأعلاهم همة وأوفرهم كمالاً وأكرمهم طبعًا وأعزهم نفسا وأشرفهم رتبة، فطوبى لمن سلك سبيلهم واقتفى مآثرهم، والإعراض عن الكف في ذلك العظيم.

وروينا من حديثها أيضا: " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلاَّ أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلاَّ أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالىٰ فينتقم لله تعالىٰ "[3] أخرجه مسلم. وما أحسن هذا الخلق العظيم.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه قال: " كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرت إلىٰ صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثَّرت بها حاشية الرِّداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء "[4] أخرجاه. فانظر ما قابل الإساءة بها وهو الإحسان.

---

(١) أي لم أوطن لنفسي وأتنبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه إلا وأنا عند قرن الثعالب، لكثرة همي الذي كنت فيه . قال القاضي : قرن الثعالب هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو علىٰ مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير . [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤/ ١٣٩) ومسلم في صحيحه [١١١. (١٧٩٥)] كتاب الجهاد والسير، [٣٩] باب ما لقي النبي ﷺ من أذىٰ المشركين والمنافقين، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٤٨)، والقاضي عياض في الشفاء (١/ ٢٥٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٨٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩. (٢٣٢٨)] كتاب الفضائل، [٢٠]باب مباعدته ﷺ للآثام،واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، وأبو داود في سننه (٤٧٨٦) كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، وابن ماجه في سننه (١٩٨٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٦٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٨٨) كتاب الأدب [٦٨] باب التبسم والضحك .

وروينا من حديث ابن مسعود: «كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح عن وجهه وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١] أخرجاه.

وروينا فيهما عن أبي هريرة مرفوعًا: «ليس الشديد بالصُّرَعَةِ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٢].

والمراد إنما الشديد الشدة الكمالية النافعة دنيا وأُخرى، وليعتريه اللبيب وإنه لإغراء بليغ عجيب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦] عقب باب حديث الغار، ورقم (٦٩٢٩) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [٥] باب خلف باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [١٠٥.(١٧٩٢)] كتاب الجهاد والسير، [٣٧] باب غزوة أحد.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١١٤) كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ومسلم في صحيحه [١٠٧ ـ (٢٦٠٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [٣٠ باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٢٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥، ٣٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٠، ٤٤٧).

مجلس في احتمال الأذى

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [1]. وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [2]. وقد سلف في المجلس قبله. وحاصله الترغيب علىٰ الاحتمال؛ فإن كظم الغيظ من صفات أهل الجنة، وأهله من المحسنين والباري يحبهم وهو من عزم الأمور[3]، وكظم الغيظ أن يتجرعه فيمسك علىٰ ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثر، من قولهم: كَظَمَ القربة إذا ملأها وشدَّها، وكَظَمَ البعير إذا لم يجتر.

وروينا من حديث أبي هريرة: " أن رجلا قال يا رسول الله، إن لي قرابة أصِلَهُم ويقطعوني. . . "[4] الحديث، وقد سلف بطوله وشرحه في صلة الأرحام، وقد أخبر فيه أنه يناله من الاحتمال والحلم عنهم ألم عظيم وهو شاق من الغيظ كاف؛ فإنه لن يزال معه من الله ظهير عليهم وكفى به وناهيك.

---

(١) سورة آل عمران (١٣٤) .

(٢) سورة الشورى (٤٣) .

(٣) قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] قال سعيد بن جبير : يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالىٰ بها ، أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل . [ابن كثير في تفسيره (٤/١١٩)] .

(٤) تقدم تخريجه من قبل في صلة الأرحام .

مجلس في الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1]. رغب في تعظيمها، ومنه الغضب إذا انتُهكت. وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [2] أي في كل موطن دنيا وأخرى. وفي الباب حديث عائشة السالف في العفو.

وروينا من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري قال[3]: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا. فما رأيتُ رسول الله ﷺ غضب في موعظة قط أشد ما غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة» أخرجاه.

وروينا من حديث عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة له بقرام فيه تماثيل، فلما رآها رسول الله هتكه وتلوَّن وجهه وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»[4] أخرجاه. والسهوة

---

(١) سورة الحج(٣٠).
أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيما في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: ٣٠] أي فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك علىٰ ترك المحرمات واجتناب المحظورات. قال ابن جريج قال مجاهد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٠] قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها، وكذلك قال ابن زيد. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥)].

(٢) سورة محمد (٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٠٢) كتاب الأذان، [٦١] باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، ومسلم في صحيحه [٨٢ (٤٦٦)] كتاب الصلاة، [٣٧] باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في إتمام، وابن ماجه في سننه (٩٨٤، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩٥٤) كتاب اللباس، [٩١] باب ما وطئ من التصاوير، ومسلم في صحيحه [٩٢. (٢١٠٧)] كتاب اللباس والزينة، [٢٦] باب تحريم تصوير صورة الحيوان=

كالصفة تكون بين يدي البيت، والقِرام بكسر القاف: ستر رقيق. وهتكه[١]: أفسد الصورة التي فيه. وفيه وما بعده وما قبله غضبه لله تعالىٰ حتىٰ يُرَى ذلك في وجهه، وكفى بذلك مرغبًا، فالخير كله في اتباعه لأنه أكمل الخلق وأعلمهم بالله وبمراضيه، حشرنا الله في زمرته وتحت لوائه. وفيه الغضب عند التنفير من العبادة وبغض دينه وتحمل المشقة الشديدة وتضييع المصالح المهمة والوعظ بأن «منكم منفرين»، والتعليم بـ «أيكم أمَّ الناس فليوجز»، وتعريف الضرورة بنحو: «فإن من ورائه» إلىٰ آخره. وفي الثاني بيان صفة الإزالة باليد.

وروينا من حديث عائشة أيضًا أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ.[٢] فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟». ثم قام واختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٣] أخرجاه. وفيه عدم السعي في تعطيل الحدود رعاية لأهل الوجاهة والشرف، وصفة ما يفعل عند ذلك حتىٰ علىٰ الحثِّ بنحو: «أتشفع في كذا»، ثم الإسهاب بنحو القيام والاختطاب البيِّن وقال ذلك

= وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه.

قال النووي: السهوة: بفتح السين المهملة، قال الأصمعي: هي شبيهة بالرف أو بالطاق يوضع عليه الشيء. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ٧٤، ٧٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) قولها: "هتكته": هو بمعنى قطعه وأتلف الصورة التي فيه، وقد صرحت في الروايات المذكورات بعد هذه بأن هذا النمط كان في صور الخيل ذوات الأجنحة، وأنه كان فيه صورة فيستدل به لتغيير المنكر باليد، وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر، وأنه يجوز اتخاذ السائد، والله أعلم. [المرجع السابق (١٤/ ٧٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أجمع العلماء علىٰ تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الحاكم لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شرٍّ وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التي لاحد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا؛ لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه. [النووي في شرح مسلم (١١/ ١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] آخر باب بالكتاب، ومسلم في صحيحه [٨(١٦٨٨)] كتاب الحدود، [٢] باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود.، وأبو داود في سننه (٤٣٧٣) كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه.، والترمذي في سننه (١٤٣٠) كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، وابن ماجه في سننه (٢٥٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٥٣).

وأنه أهلك الأوائل، ثم إظهار التصميم حتىٰ في الأعز الأحب مؤكدا بالقسم، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ (١).

وأمَّنْتَني وأهنت نفسي راضيًا ما من يهون عليك ممن أكرم

وروينا من حديث أنس أن النبي ﷺ رأى نُخامة في القبلة فشقَّ ذلك عليه حتىٰ رُئي في وجهه، فقام فحكَّه بيده فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قِبَل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه»(٢)، ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم ردَّ بعضه علىٰ بعض فقال: «أو يفعل هكذا»(٣) أخرجاه. والأمر بالبصاق عن يساره وتحت قدمه هو فيما إذا كان في غير المسجد، فأما فيه فلا يبصقنَّ إلاَّ في ثوبه. وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الله والاستهانة بشعائره، وحالة رؤية آثار ذلك كالنخامة والمبادرة إلىٰ حكِّها، والتمثيل بما يخجل من (. . . . . . .)(٤).

---

(١) سورة النور (٢).
أي في حكم الله أي لا ترأفوا بهما في شرع الله، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية علىٰ ترك الحد، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم علىٰ ترك الحد ؛ فلا يجوز ذلك، قال مجاهد : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان، فتقام ولا تعطل . [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٩)] .

(٢) نهي المصلي عن البصاق بين يديه وعن يمينه، وهذا عام في المسجد وغيره، وقوله ﷺ : «وليبزق تحت قدمه وعن يساره هذا في غير المسجد، أما المصلي في المسجد فلا يبزق إلا في ثوبه ؛ لقوله ﷺ : «البزاق في المسجد خطيئة» فكيف يأذن فيه ﷺ ؟ وإنما نهىٰ عن البصاق عن يمينه تشريفًا لها . [النووي في شرح مسلم (٥/ ٣٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٠٥) كتاب الصلاة، [٣٣] باب حك البزاق باليد من المسجد، ورقم (٤١٧) [٣٩] باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه، ومسلم في صحيحه [٥٤. (٥٤٨، ٥٥١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [١٣] باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها .

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل .

مجلس في أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصحهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ (١) أمر بتواضعه ولينه لهم فكيف بغيره. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (٢) الآية. وفيها تفصيل ما يفعل وما يترك. والتفصيل بعد الإجمال وبيان الجزئيات الناشئة عن أمر بعد التأسيس حُسْن بالغ.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته؛ والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته»(٣) شامل لما فصل قبل ذلك.

وروينا من حديث معقل بن يسار مرفوعًا: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرَّم الله عليه الجنة»(٤) أخرجاه. ولمسلم: «ما من

---

(١) سورة الشعراء (٢١٥).

(٢) سورة النحل (٩٠).

يخبر تعالىٰ أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، وقال ابن عباس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النّحل: ٩٠] قال شهادة أن لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة: العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته. [تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٠، ٦٠١)].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٩٣) كتاب الجمعة، [١١] باب الجمعة في القرى والمدن، وكذا رقم (٢٤٠٩، ٢٥٥٤، ٢٥٥٨، ٢٧٥١، ٥٢٠٠)، ومسلم في صحيحه [٢٠. (١٨٢٩)] كتاب الإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث علىٰ الرفق بالرعية، والترمذي في سننه (١٧٠٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ٥، ٥٤، ١١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٣١٨، ٦/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٥٠) كتاب الأحكام، [٨] باب من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم في صحيحه [٢١. (١٤٢)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والبيهقي في السنن الكبرى(٩/ ٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٦).

أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلاَّ لم يدخل معهم الجنة»[١]. وفيه تحذير كل راع من الغِشِّ وعدم النصيحة والجهد له وما أبلغه من تهديد.

وروينا من حديث عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»[٢] أخرجه مسلم. وفيه الدعاء علىٰ من شَقَّ عليهم بتشديد أو غيره والدعاء لمن رفق بهم، فليختر لنفسه ولي الأمر، والله المستعان.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «كانت بنو إسرائيل تَسُوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «أوفوا ببيعة الأول ثم أعطوهم حقهم وسلوا الله الذي لكم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٣] أخرجاه. وفيه الحث علىٰ الشفقة والقيام بالحقوق كلها، إذ من سائله الله لا بُدَّ وأن يجيب فإن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌّ.

وروينا من حديث عائذ بن عمرو أنه دخل علىٰ عبيد الله بن زياد فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شرَّ الرّعاء الحُطمة، فإياك أن تكون منهم»[٤] أخرجاه. وفيه التحذير من الإغلاظ والتشديد والغش والإيذاء وكل فساد[٥]، وفي تسميته بالحُطمة وأنه شرّ الرّعاء ما فيه كفاية.

وروينا من حديث أبي مريم الأزدي أنه قال لمعاوية: ' سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاَّه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم احتجب الله دون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢. (١٤٢)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٦) والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩. (١٨٢٨)] كتابالإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٣، ١٠/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٢] باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم في صحيحه [٤٤. (١٨٤٢)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٤٤)، والألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٢٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٥٣، ٦/ ٢٢٤).

(٤) قوله ﷺ : «إن شر الرعاء الحطمة» قالوا :هو العنيف في رعيته، لا يرفق بها في سوقها ومرعاها، بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها . [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣. (١٨٣٠)] كتاب الإمارة، [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية،والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٨)،وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ٢٨٥).

حاجته وخلَّته وفقره يوم القيامة». فجعل معاوية رجلا علىٰ حوائج الناس »[1] رواه أبو داود والترمذي. وفيه تهديد من أهمل مصالح المسلمين وتغافل عنهم وعن حوائجهم واحتجب دونهم بما لا طاقة لأحد به.

مجلس في الوالي العادل

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [2] الآية. وقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [3]. وفي الآية الأولىٰ إشعار بأن العادل امتثل أمر الله، وكفىٰ بذلك جمالاً وعبودية. وفي الثانية أثر ذلك وثمرته وفائدته العُظْمى وهي بشارة أن الله يحب المقسطين.

وروينا من حديث أبي هرير مرفوعًا[4]: «سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله؛ إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» أخرجاه. وإذا أظل الله تعالىٰ الإمام العادل في ظله فأيُّ مضرَّة أو مذلَّة تناله.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «إن المقسطين عند الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٤٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٢٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٢٩).

(٢) سورة النحل (٩٠).

(٣) سورة الحجرات (٩).

أي اعدلوا بينهما فيما كانا أصاب بعضهم لبعض بالقسط، وهو العدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المَائدة: ٤٢]، وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ منابر من نور علىٰ يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا». [تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١)].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٢٣) كتاب الزكاة، [١٨] باب الصدقة باليمين، ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة [٣٠] باب فضل إخفاء الصدقة، والترمذي في سننه (٢٣٩١) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، والنسائي (٨/ ٢٢٢. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١٢، ٥/ ٧) وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠١).

علىٰ منابر من نور؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[(١)] أخرجه مسلم. وناهيك بذلك وجاهة ورفعة.

وروينا من حديث عوف بن مالك مرفوعًا: «خيار أئمتكم الذين تحبُّونهم ويحبونكم وتُصلُّون عليهم ويُصَلُّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا نُنابذهم؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»[(٢)] أخرجه مسلم. تُصلُّون عليهم: تدعون لهم، فهؤلاء الخيار ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[(٣)].

وروينا من حديث عياض بن حمار مرفوعًا: «أهل الجنة ثلاثة؛ ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف مُتَعفِّف ذو عيال»[(٤)] أخرجه مسلم. وفيه أنهم من أهل الجنة وليس وراعيًا ذات قربة.

مجلس في وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم فيها

قال تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[(٥)] فأمر تعالىٰ بذلك. فأولوا الأمر: قيل العلماء الدينيون الذين يُعلِّمون الناس الدين ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: أُمراء السرايا. والأشهر أنهم الحُكَّام وولاة الأحكام، فلما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨. (١٨٢٧)] كتاب الإمارة [٥] باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، والنسائي (٨/ ٢٢١. المجتبى)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٣٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٦ ـ (١٨٥٥)] كتاب الإمارة، [١٧] باب خيار الأئمة وشرارهم، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٨، ١٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٠٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٧١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٧).

(٣) سورة الرعد (٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٣. (٢٨٦٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٦] باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٢، ٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٤٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٦٠).

(٥) سورة النساء (٥٩).

أمر تعالىٰ الولاة بأداء الأمانات إلىٰ أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس أن يطيعوهم وينزلوا علىٰ قضاياهم. والمراد أمراء الحق لا الجور.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا(١): «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلاَّ أن يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» أخرجاه. فسبب الوجوب صفة الإسلام بشرط كونه طاعة.

وروينا من حديثه أيضًا قال: " كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم» "(٢) أخرجاه. وما لا يُستطاع ليس في الوسع: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣).

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٤) أخرجه مسلم. وله: «ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت مِيتة جاهلية»(٥). المِيتة: بكسر الميم. وفيه التحذير البليغ من المخالفة مع الشرطين.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدا حبشيًا كأن رأسه زبيبة»(٦) أخرجه البخاري. وليس ذلك بمانع من طاعته، فذو الشَّوكة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٤) كتاب الأحكام [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم في صحيحة [٣٨. (١٨٣٩)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، والنسائي (٧/ ١٦٠. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٨٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٢٠٢) كتاب الأحكام (٢٣) باب كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم في صحيحه [٩٠. (١٨٦٧)] كتاب الإمارة، [٢٢] باب البيعة علىٰ السمع والطاعة في ما استطاع، والترمذي في سننه (١٥٩٣) كتاب السير، باب ما جاء في بيعة النبي ﷺ، والنسائي (٧/ ١٥٢. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٩، ٣/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٢).

(٣) سورة البقرة (٢٨٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٨ ـ (١٨٥١)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج علىٰ الطاعة ومفارقة الجماعة، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٣٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٢٠٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٨٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (١٨٤٨)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وأحمد في مسنده (٢/ ٨٣، ١٥٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٢) كتاب الأحكام، [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وابن ماجه في سننه (٢٨٦٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١١٤)، والبيهقي في=

يُطاع ولو كان ناقصا.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسْرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»[(١)] أخرجه مسلم. فليس شيء من هذه الأمور بمانع من وجوب الطاعة.

وروينا من حديث ابن عمرو قال: " كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، فمنَّا من يُصلح خِبَاءَه، ومنَّا من ينتضل، ومنَّا من هو في جَشَرِه إذ نادى منادي رسول الله: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي إلاَّ كان عليه حقا أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أُمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيُرقق بعضها[(٢)] بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح من النار ويدخل الجنة فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلىٰ الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليُطعه إن استطاع، فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عُنُقَ الآخر»[(٣)] أخرجه مسلم.

وينتضل: يسابق بالرمي بالنبل والنشاب. والجَشَرُ بفتح الجيم والشين المعجمة

= السنن الكبرى (٨/ ١٥٥)، والتبريزي في مشكاةالمصابيح (٣٦٦٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٦)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥ ـ (١٨٣٦)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٨١، ٥/ ٣٢١)، وابن حبان في صحيحه (١٥٤٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٢١).

(٢) قوله ﷺ: «وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا» هذه اللفظة رويت علىٰ أوجه: أحدها وهو الذي نقله القاضي عن جمهور الرواة: يُرَقِّقُ. بضم الياء وفتح الراء وبقافين. أي يصير بعضها رقيقا أي خفيفا لعظم ما بعده.
فالثاني يجعل الأول رقيقا، وقيل معناه: يشبه بعضها بعضا، وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء، وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها.
والوجه الثاني: فيرْفُق. بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة. والثالث: فيدفق. بالدال المهملة الساكنة، وبالفاء المكسورة. أي يدفع ويصيب، والدفق الصب. [النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦. (١٨٤٤)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، والنسائي (٧/ ١٥٣. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٣٥٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٩١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥، ١٢٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٠٢).

وبالراء: الدواب التي ترعى وتبيت في مكانها. وترقق بعضها إلىٰ بعض: أي تصير بعضها بعضًا رقيقًا أي خفيفا لعظم ما بعده، فالثاني يرقق الأول. وقيل: تسوق بعضها بعضا بتحسينها وتسويلها. وقيل: تشدّ بعضها بعضا. وفيه أن من بويع أولا فهو أحق بالطاعة(١)، فتضرب رقبة الأخير إن أضرَّ وضال.

وروينا من حديث وائل بن حجر قال: " سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم "(٢) أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «سيكون بعدي أُمراء وأمور تُنكرونها». قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدُّون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»(٣) أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»(٤) أخرجاه. وفيه بيان رتبة الإمارة وكبر شأنها، ولا أبلغ في التعبير عن ذلك بذلك، وهو من الشكل الرابع.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السُّلطان شبرا فمات عليه إلاَّ مات ميتة جاهلية»(٥) أخرجاه. ولا شك أن الخروج شؤم.

---

(١) قوله ﷺ «فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج علىٰ الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه لأنه ظالم متعد في قتاله. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٩٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٩ ـ (١٨٤٦)] كتاب الإمارة، [١٢] باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، والترمذي (٢١٩٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٧٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٣، ٤/ ٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٦٠٣) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ورقم (٧٠٥٢) كتاب الفتن، [٢] باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها»، ومسلم في صحيحه [٤٥. (١٨٤٣)] كتاب الإمارة، [١٠] باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢٨، ٤٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٣٧) كتاب الأحكام، [١] باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ومسلم في صحيحه [٣٢. (١٨٣٥)] كتاب الإمارة، [٨] باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٣) كتاب الأحكام، [٤] باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن=

وروينا من حديث أبي بكر مرفوعًا: «من أهان السلطان أهانه الله»[(١)] رواه الترمذي وحسنه. وفيه حسن الأدب والمبادرة للإكرام وكفّ اللسان ونحو ذلك، فإن السلطان ظل الله في أرضه. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح سلف بعضها في مواضع.

مجلس في النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم تتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)].

وروينا من حديث عبد الرحمن بن سمرة مرفوعًا: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أُعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها، وإذا أُعطيتها عن مسألة وُكِّلْت إليها...»[(٣)] الحديث. أخرجاه.

وروينا من حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أُحب لك ما أُحب لنفسي، لا تأمرنّ علىٰ اثنين ولا تولَّينَّ مال يتيم»[(٤)] أخرجه مسلم. ولا أبلغ في النهي عن الولاية من ذلك وذمها. وعنه قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده علىٰ منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[(٥)] أخرجه مسلم

= معصية، ومسلم في صحيحة [٥٦ ـ (١٨٤٩)] كتاب الإمارة، [١٣] باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج علىٰ الطاعة ومفارقة الجماعة.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢٢٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٢، ٤٩)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٩٥)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٢٦).

(٢) سورة القصص (٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٦) كتاب الأحكام، [٥] باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، ومسلم في صحيحه [١٣. (١٦٥٢)] كتاب الإمارة، [٣] باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، وأبو داود (٢٩٢٩)، والترمذي (١٥٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧. (١٨٢٦)] كتاب الإمارة، [٤] باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، وأبو داود في سننه (٢٨٦٨)، والنسائي (٦/ ٢٥٥. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٩، ٦/ ٢٨٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩١)، والزبيدي في الإتحاف(٨/ ٣١٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦. (١٨٢٥)] كتاب الإمارة، [٤] باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٧).

أيضا. وليس المراد ضعيف البدن إذ لا مدخل له في الإمارة ولا ضعف العلم فإنه حفظ علمًا جمًّا كما قال عمر ﷺ، ولا ضعف الهمة والتصميم علىٰ الحق، وإنما المراد الضعف عن احتمال لجاج الخصوم ولددهم وكان خلقه لا يحتمل ذلك، أو عن شدّ أيد أهوالها وحزبها ونكالها فيما يظهر. وقوله: «فإنها أمانة» أي من التي أمنت السماوات والأرض عليها ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وقوله: «فإنها يوم القيامة خزي وندامة» فشهوده عياني لكل موفق. وقوله: «إلاً من أخذها بحقها» أشد مستوقف عنها لمن فهم قوله: «وأدّى الذي عليه»، فيها أبلغ مانع وأكف منفر[١]

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إنكم ستحرصون علىٰ الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة»[٢] أخرجه البخاري. فالحرص عليها إذن لشهود أنها «نعم المرضعة وبئست الفاطمة».

مجلس في حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قُرَناء السوء والقبول منهم

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣]. وفيها الإغراء بخلة المتقين والتحذير من خلة غيرهم وأنها عداوة في الحقيقة.

---

(١) هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله تعالىٰ يوم القيامة ويفضحه ويندم علىٰ ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة، كحديث «سبعة يظلهم الله ...» وحديث «إن المقسطين علىٰ منابر من نور ...»، وإجماع المسلمين منعقد عليه. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٧٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٤٨) كتاب الأحكام، [٧] باب ما يكره من الحرص علىٰ الإمارة، والنسائي (٧/ ١٦٢، ٨/ ٢٢٥. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٩، ١٠/ ٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء(٧/ ٩٣)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٨١)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٧)،وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٢١٦).

(٣) سورة الزخرف(٦٧).

أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥] [تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٣)].

وروينا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلاَّ كان له بطانتان؛ بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله»(١) أخرجه البخاري. وفيه تعريف سنة الله في خليقته والمعصوم من عصم الله.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إذا أراد الله بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكَّره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعينه»(٢). رواه أبو داود بإسناد جيد علىٰ شرط مسلم. وفيه تعريف فيمن يريد به خيرًا ومن يريد به غير ذلك، ولا تعارض عند التأمُّل.

مجلس في النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها

أو حرص عليها فعرَّض بهما. روينا في الصحيحين(٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: " دخلت علىٰ رسول الله أنا ورجلان من بني عمير فقال أحدهما: يا رسول الله، أَمِّرْنا علىٰ بعض ما ولأَّك الله - عز وجل. وقال الآخر مثل ذلك فقال: «إنَّا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه» " .

مجلس في الحياء وفضله والحث على التخلق به

روينا من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ مرَّ علىٰ رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه؛ فإن الحياء من الإيمان» أخرجاه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٩٨) كتاب الأحكام، [٤٢] باب بطانة الإمام وأهل مشورته، والنسائي (٧/ ١٥٨. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢١، ٢٢)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٣٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الوزير، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٤، ٦/ ١٧٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٢٣) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، [٢] باب حكم المرتد والمرتدة، ومسلم في صحيحه [١٤. (١٧٣٣)]، [١٥] كتاب الإمارة، [٣] باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، وأبو داود في الحدود، باب [١]، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٩٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٤) كتاب الإيمان، [١٦] باب الحياء من الإيمان، ورقم (٦١١٨) =

فالحياء منشأه من الإيمان، وكذا كل حالة قلبية فإنها تنشأ من الاعتقاد المناسب لها.

وروينا من حديث عمران بن حصين مرفوعًا: «الحياء لا يأتي إلاَّ بخير»[١] أخرجاه. ولمسلم: «الحياء خير كله»، أو قال: «الحياء كله خير»[٢]. فالحياء ثمرته كلها جميلة وأنواعه كلها خير.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، وأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٣] أخرجاه. والبِضع ـ بكسر الباء ويجوز فتحها: هو من الثلاثة إلىٰ العشرة. والشعبة: القطعة والخصلة. والإماطة: الإزالة. والأذى: ما يؤذي، كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك. فمرتبة الحياء فوق أدنى الخصال التي هي شعب الإيمان[٤] ودون أعلاها، وإماطة الأذى فرعه، وأصل الشيء أعلا من فرعه.

وروينا من حديث أبي سعيد قال: " كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء

= كتاب الأدب [٧٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٥٩.(٣٦)] كتاب الإيمان [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، وأبو داود في سننه (٤٧٩٥)، والنسائي (٨/ ١٢١. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٦، ١٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١٧) كتاب الأدب [٧٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٦٠. (٣٧)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٢٧)، والطبراني في المعجم لكبير (١٨/ ٢٠٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٠٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٠٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦١. (٣٧)] كتاب الإيمان [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩) كتاب الإيمان، [٣] باب أمور الإيمان، ومسلم في صحيحه [٥٧. (٣٥)]، [٥٨ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان، [١٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، والنسائي (٨/ ١١٠. والمجتبى)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٤٧).

(٤) قال الإمام الحافظ أبو حاتم ابن حبان ـ بكسر الحاء: تتبعت معنى هذا الحديث مرة، وعددت الطاعات، فإذا هي تزيد علىٰ هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعت إلى السنن فعددت كل طاعة عدها الرسول ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فرجعت إلى كتاب الله تعالىٰ فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالىٰ من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والستين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد فإذا كل شيء عده الله تعالىٰ ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا يزيد ولا ينقص [النووي في شرح مسلم (٢/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية].

في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه "[١] أخرجاه. وفيه بيان أن أهله أكابر الكرام، ورأسهم فيه سيد الأنام عليه أزكى تحية وأفضل سلام، وأنه تتفاوت درجاته بالقوة والضعف. وحاصل هذه الأحاديث بيان سبب الحياء وثمرته وتنوعه ومرتبته وبيان أهله وتفاوت درجته، وكل منها مرغِّب وجاذب ومناد يمدحه وناطق.

فائدة: حقيقة الحياء خلق يبعث علىٰ ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وروينا عن أبي القاسم الجنيد[٢]. رحمه الله. قال: الحياء رؤية الآلاء. أي النعم. ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء.

مجلس في حفظ السِّر

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [٣] فأمر تعالىٰ بإيفائه، وهو شامل لكل عهد واستئمان علىٰ سرّ وتعاهده علىٰ حفظه وعدم إذاعته، وإنه ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾: إما مطلوبا من العباد وإما مسئولا عنه وكله لتأكيد الإيفاء به. ولنذكر أحاديث دالة علىٰ التحذير من إفشاء السرّ ونشره وبيان تفاوت درجات نشره، وبيان أهل حفظ السر وأنهم أُولوا الأدب والكمال من الرجال والنساء والصبيان وأنه ينبغي قبول عذرهم في الكتمان من غير تكلُّف الإفشاء، وبيان مجاريه المتأكدة وبيان وقت الحفظ والنشر وما ليس بعذر يُستباح. فروينا من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلىٰ المرأة وتفضي إليه ثم ينشر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٦٢) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ورقم (٦١٠٢) كتاب الأدب [٧٢] باب من لم يواجه الناس بالعتاب،ورقم (٦١١٩) كتاب الأدب [١٧] باب الحياء، ومسلم في صحيحه [٦٧. (٢٣٢٠)] كتاب الفضائل، [١٦] باب حيائه ﷺ، وأحمد في مسنده (٣/ ٧١، ٩١)،والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢)،وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٣٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦، ٩/ ١٧) .

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل : كان أبوه قواريريًا، يعني زجاجًا، وكان هو خزازاً، ولد ببغداد بعد العشرين والمائتين أو قبلها، وتفقه علىٰ أبي ثور، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له، وحدث بشيء يسير، كان شيخ العارفين، وقوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه، وتوفي سنة (٢٩٨) . [تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات (٢٩١. ٣٠٠)] .

(٣) سورة الإسراء (٣٤) .

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤] أي الذي تعاهدون عليه الناس، والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي عنه. [تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠)] .

سرَّها»[١] أخرجه مسلم. وفيه أحد مجاري حفظ السرّ وهو ما يكون بين الزوجين. سُئل عروس عن أمره فقال: لو كان الإخبار من قصدي لم أُغلق الباب ولم أرخ الستر. وفيه من بيان مرتبته أن كل مُفْش لسر شرير، ولكن من أشرِّ الأشرار[٢] هاتك ستر امرأته. وفيه أن السر قد يعرف بلسان الحال واحتقان الدائن به، والمرأة حريصة علىٰ ستر عورتها وأشباه ذلك، ولولا ضرورة الإفضاء ما أفشت من ذلك شيئًا وكذلك الرجل. وفيه أبلغ تحذير ممن هو أشرّ الناس منزلة يوم القيامة عند الله العظيم، وفيه أن ذلك مما يكتم ولا يُفشى أبدًا.

وروينا من حديث عبد الله بن عمر أن عمر حين تأيَّمت[٣] بنته حفصة قال: «أتيت عثمان بن عفان وعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. فقال: سأنظر في أمري. فلبث ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي. فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر. فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت عليه أوجد منِّي علىٰ عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إيَّاه فلقيه أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرد إليك بشيئًا قلت: نعم. قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣. (١٤٣٧)] كتاب النكاح، [٢١] باب تحريم إفشاء سر المراة، والألباني في إرواء الغليل(٧/ ٧٤)، وفي آداب الزفاف (٦١) .

(٢) قال القاضي : هكذا وقعت الرواية : أشر بالألف، وأهل النحو يقولون : لا يجوز « أشر وأخير » ، وإنما يقال : هو خير منه وشرمنه، قال : وقد جاءت الأحاديث الصحيحة باللغتين جميعا، وهي حجة في جوازهما جميعا، وأنهما لغتان، وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة من قول أو فعل ونحوه، فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم تكن فيه فائدة ولا حاجة فمكروه ؛ لأنه خلاف المروءة . [النووي في شرح مسلم (١٠/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) قال العلماء : الأيم هنا الثيب، وللأيم معان أخر، قال القاضي : اختلف العلماء في المراد بالأيم هنا مع اتفاق أهل اللغة علىٰ أنها تطلق علىٰ امرأة لا زوج لها صغيرة كانت أو كبيرة، بكرًا كانت أو ثيبًا، قاله إبراهيم الحربي وإسماعيل القاضي وغيرهما . والأيمة في اللغة : العزوبة، ورجل أيم وامرأة أيم، وحكى أبو عبيدة أنه أيمة أيضًا .

قال القاضي : ثم اختلف العلماء في المراد بها هنا، فقال علماء الحجاز والفقهاء كافة : المراد الثيب . وقال الكوفيون وزفر : الأيم هنا كل امرأة لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا كما هو مقتضاها في اللغة، قالوا : فكل امرأة بلغت فهي أحق بنفسها من وليها وعقدها علىٰ نفسها النكاح صحيح، وبه قال الشعبي والزهري، قالوا : وليس الولي من أركان صحة النكاح بل من تمامه، وقال الأوزاعي وأبو يوسف ومحمد: تتوقف صحة النكاح علىٰ إجازة الولي . [النووي في شرح مسلم (٩/ ١٧٣، ١٧٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

عرضت عليَّ إلاَّ أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها، فلم أكن أفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لقبلتها "[١] أخرجه البخاري. وتأيَّمت: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي. ووَجَدت: غضبت. وفيه مجرى ثان: وهو ما يكون في مجالس الكبراء. وثالث: وهو ما يقع من نحو الشيخ والأستاذ. ورابع: وهو ما يُحدِّث به الصاحب عن شأنه وعزائمه و نحو ذلك، فالصِّدِّيق اعتذر بأنه لم يكن يفشي سرَّ رسول الله ﷺ[٢]. وفيه أن حافظ الأسرار وكاتمها خير الأمة وصديقها فليقتد به المستأذنون. وفيه أن الصديق عرف أن سر نفريته مجرد الذكر من غير يقين وقوع ذلك، ولو تركها الشارع قبلها. وفيه أن وقت الحفظ ما لم يقع، فالسر بعد وقوعه إذ لا أذى يتوهم حينئذ، فلذلك ذكره الصديق. وفيه أن حفظ قلوب الأحباب الأكابر ليس عذرا في إفشاء السر، فالصديق عرف غضب الفاروق في سكوته كما يصرح به قوله: " لعلك وجدت عليَّ. . . " إلىٰ آخره. ومع هذا كتم السر ولم يفشه وكانت موجدة عمر عليه أسهل من إفشاء سرِّه ﷺ.

وروينا من حديث عائشة قالت[٣]: " كُنَّ أزواج رسول الله ﷺ عنده، فأقبلت فاطمة تمشي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحَّب بها وقال: «مرحبا بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارَّها فبكت بكاءً شديدا، فلما رأى جزعها سارَّها ثانية فضحكت[٤]، فقلت لها: خصَّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥١٢٢) كتاب النكاح، [٣٤] باب عرض الإنسان ابنته أو أخته علىٰ أهل الخير .

(٢) قال الذهبي في ترجمته لحفصة أم المؤمنين : تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، قالت عائشة : وهو التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ . ويروى أنها ولدت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أخت عبد الله بن عمر وأمهما هي زينب أخ عثمان بن مظعون،
وكانت حفصة قبل النبي ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، أحد من شهد بدراً فتوفي بالمدينة . [تاريخ الإسلام، وفيات (٤١-٥٠)] .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٧١٥، ٣٧١٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [١١] باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة. عليها السلام. بنت النبي ﷺ . وقال النبي ﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»، ومسلم في صحيحه، [٩٨. (٢٤٥٠)] كتاب فضائل الصحابة، [١٥] باب فضائل فاطمة بنت النبي. عليها السلام .

(٤) قولها : «فأخبرني أني أول من يلحق به من أهله فضحكت» هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان، فأخبر ببقائها بعده، وبأنها أول أهله لحوقا به، ووقع كذلك، وضحكت سروراً بسرعة لحاقها، وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا . [النووي في شرح مسلم (٥/١٦) طبعة دار الكتب العلمية] .

قالت: ما كنت لأفشي علىٰ رسول الله ﷺ سرَّه. فلما توفي رسول الله قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ[١] فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل ﷺ كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، «وأنه عارضني الآن مرتين، وإني لا أُرى الأجل إلاَّ قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك». فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟» فضحكت ضحكي الذي رأيت"[٢] أخرجاه، والسياق لمسلم. وفيه مجرى خامس وهو ما يكون بين الوالد وولده، وفيه أن من أهل حفظ السر سيدة نساء المؤمنين فليُتأسَّى بها. وفيه أن تعريض أم المؤمنين لها بقولها: خصك بكذا وأنت تبكين، ليس عذرا يُستباح بمثله الأشياء، بل بتصريحها المحكي بقولها: فلما مات رسول الله سألتها: ما قال لك؟ وفيه أن المعتذر لا يُكلَّف، والصِّديقة[٣] لم تُلح علىٰ الزهراء فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله. وفيه أن الزهراء فهمت كونه سرًّا باختصاصها به دون نسائه. وفيه أن وقت الحفظ مدة الحياة النبوية لقرينة أن اقتراب الأجل سبق الإخبار قبل الموت أما بعده فأي مشقَّة فيه، فمن السر ما يُفشَى لكن وقت الإفشاء كما سلف في قصة الصِّديق.

وروينا من حديث ثابت عن أنس[٤] قال: " أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب

(١) روى الترمذي في سننه (٣٨٧٨) كتاب المناقب، باب فضل خديجة عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه أول الحديث في الصحيحين، وأخرجه أيضًا: الترمذي في سننه (٣٨٧٣) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٤٠)، والزبيدي في في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٤٤) وتهذيب خصائص علي للنسائي (٦٤).

(٣) كذا كان لقب عائشة: الصديقة بنت الصديق، ولنا كتاب (الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة) من تحقيقنا. [طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) من فضائل أنس بن مالك فيما رواه مسلم [١٤٢. (٢٤٨١)] من فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس، عن أنس قال: دخل النبي ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك، ادع الله له، قال: فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه».
قال النووي: هذا من أعلام نبوته ﷺ في إجابة دعائه.
وفي رقم (١٤٣) قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون علي نحو المائة اليوم.

مع الغلمان فسلَّم علينا، فبعثني إلىٰ حاجة فأبطأت علىٰ أمي، فلما جئت قالت: ما حَبَسَك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجته. قالت: وما حاجته؟ قلت لها: سرّ. قالت: لا تُخبرنَّ بسر رسول الله أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت أحدا لحدَّثتك به يا ثابت "[1] أخرجه مسلم، وللبخاري بعضه مختصرًا. وفيه مجرى سادس وهو ما يكون بين الرجل وخادمه. وفيه أن من أهل الحفظ أنس، وحُقَّ له إذ تربَّى في بيت النبوة. وفيه قبول أُمِّه عُذره، بل أكدته بقولها: لا تخبرنَّ بسرِّه أحدا. وعرف أنس أنه (. . . . .)[2] عليه أو لقرينه، وفيه أن من السرّ ما لا يُفشَى. وفيه أن سؤال الوالدة مع عظم حقوقها[3] ليس عذرًا يبلغ الإفشاء به.

مجلس في الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[4]. وفيه تحذير التارك لخير اعتاده من تغيير الله تعالىٰ نعمه عليه. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾[5]. والأنكاث: جمع نكث، وهو الغزل المنقوض. وفيه التنفير من ذلك أيضًا بتشبيهه بامرأة حمقاء نقضت غزلها كما ذكر، فالخير مُقوٍّ للإيمان والترك له نقيضه، ولا أبلغ من ذلك منفرًا. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾[6]. وفيها النهي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٥. (٢٤٨٢)] كتاب فضائل الصحابة، [٣٢] باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنهما، وروى البخاري في صحيحه مختصراً (٦٢٨٩) كتاب الاستئذان، [٤٦] باب حفظ السر، عن أنس بلفظ: " أسر إليَّ النبي ﷺ سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به " . وبلفظ البخاري رواه مسلم رقم [١٤٦. (٢٤٨٢)] به .

(٢) قدر ثلاث كلمات غير واضحة .

(٣) من عظم حقوق الأم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة : " جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : «أمك» قال : ثم من ؟ قال : «ثم أمك» قال : ثم من ؟ قال : «ثم أمك» قال : ثم من ؟ قال : «ثم أبوك» . قال العلماء : سبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك، ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء علىٰ أن الأم تفضل في البر علىٰ الأب، وحكى القاضي عياض خلافا في ذلك، فقال الجمهور بتفضيلها، وقال بعضهم : يكون برهما سواء، قال : ونسب بعضهم هذا إلى مالك، والصواب الأول، لصريح هذه الأحاديث في المعنى المذكور والله أعلم . [النووي في شرح مسلم (١٦/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) سورة الرعد (١١) .

(٥) سورة النحل (٩٢) .

(٦) سورة الحديد (١٦) .

عن مشابهة الغضب والضلال في قسوة ببعد عن الرحمة وتوقع في الفسق والخروج عن الدين فقال تعالىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (١) وفيها العتب والتوبيخ علىٰ من لم يرع ما التزمه من الخير حق رعايته.

وروينا في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فترك قيام الليل»(٢). وفيه النهي عن التأسّي بالمتخلّفين. والحاصل من ذلك كله التنفير من التهاون في ذلك والنهي عن اتخاذ أهل المهانة قدوة ومؤتسى.

مجلس في استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. أمر بخفض الجناح، ومن لوازمه الطلاقة المخالفة لمصاعرة الخد. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]. حذَّر من العبوسة وبيان ثمرتها وهي المعاداة والنفرة والمباعدة؛ إذ منشأها الفظاظة وغلظ القلب.

وروينا من حديث عدي بن حاتم مرفوعًا: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم

= نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا، ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا علىٰ الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠)].

(١) سورة الحديد (٢٧).
أي فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين: احدهما: الابتداع في دين الله ما لم يامر به الله.
والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٥)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١١٥٢) كتاب التهجد [١٩] باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم في صحيحه [١٨٥ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، [٣٥] باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا، أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٣٤)، والقرطبي في تفسيره(١٦/ ٥٧).

يجد فبكلمة طيبة»[١] أخرجاه. فالكلمة الطيبة سِتر من النار.

وروينا من حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» أخرجه مسلم[٢]. فطلاقة الوجه لا ينبغي أن يُحتقر أمره.

مجلس في استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلاَّ بذلك

روينا من حديث أنس " أنه ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثا حتىٰ تُفهم عنه، وإذا أتى علىٰ قوم فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثا " أخرجه البخاري[٣].

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان كلام رسول الله كلاما فصْلا يفهمُهُ كلُّ من سمعه "[٤] رواه أبو داود. ففي الاقتداء بسيد المرسلين الكاملين أُسوة حسنة وليس (. . .)[٥].

ووقارًا[٦] وتواضعًا لا يضربون أقدامهم ولا يخفقون بنعالهم مراءً وبَطَرًا، وأهل هذا عباد الرحمن وكفى به ترغيبا.

وروينا من حديث عائشة قالت: " ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا قطُّ ضاحكا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٢٣) كتاب الأدب، [٣٤] باب طيب الكلام، ومسلم في صحيحه [٦٦. (١٠١٦)] كتاب الزكاة، [٢٠] باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي (٢٤١٥) كتاب صفة القيامة، [١] باب في القيامة ، والنسائي (٥/ ٧٥. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٢٥٦، ٢٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٥، ٣٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٦٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥، ١٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥، ٦/ ٣٨٢)،والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٧٠، ٦/ ٢٦١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٤. (٢٦٢٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٣] باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣، ٥/ ٦٣، ٦٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤م١٨٨، ١٠/ ٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٨٦٦، ١٢٢١، ١٤٥٠. الموارد) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٨٢، ٥٣٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٤، ٩٥) كتاب العلم، [٣] باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه فقال : «ألا وقول الزور» فما زال يكررها، ورقم (٦٢٤٤) كتاب الاستئذان ثلاثاً، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٣٩) كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٠٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٨٩) .

(٥) سقطت الورقة (٢٥٢) من المخطوط .

(٦) أول الورقة (٢٥٣) .

حتىٰ ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم "[١] أخرجاه. اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم. وفيه الانبساط وصفته، وفيه التبسم دون الاستجماع، وهذه صفة أكرم الخلق علىٰ الله وخيرهم سمتًا وهديًا. وقد تضمنت الآية والحديث بيان مجاري الوقار وصفته والترغيب فيه وبيان أهله.

مجلس في الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [٢].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتمُّوا»[٣] أخرجاه. زاد مسلم: «فإن أحدكم إذا كان يعمد إلىٰ الصلاة فهو في صلاة»[٤] وفيه الأمر بالسكينة والنهي عن السعي المخالف لها، أما الاهتمام والبدار وحسن الإقبال ونحوها فذلك هو المراد بقوله: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ٩] [٥]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [٦]. وفيه أن إتمام ما تفوته السكينة خير من فضل ما يدركه بالعجلة، وأن الحكمة التي توقع في العجلة ليس إلاَّ التلبس بالصلاة وشغل الزمان به دون المشي، وبيان أن ذلك وهْمٌ فاسد.

وروينا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه دفع مع رسول الله ﷺ يوم عرفة فسمع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٩٢) كتاب الأدب، [٦٨] باب التبسم والضحك، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٠٥) .

(٢) سورة الحج (٣٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٠٨) كتاب الجمعة، [١٨] باب المشي إلى الجمعة، ومسلم في صحيحه [١٥١. (٦٠٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٨] باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعياً، والترمذي (٣٢٧)، وابن ماجه (٧٧٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٠، ٤٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩٧، ٤/ ٢٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠٥، ١٧٧٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٠٢، ٣٤٠٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٢. (٦٠٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٨] باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا .

(٥) سورة الجمعة (٩) . أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسرَاء: ١٩] . [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥)] .

(٦) سورة آل عمران (١٣٣) .

رسول الله ﷺ زجرًا شديدًا وضربًا للإبل وصوتًا، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة فإن البرَّ ليس بالإيضاع»[1] أخرجه البخاري. ولمسلم بعضه، البر طاعة، والإيضاع بضاد معجمة وقبلها همزة مكسورة: الإسراع. وفيه نفي وهم أن العجلة مما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ، فإن البر ليس بالإيضاع الذي تتهالكون عليه، وأما نحو: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[2] فذلك هو البرّ والقربة. وقد تضمنت الآية والأحاديث المذكورة الترغيب في السكينة والأمر بها والنهي عن ضدًّها ونفي توهم التقرب بها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٧١) كتاب الحج، [٩٥] باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٩، ٥/ ٢٠١، ٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥، ٣/ ٢٧٥) .

(٢) سورة طه (٨٤) .

فهرس المحتويات

حدائق الأولياء

١٣٤ مجلساً في شتى فروع المعرفة
من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها

تأليف

الإمام سراج الدين عمر بن علي بن أحمد
ابن الملقن الأنصاري الأندلسي
المتوفى ٨٠٤هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
السيد يوسف أحمد

الجزء الثاني


دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

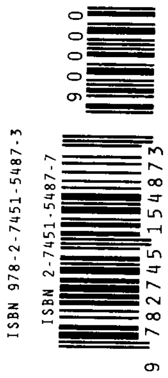
Title: **ḤADĀʾIQ AL-ʾAWLIYĀʾ**
(Gardens of the holy men)
Classification: Jurisprudence and morals
Author : Imām Sirājuddīn Ibn al-Mulaqqin
Editor : Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages : 1216 (2 volumes)
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب: حدائق الأولياء
التصنيف : فقه وأخلاق
المؤلف : الإمام سراج الدين ابن الملقن
المحقق : السيد يوسف أحمد
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات: 1216 (جزءان)
سنة الطباعة : 2009
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ +٩٦١
فاكس: ٥٨٠٤٨١٣ +٩٦١
ص.ب:١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس في استحباب البشير والتهنئة بالخير

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1] وهذا وصف جليل، وهو الحرص على الخير استفادة وإجابة. وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[2]. وفيها الترغيب بأنه مرتضى الرب تعالى، فليأنس به المتأدِّبون بالآداب والرحمة الدافعة للمضارّ، الجالبة للمسار والرضوان، الرَّافع للقدر المحصل لكل كرامة، والجنات الجامعة لكل خير ونعيم. وقال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[3] وفيها نجاز الموعود. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4] أي تقرُّ به العيون، وهذا من المسارّ العاجلة في الدنيا. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾[5] وفيه البشارة بالوسائط والرُّسل. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾[6] أي: فيكبر ويولد له، كما

---

(١) سورة الزمر (١٧، ١٨).
أي يفهمونه ويعملون بما فيه، كقوله تبارك وتعالى لموسى -عليه الصلاة والسلام- حين آتاه التوراة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. [تفسير ابن كثير (٤/٤٨)].
(٢) سورة التوبة (٢١).
(٣) سورة فصلت(٣٠).
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] قال مجاهد والسري وزيد ابن أسلم وابنه: يعني عند الموت، قائلين: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠] فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير. [تفسير ابن كثير (٤/٩٩)].
(٤) سورة الصافات (١٠١). (٥) سورة العنكبوت (٣١).
(٦) سورة الصافات (١١٢).
ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصَّافات: ١١٢] ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ =

يشعر به: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود: ٧١] . وقال تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾(١) أي من بلغه الكبر، والبشارة الخير الصدق الأول. وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾(٢) الآية. والآيات في ذلك كثيرة. وأما الأحاديث فكثيرة أيضًا جدًّا مشهورة في الصحيح وغيره، نذكر منها أربعة:

أولها: حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: " بشِّر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب "(٣) أخرجاه. والقَصَب هنا اللؤلؤ المجوف. والصَّخب: الصياح واللغط. والنَّصب: التعب. وما أعظم هذه البشارة، فقد حازت قصب السَّبق بسيد المرسلين.

ثانيها: حديث أبي موسى الأشعري أنه: " توضأ في بيته ثم خرج فقال: لألزمنَّ رسول الله ﷺ ولأكونَنَّ معه يومي هذا، فجاء إليه فوجده ببئر أريس وقد توسَّط قُفَّها وكَشَف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلَّمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونَنَّ بوَّابه . .. " فذكر الحديث. وفيه أن الصِّديق جاء فأذِنَ له وبشَّره بالجنة، ثم جاء عمر كذلك وفعلا كفعل رسول الله ﷺ(٤)، ثم جاء عثمان وأَذِنَ له

= ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحِجر: ٥٣] . وقال تعالىٰ : ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود: ٧١] أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل، وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه، وهو صغير ؛ لأن الله تعالىٰ قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً . [تفسير ابن كثير (٤/ ١٤)] .

(١) سورة آل عمران (٣٩). (٢) سورة آل عمران(٤٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٨١٩) كتاب مناقب الأنصار، [٢٠] باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ، ومسلم في صحيحه [٧٢. (٢٤٣٣)] كتاب فضائل الصحابة، [١٢] باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

قال النووي : قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف، كالقصر المنيف، وقيل : قصب من ذهب منظوم بالجوهر، قال أهل اللغة : القصب من الجوهر ما استطال منه تجويف، قالوا : ويقال لكل مجوف قصب . وقال الخطابي وغيره : المراد بالبيت هنا القصر، وأما الصخب فبفتح الصاد والخاء، وهو الصوت المختلط المرتفع، والنصب المشقة والتعب، ويقال فيه: نُصب، بضم النون وإسكان الصاد وبفتحهما، لغتان حكاهما القاضي وغيره كالحزن، والفتح أشهر وأفصح، وبه جاء القرآن، وقد نصب الرجل بفتح النون وكسر الصاد : إذا أعيا . [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٦٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) قوله في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما " دليا أرجلهما في البئر كمال دلاهما النبي ﷺ فيها " : هذا فعلاه للموافقة، وليكون أبلغ في بقاء النبي ﷺ علىٰ حالته وراحته، بخلاف ما إذا لم يفعلاه، فربما استحيا منهما فرفعهما . وفي هذا دليل للغة الصحيحة أنه يجوز أن يقال : دليت الدلو في البئر، ودليت رجلي وغيرها فيه : كما يقال : أدليت، قال الله تعالىٰ : ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يُوسُف: ١٩] [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٤٠) طبعة دار الكتب العلمية] .

وبشَّره بالجنة علىٰ بلوى تُصيبه " أخرجاه[1].

الثالث: حديث أبي هريرة قال: " كنَّا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر في نفر . .. " فذكر قصة الحائط. وفيه: " فقال رسول الله ﷺ: «اذهب بنعلي هاتين[2] فما لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاَّ الله مستيقنًا بها قلبُه فبشِّره بالجنة» " أخرجه مسلم[3] بطوله. وفيه إعطاء النعلين لتصديقه فيما يقله.

الرابع: حديث ابن شماسة[4] قال: " حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلا وحوَّل وجهه إلىٰ الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك بكذا؟ فأقبل بوجهه وقال: إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمد رسول الله، وذكر الحديث بطوله[5] " أخرجه مسلم[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٦٧٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٥] باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلا»، ومسلم في صحيحه، [٣] باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنهما .

(٢) أما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيداً، وإن كان خبره مقبولا من غير هذا، والله أعلم .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٢. (٣١)] كتاب الإيمان، [١٠] باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا .

(٤) ابن شماسة المهري، وشماسة بالشين المعجمة في أوله بفتحها وضمها ذكرهما صاحب المطالع، والميم مخففة، وآخره سين مهملة ثم هاء، واسمه عبد الرحمن بن شماسة بن ذئب أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله، والمهري بفتح الميم وإسكان الهاء،وبالراء .

(٥) من أحكام الحديث عظم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي، وفيه استحباب تنبيه المحتضر علىٰ إحسان الظن بالله سبحانه وتعالى وذكر آيات الرجاء وأحاديث العفو عنده وتبشيره بما أعده الله تعالىٰ للمسلمين، وذكر حسن أعماله عنده ليحسن ظنه بالله تعالىٰ ويهون عليه، وهذا الأدب مستحب بالاتفاق .
وموضوع الدلالة له من هذا الحديث قول ابن عمرو لأبيه : أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ وفيه ما كانت الصحابة من توقير رسول الله ﷺ وإجلاله . [النووي في شرح مسلم (٢/ ١١٩) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٢. (١٢١)] كتاب الإيمان، [٥٤] باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج .

مجلس في وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدُّعاء له وطلب الدُّعاء منه

قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [1] الآية. أي لا تفارقوا الإسلام طَرْفَة عين. وسلف من الأحاديث حديث زيد بن أرقم في باب إكرام بيت رسول الله ﷺ قال: " قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال: «أما بعد، أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين؛ أولها: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثَّ علىٰ كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي» " أخرجه مسلم[2] بطوله. فروَّع بقوله: «يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب»، ووصى بكتاب الله فإنه الأصل، وبأهل بيته.

وروينا من حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: " أتينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَة مُتقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا فظن أنَّا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلىٰ أهليكم فأقيموا فيهم وعلِّموهم ومُروهم وصلُّوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليُؤذِّن أحدكم وليؤمَّكم أكبركم» "[3] أخرجاه. وللبخاري: «وصلُّوا كما رأيتموني أُصلي». قوله رفيقا: روي بفاء وقاف، وروي بقافين.

وروينا من حديث عمر بن الخطاب قال: " استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذِنَ

---

(١) سورة البقرة (١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦. (٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٤] باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٤٨، ١٠/ ١١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٠٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٠٨) كتاب الأدب، [٢٧] باب رحمة الناس بالبهائم، ومسلم في صحيحه [٢٩٢ ـ (٦٧٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٥٣] باب من أحق بالإمامة، والنسائي (٢/ ١٩. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٩٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٢٩٧).

وقال: «لا تنْسنا يا أخي من دُعائك»، فقال كلمة ما يسُرّني أن لي بها الدنيا " . وفي لفظ: «أشركنا يا أخي في دعائك»[(١)] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث سالم عن أبيه أنه: " كان يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادنُ منّي أُودعك كما كان رسول الله يودِّعنا فيقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك "[(٢)]. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي الصحابي قال: " كان رسول الله إذا أراد أن يودِّع الجيش قال: «أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم» "[(٣)] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث أنس ﷺ قال: " جاء رجل إلىٰ رسول الله فقال: يا رسول الله، إني أُريد سفرًا فزوِّدني. قال: «زوَّدك الله التقوى» قال: زدني. قال: «وغفر ذنبك» قال: زدني. قال: «ويسَّر لك الخير حيث ما كنت» "[(٤)] رواه الترمذي وحسَّنه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٩٨) كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذي (٣٥٦٢) كتاب الدعوات، باب [١١٠] منه باب في دعاء النبي ﷺ، وابن ماجه في سننه(٢٨٩٤) كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥١)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٥، ٦/ ٤٠٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٧٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٤٣) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودع إنسانا ؛ وأبو داود في سننه (٢٦٠٠) كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، والنسائي في الكبرى في السير، باب ما يقول إذا ودع، وفي عمل اليوم والليلة (ص١٦٤)، باب ذكر الاختلاف علىٰ حنظلة ابن أبي سفيان، في باب ما يقول عند الوداع، وابن ماجه في سننه (٢٨٢٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥، ٣٨، ١٣٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٢، ٢/ ٩٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٥، ٦/ ٤٠٠، ٤٠١) والعجلوني في كشف الخفا (١/ ١٣٧) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠١) كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، والترمذي في سننه (٣٤٤٢)، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودع إنسانا، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٣٢٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٤٤) كتاب الدعوات، باب [٢٥] منه، باب ما يقول إذا ودع إنساناً، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٣٢٥، ٦/ ٤٠١، ٤٠٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٧)، وابن حجر في المطالب العالية (١٩٠٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٠٠، ٥٢٧) .

مجلس في الاستخارة والمشاورة

قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [(١)]. أمر تعالىٰ به أعلم الخلق وأعقلهم وأسدَّهم رأيا، فما الظن بغيره؟! وقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [(٢)] أي يتشاورون فيه.

وروينا من حديث جابر قال: « كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول[(٣)]: «إذا همَّ أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال: في عاجل أمري وآجله . فاقدُرْهُ لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال: في عاجل أمري وآجله . فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُر ليَ الخير حيث كان ثم رضِّني به» ويسمي حاجته »[(٤)] أخرجه البخاري[(٥)]. والاستخارة إنما هو في الإتيان بذلك الفعل في ذلك الوقت والحال لا في استبانة كونه خيرًا.

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩) . كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطيبا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو أن يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبىٰ عليه ذلك السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك، إلى آخره . [تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠)] .

(٢) سورة الشورى (٣٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٨٢) كتاب الدعوات، [٥٠] باب الدعاء عند الاستخارة، وأبو داود في سننه (١٥٣٨) كتاب الصلاة، باب في الاستخارة، والترمذي في سننه (٤٨٠) في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، والنسائي (٦/ ٨٠ المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٣٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٢، ٩/ ٢٤٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٢٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٦٩) .

(٤) قال الترمذي : حديث جابر حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الموالي، وهو شيخ مدني ثقة، قال الشيخ أحمد شاكر بهامش الترمذي : وعبد الرحمن ثقة كما قال الترمذي، وحديثه هذا حديث صحيح، وقد أنكر عليه بعض العلماء هذا الحديث ؛ ففي التهذيب قال أبو طالب عن أحمد : كان يروي حديثا منكرا عن جابر في الاستخارة، ليس يرويه غيره، وفيه قال ابن عدي : هو مستقيم الحديث، والذي أنكر عليه حديث الاستخارة، وقد روى حديث الاستخارة غير واحد من الصحابة، كما رواه ابن أبي الموالي . انتهى . [انظر هامش الترمذي للشيخ أحمد شاكر رحمه الله (٢/ ٣٤٦)طبعة دار الكتب العلمية] .

(٥) تقدم تخريجه أول الحديث .

مجلس في استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو ونحوها من طريق والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

روينا من حديث جابر ﵁ قال: " كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق "[1] أخرجه البخاري. يعني ذهب في طريق ورجع في آخر.

وروينا من حديث ابن عمر: " أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المُعرَّس، وإذا دخل مكة دخل من الثَّنيَّة العليا وخرج من الثَّنيَّة السفلىٰ "[2] أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٨٦) كتاب العيدين، [٢٤] باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٤٣٤)، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٠٤)، وابن حجر في تغليق التعليق (٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٥٣٣) كتاب الحج، [١٥] باب خروج النبي ﷺ علىٰ طريق الشجرة، ومسلم في صحيحه [٢٢٣. (١٢٥٧)] كتاب الحج، [٣٧] باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا، والخروج منها من الثنية السفلى، ودخول بلده من طريق غير التي خرج منها، وأبو داود في سننه (١٨٦٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩، ٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٨٤).

مجلس في استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوء والغسل والتَّيمم ولبس الثوب والنعل والحق والسراويل ودخول المسجد والسواك والاكتحال وقص الشارب ونتف الإبط وحلق الرأس والسَّلام في الصلاة والأكل والشرب[(١)] والمصافحة واستلام الحجر الأسود والخروج من الخلاء والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه. ويستحب تقديم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط والبصاق عن اليسار ودخول الخلاء والخروج من المسجد وخلع الخُفِّ والنعل والسراويل والثوب والاستنجاء وفعل المستقذرات وشبه ذلك. قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [(٢)] فالمفلح يؤتى كتابه بيمينه لأنه كتاب كريم، وضده بخلافه. وقال تعالىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾[(٣)]. أخبر تعالىٰ أن أصحاب الميمنة لهم شأن لأنهم

---

(١) قال النووي في قوله ﷺ : «لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان ياكل بالشمال» وفي رواية ابن عمر «يأكل بشماله ويشرب بشماله» : فيه استحباب الأكل والشرب باليمين وكراهتهما بالشمال، وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء، وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلا كراهة في الشمال، وفيه أنه ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشيطان، وأن للشيطان يدين . [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٦٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) سورة الحاقة (١٩) .

يخبر تعالىٰ عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: ١٩] أي خذوا اقرأوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، قال عبد الرحمن ابن زيد : معنى ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: ١٩] أي ها اقرأوا كتابيه، و"ؤم " زائدة، كذا قال، والظاهر أنها بمعنى " هاكم " . [تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٥)] .

(٣) سورة الواقعة (٨، ٩) .

هكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة، وهكذا ذكرهم في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه .

وقال الإمام أحمد في مسنده بسنده عن معاذ بن جبل : أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿وَأَصْحَٰبُ =

كرام علىٰ الله تعالىٰ فحازهم إلىٰ الميمنة. أما الجنة العالية أو كل يمن وبركة مما لا يوصف. وأصحاب المشأمة بخلاف ذلك.

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان رسول الله ﷺ يُعجبه التيمُّن في شأنه كله؛ في طهوره وترجُّله وتنعُّله "(١) أخرجاه.

وروينا من حديثها أيضًا قالت: " كانت يد رسول الله ﷺ اليُمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخَلائه، وما كان من أذى "(٢) أخرجه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

وروينا من حديث أم عطية أن رسول الله ﷺ قال لهنَّ في غُسل ابنته: «ابدأْن بميامنها ومواضع الوضوء منها»(٣) أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمين أولهما تنعل وآخرهما تنزع»(٤) أخرجاه.

= ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ [الواقِعَة: ٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾﴾ [الواقِعَة: ٤١] فقبض بيده قبضتين فقال: «هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي». [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٣)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٨) كتاب الوضوء، [٣١] باب التيمن في الوضوء والغسل، ورقم (٤٢٦) كتاب الصلاة، [٤٧] باب التيمن في دخول المسجد وغيره، ورقم (٥٣٨٠) كتاب الأطعمة، [٥] باب التيمن في الأكل وغيره، ورقم (٥٨٥٤) كتاب اللباس، [٣٨] باب يبدأ بالنعل اليمنى، ورقم (٥٩٢٦)، [٧٧] باب الترجيل، ومسلم في صحيحه [٦٧. (٢٦٨)] كتاب الطهارة، [١٩] باب التيمن في الطهور وغيره، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٦، ٢١٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٨٨)، والزبيدي في الإتحاف (٢ / ٤٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٢) كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٧) كتاب الوضوء، [٣١] باب التيمن في الوضوء والغسل، ورقم (١٢٥٥) في الجنائز [١٠] باب يبدأ بميامن الميت، ورقم (١٢٥٦) [١١] باب مواضع الوضوء من الميت، ومسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٩٣٩)]، كتاب الجنائز (٤٣)، [١٢] باب في غسل الميت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٥٥) كتاب اللباس، [٣٩] باب ينزع نعل اليسرى، ومسلم في صحيحه [٦٧. (٢٠٩٧)] كتاب اللباس والزينة، [١٩] باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولا، والخلع من اليسرىٰ أولا وكراهة المشي في نعل واحد، وأبو داود في سننه (٤١٣٩) والترمذي في سننه (١٧٧٩)، وابن ماجه (٣٦١٦)، وأحمد في مسند (٢/ ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٢٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢١٥).

وروينا من حديث حفصة : " أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك "[١] رواه أبو داود وغيره.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا لبستم وإذا توضأتم فابدأوا بمَيامِنكم»[٢] حديث صحيح، أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

وروينا من حديث أنس: " أنه ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق: «خذ» وأشار إلىٰ جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس " أخرجاه[٣]. وفي رواية أنه: " حلق شِقَّه الأيمن ثم الأيسر وقال لأبي طلحة: «اقسمه بين الناس» "[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٢) كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر بيمينه في الاستبراء، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٩) والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢١٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠١)، والزيلعي في نصب الراية (١/ ٣٤)، وابن حبان في صحيحه (١٤٧، ١٤٥٢. الموارد) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٧١) كتاب الوضوء، [٣٣] باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، ومسلم في صحيحه [٣٢٣.(١٣٠٥)] كتاب الحج، [٥٦] باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق .

(٤) أخرجه البخاري، تقدم قبل هذا بنحوه، ومسلم في صحيحه [٣٢٦.(١٣٠٥)] كتاب الحج، [٥٦] باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، والترمذي في سننه (٩١٣) كتاب الحج، باب ما جاء بأي جانب الرأس يبدأ في الحلق، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٣٤)، والزيلعي في نصب الراية (٣/ ٨٠) .

مجلس في آداب الطعام

وفيه فصول

الأول: في التسمية في أوله والحمد في آخره

روينا من حديث عمر بن أبي سلمة ﵄ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكل مما يليك»(١) أخرجاه.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالىٰ، فإن نسي أن يذكر اسم الله ـ تعالىٰ ـ في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره»(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالىٰ عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، فإذا دخل فلم يذكر الله تعالىٰ عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالىٰ عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٣) أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، [٢] باب التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، ومسلم في صحيحه [١٠٨. ٢٠٢٢] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

قال النووي : في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل وهي : التسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه ؛ لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة، وترك مروءة، وقد يتقذر صاحبه ولاسيما في الأمراق وشبهها، وهذا هو في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان ثمرا أو أجناسا فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه، والذي ينبغي تعميم النهي حملا للنهي علىٰ عمومه حتىٰ يثبت دليل مخصص . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٦٧) كتاب الأطعمة، باب التسمية علىٰ الطعام، والترمذي في سننه (١٨٥٨) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية علىٰ الطعام، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا نسي التسمية ثم ذكر .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٣. (٢٠١٨)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأبو داود في سننه (٣٧٦٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٤٦)، وابن ماجه في سننه (٣٨٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٩) .

وسبب إدراكهم العشاء استحلالهم ما لم يذكر اسم الله عليه كما سيأتي، والموجب لذلك الغفلةُ عن التسمية.

وروينا من حديث حذيفة ﵁ قال: " كنَّا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا فيه حتىٰ يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنَّا حضرنا معه مرَّة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع، فذهبت لتضع يدها فأخذ رسول الله بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه[1]، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما»، ثم ذكر الله تعالىٰ وأكل "[2] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أمية بن مخشى[3] الصحابي ﵁ قال: " كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل فلم يُسمّ حتىٰ لم يبق من طعامه إلاَّ لقمة، فلما رفعها قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ﷺ ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقَاء ما في بطنه». "[4] رواه أبو داود والنسائي.

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه لو سمَّى لكفاكم». "[5] أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

---

(١) التسمية في شرب الماء واللبن والعسل والمرق والدواء وسائر المشروبات كالتسمية علىٰ الطعام، وتحصل التسمية بقول: بسم الله، فإن قال بسم الله الرحمن الرحيم كان حسنا، وسواء في استحباب التسمية الجنب والحائض وغيرهما، وينبغي أن يسمي كل واحد من الآكلين، فإن سمى واحد منهم حصل أصل السنة، نص عليه الشافعي ﵁، ويستدل له بأن النبي ﷺ أخبر أن الشيطان إنما يتمكن من الطعام إذا لم يذكر اسم الله تعالىٰ عليه. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٢ ـ (٢٠١٧)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٦٠، ٤٢٣٧)، وأخلاق النبوة (١٩٣).

(٣) أمية بن مخشي أو مجتبى أبو عبد الله الخزاعي المدني الأزدي، صحابي، أخرج له أبو داود والنسائي، تهذيب التهذيب (١/ ٣٧٢)، تقريب (١/ ٨٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٦٨) كتاب الأطعمة، باب التسمية علىٰ الطعام، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٠٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير(١/ ٢٦٨، ٢٦٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٠٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٧).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٥٨) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية علىٰ الطعام، =

وروينا من حديث أبي أُمامة قال: " كان رسول الله ﷺ إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه غير مكفي ولا مُودَّع ولا مُستغنى عنه ربَّنا». "(١) أخرجه البخاري.

وروينا من حديث معاذ بن أنس مرفوعًا: «من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة، غُفر له ما تقدم من ذنبه»(٢) رواه الترمذي وحسَّنه.

الفصل الثاني: في عدم إعابة الطعام واستحباب مدحه

روينا من حديث أبي هريرة قال: " ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه "(٣) أخرجاه.

وروينا في مسلم من حديث جابر أنه ﷺ سأل أهله الإدام فقالوا: ما عندنا إلاَّ خَلّ، فدعا به فجعل يأكل ويقول: «نِعم الإدام الخل، نِعم الإدام الخل»(٤).

الفصل الثالث: فيما يقوله من حضره طعام وهو صائم إذ لم يُفطر

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا دُعيَ أحدكم فليجب، فإن كان صائما

= والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٣٤١. الموارد).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٥٨) كتاب الأطعمة، [٥٥] باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٦)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٢٤، ٥/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٢٣) كتاب اللباس في فاتحته، والترمذي في سننه (٣٤٥٨) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، وابن ماجه (٣٢٨٥) كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٢، ٥٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥ / ١٠١، ٢٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٤٣)،والشجري في أماليه (١/ ٢٥١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٠٩) كتاب الأطعمة، [٢٢] باب ما عاب النبي ﷺ طعاما، ومسلم في صحيحه [١٨٧ ـ (٢٠٦٤)] كتاب الأشربة، [٣٥] باب لا يعيب الطعام، وأبو داود في سننه (٣٧٦٣)، والترمذي في سننه (٢٠٣١)، وابن ماجه في سننه (٣٢٥٩)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١٨٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٦ ـ (٢٠٥٢)] كتاب الأشربة، [٣٠] باب فضيلة الخل والتأدم به، وأبو داود في سننه (٣٨٢٠)، والترمذي في سننه (١٨٣٩، ١٨٤٠، ١٨٤٢)، وابن ماجه في سننه (٣٣١٦، ٣٣١٧، ٣٣١٨)،وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠١، ٣٠٤، ٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٠، ١٠/ ٦٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٤٩).

فليُصلّ وإن كان مُفْطِرا فليَطْعم»(١) رواه مسلم. معنى

فليُصل: فليدع، ومعنىٰ فليَطعَم: فليأكل.

الفصل الرابع: فيما يقوله من دُعيَ إلىٰ طعام وتبعه غيره

روينا من حديث أبي مسعود البدري قال: " دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة فتبعهم رجل، فلمَّا بلغ الباب قال رسول الله: «إن هذا تبِعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع». قال: بل آذن له يا رسول الله "(٢) أخرجاه.

الفصل الخامس: في الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يُسيء أكله

روينا من حديث عمر بن أبي سلمة قال: " كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سَمِّ الله، وكُل بيمينك وكُل مما يليك» "(٣) أخرجاه. ومعنىٰ تطيش: تتحرَّك وتمتد إلىٰ نوَاحي الصحفة.

وروينا من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: " أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «كُل بيمينك» قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت، ما منعه إلاّ الكبر». قال: فما رفعها إلىٰ فِيه "(٤) أخرجه مسلم.

فصل في النهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلاّ بإذن رفيقه

روينا في الصحيحين من حديث جَبَلَة بن سُحيم قال: " أصابنا عام سنة ابن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٦. (١٤٣١)] كتاب النكاح، [١٦] باب الأمر بإجابة الداعي إلىٰ دعوته، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٧)، وأبو داود في سننه (٢٤٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٧٨)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٣٤) كتاب الأطعمة،[٣٥] باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه، ومسلم في صحيحه [٣٨. (٢٠٣٦)] كتاب الأشربة [١٩] باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام،واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٣٧٦) كتاب الأطعمة، [٢] التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين، ومسلم في صحيحه [١٠٨. (٢٠٢٢)] كتاب الأشربة [١٣] آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وابن ماجه في سننه (٣٢٦٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٧)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٧٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٧. (٢٠٢)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٧)، والطبراني في =

الزبير فرُزقنا تمرًا فكان عبد الله بن عمر يمرُّ بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا؛ فإن النبي ﷺ نهى عن القِران، ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه "[١] أخرجاه.

فصل فيما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

روينا في سنن أبي داود من حديث وحْشِيِّ بن حرب ؓ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنَّا نأكل ولا نشبع. قال: «فلعلَّكم تفترقون». قالوا: نعم. قال: «فاجتمعوا علىٰ طعامكم واذكروا اسم الله عليه يُبارك لكم فيه»[٢].

فصل في الأمر بالأكل من جانب القَصْعَة والنهي عن الأكل من وسطها

فيه حديث الأمر بالأكل من جانب الصفحة والنهي عن الأكل من وسطها إلىٰ آخره وقد سلف[٣].

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا[٤]: «البركة تنزل وسط الطعام، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه». رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث عبد الله بن بُسر ؓ قال[٥]: " كان للنبي ﷺ قَصْعَة يقال لها

= المعجم الكبير (٧/ ١٥)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٦٣٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٠٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٥٢٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٤٩٠) كتاب الشركة، [٤] باب القران في التمر بين الشركاء حتىٰ يستأذن أصحابه، ومسلم في صحيحه [١٥٠. (٢٠٤٥)] كتاب الأشربة، [٢٥] باب نهي الآكل مع جماعة عن قران تمرتين ونحوهما في لقمة إلا بإذن أصحابه، والترمذي (١٨١٤)، وابن ماجه (٣٣٣١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٣٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٦٤) كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع علىٰ الطعام، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٠١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٥٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١١٩).

(٣) انظر ما تقدم في نهي النبي لابن أبي سلمة، وقد تقدم.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٧٢) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة، والترمذي في سننه (١٨٠٥) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، والنسائي في الكبرى، في الوليمة، باب الأكل من جوانب الثريد، وابن ماجه في الأطعمة، باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٧٣) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة، وابن ماجه في سننه (٣٢٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٥١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٤٦)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٩٣)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٥٤١).

الغرَّاء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة. يعني وقد ثُردَ فيها. فالتفُّوا عليها، فلما كثروا جثى رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال النبي ﷺ: «إن الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبَّارًا عنيدا»، ثم قال رسول الله ﷺ: «كُلوا من حَوَاليها ودعوا ذُروتها يُبارك فيها»[١] رواه أبو داود بإسناد جيد. ذُروتها: أعلاها، بكسر الذال وضمِّها.

فصل في كراهة الأكل مُتَّكئًا

روينا من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا آكل متَّكئا»[٢] أخرجه البخاري. قال الخطَّابي: الاتكاء هنا هو الجالس معتمدا علىٰ وطاء تحته، قال: وأراد أنه لا يقعد علىٰ الوطاء والوثائر[٣] كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مستوفرا لا مستوطئا ويأكل (بلغة) هذا كلامه. وأشار غيره إلىٰ أن المتَّكئ هو المائل علىٰ جنب.

وروينا من حديث أنس قال: " رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مُقْعيا يأكل تمرا "[٤] رواه مسلم. المقعي هو الذي يلصق أليته بالأرض وينصب ساقيه.

فصل في استحباب الأكل بثلاثة أصابع واستحباب لَعْقها وكراهة مسحها قبل لعقها

واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي سقط منها وأكلها، وجواز مسحها بغير اللعق بالساعد والقدم وغيرهما[٥].

---

(١) تقدم تخريجه أول الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٣٩٨) كتاب الأطعمة [١٤] باب الأكل متكئا، وأبو داود في سننه (٣٧٦٩) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل متكئا، والترمذي (١٨٣٠)، وأحمد بن جنبل في مسنده (٤/٣٠٨، ٣٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٦٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢١٤، ٢١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٥٦).

(٣) الوثر : الفراش الناعم اللين.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٨. (٢٠٤٤)] كتاب الأشربة، [٢٤] باب استحباب تواضع الآكل وصفة قعوده، وأبو داود في سننه (٣٧٧١) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل متكئا.
قال النووي : قوله : «مقعيا» أي جالسا علىٰ أليته ناصبا ساقية، ومحتفزا. في الرواية الأخرى. هو بالزاي أي مستعجلا، مستوفز : غير متمكن في جلوسه، وهو بمعنى قوله مقعيا. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٩١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) قال النووي بعد ذكر أحاديث كثير ة : في هذه الأحاديث أنواع من سنن الأكل : منها :استحباب لعق اليد محافظة علىٰ بركة الطعام وتنظيفا لها، واستحباب الأكل بثلاث أصابع، ولا يضم إليها =

روينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح أصابعه حتىٰ يلعقها»[١] أخرجاه.

وروينا من حديث كعب بن مالك قال: " رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها " رواه مسلم[٢].

وروينا من حديث جابر أنه ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»[٣]. وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليُمِط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدَعْها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتىٰ يلعق أصابعه؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»[٤] أخرجهما. ولمسلم أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتىٰ يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليُمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»[٥].

= الرابعة والخامسة إلا لعذر بأن يكون مرقا وغيره مما لا يمكن، وغير ذلك من الأعذار، واستحباب لعق القصعة وغيرها، واستحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع علىٰ موضع نجس، فإن وقعت علىٰ موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن، فإن تعذر أطعمها حيوانا ولا يتركها للشيطان، ومنها إثبات الشياطين وأنهم يأكلون . [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٧٢، ١٧٣) طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٥٦) كتاب الأطعمة، [٥٣] باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمنديل، ومسلم في صحيحه [١٢٩. (٢٠٣١)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأبو داود في سننه (٣٨٤٧) كتاب الأطعمة، باب في الأطعمة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣١، ١٣٢. (٢٠٣٢)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٣. (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١٧٧)،وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٠٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤. (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٢٠، ٧/ ١٢٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٥ (٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها .

وروينا عن أنس قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث، قال: وقال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان». وأمرنا أن نَسْلُت القصعة، قال: «فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»"[١] أخرجهما مسلم.

وروينا من حديث سعيد بن الحارث أنه: " سأل جابرًا عن الوضوء مما مسَّت النار فقال: لا، وقد كنَّا زمن رسول الله ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلاّ قليلا، فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل[٢] إلاَّ أكُفّنا وسواعدنا وأقدامنا ثم نُصَلِّي ولا نتوضأ " أخرجه البخاري[٣].

فصل في تكثير الأيدي على الطعام

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٤]. ولمسلم عن جابر مرفوعًا: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية»[٥].

آخر المجلس ولله الحمد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٦. (٢٠٣٤)] كتاب الأشربة، [١٨] باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأبو داود في سننه (٣٨٤٥) كتاب الأطعمة، باب في اللقمة تسقط، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٣٩٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٩٨١).

(٢) المنديل معروف، وهو بكسر المنديل، قال ابن فارس في المجمل: لعله مأخوذ من الميم وهو النقل، وقال غيره: هو مأخوذ من الندل، وهو الوسخ ؛ لأنه يندل به. قال أهل اللغة يقال: تندلت بالمنديل، قال الجوهري: ويقال أيضًا تمندلت، قال: وأنكر الكسائي " تمندلت ". [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٧٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٥٧) كتاب الأطعمة، [٥٤] باب المنديل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٣٩٢) كتاب الأطعمة، [١١] باب طعام الواحد يكفي الاثنين، ومسلم في صحيحه [١٧٨ ـ (٢٠٥٨)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٩، ١٨١. (٢٠٥٩)] كتاب الأشربة، [٣٣] باب فضيلة المواساة في الطعام القليل، وأن طعام الاثنين يكفي الثلاثة ونحو ذلك.

مجلس في أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء وكراهية التنفس في الإناء

واستحباب إدارة الإناء علىٰ الأيمن فالأيمن بعد المبتدي.

روينا من حديث أنس رضي الله عنه: " أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشرب ثلاثا "[1] أخرجاه، يعني يتنفس خارج الإناء.

ورويناه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لا تشربوا واحدًا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسمُّوا إذا أنتم شربتم واحمدوا الله إذا أنتم رفعتم»[2] رواه الترمذي وحسَّنه.

ورويناه من حديث[3] أبي قتادة: " أن النبي ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء ".

ورويناه من حديث أنس: " أنه ﷺ أتى بلبن قد شِيبَ بماء، وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال: «الأيمن فالأيمن» "[4] أخرجاه. وشِيبَ: خُلِطَ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٣١) كتاب الأشربة،[٢٦] باب الشرب بنفسين أو ثلاثة. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٢٠٢٨)] كتاب الأشربة، [١٦] باب كراهة التنفس في نفس الإناء واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء، والترمذي في سننه (١٨٨٤)، وابن ماجه في سننه (٣٤١٦)، وأحمد في مسنده (٣/١١٨، ١١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/١٣٨)، والمنذري في الترغيب (٣/١٢٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٥) كتاب الأشربة، باب ما جاء في التنفس في الإناء، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٤٢٧٨)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٩٣) وابن عبد البر في التمهيد (١/٣٩٨)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/١٠٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٨) كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، وأبو داود في سننه (٣٧٢٨) في الأشربة، باب في النفخ في الشراب، والتنفس فيه وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤ / ١٣٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦١٢) كتاب الأشربة، [١٤] باب شوب اللبن بالماء، ومسلم في صحيحه [١٢٤ ـ (٢٠٢٩)] كتاب الأشربة، [١٧] باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، وأبو داود في سننه (٣٧٢٦) كتاب الأشربة، باب في الساقي متى يشرب والترمذي (١٨٩٣) كتاب الأشربة، باب ما جاء أن الأيمنين أحق بالشراب، وابن ماجه (٣٤٢٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٧٤)، ومالك في الموطأ (٩٥٦) .

ورويناه من حديث سهل بن سعد أنه ﷺ: " أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا والله لا أوثرُ بنصيبي منك أحدًا. قال: فتلَّه رسول الله ﷺ في يده "[1] أخرجاه.
تلَّه[2]: أي وضعه، وهذا الغلام هو ابن عباس.

فصل في كراهية الشرب من فم القربة ونحوها على وجه التنزيه لا التحريم

روينا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله ﷺ أن نشرب من فيّ السِّقاء والقربة "[3] أخرجاه.

وروينا من حديث أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت. رضي الله عنه وعنها. قالت: " دخل عليَّ رسول الله ﷺ فشرب من قربة مُعَلَّقة قائما، فقمت إلىٰ فيها فقطعته ". رواه الترمذي[4] وقال: حسن صحيح. وإنما قطعتها لتحفظ موضع فمه ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الابتذال. وهذا الحديث محمول علىٰ بيان الجواز[5]، وما قبله لبيان الأفضل والأكمل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٢٠) كتاب الأشربة، [١١٩] باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشراب ليعطي الأكبر، ومسلم في صحيحه [١٢٧. (٢٠٣٠)] كتاب الأشربة، [١٧] باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٦)، ومالك في الموطأ (٩٢٧).

(٢) وقوله: " فتله في يده " أي وضعه فيها، وقد جاء في مسند أبي بكر بن أبي شيبة أن هذا الغلام هو عبد الله بن عباس، ومن الأشياخ خالد بن الوليد رضي الله عنهما، قيل: إنما استأذن الغلام دون الأعرابي إدلالا علىٰ الغلام، وهو ابن عباس، وثقة بطيب نفسه بأصل الاستئذان، لاسيما والأشياخ أقاربه، قال القاضي عياض: وفي بعض الروايات عمك وابن عمك أتأذن لي أن أعطيهم، وفعل ذلك أيضًا تألفا لقلوب الأشياخ وإعلاما بودهم وإيثار كرامتهم إذا لم تمنع منها السنة. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٩، ١٧٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٢٥، ٥٦٢٦) كتاب الأشربة، [٢٣] باب اختناث الأسقية، وبلفظه عن أبي هريرة في البخاري (٥٦٢٧) كتاب الأشربة، [٢٤] باب الشرب من فم السقاء ومسلم في صحيحه [١١٠، ١١١. (٢٠٢٣)] كتاب الأشربة، [١٣] باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، والترمذي (١٨٩٠) كتاب الأشربة، باب ما جاء في النهي عن اختناث الأسقية، وابن ماجه (٣٤٢١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٠، ٤٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٥)، والدارمي في سننه (٢/ ١١٩).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٩٢) كتاب الأشربة، باب ما جاء في الرخصة في ذلك، وابن ماجه في سننه في الأشربة، باب الشرب قائمًا.

(٥) قال النووي: اتفقوا علىٰ أن النهي عن اختناثها نهي تنزيه لا تحريم، ثم قيل سببه: إنه لا يؤمن =

فصل في كراهية النفخ في الشراب

روينا من حديث أبي سعيد الخدري أنه ﷺ نهى عن النفخ في الشراب فقال: القَذَاةَ أراها في الإناء؟ فقال: «اهرقها». قال: فإني لا أروى من نفس واحد. قال: «فأبِنِ القدح إذن عن فيك»[١] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " أن النبي ﷺ نهى أن يُتَنَفَّس في الإناء أو يُنفخ فيه "[٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأفضل والأكمل الشرب قاعدا

فيه حديث كبشة السابق.

وروينا من حديث ابن عباس قال: " سَقَيْتُ النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم "[٣] أخرجاه. ولعلَّه لغلبة الزِّحام أو فقد المجلس ولعله من حديث كبشة لعُذر التعليق.

وروينا في صحيح البخاري من حديث النزال بن سبرة[٤] قال: " أتى علىٰ باب

= أن يكون في السقاء ما يؤذيه في جوفه ولا يدري، وقيل لأنه يقذره علىٰ غيره، وقيل: إنه ينتنه، أو لأنه مستقذر، وقد روى الترمذي وغيره عن كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما . . .وذكر الحديث المتقدم، وقطعها لفم القربة لوجهين أن تصون موضعا أصابه فم رسول الله ﷺ، والثاني أن تحفظه للتبرك به والاستشفاء والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٧) كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٠٩، ٣٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٨٣، ٥/ ٢٠)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٥٨)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٨) كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، وأبو داود في سننه (٣٧٢٨) كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه وابن ماجه في سننه، كتاب الأشربة، باب النفخ في الشراب رقم (٣٤٢٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٩، ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٣٧) كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم، ورقم (٥٦١٧) كتاب الأشربة، [١٦] باب الشرب قائمًا ., ومسلم في صحيحه [١١٧ـ (٢٠٢)] كتاب الأشربة، [١٥] باب في الشرب من زمزم قائمًا.

(٤) النزال بن سبرة الهلالي الكوفي العامري، يقال إن له صحبة، أخرج له البخاري وأبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي وابن ماجه. تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢٣)، والتقريب (٢/ ٢٩٨).

الرَّحبة فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت "[١].

وروينا من حديث ابن عمر قال: " كُنَّا نأكل علىٰ عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب عن قيام "[٢] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: " رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدا "[٣] رواه الترمذي أيضًا وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أنس: " نهى رسول الله ﷺ أن يشرب الرجل قائما، قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال: «ذاك أشرُّ وأخبث» "[٤] رواه مسلم. وفي رواية له: " أنه ﷺ زجر عن الشرب قائمًا "[٥]

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يشربنَّ أحدكم قائما، فمن نسي فليستقيء»[٦] رواه مسلم[٧].

فصل في استحباب كون ساقي القوم آخرهم شُربًا

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ساقي القوم آخرهم. يعني شربًا»[٨] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة

غير الذهب والفضة وجواز الكرع. وهو الشرب بالفم. من النهر وغيره بغير إناء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦١٥) كتاب الأشربة، [١٦] باب الشرب قائمًا.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٠) كتاب الأشربة، باب ما جاء في النهي عن الشرب قائما، وابن ماجه في سننه (٣٣٠١) كتاب الأطعمة، [٢٥] باب الأكل قائمًا.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٨٣) كتاب الأشربة، باب ما جاء في الرخصة في الشرب قائما، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٥٥، ٥/ ٧٩، ٨٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٣. (٢٠٢٤)] كتاب الأشربة، [١٤] باب كراهية الشرب قائما، وأبو داود (٣٧١٧)، والترمذي في سننه (١٨٧٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧، ٣/ ٤٥)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٦٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٢. (٢٠٢٤)] كتاب الأشربة، [١٤] باب كراهية الشرب قائمًا.

(٦) قوله ﷺ: «فمن نسي فليستقيء» فمحمول علىٰ الاستحباب والندب، فيستحب لمن شرب قائمًا أن يتقيأه لهذا الحديث الصحيح الصريح ؛ فإن الأمر إذا تعذر حمله علىٰ الوجوب حمل علىٰ الاستحباب. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٦. (٢٠٢٦)] كتاب الأشربة، [١٤] باب كراهية الشرب قائما، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٤٢٦٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٨٢).

(٨) أخرجه الترمذي في سننه (١٨٩٤) كتاب الأشربة، باب ما جاء أن ساقي القوم آخرهم شربا وعن=

ولا يد، وتحريم استعمال أواني الذهب والفضة[1] في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمالات. روينا من حديث أنس قال: " حضرت الصلاة فقام من كان قريبًا من الدار إلىٰ أهله وبقي قوم، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بمخضب من الحجارة، فصغُر المخضب أن يَبسُط فيه كفَّه، فتوضأ القوم كلهم، قالوا: كم كنتم؟ قالوا: ثمانين وزيادة "[2] أخرجاه، والسياق للبخاري. وفي رواية لهما أنه ﷺ: " دعا بإناء من ماء فأتى بقدح رَحْرَاح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلىٰ الماء ينبع من بين أصابعه، قال أنس: فحَزرْتُ من توضَّأ منه ما بين السبعين وإلى الثمانين "[3].

وروينا من حديث عبد الله بن زيد قال: " أتانا النبي ﷺ وأخرجنا له ماء في تَورٍ من صُفْرٍ فتوضأ "[4] رواه البخاري. الصُّفْرُ: النحاس، والتور كالقدح وهو بالمثنَّاة فوق.

وروينا من حديث جابر أن رسول الله ﷺ: " دخل علىٰ رجل من الأنصار ومعه صاحب له، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنَّةٍ وإلاَّ كَرَعْنا» " رواه البخاري[5]. والشنُّ: القربة.

وروينا من حديث حذيفة أن النبي ﷺ: " نهانا عن الحرير والدِّيباج والشرب في

= ابن أبي أوفى أخرجه أبو داود في سننه (٣٧٢٥) كتاب الأشربة، باب في الساقي متى يشرب، وابن ماجه في سننه (٣٤٣٤) كتاب الأشربة، باب ساقي القوم أخرهم شربا، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٥٤، ٣٨٣، ٥/ ٣٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٨، ٢٨٦) والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٤٢٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٨٣)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه(٨/ ٢٣) .

(١) في تحريم آنية الذهب والفضة قال النووي: قال أصحابنا : انعقد الإحماع علىٰ تحريم الأكل والشرب وسائر الاستعمال في إناء ذهب أو فضة إلا ما حكي عن داود وقول الشافعي في القديم،فهما مردودان بالنصوص والإجماع . [النووي في شرح مسلم (١٤/ ٢٦) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٥) كتاب الوضوء، [٤٧] باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، ومسلم في صحيحه [٦.(٢٢٧٩)] كتاب الفضائل، [٣] باب في معجزات النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٠) كتاب الوضوء، [٤٨] باب الوضوء من التور، ومسلم في صحيحه [٤. (٢٢٧٩)] كتاب الفضائل، [٣] باب في معجزات النبي ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٧) كتاب الوضوء، [٤٧] باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٢١) كتاب الأشربة، [٢٠] باب الكرع من الحوض .

آنية الذهب والفضة، وقال: «هُنَّ لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة»[١].

وروينا من حديث أم سلمة مرفوعًا[٢]: «الذي يشرب في آنية الذهب إنما يُجَرْجِر في بطنه نار جهنم» أخرجاهما. ولمسلم: أن «الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب فإنما يُجرجر في بطنه نارًا من جهنم»[٣]. وسلف في المناهي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٣٢) كتاب الأشربة، [٢٧] باب الشرب في آنية الذهب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٣٤) كتاب الأشربة، [٢٨] باب آنية الفضة، ومسلم في صحيحه [١.(٢٠٦٥)] كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء، ولفظه في أول الحديث.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٠٦٥)] ولفظه في آخر الحديث، كتاب اللباس والزينة، [١] باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء.

مجلس في اللباس

فصل في استحباب الثوب الأبيض

وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتّان وشعر وصوف وغيرها إلاّ الحرير

قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾[1]. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾[2].

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «البسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفِّنوا فيها موتاكم»[3] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث سمرة مرفوعًا: «البسوا البياض فإنها أطيب وأطهر وكفنوا فيها موتاكم»[4] رواه النسائي والحاكم وقال: حديث صحيح.

وروينا من حديث البراء بن عازب قال: " كان رسول الله ﷺ مربوعا، وقد رأيته في حُلَّة حمراء ما رأيت شيئًا قطُّ أحسن منه "[5] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي جحيفة قال: " رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو بالأبطح في قُبَّة له حمراء من أدم، قال: فخرج بلال بوضوئه فمن نائل وناضح، قال: فخرج النبي ﷺ عليه حُلَّة حمراء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه، قال: فتوضأ وأذَّن بلال " الحديث، وفي آخره: " فصلى "[6] أخرجاه. وهو ظاهر في أنه لم يكره أن يصلي فيها.

---

(١) سورة الأعراف (٢٦).   (٢) سورة النحل (٨١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٧٨) كتاب الطب، باب في الأمر بالكحل، ورقم (٤٠٦١) كتاب اللباس، باب في البياض، والترمذي في سننه (٩٩٤) كتاب الجنائز، باب ما يستحب من الأكفان، وابن ماجه في سننه (١٤٧٢) كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يستحب من الكفن.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨١٠) كتاب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، والنسائي في الكبرى، في الزينة، لعله باب الأمر بلبس الثياب البيض، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٥٤، ٤/ ١٨٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٥١) كتاب المناقب، [٢٣] باب صفة النبي ﷺ، ورقم (٥٨٤٨) كتاب اللباس، [٣٥] باب الثوب الأحمر، ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (٢٣٣٧)] كتاب الفضائل، [باب] في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٧٦) كتاب الصلاة، [١٧] باب الصلاة في الثوب الأحمر، =

وروينا من حديث أبي رَمْثَة رفاعة التيمي[١] رضي الله عنهما قال: " رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران "[٢] رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

وروينا من حديث جابر أنه ﷺ: " دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء "[٣] أخرجه مسلم.

وروينا فيه من حديث أبي سعيد عمرو بن حريث قال: " كأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه "[٤]. وفي رواية له أنه ﷺ: "خطب الناس وعليه عمامة سوداء "[٥].

وروينا من حديث عائشة قالت: " كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سُحوليَّة من كُرْسُفٍ ليس فيها قميص ولا عمامة "[٦] أخرجاه.

وروينا في صحيح مسلم عنها قالت: " خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل "[٧]. المِرْطُ: الكساء، والمُرَحَّل بالحاء المهملة: الذي فيه صورة رحال الإبل وهي الأكوار.

= ومسلم في صحيحه [٢٤٩. (٥٠٣)] كتاب الصلاة، [٤٧] باب سترة المصلي.
قال النووي: قوله: " عليه حلة حمراء " قال أهل اللغة: الحلة ثوبان لا يكون واحدا، وهما إزار ورداء ونحوهما، وفيه جواز لباس الأحمر. [النووي في شرح مسلم (٤/ ١٨٥) طبعة دار الكتب العلمية]

(١) رفاعة بن يثربي، أبو رمثة التيمي البلوي، وقيل: اسمه يثربي ابن رفاعة، وقيل: عمارة بن يثربي، وقيل: حيان بن وهب، وقيل: جندب، صحابي، قال ابن سعد: مات بإفريقية، أخرج له: أبو داود والترمذي وابن ماجه.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ٢٨٢)، تقريب التهذيب (١/ ٢٥١، ٢/ ٤٢٣)، التاريخ الكبير للبخاري (٣٢٧٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٩٦) الجرح والتعديل (٣/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٦٥) كتاب اللباس، باب في الخضرة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥١ ـ (١٣٥٨)] كتاب الحج، [٨٤] باب جواز دخول مكة بغير إحرام، وأبو داود (٤٠٧٦) كتاب اللباس، باب في العمائم، والترمذي (١٧٣٥) في اللباس، باب ما جاء في العمائم السوداء، وابن ماجه (٢٨٢٢) كتاب الجهاد، باب لبس العمائم في الحرب.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥٣. (١٣٥٩)] كتاب الحج، [٨٤] باب جواز دخول مكة بغير إحرام.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥٢ ـ (١٣٥٩)] كتاب الحج، [٨٤] باب جواز دخول مكة بغير إحرام.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٧٣) كتاب الجنائز، [٢٤] باب موت يوم الاثنين، ومسلم في صحيحه [٤٥. (٩٤١)] كتاب الجنائز، [١٣] باب في كفن الميت، والترمذي (٩٩٦) كتاب الجنائز، باب في كفن النبي ﷺ.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٠٨١)] كتاب اللباس والزينة، [٦] باب التواضع في اللباس والاقتصار علىٰ الغليظ منه، واليسير في اللباس والفراش وغيرهما.

وروينا من حديث المغيرة بن شعبة قال: " كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في مسير. . . " الحديث. وفيه: " ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوَة فغسل وجهه وعليه جُبَّة من صوف، فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتىٰ أخرجهما من أسفل الجُبَّة، فغسل ذراعيه ثم ذكر الحديث في مسح الخفين " . أخرجاه[١]. وفي رواية: " وعليه جُبَّة شاميَّة ضيِّقة الكمَّين "[٢]. وفي أخرى: أن هذه القصة كانت في غزوة تبوك.

فصل في استحباب القميص

روينا من حديث أم سلمة قالت: " كان أحب الثياب إلىٰ رسول الله ﷺ القميص "[٣] رواه الترمذي وحسَّنه.

فصل في صفة القميص والكُمِّ والإزار وطرف العمامة

وتحريم إسبال شيء من ذلك علىٰ سبيل الخُيلاء وكراهته من غير خُيلاء. روينا من حديث أسماء بنت يزيد الأنصاريَّة قالت: " كان كُمُّ رسول الله ﷺ إلىٰ الرُّسْغ "[٤] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من جرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شِقَّي إزاري يسترخي إلاَّ أن أتعاهد ذلك منه. فقال النبي ﷺ: «لست ممن يصنعه خيلاء»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٣) كتاب الوضوء [٥٠] باب المسح علىٰ الخفين، ورقم (٥٧٩٩) كتاب اللباس، [١١] باب لبس جبة الصوف في الغزو، ومسلم في صحيحه [٧٥، ٧٦، ٧٩. (٢٧٤)] كتاب الطهارة، [٢٢] باب المسح علىٰ الخفين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٧. (٢٧٤)] كتاب الطهارة، [٢٢] المسح علىٰ الخفين.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٦٢) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، وانظر (١٧٦٣)، وأبو داود (٤٠٢٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والنسائي في الكبرى، الزينة، باب لبس القميص، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٨٨) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٠٣، ١٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٢٧) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والترمذي في سننه (١٧٦٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في القميص، والنسائي في الكبرى، في الزينة، باب لبس القميص، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢١١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٤) كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٤.(٢٠٨٥)] كتاب اللباس والزينة، [٩] باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه، وما يستحب، والنسائي (٨/ ٢٠٩. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣، ٦/ ١٤٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٩٩، ٢٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٤١).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ من جرَّ إزارهُ بطرًا»[١] أخرجاه.

وروينا عنه مرفوعًا: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار»[٢] رواه البخاري.

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» فقرأها رسول الله ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابُوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسبل، والمنَّان، والمنفِّق سِلعته بالحلِفِ الكاذب»[٣]. وعدم تكليمه له للتحقير، والنظر للغضب، والنافي لرفضه مراضي مولاه سبحانه، وإنه لأبلغ تهديد.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرَّ شيئًا خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٤] رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

وروينا من حديث أبي جُريّ جابر بن سليم[٥] قال: " رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلاَّ صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله. قلت:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٨) كتاب اللباس [٥] باب من جر ثوبه من الخيلاء، ومسلم في صحيحه [٤٨.(٢٠٨٧)] كتاب اللباس والزينة، [٩] باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه، وما يستحب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٨٧) كتاب اللباس، [٤] باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، والنسائي (٨/ ٢٠٧. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٥٧٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٦١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٠٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٨٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٩٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧١ ـ (١٠٦)] كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

قال النووي: قوله ﷺ: «المسبل إزاره» فمعناه المرخي له الجار طرفه خيلاء، كما جاء مفسرًا في الحديث الآخر: «لا ينظر الله إلى من يجر ثوبه خيلاء» والخيلاء الكبر، وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره، ويدل علىٰ أن المراد بالوعيد من جره خيلاء، وقد رخص النبي ﷺ في ذلك لأبي بكر الصديق، وقال: «لست منهم» إذ كان جره لغير الخيلاء.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٩٤) كتاب اللباس، باب في قدر موضع الإزار، والنسائي (٨/ ٢٠٨. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٥٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٨٩)،وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣١١).

(٥) ابن جُريّ جابر بن سليم الهجيمي، صحابي معروف، أخرج له البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي والنسائي.

عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: «لا تقل عليك السلام، عليك السلام تحية الموتى، قل: السلام عليك» قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضُرٌّ فدعوته كشفه، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلَّت راحلتك فدعوته ردَّها عليك»، قال: قلت: اعهد إليَّ. قال: «لا تسُبَّنَّ أحدًا». قال: فما سببت بعده حُرًّا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة. قال: «ولا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، وأن تكلِّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلىٰ نصف الساق وإن أبيت فإلى الكعبين، وإيَّاك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيَّلة، وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك فلا تعير بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه»[١]. رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " بينما رجل يصلي مُسبِلًا إزاره فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ ثم جاء، ثم قال: «اذهب فتوضأ». فقال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرتَهُ أن يتوضأ ثم سكتَّ عنه؟ قال: «إنه كان يُصلِّي وهو مُسبلٌ إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مُسبِلٍ» "[٢]. رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم. والأمر بالوضوء فيه إشعار بأن الحَدَثَ في الدين يحتاج إلىٰ الطهارة، وهو تنفير بليغ.

وروينا من حديث ابن الحنظلية أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل خريم الأسدي لولا طول جُمَّته وإسبال إزاره». فبلغ ذلك خريما فعجل وأخذ شفرة فقطع بها جُمَّته إلىٰ أذنيه ورفع إزاره إلىٰ أنصاف ساقيه[٣] رواه أبو داود مطوَّلا بإسناد علىٰ شرط مسلم.

= انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٣٩) والتقريب (١/ ١٢٢) والتاريخ الكبير للبخاري (٢/ ٢٠٥) والجرح والتعديل (٢/ ٢٠٢٧).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٨٤) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، والترمذي في سننه (٢٧٢٢) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٦٣٨) كتاب الصلاة، باب الإسبال في الصلاة، ورقم (٤٠٨٦) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٧٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٨٩) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٤٦١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢١٥).

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إِزْرَةُ المسلم إلىٰ نصف الساق ولا حرج. أو لا جناح. فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جرَّ إزاره بطرا لم ينظر الله إليه»[١] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث ابن عمر[٢] قال: " مررت علىٰ رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء، فقال: «يا عبد الله، ارفع إزارك»، فرفعته ثم قال: «زِدْ» فزدت، فما زلت أتحرَّاها بعد، فقال بعض القوم: إلىٰ أين؟ فقال: أنصاف الساقين "[٣] رواه مسلم. وعنه مرفوعًا: «من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقالت أم سلمة: فكيف يصنعن النساء بذيُولهنَّ؟ قال: «يُرْخين شبرًا»، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهنَّ. قال: «فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه»[٤] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في فضل الجوع وخشونة العيش جملا تتعلق بذلك.

وروينا في جامع الترمذي محسَّنا من حديث معاذ بن أنس مرفوعًا: «من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يُخيِّره من أي حُلل الإيمان شاء يَلبَسُها»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٩٣) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٤، ٥٢).

(٢) في حديث ابن عمر قال النووي: أما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر المذكور، وفي حديث أبي سعيد «إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما أسفل من ذلك فهو في النار» فالمستحب نصف الساقين، والجائز بلا كراهة ما تحت إلى الكعبين، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ٥٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧ ـ (٢٠٨٦)] كتاب اللباس والزينة، [٩] باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٤٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٦٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤١١٧) كتاب اللباس، باب في قدر الذيل، والترمذي في سننه (١٧٣١) كتاب اللباس، باب ما جاء في جر ذيول النساء، والنسائي (٨/ ٢٠٩ـ المجتبى)، وفي الكبرى، في الزينة، باب ذيول النساء، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٣١٥)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٤٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٩٨٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٣٥).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٨١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٣٩]، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦١، ٤/ ٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٨٢)، =

فصل في استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر علىٰ ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي.

روينا من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته علىٰ عبده»[١]. رواه الترمذي وقال: حسن.

فصل في تحريم لباس الحرير علىٰ الرجال وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لباسه للنساء

روينا من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا: «لا تلبسوا الحرير فإنه من لبس الحرير لم يلبسه في الآخرة»[٢]. وعنه مرفوعًا: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له»[٣] أخرجاهما. وفي رواية للبخاري: «من لا خلاق له في الآخرة». معنى لا خلاق له: لا نصيب. وأي حسرة تداني ذلك.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٤] أخرجاه. وأي تهديد أبلغ من هذا، ولباس أهل الجنة الحرير.

وروينا من حديث عليٍّ قال: " رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريرا فجعله في يمينه

= وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٤٨)، والشجري في أماليه (٢/ ٢١٧).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨١٩) كتاب الأدب، باب ما جاء إن الله تعالىٰ يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣١١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٣٠) كتاب اللباس، [٢٥] باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، ومسلم في صحيحه [١. (٢٠٦٩)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٦، ١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٣٥) كتاب اللباس، [٢٥] باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، ومسلم في صحيحه [٩. (٢٠٦٨)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل، وأبو داود في سننه (٤٠٤٠، ١٠٧٦)، والنسائي (٣/ ٩٦، ١٨١، ١٩٧. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٥٩١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٠، ١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٢، ٣/ ٢٤١، ٢٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٣٢) كتاب اللباس، [٢٥] باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، ومسلم في صحيحه [٢١. (٢٠٧٣)] كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل وإباحته للنساء.

وذهبا فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين محرَّمان علىٰ ذكور أمَّتي»[١] رواه أبو داود بإسناد حسن.

وروينا من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا: «حُرِّم لباس الحرير والذهب علىٰ ذكور أمتي وأُحلَّ لإناثهم»[٢]. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث حذيفة قال: " نهانا النبيﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لباس الحرير والديباج وأن نجلس عليه "[٣] رواه البخاري.

فصل في جواز لبس الحرير للحكة

روينا في الصحيحين من حديث أنس قال: " رخَّص رسول اللهﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكَّة بهما "[٤].

فصل في النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها

روينا من حديث معاوية مرفوعًا: «لا تركبوا الخُزَّ والنِّمار»[٥] رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن. وعن أبي المليح عن أبيه أنهﷺ: " نهى عن جلود السِّباع "[٦]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٥٧) كتاب اللباس، باب في الحرير للنساء، والنسائي (٨/ ١٦٠. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٣٥٩٥، ٣٥٩٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٦)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٢٠) كتاب اللباس، [١] باب ما جاء في الحرير والذهب، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٢٣)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ٧٦)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ٣٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٣٧) كتاب اللباس، [٢٧] باب افتراش الحرير، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٨)، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٩٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٤٦)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٨٣٩) كتاب اللباس، [٢٩] باب ما يرخص للرجال من الحرير للحكة، ومسلم في صحيحه [٢٤/ - (٢٠٧٦) كتاب اللباس والزينة، [٣] باب إباحة لبس الحرير للرجل إذا كان به حكة أو نحوها.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٢٩) كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٢، ٣/ ٢٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٥٧)، والبخاري في التاريخ الكبير(٧/ ٣٢٨).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٤١٣٢) كتاب اللباس، باب في جلود النمور والسباع، والترمذي في سننه (١٧٧١) كتاب اللباس، باب ما جاء في النهي عن جلود السباع، والنسائي (٧/ ١٧٠٦ =

رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحاح. وفي رواية للترمذي: " نهى عن جلود السباع أن تُفترش "[١] .

فصل فيما يقوله إذا لبس ثوبا جديدا أو نعلا ونحوه

روينا من حديث أبي سعيد الخدري قال: " كان رسول الله إذا استجد ثوبا سمَّاه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صنع له». "[٢] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

فصل في استحباب الابتداء باليمين في اللباس

قد أسلفنا مقصوده وسُقنا الأحاديث الصحيحة فيه[٣] .

آخر المجلس ولله الحمد

= المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٧٤، ٧٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٢٤٩، ٢٥٠) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٧٠م) كتاب اللباس، باب ما جاء في النهي عن جلود السباع .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٢٠) كتاب اللباس، في فاتحته، والترمذي في سننه (١٧٦٧) كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص١١٠) باب ما يقول إذا استجد ثوبًا، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠، ٥٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠١) .

(٣) انظر ما تقدم من الأحاديث الدالة علىٰ ذلك .

مجلس في آداب النوم والاضطجاع

روينا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلىٰ فراشه نام علىٰ شِقِّه الأيمن ثم قال: «أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت». "[1]. رواه البخاري في كتاب الأدب[2] من صحيحه بهذا اللفظ، وفيه آداب اتخاذ فراش يأوي إليه والاضطجاع دون القعود ونحوه، وأن يكون علىٰ الجنب، وأن يكون الأيمن، والذكر المأثور.

وروينا عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة[3] ثم اضطجع علىٰ شِقِّك الأيمن وقل . . . » وذكر نحوه، وفيه: «واجعله من آخر ما تقول» أخرجاه[4]. وفيه النوم علىٰ طهارة وترك الكلام بعد الذكر.

وروينا من حديث عائشة قالت: " كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشر ركعة، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع علىٰ شقِّه الأيمن حتىٰ يجيء المؤذن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٥) كتاب الدعوات، [٩] باب النوم علىٰ الشق الأيمن، ومسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٢٧١٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه (٥٠٤٦، ٥٠٤٧)، والترمذي في سننه (٣٣٩٤)، وابن ماجه (٣٨٧٦).

(٢) وجدناه في كتاب الدعوات كما تقدم قبل هذا.

(٣) في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبة ليست بواجبة: أحدها: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئا كفاه ذلك الوضوء؛ لأن المقصود النوم علىٰ طهارة مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه.
الثانية: النوم علىٰ الشق الأيمن؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه.
الثالثة: ذكر الله تعالىٰ ليكون خاتمة عمله. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٤٧) كتاب الوضوء، [٧٩] باب فضل من بات علىٰ الوضوء، ورقم (٦٣١١) كتاب الدعوات، [٦] باب إذا بات طاهرا، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٧١٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه (٥٠٤٦) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم.

فيؤذنه "[١] أخرجاه. وفيه أن الاضطجاع الفاصل منه الاضطجاع بعد ركعتي الفجر.

وروينا من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: " كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خدِّه ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» "[٢] أخرجه البخاري. ووضع اليد تحت الخد للتخشُّع.

وروينا من حديث يعيش بن طخفة الغفاري رضي الله عنه قال: " بينما أنا مضطجع في المسجد علىٰ بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها الله»، قال: فنظرت فإذا رسول الله "[٣] رواه أبو داود بإسناد صحيح. وفيه تجنب الاضطجاع علىٰ البطن والنفرة من ذلك.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالىٰ فيه كانت عليه من الله تِرَة، ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرَة»[٤] رواه أبو داود بإسناد حسن. التِرَةُ بكسر التاء المُثنَّاة فوق: النقص أو الحسرة أو الندامة. وهو بليغ في تهديد من ترك الذكر.

فصل في جواز الاستلقاء علىٰ القفا

ووضع إحدى الرجلين علىٰ الأخرى إذا لم يخفْ انكشاف العورة، وجواز القعود متربِّعا ومحتبيا. روينا من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: " رأيت رسول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٠) كتاب الدعوات، [٥] باب الضجع علىٰ الشق الأيمن، ومسلم في صحيحه[١٢١ - (٧٣٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٧] باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل، وأن الوتر ركعة، وأبو داود في سننه (١٣٣٥)، والترمذي في سننه (٤٤٠)، والنسائي (٣/ ٢٣٤، ٢٤٣)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٥، ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٢) كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا نام، وأبو داود (٥٠٤٩) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، والترمذي في سننه (٣٤١٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٤٧، ٨٥٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٤٠) كتاب الأدب، باب في الرجل ينبطح علىٰ بطنه، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٣٠، ٥/ ٤٢٦) وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٨٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء(١/ ٣٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧١٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٥٦) كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٩) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٧٢)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٨).

الله ﷺ مُستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى "[١] أخرجاه.

وروينا من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: " كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربَّع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء "[٢]. حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة.

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: " رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة مُحتبيا بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء وهو القُرفصاء "[٣] رواه البخاري.

وروينا من حديث قيلة بنت مخرمة[٤] قالت: " رأيت النبي ﷺ وهو قاعد القُرفصاء، فلما رأيت رسول الله ﷺ المُتخشِّع أُرعدت من الفرق "[٥] رواه أبو داود والترمذي. وهو دال على أن القُرفصاء قعود التخشُّع وأن تواضع الكبير يزيده مهابة.

وروينا من حديث الشريد بن سويد قال: " مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على ألية يدي فقال: «أتقعُد قعدة المغضوب عليهم؟» "[٦]. رواه أبو داود بإسناد صحيح، وفيه كراهية هذه القعدة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩٦٩) كتاب اللباس، [١٠٣] باب الاستلقاء ووضع الرجل على الأخرى، ومسلم في صحيحه [٧٥ ـ (٢١٠٠)] كتاب اللباس والزينة، [٢٢] باب في إباحة الاستلقاء ووضع إحدى الرجلين على الأخرى .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٥٠) كتاب الأدب، باب في الرجل يجلس متربعا، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٠٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧١٥) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٦٢٧٢) كتاب الاستئذان، [٢٤] باب الاحتباء باليد وهو القرفصاء .

(٤) قيلة بنت مخرمة العنبرية الغنوية العنزية، وقيل التميمية، صحابية لها حديث طويل، أخرج لها البخاري في الأدب وأبو داود والترمذي .
ترجمتها : تهذيب التهذيب (٢/ ٤٤٦)، التقريب(٢/ ٦١١)، الثقات (٣/ ٣٤٩)،أسد الغابة (٧/ ٢٤٥)، الإصابة (٨/ ٨٣) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٤٧) كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٤٨) كتاب الأدب، باب في الجلسة المكروهة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٣٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦) .

مجلس في آداب المجلس والجليس

روينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «لا يُقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسَّعوا وتفسَّحوا». وكان ابن عمر إذا قام له رَجُلٌ من مجلسه لم يجلس فيه. أخرجاه[1]. وفيه النهي عن ذلك والأمر بالتوسُّع.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به»[2] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: " كنَّا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي "[3] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث سلمان مرفوعًا: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهَّر ما استطاع من طُهر ويدَّهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ثم يخرُجُ فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كُتب له ثم يُنصت إذا تكلم الإمام إلاَّ غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٦٩) كتاب الاستئذان، [٣١] باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، ورقم (٦٢٧٠) كتاب الاستئذان، [٣٢] باب ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ [المجادلة: ١١] ،ومسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢١٧٧)] كتاب السلام، [١١] باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، وأحمد في مسنده (٢/ ١٢٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١. (٢١٧٩)] كتاب السلام، [١٢] باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به، وابن ماجه في سننه (٣٧١٧)، وأحمد ابن حنبل (٢/ ٢٨٣)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٨٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٧٩٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٢١)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٣٨) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٢٥) كتاب الأدب، باب في التحلق، وأحمد في مسنده (٥/ ٩٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٢٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٨٣) كتاب الجمعة، [٦] باب الدهن للجمعة، ورقم (٩١٠) كتاب الجمعة [١٩] باب لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ١٥٢) .

وروينا من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعًا: «لا يحل لرجل أن يُفرِّق بين اثنين إلاَّ بإذنهما»[١].

ورويـنا مـن حديـث حذيفـة ﵁ أن رسـول الـله ﷺ: " لَعَنَ من جلس وسط الحلقة "[٢]. رواه أبو داود بإسناد حسن. وروى الترمذي عن أبي مجلز أن رجلا قعد وسط حلقة فقال حذيفة: " ملعون علىٰ لسان محمد ﷺ. أو لَعَنَ الله علىٰ لسان محمد. من جلس وسط الحلقة "[٣] ثم قال: حسن صحيح.

وروينا من حيث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «خير المجالس أوسعها»[٤] رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من جلس في مجلس فكثُر فيه لَغَطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلاَّ غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك»[٥] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي برزة ﵁ قال: " كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك» فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى. قال: «كفَّارة لما يكون في المجلس»[٦] رواه أبو داود، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٤٥) كتاب الأدب، باب الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٠٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٢٦) كتاب الأدب، باب الجلوس وسط الحلقة، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٥٣) كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الجلوس وسط الحلقة.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٢٠) كتاب الأدب، باب في سعة المجلس، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٥٩)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٨٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٣٣) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٩٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٣٤) باب مايقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٩٤)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٤٨)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ٧٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٩٠)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٢٢).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٥٩) كتاب الأدب باب في كفارة المجلس، والحاكم في المستدرك =

عائشة وقال: صحيح الإسناد.

وروينا من حديث ابن عمر ﷺ قال: " قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يدعوا بهؤلاء الدعوات: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلِّغُنا به جنَّتك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مُصيبات الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا، واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا، وانصرنا علىٰ من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا، ولا تُسلِّط علينا من لا يرحمنا» "[1] رواه الترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالىٰ فيه إلاَّ قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»[2] رواه أبو داود بإسناد صحيح. وعنه مرفوعًا: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلُّوا علىٰ نبيهم إلاَّ كان عليهم تِرَة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[3]. رواه الترمذي وحسَّنه.

= (٢/ ٥٣٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٦٦ ـ الموارد)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٨٠، ٦/ ٢٤٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٨٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٤١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٢٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨، ٢/ ١٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٥٥) كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٠) وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٨٠) كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٩)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٢١ ـ الموارد).

مجلس في الرؤيا وما يتعلق بها

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [1].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لم يبق من النبوَّة إلاَّ المبشِّرات». قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»[2] رواه البخاري.

وروينا عنه مرفوعًا: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوَّة»[3] أخرجاه.

وفي رواية: «وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا»[4]. فأصدقها باعتبار الوقت اقتراب الزمان، وباعتبار الرأي صدق الحديث.

وروينا عنه مرفوعًا: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو لكأنما رآني في اليقظة؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»[5]. أخرجاه، وهذا أصدقها باعتبار المرئي.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليُحدِّث بها»[6]. وفي رواية: «فلا يحدِّث بها إلاَّ من

---

(١) سورة الروم (٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٩٠) كتاب التعبير، [٥] باب المبشرات، والزبيدي في الإتحاف (٤٢٨/١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٢٨/١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٢)،والألباني في إرواء الغليل (١٢٩/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٠١٧) كتاب التعبير، [٢٦] باب القيد في المنام، ومسلم في صحيحه [٦. (٢٢٦٣)] كتاب الرؤيا، في مقدمته، والترمذي في سننه (٢٢٧)، وأبو داود (٥٠١٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٥٠٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦١٤)، والدارمي في سننه (١٢٥/٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣١٢/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦ ـ (٢٢٦٣)] كتاب الرؤيا، في مقدمته، وأبو داود في سننه (٥٠١٩) كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٩٣) كتاب التعبير، [١٠] باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ومسلم في صحيحه [١١ ـ (٢٦٦٦)] كتاب الرؤيا، [١] باب قول النبي ﷺ : «من رآني فقد رآني»، وأبو داود في سننه (٥٠٢٣)، والترمذي (٢٢٧٦) وابن ماجه (٣٩٠٠، ٣٩٠١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣٠٦/٥)، والحاكم في المستدرك (٣٩٣/٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٨٥) كتاب التعبير، [٣] باب الرؤيا من الله، وأبو داود =

يحب، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرِّها ولا يذكرها لأحد؛ فإنها لا تضره»[1] أخرجاه. وفيه بيان نوعي الرؤيا؛ المحبوب والمذموم، وبيان ما يقابل عليه كل واحد منهما.

وروينا من حديث أبي قتادة مرفوعًا: «الرؤيا الصالحة. وفي رواية: الحسنة. من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئًا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا وليتعوَّذ من الشيطان فإنها لا تضره»[2] أخرجاه. النفث: نفخ لطيف لا ريق معه.

وروينا من حديث جابر مرفوعًا: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق علىٰ يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثًا، وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه»[3] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أبي الأسقع واثلة بن الأسقع مرفوعًا: «إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلىٰ غير أبيه أو يُرِي عينه ما لم تر، أو يقول علىٰ رسول الله ﷺ ما لم يقل» أخرجه البخاري[4].

آخره ولله الحمد

= (٥٠٢٢)، والترمذي في سننه (٣٤٥٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣١٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٨٥) كتاب التعبير، [٣] باب الرؤيا من الله، ومسلم في صحيحه [٤. (٢٢٦١)] كتاب الرؤيا، في مقدمته، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٠٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٩٩٥) كتاب التعبير، [١٠] باب من رأى النبي ﷺ في المنام، ومسلم في صحيحه [٤. (٢٢٦١)] كتاب الرؤيا في مقدمته، والدارمي في سننه (٢/ ١٢٤)، ومالك في الموطأ (٩٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥. (٢٢٦٢)] كتاب الرؤيا، في مقدمته، وأبو داود في سننه (٥٠٢٢)، وابن ماجه في سننه (٣٩٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦١٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٤٨٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٠٩) كتاب المناقب، باب [٥]،وأحمد في مسنده (٤/ ١٠٦).

مجلس في السلام وأحكامه

فصل في فضله والأمر بإفشائه

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ [(1)]. وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [(2)] وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ [(3)]. وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [(4)]. ففي الآية الأولى: السلام قبل دخول دار الغير. وفي الثانية: السَّلام بعد الدخول. وفي الثالثة: الأمر بالرَّدِّ. وفي الرابعة: بيان صفة السلام ابتداء وردًّا.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السَّلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف» [(5)] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لما خلق الله آدم قال: اذهب فسلِّم علىٰ أولئك النَّفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيَّتك وتحيَّة ذريَّتك. قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. قال: فزادوه

---

(1) سورة النور(٢٧).

(2) سورة النور(٦١).

(3) سورة النساء (٨٦).

(4) سورة الذاريات (٢٤، ٢٥).
قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات: ٢٤] أي الذي أرصد لهم الكرامة، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل، وقد وردت السنة بذلك، كما هو ظاهر التنزيل، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩] الرفع أقوى وأثبت من النصب، فرده أفضل من التسليم، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦]، فالخليل اختار الأفضل. [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٥)].

(5) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢) كتاب الإيمان، [٦] باب إطعام الطعام من الإسلام، ومسلم في صحيحه [٦٣ ـ (٣٩)] كتاب الإيمان، [١٤] باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، وأبو داود في سننه (٥١٩٤)، وابن ماجه (٣٢٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٩٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٢٩)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٣٧، ٥/ ٢٣٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٨٧، ٣/ ٤٢٤).

ورحمة الله»[١] أخرجاه.

وروينا من حديث البراء بن عازب: " أمرنا رسول الله ﷺ بسبع وعدَّ منها: إفشاء السلام "[٢] أخرجاه أيضا.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا، أَوَلاَ أدلُّكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السَّلام بينكم»[٣]. وأي فائدة أجلُّ من هذه وهي التحابب.

وروينا من حديث عبد الله بن سلام مرفوعًا: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلُون الجنة بسلام»[٤] رواه الترمذي وصححه.

وروينا من حديث الطفيل بن أُبي بن كعب أنه: " كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدوا معه إلىٰ السوق، قال: فإذا غدونا إلىٰ السوق لم يمرَّ عبد الله علىٰ سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلاَّ سلَّم عليه، قال الطُفيل[٥]: فجئت عبد الله بن عمر يوما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٢٧) كتاب الاستئذان، [١] باب بدء السلام، ومسلم في صحيحه [٢٨. (٢٨٤١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١١] باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٢٢) كتاب الأدب، [١٢] باب تشميت العاطس إذا حمد الله، ومسلم في صحيحه [٣. (٢٠٦٦)] كتاب اللباس والزينة، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير علىٰ الرجل، والترمذي (٢٨٠٩) كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية لبس المعصفر للرجل والصبي .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٣. (٥٤)] كتاب الإيمان، [٢٢] باب بيان أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، وأبو داود في سننه في الأدب، باب في إفشاء السلام (٥١٩٣)، والترمذي في سننه (٢٦٨٨)، وابن ماجه في سننه (٣٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩١، ٤٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٢٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٧٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٤٥) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه في سننه (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، وفي الأطعمة، باب إطعام الطعام، والحاكم في المستدرك (١٠/ ١٣١، ٤/ ١٦٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٣٦، ٣٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٠٧) .

(٥) الطفيل بن أُبَيّ بن كعب، أبو بطن. لكبر بطنه. الأنصاري البخاري الخزرجي المدني، ولد في عهد النبي ﷺ، أخرج له البخاري في الأدب وأبو داود وابن ماجه، ثقة .

فاستتبعني إلىٰ السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق؟ وأنت لا تقف علىٰ البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق، وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدَّث. فقال: يا أبا بطن. وكان الطُفيل ذا بطن. إنما نغدوا من أجل السلام، نسلِّم علىٰ من لقينا " . رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح.

فصل في كيفيته[(١)]

يستحب أن يقول المبتديء به: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلَّم عليه واحدا، ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بواو العطف في قوله: وعليكم.

وروينا من حديث عمران بن الحصين قال: " جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: السَّلام عليكم. فردَّ عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «عشر». ثم جاء آخر فقال: السَّلام عليكم ورحمة الله. فردَّ عليه فجلس، فقال: «عشرون». ثم جاء آخر فقال: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فردَّ عليه، فجلس، فقال: «ثلاثون»[(٢)] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث أنس: " كان النبي ﷺ إذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثا حتىٰ نفهم عنه، وإذا أتى علىٰ قوم فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثًا "[(٣)] رواه البخاري. وهو

= ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ١٤)، تقريب التهذيب (١/ ٣٧٨)، والكاشف (٢/ ٤٢)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٦٤)، والجرح والتعديل (٤/ ٢١٥١)، الثقات (٤/ ٣٩٧).

(١) قوله ﷺ: «أفشوا السلام بينكم» فيه الحث العظيم علىٰ إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف. والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس لزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٩٥) كتاب الأدب، باب كيف السلام، والترمذي (٢٦٨٩) كتاب الاستئذان، باب ما ذكر في فضل السلام، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٣٩، ٤٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٨، ٤٢٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣١)، وابن الجوزي في العلل المتناهية.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٤، ٩٥) كتاب العلم، [٣١] باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، ورقم (٦٢٤٤) كتاب الاستئذان، [١٣] باب التسليم والاستئذان ثلاثًا، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٧٣)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٢١٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٨)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ٢١٥).

محمول علىٰ ما إذا كان الجمع كثيرًا.

وروينا من حديث المقداد في حديثه الطويل، قال: " كنَّا نرفع للنبي ﷺ نصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلِّم تسليما لا يُوقظ نائما ويُسمع اليقظان، فجاء النبي ﷺ فسلَّم كما كان يُسلِّم "[١] أخرجه مسلم. وهو تسليم بين سلامين بحسب الحاجة.

وروينا من حديث أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ " مرَّ في المسجد يوما وعُصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتَّسْليم "[٢] رواه الترمذي وحسَّنه. وهو محمول علىٰ أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة تأكيدا، ويؤيده أن في رواية أبي داود: " فسلَّم علينا "[٣].

وروينا من حديث أبي جُرَى الهجيمي رضي الله عنه قال: " أتيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله. قال: «لا تقل عليك السَّلام، فإن عليك السلام تحية الموتى» "[٤] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وهو يعني: عليك السَّلام يا فلان، مشهور عند العرب في المراثي، فلذلك نهى عنه.

فصل في آداب السَّلام

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «يُسلِّم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير»[٥] أخرجاه. وللبخاري: «والصغير علىٰ الكبير».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٤ ـ (٢٠٥٥)] كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره وقال النووي: هذا فيه آداب السلام علىٰ الإيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأن يكون سلاما متوسطا بين الرفع والمخافتة بحيث يسمع الأيقاظ ولا يهوش علىٰ غيرهم، وكذلك أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٧٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٩٧) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم علىٰ النساء، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤)، وأخرجه أبو داود كما سيأتي بلفظ: «فسلم علينا»، انظر: أبو داود في سننه (٥٢٠٤) كتاب الأدب، باب في السلام علىٰ النساء، وابن ماجه في سننه (٣٧٠١) كتاب الأدب، باب السلام علىٰ الصبيان والنساء.

(٣) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٠٨٤) كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، ورقم (٥٢٠٩) كتاب الأدب، باب كراهية أن يقول: عليك السلام، والترمذي في سننه (٢٧٢٢) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئا، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٠٤، ٤٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٣٣) كتاب الاستئذان، [٦] باب تسليم الماشي علىٰ القاعد، =

وروينا من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعًا: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام»[١] رواه أبو داود بإسناد جيِّد. ورواه الترمذي عن أبي أُمامة، قيل: يا رسول الله، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: «أولاهُما بالله»[٢]. قال الترمذي: حديث حسن. وفي الحديث الأول بيان من الحق عليه أن يبدأ، وفي الثاني من الفضل له أن يبدأ.

فصل في استحباب إعادة السَّلام

على من تكرَّر لقاؤه علىٰ قرب، بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال أو حال بينهما شجرة ونحوها.

روينا من حديث أبي هريرة في حديث صلاة الرجل أنه " جاء فصلَّى ثم جاء فسلَّم علىٰ النبي ﷺ فردَّ عليه السَّلام[٣] فقال: «ارجع فصلِّ إنك لم تُصلِّ»، ثم رجع فصلى ثم جاء فسلَّم علىٰ النبي ﷺ، حتىٰ فعل ذلك ثلاثا "[٤] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة أيضًا مرفوعًا: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلِّم عليه،

= ومسلم في صحيحه [١. (٢١٦٠)] كتاب السلام، [١] باب يسلم الراكب علىٰ الماشي والقليل علىٰ الكثير، وأبو داود في سننه (٥١٩٨)، والترمذي في سننه (٢٧٠٣، ٢٧٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠٣) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٩٧) كتاب الأدب، باب في فضل من بدأ بالسلام، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٩٤) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٧).

(٣) ذكر النووي فوائد عديدة لهذا الحديث، فقال: فيه استحباب السلام عند اللقاء ووجوب رده، وأنه يستحب تكراره إذا تكرر اللقاء وإن قرب العهد، وأنه يجب رده عن كل مرة، وأن صيغة الجواب: وعليكم السلام، أو: وعليك، بالواو وهذه الواو مستحبة عند الجمهور، وأوجبها بعض أصحابنا، وليس بشيء، بل الصواب أنها سنة. [النووي في شرح مسلم (٤/ ٩٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٥١) كتاب الاستئذان، [١٨] باب من رد فقال عليك السلام، ومسلم في صحيحه [٤٥. (٣٩٧)] كتاب الصلاة، [١١] باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر من غيرها، وأبو داود في سننه (٨٥٦) كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، والترمذي (٣٠٣)، والنسائي (٣/ ٥٩، ٦٠. المجتبى) وابن ماجه في سننه (١٠٦٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٣٧، ٤/ ٣٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٥، ٣٧، ٦٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤١).

فإن حال بينهما شجر أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلِّم عليه»[١] رواه أبو داود.

فصل في استحبابه إذا دخل بيته

قد سلف فيه الآية.

وروينا من حديث أنس قال[٢]: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بُني، إذا دخلت علىٰ أهل بيتك علىٰ أهلك فسلِّم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فصل في السلام علىٰ الصِّبيان

روينا من حديث أنس أنه " مرَّ علىٰ صبيان فسلَّم عليهم وقال: إن رسول الله ﷺ كان يفعله "[٣] أخرجاه.

فصل في سلام[٤] الرجل علىٰ زوجته

والمرأة من محارمه، وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهنَّ وسلامهنَّ بهذا الشرط.

روينا من حديث سهل بن سعد قال: " كانت فينا امرأة. وفي لفظ: كانت لنا عجوز. تأخذ من أُصول السلق فتطرحه في القدر وتُكَرْكِرُ حبَّات من شعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا ونُسلِّم عليها فتقدمه إلينا " . رواه البخاري[٥]. تُكَرْكِرُ: تطحن.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٠٠) كتاب الأدب باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/٩٣)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٩٨) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٤٧) كتاب الاستئذان، [١٥] باب التسليم علىٰ الصبيان، ومسلم في صحيحه [١٤، ١٥ ـ (٢١٦٨)]، كتاب السلام، والترمذي في سننه (٢٦٩٦) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم علىٰ الصبيان.

(٤) اعلم أن ابتداء السلام سنة، ورده واجب، فإن كان المسلم جماعة فهو سنة كفاية في حقهم ؛ إذا سلم بعضهم حصلت سنة السلام في حق جميعهم، فإن كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم، فإذا رد واحد منهم سقط الحرج علىٰ الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميع بالسلام وأن يرد الجميع . [النووي في شرح مسلم (١٤/١١٨) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٣٨) كتاب الجمعة، [٤٠] باب قول الله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، ورقم (٦٢٤٨) كتاب الاستئذان، [١٦] باب =

وروينا من حديث أم هانيء فاختة بنت أبي طالب قالت: " أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل وفاطمة تستره، فسلَّمت. . . " وذكر الحديث. أخرجه مسلم(١).

وروينا عن أسماء بنت يزيد قالت: " مرَّ علينا النبي ﷺ في نسوة فسلَّم علينا "(٢). رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه، واللفظ لأبي داود. ولفظ الترمذي أنه ﷺ " مرَّ في المسجد يوما وعُصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم " .

فصل في تحريم ابتداء الكافر بالسَّلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام علىٰ أهل مجلس فيهم مسلمون وكُفار

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسَّلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطَّروهم إلىٰ أضيقهِ»(٣) رواه مسلم.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»(٤) أخرجاه.

وروينا من حديث أسامة أن النبي ﷺ " مرَّ علىٰ ملأ فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، فسلَّم عليهم النبي ﷺ "(٥) أخرجاه.

= تسليم الرجال علىٰ النساء والنساء علىٰ الرجال، ورقم (٥٤٠٣) كتاب الأطعمة، [١٨] باب السلق والشعير .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٣٣٦)] كتاب الحيض، [١٦] باب تستر المغتسل بثوب ونحوه .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٠٤) كتاب الأدب، باب في السلام علىٰ النساء، والترمذي في سننه (٢٦٩٧) كتاب الاستئذان، باب ماجاء في التسليم علىٰ النساء، وابن ماجه في سننه (٣٧٠١)، كتاب الأدب، [١٤] باب السلام علىٰ الصبيان والنساء، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣. (٢١٦٧)] كتاب السلام، [٤] باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، وأبو داود في سننه (٥٢٠٥) كتاب الأدب، باب في السلام علىٰ أهل الذمة، والترمذي في سننه (١٦٠٢، ١٧٠٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٣٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٥٨) كتاب الاستئذان، باب كيف يرد علىٰ أهل الذمة السلام، ومسلم في صحيحه [٦. (٢١٦٣)] كتاب السلام [٤] باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، والترمذي في سننه (٣٣٠١)، وابن ماجه في سننه (٣٦٩٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٤٢)، وابن حبان في صحيحه (١٩٤١. الموارد) ، والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٨٨) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٥٤) كتاب الاستئذان، [٢٠] باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين .

فصل في استحباب السَّلام إذا قام من المجلس وفارق جُلساءه ومجلسه.

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتهى أحدكم إلىٰ مجلس فليسلِّم، فإذا أراد أن يقوم فليسلِّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»(١) رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

فصل في الاستئذان وآدابه قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (٢). وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

وروينا من حديث أبي موسى مرفوعًا(٣): «الاستئذان ثلاث، فإن أُذن وإلاَّ فارجع». ومن حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «إنما جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر»(٤) أخرجاهما.

وروينا من حديث ربعي بن حراش قال: " حدثنا رجل من بني عامر استأذن علىٰ النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألِج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلىٰ هذا فعلِّمه الاستئذان فقل له: قُل السَّلام عليكم، أأدخل؟» فسمعه الرجل فقال: السَّلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل "(٥) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث كلدة بن حنبل رضي الله عنهما قال: " أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه فلم أُسلِّم، فقال ﷺ: «ارجع فقل: السَّلام عليكم، أأدخل؟». " رواه أبو داود والترمذي(٦) وحسَّنه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢٠٨) كتاب الأدب، باب في السلام إذا قام من المجلس، والترمذي في سننه (٢٧٠٦) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٠).

(٢) سورة النور (٢٧) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣. (٢١٥٣)] كتاب الأدب، [٧] باب الاستئذان، والترمذي (٢٦٩٠) كتاب الاستئذان، باب في الاستئذان ثلاثة .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٤١) كتاب الاستئذان، [١١] باب الاستئذان من أجل البصر، ومسلم في صحيحه [٤٠، ٤١ ـ (٢١٥٦)] كتاب الآداب، [٩] باب تحريم النظر في بيت غيره، والترمذي (٢٧٠٩)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٧٧) كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٤٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤١٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨) .

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٥١٧٦) كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، والترمذي في سننه (٢٧١٠) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، والنسائي في الكبرى، =

فصل في بيان أن السُّنة إذا قيل للمستأذن من أنت؟ أن يقول فلان، فيُسمِّي نفسه بما يُعرف به من اسم أو كنية، وكراهة قوله أنا ونحوها.

روينا من حديث أنس المشهور في الإسراء قال: قال رسول الله ﷺ «ثم صَعَدَ بي جبريل إلىٰ السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قال: ومن معك؟ قال: محمد. ثم صعد بي إلىٰ السماء الثانية والثالثة وسائرهُنَّ، ويقال في كل سماء: من هذا؟ فيقول: جبريل»[(١)] .

وروينا من حديث أبي ذر قال: " خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، فجعلت أمشي في ظلِّ القمر، فالتفت فرآني فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو ذر "[(٢)] .

. وروينا من حديث أم هانيء قالت: " أتيت رسول الله ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال: «من هذه؟» فقلت: أنا أم هانيء "[(٣)] .

وروينا من حديث جابر قال: " أتيت النبي ﷺ فدققت الباب فقال: «من ذا؟» فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا» كأنه كرهها "[(٤)] متفق عليهن. وفي الأول إجابة من هذا باسمه، وفي الثاني والثالث الإجابة بالكنية بأب أو أم، وفي الرابع كراهة الإجابة بأنا.

= الوليمة، باب الضغابيس، وفي عمل اليوم والليلة (ص١١٢، ١١٣) باب كيف يستأذن، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٧١)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٧٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٩ ـ (١٦٢)] كتاب الإيمان،[٧٤] باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض االصلوات .
قال النووي : فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه، فقيل له من أنت فينبغي أن يقول زيد مثلا إذا كان اسمه زيداً، ولا يقول أنا ؛ فقد جاء الحديث بالنهي عنه ؛ ولأنه لا فائدة فيه . [النووي في شرح مسلم (٢/ ١٨٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٢) و (٣) تقدم من قبل بتخريجه فانظره .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٥٠) كتاب الاستئذان، [١٧] باب إذا قال : من ذا ؟ فقال : أنا، ومسلم في صحيحه [٣٨، ٣٩ ـ (٢١٥٥)] كتاب الآداب، [٨] باب كراهة قول المستأذن : أنا، إذا قيل من هذا .
قال النووي : قال العلماء : إذا استأذن فقيل له : من أنت أو من هذا كره أن يقول : أنا، لهذا الحديث ؛ ولأنه لم يحصل بقوله : أنا، فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول : فلان باسمه، وإن قال : أنا فلان فلا بأس، كما قالت أم هانئ حين استأذنت فقال النبي ﷺ : «من هذه؟»، فقالت : أنا أم هانئ . ولا بأس بقوله : أنا أبو فلان أو القاضي فلان، أو الشيخ فلان، إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه . [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١١٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

مجلس في استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة التشميت والعطاس والتثاوب

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا علىٰ كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاوب أحدكم فليردَّه ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان»[1] أخرجه البخاري. وفيه عنه مرفوعًا: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه. أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»[2].

وروينا من حديث أبي موسى مرفوعًا: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، فإن لم يحمد الله فلا تُشمِّتوه». أخرجه مسلم[3].

وروينا من حديث أنس قال: " عطس رجلان عند رسول الله ﷺ فشمَّت أحدهما ولم يُشمِّت الآخر، فقال الرجل: يا رسول الله، شمَّت هذا ولم تُشمِّتني. قال: «إن هذا حمد الله وإنك لم تحمد الله» "[4] أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٢٣) كتاب الأدب، [١٢] باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، وأبو داود (٥٠٢٨)، والترمذي في السنن (٢٧٤٦، ٢٧٤٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٥، ٤٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٢٤) كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، وأبو داود في سننه (٥٠٣٣) كتاب الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، والترمذي في سننه (٢٧٤١)كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٨٣،٨٤) باب ما يقول إذا عطس، وابن ماجه في سننه (٣٧١٥) كتاب الأدب، باب تشميت العاطس، وأحمد في مسنده (٥/ ٤١٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٤ ـ (٢٩٩٢)] كتاب الزهد والرقائق، [٩] باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٢٥) كتاب الأدب، [١٢٧] باب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله، ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٩٩١)] كتاب الزهد والرقائق، [٩] باب تشميت العاطس =

وروينا من حديث أبي هريرة قال: " كان رسول الله ﷺ إذا عَطَسَ وضع يده أو ثوبه علىٰ فيه وخفض أو غَضَّ بها صوته - شك الراوي - "[١] رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وفيه استحباب ذلك.

وروينا من حديث أبي موسى قال: " كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمك الله، فيقول: «يهديكم ويصلح بالكم». " رواه أبو داود والترمذي[٢] وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده علىٰ فِيهِ، فإن الشيطان يدخل» أخرجه مسلم[٣].

= وكراهة التثاؤب، وأبو داود (٥٠٣٩)، وابن ماجه (٣١٨٣)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٠، ١١٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٤) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٢٩) كتاب الأدب، باب في العطاس، والترمذي في سننه (٢٧٤٥) كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٣)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٨٦)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٤٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٣٨) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٣٨) كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، والترمذي، في سننه (٢٧٣٩) كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٩٠)، باب ما يقول لأهل الكتاب إذا تعاطسوا، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٤، ٤/ ٤٠٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤١١)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٥، ٦/ ٢٨٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧، ٥٨، ٥٩ - (٢٩٩٥)] كتاب الزهد والرقائق، [٩] باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٣، ٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٨٦) .

مجلس في استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهة الانحناء

روينا من حديث قتادة قال: " قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ؟ قال: نعم "[1] رواه البخاري. وفيه أن المصافحة من شأن خير أمة في خير القرون، وإنها كانت شائعة في أصحاب النبي ﷺ علىٰ عهده وبعده.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنهما قال: " لما جاء أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة "[2] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث البراء بن عازب مرفوعًا[3]: «ما من مسلمَيْن يلتقيان فيتصافحان إلاَّ غفر لهما قبل أن يفترقا». رواه أبو داود.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنهما قال: " قال رجل: يا رسول الله، الرجل منَّا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: «لا»، قال: أفيلتزمه ويُقبلُهُ؟ قال: «لا» قال: أفيأخذه ويصافحه؟ قال: «نعم» "[4] رواه الترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث صفوان بن عسَّال قال: " قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلىٰ هذا النبي. فقال صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين. فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات " . فذكر الحديث إلىٰ قوله: " فقبّلوا يده ورجله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٢٦٣) كتاب الاستئذان، [٢٧] باب المصافحة، والترمذي في سننه (٢٧٢٩) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٧٧) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢١٣) كتاب الأدب، باب في المصافحة .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٢١٢) كتاب الأدب، باب في المصافحة، والترمذي في سننه (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان، باب ماجاء في المصافحة، وابن ماجه في سننه (٣٧٠٣) كتاب الأدب باب المصافحة، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٨٩، ٣٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٩٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨١، ٢٨٣) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٢٨) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، وابن ماجه في سننه (٣٧٠٢) كتاب الأدب، [١٥] باب المصافحة .

وقالوا: نشهد إنك نبي "[١]. رواه الترمذي بأسانيد صحيحة.

وروينا من حديث عائشة قالت: " قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فآتاه فقرع الباب فقام إليه رسول الله ﷺ عُريانا يجُرُّ ثوبه، والله ما رأيته عُريانا قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبَّله "[٢] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

وروينا من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»[٣] رواه مسلم.

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي والأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم» "[٤] أخرجاه.

آخر المجلس ولله الحمد.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٣٣) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، ورقم (٣١٤٤) كتاب التفسير، والنسائي (٧/ ١١١. المجتبى)، وابن ماجه مختصرا (٣٧٠٥) كتاب الأدب، [١٦] باب الرجل يقبل يد الرجل، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩، ٤، ٣٥١) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٤٣، ٤٤، ٨/ ٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧٣٢) كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المعانقة والقبلة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٤. (٢٦٢٦)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٣] باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩٩٧) كتاب الأدب، [١٨ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في صحيحه [٦٥. (٢٣١٨)] كتاب الفضائل، [١٥] باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، وفضل ذلك، وأبو داود (٥٢١٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١، ٥١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٣٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٢، ٣٩٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٦٣)، والتبريزي في الإتحاف (٧/ ٥٠١).

مجلس في عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

روينا من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: " أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، فعدَّ منها عيادة المريض واتباع الجنائز "[1].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «حقُّ المسلم علىٰ المسْلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[2] متفق عليهما.

وروينا من حديث أبي هريرة أيضًا مرفوعًا: «إن الله . عز وجل . يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعُدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مَرِضَ فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتُك فلم تُطعمني. قال: يا رب وكيف أُطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تُطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتُك فلم تسقني. قال. يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»[3] أخرجه مسلم. وفيه رتبة العيادة المتوجهة إلىٰ الرب تعالىٰ ووجد أنه عنده، وأي لسان يقدر علىٰ أن يُعبِّر عن هذ. الرتبة؟! وفي ضِمْنه تخجيل عظيم لمن ترك ذلك وتحذير من خَسِره خسران فوائده العلمية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٣٩) كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه [٣. (٢٠٦٦)] كتاب اللباس، [٢] باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة علىٰ الرجال والنساء، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٤٠) كتاب الجنائز، [٢] باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه [٤. (٢١٦٢)] كتاب السلام، [٣] باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٥، ٤٢٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٢٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣. (٢٥٦٩)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٣] باب فضل عيادة المريض .

وروينا من حديث أبي موسى مرفوعًا: «عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكُّوا العاني»[1] رواه البخاري. والعاني: الأسير، وأمر بفكه ليتبدل من ذِلَّة الرِّقِّ وضيق الحبس، وأمر بإطعام الجائع ليُزيل الألم ليقوم المهجة وتعود القوى.

وروينا من حديث ثوبان ﷺ مرفوعًا: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة». قيل: يا رسول الله، وما خُرفة الجنة؟ قال: «جَنَاها»[2] أخرجه مسلم. وفيه ذكر فوائد العيادة عاجلًا وآجلًا، وما أطيب وأكثر خرفة الجنة.

وروينا من حديث علي مرفوعًا: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلاَّ صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يُمسي، وإن عاده عشيَّة إلاَّ صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يُصبح وكان له خريف في الجنة»[3] رواه الترمذي وحسَّنه. الخريف: التمر المخزون؛ أي المجتنى، وما أبهج هذا وأعلاه وأعظم اعتناه. وفيه تنبيه علىٰ المباردة إلىٰ العيادة أوَّل النهار وأول الليل، فكلما كانت صلاة الملائكة أكثر كانت أبهج وأكسب.

وروينا من حديث أنس ﷺ قال: " كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «أسلِم»، فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥١٧٤) كتاب النكاح، [٧٢] باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٣، ٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٩، ١٠/ ٣)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٥٦٨)] كتاب الابر والصلة والآداب، [١٣] باب فضل عيادة المريض، والترمذي في سننه (٩٦٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض .، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٧٩، ٢٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٢٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ١١٣) .

قال النووي : " خُرْفَة الجنة " بضم الخاء : قيل يا رسول الله ما خرفة الجنة ؟ قال : «جناها» أي يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها . [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٢) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٩٦٩) كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض،وأبو داود في سننه (٣٠٩٨) كتاب الجنائز،باب في فضل العيادة علىٰ وضوء، وابن ماجه في سننه (١٤٤٢) كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضا، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٥٣)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٨٥) .

من النار»[1] أخرجه البخاري. وفيه أن من له حق خدمة وجوار ونحو ذلك ولو كان ذميًّا فإنه يحل أن يُعاد كالمسلم، وفيه الإشارة علىٰ من يعوده بما هو من مصالحه كتوبة ونحوها.

فصل فيما يدعىٰ به للمريض

روينا من حديث عائشة أن النبي ﷺ " كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قُرحة أو جُرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا». "[2] أخرجاه. وفيه استعمال دواء من ريق ينفخ ويخلل وتراب يُجفِّف.

وروينا من حديث عائشة أيضًا أن النبي ﷺ " كان يعود بعض أهله، يمسح بيده اليُمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب الباس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلاَّ شفاؤك شفاء لا يُغادر سقما». "[3] أخرجاه.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه أنه " قال لثابت: ألا أُرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافي لا شافي إلاَّ أنت شفاء لا يُغادر[4] سَقَمًا "[5] أخرجه البخاري.

وروينا من حديث سعد بن أبي وقَّاص قال: " عادني رسول الله ﷺ فبكى، قال: «ما يُبكيك؟» فقال: قد خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد بن خولة. فقال النبي ﷺ: «اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٥٦) كتاب الجنائز، [٧٩] باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٤٥، ٥٧٤٦) كتاب الطب، [٣٨] باب رقية النبي ﷺ، ومسلم في صحيحه [٥٤. (٢١٩٤)] كتاب السلام، [٢١] باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، والحميدي في مسنده (٢٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠٦، ٩/ ٥١٨)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ١٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٥٠) كتاب الطب، [٤٠] باب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى، ومسلم في صحيحه [٤٦. (٢١٩١)] كتاب السلام، [١٩] باب استحباب رقية المريض، وأبو داود في سننه (٣٨٩٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩٧) .

(٤) وفيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له، وقد جاءت روايات كثيرة صحيحة، والمذكور هنا من أحسنها، ومعنىٰ لا يغادر سقما أي لا يترك، والسقم بضم السين وإسكان القاف وبفتحها لغتان . [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٥١) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٤٢) كتاب الطب، [٣٨] باب رقية النبي ﷺ .

سعدًا». "[١] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عثمان بن أبي العاص أنه " شكى إلىٰ رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك علىٰ الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرَّات: أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأُحاذر». "[٢] أخرجه مسلم.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلاَّ عافاه الله من ذلك المرض»[٣] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه، والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري.

وروينا من حديثه أيضًا أن النبي ﷺ " دخل علىٰ أعرابي يعوده، وكان إذا دخل علىٰ من يعوده قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله». " رواه البخاري[٤].

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " أن جبريل ﷺ أتى النبي ﷺ فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ ـ (١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث، وأبو داود في سننه (٣١٠٤، ٣٤٠١)، وأحمد في مسنده (١/ ١٦٨٩، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٢٩، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٥٥).
قال النووي: فيه استحباب عيادة المريض وأنها مستحبة للإمام كاستحبابها لآحاد الناس، ومعنىٰ أشفيت علىٰ الموت أي قاربته وأشرفت عليه، يقال: أشفى عليه وأشاف، قاله الهروي، وقال ابن قتيبة: لا يقال أشفى إلا في الشر، قال إبراهيم الحربي: الوجع اسم لكل مرض، وفيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أواستفتاء عن حاله ونحو ذلك. [النووي في شرح مسلم (١١/ ٦٤، ٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٧ ـ (٢٢٠٢)] كتاب السلام، [٢٤] باب استحباب وضع يده علىٰ موضع الألم مع الدعاء، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٥)،والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٣٣)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩٧)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٩٨)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١٤٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٠٦) كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، والترمذي في سننه (٢٠٨٣) كتاب الطب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٣٠١، ٣٠٢) باب مجلس الإنسان من المريض عند الدعاء له، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٢، ٤/ ٢١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٢)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١٤٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٥٦) كتاب المرضى والطب، [١٠] باب عيادة الأعراب، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٤٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٢٩).

اشتكيتَ يا محمد؟ قال: «نعم». قال: باسم الله أُرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك "(١) رواه مسلم.

وروينا من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شَهِدا علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله والله أكبر صدَّقه ربه فقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا هو وحده، قال: يقول: لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول: صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال: يقول: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار»(٢) رواه الترمذي وقال: حسن.

فصل في استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

روينا من حديث ابن عباس: " أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئا "(٣) رواه البخاري.

فصل ما يقول من أُويس من حياته

روينا من حديث عائشة قالت: " سمعت رسول الله ﷺ وهو مستند إليَّ يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى». "(٤) أخرجاه. وفيه اهتمام بالمآل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ ـ (٢١٨٦)] كتاب السلام، [١٦] باب الطب والمرض والرقى، والترمذي في سننه (٩٧٢، ٣٥٢٣، ٣٥٢٤)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١/ ٦٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٦٣).

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٤٤٧) كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
وفيه: فأخذ بيده عباس بن عبد الطلب فقال له: " أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفي من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر .... " الحديث.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٤٤٠) كتاب المغازي، [٨٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورقم (٥٦٧٤) كتاب المرضى والطب، [١٩] باب تمني المريض الموت، ومسلم في صحيحه [٨٥ (٢٤٤٤)] كتاب فضائل الصحابة، [١٣] باب في فضل عائشة، والترمذي في سننه (٣٤٩٦)، وابن ماجه في سننه (١٦١٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٣١).

وروينا من حديثها أيضًا قالت: " رأيت رسول الله ﷺ وهو في الموت وعنده قدح فيه ماء وهو يُدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «اللهم أعني علىٰ غمرات الموت» أو: «سكرات الموت» " رواه الترمذي[١]. وفيه اهتمام بالحال لنزول الأوجاع.

فصل في استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر علىٰ ما يشق من أمره

وكذا الوصية عن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما.

روينا من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: " أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ وهي حُبْلى[٢] من الزنا، فقالت: يا رسول الله، أصبت حدًّا فأقمه عليَّ، فدعا نبي الله ﷺ وليَّها فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها»، ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشُكَّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرُجِمت ثم صلى عليها "[٣] أخرجه مسلم.

فصل في جواز قول المريض: أنا وجِع أو شديد الوجع أو مَوْعُوك أو وارأساه ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن علىٰ السخط وإظهار الجذع

روينا عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال[٤]: " دخلت علىٰ النبي ﷺ وهو يُوعك، فمسسته

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٩٧٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، وابن ماجه في سننه (١٦٢٣) كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده (٦/ ٦٤، ٧/ ١٧١) / والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٣، ١٠/ ٢٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ١٤٠).

(٢) مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق والمشهور من مذهب مالك أنها لا ترجم حتىٰ تجد من ترضعه، فإن لم تجد أرضعته حتىٰ تفطمه ثم رجمت، وقال أبو حنيفة ومالك في رواية عنه: إذا وضعت رجمت ولا ينتظر حصول مرضعة. وقوله: " فشكت "، وفي بعضها فشدت بالدال بدل الكاف: وهو معنى الأول، وفي هذا استحباب جمع أثوابها عليها وشدها بحيث لا تنكشف عورتها. [النووي في شرح مسلم (١١/ ١٦٩، ١٧١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (١٦٩٦)] كتاب الحدود، [٥] باب من اعترف علىٰ نفسه بالزنى، وأبو داود في سننه (٤٤٤٠) كتاب الحدود، باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة، والنسائي (٤/ ٦٦. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٣٣٥، ٣٣٧)، والزيلعي في نصب الراية (٣/ ٣٢١) والألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٦٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٦٧) كتاب المرضى والطب، [١٦] باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع، ومسلم في صحيحه [٤٥. (٢٥٧١)] كتاب البر والصلة والآداب، =

فقلت: إنك لتُوعك وعكًا شديدًا، فقال: «فإني أجد كما يُوعك[١] رجلان منكم» " أخرجاه.

وروينا من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: " جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدَّ بي، فقلت: بَلَغَ بي ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلاَّ ابنتي. . . " وذكر الحديث أخرجاه[٢].

وروينا من حديث القاسم بن محمد قال: " قالت عائشة: وارأساه. فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه . . .». " وذكر الحديث. رواه البخاري[٣]

فصل في تلقين المحتضر لا إله إلاَّ الله

روينا من حديث معاذ مرفوعًا: «من كان آخر كلامه لا إله إلاَّ الله دخل الجنة»[٤] رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «لقِّنوا موتاكم لا إله إلاَّ الله»[٥] أخرجه مسلم. أي من قارب الموت، وما أعظمه من ترغيب وأجزله من ثواب، وإنما يُلقَّن بها إذا تكلَّم من غيرها.

= باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤١، ٤٤٥)، والدارمي في سننه (٢/ ٣١٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٠١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٢٩).

(١) الوعك: بإسكان العين، قيل: هي الحمى، وقيل ألمها ومغثها، وقد وعك الرجل يوعك فهو موعوك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٦٨) كتاب المرضى والطب، [١٦] باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع، ومسلم في صحيحه [٥.(١٦٢٨)] كتاب الوصية، [١] باب الوصية بالثلث.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٦٦٦) كتاب المرضى والطب، [١٦] باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٨٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٧١).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣١١٦)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥١، ٥٠٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١ - (٩١٦)] كتاب الجنائز، [١] باب تلقين الموتي لا إله إلا الله، وأبو داود في سننه (٣١١٧)، والترمذي في سننه (٩٧٦)، والنسائي (٤/ ٥. المجتبى، وابن ماجه (١٤٤٦)، وابن حبان في صحيحه (٧١٩. الموارد)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٣٧)، والشجري في أماليه (١/ ١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١١، ١٠/ ٢٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦١٦، ١٦٢٦).

فصل فيما يقوله بعد تغميض الموت

وروينا من حديث أم سلمة قالت: " دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وقد شقَّ بصره، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصر»، فضجَّ ناس من أهله فقال: «لا تدعوا علىٰ أنفسكم إلاَّ بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون علىٰ ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقِبِه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه» "(١).

فصل فيما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

روينا من حديث أم سلمة مرفوعًا: «إذا حضر المريض أو الميت فقولوا خيرا؛ فإن الملائكة يؤمنون علىٰ ما تقولون» قالت: " فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات، قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقبني منه عُقبى حسنة». قالت: فقلت، فأعقبني الله من هو خير لي منه؛ محمدا ﷺ "(٢). رواه مسلم كذلك. ورواه أبو داود وغيره: الميت من غير شك.

وروينا عنها أيضًا مرفوعًا: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أجره في مصيبته وأخلف له خيرًا منها». قالت: " فلما تُوفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ "(٣) رواه مسلم.

وروينا من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالىٰ للملائكة: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسمُّوه بيت الحمد»(٤) رواه الترمذي وحسَّنه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ ـ (٩٢٠)] كتاب الجنائز، [٤] باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، وأبو داود في سننه (٣١١٨)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦. (٩١٩)] كتاب الجنائز، [٣] باب ما يقال عند المريض والميت، وأبو داود (٣٤١٢)، والترمذي (٩٧٧)، وابن ماجه (١٤٤٧)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٩١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤. (٩١٨)] كتاب الجنائز، [٢] باب ما يقال عند المصيبة، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٠٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٣/ ١٨٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٢١) كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، والمنذري في =

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله تعالىٰ: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاَّ الجنة»(١) رواه البخاري. والاحتساب يستلزم الكفَّ عن كلمات السخط والتكلم بما يرضي الرب تعالىٰ.

وروينا من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: " أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبيا لها أو ابنا لها في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب» " وذكر تمام الحديث أخرجاه(٢).

فصل في جواز البكاء علىٰ الميت من غير ندب ولا نياحة

والنياحة حرام كما سيأتي في النهي إن شاء الله تعالىٰ والبكاء جائز بدونهما، والأحاديث الواردة بالنهي عنه، وأن الميت يُعذَّب ببكاء أهله، أوَّلَهُ علىٰ من أوصى به وعلى الذي فيه ندب ونياحة.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ " عاد سعد بن عُبادة(٣) ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في عاشية أهله فقال: «قد قضي؟» قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعذِّب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذِّب بهذا. وأشار إلىٰ لسانه» "(٤).

= الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣٧) وابن حبان في صحيحه (٧٢٦ ـ الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٣٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٧)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٢٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٢٤) كتاب الرقاق، [٦] باب العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالىٰ، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٨٤) كتاب الجنائز، [٣٢] باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته»، وانظر رقم (٥٦٥٥) في المرضى والطب، باب عيادة الصبيان، ومسلم في صحيحه [١١. (٩٢٣)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٢٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٦٧٠).

(٣) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، أبو ثابت، ويقال: أبو قيس، أبو الخباب الساعدي الأنصاري، سيد الخزرج المدني، أحد النقباء، صحابي مشهور، أخرج له أصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٥، ١٤، ١١).

ترجمته: تهذيب (٣/ ٤٧٦)، تقريب التهذيب (١/ ٢٨٨)، التاريخ الكبير (٤/ ٤٤)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٨٢)، أسد الغابة (٢/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٠٤) كتاب الجنائز، [٤٤] باب البكاء عند المريض، ومسلم في =

وروينا فيهما من حديث أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ رُفع إليه ابن بنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «هذه رحمة جعلها الله تعالىٰ في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[١].

وروينا من حديث أنس أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﵁: وأنت يا رسول الله؟! فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاَّ ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٢] أخرجه البخاري، ولمسلم بعضه. والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في الصحيح.

فصل في الكفِّ عما يرى في الميت من مكروه

روينا من حديث أبي رافع أسلم[٣] مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من غسَّل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة»[٤] رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

= صحيحه [١٢. (٩٢٤)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٢٤)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٩٢)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (١٣٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٨٤) كتاب الجنائز [٣٢] باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته»، ومسلم في صحيحه [١١ ـ (٩٢٣)] كتاب الجنائز، [٦] باب البكاء علىٰ الميت، وأحمد في مسنده (١/ ٢٦٨، ٥/ ٢٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٥)،وعبد الرزاق في مصنفه (٦٦٧٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٠٣) كتاب الجنائز، [٤٣] باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٢٢).

(٣) أسلم أبو رافع مولى النبي ﷺ، قال ابن أبي حاتم: كان قبطيا مدنيا، روى عنه ابناه الحسن وعبيد الله، وعطاء بن يسار، سمعت أبي يقول ذلك. وقال أبو زرعة عن أبي رافع مولىٰ النبي ﷺ: كان قبطيا اسمه أسلم، لكن يحيى بن معين قال: اسمه إبراهيم، وقال: قال لي ذلك ابنه معمر، يعني معمر بن محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع.
ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٢٦٧)، تقريب التهذيب (١/ ٦٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٠٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٥٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٩٤).

فصل في الصلاة عليه وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

قد سبق فصل التشييع.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من شهد الجنازة حتىٰ يُصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتىٰ تُدفن فله قيراطان»، قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»(١) أخرجاه.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا: «من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معه حتىٰ يصلى عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط»(٢) رواه البخاري.

وروينا من حديث أم عطية قالت: " نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا "(٣) أخرجاه. ومعناه: لم يشدد في النهي كما يشدد في سائر المحرَّمات.

فصل في استحباب تكثير المصلين علىٰ الجنازة وجعلهم صفوفهم ثلاثة فأكثر

وروينا في صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعًا: «ما من ميت يُصلُّون عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلاَّ شفعوا فيه»(٤).

وروينا فيه أيضًا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٢٥) كتاب الجنائز، [باب من انتظر حتىٰ تدفن، ومسلم في صحيحه [٥٢. (٩٤٥)] كتاب الجنائز، [١٧] باب فضل الصلاة علىٰ الجنازة واتباعها وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠١) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٢٣) كتاب الجنائز، [٥٧] باب فضل اتباع الجنائز، والنسائي (٨/ ١٢١. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٣٤١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٧٨) كتاب الجنائز، [٢٩] باب اتباع النساء الجنائز، ومسلم في صحيحه [٣٤. (٩٣٨)] كتاب الجنائز، [١١] باب نهي النساء عن اتباع الجنائز، وابن ماجه في سننه (١٥٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٧٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٨. (٩٤٧)] كتاب الجنائز، [١٨] باب من صلىٰ عليه مائة شفعوا فيه، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٦٦، ٦/ ٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٠٦، ٣/ ٤٥٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٦١).

علىٰ جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئًا إلاَّ شفَّعهم الله فيه»[(١)].

وروينا من حديث مرثد بن عبد الله اليزني قال: "كان مالك بن هبيرة إذا صلَّى علىٰ الجنازة فتقالَّ الناس عليهم جزأهم ثلاثة أجزاء ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب» "[(٢)] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

فصل فيما يفعل في صلاة الجنازة

يكبر أربعا؛ ثم يقرأ الفاتحة في الأولى، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ في الثانية ولا يفعل كما يفعله كثير من العوام قراءتهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية؛ فإنه لا تصح صلاته إذا اقتصر عليه، ويدعوا للميت وللمسلمين في الثالثة، ويدعوا في الرابعة ومن أحسنه: «اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله»[(٣)]. والمختار أن يُطوِّل في الدعاء في الرابعة خلاف ما يعتاده أكثر الناس. وفيه حديث ابن أبي أوفى صححه الحاكم، ومما صح في الدعاء في الثالثة: حديث عوف بن مالك في صحيح مسلم، وحديث أبي هريرة وأبي قتادة، قال الحاكم: حديث أبي هريرة صحيح علىٰ شرط الشيخين. قال الترمذي عن البخاري: أصح روايات هذا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٩. (٩٤٨)] كتاب الجنائز، [١٩] باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٤٣)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٥٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٦٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٦٦) كتاب الجنائز، باب الصفوف علىٰ الجنازة، والترمذي في سننه (١٠٢٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة علىٰ الجنازة والشفاعة للميت، وابن ماجه في سننه (١٤٩٠) كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعة من المسلمين، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٨٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٧١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٦٠)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٠٣).

قال البخاري تعليقا في الجنائز [٥٦] باب سنة الصلاة علىٰ الجنائز، وقال: «صلوا علىٰ صاحبكم» وقال: «صلوا علىٰ النجاشي» سماها صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود، ولا يتكلم فيها، وفيها تكبير وتسليم، وكان ابن عمرو لا يصلي إلا طاهرا، ولا يصلي عند طلوع الشمس ولا غروبها، ويرفع يديه، وقال الحسن: أدركت الناس وأحقهم علىٰ جنائزهم من رضوهم لفرائضهم، وإذا أحدث يوم العيد أو عند الجنازة يطلب الماء ولا يتيمم، وإذا انتهى إلى الجنازة وهم يصلون يدخل معهم بتكبيرة، وقال ابن المسيب: يكبر بالليل والنهار والسفر والحضر أربعا، وروى البخاري في صحيحه (١٣٣٥) كتاب الجنائز [٦٥] باب قراءة فاتحة الكتاب علىٰ الجنازة: عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما علىٰ جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب، قال: ليعلموا أنها سنة.

الحديث رواية الأشهلي، قال البخاري: وأصح شيء في الباب حديث عوف بن مالك وحديث واثلة وأبي هريرة أيضًا في سنن أبي داود، والكل موضَّح في كتب الفروع.
وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا صليتم علىٰ الميت فأخلصوا له الدعاء»(١).

فصل في الإسراع بالجنازة

روينا من حديث أبي هريرة مرفوع: «أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن تك سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم»(٢) أخرجاه، ولمسلم: «يقدمونها عليه».

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري قال: " كان النبي ﷺ يقول: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال علىٰ أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلاَّ الإنسان، ولو سمع الإنسان لصُعِق» "(٣) أخرجه البخاري.

فصل في تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلىٰ تجهيزه إلاَّ أن يموت فجأة فيُترك حتىٰ يُتيقن من موته

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «نفس المؤمن مُعلَّقة بدينه حتىٰ يُقضى عنه»(٤) رواه الترمذي وحسَّنه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٩٩) كتاب الجنائز باب الدعاء للميت، وابن ماجه في سننه (١٤٩٧) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة علىٰ الجنائز، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٧٤)، وابن حجر تلخيص الحبير (٢/ ١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣١٥) كتاب الجنائز، [٥١] باب السرعة بالجنازة، ومسلم في صحيحه [٥١ـ (٩٤٤)] كتاب الجنائز، [١٦] باب الإسراع بالجنازة، وأبو داود في سننه (٣١٨١)، والترمذي (١٠١٥)، والنسائي (٤/ ٤٢ ـ المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٤٧٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٤٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٠٢)، وابن أبي شيبةفي مصنف(٣/ ٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣١٦) كتاب الجنائز، [٥٢] باب قول الميت وهو علىٰ الجنازة: قدموني، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٤٧)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٣٢٥).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٧٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء عن النبي ﷺأنه قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتىٰ يقضى عنه»، وابن ماجه (٢٤١٣) كتاب الصدقات، باب التشديد في =

وروينا من حديث حصين بن وحوح[١] أن طلحة بن البراء مرض، فآتاه رسول الله ﷺ يعوده فقال: «إني لا أرى طلحة إلاَّ قد حدث فيه الموت، فآذنوني به وعجِّلوا؛ فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تُحبس بين ظهراني أهله»[٢] رواه أبو داود.

فصل في الوعظ علىٰ القبر

روينا من حديث علي ﷺقال: كنَّا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «ما منكم من أحد إلاَّ وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتَّكل؟ فقال: «اعملوا، فكلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له»[٣] وذكر تمام الحديث، أخرجاه.

فصل في الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة

روينا من حديث عثمان بن عفان قال: " كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» "[٤] أخرجاه.

= الدين، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٤٩، ٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦، ٢٧)، والطبراني في الصغير (٢/ ١٣٣) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٠٦).

(١) حصين ابن وحوح الأنصاري الأوسي المدني الأشهلي، صحابي له حديث، استشهد بالقادسية، أخرج له أبو داود،
ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٣٩٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٨٤)، التاريخ الكبيرللبخاري (٣/ ٥)، الجرح والتعديل (٣/ ٨٥١)، أسد الغابة (٢/ ٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣١٥٩) كتاب الجنائز، باب التعجيل بالجنازة وكراهية حبسها، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٤٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٦٢) كتاب الجنائز، [٨٢] باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله،ورقم (٤٩٤٥) كتاب تفسير القرآن، [٣] باب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥] (٤٩٤٦)، [٥] باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٧] وانظر أرقام (٤٩٤٧، ٤٩٤٨، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٧٥٢) ومسلم في صحيحه [٦، ٧ ـ (٢٦٤٧)] كتاب القدر، [١] باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه و أجله وعمله وشقاوته وسعادته، والترمذي (٢١٣٦، ٣٣٤٤)، وابن ماجه (٧٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٤٢، ١٥٣، ٣٧٥)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه(١٣٢٩) كتاب الجنائز، باب الصلاة علىٰ الجنائز بالمصلى، ومسلم [٦٣ ـ (٩٥١)] كتاب الجنائز، [٢٢] باب في التكبير علىٰ الجنائز، وبلفظه في أبي داود في سننه (٣٢٢١) كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، والنسائي (٤/ ٢٧، ٩٤ ـ المجتبى)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٥).

وروينا عن عمرو بن العاص قال: " إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما يُنحر جزور ويقسَّم لحمها، حتىٰ أستأنس بكم وأنظر ماذا أُراجع به رُسل ربي " أخرجه مسلم[١]. قال الشافعي: ويستحب أن يُقرأ عنده شيء من القرآن، فإن ختموا القرآن كله كان حسنا.

فصل في الصدقة علىٰ الميت والدعاء له

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ ﴾ [الحشر: ١٠] [٢] الآية.

وروينا من حديث عائشة أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: إن أمي افتُلِتَت نفسها وأُراها لو تكلَّمت تصدَّقت، فهل لها أجر إن تصدَّقتُ عنها؟ قال: «نعم»[٣] أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ صدقة جارية . . .»[٤] الحديث، أخرجه مسلم. ويدخل فيه ما وقفه أجنبي عليه أيضا.

فصل في ثناء الناس علىٰ الميت

روينا من حديث أنس قال: " مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا، فقال: «وجبت». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض» "[٥] أخرجاه. وللبخاري من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٢ ـ (١٢١)] كتاب الإيمان، [٥٤] باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٤)، والقرطبي في تفسيره (٧/ ٤٠٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٣٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٩٨).

(٢) سورة الحشر (١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٧٦٠) كتاب الوصايا، [١٩] باب ما يستحب لمن توفى فجأة أن يتصدقوا عنه، وقضاء النذورعن الميت، ومسلم في صحيحه [٥١ ـ (١٠٠٤)] كتاب الزكاة [١٥] باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، وأبو داود في سننه (٢٨٨٢) كتاب الوصايا، باب ما جاء فيمن مات من غير وصية يتصدق عنه، والترمذي (٦٦٩)كتاب الزكاة، باب ماجاء في الصدقة عن الميت.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤ ـ (١٦٣١)] كتاب الوصية، [١٣] باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، وأبو داود (٢٨٨٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٧٢)، والترمذي في سننه (١٣٧٦)، والنسائي (٦/ ٢٥١ ـ المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١١٤، ٥/ ٢٨٨)، والشجري في أماليه (١/ ٦٩، ٧٠) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٦٧) كتاب الجنائز،[٨٥] باب ثناء الناس علىٰ الميت، ومسلم =

حديث عمر: " «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة» قلنا: وثلاثة؟ قال: «وثلاثة» قلنا: واثنان؟ قال: «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد "[(١)].

فصل في فضل من مات له أولاد صغار

روينا من حديث أنس مرفوعًا: «ما من مسلم يموت له ثلاثة ثم لم يبلغوا الحنث إلاَّ أدخله الله الجنة بفضل رحمته إيَّاهم» أخرجاه[(٢)]. ولهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لا تمسَّه النار إلاَّ تحلَّة القسم؛ أي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ »[(٣)] والورود هو العبور علىٰ الصراط وهو جسر منصوب علىٰ ظهر جهنم، عافانا الله منها. ولهما من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «ما منكن من امرأة تقدِّم ثلاثة من الولد إلاَّ كانوا لها حجابا من النار»، فقالت امرأة: واثنين واثنين واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «واثنين واثنين واثنين»[(٤)].

فصل في البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ والتحذير من الغفلة عن ذلك

روينا من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال لأصحابه. يعني لما وصلوا الحجر ديار ثمود: «لا تدخلوا علىٰ هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين حَذَرًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[(٥)]

= في صحيحه [٦٠. (٩٤٩)] كتاب الجنائز، [٢٠] باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٦٨) كتاب الجنائز، [٨٥] باب ثناء الناس علىٰ الميت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٤٨) كتاب الجنائز، [٦] باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم في صحيحه [١٥٠ ـ (٢٦٣٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٧] باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، وابن ماجه (١٦٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٧٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٥١) كتاب الجنائز، [٦] باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ومسلم في صحيحه [١٥٠ ـ (٢٦٣٢)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٧] باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، والترمذي في سننه (١٠٦٠)، والنسائي (٤/ ٢٥ ـ المجتبى)، وابن ماجه (١٦٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٧، ٧/ ٧٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٧٥)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٤٩) كتاب الجنائز، [٦] باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، ومسلم في صحيحه [١٥٢.(٢٦٣٣)] كتاب البر والصلة والآداب، [٤٧] باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٨١) كتاب أحاديث الأنبياء، [١٨] باب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾، ومسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٩٨٠)] كتاب الزهد، [١] باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاأن تكونوا باكين.

أخرجاه. وفي رواية[1]: لما مرَّ بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتىٰ أجاز الوادي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٤١٩) كتاب المغازي، [٨٢] باب نزول النبي ﷺ الحجر، والبخاري في صحيحه أيضًا (٣٣٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء،[١٨] باب ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعرَاف: ٧٣] ، ومسلم في صحيحه [٣٩. (٢٩٨٠)] كتاب الزهد والرقائق، [١] باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاأن تكونوا باكين .

مجلس في آداب السفر فصل في استحباب الخروج يوم الخميس واستحبابه أول النهار

روينا من حديث كعب بن مالك ﵁: " أن النبي ﷺ خرج في غزوة تبوك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس "[1] أخرجاه. وفي رواية لهما: " لقلَّما كان رسول الله ﷺ يخرج إلا يوم الخميس "[2].

وروينا من حديث صخر بن وادعة الغامدي ﵁ " أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» وكان صخر تاجرًا فكان يبعث تجارته أول النهار، فأثرى وكثُر ماله "[3] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

فصل في استحباب طلب الرفقة وتأمرهُم علىٰ أنفسهم أحدا يطيعونه

روينا من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا: «لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده»[4] أخرجه البخاري.

وروينا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب». رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة[5] وحسَّنه الترمذي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٥٠) كتاب الجهاد والسير، [١٠٣] باب من أراد غزوة فورى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس، ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة، [٩] باب حديث توبة كعب ابن مالك وصاحبيه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٤٩) كتاب الجهاد والسير، [١٠٣] باب من أراد غزوة فورى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠٦) كتاب الجهاد، باب الابتكار في السفر، والترمذي في سننه (١٢١٢) كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة، وابن ماجه (٢٢٣٦) كتاب التجارات، باب ما يرجى منه البركة في البكور، وأحمد في مسنده (٣/ ٤١٦، ٤١٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٩٨) كتاب الجهاد والسير، [١٣٥] باب السير وحده، والترمذي في سننه (١٦٧٣) كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠٧) كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده، والترمذي في سننه (١٦٧٤) كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده، والنسائي في الكبرى، السير، باب النهي عن سير الراكب وحده، وأحمد في مسنده (٢/ ١٨٦، ٢١٤)، =

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يُغلب اثنا عشر ألفا من قلَّة»[١] رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

فصل في آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السرى والرفق في الدواب، ومراعاة مصلحتها وأمر من قصَّر في حقها، وجواز الإرداف علىٰ الدابة إذا كانت تطيق ذلك

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظَّها من الأرض، وإذا سافرتم في السَّنة فبادروا بها نقيها، وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل»[٢] أخرجه مسلم. ومعنىٰ «أعطوا الدواب حظَّها من الأرض»: ارفقوا بها في السير لترعى في حال سيرها، والنِّقى: المخ، أي أسرعوا حتىٰ تصلوا المقصد قبل أن تذهب من ضنك السير، والتعريس: النزول في الليل[٣].

وروينا من حديث أبي قتادة ﵁ قال: " كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فعرَّس بليل اضطجع عن يمينه، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه علىٰ كفه "[٤] أخرجه مسلم. وإنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم فتفوت صلاة الصبح عن

= والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦١١) كتاب الجهاد، باب فيما يستحب من الجيوش والرفقاء والسرايا، والترمذي في سننه (١/ ٥٥٥) كتاب السير، باب ما جاء في السرايا، وأحمد في مسنده (١/ ٢٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٣، ٢/ ١٠١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٨. (١٩٢٦)] كتاب الإمارة، [٥٤] باب مراعاة مصلحة الدواب في السير والنهي عن التعريس في الطريق، وأبو داود في سننه (٢٥٦٩)، والترمذي في سننه (٢٨٥٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٥٠).

(٣) معنى الحديث الحث علىٰ الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، فإن سافروا في الخصب قللوا لسير وتركوها ترعى في بعض النهار، وفي اثناء السير فتأخذ حظها من الأرض بما ترعاه منها، وإن سافروا في القحط عجلوا السير ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها، ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر؛ لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهب نقيها، وربما كلت ووقفت. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٥٩، ٦٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١٣. (٦٨٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٥٥] باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.

وقتها أو عن أول وقتها.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «عليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل»[(١)] رواه أبو داود بإسناد حسن. والدُّلجة: السير في الليل.

وروينا من حديث ثعلبة الخشني قال: " كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرَّقوا في الشعاب والأودية فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزل بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلىٰ بعض "[(٢)] رواه أبو داود بإسناد حسن.

وروينا من حديث سهل بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظلية. وهو من أهل بيعة الرضوان. قال: " مرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في حق هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» "[(٣)] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديث أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: " أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم وأسر إليَّ حديثًا إلاَّ أُحدِّث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ هدف أو حائش نخل "[(٤)] رواه مسلم هكذا مختصرا. وزاد فيه البرقاني بإسناد مسلم هذا بعد قوله: " حائش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح سِراته. أي سِنامه. وذفرته، فسكن فقال: «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. قال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إيَّاها؟ فإنه يشكو إليَّ أنك تجيعه وتُدئبُهُ» "[(٥)] أخرجه أبو داود كذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٧١)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٥)، وابن حبان في صحيحه (١٦٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨١)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٣٤٢)] كتاب الحيض، [٢٠] باب ما يستتر به لقضاء الحاجة، وابن ماجه في سننه (٣٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٩٤)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٨١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٥٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤٩) كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام علىٰ الدواب والبهائم، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٠٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٠٦).

وروينا من حديث أنس قال: " كنا إذا نزلنا منزلا لا نُسبِّح حتىٰ نحُلَّ الرحال "(١) رواه أبو داود بإسناد علىٰ شرط مسلم. معنى لا نُسبِّح: أي إنَّا مع حرصنا علىٰ الصلاة لا نُقدمها علىٰ حطِّ الرحال وراحة الدواب.

فصل في إعانة الرفيق

سلف منه حديث: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٢)

وحديث: «كل معروف صدقة»(٣) وشبههما.

وروينا من حديث أبي سعيد الخدري قال: " بينما نحن في سفر إذ جاء رجل علىٰ راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به علىٰ من لا زاد له»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل "(٤) أخرجه مسلم.

وروينا من حديث جابر عنه ﷺ: " أنه أراد أن يغزوا فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، إن من إخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة كعقبة». يعني أحدهم. فضممت إليَّ اثنين أو ثلاثة، قال: ما لي إلا عقبة كعُقبة أحدهم من جملي "(٥) رواه أبو داود. وعنه قال: " كان رسول الله ﷺ يتخلَّف في المسير فيُزْجي الضعيف ويُرْدف ويدعوا لهم "(٦) رواه أبو داود بإسناد حسن.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٥١) كتاب الجهاد، باب في نزول المنازل.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٤٢٥) كتاب الحدود، باب ما جاء في الستر علىٰ المسلم، وأبو داود في سننه (٤٩٩٠) كتاب الأدب، باب في المعونة للمسلم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٨/ ١٣)،ومسلم في الزكاة (٥٢)، وأبو داود في سننه (٤٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠٧، ٥/ ٣٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨، ١٠/ ٢٤٢)، والحاكم في المستدرك(٢/ ٥٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ ـ (١٧٢٨)] كتاب اللقطة، [٤] باب استحباب المواساة بفضول الماء، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٩٨).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٣٤) كتاب الجهاد، باب الرجل يتحمل بمال غيره ليغزو، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٠، ٤/ ٥٤١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٥٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٠٩).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٣٩) كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٥).

فصل فيما يقوله إذا ركب دابة للسفر

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١) الآية.

وروينا من حديث ابن عمر أنه ﷺ " كان إذا استوى علىٰ بعيره خارجا إلىٰ سفر كبَّر ثلاثا ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا واطو عنَّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل» وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». "(٢)

يعني مقرنين: مطيعين، والوَعثاء بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالمثلَّثة وبالمد وهي الشِّدَّة. والكآبة بالمد وهي تغير النفس من حُزن ونحوه. والمنقلَب: المرجع.

وروينا من حديث عبد الله بن سرجس قال: " كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوَّذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحَورِ بعد الكَون(٣) ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال "(٤) رواه مسلم. هكذا بالنون، وكذا رواه الترمذي والنسائي. وروى بالراء كما ذكره الترمذي، ومعناهما جميعا الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلىٰ النقص، فالنون من الكون مصدر "كان يكون كونا" إذا وُجدَ واستقر، والراء من تكوير العمامة وهو كفها وجمعها.

وروينا من حديث علي بن ربيعة قال: " شهدت عليًا أُتِيَ بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى علىٰ ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون، ثم قال:

---

(١) سورة الزخرف (١٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢٠. (١٣٤٢)] كتاب الحج، [٧٥] باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، وأبو داود في سننه (٢٥٩٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٨، ٤٣١).

(٣) قال القاضي : قال إبراهيم الحربي : يقال إن عاصما . يقصد الأحول من رواة الحديث . وهم فيه، وأن صوابه الكور، بالراء . قلت : وليس كما قال الحربي، بل كلاهما روايتان، وممن ذكر الروايتين جميعا الترمذي في جامعه، وخلائف من المحدثين، وذكرهما أبو عبيد وخلائق من أهل اللغة وغريب الحديث . [النووي في شرح مسلم (٩/ ٩٤) طبعة دار الكتب العلمية] .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢٦ ـ (١٣٤٣)] كتاب الحج، [٧٥] باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، والنسائي (٨/ ٢٧٣. المجتبى) .

الحمد لله ثلاث مرَّات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، ثم ضحك فقيل: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال: «إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري» "[1] رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وحسَّنه، وفي بعض النسخ تصحيحه.

فصل في تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه

روينا من حديث جابر قال: " كنا إذا صعدنا كبَّرنا، وإذا تصوَّبنا سبَّحنا "[2] رواه البخاري.

وروينا من حديث ابن عمر قال: " كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبَّروا وإذا هبطوا سبَّحوا "[3] رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وروينا من حديثه أيضًا قال: " كان النبي ﷺ إذا قفل من الحج أو العمرة كلما أوفى علىٰ ثنيَّة أو فدْفد كبَّر ثلاثا ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» " أخرجاه. ولفظ مسلم: " إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة "[4] معنى أوفى:

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠٢) كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي في سننه (٣٤٤٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٤٣).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٩٤) كتاب الجهاد والسير، [١٣٣] باب التكبير إذا علا شرفا، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٦٢)، والدارمي في سننه (٢/٢٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٥٣).

(3) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٩٩) كتاب الجهاد ما يقول الرجل إذا سافر، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٢٤٥)،والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٣٢).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٩٥) كتاب الجهاد والسير، [١٣٣] باب التكبير إذا علا شرفا، ومسلم في صحيحه [٤٢٨. (١٣٤٤)] كتاب الحج، [٧٦] باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره.
قال النووي : قوله ﷺ: «صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»، أي صدق وعده في إظهار الدين وكون العاقبة للمتقين وغير ذلك من وعده سبحانه، إن الله لا يخلف الميعاد، «وهزم الأحزاب وحده» أي من غير قتال الآدميين، والمراد الأحزاب الذين اجتمعوا يوم الخندق وتحزبوا =

ارتفع، والفدفد: المرتفع من الأرض.

وروينا من حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إني أريد أن أُسافر فأوصني. قال: «عليك بتقوى الله والتكبير علىٰ كل شرف»، فلما ولّى الرجل قال: «اللهم اطوِ له البعد، وهوّن عليه السفر»(١) رواه الترمذي وحسنه.

وروينا من حديث أبي موسى الأشعري قال: " كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا علىٰ واد هللنا وكبَّرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، اربَعوا علىٰ أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب»(٢) أخرجاه. واربعوا بفتح الباء الموحدة: ارفقوا بأنفسكم.

فصل في استحباب الدعاء في السفر

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد علىٰ ولده»(٣) رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وليس في أبي داود «على ولده».

فصل فيما يدعو به إذا خاف ناساً وغيرهم

روينا من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»(٤) رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

فصل فيما يقوله إذا ترك منزلاً

روينا من حديث خولة بنت حكيم مرفوعًا: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك»(٥) أخرجه مسلم.

= علىٰ رسول الله ﷺ، فأرسل الله عليهم ريحا وجنودًا لم تروها . [النووي في شرح مسلم (٩/ ٩٥) طبعة دار الكتب العلمية] .

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٤٥) كتاب الدعوات، باب منه [٤٥] ما يقول إذا ودع إنسانا .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٩٢) كتاب الجهاد والسير، [١٣١] باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ومسلم في صحيحه [٤٤ ـ (٢٧٠٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٣٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، والترمذي في سننه (١٩٠٥) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعوة الوالدين .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٣٧) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قوما، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٤١) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٤ ـ (٢٧٠٨)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، والترمذي في سننه (٣٤٣٧)،وأحمد في مسنده (٦/ ٣٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٣) .

وروينا من حديث عمر قال: " كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد» "(١) رواه أبو داود. الأسود: الشخص، وساكن البلد: الجن الذين هم سكان الأرض، والبلد من الأرض ما كان مأوى الحيوان، وإن لم يكن فيه بناء ومنازل، ويحتمل كما قال الخطابي أن المراد بالوالد إبليس، وما ولد الشيطان.

فصل في استحباب تعجيل المسافر والرجوع إلىٰ أهله إذا قضى حاجته

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «السفر قطعة من العذاب؛ يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلىٰ أهله»(٢). نهمته: مقصوده.

فصل في استحباب القدوم علىٰ أهله نهاراً وكراهته ليلاً لغير حاجة

روينا من حديث جابر مرفوعاً: «إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً» وفي لفظة أنه ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلًا(٣) أخرجاه.

وروينا عن أنس قال: " كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية "(٤) أخرجاه أيضاً.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٠٣) كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، والحاكم في (١/ ٤٤٧، ٢/ ١٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٠٠١) كتاب الجهاد والسير، [١٣٦] باب السرعة في السير، ومسلم في صحيحه [١٧٩ ـ (١٩٢٧)] كتاب الإمارة، [٥٥] باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٠١) كتاب العمرة [١٦] باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة، ومسلم في صحيحه [١٨٣ ـ (١٩٢٨)] كتاب الإمارة [٥٦] باب كراهية الطروق. وهو الدخول. ليلا لمن ورد من سفر، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٥، ٣/ ٣٠٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٠٠) كتاب العمرة، باب الدخول بالعشي، ومسلم في صحيحه [١٨٠. (١٩٢٨)] كتاب الإمارة [٥٦] باب كراهية الطروق. وهو الدخول. ليلا لمن ورد من سفر، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٥، ٢٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٠/ ٢٦٠).

فصل فيما يقوله إذا رجع وإذا رأى بلدته

فيه حديث ابن عمر السالف في تكبير المسافر إذا صعد الثنايا[١].

وروينا من حديث أنس ﷺ قال: " أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتىٰ إذا كنا بظهر المدينة قال: «آيبون[٢] تائبون عابدون لربنا حامدون» فلم يزل يفعل ذلك حتىٰ قدمنا المدينة "[٣] أخرجه مسلم.

فصل في استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

روينا من حديث كعب بن مالك: " أن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين "[٤] أخرجاه. .

فصل في تحريم سفر المرأة وحدها

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها»[٥] أخرجاه.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لا يخلونِ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجّة، وإني أُكتِتِبتُ في غزوة كذا وكذا قال: «انطلق فحج مع امرأتك» أخرجاه[٦].

---

(١) تقدم تخريجه قريبا .

(٢) آيبون : أي راجعون .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢٩ ـ (١٣٤٥)] كتاب الحج، [٧٦] باب ما يقول إذا قفل من سفر،حج وغيره

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٠٨٨) كتاب الجهاد والسير، [١٩٨] باب الصلاة إذا قدم من سفر، ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (٢٧٦٩)] كتاب التوبة [٩] باب حديث توبة كعب ابن مالك وصاحبيه .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(١٠٨٨) كتاب تقصير الصلاة، [٤] باب في كم يقصر الصلاة، ومسلم في صحيحه [٤١٩ ـ (١٣٣٩)] كتاب الحج، [٧٤] باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٣٣) كتاب النكاح، ١١٢ ـ باب لا يخلون رجل بامرأة إلاُ ذو محرم، والدخول علي المغيبة.
ومسلم في صحيحه [٤٢٤.(١٣٤١)] كتاب الحج، ٧٤ ـ باب سفر المرأة مع محرم إلىٰ حج وغيره.

مجلس في فضل قراءة القرآن

روينا من حديث أبي أمامة مرفوعًا : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[1] أخرجه مسلم .

وفيه إظهار العناية بحامله وتكريمه بنصبه شافعًا له بعد تحقق خوفه .

وروينا من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تَقدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما »[2] .

أخرجه مسلم.

وفيه إكرامه بذلك.

وروينا من حديث عثمان مرفوعًا : «خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[3]. أخرجه البخاري، وما أشرفه من منقبة، بها وراثة النبوة.

وروينا من حديث عائشة مرفوعًا : «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[4] أخرجاه.

= وأبو داود (١٧٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٢٧، ٨/ ٣٠) والزبيدي في الإتحاف (٧،٤٢٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٢٩).
وابن أبي شيبه في مصنفه (٤/٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٢ ـ (٨٠٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٢. باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٩، ٥/ ٢٥٥، ٢٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٦٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٣ ـ (٨٠٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٢ . باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. وأحمد في مسنده (٤/ ١٨٣)، والترمذي في سننه (٢٨٨٣) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن، ٢١. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، وابن ماجه (٢١١)، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨، ٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة عبس، ومسلم في صحيحه =

وروينا من حديث أبي موسىٰ مرفوعًا : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيِّب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ»[(١)] أخرجاه.

وفيه تحمل القارئ بروائح عطرة، وإن كان منافقاً.

وروينا من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»[(٢)] رواه مسلم.

فيبلغ به المولى والمملوك منازل الملوك.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعاً: «لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[(٣)] أخرجاه.

الآناء: الساعات.

وحق لمن نال من النفائس الغالية ما يحق لمثله أن يحسد ويغبط بمثله.

وروينا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها فلما

= [٢٤٤. (٧٩٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٨. باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، والترمذي في سننه (٢٩٠٤) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٢٧) كتب الأطعمة، ٣١. باب ذكر الطعام، ومسلم في صحيحه [٢٤٣ . (٧٩٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٧. باب فضيلة حافظ القرآن، وأبو داود في سننه (٤٨٢٩) كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي (٢٨٦٥) كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ، والنسائي (٨/ ١٢٥. المجتبى)، وابن ماجه (٢١٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٩. (٨١٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧ . باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، وابن ماجه (٢١٨)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١١٥) والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٢٩) كتاب التوحيد، ٤٥ . باب قول النبي ﷺ رد رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ومسلم في صحيحه [٢٦٦ . (٨١٥)] كتب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٧ . باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها.

أصبح آتي النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال «تلك السكينة، تنزلت للقرآن»[(١)].

والشَطن: بفتح الشين المعجمة، والطاء المهملة: الحبل.

وروينا من حديث أبي موسىٰ مرفوعاً: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنه، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[(٢)] رواه الترمذي وصححه.

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[(٣)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فما أعمر بيتًا حواه وكيف لا وقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه؟

وروينا من حديث ابن عمر ومرفوعاً: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها»[(٤)] أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح ويا لهذا من منزل عال.

فصل في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

روينا من حديث أبي موسىٰ مرفوعاً: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده، لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقُلها»[(٥)].

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦١٤) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ورقم (٤٨٣٩) كتاب التفسير، ٤. باب ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتح: ٤] من سورة الفتح، ورقم (٥٠١١) كتاب فضائل القرآن، ١١. باب فضل سورة الكهف، ومسلم في صحيحه [٢٤٠ ـ (٧٩٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٦. باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، باب فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٩١٣) كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ منه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٦٤) كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، والترمذي في سننه (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، باب ١٨ ـ منه. وأحمد في مسنده (٢/ ١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (١٧٩٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٣٣) كتاب فضائل القرآن، ٢٣. باب استذكار القرآن وتعاهده، ومسلم في صحيحه [٢٣١ ـ (٧٩١)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٣. باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٤).

المُعَقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»[(١)] أخرجاهما.

فصل في استحسان تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنىٰ بالقرآن يجهر به»[(٢)] أخرجاه ومعنى أذن الله أي استمع، وهو إشارة إلىٰ الرضا والقبول.

وروينا من حديث أبي موسىٰ أن النبي ﷺ قال له: «أوتي مزمارًا من مزامير آل داود»[(٣)] أخرجاه.

ولمسلم: إنه قال: «لو رأيتني وإنا أستمع لقراءتك البارحة»[(٤)] وما أعظم هذه منقبة.

وروينا من حديث البراء قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه[(٥)]. أخرجاه.

وروينا من حديث أبي لبابة بشير بن عبد المنذر مرفوعاً: «من لم يتغن بالقرآن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٣١) كتاب فضائل القرآن، ٢٣. باب استذكار القرآن وتعاهده، ومسلم في صحيحه [٢٢٦ . (٧٨٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٣. باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آيه كذا، وجواز قول أنسيتها، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٢)، والإمام مالك في الموطأ (٢٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٦٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٤٤) كتاب التوحيد، ٥٢. باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» و «زينوا القرآن بأصواتكم»، ورقم (٥٠٢٣، ٥٠٢٤) في فضائل القرآن، ١٩. باب من لم يتغن بالقرآن، ورقم (٧٤٨٢) كتاب التوحيد ٣٢. باب قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ﴾ ..الآية، ومسلم في صحيحه [٢٣٣ . (٧٩٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٤. باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٤٨) كتاب فضائل القرآن، ٣١. باب تحسين الصوت بالقرآن، ومسلم في صحيحه [٢٣٥ . (٧٩٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٤. باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣٦ . (٧٩٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣٤. باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٤٦) كتاب التوحيد، ٥٢. باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» و «زينوا القرآن بأصواتكم»، ومسلم في صحيحه [١٧٧. (٤٦٤)] كتاب الصلاة، ٣٦. باب القراءة في العشاء.

فليس منا»[١] رواه أبو داود بإسناد جيد، ومعنى يتغنى يحسن صوته بالقرآن.

وروينا من حديث ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتي بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[٢] أخرجاه.

فصل في الحث علىٰ سور وآيات مخصوصة

ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رافع بن المعلي[٣]: «إن الفاتحة أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت»[٤] أي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ معقبًا بوعظ لا تهدن أي مغْنمًا أتيناك أغنى منه.

وفيه من حديث أبي سعيد الخدري: «إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن»[٥] وفي لفظ له: «أيعجز أحدكم أن يقرأ بثلث القرآن في ليلة؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا: أيّنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ ثلث القرآن »[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٧١) كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن، من سورة النساء، ٩. باب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، ومسلم في صحيحه [٢٤٧ . (٨٠٠)]، (٢٤٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٠ . باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، والترمذي (٣٠٢٥)، وابن ماجه (٤١٩٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٠، ٤٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٥٦٣).

(٣) أبو سعيد بن المعلى رضي الله عنه الأنصاري المدني يقال اسمه: رافع بن أوس، وقيل: الحارث، وقيل نفيع، صحابي، أخرج له: البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (٧٣) وقيل غير ذلك .

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٢/ ١٠٧)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٢٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٣٧٥)، الجمع بين رجال الصحيحين (١٣٢٧)، التاريخ الكبير (٩/ ٣٤)، طبقات ابن سعد (٥/ ٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٠٦) كتاب فضائل القرآن، ٩ . باب فاتحة الكتاب .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠١٣) كتاب فضائل القرآن، ١٣ . باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] ، وانظر أرقام (٦٦٤٣، ٧٣٧٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠١٥) كتاب فضائل القرآن، ١٣ . باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٥ . باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ =

ولمسلم من حديث أبي هريرة: «إنها لتعدل ثلث القرآن»[(١)]

وللترمذي[(٢)] من حديث أنس، وقال: حسن.

وللبخاري تعليقًا أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] قال: «إن حُبها أدخلك الجنة»[(٣)].

ولمسلم من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»[(٤)].

وللترمذي محسنًا من حديث أبي سعيد: «كان ﷺ يتعوذ بالله من الجان، وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذهما وترك ما سواهما»[(٥)].

ولأبي داود والترمذي محسِنا من حديث أبي هريرة مرفوعًا «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت»[(٦)].

ولأبي داود: «تشفع لرجل حتى غفر له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١] قلت: طوبى لمن قرأها كل ليلة.

وفي الصحيحين من حديث أبي مسعود مرفوعاً: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[(٧)] قيل: كفتاه عن كل مكروه، وقيل: عن قيامها، ويجوز أن يكون عنهما.

= [الإخلاص]، والترمذي (٢٨٩٤) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١]، وابن ماجه (٣٧٨٧، ٣٧٨٨)، والنسائي (١/ ١٧٢ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٣، ٤/ ١٢٢، ٥/ ٤١٨).

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٢٦١ ـ (٨١٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٥ ـ باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١].

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩٣) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٧٤م) كتاب الآذان، ١٠٦ ـ باب الجمع بين السورتين في الركعة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٤ ـ (٤١٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٦ ـ باب فضل قراءة المعوذتين.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٥٨) كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين، والنسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من عين الجان، وابن ماجه (٣٥١١) كتاب الطب، ٣٣ ـ باب من استرقى من العين.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٤٠٠) كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، والترمذي (٢٨٩١) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٠٩) كتاب فضائل القرآن، ١٠ ـ باب فضل البقرة، ومسلم في =

ولمسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة»[١]. وإذا كان هذا شأن البيت فما ظنك بالقارئ.

وله من حديث أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ[٢]: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟، قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥][٣]، قال: فضرب في صدري وقال والله ليهنك العلم أبا المنذر».

وفي البخاري من حديث أبي هريرة لمَّا وكله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، وأتاه آت.. وذكر الحديث، وفيه أنه قال له: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال ﷺ: «أما إنه صَدَقك وهو كذُوب»[٤].

ولمسلم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال»[٥].

= صحيحه [٢٥٥ . (٨٠٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٣. باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، والترمذي (٢٨٨١) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٢ . (٧٨٠)] كتاب صلاة المسافرين، ٢٩ . باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٨ . (٨١٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٤ . باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

(٣) قال القاضي عياض: فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله على سائر كتب الله تعالى، قال، وفيه خلاف للعلماء فمنع منه أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني وجماعة من الفقهاء والعلماء؛ لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله نقص به، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور، بمعنى عظيم وفاضل، وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا: وهو راجع إلىٰ عظيم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه، والمختار جواز قول: هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر، وهو معنى الحديث والله أعلم [النووي في شرح مسلم (٦/ ٨١، ٨٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، ١٠ . باب فضل سورة البقرة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٧ . (٨٠٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٤ . باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، وأبو داود في سننه (٤٣٢٣)، وأحمد في مسنده (٦/ ٤٤٩)، =

وله أيضاً: «من آخر سورة الكهف».

وله من حديث ابن عباس أنه ﷺ نزل عليه ملك لم ينزل عليه قط إلا اليوم فسلَّم وقال: «أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته»[1].

فصل في استحباب الاجتماع علىٰ القراءة

روينا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[2] أخرجه مسلم.

= والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٩)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٨) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٠٩).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٤ ـ (٨٠٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٣ ـ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٦٩٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١١ ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجه (٢٢٥).

مجلس في فضل يوم الجمعة ومتعلقاته

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1] الآية.

وهو مؤذن بقبول الزيارة والدعاء والعبادة والربح في التجارة بعدها إذ الابتغاء يتناول الكل.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها»[2] فهو خير أيام السنة، وخُصِ بعظائم الأمور التي منها مبدأ النوع الإنساني وتكريمه بالجنة وإخراجه إلىٰ دار التشريف بخطاب التكليف.

وفيه من حديثه أيضًا مرفوعاً: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غُفرَ له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا»[3].

وفيه من حديثه أيضًا مرفوعاً: «الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[4].

---

(١) سورة الجمعة (١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧ . (٨٥٤)] كتاب الجمعة، ٥ . باب فضل يوم الجمعة، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٩١)، والنسائي (٣/ ٩٠، ١١٤ . المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠١، ٤١٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٩٠)، ابن حبان في صحيحه (١٠٢٤. الموارد) وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠١، ٤١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٥٦، ١٣٥٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢١٦، ٢٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ . (٨٥٧)] كتاب الجمعة، ٨ . باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة، وأحمد في مسنده (١/ ١٩، ٥٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣١، ٢٠٨) وابن حبان في صحيحه (٥٦٧ . الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٩٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٨٣) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦ . (٢٣٣)] كتاب الطهارة، ٥. باب الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، والترمذي في سننه (٢١٤)، وابن ماجه (٥٩٨) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩، ٤٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧).

وفيه من حديثه ابن عمر أيضاً: «لينتهينَّ أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمنَّ الله علىٰ قلوبهم ثم ليكونَنَّ من الغافلين»[(١)].

وفي الصحيحين عن ابن عمر: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»[(٢)].

ومن حديث أبي سعيد الخدري: غسل الجمعة واجب علىٰ كل مُحتلِم»[(٣)] أي متأكد علىٰ كل بالغ.

وروينا في سنن أبي داود، وجامع الترمذي وحسَّنه من حديث سمرة مرفوعاً: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغُسل أفضل»[(٤)].

وفي صحيح البخاري عن سلمان مرفوعاً: «لا يغتسل الرجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طُهر، ويدَّهِنُ من دهنه أو يمسّ من طيب بيته، ثم يخرج فلا يُفرِّق بين اثنين، ثم يُصلّي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرىٰ»[(٥)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرَّب بدنة»[(٦)] الحديث.

أي غُسْلًا كغسل الجنابة في الصفة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ . (٨٦٥)] كتاب الجمعة، ١٢ . باب التغليظ في ترك الجمعة . والنسائي (٣/ ٨٨ . المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٧٩٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٣٩، ٢٥٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧١)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٠ . الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٧٧) كتاب الجمعة، ٢. باب فضل الغسل يوم الجمعة، ومسلم في صحيحه [٢. (٨٤٤)] كتاب الجمعة، في فاتحته .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٨٩) كتاب الجمعة، ٢. باب فضل الغسل يوم الجمعة، ومسلم في صحيحه [٥ . (٨٤٦)] كتاب الجمعة ١. باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال وبيان ما أمروا به.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥٤) كتاب الطهارة، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، والترمذي (٤٩٧) في الصلاة، باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة، وابن ماجه في سننه (١٠٩١)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٥، ١٦، ٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨٣) كتاب الجمعة، ٦. باب الدهن للجمعة، ورقم (٩١٠) ١٩ . باب لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٤٠، ٤٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ١٥٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨١) كتاب الجمعة، ٤ . باب فضل الجمعة، ومسلم في صحيحه [١٠. (٨٥٠)] كتاب الجمعة، ٢. باب الطيب والسواك يوم الجمعة، وأبو داود في سننه (٣٥١) كتاب الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، والترمذي (٤٩٩) في الصلاة، باب ما جاء في التبكير إلىٰ الجمعة.

وفيهما عنه مرفوعاً: ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يُصلي يسأل الله تعالىٰ شيئًا إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يُقلِّلها[١].

وفي مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه مرفوعاً: «إنها ما بين أن يجلس الامام إلىٰ أن تُقضى الصلاة»[٢].

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث أوس بن أوس مرفوعاً: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ»[٣].

فصل في يوم الجمعة فضائل

أولها: أن من (حضر)[٤] فيه إملاك رجل مسلم كان كمن صام يومًا في سبيل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٣٥) كتاب الجمعة، ٣٧. باب الساعة التي في يوم الجمعة وانظر أرقام (٥٢٩٤) كتاب الطلاق، ٢٤. باب الإشارة في الطلاق والأمور، ورقم (٦٤٠٠) كتاب الدعوات، ٦٣. باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة ومسلم [١٣. (٨٥٢)]، (١٤) كتاب الجمعة، ٤. باب في الساعة التي في يوم الجمعة، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٦، ٥٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٧٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦. (٨٥٣)] كتاب الجمعة، ٤. باب في الساعة التي في يوم الجمعة.
قال النووي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة وفي معنى قائم يصلي، فقال بعضهم: هي من بعد العصر إلىٰ الغروب، قالوا: ومعنى يصلي يدعو، ومعنى قائم ملازم ومواظب. وقال آخرون: هي من حين خروج الإمام إلىٰ فراغ الصلاة، وقال آخرون: من حين تقام الصلاة حتىٰ يفرغ... إلىٰ آخر كلامه [النووي في شرح مسلم (٦/ ١٢٢) طبعة دار الكتاب العلمية].

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي (٣/ ٩١ المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨، ٤/ ٥٦٠)، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩١)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٠. الموارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٤٩، ٥١٦)، قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته لأن إخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ورفع نقمته. هذا كلام القاضي، وقال أبو بكر بن العربي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي: الجميع من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية، وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج منها طردًا بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم وإظهار كرامتهم وشرفهم [النووي في شرح مسلم (٦/ ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) كذا بالأصل.

الله، واليوم بسبعمائة.

ثانيها: أنه أفضل من يوم عرفة في وجه.

ثالثها: أن ليلته أفضل من ليلة القدر. في رواية عن أحمد.

رابعها: أن صلاته أحب إلىٰ ابن عباس وسعيد بن جبير من حج التطوع، فيما رواه عنهما ابن عساكر بإسناده.

خامسًا: أن من مات فيه أو في ليلته وُقِيَ فتنة القبر وعذابه ولقى الله لا حساب عليه وأعتق من النار.

سادسًا: أن من صلىٰ فيه علىٰ رسول الله ﷺ ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة.

سابعًا: أن فيه ساعة الإجابة.

وفيها سبعة وعشرون قولاً.

وروىٰ فيه كعب الأحبار سبعة أشياء: خلق آدم وإدخاله الجنة، وإخراجه منها، والتوبة عليه، وقيام الساعة، وبعث موسىٰ، وإخراج يوسف من الجُب.

مجلس مهم في فضل الصلوات ومتعلقاتها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[1].

الفحشاء: ما وضح قبحه كأنواع الفسوق والعصيان.

والمنكر: ما لم يعرف شرعًا كالمحدثات.

فمن لم تنهه صلاته عن ذلك فليس بصلاة، لكن الراعي بصدد الزجر، ومن شأنها أن يوجد ذلك لاسيَّما إذا كان متلبسًا بها.

وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[2] وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا[3]: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيء؟».

قالوا: لا يبقى من درنه شيء.

قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا».

وثبت في صحيح مسلم من حديث جابر: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غَمْرٍ علىٰ باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»[4].

والغَمْر: بالعين المعجمة الكثير أنها كأبلغ نهر مطهر.

وثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيﷺ فأخبره، فأنزل الله تعالىٰ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الإسرَاء: ٧٨] الآية. فقال

---

(١) سورة العنكبوت (٤٥).

(٢) سورة المؤمنون (١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة، ٦. باب الصلوات الخمس كفارة. ومسلم في صحيحه [٢٨٣. (٦٦٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥١ . باب المشي إلىٰ الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، والترمذي (٢٨٦٨)، كتاب الأمثال، باب مثل الصلوات الخمس، والنسائي (١/ ٢٣١. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٤. (٦٦٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥١ . باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٢٦، ٣/ ٣٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٩).

الرجل: إليَّ هذا؟ قال: «لجميع أمتي»[(١)].

فالتضاد مانع من الاجتماع والإحباط، "فرحمتي غلبت غضبي".

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»[(٢)] ومن حديث عثمان بن عفان مرفوعًا: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلَّا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»[(٣)].

لا لخصوصية مكان ولا زمان ولا شخص ولا حال فالإحسان زائد وتعميم التكفير متزايد.

وقال عبد الله بن مسعود: "ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع بابه يفتح له".

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة، ٤. باب الصلاة، ورقم (٤٦٨٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة هود، ٦. باب قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هُود: ١١٤]. ومسلم في صحيحه [٣٩. (٢٧٦٣)] كتاب التوبة، ٧. باب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤]، والترمذي (٣١١٣) كتاب تفسير القرآن، من سورة هود، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٥، ٥/ ٢٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٣٩، ٦/ ٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦. (٢٣٣)] كتاب الطهارة، ٥. باب «الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر»، والترمذي (٢١٤)، وابن ماجه (٥٩٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩، ٤٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧) وابن خزيمة في صحيحه (٣١٤، ١٨١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٣، ٤٨٣)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٤٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٧. (٢٢٨)] كتاب الطهارة، ٤. باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

مجلس في فضل صلاة الصبح والعصر

ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسىٰ مرفوعًا: «من صلىٰ البردين دخل الجنة»[1]

(وهما هما)[2] فحصلت له العيشة المرضية.

ومن حديث أبي هريرة: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[3].

ومن حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبُوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»[4].

لتروا ربكم أتم رؤية.

ولم يعبر بالصبح لِلَطائف نظرية للفطن العارف. ومن ألطفها تفهم العوام أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ٢٧. باب فضل صلاة الفجر، ومسلم في صحيحه [٢١٥ . (٦٣٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧ . باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٢. الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٠).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة، ١٧ . باب فضل صلاة العصر، ورقم (٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم في صحيحه [٢١٠ . (٦٣٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧ . باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، والنسائي (١/ ٢٤٠. المجتبى)، ومالك في الموطأ (١٧٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٠، ٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٣٤) كتاب التوحيد، ٢٤. باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ومسلم في صحيحه [٢١١. (٦٣٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧. باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، وأبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (١٧٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٩).

وجود الشمس ليس مفضيًا للتعهد بدليل ما قبل طلوعها، وليس مانعًا منه، بدليل غروبها، أي وجهت وجهي. وأي مقام أعلىٰ من هذا المقام، وكمال أسنى من هذا الاهتمام.

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي زهير عمارة بن رؤيبة[١] مرفوعاً: «لن يلج النار أحد صلىٰ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني الفجر والعصر[٢] ولا راحة أعظم من السلامة منها، وقطع المفاز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥]

ومن حديث جندب بن سفيان مرفوعاً: «من صلىٰ الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنَّك الله من ذمته بشيء»[٣] وإذا صار إلىٰ هذا المقام أعني في جوار الملك العلام زال الضرر وحصل له الفوز وكمال الظفر.

وثبت في صحيح البخاري من حديث بريدة مرفوعاً: « من ترك صلاة العصر حبط عمله»[٤].

وما أشد هذا من اهتمام، اللهم ألهمنا المحافظة عليها يا علَّام.

---

(١) عمارة بن رؤيبة، أبو زهير، الثقفي، الكوفي صحابي نزل الكوفة، أخرج له: مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي بعد سنه (٧) ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٤١٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٤٩)، الكاشف (٢/ ٣٠٢)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٤٩٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٦٥) الثقات (٣/ ٢٩٤)، أسد الغابة (٤/ ١٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٣. (٦٣٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧. باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، والنسائي (١/ ٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٦)، وابن خزيمة في صحيحه [٤١٩، ٣٢٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه[٢٦١. (٦٥٧)]، (٢٦٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٦. باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، والترمذي في سننه (٢٢٢، ٢١٦٤)، وابن ماجه في سننه (٣٩٤٥، ٣٩٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٩٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٣) كتاب مواقيت الصلاة، ١٦. باب من ترك العصر، ورقم (٥٩٤) ٣٥. باب التبكير بالصلاة في يوم غيم، والنسائي (١/ ٢٣٦. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٠، ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤، ٤٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٤، ٣٠٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٥)

مجلس في فضل الوضوء

قال تعالىٰ: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، إلىٰ قوله ﴿تَشْكُرُونَ﴾[1] أي ليزيدهم من فضلة، وما أحسن هذا من مشافهة.

الهيئة، ناداهم بوصف الإيمان وطلب إقبالهم عليه واستجابتهم لما دعاهم لما يحييهم ويصيروا أعلام الأعلام.

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم إن يطيل غرته فليفعل»[2].

أي ليحصل له كمال الحلل النورآنية.

وثبت في صحيح مسلم من حديثه: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»[3] أي لينال الأساور العرفانية، لاجرم ذكر المؤمن من الحلية والأمة مع العزة.

ومن حديث ابن عفان مرفوعاً: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتىٰ تخرج من تحت أظفاره»[4] ومن حديثه أيضًا قال: "رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال: «من توضأ هكذا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلىٰ المسجد نافلة»"[5] وغير هذا بالغفران، وفيما قبله بالخروج وهنا بالذنب، وهناك

---

(١) سورة المائدة (٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٦) كتاب الوضوء، ٣. باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، ومسلم في صحيحه [٣٥. (٢٤٦)] كتاب الطهارة ١٢. باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، وأحمد في مسنده ٢/ ٤٠٠، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٤٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩٠)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٦١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ . (٢٥٠)] كتاب الطهارة ١٣. باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٥٧) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣. (٢٤٥)] كتاب الطهارة، «١١. باب) خروج الخطايا مع ماء الوضوء.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ (٢٢٩)] كتاب الطهارة، ٣. باب فضل الوضوء والصلاة عقبه.

بالخطيئة. ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً[١]: « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء[٢] أو مع آخر قطر الماء. فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيًا من الذنوب » وهذا تفصيل لما أُجمل أولاً. وفيه من المبالغة والتوكيد ما ليس بغيره من (الملأ)[٣].

ومن حديثه أنه ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت إنَّا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك يا سول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد » فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: « أرأيت لو أن رجلًا له خيل غير محجلة بين ظهري خيل دُهم بُهم، ألا يعرف خيله؟ » قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: « فإنهم يأتون غُرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطُهُم علىٰ الحوض »[٤].

قلت: أي الموصوف بكوثر الخير وكفى به فرطًا.

ومن حديثه أيضًا: «ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢. (٢٤٤)] كتاب الطهارة ١١. باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، والترمذي (٢) في الطهارة، باب ما جاء في فضل الطهور، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨١)، وابن خزيمة في صحيحه (٤)، والإمام مالك في الموطأ (٣٢) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥١)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٧٥).

(٢) قوله: "مع الماء أو مع آخر قطر الماء" هو شك، والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر؛ قال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء المجاز والاستعارة في غفرانها لأنها ليست بأجسام فتخرج حقيقية والله أعلم.
وفي هذا الحديث دليل على الرافضة وإبطال لقولهم الواجب مسح الرجلين.
وقوله ﷺ: «بطشتها يداه ومشتها رجلاه» معناه اكتسبتها. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١١٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩. (٢٤٩)] كتاب الطهارة، ١٢. باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، وأبو داود (٢٣٣٧)، والنسائي (١/ ٩٤ . المجتبى) وابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١. (٢٥١)] كتاب الطهارة، ١٤. باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، والترمذي (٥١) في الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، والبيهقي في السنن=

ففيه رفع الدرجات بين طوائف الأمم السالفات، ثم منازل الجنة تبع لذلك، والمنازل الرفيعات.

ومن حديث أبي مالك الأشعري مرفوعًا «الطهور شطر الإيمان»[١] أي ينتهي تضعيف أجره إلىٰ أن يكون في الميزان كنصف أجر الإيمان.

وحديث البطاقة كاشف عن درايته وعظيم قدرها وكرامة الجنة ونعيمها تبع لذلك.

وهو حديث عظيم مشتمل علىٰ أنواع من الخيرات وقد سلف في الصبر بطوله.

ومن حديث عمر مرفوعاً: « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ . أو فيسبغ . الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء »[٢] زاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».

وفيه من العناية والإكرام ما لا يحصى من الإنعام ومناسبته لرفع الدرجات ومضاعفة الأجور الكثيرات ولله منح ومواهب وعطايا وسوالف.

وحاصل ما ذكرناه من الأحاديث ومهمها علىٰ ما يثمره الوضوء من النفع والكمال.

فالنفع راحة أو تمتع بلذة، والكمال ثلاثة أشعة أنوار الصفات الإلهية، والتزين بأنواع الحلي من الحقائق التوحيدية ومعاني التجليات الأحدية الذاتية، والواحدية الصفاتيه، وما يترتب علىٰ ذلك من الرهبة والربوبية والملكة فحلل أنوار الأحوال والمواهب والأخلاق والمكاسب وحلي الحقائق الكسبية والمعارف الذوقية نائلة لفاعل ذلك، فقدره حق اليقين بحد نفعه يوم الدين.

= الكبرى (٣/ ٦٢)، وابن حبان في صحيحه (١٦١ . الموارد) وابن خزيمة في صحيحه (٥) والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٧٤)، والتبريزي في المشكاة (٢٨٢) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٣٨).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١. (٢٢٣)] كتاب الطهارة، ١. باب فضل الوضوء، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠، ٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٦)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٠٣، ٥/ ١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٦، ٢٤٨)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٢٨١)، والسيوطي (١/ ١٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧ . (٢٣٤)] كتاب الطهارة، ٦ . باب الذكر المستحب عقب الوضوء، والترمذي في سننه (٥٥) في الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٥، ١٤٦) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٤٣).

مجلس في فضل الأذان

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح، لأتوهُما ولو حبوًا »[1]

الاستهام: الاقتراع.

والتهجير: التبكير إلىٰ الصلاة وعدم علمهم يحتمل لعدم تعلُّمِهُم، والظاهر أنه لكلال كثير من الأفهام عما فيه من الفضل الخارج عن الطاقة البعيد عن الحصر والإحصاء. وثبت في صحيح مسلم من حديث معاوية مرفوعًا «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة »[2]

أعناقاً: بفتح الهمزة علىٰ حقيقته.

ومن رواه بكسرها أراد إسراعاً، ويبعد قوله أطول.

ومن فسره بالأعمال والاتباع فأبعد

والمراد بيان أنهم سادة، وأن لهم من الكرامة ما يباين حال الخاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي أو من أن يلجمهم العرق، فشأنهم رفيع رحمة لهم وكرماً.

وروينا في صحيح البخاري[3] من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٥) كتاب الأذان، ٩. باب الاستهام في الأذان، ومسلم في صحيحه [١٢٩. (٤٣٧)] كتاب الصلاة، ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام علىٰ الصف الأول، والنسائي (١/ ٢٦٩، ٢/ ٢٣. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٢٤٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤. (٣٨٧)] كتاب الصلاة، ٨. باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، وابن ماجه في سننه (٧٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٩٣ . الموارد)، وابن شيبة في مصنفه (١/ ٢٢٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢١، ٣٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٦٤) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٩) كتاب الأذان، ٥. باب رفع الصوت بالنداء، ورقم (٣٢٩٦) كتاب بدء الخلق، ١٢. باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، ورقم (٧٥٤٨) كتاب التوحيد، ٥٢. باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» و «زينوا القرآن بأصواتكم»، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٩٧، ٤٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ =

الرحمن بن أبي صعصعة[١]: « إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك . أو باديتك . فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدي صوت المؤذن جن ولا أنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامه ». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ.

وخلق التميز في هذه الأشياء ليس علىٰ الله بعزيز، وإنطاق الكافر به حجة عليه وتشريفًا للمؤذن.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل حتى إذ ثُوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكُر كذا، اذكُر كذا لما لم يكن حتىٰ يظل الرجل لا يدري كم صلى »[٢].

والتثويب: الإقامة قبل إدباره حتى لا يسمع فيشهد والأظهر لِعِظَمِ أمره لاشتماله علىٰ قواعد التوحيد، وإعلان الدين وإظهار شعائر الإسلام.

ويؤيده حديث: « إذا تغولت الغيلان فأعلنوا الأذان»[٣] .

وروينا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو: « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ فإنه من صلىٰ عليَّ صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الوسيلة حلت له الشفاعة »[٤].

= ١٧٤) والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٥، ٨/ ٣١٨).

(١) عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري المازنى، هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن، ثقة، أخرج له: البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٣٩)، ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/ ١٩٩)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٨٥)، وتاريخ البخاري الكبير (٥/ ٣٠٣) والجرح والتعديل (٥/ ١١٩٦)، وميزان الاعتدال (٧/ ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٨) كتاب الأذان، ٤. باب فضل التأذين، ورقم (١٢٢٢) كتاب العمل في الصلاة، ١٨. باب يفكر الرجل الشئ في الصلاة، وانظر رقم (١٢٣١، ١٢٣٢) كتاب السهو، ٧. باب السهو في الفرض والتطوع، ورقم (٣٢٨٥) كتاب بدء الخلق، ١١. باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم في صحيحه [٨٣ (٣٨٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٩ . باب السهو في الصلاة والسجود له.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٠٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٣٥٢)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٢/ ٣٥١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١١. (٣٨٤)] كتاب الصلاة، ٧. باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، وأبو داود في سننه (٥٢٣) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، والترمذي (٢٠٨)، والنسائي (٢/ ٢٣. المجتبى)، =

وأخرجا صدره من حديث أبي سعيد بلفظ « فقولوا كما يقول »[١].

قلت: فيحصل له الراحة من كرب المؤجل وإغلاق الغضب وإحراز الخيرات.

وروينا في صحيح البخاري من حديث جابر رفعه: « من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة »[٢] وهذا ظاهر في إجابة الأذان والاعتناء بهذا الدعاء عقبه ليحصل الفوز والامتنان.

وروينا في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: « من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غُفر له ذنبه »[٣].

قلت: وأي راحة أعظم من ذلك وسعادة أبلغ مما هنالك، وقد زال الخوف، والقلق، ونامت العين، وزال الأرق.

وروينا في جامع الترمذي محسنًا وسنن أبي داود من حديث أنس مرفوعاً: « الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة»[٤] فليكثر المؤمن من ذكر حاجاته، فالكريم

= والبيهقي في السنن الكبرى (١/٤٠٨)، ومالك في الموطأ (٦٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٣٧٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١١) كتاب الأذان، ٧. باب ما يقول إذا سمع المنادي، ومسلم في صحيحه [١٠. (٣٨٣)] كتاب الصلاة، ٧ . باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، وأبو داود في سننه (٥٢٢) كتاب الصلاة ٦ . باب ما يقول إذا سمع المؤذن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٤) كتاب الأذان، ٨ . باب الدعاء عند النداء، وأبو داود (٥٢٩) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان، والنسائي (٢/ ٢٧ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤١٠)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٤٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/٦، ٥/ ٥٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢١٠)، والشجري في أماليه (١/ ٢٤١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣.(٣٨٦)] كتاب الصلاة، ٧. باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، وأبو داود في سننه (٥٢٥)، والترمذي في سننه (٢١٠)، والنسائي (٢/ ٢٦. المجتبى)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٠٣)، وأحمد في مسنده (١/ ١٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٢١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٩٤، ٣٥٩٥) كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، وأبو داود في سننه (٥٢١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامه، والنسائي في عمل اليوم والليلة (صـ٤٠) باب الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٩)، =

معطاه، وبابه مفتوح.

وحاصل ما ذكرناه من الأحاديث أن الثلاثة الأول لها تُرغِّب في مباشرته، والباقي في فضائله ومتعلقاته ومدارها علىٰ مهمين: بيان ما يثمره الأذان من كمال ونفع، والبيان إجمالي كما في الحديث الأول، وتفصيلي كما في باقي الحاديث، وكما له رفعة شأن ولسان صدق، فالأول في الحديث الثاني، والثاني في الثالث، وكمال الأذان في نفسه في الرابع، ونفعه أمن وسرور، من الأمن والراحة إدبار الشيطان وتباعده من محل الأذان ستة وثلاثين ميلاً، وقد أُذِّن عند بعض المحتضرين وما أحسنه يسلم من الوسواس فيخْتم له (بالأساس)[(١)].

فصل في المشى إلىٰ المساجد

روينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نُزلًا كلما غدا أو راح »[(٢)].

وروينا في صحيح مسلم من حديثه أيضًا مرفوعاً: « من تطهر في بيته، ثم مشى إلىٰ بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تَحُطُّ خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة »[(٣)].

وروينا فيه أيضًا من حديث كعب قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة، قال: فقيل له: قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلىٰ جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلىٰ المسجد ورجوعي إذا رجعت إلىٰ أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله»[(٤)].

والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٢)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٨٥).

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٢) كتاب الأذان، ٣٧. باب فضل من غدا إلىٰ المسجد ومن راح، ومسلم في صحيحه [٢٨٥. (٦٦٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥١. باب المشي إلىٰ الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٩٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٣١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٢. (٦٦٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥. باب المشي إلىٰ الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٨. (٦٦٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٠. باب فضل كثرة الخطا إلىٰ المساجد.

وروينا فيه من حديث جابر قال: "خَلَت البقاعُ حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم، يا رسول الله، قد أردنا ذلك. فقال: «يا بني سلمة دياركم تُكتَب آثاركم، دياركم تُكتَب آثاركم» فقالوا: ما كان يسُرّنا أنّا كنا تَحولنا "(١).

وروىٰ البخاري معناه من رواية أنس.

وروينا فيهما من حديث أبي موسىٰ مرفوعا: «إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر.. الحديث»(٢).

وروينا من حديث بريدة مرفوعاً: « بشر المشائين في الظلم إلىٰ المساجد بالنور التام يوم القيامة »(٣).

وروينا في الترمذي محسنًا من حديث أبي سعيد مرفوعاً: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية(٤).

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا «ألا أدُلُكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخُطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط »(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٠، ٢٨١. (٦٦٥)]، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٠. باب فضل كثرة الخطا إلىٰ المساجد، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦٠)، وابن جزير في تفسيره (٢٢/ ١٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٧. (٦٦٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٠. باب فضل كثرة الخطا إلىٰ المساجد، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٦٣، ١٠/ ٧٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في المشي إلىٰ الصلاة في الظلم، والترمذي في سننه (٢٢٣) في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة العشاء والفجر في الجماعة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦١٧) كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه في سننه (٨٠٢) كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، وأحمد في مسنده (٣/ ٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٣١٠. الموارد).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ . (٢٥١)] كتاب الطهارة، ١٤ . باب فضل إسباغ الوضوء على =

وهذه الأحاديث خلاصتها حُملت علىٰ جلب المنافع ورفع المضار[١] فالأول إعداد المنزل وياله من لذَّة.

وفي الحديث الثاني رفع الدرجات وما أعظمه من ملذة، وفي الثالث تكثير الحسنات، وكذا الرابع وهو أعم من المشى والركوب، وفي الخامس أن بُعد المشى يحصل للفوز بالأجر ودفع المضار كما في الحديث السادس؛ لأن بالنون يحصل دفع حرف السقوط في المهاوي.

وكذا السابع، فيحصل دفع المضار بمحو الخطايا وهو كالأساس لشمول المحو، ما إذا كان لسبب البعد، وبسبب التكرير مرة بعد أخرى، وفي الأخير يحصل به لسان صدق، وفي ضمنه كف اللسان عما يجب كفه عن أهل الإيمان والله الهادي لقوى الأركان.

فصل في انتظار الصلاة

قد أسلفنا حديث أبي هريرة فيه آنفاً.

وروينا في الصحيحين من حديثه أيضًا مرفوعاً: « لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلىٰ أهله إلا الصلاة »[٢].

وروينا في صحيح البخاري من حديثه أيضًا مرفوعاً: « الملائكة تُصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه »[٣].

= المكاره، والترمذي (٥١)، والبيهقى في السنن الكبرى (٣/ ٦٢)، وابن خزيمة في صحيحه.

(١) قال النووي في قوله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»: قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلًا علىٰ غفرانها. ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة. وإسباغ الوضوء إتمامه والمكاره بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك. وكثرة الخطا تكون ببعد الدار وكثرة التكرار. وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

[النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٩) كتاب الأذان، ٣٦. باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ومسلم في صحيحه [٢٧٥. (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٩. باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٥) كتاب الصلاة، ٦١. باب الحدث في المسجد، وأبو داود في سننه (٤٦٩) كتاب الصلاة، وباب في فضل القعود في المسجد، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٢، ٤٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٣٢)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٩).

فالمنتظر يحصل له، كمالان: أجر المصلي وإن طال الزمن كشطر الليل كما سيأتي، وصلاة الملائكة عليه.

وروينا في جامع الترمذي من حديث أنس أنه ﷺ أخَّر ليلة صلاة العشاء إلىٰ شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلى فقال: «صلى الناس ورقدوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها»[(١)].

فصل في فضل صلاة الجماعة

روينا في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[(٢)].

وروينا فيهما من حديث أبي هريرة خمسًا وعشرين ضعفًا»[(٣)].

وفرق بين الضِّعف والدرجة.

وروينا في صحيح مسلم من حديثه أيضاً: أتىٰ رسول الله ﷺ رجل أعمىٰ، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلىٰ المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يُرخص له فيصلي في بيته، فرخص له[(٤)]، فلما وَلَّىٰ دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» فقال: نعم. قال: «فأجب»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٢) كتاب مواقيت الصلاة، ٢٦. باب وقت العشاء إلىٰ نصف الليل، ومسلم في صحيحه [٢٢٢. (٦٤٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٩. باب وقت العشاء وتأخيرها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٥) كتاب الأذان، ٣٠. باب فضل صلاة الجماعة، ورقم (٦٤٩)، ٣١. باب فضل صلاة الفجر في جماعة ومسلم في صحيحه [٢٤٩. (٦٥٠)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢. باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، والنسائي (٢/ ١٠٣. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٧) كتاب الأذان، ٣٠. باب فضل صلاة الجماعة، ومسلم في صحيحه [٢٤٥ ـ (٦٤٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢. باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٤) ترخيص النبي ﷺ له ثم رده وقوله: «فأجب» فيحتمل أنه بوحي نزل في الحال، ويحتمل أنه تغير اجتهاده ﷺ إذا قلنا بالصحيح وقول الأكثرين أنه يجوز له الاجتهاد، ويحتمل أنه رخص له أولًا وأراد أنه لا يجب عليك الحضور إما لعذر وإما لأن فرض الكفاية حاصل بحضور غيره، وإما للأمرين، ثم ندبه إلىٰ الأفضل فقال: الأفضل لك والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر، فأجاب والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٥/ ١٣٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٥. (٦٥٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٣. باب يجب إتيان المسجد علىٰ من سمع النداء.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث عبد الله ابن أم مكتوم، وقيل: عمرو أنه قال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، فقال: «تسمع حي علىٰ الصلاة حي علىٰ الفلاح؟» قال: نعم.

قال: «فحي هلا» أي تعال.(١)

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمُر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلًا فيؤُم الناس، ثم أخالف إلىٰ رجال فأُحرِّق(٢) عليهم بيوتهم»(٣).

وروينا في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى ومن سنن الهدى، الصلاة في المسجد الذي يُؤَذَّن فيه(٤) وله رواية أخري أطول من هذه.

وروينا في سنن أبي داود، وصحيح الحاكم من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية»(٥) وحاصل هذه الأحاديث بيان عظم أجرها وتأكد أثرها، وما في تركها من الخطر وترك الترخيص مع كثرة الهوام والسباع،

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٥٣) كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة.

(٢) قال النووي: هذا مما استدل به من قال: الجماعة فرض عين، وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وأبو داود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل هي سنة أم فرض كفاية كما قدمناه، وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده [النووي في شرح مسلم (٥/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٤) كتاب الأذان، ٢٩. باب وجوب صلاة الجماعة ورقم (٦٥٧) ٣٤. باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، ورقم (٢٤٢٠) كتاب الخصومات، ٥. باب إخراج أهل المعاصى والخصوم من البيوت بعد المعرفة، ورقم (٧٢٢٤) كتاب الأحكام، ٥٣. باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة وقد أخرج عمر أخت أبي بكر حين ناحت، ومسلم في صحيحه [٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣. (٦٥١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢. باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٦. (٦٥٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٤. باب صلاة الجماعة من سنن الهدى.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٥٤٧) كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة والنسائي (٢/ ١٠٦. المجتبى)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٦٧).

والمهمة النبوية بتحريق بيت تاركها عليه، وإن تاركها تارك السُّنة المحمدية، واستحواذ الشيطان علىٰ من لم يقم بها، وأي مصيبة من استحقاق الحريق والضلال واستحواذ الشيطان نسأل الله العصمة والغفران.

فصل في الحث علىٰ حضور الجماعة في الصبح والعشاء

روينا في صحيح مسلم من حديث عثمان مرفوعاً: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»(١)، رواه الترمذي وقال حسن صحيح بلفظ: «من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة»(٢) وهي توضحها.

وقد سلف حديث أبي هريرة: «ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً»(٣).

وروينا في الصحيحين من حديثه أيضًا مرفوعاً: «ليس صلاة أثقل علىٰ المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهُما ولو حبواً»(٤).

وهذه الأحاديث دالة علىٰ إحراز عظيم الأجر المفصل والمجمل والتميز بمواظبتها علىٰ المنافق.

فصل في الآمر بالمحافظة علىٰ المكتوبات والنهى الأكيد والوعد الشديد في تركهن

قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾(٥) وقال: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٦) الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن مسعود: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٠. (٦٥٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٦. باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٧) وأبو عوانه في مسنده (٢/ ٤)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢١) أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، وأحمد في مسنده (١/ ٥٨، ٦٨)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢١٢، ١٤/ ١٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٤) كتاب الأذان، ٣٢. باب فضل التهجير إلىٰ الظهر.

(٤). أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧) كتاب الأذان، ٣٤. باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، ومسلم في صحيحه [٢٥٢. (٦٥١)] كتاب صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٥) سورة البقرة (٢٣٨).

(٦) سورة التوبة (٥).

أفضل؟ قال: «الصلاة علىٰ وقتها»[1] الحديث.

وفيهما من حديث ابن عمر مرفوعاً: « بنى الإسلام علىٰ خمس »[2] وعدَّ منه إقام الصلاة، وفيهما من حديثه: أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاه»[3] الحديث.

وفيهما من حديث معاذ بن جبل: فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات[4] الحديث.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعاً: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[5].

وفي جامع الترمذي قال: حسن صحيح عن بريدة: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[6].

وفيه عن شقيق بن عبد الله التابعي بإسناد صحيح قال: كان أصحاب محمد ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، ٥. باب فضل الصلاة لوقتها، ومسلم في صحيحه [١٣٧. (٨٥)] كتاب الإيمان، ٣٦. باب كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، وأحمد في مسنده (١/ ٤١٠، ٤٣٩) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨) كتاب الإيمان، ٢ باب دعاؤكم إيمانكم، ومسلم في صحيحه [٢٠ . (١٦)] كتاب الإيمان، ٥ . باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، والترمذي في سننه (٢٦٠٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦، ٩٣، ١٢٠)، البيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٨، ٤/ ٨١، ١٩٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٨، ٣٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب(١/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه [٢٥] كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبَة: ٥] : ومسلم في صحيحه [٣٢. (٢٠)] كتاب الإيمان ٨ باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.
قال النووي: قال الخطابي . رحمه الله: معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف. قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر قبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء، وذهب مالك إلىٰ أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكىٰ ذلك أيضًا عن أحمد بن حنبل، [النووي في شرح مسلم (١/ ١٨٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٧، ٩/ ١٤٠) ومسلم في صحيحه [٢٩. (١٩)] كتاب الإيمان ٧. باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٥) أخرجه مسلم [١٣٤. (٨٢)] كتاب الإيمان، ٣٥. باب بيان إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٢١) كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، وابن ماجه (١٠٧٩) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة.

لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة "[١].

وفيه محسنًا من حديث أبي هريرة مرفوعاً: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامه من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب ﷻ: انظروا أهل لعبدى من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله علىٰ ذلك»[٢] وحاصلها أن الصلاة أفضل الأعمال وأحد مباني الإسلام ودعائمه العظام، وعصم الدم والمال، وثانية التوحيد فيما يدعى إليه الأنام وتركها كُفر، وهو بين الكُفر والشرك[٣] ، وفسادها سبب الخيبة والخسران.

فصل في فضل الصف الأول

والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها.

روينا في صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تُصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تُصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يُتمون الصفوف الأُوَل، ويتراصون في الصف»[٤].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يَجدُوا إلا أن يستهمُوا عليه لاستهمُوا»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٢٢) كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤١٣) في الصلاة باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد اليوم القيامة الصلاة، والنسائي (١/ ٢٣٣. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٣٠، ١٣٣١) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ١٦٩).

(٣) معنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإن تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل، بل دخل فيه، ثم إن الشرك والكفر قد يطلقان بمعني واحد وهو الكفر بالله تعالىٰ، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالىٰ ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم.[النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٩. (٤٣٠)] كتاب الصلاة، ٢٧. باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٥) كتاب الأذان، ٩. باب الاستهام في الأذان، ومسلم في صحيحه [١٢٩. (٤٣٧)] كتاب الصلاة ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول =

وفي صحيح مسلم من حديثه مرفوعاً: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرُها أولها»[(١)] وفيه من حديث أبي سعيد أنه ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا فقال لهم: «تقدموا فائتموا بي، وليأتم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتىٰ يؤخرهم الله»[(٢)]، وفيه من حديث أبي مسعود: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنُهىٰ، ثم الذين يلونَهُم ثم الذين يَلونَهُم»[(٣)].

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة»[(٤)].

وفي رواية للبخاري «من إقامة الصلاة»[(٥)] وفيهما واللفظ للبخاري من حديثه أيضًا قال: أُقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «أقيموا صفُوفكُم

= منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٢٧٨)، والنسائي (١/ ٢٦٩، ٢/ ٢٣ ـ المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (١ /٢٤٨، ١٠/ ٢٨٨).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٢. (٤٤٠)] كتاب الصلاة، ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وأبو داود في سننه (٦٧٨)، والترمذي في سننه (٢٢٤)، والنسائي (٢/ ٩٣، ٩٤. المجتبى)، وابن ماجه (١٠٠٠، ١٠٠١)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٩٠، ٩٧، ٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٦١، ١٦٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٩٣)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٠. (٤٣٨)] كتاب الصلاة، ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وأبو داود في سننه (٦٨٠) كتاب الصلاة، باب صف النساء وكراهية التأخر عن الصف الأول، وابن ماجه في سننه (٩٧٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٣٤، ٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٤)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٢. (٤٣٢)] كتاب الصلاة، ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام علىٰ الصف الأول والمسابقة إليها، وأبو داود في سننه (٦٧٤) كتاب الصلاة، باب من يستحب أن يلي الإمام في الصف وكراهية التأخر.
وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٤٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٣) كتاب الأذان، ٧٤. باب إقامة الصف من تمام الصلاة، ومسلم في صحيحه [١٢٤. (٤٣٣)] كتاب الصلاة، ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٣) كتاب الأذان، ٧٤. باب إقامة الصف من تمام الصلاة.

وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري»[١].

وفي رواية للبخاري: «وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه»[٢].

وروينا فيهما أيضًا من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «لتسوُّن صفُوفكُم، أو ليخالفنَّ الله بين وجُوهكُم»[٣].

وروينا في سنن أبي داود بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلىٰ ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا ويقول: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» وكان يقول: «إن الله وملائكته يصلون علىٰ الصفوف الأول»[٤].

وفيهما أيضًا بإسناد صحيح من حديث ابن عمر: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسُدوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم» لم يقل عيسىٰ: «بأيدي إخوانكم ولا تذروا فُرُجات للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله»[٥].

وفيهما بإسناد علىٰ شرط مسلم من حديث أنس رصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق فوالذي نفسي بيده إني لأرىٰ الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحَذَف»[٦] أي غنم صغار سود تكون باليمن.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٩) كتاب الأذان، ٧٢. باب إقبال الإمام علىٰ الناس عند تسوية الصفوف، والنسائي (٢/ ٩٢، ١٠٥. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٥) كتاب الأذان، ٧٦. باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم في الصف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٧) كتاب الأذان، ٧١. باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها، ومسلم في صحيحه [١٢٧. (٤٣٦) كتاب الصلاة ٢٨. باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام علىٰ الصف الأول والمسابقة إليها، وأبو داود في سننه (٦٦٣) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٧) وأبو عوانة في مسنده (٢/ ٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٦٦٤) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٣، ٢/ ٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٥٦، ١٥٥٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣١٨).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٦٦٦) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٦٦٧) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٩٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٤٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣١٨).

وفيهما بإسناد حسن عنه[١] «أتموا المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر » .

وفيهما أيضًا بإسناد علىٰ شرط مسلم من حديث عائشة: «إن الله وملائكته يصلون علىٰ ميامن الصفوف» .

وفيهما من حديث أبي هريرة: «وسطوا الإمام وسدوا الخلل»[٢].

وفي صحيح مسلم من حديث البراء كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه، يقبل علينا بوجهه، فسمعته يقول: «رَبِّ قني عذابك يوم تَبعثُ عبادك»[٣]. وحاصل هذه الأحاديث فضل إتمام الصفوف وفضل أولها وتسويتها وتراصّها وميامنها وتوسط الإمام والترغيب في إتمامها والأمر والتحضيض وهما في الحديث الثالث عشر.

والأول والثاني مرغب في الصف الأول إجمالًا والثالث تفصيلاً: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحِجر: ٢٤] والتهاون عن تخالف القلوب اعتقادًا وتباغضًا[٤] كما في الحديث الخامس.

وإحراز إتمام الصلاة وإقامتها المطلوبة كما في السادس، والحرص علىٰ تحسين ما يحب الله ورسوله كما في السابع، والاحتراز عن المخالفة بين الوجوه، وسحائم

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٦٧١) كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، والنسائي (٢/ ٩٣. المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١٣٢، ٢٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٩٠ الموارد).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٦٨١) كتاب الصلاة، باب مقام الإمام من الصف، وابن ماجه (١٠٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٣١٩٣. الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢. (٧٠٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٨. باب استحباب يمين الإمام، وأبو داود (٦١٥) كتاب الصلاة، باب الإمام ينحرف بعد التسليم، والترمذي في سننه (٣٣٩٨، ٣٣٩٩)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٠، ٢٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢ / ١٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٧٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٤٤).

(٤) في قوله ﷺ: «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم» قيل: معناه يمسخها ويحولها عن صورها لقوله ﷺ: «يجعل الله تعالىٰ صورته صورة حمار»، وقيل: يغير صفاتها والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال تغير وجه فلان عليَّ أي ظهر لي من وجهه كراهة لي وتغير قلبه عليَّ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن. [النووي في شرح مسلم (٤/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

المخالفة بين القلوب كما في الثامن. والترغيب فيما كان الشارع يعتني به أشد الاعتناء كما في التاسع.

ومن اعتنائه تخللها من صف إلىٰ صف كما في العاشر امتثالًا للأوامر الشريفة من إقامة الصفوف ومحاذاة المناكب، والحذر من ترك فرجات الشيطان كما في الثاني عشر.

والترغيب في ميامن الصفوف(١) كما في الرابع عشر والتيمن بوجه الإمام أول إقباله عليهم كما في الأخير.

فصل في فضل السنن الراتبة مع الفرائض

وبيان أقلها وأكملها وما بينهما أي أوسطها وغير ذلك مما يتعلق به.

روينا في صحيح مسلم عن أم حبيبة رملة(٢) أم المؤمنين مرفوعاً: « ما من عبد مسلم يصلي لله تعالىٰ كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة، أو إلا بُنِيَ له بيت في الجنة »(٣).

ويا بشرى من وقع له ذلك، فإنه دال علىٰ حُسن الخاتمة.

---

(١) في حديث البراء: "كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون علىٰ يمينه" قال النووي: قال القاضي: يحتمل أن يكون التيامن عند التسليم، وهو الأظهر لأن عادته ﷺ إذا انصرف أن يستقبل جميعهم بوجهه قال: وإقباله ﷺ يحتمل أن يكون بعد قيامه من الصلاة أن يكون حين ينفتل [النووي في شرح مسلم (٥/ ١٨٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب، أم حبيبة، القرشية، الأموية، أم المؤمنين أخرج لها: البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة توفيت سنة (٤٢، ٤٤) وقيل (٤٩) وقيل (٥٠) ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٩)، وتقريب التهذيب (٢/ ٥٩٨)، والثقات (٣/ ١٣١)، وأسد الغابة (٧/ ١١٥)، وأعلام النساء (١/ ٣٩٧)، والسمط الثمين (١١١)، الكاشف (٣/ ٤٧١)، والاستيعاب (٤/ ١٨٤٣) والإصابة (٧/ ٦٥١)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٢٦٨) والخلاصة (٣/ ٣٨٢، ٤٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٣. (٧٢٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٥. باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٩٦).

قال النووي بعد ما ذكر روايات هذه السنن: قال أصحابنا وجمهور العلماء بهذه الأحاديث كلها واستحبوا جميع هذه النوافل المذكورة في الأحاديث ولا خلاف في شيء منها عند أصحابنا إلا في الركعتين قبل المغرب ففيهما وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحب والصحيح عند المحققين استحبابهما بحديثي ابن مغفل. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: «صل ركعتين قبل الظهر ومثلهما بعدها، وركعتين بعد الجمعة وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء»[١].

وفيهما من حديث عبد الله بن مغفل الأمر بركعتين قبل المغرب[٢].

وفي البخاري من حديث عائشة كان لا يدع أربعًا قبل الظهر[٣].

وفي مسلم فعلها أيضاً.

وفي أبي داود والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أم حبيبة: «من حافظ علىٰ أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها حرمه الله علىٰ النار[٤] وفيه من حديث عائشة أنه لم يكن علىٰ شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه علىٰ ركعتي الفجر[٥].

وفي البخاري عنها: كان لا يدع أربعًا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة[٦].

وفي مسلم عنها: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وإنهما أحب إليَّ من الدنيا جميعها»[٧].

وفي أبي داود بإسناد جيد من حديث بلال في ركعتي الفجر: «إنك أصبحت جداً»، قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما "[٨].

وفي الصحيحين من حديث عائشة وغيرها تخفيفهما، وفي مسلم من حديث ابن عباس أنه كان يقرأ في الأولى منهما ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البَقَرَة: ١٣٦]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٧٢) كتاب التهجد، ٢٩. باب التطوع بعد المكتوبة، ومسلم في صحيحه [١٠٤. (٧٢٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٥. باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٣) كتاب التهجد، ٣٥. باب الصلاة قبل المغرب، ومسلم [٣٠٢. (٨٣٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٥٥. باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٢) كتاب التهجد ٣٤. باب الركعتين قبل الظهر.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٦٩) كتاب الصلاة، باب الأربع قبل الظهر وبعدها، والترمذي (٤٢٨)، والنسائي (٣/ ٢٦٦. المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٢)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٩٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١١٦٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٥٥٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٩٤، ٧/ ٣٦).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٥٤) كتاب الصلاة، باب ركعتي الفجر.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٨٢) كتاب التهجد، ٣٤. باب الركعتين قبل الظهر.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٦ ـ (٧٢٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤. باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما.

(٨) أخرجه أبو داود (١٢٥٧) كتاب الصلاة باب في تخفيفهما.

الآية التي في البقرة "وفي الثانية ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1] وفي رواية له وفي الثانية التي في آل عمران ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤] الآية[2].

وفيه من حديث أبي هريرة: قراءة سورة الإخلاص فيهما[3].

وفي الترمذي محسْنًا من حديث ابن عباس: «رَمقت رسول الله ﷺ شهرًا يقرأهما فيهما»[4] والكل سُنة.

ويستحب الاضطجاع بعدهما علىٰ جنبه الأيمن فقد صحت الأحاديث فيه وسواء كان تهجد بالليل أم لا ؛ ففي البخاري من حديث عائشة: «أنه كان إذا صلىٰ الفجر اضطجع علىٰ شقه الأيمن»[5].

وفي مسلم عنها فعله لها وكان تهجد ليلاً، وفي أبي داود وللترمذي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح[6]: «إذا صلىٰ أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع علىٰ يمينه» قال الترمذي: حسن صحيح.

فرع: في جامع الترمذي محسَّنًا من حديث عبد الله بن السائب أن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح»[7].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٧١) كتاب التهجد، ٢٨. باب ما يقرأ في ركعتي الفجر، ومسلم في صحيحه [٩٢ ـ (٧٢٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤. باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٩ ـ (٧٢٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤. باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما، وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٠ ـ (٧٢٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤. باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، مسلم في صحيحه [٩٨ . (٧٢٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٤. باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما.

(٤) الترمذي في سننه (٤١٧) في الصلاة، باب ما جاء في تخفيف ركعتي الفجر.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٠) كتاب التهجد، ٢٣. باب الضجعة علىٰ الشق الأيمن بعد ركعتى الفجر.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٦١) كتاب الصلاة، باب الاضطجاع بعدها، والترمذي في سننه (٤٢٠) في الصلاة، باب ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتى الفجر، وابن حبان في صحيحه (٦١٢. الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٢٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٠٦).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه (٤٧٨) في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند الزوال، وأحمد في =

قلت: وهذه سُنة الزوال، ومتى أُخرَت عن أوائله فاتت. والنووي في رياضه جعلها مضافة إلىٰ رابعة الظهر، لكن بوَّب باب سنة الظهر.

فرع: في جامع الترمذي من حديث عائشة وقال: حسن، أنه ﷺ كان إذا لم يصلي أربعًا قبل الظهر صلاهُن بعدها[(١)].

فرع: في جامع الترمذي من حديث عليٰ أنه ﷺ كان يصلي قبل العصر أربعًا بتسليم[(٢)].

وفي أبي داود من حديث عمر: «رحم الله امرءًا صلىٰ قبل العصر أربعًا»[(٣)] وقال في كل منهما حديث حسن.

وفي أبي داود من حديث عليٰ أنه ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين[(٤)].

فكلٌ سنة، ويا سعادة من دخل في دعوته الجامعة.

فرع: في سُنَّة العشاء قبلها، فيه حديث: «بين كل أذانين صلاة»[(٥)].

فرع: ثبت بعد الجمعة أربع وأنها في البيت وركعتان وكل النوافل كذلك إلا ما استثنى.

وقال الغزالي: ست ركعات بعدها.

= مسنده (٣/ ٤١١)، (٥/ ٤١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١١٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٠٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤٢٦) في الصلاة، باب منه. ما جاء في الركعتين بعد الظهر.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٩) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٣٢٧)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٤٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١١٧١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٧١) كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر، والترمذي في سننه (٤٣٠) في الصلاة، باب ما جاء في الأربع قبل العصر، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٦١٦. الموارد) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٠٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١٢١٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٢٧٢) كتاب الصلاة، باب الصلاة قبل العصر.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٧) كتاب الأذان، ١٦. باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء، ومسلم في صحيحه [٣٠٤. (٨٣٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٥٦. باب بين كل أذانين صلاة، وأبو داود في سننه (١٢٨٣)، والترمذي (١٨٥)، وابن ماجه (١١٦٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ٨٦، ٥/ ٥٤، ٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٩)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٨٧، ١٧٧٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٥١، ٣٥٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣١).

فرع: يستحسن أن ينتقل للنفل من موضع فرضه، أو الفصل بينهما بكلام، كما أخرجه مسلم من حديث معاوية.

فرع: الوتر محثوث علىٰ فعله وهو سُنَّة ووقته ما بين فعل الفريضة والفجر.

ومحل الخوض في ذلك في كتب الفروع.

فصل

روينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أوصاني خليلي بركعتى الضحى»(١).

فينبغي المداومة عليهما عملًا بالوصية النبوية.

وفي مسلم من حديث أبي ذر: أنها تجزئ عن جميع صدقات السلاميات(٢).

وفيه من حديث زيد بن أرقم: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»(٣).

فصل

روينا في الصحيحين من حديث أبي قتادة مرفوعًا: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتىٰ يصلي ركعتين»(٤).

ومن حديث جابر قال: أتيت النبيﷺ وهو في المسجد فقال: «صلي ركعتين»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٧٨) كتاب التهجد، ٣٣. باب صلاة الضحى في الحضر ورقم (١٩٨١) كتاب الصوم، ٦٠. باب صيام أيام البيض، ومسلم في صحيحه [٨٥ (٧٢١)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٣. باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث علىٰ المحافظة عليها، قال النووي: قوله: "أوصاني خليلي" لا يخالف قوله ﷺ: «لو كنت متخذًا من أمتى خليلاً...» لأن الممتنع أن يتخذ النبيﷺ غيره خليلًا ولا يمتنع اتخاذ الصحابى وغيره النبي ﷺ خليلاً. [النووي في شرح مسلم (١٩٨/٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤ (٧٢٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٣. باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث علىٰ المحافظة عليها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٣. (٧٤٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٩. باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، وأحمد في مسنده (٤. ٣٦٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٤٩/٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٢٧).

(٤) البخاري في صحيحه (١١٦٣) كتاب التهجد ٢٥. باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ومسلم في صحيحه [٦٩. (٧١٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١١. باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٦٦) كتاب التهجد، ٢٥. باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، =

فصل في استحباب ركعتين بعد الوضوء

فيه قصة بلال مع رسول الله ﷺ[1] أخرجاه.

فصل في سجود الشكر

فيه حديث سعد بن أبي وقاص في سنن أبي داود.

فصل في فضل قيام الليل ومتعلقات القيام

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾[2].

أمر الله تعالىٰ أحب الخلق إليه وأكرمهم لديه به وتقديم " من الليل " مُشعر بالاهتمام بشأنه وتفخيم قيامه ومادته مُشعرة برفض النوم وإن شقَّ علىٰ النفس. فالليل وقت المناجاة، واقتطاف ثمار وصال الأحبة وهو رأس مال المريد، وبه يحصل المزيد، ومعنى " نافلة لك " زيادة في الربح والفضل.

و﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] لا مرغب مثله، إذ أمر يرجى به ذلك يقبل عليه، ولا يُفرِّط ولهان لديه، ويهتم به أشد الاهتمام ويعول عليه.

وقال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[3] الآية وهذا مدح منه لهم تعالىٰ.

= ومسلم في صحيحه [٧١. (٧١٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١١. باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهية الجلوس قبل صلاتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤٩) كتاب التهجد، ١٧. باب فضل الطهور بالليل والنهار ومسلم في صحيحه [١٠٨. (٢٤٥٨)] كتاب فضائل الصحابة، ٢١. باب من فضائل بلال رضي الله عنه.

(٢) سورة الإسراء (٧٩).
أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «صلاة الليل» ولهذا أمر تعالىٰ رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجد ما كان بعد نوم، واختلف في معنى قوله تعالىٰ: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] فقيل: معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة، وقيل: إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة علىٰ الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التى عليه، وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] أي: افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالىٰ [تفسير ابن كثير (٣/٥٦)].

(٣) سورة السجدة (١٦).
يعنى بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع علىٰ الفرش الوطيئة، قال مجاهد والحسن في قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] يعني بذلك قيام الليل، وعن أنس =

ويتحيل بأن لا مؤمن بآياته سواهم، فالمهمة إليهم تتعالى، وقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعَام: ٥٢] بيان أن ذلك لاحق منهم ولا أهم وأعنى بالعبادة.

وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] ما أحسنه من أجر، وما ألطفه من وفاء، وما أدهشه وأطربه وأرقصه وأهيجه وأعجبه، وقال تعالىٰ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذّاريَات: ١٧] .

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتىٰ تتفطر قدماه،[(١)] فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكوراً»[(٢)].

وعن المغيرة[(٣)] نحوه. أخرجاه.

وكان يقتضي المداومة أو الأكثرية.

والتَّفطُّر: التشقق وهو أبلغ من التورّم، لأن التورّم مبادئه.

وفي قوله: «أفلا أكون عبدًا شكوراً».

الإشعار بمزية قيام الليل علىٰ غيره من العبادات.

وروينا فيهما من حديث علىٰ أنه ﷺ طرقهُ وفاطمة ليلًا وقال: «ألا تصليان»[(٤)] طرَقهُ: أتاه ليلاً.

= وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبي حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين، وعن أنس أيضًا هو انتظار صلاة العتمة [تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٥)].

(١) حتى تتفطر، وفي رواية تفطرت رجلاه، معنى تفطرت تشققت، قالوا: ومنه فطر لصائم وأفطره لأنه خرق صومه وشقه، قال القاضي: الشكر معرفه إحسان المحسن والتحدث به، وسميت المجازاة علىٰ فعل الجميل شكرًا لأنها تتضمن الثناء عليه وشكر العبد الله تعالىٰ اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته علىٰ طاعته، وأما شكر الله تعالىٰ أفعال عباده مجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنعم به عليهم فهو المعطى والمثنى سبحانه، والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٣٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) حديث عائشة أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة الفتح، باب قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفَتْح: ٢]، ومسلم في صحيحه [٨١. (٢٨٢٠)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٨. باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٣٠) كتاب التهجد، ٦. باب قيام النبي ﷺ بالليل حتىٰ تورم قدماه، عن المغيرة، ومسلم في صحيحه [٧٩. (٢٨١٩)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٨. باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، عن المغيرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٢٧) كتاب التهجد، ٥. باب تحريض النبي ﷺ علىٰ صلاة الليل =

وفيه اهتمام شديد بأمرهما وحثهما علىٰ الصلاة والاستنكار لتركه وتعجب من الإخلال به[(١)].

وروينا فيهما أيضًا من حديث سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل»[(٢)].

قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فتمنى ذلك له، فدل علىٰ الاعتناء به وقد جَدَّ فيه، ومن حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[(٣)].

يحتمل إنه كان يقومه كله، فمل فترك ما وظَّفه علىٰ نفسه أو تركه جملة من باب من طلبه كله فاته كله، ويحتمل أنه ترك القيام، فلا تك مثله في الترك.

وروينا فيهما من حديث ابن مسعود قال: ذُكِرَ عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتىٰ أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه» أو قال: «في أذنه»[(٤)].

= والنوافل من غير إيجاب وطرق النبي ﷺ فاطمة وعليا. عليهما السلام. ليلة للصلاة، ومسلم في صحيحه [٢٠٦. (٧٧٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٨. باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتىٰ أصبح.

(١) قال النووي في قوله: "سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: «وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً»" المختار في معناه أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته له علىٰ الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه، وقيل: قاله تسليمًا لعذرهما وأنه لا عتب عليهما، وفي هذا الحديث الحث علىٰ صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم. [النووي في شرح مسلم].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٢٢) كتاب التهجد، ٢. باب فضل قيام الليل، ومسلم في صحيحه [١٤٠. (٢٤٧٩)] كتاب فضائل لصحابة، ٣١. باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٥٢) كتاب التهجد، ١٩. باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، ومسلم في صحيحه [١٨٥. (١١٥٩)] كتاب الصيام ٣٥. باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فَوَّت به حقًا أو لم يفطر العيدين والتشريق.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤٤) كتاب التهجد، ١٣. باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، ورقم (٣٢٧٠) كتاب بدء الخلق، ١١. باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم في صحيحه [٢٠٥. (٧٧٤)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٨. باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتىٰ أصبح.

قال النووي: اختلفوا في معناه فقال ابن قتيبه: معناه أفسده يقال بال في كذا إذا أفسده، وقال المهلب والطحاوي وآخرون: هو استعارة وإشارة إلىٰ انقياده للشيطان وتحكمه فيه وعقده علىٰ قافية رأسه: عليك ليل طويل، وإذلاله له، وقيل: معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه؛ يقال لمن استخف بإنسان وخدعه: بال في أذنه وأصل ذلك في دابة تفعل لك بالأسد إذلالًا له، وقال الحربي: معناه ظهر عليه وسخر منه. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية].

يحتمل منعه ذلك عن القيام وذمَّه لتعاطي ما يُمكِّن به منه الشيطان حتىٰ عطَّل عليه الخير العظيم.

ويحتمل أن نومه سبب بول الشيطان، وغير خاف أن بوله مفسد لقوة السمع النافع من قرآن وغيره، وإنها لمصيبة ما مثلها: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٢] .

ورواية البخاري مؤذنة بأن الرجل لم يُصلِّ العشاء نفسها. وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا «يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس أحدكم ثلاث عُقد إذا نام بكل عقدة يضرب: عليك ليل طويل، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلىٰ انحلت العقد، فأصبح نشيطًا طيِّب النفس وإلاَّ أصبح خبيث النفس كسلان»[1] .

قافية الرأس آخره.

والنشاط ذكر للترغيب في القيام، كما أن ضده للتنفير من تركه المفسدة بالخبث للنفس الباطنة وبالكسل للأعضاء الظاهرة.

وروينا في جامع الترمذي وقال حسن صحيح من حديث عبد الله بن سلام قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام»[2] .

وما أحسن هذا وأجمعه للسعادتين الشامل لهما قوله جل جلاله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[3] ناهيك به فوزاً.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة، صلاة الليل»[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤٢) كتاب التهجد، ١٢. باب عقد الشيطان علىٰ قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، ومسلم في صحيحه [٢٠٧. (٧٧٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٨. باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتىٰ أصبح، وأبو داود في سننه (١٣٠٦)، وابن ماجه (١٣٢٩) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٠١، ٣/ ١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه (٢٤٨٥)، (٣٢٥١)، وابن ماجه في سننه (١٣٣٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٣١، ٤/ ١٦٠) وأحمد مسنده (٥/ ٤٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٤٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٠٧) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٦٩).

(٣) سورة آل عمران (١٨٥).

(٤) أخرجة مسلم في صحيحه [٢٠٢. (١١٦٣)] كتاب الصيام، ٣٨. باب فضل صوم المحرم، وأبو =

وروينا في الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: « صلاة الليل مثنى، فإذا خِفْتَ الصبح فأوتر بواحدة»(١).

المراد الركعات، ويبعد إرادة الذكر والدعاء بدليل باقى الحديث.

وروينا فيهما من حديثه أيضاً: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة(٢).

وروينا في صحيح البخاري من حديث أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتىٰ نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتىٰ نظن أن لا يفطر، وكان لا تشاءُ أن تراه من الليل مصلّيًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته»(٣).

فيحتمل كان يكثر منهما، ويحتمل أنه كان يفعل نشاطه.

وروينا فيه من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ «كان يصلي إحدى عشرة ركعة يعني في الليل، يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر، ثم يضطجع علىٰ شقه الأيمن حتىٰ يأتيه المنادي للصلاة "(٤).

وهذه الإحدى عشرة الظاهر أنها كانت صلاته كلها، ويحتمل أن يكون الوتر الذي خاتمه التهجد.

ويبعده حديث عائشة الآتي علىٰ الوتر.

= داود (٢٤٢٩)، والترمذي (٧٤، ٤٣٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٧). المجتبى، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤، ٥٣٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٩٠) كتاب الوتر، ١. باب ما جاء في الوتر، ومسلم في صحيحه [١٤٧. (٧٤٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٠. باب صلاة الليل مثنى والوتر ركعة من آخر الليل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٩٥) كتاب الوتر، ٢. باب ساعات الوتر، ومسلم في صحيحه [١٥٧. (٧٤٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٠. باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل، والترمذي في سننه (٤٦١) في الصلاة، باب ما جاء في الوتر بركعة، وابن ماجه (١١٧٤، ١٣١٨)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤١) كتاب التهجد، ١١. باب قيام النبي ﷺ بالليل ونومه، وما نسخ من قيام الليل، ورقم (١٩٧٢) كتاب الصوم، ٥٣. باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، وكذا رقم (١٩٧٣)، ورقم (٣٥٦١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٢٣) كتاب التهجد، ٣. باب طول السجود في قيام الليل، والنسائي في قيام الليل باب (٣٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٣، ٤٤).

وروينا في الصحيحين[١] من حديثها أيضاً، قالت: "ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره علىٰ إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حُسنهنَّ وطُولهنَّ، ثم يصلي ثلاثًا"، قالت عائشة: "يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟"، فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي».

وروينا فيهما أيضًا من حديثها أنه ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي[٢].

وهو دال علىٰ أفضلية الأخير.

وفيهما أيضًا من حديث ابن مسعود قال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ، فلم يزل قائمًا حتىٰ هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت؟

قال: أن أجلس وأدَعَه[٣] أي من الزيادة في التطويل.

وروينا في صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنهما قال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها[٤] يقرأ مترسلاً، إذا مر بأيه فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤٧) كتاب التهجد، ١٦. باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، ومسلم في صحيحه [١٢٥. (٧٣٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٧. باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، والترمذي في سننه (٤٣٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤٦) كتاب التهجد، ١٥. باب من نام أول الليل وأحيىٰ آخره، ومسلم في صحيحه [١٣٩. (٧٤٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٨. باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٣٥) كتاب التهجد، ٩. باب طول القيام في صلاة الليل، ومسلم في صحيحه [٢٠٤. (٧٧٣)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٧. باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

قال النووي: فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يخالفوا بفعل ولا قول مالم يكن حراماً، واتفق العلماء علىٰ أنه إذا شق علىٰ المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود، وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٥٦)].

(٤) قال القاضي عياض: فيه دليل من يقول: إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ، بل وكله إلىٰ أمته بعده، قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني هو أصح القولين مع احتمالهما، قال: والذي نقوله: أن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التلقين والتعليم وأنه لم يكن من النبي ﷺ. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٥٥) طبعة دار الكتب العلمية].

ركع فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم» فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده» ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى» فكان سجوده قريبًا من قيامه.[(١)]

وروينا فيه أيضًا من حديث جابر قال: سُئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»[(٢)].

المراد بالقنوت القيام لأن ذكره القرآن هنا، وهى أفضل الأذكار، وأربية الساجد لا تُعارضه فالمزية لا توجد الأفضلية، ويزيل أثر السهر والسآمة ما سبق من التسبيح والسؤال والاستعاذة، وكفى بذلك (أفضلية)[(٣)].

وروينا في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: « أحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود ﷺ وأحب الصيام إلىٰ الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سُدسه، ويصوم يومًا ويفطر يوماً»[(٤)].

ووجهه أن بنومه السدس يذهب أثر السهر رأساً.

وروينا في صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعاً: « إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخره إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة »[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٣. (٧٧٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٧. باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٥. (٧٥٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٢. باب أفضل الصلاة طول القنوت، والترمذي في سننه (٣٨٧)، والنسائي (٥/ ٥٨. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٤٢١) وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٢، ٣١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٩٤ . الموارد)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٥٧).

(٣) في الأصل: "إحماضة" والتصويب واضح من السياق.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٣١) كتاب التهجد، ٧. باب من نام عند السحر، ومسلم في صحيحه [١٨٩. (١١٥٩)] كتاب الصيام، ٣٥. باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فَوَّت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، وأبو داود في سننه (٢٤٤٨)، وابن ماجه (١٧١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩٦) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٠٦، ٢/ ١٦٠)، والنسائي (٣/ ٢١٤. المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٦. (٧٥٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٣. باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٣، ٣٣١)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٧).

ومن حديث أبي هريرة كان رسول الله ﷺ إذا قام الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين[١].

قلت: يحتمل أن تكون سنة الوضوء أو نافلة مطلقة أو من جملة العدد السالف.

ومثله حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين»[٢].

أخرجه مسلم أيضاً.

وروينا فيه أيضًا من حديثها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلىٰ من النهار اثنتي عشرة ركعة»[٣].

وإنما زاد واحدة علىٰ الإحدى عشرة من أجل أن صلاة النهار لا وتر فيها مروى.

ومن حديث عمر مرفوعاً: « من نام عن حزبه أو شئ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل »[٤].

قلت: ولا مانع من أن يراد بالقراءة الصلاة وبعد صلاة الفجر إنما تكره صلاة لا سبب لها.

وروينا في سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[٥] لأنه مزيل للنوم، ولا شك في إجابة هذا الدعاء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٨. (٧٦٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٦. باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، والترمذي (٣٤٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٧. (٧٦٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٦. باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٠. (٧٤٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٨. باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنها أو مرض، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٨٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٩٥، ٢٥٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٢. (٧٤٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٨. باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، وأبو داود في سننه (١٣١٣)، والترمذي (٥٨١)، والنسائي (٣/ ٢٥٩، ٢٦٠. المجتبى) وابن ماجه (١٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٨٤، ٤٨٥)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٢٦)، والشجري في أماليه (١/ ٢٢١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٠٨) كتاب الصلاة، باب قيام الليل، ورقم (١٤٥٠) كتاب الصلاة، باب الحث علىٰ قيام الليل، والنسائي (٣/ ٢٠٥. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٣٣٦)، =

وروينا فيهما أيضًا بإسناد صحيح من حديثه، ومن حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلىٰ ركعتين جميعًا كُتب في الذاكرين والذاكرات»[١].

وروينا في الصحيحين من حديث عائشة مرفوعاً: «إذا نعس أحدكم فليرقد حتىٰ يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلىٰ وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسُبَّ نفسه»[٢].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن علىٰ لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع»[٣].

فصل في استحباب قيام رمضان ويحصل بالتراويح

روينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»[٤].

وروينا في صحيح مسلم من حديثه أيضاً: كان رسول الله ﷺ يُرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه»[٥].

= وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٠، ٤٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٧ ـ الموارد) وابن أبى شيبة في مصنفه (٢/ ٢٧١)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ١٢٠)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (١٢٣٠).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٣٠٩) كتاب الصلاة، باب قيام الليل، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٩)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (١٢٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٢) كتاب الوضوء، ٥٥ ـ باب الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة، والنعستين أو الحفقة وضوءاً، ومسلم في صحيحه [٢٢٢ ـ (٧٨٦)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣١. باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، والترمذي (٣٥٥)، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٠٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٣ ـ (٧٨٧)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣١. باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، وأبو داود في سننه (١٣١١)، والنسائي (١/ ٢١٥ ـ المجتبى) وابن ماجه (١٣٧٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٠٩) كتاب صلاة التراويح، ١. باب فضل من قام رمضان، ومسلم في صحيحه [١٧٣. (٧٥٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥ ـ باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٤ ـ (٧٥٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥ ـ باب الترغيب =

فصل في فضيلة قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾[(١)] إلىٰ آخر السورة، وسميت ليلة القدر ـ أي ليلة الشرف أو التي فيها المقادير الجسام[(٢)]، وهي خير من ألف شهر لا من ألف ليلة مثلها، بل من ثلاثين ألفاً، والإذن لشرف البشر المعظم شأنهم، وكلها سلام إما كثرته، وإما السلامة من كل آفة، فهي طالع مقبل ووقت سعيد.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[(٣)] الآيات، وهي ليلة القدر علىٰ الأصح.

وقيل: ليلة نصف شعبان، وسياق الآية يرده.

ورويناه في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه»[(٤)] ومن أرجى لياليها السبع الأواخر. أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر[(٥)]، بل والعشر كلها كما أخرجاه من حديث عائشة[(٦)]

= في قيام رمضان وهو التراويح، وأبو داود في سننه (١٣٧١) كتاب رمضان ١ ـ باب قيام شهر رمضان، والترمذي في سننه (٨٠٨) كتاب الصوم، باب الترغيب في قيام رمضان وما جاء من الفضل وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٢، ٤٩٣)، وابن شيبة في مصنفه (٢/ ٣٩٥).

(١) سورة القدر (١).

(٢) قال العلماء: وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة لقوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدّخان: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾ [القدر: ٤] ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله تعالىٰ به وتقديره له، وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها، وأجمع من يعتد به علىٰ وجودها ودوامها إلىٰ آخر الدهر للأحاديث الصحيحه المشهورة. [النووي في شرح مسلم (٨/ ٤٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الدخان (٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠١٤) كتاب فضل ليلة القدر، ١. باب فضل ليلة القدر، ومسلم في صحيحه [١٧٥. (٧٦٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥. باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

(٥) أخرجه البخاري (٢٠١٥) كتاب فضل ليلة القدر ٢ ـ باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، ومسلم في صحيحه [٢٠٥ ـ (١١٦٥)] كتاب الصيام ٤٠ ـ باب فضل ليلة القدر والحث علىٰ طلبها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢٠) كتاب فضل ليلة القدر، ٣. باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عبادة، ومسلم في صحيحه [٢١٩ ـ (١١٦٩)] كتاب الصيام، ٤٠ ـ باب فضل ليلة القدر والحث علىٰ طلبها، وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها.

وأرجاها أوتاره كما في حديثها في صحيح البخاري[١] .

وقد قيل إنها في كل ليلة من ليالي العشر الأخير، لكن ليالي الوتر أرجاها.

فرع: ليلة القدر أفضل ليالي السنة، وهى مختصَّة بهذه الأمة ولم تكن لمن قبلنا.

وفي صحيح ابن حبان من حديث أبي ذر قال: " يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر في زمن الأنبياء ينزل الوحي عليهم فاقبضوا رُفعت؟

قال: «بل هى إلىٰ يوم القيامة»[٢] .

فرع: علامتها أنها ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، وأن الشمس تطلع في ذلك اليوم لا شعاع لها.

ثم قال: وقد روى في حديثين ضعيفين في صفة الهواء ليلة القدر فقال في أحدهما: «إنها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع شمس صبيحتها ضعيفة حمراء»، وفي الأخر معناه.

ثم روى من حديث الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة[٣] قال: ذُقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين فإذا هو عذب.

فرع: قال الشافعى في القديم، ويجتهد في يومها كليلتها.

فرع: الحكمة في إخفائها اجتهاد الناس في طلبها رجاء إصابتها.

---

(١) البخاري في صحيحه (٢٠١٧) في كتاب فضل ليلة القدر، ٣ـ باب تحري ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٧)، والطحاوى في شرح معانى الآثار (٣/ ٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٧٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٢١٣).

(٣) عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي مولاهم الغاضرى، ويقال مولى قريش البزار الكوفي، ثقة، أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود في المسائل والترمذي، والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٢٣) ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/ ٤٦١)، وتقريب التهذيب (١/ ٥٣٠)، والكاشف (٢/ ٢٢٣)، وتاريخ البخاري الكبير (٦/ ١١٤)، وتاريخ البخاري الصغير (١/ ٣١٥، ٣٢٧)، والجرح والتعديل (٦/ ٤٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٩)، وحلية الأولياء (٦/ ١١٢) الثقات (٥/ ١٤٥)، روى مسلم في صحيحه [٢٢٠.(١١٦٩)] عن أُبَيِّ بن كعب وفيه "إنها ليلة سبع وعشرين فقلت: بأى شئ تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله ﷺ إنها تطلع يومئذ لا شعاع لها"، قال النووي: الشعاع بضم الشيم قال أهل اللغة هو ما يرى من ضوئها عند بروزها مثل الجبال والقضبان مقبلة إليك إذا نظرت إليها، قال صاحب المحكم بعد أن ذكر هذا المشهور: وقيل: هو الذي تراه ممتدًا بعد الطلوع، قال: وقيل: هو انتشار ضوئها، وجمعه أشعة وشُعُع بضم الشين والعين قال القاضي: قيل معنىٰ لا شعاع لها أنها علامة جعلها الله تعالىٰ لها.

فرع: يُسنّ لمن رآها كَتْمُها، قاله الماوردي.

فرع: لا عبرة بمن شكَّ فادَّعى رفعها، ولا بمن قال لا يُمكنه رُؤيتها حقيقة. والصواب بقاؤها إلىٰ يوم القيامة، ورؤيتها حقيقة.

فرع: روينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله»(١).

وظاهرة في نفي الهجوع أصلًا والنهي عن ذلك مخصوص يخرج عنه الليالي المنصوص عليها. وروينا في صحيح مسلم عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره»(٢).

فرع: روينا في الترمذي عنها ـ أعني عائشة ـ وقال حسن صحيح: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة، ليلة القدر ما أقول فيها؟

قال: قولي: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني»(٣).

فصل في حكايات مناسبة لما نحن فيه

الأولى: كان علي بن الحسين(٤) ـ رحمه الله ـ إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلىٰ الصلاة أخذته رعدة.

فقيل له: مَا لَكَ؟ فقال: ما ترون، بين يدي من أقوم ومن أناجي. ووقع حريق في بيت هو فيه، وهو ساجد فجعلوا يقولون له: النار، فما رفع رأسه حتىٰ طُفِئَت.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢٤) كتاب فضل ليلة القدر، ٥ ـ باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١١٧٤)] كاتب الاعتكاف ٣ ـ باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان والنسائي (٣/ ٢١٨ ـ المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٧٠٢، ٧٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ ـ (١١٧٥)] كتاب الاعتكاف، ٣ ـ باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، والترمذي (٧٩٦)، وابن ماجه (١٧٦٧) وأحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣١٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥١٣) كتاب الدعوات، باب (٨٥)، والنسائي في الكبرى في النعوت باب العفو، وفي عمل اليوم والليلة (صـ٢٥٧)، باب ما يقول إذا وافق ليلة القدر، وأحمد في مسنده (٦/ ١٧١).

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله، الهاشمي، المدنى زين العابدين، القرشي الأكبر، ثقة ثبت، عابد فقيه، فاضل، مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٣، ٩٤، ٩٥)، ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٥)، والكاشف (٢/ ٢٨٢)، وتاريخ البخاري الكبير (٦/ ٢٦٦)، والجرح والتعديل (٦/ ٩٧٧) وتراجم الأخبار (٣/ ١٠٩)، والثقات (٥/ ١٥٩).

فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال النار الكبرى.

وقع ببعضهما الأكلة في رجله فوُصِفَ قطعها، وقيل: إن لم تُقطَعْ مات، فقيل: اتركوه حتىٰ يدخل في الصلاة فإنه لا يحس بشيء، إذا دخل فيها.

فلما دخل قُطِعَت رجله، فلم يحس بها.

الثانية: سئل أبو حازم كيف تصلي؟

فقال: إذا قرب وقت الصلاة، أكملت الوضوء، واستقبلت القبلة، وأُمثّل الكعبة بين حاجبي والجنة عن يمينى، والنار عن شمالي والصراط تحت قدمى، والله مطلع علي، وأظُنُّ أن صلاتي تلك لا أُصلي بعدها، وأُكبِّر بتعظيم، وأقرأ بتفكُّر، وأركع بتذلل، وأسجد بتواضع، وأسلِم علىٰ التمام وأقوم علىٰ الوجل[1]، ثم لا أدري أتُقْبل مني أم يُضرَب بها وجهي.

قال له السائل: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة.

قال: وددت لو صليت في عمري صلاة واحدة مثل هذه وأكون من الفائزين.

الثالثة: عن العباس بن حمزة قال: صليت عند أبي يزيد صلاة الظهر، فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر، لم يقدر إجلالًا لاسم الله، فارتعدت فرائصه حتىٰ كنت أسمع تقعقع عظامه، فهالني ذلك.

الرابعة: عن بعضهم قال: صلَّيت خلف ذي النون العصر، فقال: الله، ثم بُهِتَ كأنه جسد ليس فيه روح من إجلاله تعالىٰ، ثم قال: أكبر فظننت أن قلبي قد انخلع من هيبة تكبيره.

الخامسة: عن سماك بن حرب قال: لما نزل في عين ابن عباس الماء، فقيل له: نُعَالِجك بشرط أن تترك الصلاة خمسة أيام.

فقال: لا والله ولا ركعة واحدة، إني حُدِّثت أنه: «من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقى الله وهو عليه غضبان»[2].

السادسة: عن عبد الواحد بن زيد[3] ـ رحمه الله ـ قال: نمت عن وردي ليلة،

---

(١) وَجِل: خاف وفزع فهو أوجل، أوجله: أخافه.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٨) والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٩٤).

(٣) عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة، القاص، البصري العابد، أخرج له أحمد في المسند، قال ابن معين ليس بشيء، وقال ابن عبد البر: أجمعوا علىٰ ضعفه انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٠٧)، وتاريخ البخاري الكبير (٦/ ٦٢)، والثقات (٧/ ١٢٤)، وسير الأعلام (٧/ ١٧٨)، والمغني (٣٨٦٩)، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٧٢).

فإذا أنا بجارية لم أر أحسن منها وجهًا عليها ثياب حرير خُضر، وفي رجليها نعلان يُسبحان، والزمامان يُقدِّسان وهي تقول: يا ابن زيد، جِدَّ في طلبي فإني طلبتك.

ثم جعلت تقول:

من يشتريني ومن يكن سكني … يا من في ريحه من الغبن

قلت: ما ثمنك؟ فأنشأت تقول:

محبة الله ثم طاعته … وطول فكر يُشَاب بالحزن

فقلت: لمن أنت؟ فقالت:

لمالك لا يرد لي ثمناً … من خاطب قد أتاه بالثمن

قال الراوي: فانتبه عبد الواحد وآلى علىٰ نفسه أن لا ينام الليل، وكان من الجماعة الذين يصلون الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة من السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ ونفعنا بهم.

السابعة: عن الشيخ أبي بكر الضرير ـ رحمه الله ـ قال: كان في جواري شاب حسن الوجه يصوم النهار ولا يُفطر، ويقوم الليل ولا ينام، فجاء يومًا وقال: يا أستاذ إني نمت عن وردي الليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق، وكأني، بجواري قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجهًا منهُنّ، وإذا فِيهنَّ واحدة سوها لم أر أقبح منها منظراً.

فقلت: لمن أنتنَّ ولمن هذه؟

فقُلنّ: نحن لياليك التي مضين، وهذه ليلة يومك فلو مِت في ليلتك هذه لكانت هذه حظُك.

ثم أنشأت تقول:

اسأل لمولاك وأرددني إلىٰ حالي … فأنت قبحتني من بين أشكالي
لا ترقُدنَّ الليالي ما حييت فإن … نمت الليالي مَهَنَ الدهر أمثالي
نحن السرور لمن نار السرور بنا … جوف الظلام بسكنى المنزل العالي
وقد أُردْت بخير إذ اوُعِظتَ بنا … فأبشر فأنت من الموالى علىٰ بالي

قال: فأجابتها جارية من الحسان تقول:

أبشر بخير فقد نلت الغنى أبدًا … في جنه الخلد في روضات جنات
نحن الليالي اللواتي كنت تخطُبنا … جوف الظلام بلوعات وزفرات[1]

---

(١) زفر: زفرًا وزفيراً: أخرج نفسه بعد مدّه إياه.

أبشر فقد نلت ما ترجو من مَلِكٍ بَرٍّ يجود بأفضال وفرجات
غدًا تراه غير محتجب تدنى إليه وتحظى بالتحيات

قال: ثم شهق شهقة خرَّ ميتًا رحمة الله عليه ونفعنا به آمين.

الثامنة: عن بعض العارفين قال: نمت عن حزبي فرأيت في المنام جارية حسناء لم أر أحسن منها وجهًا ولا أطيب منها ريحاً، فناولتني رقعة في يدها فقالت: اقرأ ما فيها، فقرأته فإذا هو:

لذذت بنومه عن خير عيش مع الولدان في غرف الجنان
تعيش مُخلَّدًا لا موت فيها وتبقى الجنان مع الحسان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

قال: فاستيقظت مرعوباً، فوالله ما ذكرتها قط إلا طار نومي.

التاسعة: قال مُضر القاري: كان رجل من العباد قلَّ ما ينام بالليل فغلبته عيناه ذات ليلة، فنام عن حزبه، فرأىٰ فيما يرى النائم كأن جارية وقفت عليه كأن وجهها القمر المستنير ومعها رق فيه كتاب.

فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قال: نعم، قالت: فاقرأ هذا الكتاب.

قال: فأخذته من يدها ففتحته، فإذا فيه مكتوب:

آلمتك لذة نوم عن نعيم غدًا مع الخيِّرات في غرف الجنان
تعيش مُخلَّدًا لا موت فيها وتنعم في الجنان مع الحسان

قال فوالله ما ذكرتها إلا ذهب عني النوم.

العاشرة: عن أحمد بن أبي الحوارى ـ رحمه الله ـ قال: قال لي أبو سليمان الداراني: يا أحمد إني مُحدثك بحديث فلا تُحدِّث به حتىٰ أموت، نمت الليلة عن وردي فإذا أنا بحوراء نبَّهتنى وتقول: يا أبا سليمان أتنام وأنا أربي لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟ وسمعته يقول: بينما أنا ساجد إذ ذهب بي النوم، وإذا أنا بها يعنى الحوراء قد ركضتنى برجلها وقالت: حبيبي أترقُد عيناك، والملك يقظان ينظر إلىٰ المتهجدين في تهجدهم بؤسًا لعين آثرت لذَّة نوم علىٰ مُناجاة العزيز. قُم فقد دنا الفراغ، ولقِي المحبُّوبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد حبيبي وقُرَّة عيني، أترقد عيناك وأنا أربي لك في الخدور[1] منذ كذا وكذا، فوثبت فزعًا وقد عرقت استحياء

(١) الخدْرُ: كل ما وَاراك من بيت ونحوه، وستر يُمدُّ للمرأة في ناحية البيت ـ وجمعها: خدور، وأخدار.

من توبيخها إياي. وأنشدوا:

يجوع للإله لكي يراه	نحيل الجسم من طول الصيام
وقام لربه في الليل حتى	أضْنَ بجسمه طول القيام
ستُجزى في جنان الخُلد حُورًا	نواعم قاصرات في الخيام
وتلقوا مع حسان ناعمات	جوار الله في دار السلام

الحادية عشرة: عن عبد الله بن نافع ـ رحمه الله ـ قال: حدثنى أبو أيوب المقدسي أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتُديم الصيام وتُطيل القيام فأتاها الملعون فقال: إلىٰ كم تُعذبين هذا الجسد، وهذه الروح لو أفطرت وقصرت عن الصلاة كان أدوم لك وأقوى.

قالت: فلم يزل يوسوس لي حتىٰ هممت بالتقصير. ثم دخلت إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ مُعتصمة بقبره، وذلك بين المغرب والعشاء فذكرت الله وصلَّيت علىٰ رسوله، ثم ذكرت ما نزل بي من وسواس الشيطان واستغفرت الله ﷻ أن يصرف عني كيده.

قالت: فسمعت صوتًا من ناحية القبر يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾[1].

قالت: فرجعت مذعورة وجلة القلب، والله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد.

الثانية عشرة: عن بعض الملوك إنه كانت له جارية اسمها جوهرة فأعتقها، فمرت بأبي عبد الله البراني وهو في كوخ له يتعبد، فتزوجت به وتعبَّدت معه فرأت في منامها خيامًا مضروبة فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟

فقيل: للمجتهدين بالقرآن، فكانت بعد لا تنام، وكانت توقظ زوجها وتقول: يا أبا عبد الله قد سارت القافلة.

وأنشدوا:

أراني بعيد الدار لا أقرب الحِمى[2]	وقد نُصِبَت للسائرين خيام
علامة طردى طول ليلي نائم	وغيري يري أن المنام حرام

الثالثة عشرة: عن أحمد بن أبي الحوارى رحمه الله.

---

(١) سورة فاطر (٦).
أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فَاطِر: ٦] [انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٥)].

(٢) الحِمَى: الموضع فيه كلأ يحمىٰ من الناس أن يرعىٰ.

قال: دخلت علىٰ أبي سليمان الداراني رحمه الله فوجدته يبكي، فقلت: ما يُبكيك؟

فقال: يا أبا أحمد ولم لا أبكي وإذا جنَّ الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبة، وافترشت أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم علىٰ خُدودهم، وقطرت من محاربهم، أشرف الجليل سبحانه وتعالىٰ فنادى جبريل لهم يناديهم ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبًا يُعذِّب أحباءه؟ أم كيف يجمل أن أعذب أقوامًا إذا جنهم الليل تملقوني، فبي حلفت إذا وردوا علىٰ القيامة أكشف لهم عن وجهي حتىٰ ينظروا إليَّ وأنظر إليهم.

الرابعة عشرة: عن ذي النون المصري(١): سمعت بعض المجتهدين بساحل الشام يقول: إن لله عبادًا عرفوه بيقين معرفته فشمَّروا قصدًا إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعَّموا فيها بطول الأحزان فما نظروا إليها بعين الرغائب وما تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بذلوا مُهج أنفسهم في رضى سيدهم، نصبوا الآخرة نُصب أعينهم، لبسوا من اللباس أطمارًا بالية، وسكنوا من البلاد قفرًا خالية هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الأحزان فلو رأيتهم لرأيت قومًا قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل أعضاءهم بخناجر التعب خِمص لطول السُّرَى، شُعثُ لفقد الكَرى، قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا النقلة والارتحال وفي مثلهم قال القائل:

أنت بالصدق قد خَبَرتَ رجالا	قد أطالوا البكاء إذا الليل طالا
وملأت القلوب منهم بنوره	من يقين اليقين يا من تعالا
وتوليتهم وكنت دليلاً	وكسوت الجميل منهم جمالا
فإذا الظلام جنَّ عليهم	وصلوا بالكلال منهم كلالا
عفَّرُوا بالتراب منهم وجوهاً	ذاك لله خشية وابتهالا
بما جدت للمنام منهم عيون	فاستطار المنام عنهم وزالا

الخامسة عشر: خرج عابد من عباد البصرة يشتري حزمة حطب، فسمع الإقامة

---

(١) ذو النون المصري الزاهد. رحمه الله. اسمه ثوبان بن إبراهيم ويقال: أبو الفيضى بن أحمد ويقال ابن إبراهيم أبو الفيض، قال الدارقطني: روى عن مالك أحاديث فيها نظر، وكان واعظًا وقال ابن يونس: كان عالمًا فصيحًا حكيماً. أصله من النوبة. [تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١ . ٢٥٠)].

في بعض المساجد فمال إليه وترك السوق.

فرأىٰ صرة في طريقه مكتوب عليها فيها مائة دينار فتركها وأقبل علىٰ صلاته، ثم رجع إلىٰ السوق فاشترى حزمة الحطب ودخل بها بيته.

فلما حلَّها وجد الصرة فيها، فرفع رأسة إلىٰ السماء وقال: اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك فلا تنساه في وقت طاعتك وخدمتك، وجعل يقول: لو أقبلت في خدمته ونهيت نفسك عن معصيته ولِّيت لطائف إحسانه ونعمته.

وأنشدوا:

قلوب العارفين تحنُّ حتى ... تحل بقربه في كل راج[1]

صفت في ورد مولاها فليست ... لها من ورد مولاها من براح

السادسة عشر: عن الشيخ مطهر السعدى أنه بكى شوقًا إلىٰ الله ستين سنة فرأى في النوم كأنه بجنب نهر يجرى بالمسك الأذفر[2]، حافتاه شجر اللؤلؤ، وقضبان الذهب، وإذا بجواري مزَّينات يقُلن بصوت واحد: سبحان المُسبَّح بكل لسان سبحانه.

سبحانه الموجود بكل مكان سبحانه، سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه

فقلت: من أنتنَّ؟ فقلن: من الرحمن سبحانه. فقلت: ما تصنعن؟ فقُلن:

برأنا إله الناس رب محمد ... لقوم علىٰ الأقدام بالليل قُوَّمُ

يُناجون رب العالمين إلههم ... فتسرى هموم القوم والناس نُوَّمُ

السابعة عشرة: عن الشيخ عبد الواحد بن زيد[3] قال: أصابتني علة في ساقي، فكنت أتحامل عليها في الصلاة فقمت عليها من الليل فأجهدت وجعاً، ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه ونمت فبينا أنا كذلك إذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنًا تخطر بين جوار مزيَّنات حتىٰ وقفن عليَّ وهُنَّ خلفها فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا توقظنه ففعلن فقالت لغيرهن: افرشن له، ومهدن ووطئن ووسدنه ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثيلًا ووضعن تحت رأسي مرافق خضرًا

---

(١) راجت السلعة رواجاً: كثر طلابها.

(٢) زفر الشئ زفراً، اشتدت رائحته فهو ذفر وهى ذفرة وهو أذفر وهى ذفراء.

(٣) قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سلمان: أصاب عبد الواحد الفالج فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضأ انطلق وإذا رجع إلىٰ سريره فُلِجَ، وعن محمد بن عبد الله الخزاعي قال: صلىٰ عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة [تاريخ الإسلام وفيات (١٥١. ١٦٠)].

حسانا، ثم قالت للاتي حملنني اجعلنه علىٰ الفراش رويدًا لأنهجنه، فجُعلت علىٰ تلك الفراش.

ثم قالت: احففنه بياسمين فحففن به الفراش، ثم قامت إليَّ فوضعت يدها علىٰ موضع العلة التي كنت أجد، فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلىٰ صلاتك غير مضرور فاستيقظت والله كأني نشطت من عقال فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتي تلك ولا ذهب من فمي حلاوة منطقها السالف.

مجلس في الحج

فيه آيات: الأولى: قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

أي كفر بفريضته أو كفر بالآيات التي في المقام، واللام لام الاستحقاق، فهو تصريح بالوجوب والاستحقاق وذكر اسم الألوهية مع معنى وعموم وجوبه المتعلق بالناس كافة والاستطاعة معتبرة في وجوب مباشرته بالإجماع، لكنها مختلفة بين أهل الاتباع فعند الإمام مالك إنها حاصلة بقوة المشي عند الإطاقة، وعند الباقى الآية مظنة المشقة والطاقة. وقد روي عن سيد الأنام من طرق تفسيرها بالزاد والراحلة[2] وفيه مقنع لمن اعتبر ووالي وابتصر، وفرق بين استطاعة واستطاعة فيه. وذلك يصل إلىٰ الحقيقة، وإضافة سبيله إلىٰ البيت المفخم لعظم شأنه ومكانته ومكانه.

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران (٩٧).
هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقيل: بل هي قوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦] والأول أظهر، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك إجماعًا ضرورياً، وإنما يجب علىٰ المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع. [تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٥)].

(٢) روىٰ الترمذي في سننه (٨١٢) كتاب الحج، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانياً» وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

(٣) سورة الحج (٢٧، ٢٨).
أى نادي في الناس داعيا لهم إلىٰ الحج هذا البيت الذى أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يا رب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، فقال: نادي وعلينا البلاغ، فقام علىٰ مقامه وقيل علىٰ الحجر، وقيل علىٰ الصفا، وقيل علىٰ أبى قبيس وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه، فيقال إن الجبال تواضعت حتىٰ بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابه كل شئ سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلىٰ يوم القيامة لبيك اللهم لبيك. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٢)].

قال مجاهد: هى منافع الدنيا والآخرة.

وعن جماعات من السلف أنهم قالوا في تفسيرها: غُفر لهم ورب الكعبة، إذ المخاطب بهذه الآية إبراهيم، فقال: رب أين يبلغ نِداي؟ فقال تعالىٰ: عليك النداء وعليَّ البلاغ.

فصعد إبراهيم علىٰ المقام وقال: عباد الله أجيبوا داعي الله. فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك داعي ربنا، لبيك.

فيقال: إنه لا يحج إلا من أجاب هذه الدعوة.

وروى إن أول من أجابه أهل اليمن.

وأول من حج آدمﷺ، حج أربعين سنة من الهند ماشياً[١]، وما من نبي إلا حجَّه.

الثالثة: قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[٢]

أي قوامًا لهم في أمر دينهم ودنياهم، فلا يزال في الأرض دين ما حجَّت، وعندها المعاش والمكاسب.

وقال الحسن وغيره في قوله تعالىٰ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣]

إنه طريق مكة.

والمعنى: أصدَّهم عن الحج.

ويؤيده ما روى عن أنس مرفوعاً: «إن لإبليس لعنه الله شياطين ومردة يقول لهم: عليكم بالحجاج والمجاهدين، فأضلوهم عن السبيل»[٤].

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلىٰ أن الحج ماشيًا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبًا لأنه قدمهم في الذكر فدل علىٰ الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم، والذي عليه الأكثرون أن الحج راكبًا أفضل اقتداء برسول ﷺ فإنه حج راكبًا مع كمال قوته ﷺ [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٢)].

(٢) سورة المائدة (٩٧).

(٣) سورة الأعراف (١٦).

يخبر تعالىٰ أنه لما أنظر إبليس ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ أي: كما أغويتني، قال ابن عباس: كما أضللتني، وقال غيره كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه علىٰ ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] أي: طريق الحق وسبيل النجاة ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياى. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٩)].

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧/ ٢٨٨)، =

الرابعة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[1] يعني مباركًا كثير الخير، وهذي متعبدهم وقبلتهم.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ أي في شأنه و ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ١٢٥][2] عطف بيان علىٰ آيات وقيل: إن الآيات: المقام والأمن، ومن آياته وقع هيبته في القلوب، وخشوع القلب عنده، وجريان الدموع لديه، وامتناع الطير من العلو والجلوس عليه، إلا أن يكون مريضًا فيجلس عليه مستشفيًا والحجر الأسود وحفظه وائتلاف الظباء والسباع فيه، وتتبعها في الحل، فإذا دخلت الحرم تركها.

والغيث إذا عم البيت كان عاماً، وإذا كان في جهة منه خصها، ولا يجيء سيل من الحل فيدخل الحرم، وإنما يخرج منه إلىٰ الحل.

والجمار كل سنة علىٰ كثرتها تمتحق، ولا يؤذي في منى ذباب ولا حدأة.

واتساعها للخلق مع ضيقها، وتعجيل العقوبة لمن غشى كأصحاب الفيل[3].

وقوله ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧][4] معناه من دخل علىٰ الصفا حصل علىٰ الوفا.

وقيل من دخله مع الشارع في عمرة القضاء.

قال تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[5] الآية.

= والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٦٢) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦٨٠).

(١) سورة آل عمران (٩٦، ٩٧).

(٢) قوله تعالىٰ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم وأن الله عظمه وشرفه ثم قال تعالىٰ: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني الذي لما ارتفع البناء استعان به علىٰ رفع القواعد منه، والجدران حيث كان يقف عليه ويناوله ولده إسماعيل وقد كان ملتصقًا بجدار البيت حتىٰ أخره عمر بن الخطاب في إمارته إلىٰ ناحية الشرق بحيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون علىٰ المصلين عنده بعد الطواف. [تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٤)].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، وهذه من النعم التى امتن الله بها علىٰ قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا علىٰ هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة.

(٤) يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية كما قال الحسن البصري وغيره: كان الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتىٰ يخرج.

(٥) سورة الفتح (٢٧).

الخامسة: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1].

أي افعلوهما علىٰ التمام.

السادسة : قوله تعالىٰ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[2] أي تحن، ولو حذف المضاف من لهجة (الملل)[3].

ويروىٰ أن الجليل جل جلاله يلحظ الكعبة في كل عام لحظة في نصف شعبان. فعند ذلك تحنُّ إليه قلوب المؤمنين.

وقيل: سببها أن الرب تعالىٰ أخذ الميثاق من بني آدم يعرفه فاستخرجهم هناك من صُلب أبيهم ونثرهم بين يديه كهيئة الذر، ثم كلمهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[4] وكتب أقدارهم في رق وأشهد فيه بعضهم علىٰ بعض ثم ألقمه الحجر الأسود. ومن أجل ذلك استحب لموافيه[5] أن يقول: «اللهم إيمانًا بك ووفاء بعهدك»[6] وهذا ينزع إلىٰ معنى حب الأوطان، فإنها دلت علىٰ أن ذلك أول الأوطان وقد قيل:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى   وحنينه أبدًا لأول منزل

وقيل لذي النون المصرى: أين أنت من قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ؟ قال كأنه بأذني.

---

(١) سورة البقرة (١٩٦).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).
قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٢] فاختص به المسلمون.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) سورة الأعراف (١٧٢).
روىٰ ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء. وقال أيضًا بسنده عن ابن عباس: إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلىٰ يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفي به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يُقرّبه لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات علىٰ الميثاق الأول علىٰ الفطرة [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٨)].

(٥) روىٰ البخاري في صحيحه (١٦٠٣) كتاب الحج، ٥٦. باب استلام الحجر الأسود حين يقدم مكة أول ما يطوف ويرمل ثلاثاً، عن ابن عمر قال: «رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يخُبُّ ثلاثة أطواف من السبع».

(٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٤٠) والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٤٩).

ويروى أن الله تعالىٰ أوحى إلىٰ الكعبة عند بنائها: «إني خالق بشرًا يحنون إليك حنين الحمام إلىٰ بيضه، ويذفون إليك ذفيف[١] النشور».

قالوا تـوق رجـال الـحـي أن لـهـم ... عينًا عليك إذا ما نمت لم تنم

إن كان سفك دمى (أغلي)[٢] مرادهم ... فما غلت نظرة منهم بسفك دمى

والله لو علمت نفسي بمن هويت ... سارت علىٰ رأسها فضلًا عن القدم

غيره

مـا بـال قـلـبـي لا يـقـر سـبـبـه ... ذكر الحجاز أثم مغناطيسة

غيره

مـا بـال قـلـبـي لا يـقـر قـراره ... حتىٰ يقضى من منى أوطاره

مـا ذاك إلا أنـه مـن شـوقـه ... يسبيه من وادي الحمى تذكاره

يا سائق الأضعان إن جزت الحمى ... سلِّم علىٰ من بالمحصب[٣] داره

واشرح له ما يلتقي مشتاقة ... من فرط شوق أحرقته ناره

يصبو إذا ذكر الحطيم وزمزم ... والركن والبيت المكرم جاره

ويهيم من شوق يفتت كبده ... إذ عز ملقاة وطال مزاره

وأما الأحاديث فكثيرة نذكر منها ثمانين حديثاً:

صح: «إن الإسلام بني علىٰ خمس»[٤] منها الحج

وصح: «إن أفضل الأعمال حج مبرور»[٥] بعد الإيمان والجهاد والمبرور المتقبل.

---

(١) ذف الطائر ذفًا وذفيفاً: أسرع، والذفيف السريع الخفيف.

(٢) في بالأصل "أقلعي".

(٣) روىٰ البخاري في صحيحه (١٧٦٦) كتاب الحج، ١٤٨ ـ باب المحصب، عن ابن عباس قال: "ليس المحصب بشيء، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ وقبله في رقم (١٧٦٥) عن عائشة: "إنما كان منزلًا ينزله النبي ﷺ ليكون أسمح لخروجه". تعنى بالأبطح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨) كتاب الإيمان ٢ ـ باب دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾، ومسلم في صحيحه [١٩.(١٦)]، (٢٠، ٢١، ٢٢) كتاب الإيمان، ٥ ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، والترمذي (٢٦٠٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦، ٩٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٨، ٤/ ٨١)، والحميدي في مسنده (٧٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٨، ٣٠٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٤٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦) كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠) ومسلم في صحيحه [١٣٥.(٨٣)] كتاب الإيمان، ٣٦. باب بيان كون =

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

وصح أيضاً: «من حج لله» وفي رواية «واعتمر فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[1] وصح أيضاً: «العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[2].

وصح أيضاً: «الحج يهدم ما قبله»[3].

وصح أيضاً: «الحج المبرور يكفر خطايا سنة»[4].

وصح أيضاً: «أفضل الجهاد حج مبرور»[5].

وصح أيضا: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»[6]. وفي لفظ: «متابعة ما بينهما يزيد في العمر والرزق» وصح: «أن الله تعالىٰ يقول: إن عبدًا أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة يمضي عليه خمسة أعوام لا يغد إلىٰ الحرم لمحروم»[7].

= الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٢١) كتاب الحج، ٤. باب فضل الحج المبرور والنسائي (٥/ ١١٤. المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٨٨٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٠) والحميدي في مسنده (١٠٠٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٤٣، ٨/ ١٢٦)، والشجري في أماليه (٢/ ٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٥٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٧٣) كتاب العمرة، ١. باب العمرة، وجوب العمرة وفضلها. ومسلم في صحيحه (٤٣٧) كتاب الحج، والترمذي في سننه (٩٣٣)، والنسائي (٥/ ١١٢، ١١٥. المجتبى) وابن ماجه في سننه (٢٨٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠).

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٤٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥٢٠) كتاب الحج، ٤. باب فضل الحج المبرور ورقم (١٨٦١) كتاب جزاء الصيد، ٢٦. باب حج النساء ورقم (٢٧٨٤) كتاب الجهاد والسير، ١. باب فضل الجهاد والسير، ورقم (٢٨٧٥)، ٦. باب جهاد النساء وكذا رقم (٢٨٧٦).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٨١٠) كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة والنسائي في الحج، ٦. باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، وابن ماجه في سننه (٢٨٨٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥، ٣٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٦٧. الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٢) وأبو نعيم في حليه الاولياء (٤/ ١١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٥، ١٨٨) والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٠٦).

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٢).

وصح أيضا: «وفد الله تعالىٰ ثلاثة: الحاج والمعتمر والغازي»[١].

وصح: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي»[٢].

وجاء: «إن النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمائة ضعف»[٣].

وجاء: «ثلاثة أصوات يباهي الله بهنَّ الملائكة الأذان، والتكبير في سبيل الله، ورفع الصوت للتلبية، وما من رجل يضع ثوبه وهو محرم فتصيبه الشمس حتىٰ تغرب إلا غربت بذنوبه»[٤].

وصح: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه كان كعتق رقبة لا يضع قدمًا ويرفع أخرى إلا حطَّ الله بها عنه خطيئة وكتب له بها حسنة، ورفع له بها درجة وكان كعدل رقبة»[٥].

وجاء: «من طاف بهذا البيت سبعًا وصلىٰ خلف المقام ركعتين وشرب ماء زمزم غُفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت»[٦].

وصح: «إن الحجر الأسود نزل من الجنة أشد بياضًا من الثلج فسودته خطايا بنى آدم، ويبعث يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق، وإن الرُّكن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب»[٧].

---

(١) أخرجه النسائي في الحج، وكذا في الجهاد باب (١١)، والبيهقى في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٢) وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤١)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠٨٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٢٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٢.(١٢٥٦)] كتاب الحج، ٣٦. باب فضل العمرة في رمضان، وأبو داود (١٩٨٨) كتاب المناسك، ٧٩. باب العمرة والترمذي في سننه (٩٣٩) كتاب الحج، باب ما جاء في عمرة رمضان، وابن ماجه في سننه (٢٩٩١ ـ ٢٩٩٥) كتاب المناسك، ٤٥. باب العمرة في رمضان.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٣٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٠).

(٤) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (١٠٨٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٩)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٥٧٣، ٣٥٩) والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٥٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤١).

(٦) أخرجه ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٨٤٣).

(٧) أخرجه النسائي (٥/ ٢٢٦. المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠٧، ٣٢٩، ٣٧٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧٦)، والعجلونى في كشف الخفا =

وجاء: «ما بين الركن اليماني والحجر الأسود روضة من رياض الجنة»[١]

و «الملتزم يُستجاب فيه الدعاء»[٢]

و «النظر إلىٰ البيت عبادة، ومن دخله دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورًا له»[٣]

وصح: «ماء زمزم طعام طُعم وشفاء سُقم، وإنه لِمَ شُرب له»[٤]

وجاء: «إن الطواف بين الصفا والمروة تعدل عتق سبعين رقبة».

وجاء: «من أحيا الليالي الأربع، وجبت له الجنة ليلة الرويَّة[٥] ، وليلة عرفة، وليلة الفطر، وليلة النحر»[٦].

وصح: «ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهى بهم ملائكته يقول: ما أراد هؤلاء»[٧]

وجاء: «مارُئي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر، ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام[٨] إلا ما رُئي يوم بدر فإنه رأىٰ جبريل نزع الملائكة » أي يقودهم.

= (١/ ٤١٧)، والعراقى في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٢).

(١) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ١٥٦).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩١٧٣، ٩١٧٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٠٦٢)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٠٢، ٢٤٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٣)، والدارقطني في سننه (٢/ ٢٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٢١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٨).

(٥) يقصد بها ليلة يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة.

(٦) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣/ ٤١٠، ٥/ ٢٠٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٢٢).

(٧) أخرجه النسائي في الحج، باب (١٨٨)، وابن ماجه في سننه (٣٠١٤) كتاب المناسك، ٥٦. باب الدعاء بعرفة، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠٤)، والدارقطنى في سننه (٢/ ٣٠١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٣٦٦).

(٨) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٧١)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٣٦٠٠) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٨)، ومالك في الموطأ (٤٢٢)، والعراقى في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤٠)، والقرطبي في التفسير (٢/ ٤١٩، ٨/ ٢٧).

وصح أيضاً: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تعالىٰ إلىٰ سماء الدنيا فيُباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلىٰ عبادي شُعثًا ضاحين جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتقًا من النار من يوم عرفة»[١].

وصح أيضاً: «إن العبد إذا وقف بعرفة فإن الله ﷻ ينزل إلىٰ السماء الدنيا فيقول: انظروا إلىٰ عبادي شُعثًا غُبراً، اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قطر الماء، ورمل عالج»[٢].

وجاء: «أفضل الأيام يوم عرفة وافق يوم الجمعة، وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة»[٣].

وجاء: «إذا كان يوم عرفه يوم جمعة غَفَرَ الله لجميع أهل الموقف».

وصح: «أفضل الأيام عند الله يوم النحر[٤]، ويوم النفر»[٥].

وجاء: "إن رامي الجمار لا يدري ما له حتىٰ يوفاه يوم القيامة".

وصح: «إن للحالق بكل شعرة سقطت من رأسه نورًا يوم القيامة».

وجاء: «أنه صلىٰ في مسجد الخيف سبعون نبيًا منهم موسىٰ، وإن به دُفِنَ آدم وقُبِرَ سبعين نبياً»[٦].

فصل

روينا من حديث ابن عباس أن امرأة قالت: يا رسول الله إن فريضة الله علىٰ عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت علىٰ الراحلة، أفأحج عنه؟ قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٥٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤٠/ ٤٣٨)، والسيوطي في الحبائك في الملائك (١٤٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٥٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٠٠،٢٠٥) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٢٧)، وفي الحبائك في الملائك (١٤٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٤٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١٠).

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠٤٤. الموارد) والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٥)، والشجري في أماليه (٢/ ٧٧).

(٥) كذا بالأصل.

(٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٥٣).

«نعم»[(١)] أخرجاه.

وروينا من حديث لقيط بن عامر أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظَّعن، قال: «حج عن أبيك واعتمر»[(٢)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فإن قلت هذا أمر استئذان فهو للإباحة.

قلت: إن سَلِم فهو لإباحة النيابة، ثم النيابة مُشعرة بالموجب.

وروينا عن السائب بن يزيد قال: «حج بي أبي مع رسول الله ﷺ حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين»[(٣)] رواه البخاري.

وروينا عن ابن عباس أن النبي ﷺ لقي ركبًا بالروحاء فقال: «مَنْ القوم» فقالوا: المسلمون فقالوا: مَنْ أنت؟ قال: «رسول الله».

فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: «نعم ولك أجر»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥١٣) كتاب الحج، ١ ـ باب وجوب الحج وفضله ورقم (١٨٥٤) كتاب جزاء الصيد، ٢٣ ـ باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة، ورقم (١٨٥٥) ٢٤ ـ باب حج المرأة عن الرجل ورقم (٤٣٩٩) كتاب المغازي، ٧٩ ـ باب حجة الوداع، ورقم (٦٢٢٨) كتاب الاستئذان، ٢ ـ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النُّور: ٢٧] الآية، ومسلم في صحيحه [٤٠٧(١٣٣٤)] كتاب الحج، ٧١. باب الحج عن العاجز لزمانه وهرم ونحوهما أو للموت.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٩٣٠) كتاب الحج، باب منه. ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت، وأبو داود في سننه (٩٣٠) كتاب المناسك ٢٥. باب الرجل يحج عن غيره، وابن ماجه (٢٩٠٤، ٢٩٠٦) والنسائي (٥/ ١١١، ٣١٧، ٨/ ٢٢٩. المجتبى) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨١)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤٤، ٤/ ١٠، ١١، ١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٢٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٣٥، ٣٠٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٩٦١ ـ الموارد)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٥٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٥٨) كتاب جزاء الصيد، ٢٥ ـ باب حج الصبيان، والترمذي في سننه (٩٢٥) كتاب الحج، باب ما جاء في حج الصبي، وقال الترمذي: وقد أجمع أهل العلم أن الصبي إذا حج قبل أن يدرك فعليه الحج إذا أدرك، لا تجزئ عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام، وكذلك المملوك إذا حج في رقه ثم أعتق فعليه الحج إذا وجد إلىٰ ذلك سبيلاً، ولا يجزئ عنه ما حج في حال رقه، وهو قول سفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠٩ ـ (١٣٣٦)] كتاب الحج، ٧٢. باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، وأبو داود في سننه (١٧٣٦) كتاب المناسك باب في الصبي يحج، والترمذي في سننه (٩٢٤) كتاب الحج، باب ما جاء في حج الصبي، والنسائي (٥/ ١٢١ ـ المجتبى) وابن ماجه في سننه (٢٩١٠) كتاب المناسك، ١١ ـ باب حج الصبي، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ =

أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أنس: «أنه ﷺ حجَّ علىٰ رحلٍ وكانت زامِلتَهُ»[١].

رواه البخاري.

وروينا فيه عن ابن عباس قال: كانت عكاظُ ومجنَّةُ وذُو المجاز أسواقًا في الجاهلية فتأثموا أن يتَّجروا في الموسم فنزلت: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: ١٩٨] أي في مواسم الحج[٢].

فصل ما بين المسجدين والمدينة ومسجدها وما يتعلق بذلك

ثبت في صحيح مسلم[٣] أنه ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريباً، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»[٤].

وجاء: «اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إليَّ فأسكني في أحب البلاد إليك».

وصح: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثًا ويَنْصعُ طيِّبُها»[٥].

وصح أيضاً: «يأتي علىٰ الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلُمّ إلىٰ الرَّخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه أي إن المدينة كالكير، تُخرج الخبيث، لا

= ٢١٩، ٢٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٥٥، ١٥٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٥٢، ٤١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩٦، ٨/ ٢٩٥)، ومالك في الموطأ (٤٢٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٥١٧) كتاب الحج، ٣. باب الحج علىٰ الرحل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥١٩) كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، ٣٤. باب ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣٢ ـ (١٤٦)] كتاب الإيمان، ٦٥ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين، وابن ماجه (٣٩٨٦، ٣٩٨٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٩).

(٤) انظر تخريجه أوله، وقد روىٰ البخاري (١٧٦) كتاب فضائل المدينة، ٦. باب الإيمان يأرز إلىٰ المدينة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلىٰ المدينة كما تأرز الحية إلىٰ جحرها».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٠٩) كتاب الأحكام، ٤٥ ـ باب بيعة الأعراب، ورقم (٧٣٢٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ١٦ ـ باب ما ذكر النبي ﷺ وحض علىٰ اتفاق أهل العلم، ومسلم في صحيحه [٤٨٩ ـ (١٣٨٣)] كتاب الحج، ٨٨ ـ باب المدينة تنفي شرارها، والترمذي (٣٩٢٠) كتاب المناقب، باب في فضل المدينة، والنسائي (٧/ ١٥١ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٨٥).

تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد»[١]

وصح أيضاً: «لا يصبر علىٰ لأواء المدينة وشدَّتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيداً»[٢].

وصح أيضاً: «من أراد أهلها ـ يعنى المدينة ـ بسوء أذابه الله تعالىٰ كما يذوب الملح في الماء»[٣].

وصح أيضاً: «لا يكيد أهل المدينة أحدا إلا انماع كما ينماع الملح في الماء»[٤]

وصح أيضاً: «إن إبراهيم حرَّم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يُقطع عضاهُها، ولا يُصاد صيدها ولا يحدث فيها حدث[٥] من أحدث حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٦] اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وأنا عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٨٧ ـ (١٣٨١)] كتاب الحج، ٨٨ ـ باب المدينة تنفي شرارها.
قال النووي: قال القاضي: الأظهر أن هذا مختص بزمن النبيﷺ لأنه لم يكن يصبر عن الهجرة والمقام معه إلاَّ من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب فلا يصبرون علىٰ شدة المدينة ولا يحتسبون الأجر في ذلك كما قال ذلك الأعرابي الذى أصابه الوعك أقلنى بيعتى هذا كلام القاضي وهذا الذى ادعى أنه الأظهر ليس بالأظهر لأن هذا الحديث الأول في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد» وهذا والله أعلم في زمن الدجال. [النووي في شرح مسلم (٩/ ١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٨٤ ـ (١٣٧٨)] كتاب الحج، ٨٦ ـ باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر علىٰ لأوائها، والترمذي في سننه (٣٩٢٤) كتاب المناقب باب في فضل المدينة، وأحمد في مسنده (٢/ ١٣٣، ٤٣٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٩)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٢٨)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٢٧٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٩٣ ـ (١٣٨٦)] كتاب الحج، ٨٩ ـ باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، وابن ماجه في سننه (٣١١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٧، ٢٧٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٧٧) كتاب فضائل المدينة، ٧ ـ باب إثم من كاد أهل المدينة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥٨ ـ (١٣٦٢)] كتاب الحج، ٨٥ ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها.

(٦) مسلم في صحيحه [٤٦٣ ـ (١٣٦٦)] كتاب الحج ٨٥ ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧٣ ـ (١٣٧٣)] كتاب الحج، ٨٥ ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، والترمذي في سننه (٣٤٥٤) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأىٰ باكورة من الثمر.

وصح أيضاً: «المدينة حرم ما بين عير إلىٰ ثور»(١).

وصح أيضاً: «اللهم بارك لنا في تمرنا ومُدِّنا وصاعنا ومدينتنا»(٢).

وجاء أيضاً: «غبار المدينة شفاء من الجذام»(٣).

والمدينة فيها قبري وبها بيتي وتربتي وحق علىٰ كل مسلم زيارتها(٤).

وصح أيضاً: «إن الإيمان يأرز إلىٰ المدينة كما تأرز الحيَّة إلىٰ حجرها»(٥).

وصح أيضاً: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»(٦).

وصح أيضاً: «لا يدخلها رُعبُ المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب علىٰ كل باب ملكان وسماها الله طابة»(٧) وفي لفظ «طيبة ومن سماها يثرب فليستغفر الله».

وصح أيضاً: «من ظلم أهل المدينة أو أخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفًا ولا عدلاً»(٨).

وجاء: «أول من أشفع له من أمتي يوم القيامة أهل المدينة وأهل الطائف»(٩).

وجاء: «رمضان في المدينة خير من ألف رمضان فيما سواه من البلدان»(١٠).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦٧ ـ (١٣٧٠)] كتاب الحج، ٨٥ ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧٣ ـ (١٣٧٣)] كتاب الحج، ٨٥ ـ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها.

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٠١).

(٤) انظر ابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٦٢) والهيثمي في المجمع (٣/ ٣١٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٧٦) كتاب فضائل المدينة، ٦ ـ باب الإيمان يأرز إلىٰ المدينة، ومسلم في صحيحه [٢٣٣ ـ (١٤٧)] كتاب الإيمان، ٦٥ ـ باب أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين، وابن ماجه في سننه (٣١١١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٦).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٨٠) كتاب فضائل المدينة، ٩ ـ باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم في صحيحه [١٣٧٩،٤٨٥)] كتاب الحج ٨٧ ـ باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٧٩) كتاب فضائل المدينة، ٩ ـ باب لا يدخل الدجال المدينة، ورقم (٧١٢٤)، (٧١٢٦) كتاب الفتن، ٢٧ ـ باب ذكر الدجال.

(٨) أخرجه بنحوه مسلم في صحيحه [٤٦٨ ـ (١٣٧٠)] كتاب الحج، ٨٥ باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها.

(٩) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٣٧٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٢٨).

(١٠) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢١٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٥٩).

وصح: «لا تُشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»[1].

وصح: «إن مسجد المدينة هو الذي أُسس علىٰ التقوى وإن صلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فإنه بمائة ألف صلاة فإني آخر الأنبياء ومسجدي آخر المساجد»[2].

وجاء: «من صلى في مسجدي أربعين صلاة كتب له براءة من النار، وبراءة من العذاب، وبرئ من النفاق»[3].

وصح: «من أتىٰ مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلَّمه أو تعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، وما جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الراحل إلىٰ متاع غيره».

وجاء: «من خرج علىٰ طُهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي حتىٰ يصلي فيه كان بمنزلة حجة»[4].

وصح: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري علىٰ حوضي»[5].

وجاء: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[6]، «ومن جاءني زائرًا لا يعلم حاجة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٦، ٧٧، ٣/ ٢٥، ٢٦)، ومسلم في صحيحه [٥١١ ـ (١٣٩٧) كتاب الحج، ٩٥ ـ باب لا تشد الرحال إلاَّ إلىٰ ثلاثة مساجد، وأبو داود في سننه (٢٠٣٣)، والترمذي في سننه (٣٢٦)، والنسائي (٢/ ٧٣ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٤٠٩، ٢٤١٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٠٧ ـ (١٣٩٤)] كتاب الحج، ٩٤ ـ باب فضل الصلاة بمَسْجِدَىْ مكة والمدينة، والنسائي في سننه (٥/ ٢١٣ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦، ٥٣، ٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب(٢/ ٢١٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٥٥)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٢١٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٨) والزبيدي في الإتحاف (٣/ ١٦، ٤/ ٤١٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٩٥، ١١٩٦) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ٥ ـ باب فضل ما بين القبر والمنبر، ورقم (١٨٨٨) كتاب فضائل المدينة، ١٣ ـ باب الذى يلي باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ورقم (٦٥٨٨) كتاب الرقاق، ٥٣ ـ باب في الحوض، ورقم (٧٣٣٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ١٦ ـ باب ما ذكر النبي ﷺ وحضَّ علىٰ اتفاق أهل العلم، ومسلم في صحيحه [٥٠٢.(١٣٩١)] كتاب الحج، ٩٢ ـ باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢)، وابن حجر في تلخيص الجبير (٢/ ٢٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤١٧، ١٠/ ٣٦٣).

إلا زيارتي كان حقًا عليَّ أن أكون شفيعًا له يوم القيامة»[١]، ولا عذر لمن كان له سعة من أمته ولم يزره.

« وما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السَّلام[٢] ومن صلىٰ علىٰ عند قبرى سمعته، ومن صلىٰ علي ثانيًا بلغته»[٣]

«ومن حج وزار قبرى بعد موتى كان كمن زارني في حياتي ومن لم يزر قبرى فقد جفاني، ومن زارني أتى المدينة متعمدًا كان في جواري إلىٰ يوم القيامة»[٤].

«ومن مات في أحد الحرمين بُعث من الأمنين يوم القيامة، واستوجب الشفاعة»[٥].

«ومن زارني كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»[٦].

وصح: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإني أشفع لمن يموت بها»[٧].

وجاء: «يبعث من مقبرة البقيع سبعون ألفًا علىٰ صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب»[٨].

و «أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكون أول من يبعث، فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلىٰ أهل البقيع فيبعثون، ثم يبعث أهل مكة»[٩] و «إن مقبرة تُضئ لأهل السماء

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٩١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٠٤١) كتاب المناسك، باب زيارة القبور، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٩).

(٣) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٨٩، ١٠/ ٣٦٥) والتبريزى في مشكاة المصابيح (٩٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢١٩)، وفي الملائك في الحبائك (٩٩).

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٣٧)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٣٨، ٣٨٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٧٢).

(٥) أخرجه الزبيدى في الإتحاف (٤/ ٤١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٥، ١/ ٢٣٧).

(٦) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٤).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه (٣٩١٧) كتاب المناقب، باب في فضل المدينة، وابن ماجه في سننه (٣١١٢) كتاب المناسك، باب فضل المدينة، وابن أبى شيبة في مصنفه (١٢/ ١٧٩)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٨٥، ٤٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٢٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٢٤٥)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٢٧٥٠).

(٨) أخرجه الزبيدى في الإتحاف (٩/ ٣٨٨، ١٠/ ٥٦٧) القول المسدد لابن حجر (٩)، وعبد الرزاق بنحوه في مصنفه (٦٧٣١).

(٩) أخرجه الترمذي (٣٦٩٢) كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ وأحمد في مسنده =

كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا».

و «من دفناه في مقبرتنا هذه شفعنا له».

وصح: «إن الصلاة في مسجد قباء كعمرة»[١].

وجاء: «من توضأ فأحسن وضوءه ثم ركع فيه أربع ركعات، كان ذلك عدل عتق رقبة»[٢].

وصح في أحد «إنه جبل يُحبنا ونحبه»[٣].

وورد: «من مات إثر حجة أو عمرة، أو عقب رمضان أو غزو، مات شهيداً».

وصح: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج»[٤].

كفىٰ شرفًا أني مضاف إليكم ... وأني بكم أدعى وأرعى وأعرف

وأما الحكايات: فخمسون حكاية بزيادة.

الأولى: حج رجل من أهل الصلاح فرأى في منامه كأن أعمال الحج تعرض علىٰ الله تعالىٰ، فقيل: فلان قال: يُكتب حاجاً، فقيل: وفلان.

قال: تاجر. أعنى بلغ إليه. فقال: يُكتب تاجراً. فقمت من نومي فقلت: ولِمَ ولست بتاجر؟ فقال: بلىٰ، حَملت كبَّة غزل تبيعها علىٰ أهل مكة.

الثانية: جاء بعض الناس إلىٰ بعض السلف فقال: أريد الحج، فقال: كم معك؟ قال: ألفا درهم. قال: أما حججت؟ قال: بلىٰ، قال: فأنا أدُلّك علىٰ أفضل من الحج،

= (١/ ٢٨١، ٣/ ٢، ٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٢)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧٨، ٤٢٤)، وابن أبى شيبة في مصنفه (١٤/ ٩٨، ١٣٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٨).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٤) في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٧، ٢٧٨)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٩١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٠٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٣)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦١) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٧)،والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١١٤) وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٧٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٩).

اقض دين مدين، فرِّج عن مكروب، فسكت. قال: مالك؟ قال: ما أريد إلا الحج. قال: إنما تريد أن تركب وتجيء[1]، ويقال: قد حج فلان.

ويروى مرفوعاً: «يأتي علىٰ الناس زمان يحج أغنياء أمتي للنزهة، وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقُراؤهم للرياء والسمعة».

الثالثة: خرجت أم أيمن بنت عليٍّ امرأة الشيخ أبي علي الروذباري من مصر وقت خروج الحاج إلىٰ الصحراء، والجمال تمر بها، وهى تبكي وتقول: واضعفاه وتنشد علىٰ إثر قولها:

فقلت دعوني واتباعى ركابكم ... أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد
وما بال رغمى لا يهون عليهم ... وقد علموا أن ليس لي منهم بُد

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت.

وللشريف الرضي رحمه الله:

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى ... فلاقى به ليلًا نسيم رُبى[2]
فإن بذاك الحي حيًّا عهدته ... وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الهوى ... بذكر تلاقينا قضيت من الوجد[3]
شممت بنجد شيحه حاجريه ... فأمطرتها دموعي وأرشتها خدي
ولي لمجلوب لي الشوق كلما ... تنفس بالك أو تألم ذو وجد
تعرض رسل الشوق والركب فأجد ... فيوقظهم من بين نوامهم وجدي
وما شرب العشاق إلا بقيتي ... ولا وردوا في الحب إلا علىٰ وِرْدِي

الرابعة: حكي عن بعض السلف أنه قال: جاءني صاحب لي فقال: رافقني رجلًا ترضاه لمرافقتى فجئته برجل له صلاح ودين. فلما كان يوم الرحيل جعل

---

(١) في حديث «إنما الأعمال بالنيات» قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده قال الشافعي وآخرون: هو ثلث الإسلام وقال الشافعي يدخل في سبعين بابا من الفقه، وقال آخرون هو ربع الإسلام، وقال جماهير العلماء: تقرير هذا الحديث أن الأعمال تحسب بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية، وفيه دليل علىٰ أن الطهارة وهى الوضوء والغسل والتيمم لا تصلح إلاَّ بالنية، وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف وسائر العبادات. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) الرابية: ما ارتفع من الأرض، جمعها روابٍ وربا الشئ ربوًّا: علا وارتفع.

(٣) وَجدَ فلان وجداً: حزن.

الرفيق يبكي فقال: ليس هذا برفيق قد ابتدأ بالبكاء فقال الباكي: إني ذكرت بها الرحلة إلىٰ الأخره.

فقال: هذا كان ينبغي له مرافقة داود الطائي[١] وأشباهه.

فحجًا ثم رجعا، فجئت أُسلم علىٰ صاحبي فقال: جزاك الله يا أخي خيرًا، ما رأيت مثل هذا الرفيق؛ كان يتفضل عليَّ في النفقة وهو معدوم، وأنا موسر وفي الخدمة، وأنا شاب وهو شيخ ويطبخ لي وأنا مُفطر وهو صائم، ولقد أبكاني إذا بكىٰ، وأبكىٰ الرُّفقة.

ثم خرجت من عنده وأتيت الرجل فقلت: كيف رأيت صاحبك؟

قال: خير صاحب، كثير الذكر طويل التلاوة وسريع الدمعة، جزاك الله عنى خيراً.

فائدة: قال علقمة لابنه أصحب من الرجال من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإن سألته أعطاك، وإن لم تسأله ابتداك، اصحب من لا يأتيك منه البوائق ولا يختلف منه عليك الخلائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

نادرة: يقال: من أمَّ البيت ولم يكن فيه ثلاث خصال فلا حاجة لله في حجه: من لم يكن له حلم يغلب جهله، وورع يكفه عن الحارم، وحسن الصحبة لمن صحب.

قال مجاهد[٢]: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني أكثر.

وقال ابن عون لشخص وقد أمره بالوصية: عليك بالكظم والبذل.

الخامسة: كان عبد الله بن المبارك[٣] إذا جاء وقت الحج اجتمع إليه إخوانه

---

(١) داود الطائي هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد، أحد الأعلام، وكان من كبار أصحاب الرأى لكنه آثر الخمول والإخلاص وفر بدينه، وكان سفيان الثورى يقول: أبصر داود أمره وقال ابن المبارك: هل الأمر إلاً ما كان عليه داود، ومن أقواله: كفىٰ باليقين زهداً، وكفىٰ بالعلم عبادة، وكفىٰ بالعبادة شغلاً، توفي داود سنة (١٦٢) وقبل (١٦٥) [تاريخ الإسلام وفيات (١٦١-١٧٠)].

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، المخزومي، مولاهم المقرئ، المفسر، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤). ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٢)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩)، والتاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٤١١)، وميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩)، والجرح والتعديل (٨/ ١٤٦٩).

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن الحنظلي، التميمي مولاهم المروزي، ثقه ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٨١) ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٤٥)، والكاشف (٢/ ١٢٣) والتاريخ الكبير (٥/ ٢١٢)، والجرح والتعديل (٥/ ٨٣٨) والثقات (٧/ ٨)، و سير الأعلام (٨/ =

من أهل مرو فيقولون له: الصُّحبة.

فيقول: هاتوا نفقاتكم فيأخذها، فتُجعل في صندوق ثم يكترى لهم من مرو إلىٰ بغداد، ثم إلىٰ المدينة المنورة وينفق عليهم ويُطعمهم أطيب الطعام والحلوى ويخرجهم بأحسن زيّ، فإذا وصلوا اشترى لهم ما أمرهم عزالهم من طُرَف المدينة، ثم من مكة كذلك، ولا يزال ينفق عليهم إلىٰ أن يصيروا إلىٰ مرو فإذا وصلوا كساهم، فإذا كان بعد ثلاث صنع لهم وليمة ودعاهم، فإذا فرغوا دعا بالصندوق، وأعطى كل واحد صرته بعد أن كتب عليها اسمه.

ويروى أنه عمل آخر سَفْرة سافرها دعوة، فقدم الناس إلىٰ خمسة عشر خوانًا فالوذج[1].

السادسة: قال بعض السلف خرجت إلىٰ مكة فمكثنا أيامًا لم نجد ما نأكل فوقعنا إلىٰ حيٍ في البرية فإذا بأعرابية معها شاة، فقلنا لها: بكم هذه؟ فقالت: بخمسين درهماً، فقلنا لها: أحسني، فقالت: بخمسة، فقلنا: تهزى. فقالت: لا والله، ولكن سألتموني الإحسان، وبي جهد، ولو أمكننى لم آخذ شيئاً، فقلت: لأصحابي: ايش معكم؟ قالوا: ستمائة درهم.

فقلت: أعطوها واتركوا الشاة عليها فما سافرنا سَفْرَة أطيب منها.

السابعة: يروى أن هارون الرشيد حج في زينة عظيمة وموكب كثير، والناس يصرفون عن طريقه يمينًا وشمالاً، فمر في طريقه علىٰ بهلول وهو يعظ الناس، فتقدم الغلمان إليه وقالوا له: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين، فلما حاذاه الهودج قال: حدثني يا أمير المؤمنين أيمن بن نايل[2] قال: حدثني قدامة بن عبد الله[3] قال:

= ٣٧٨) والوافي بالوفيات (١٧/ ٤١٩).

(١) اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسىٰ ومخلد بن الحسين ومحمد بن النضر وقالوا: تعالوا حتىٰ نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد، والشعر والفصاحة وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والشجاعة والفروسية والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف علىٰ أصحابه. [انظر المرجع السابق].

(٢) أيمن بن نايل، أبو عمران، وقيل: أبو عمرو الحبشى، المكي، الكوفي، صدوق يهم، أخرج له: البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، توفي سنة (١٦٠)، ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٣)، وتقريب التهذيب (١/ ٨٨)، والكاشف (١/ ١٤٤)، والجرح والتعديل (٢/ ٣١٩)، وميزان الاعتدال (١/ ٢٨٣)، ولسان الميزان (٧/ ١٨١)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٣٠) وسير الأعلام (٦/ ٣٠٩)، وتفسير الطبرى (٥/ ٦٠١).

(٣) قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية، أبو عبد الله الكلابي، العامري، صحابي قليل الحديث، أخرج له: الترمذي والنسائي وابن ماجه، ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٦٤)، تقريب التهذيب =

رأيت رسول الله ﷺ بمنى علىٰ جمل وتحته رحل رثّ، فلم يكن ثَّم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك فقيل: يا أمير المؤمنين إنه بهلُول المجنون[١]، فقال هارون: قد عرفت، قل يا بهلول[٢] فقال:

هب أنك قد ملكت الأرض طراً ... وكان لك البلاد إذا فماذا

أليس غداً مصيرك جوف قبر ... ويحثوا التراب هذا ثم هذا

فقال الرشيد: أفغيره، فقال: يا أمير المؤمنين من رزقه الله جمالا ومالا فعفَّ عن جَمَاله، وواسى في ماله، كُتِبَ في ديوان الأبرار.

فظن الرشيد إنه عرض بذلك يريد شيئاً. فقال قد امرنا بقضاء دينك يا بهلول، فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين لا تقض دينًا بدين، اردد الحق إلىٰ أهله، واقض دين نفسك من نفسك. قال: قد أمرنا أن نجري عليك.

فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك وينساني.

أجري علىٰ الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك.

الثامنة: يروى أن الرشيد حج ماشيًا من المدينة إلىٰ مكة، ففرش له في الطريق اللَّبود[٣] المدغرى فاستند يومًا إلىٰ ميل ليستريح وقد تعب فإذا هو بسعدون المجنون قد عارضه وهو يقول:

هب الدنيا تواتيك ... أليس الموت يأتيك

فما تصنع بالدنيا ... وظل الميل يكفيك

وأيا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيك

وكما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يُبكيك

فشهق الرشيد شهقة خرّ مغشياً عليه.

التاسعة: كان ابن عمر إذا رأىٰ ما أحدث الناس من الزينة والمحامل يقول:

= (٢/ ١٢٤)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٧٨) الجرح والتعديل (٧/ ١٢٧)، الثقات (٣/ ٣٤٤) أسد الغابة (٤/ ٣٩٣)، الإصابة (٥/ ٤٢٢)، سير الأعلام (٣/ ٤٥١).

(١) تأتى ترجمته عقب هذا.

(٢) البهلول بن عمرو، أبو وهب الصيرفي الكوفي وُسْوِسَ في عقله، وما أظنه اختلط أو قد كان يصحو في وقت، وهو معدود في عقلاء المجانين، له كلام حسن وحكايات، وقد حدث عن عمرو بن دينار وعاصم بهدلة، وأيمن بن نايل، وما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، ولا كتب عنه الطلبة، كان حيًّا في دولة الرشيد. [تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠)].

(٣) اللَّبد: كل شعر أو صوف متلبد وما يوضع تحت السرج.

الحاج قليل والركب كثير ثم ينظر إلىٰ رجل مسكين رثّ الهيئة، تحته حوالق فيقول: هذا نعم من الحاج.

وقال له مجاهد[١] وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج، فقال: ما أقلهم، ولكن قل: ما أكثر الركب.

إلا إن ركاب الفيافي[٢] إلىٰ الحمى ... كثير وأما الواصلون قليل
وإن رجالا قد علاها جمالكم ... وإن قطعت أكبادنا الخبائث
وإذا المطى[٣] متى بلغن محمداً ... فظهورهن علىٰ الرجال حرام
قربتنا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا ذمة وذمام
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتىٰ تلعق الصبرا
تُريدن إدراك المعالي رخيصة ... ولابد دون الشهد من إبر النحل

العاشرة: يروى أن رجلًا قال للفضيل بن عياض[٤]: إني أريد الخروج إلىٰ مكة شرَّفها الله تعالىٰ فأوصني فقال له الفضيل: شمِّر إزارك، وانظر إلىٰ أين تذهب وإلى من تذهب، فخرَّ الفضيل مغشيًا عليه وسقط الرجل من ساعته ميتاً.

سكنتم رُبا الداري فأضحت لأجلكم ... زيارته فرضًا علىٰ كل مسلم
بكم أصبح الوادي معظمًا شأنه ... ولولاكم قد كان غير معظم
أمُرُّ علىٰ الديار ديار ليلى ... أُقبِّل ذا الجدار وذا الجدار
وما حُب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديار

شاردة: قال بعض الأولياء: العجب ممن يقطع المفاوز ليصل إلىٰ بيته، ويرى آثار النبوة كيف لا يقطع نفسه وهواه ليصل إلىٰ قلبه، فيرى آثار ربه.

الحادية عشرة: قال الإمام مالك: اختلفت إلىٰ جعفر بن محمد[٥] زمانًا وما

---

(١) مجاهد بن جبر المفسر تقدمت ترجمته قريباً.
(٢) الفيفاء: الصحراء الواسعة المستوية، جمعها: الفيافي.
(٣) المطية: من الدواب ما يمتطى، جمعها: مطايا، ومطى.
(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي، اليربوعي الخراساني، ثقة، عابد، إمام، أخرج له: أصحاب الكتب الستة خلا ابن ماجه. توفي سنة (١٧٨) أو قبلها، ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٩٨)، وتقريب التهذيب (٢/ ١١٣)، وتاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٢٣) والجرح والتعديل (٧/ ٤١٦)، وميزان الاعتدال (٣/ ٣٦) وسير الأعلام (٨/ ٤٢١)، والثقاب (٧/ ٣١٥).
(٥) جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله القرشي الهاشمي، العلوي، =

كنت أراه إلا علىٰ ثلاث خصال، إما مُصل وإما صائم، وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث إلا علىٰ طهارة.

كان من العلماء العباد الذين يخشون الله.

ولقد حججت معه سنة فلمَّا أتى الشجرة وأراد أن يهل كاد يغشى عليه.

فكلمته في ذلك وكان يكرمني وينبسط إلي فقال: إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك فيقول: لا لبيك ولا سعديك.

قال مالك: ولقد أحرم جده علي بن الحسين[1]، فلما أراد أن يقول لبيك اللهم لبيك، أو قالها غشي عليه وسقط من ناقته فهشم وجهه.

قلت: ويشبه هذه حكايات ثلاث:

الأولىٰ: مروية عن أحمد بن أبي الحواري قال: كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد أن يُحرم فلم يُلبي حتىٰ سرنا ميلاً، ثم غُشى عليه فأفاق وقال: يا أحمد أوحى الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ - عليه أفضل الصلاة والسلام: مُرّ ظلمة بنى إسرائيل أن لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حجَّ من غير حِلّ، ثم لبىٰ قال الله: «لا لبيك ولا سعديك»، فلا تأمن أن يقال لنا ذلك.

الثانية: رواية عن بعض السلف قال: كنت بذي الحليفة[2] وشاب يريد أن يحرم فكان يقول: يا رب أريد أن أقول لبيك وأخشى أن يجيبني بلا لبيك ولا سعديك، وجعل يردد ذلك مرارًا ثم قال: لبيك اللهم لبيك مد بها صوته وخرجت روحه.

الثالثة: مروية عن مالك بن دينار قال: خرجت إلىٰ مكة فبينما أنا سائر إذا بشاب وهو ساكت لا يذكر الله فيما يرى حتىٰ إذا جنَّه الليل رفع رأسه إلىٰ السماء

= المدني الصادق، صدوق، فقيه، إمام، أخرج له: البخاري في الأدب وباقى الستة، توفي سنة (١٤٨، ١٤٠)، انظر تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٣)، وتقريب التهذيب (١/ ١٣٢).

(١) هو علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله الهاشمى، المدنى، زين العابدين، القرشي الأكبر، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل، مشهور، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٣، ٩٤، ٩٥)، انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٤)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٥)، والتاريخ الكبير للبخاري (٦/ ٢٦٦).

(٢) روىٰ البخاري في صحيحه (١٥٢٤) كتاب الحج ٧. باب مهل أهل مكة للحج والعمرة، عن ابن عباس قال: «إن النبي ﷺ وَقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هن لهن ولمن أتىٰ عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتىٰ أهل مكة من مكة».

وهو يقول: يا من تسرُّه الطاعة ولا تضره المعصية هب لي ما يَسرُّك واغفر لي ما لا يَضرّك قال: ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس إحرامه والناس يلبون وهو لا يلبي، فقلت له في ذلك فقال: يا شيخ أخاف أن أجاب بلا لبيك ولا سعديك، ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك فقلت له: لا تفعل فإنه كريم إذا غضب رضي، وإذا رضي لم يغضب، وإذا وعد وفَىٰ، وإذا تَوَعَّد عفىٰ[١].

فقال لي: يا شيخ: أتُشير عليَّ بالتلبية؟ فقلت: نعم.

فبادر إلىٰ الأرض واضطجع وجعل خده علىٰ الأرض وأخذ حجرًا فجعله علىٰ خده الأخر، وأسبل دموعه وأقبل يقول: لبيك اللهم لبيك، قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك، فأقام كذلك ساعة ثم قام ومضى.

الثانية عشرة: يُحكىٰ أنه عنَّ لبعض كبار الوزراء في أثناء وزارته فكرة وموعظة من نفسه فتاب.

فلما سمع شيوخ الحرم بقدومه خرجوا للسلام عليه فرأوا شعثه وما نزل به من تغير البهجة، ورثاثة الحال فقالوا له كالمتعجبين منه: نرى الشيخ بعد تلك النَّضرة والنعيم قطع هذه المفاوز حافيًا علىٰ قدميه فقال لهم: وكيف يأتي العبد إذا قاد نفسه إلىٰ باب مولاه لو قدرت لجئت علىٰ رأسي.

فائدة: يروى عن ابن عباس أنه قال: حج الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوا تعظيمًا له[٢]، وكذلك الأنبياء كانوا يدخلونه مشاة حفاة، بل كبار الحيتان لم تأكل صغارها في الحرم زمن الطوفان تعظيمًا للحرم.

الثالثة عشرة: يروى أن امرأة عابدة حجت فلما دخلت مكة جعلت تقول: أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فقيل لها: هذا بيت ربك فاشتدت نحوه تسعى حتىٰ ألصقت جنبيها بحائط البيت فما رفعت إلا ميتة.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٥٤٠) كتاب الدعوات عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله سبحانه وتعالىٰ: يا ابن آدم، إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

(٢) في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦﴾ لآيات يعني: الكعبة التى بناها إبراهيم الخليل ﷺ الذى يزعم كل من طائفتى النصارى واليهود أنهم علىٰ دينه ومنهجه ولا يحجون إلىٰ البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلىٰ حجه. وزعم السدي أنه أول بيت وضع علىٰ وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول علي؛ أي قوله: كانت البيوت قبله ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله [تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٣)].

الرابعة عشرة: قال سعيد بن جبير[١] رأيت امرأة جاءت فقامت في الملتزم فجعلت تدعو وتبكي حتىٰ ماتت.

الخامسة عشرة: حج الشبلي فلما وصل إلىٰ مكة، وعظم عنده قدر ما ناله أنشد طربًا مستعظمًا حاله:

أبُطْحَانُ مكة هذا الذي   أراه عيانًا وهذا أنا

ثم لم يزل يكررها حتىٰ غُشي عليه.

السادسة عشرة: دخل أبو الفضل الجوهري الحرم، ونظر إلىٰ الكعبة وقال وقد داخله الطرب: هذه ديار المحبوب، فأين المحبون؟

هذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون؟ هذه ساعة الاطلاع علىٰ الدموع فأين البكاؤون؟

ثم شهق شهقة وأنشد:

هذه دارهم وأنت محب   ما بقى الدموع في الآماق[٢]

وروى أن الشبلي لما حج علىٰ التجريد، ورأى مكة وقع مغشيًا عليه، فلما أفاق أنشد البيت المذكور وزاره:

وقديمًا عهدت أفنية[٣] الدار   وفيها مصارع العشاق

السابعة عشرة: طاف رجل بالبيت فبرق له ساعد امرأة موضع ساعده علىٰ ساعدها يتلذذ به فلُصِقَا، فقال له بعض الصالحين: ارجع إلىٰ المكان الذي فعلته فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود بصدق نية وإخلاص، ففعل فخلي عنه.

الثامنة عشرة: يُروى أن امرأة عاذت من ظالم فجاء فمد يده إليها، فيبست يده وصار أشل.

التاسعة عشرة: عن بعض السلف أنه دخل الحجر ليلاً، وصلى تحت الميزاب وأنه سَمِعَ وهو ساجد كلامًا بين أستار الكعبة والحجارة وهو: أشكو إلىٰ الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من إساءتهم فأوّلت أن البيت شكى.

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، أبو عبد الله الأسدي مولاهم الوالي الكوفي، الفقيه، ثقة، ثبت فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٥، ٩٤). [انظر تقريب التهذيب (١/ ٢٩٢)].

(٢) أمق العين: طرفها مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع، جمعه: آماق، والمآقى هى مجارى الدمع.

(٣) الفناء: الساحة في الدار، أو بجانبها جمعها: أفنية.

العشرون: يروى أن أُبي بن خلف[١]، وعبيد الله بن عثمان أنهما كانا في الحجر في رجب، فلم يشعُرا إلا بحية قد أقبلت حتىٰ مرت بهما فدخلت تحت أستار الكعبة، وسمعا كلامًا من حيث دخلت تقول: يا معشر قريش كُفُّوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم، كُفُّوا سفهاءكم فإنكم في بلد عظيم حرمته.

الحادية بعد العشرين: يروىٰ عن أبي يعقوب البهرجوري قال: رأيت في الطواف رجلًا له عين واحدة وهو يقول في طوافه: أعوذ بك منك، فقلت له: ما هذا الدعاء؟

فقال: إني مجاور منذ خمسين سنة، فنظرت إلىٰ شخص يومًا فاستحسنته، فإذا بلطمة وقعت علىٰ عيني، فسالت عيني علىٰ خدي. فقلت: آه، فوقعت أخرى وقائل يقول: لو زدت لزدناك.

الثانية بعد العشرين: يروى عن إبراهيم الخواص قال: رأيت شابا في الطواف مئتزرًا بعباءة متوشحًا بأخرى كثير الطواف والصلاة، مشتغلًا بالله تعالىٰ لا بغيره، فوقعت في قلبي محبته، ففتح علي بأربعمائة درهم.

فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوضعتها علىٰ طرف عباءته فقلت له: يا أخي اصرف هذه القطيعات في بعض حوائجك. فقام وبددها في الحصى وقال: يا إبراهيم اشتريت من الله هذه الجلسة بسبعين ألف دينار، أتريد أن تخدعني عن الله تعالىٰ بهذا الوسخ.

قال إبراهيم: فما رأيت أذل من نفسي وأنا أجمعها من بين الحصى.

وما رأيت أعز منه وهو ينظر إليَّ، ثم ذهب.

الثالثة بعد العشرين: يروىٰ أن الجنيد[٢] طاف بالبيت في جوف الليل، فسمع

---

(١) كان أُبي بن خلف قال حين افتدى يوم بدر: والله إن عندى لفرسًا أعلفها كل يوم فرق ذرة ولأقتلن محمداً. فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله، فأقبل أبي مقنعًا من الحديد علىٰ فرسه تلك يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل علىٰ رسول الله ﷺ قال موسىٰ: قال سعيد بن المسيب: فاعترض له رجال فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا طريقه فاستقبله مصعب بن عمير يقي رسول الله ﷺ فقتل مصعب وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبَيٍّ من فرجه بين سابغة البيضة والدرع فطعنه فيها بحربته فوقع أُبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم.
[تاريخ الإسلام في السيرة العطرة. غزوة أحد].

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، وقيل: كان أبوه قواريرياً، يعني زجاجاً، وكان هو خزازًا، كان شيخ العارفين وقدوة السائرين وعلم الأولياء في زمانه. رحمة الله عليه. ولد ببغداد بعد سنة (٢٢٠) فيما أحسب أو قبلها، وتفقه علىٰ =

جارية تطوف وهي تقول:

أبىٰ الحب أن يخفىٰ وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
إذا اشتدَّ شوقي هام قلبي بذكره ... وإن مت قُربًا من حبيبي تقربا

فقلت لها يا جارية ألا تتقين الله، تتكلمين في مثل هذا البيت بمثل هذا الكلام، فالتفتت إلي وقالت:

يا جنيد:

لولا التقى لم ترني ... أهجر طيب الوسن
إن التقى شردني ... كما ترى عن وطني
أخِرُّ من وجدي به ... فحُبُّه هَيَّمنِي

ثم قالت: يا جنيد تطوف بالبيت أو برب البيت؟ قلت: أطوف بالبيت، فرفعت رأسها إلىٰ السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسىٰ قلوبًا من الصخر

في أبيات أنشدتها.

قال الجنيد: فغُشِيَ عليَّ من قولها، فلما أفقت لم أرها.

الرابعة بعد العشرين: قال أبو يزيد البسطامي حججت ثلاث حجج، في الحجة الأولىٰ رأيت البيت ولم أر رب البيت. وفي الثانية: رأيت البيت ورب البيت. وفي الثالثة: رأيت رب البيت ولم أر البيت.

الخامسة بعد العشرين: عن مالك بن دينار[1] قال: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذا أنا بجويرية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات. يا رب كم من شهوة ساعة قد أورثت صاحبها حزنًا طويلاً. يا رب أما لك

= أبي ثور، وسمع من الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري السقطي والحرمي وأبي حمزة البغدادي وأتقن العلم ثم أقبل علىٰ شبابه واشتغل بما خلق له، وحدث بشيء يسير. تُوفِيَ سنة (٢٩٨). [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٩١-٣٠٠)].

(١) مالك بن دينار، أبو يحيى، أبو هاشم السلمي الناجي، البصري، الزاهد، القرشي، صدوق، عابد، أخرج له البخاري تعليقًا وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦).
ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤)، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٢٤)، والتاريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣٠٩) والجرح والتعديل (٨/ ٩١٦)، وميزان الاعتدال(٣/ ٤٢٦).

عقوبة ولا أدب إلا النار، فما زال ذلك قولها طلع الفجر، فوضع مالك يده علىٰ رأسه صارخا يبكي يقول: ثكلت مالكًا أمه وعدمته جويرية منذ الليلة قد بطلته.

السادسة بعد العشرين: تعلق رجل بأستار الكعبة.

وأنشد:

ستور بيتك ذيل الأمن منك وقد علقتها مستجير أيها الباري

وما أظنك لما أن علقت بها خوفًا من النار تدنيني من المنال

وها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

السابعة بعد العشرين: عن صالح المري أنه كان يطوف بالبيت فسمع أعرابيًا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: إلهي إن استغفاري إياك مع إصراري علىٰ كثرة ذنوبي للوم وإن ترك استغفاري علىٰ سعة رحمتك لعجز كم تتقرب إليَّ بالنعم علىٰ غناك عني، وكم أتباعد عنك بالمعاصي علىٰ فقري إليك، فيا من إذا وعد وفَّى وإذا تَوَعَّدَ عفىٰ، أدخل عظيم جرمي في سعة رحمتك، إنك أنت الوهاب.

قال صالح: فوالله ما سمعت في حجَّتي تلك أبلغ من الأعرابي.

الثامنة بعد العشرين: قال علي بن الموفق: طفت بالبيت ليلة، وصليت ركعتين بالحجر واستندت إلىٰ جدار الحجر أبكي وأقول: كم أحضر هذا البيت الشريف، ولا أزداد في نفسي خيراً، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذا هتف بي هاتف: يا علي سمعنا مقالتك، أَوَ تدعو أنت إلىٰ بيتك من لا تحبه.

ويروى عنه أنه قال: جلست يومًا في الحرم وقد حججت ستين حجة فقلت في نفسي: إلىٰ كم أتردد في هذه المسالك والقفار، ثم غلبتني عيني فنمت، وإذا بقائل يقول: يا ابن الموفق هل تدعو إلىٰ بيتك إلا من تحب، فطوبى لمن أحب المولىٰ، وحمله إلىٰ المقام الأعلىٰ.

ثم أنشأ يقول:

دعوت إلىٰ الزيارة أهل ودي ولم أطلب بها أحدًا سواهم

فجاءوني إلىٰ بيتي كراما فأهلًا بالكرام ومن دعاهم

التاسعة بعد العشرين: قال الأوزاعي[1]: رأيت رجلًا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول:

---

(١) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي الشامي الفقيه، الدمشقي، إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، كان يسكن بظاهر باب الفراديس بمحلة الأوزاع ثم تحول إلىٰ =

يـا رب إنـي فـقـيـر كـمـا تـرىٰ وصـبـيـتـي قـد عـروا كـمـا تـرى
ونـاقـتـي قـد عـجـفـت كـمـا تـرىٰ وبـردتـي قـد بـلـيـت كـمـا تـرىٰ
فـمـا تـرى فـيـمـا تـرى يـا مـن يَـرى ولا يُـرى

فإذا بصوت من خلفه: يا عاصم يا عاصم الحق عمك قد هلك بالطائف وخلَّف ألف نعجة وثلاثمائة ناقة وأربعمائة دينار، وأربعة أعبد، وثلاثة أسياف يمانية، فامض فخذها فليس له وارث غيرك.

قال الأوزاعي: فقلت له يا عاصم إن الذي دعوته لقد كان منك قريباً.

فقال يا هذا أما سمعت قولة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1].

الثلاثون: يروى عن فضيل بن عياض أنه وقف بعرفة والناس يدعون فبكىٰ بكاء الثكلى المحترقة فلما كادت الشمس أن تسقط، قبض علىٰ لحيته ثم رفع رأسه إلىٰ السماء ثم قال: واسوءتاه وإن عفوت.

وروي أنه قال والناس بالموقف: ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا أكان يردهم؟ قالوا: لا والله.

قال: والله لمغفرته في جنب كرمه أهون علىٰ الله من الدانق في جنب ذلك الرجل.

الحادية بعد الثلاثين: يروى أنه قيل ليونس بن عبيد[2] وقد انصرف من عرفات: كيف كان الناس، فقال: لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم. يقول لعلهم لم يرحموا بسببي.

الثانية بعد الثلاثين: يروىٰ عن شعيب بن حرب قال بينما أنا أطوف بالبيت إذ لكزني رجل بمرفقه فإذا أنا بالفضيل بن عياض، فقال لي: يا أبا صالح فقلت: لبيك يا أبا علي.

قال: إن كنت تظن أنه شهد الموسم شرٌّ منى ومنك فبئس ما ظننت.

= بيروت فرابط إلىٰ أن مات، قال ابن سعد: الأوزاع بطن من همدان وهو من أنفسهم، ولد سنة (٨٨)، وكان ثقة مأمونًا فاضلًا خيرًا كثير العلم والحديث والفقه، حجة، وتوفي رحمه الله سنة (١٥٧). [تاريخ الإسلام وفيات (١٥١ ـ ١٦٠)].

(١) سورة البقرة (١٨٦).

(٢) يونس بن عبيد بن دينار، أبو عبيد، أبو عبد الله العبدي، مولاهم البصري، الكوفي البصري، ثقة ثبت، فاضل، ورع، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٣٩) انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ٤٤٢)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٨٥).

الثالثة بعد الثلاثين: قال بعض السلف رأيت شابا في الموقف مطرقًا رأسه إلىٰ الأرض منذ وقف الناس إلىٰ أن سقط القرص.

فقلت: يا هذا أبسط يدك للدعاء. فقال لي: ثمَّ وحشة. فقلت له: هذا يوم العفو عن الذنوب، فبسط يده ففي بسط يده وقع ميتاً.

وحُكِيت عن الفضيل أيضًا قال: رأيت شابًا ساكتًا وعليه أثر الذِّلة والخشوع والناس يسألون الحوائج. فقلت: يا فتى اخرج يدك واسأل حاجة، فقال: يا شيخ وقعت بيننا وحشة وليس ثمَّ وجه، قال: فإذا كان كذلك فإن الوقت يفوت، فقال لي: ولا بُدَّ، فلما أراد أن يرفع يده بالدعاء صاح صيحة وخرَّ ميّتاً.

ويُروى أنه كان أكثر دعائه اللهم ارحمني فإنك بي عالم ولا تعذبني فأنت علي قادر.

الرابعة بعد الثلاثين: قيل لبعض السلف وقد ضحى للشمس بعرفة في يوم شديد الحر: لو أخذت بالتوسعة، فأنشد:

ضحيت له كي أستظل بظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصاً[1]
فيا أسفى إن كان سعيي باطلاً ويا حسرتى إن كان حظي ناقصاً

الخامسة بعد الثلاثين: قال بعض السلف: كنت بالمزدلفة وأنا أحيى الليل، فإذا بامرأة تصلي حتىٰ الصباح ومعها شيخ.

فسمعته وهو يقول: اللهم إنا قد جئنا من حيث تعلم وحججنا كما أمرتنا، ووقفنا كما دللتنا، وقد رأينا أهل الدنيا إذا شابَ المملوك في خدمتهم تذمموا أن يبيعوه، وقد شبنا في ملكك فارحمنا[2].

السادسة بعد الثلاثين: عن علي بن الموفق قال: حججت نيفًا وخمسين حجة، وجعلت ثوابها لرسول الله ﷺ وللخلفاء الأربعة ولأبويَّ، فبقيت حجة، فنظر إلىٰ أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت: اللهم إن كان في هؤلاء أحد لم تقبل منه حجه فقد وهبت له هذه الحجة ليكون ثوابها له.

فبت تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربي ﷻ في المنام فقال لي: يا ابن الموفق عليَّ تتسخَّى، قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم وأضعاف ذلك وشفَّعت كل رجل منهم

(١) تقلص الشئ: تدانىٰ وانضم، والثوب بعد الغسل، انكمش وقصر، والظل: انقبض ونقص.
(٢) وجدنا بالهامش: وقد نظر معناه بعضهم فقال: إن الملوك إذا شاب عندهم في رقهم أعتقوهم عتق أحرار، وأنت يا رب أولى منهم كرماً، قد شبت في الرق، فأعتقني من النار.

في أهل بيته وخاصته وجيرانه وأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.[(١)]

روى الترمذي في سننه (٣٣٢٨) في تفسير القرآن في سورة المدثر، عن أنس عن رسول الله ﷺ إنه قال في هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] قال: قال الله ﷻ أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهًا فأنا أهل أن أغفر له".

السابعة بعد الثلاثين: عن مالك بن دينار قال: رأيت في بعض الأيام شابا علي آثار الدعاء ونور الإجابة، ودموعه تتساقط علىٰ وجهه فعرفته وكنت أعهده بالبصرة ذا نعمة فبكيت لما رأيت من حاله علىٰ تلك الصفة وبكىٰ الآخر لما رآني، وبدأني بالسلام، وقال: يا مالك بالله عليك إلا ما ذكرتني في وقت خلواتك، وسألت لي التوبة والمغفرة لعله يرحمني ويغفر لي، ثم أنشأ يقول:

وعرض بذكري حين[(٢)] تسمع زينب ... وقل ليس يخلو ساعة منك باله

عساها إذا ما مر ذكري بسمعها ... تقول فلان عندكم كيف حاله

قال مالك: ثم ولىٰ ودموعه تستبق، فلما دخلت أشهر الحج توجهت إلىٰ مكة فبينما أنا في المسجد الحرام إذ رأيت حلقة يجتمع إليها الناس فإذا بفتى يتضرع وقد قطع علىٰ الناس طوافهم بكثرة بكائه.

فوقفت عليه أنظر مع الناس إليه، فإذا هو صاحبي فسررت به، فسلمت عليه وقلت: الحمد لله الذي أبدلك بخوفك أمنا وأعطاك ما تتمنى.

فأنشأ يقول:

ساروا بلا خوف إلىٰ خيف أمنهم ... فلما أناخوا في منى بلغوا المُنا

تمنوا فأعطاهم مناهم وصانهم ... بتوبته الخلصاء عن الفحش (والخنا)[(٣)]

وسامح عن كل الذنوب التي جرت ... وما اجترح العبد المسيء وما جنا

لدار عليهم ساقي القوم خمرة ... فنادوا من الساقي فقال لهم أنا

أنا الله ادعوني فإني ربكم ... لي المجد والعلياء والملك والسنا

قال مالك: ثم قلت له: بالله عليك أطلعني علىٰ أمرك كيف كان؟

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٣٢٨) في تفسير القرآن، من سورة المدثر، عن أنس، عن رسول الله ﷺ أنه قال في: هذه الآية: ﴿هُوَأَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثر: ٥٦] قال: «قال الله ﷻ: أنا أهل أن أُتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له».

(٢) في هامش الأصل "لعله حيث".

(٣) في الأصل "مالخنا".

فقال: ما كان إلا حين دعاني بفضله فأجبته فأعطاني كل ما طلبته، ثم عاد إلىٰ طوافه وتركني ومضى. فلم أراه بعد.

الثامنة بعد الثلاثين: عن أبي عبد الله الجوهري، قال: كنت سنة بعرفات ، فلما كان آخر الليل نمت، فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: كم وقف في هذه السنة؟

قال: ستمائة ألف، ولم يقبل إلا ستة أنفس قال: فهممت أن ألطم وجهي وأنوح علىٰ نفسي. قال: فما فعل الله في الجميع؟ قال: نظر إليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد منهم مائة ألف.

التاسعة بعد الثلاثين: ركب جماعة من التجار في البحر متوجهين إلىٰ الحج، فانكسر المركب وضاق الوقت عن الحج، وفيهم إنسان كان معه بضاعة بخمسين ألف درهم، فتركها وتوجه إلىٰ الحج.

فقيل له: لو أقمت لعله يخرج لك بعض بضاعتك. فقال: والله لو حصلت لي الدنيا كلها ما اخترتها علىٰ الحج. ودعا من شهده من الأولياء بعد أن رأيت منهم ما رأيت، قالوا: وما رأيت؟

قال: كنا مرة متوجهين إلىٰ الحج فأصابنا عطش في بعض الأيام، وبلغت الشربة كذا وكذا، ودرت في الركب من أوله إلىٰ آخره فلم يحصل لي ما يبيع ولا غيره وبلغ العطش مني الجهد. فتقدمت قليلا، وإذا بفقير معه عكازه وركوة، وقد ركز العكاز في ساقية بركة، والماء ينبع من تحت العكاز، ويجري في الساقية إلىٰ البركة فجئت إلىٰ البركة فشربت وملأت قربتي، ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهي تطفح.

الأربعون: عن سهل بن عبد الله قال: مخالطة الولي للناس ذل وتعزيزه عز، قال: ما رأيت وليا لله إلا منفردًا.

إن عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة وموهبة جزيلة ، وكان يفر من الناس من بلد إلىٰ بلد، حتىٰ أتى مكة فطال مقامه بها، فقلت له: لقد طال مقامك بها.

فقال: لِمَ لا أُقيم بها ولم أر بلدا تنزل فيه الرحمة والبركة أكثر منها، والملائكة تغدو وتروح، وإني أرى فيه أعاجيب كثيرة، وأرى الملائكة يطوفون بالبيت علىٰ صور شتى، لا يقطعون ذلك ولو قلت كلما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين.

فقلت: سألت بالله إلا ما أخبرتني بشيء من ذلك.

فقال: ما من ولي صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البيت في كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه ، فمقامي لأجل رؤياهم.

ولقد رأيت رجلا يقال له: مالك بن القاسم الجيلي وقد جاء وبيده غمر فقلت له إنك قريب عهد بالأكل. فقال لي: استغفر الله، فإني منذ أسبوع لم آكل ولكن أطعمت والدي وسريت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذي جاء منه تسعمائة فرسخ فهل أنت مؤمن بذلك؟ قلت: نعم.

قال: الحمد لله الذي أراني مؤمنا .

الحادية بعد الأربعين: قال بعضهم: كنت بالمدينة النبوية شرفها الله فجئت عند القبر المشرف فإذا بعجمي كبير القامة يودع، فتبعته لما خرج، فلما بلغ مسجد ذي الحليفة صلى ولبى، فصليت ولبيت وخرجت خلفه، فالتفت فرآني فقال: ما تريد؟ فقلت: أريد أن أتبعك فأبىٰ، فألححت عليه فقال: إن كان ولابد فلا تضع قدمك إلا علىٰ أثر قدمي. فقلت: نعم.

فمشى علىٰ غير الطريق، فلما مرَّ هويٌّ من الليل، إذا بضوء سراج فالتفت إلىَّ وقال: هذا مسجد عائشة فتقدم أنت أو أتقدم أنا. فقلت ما تختار، فتقدم.

ونمت أنا حتىٰ إذا كان وقت السحر، ودخلت مكة فطفت، وسعيت وجئت إلىٰ عند الشيخ أبي بكر الكتاني وجماعة الشيوخ قعود، فسلمت عليهم فقال لي الكتاني: متى قدمت؟ قلت: الساعة، قال: من أين؟ قلت: من المدينة، قال: كم لك منها؟ قلت: البارحة.

فنظر بعضهم إلىٰ بعض فقال الكتاني: مع من جئت؟ فقلت: مع رجل من حاله وقصته كذا وكذا، فقال: ذاك أبو جعفر الدامغاني، وهذا في حاله قليل.

ثم قال: قوموا فاطلبوه وقال لي: يا ولدي علمت أن هذا ليس حالك، كيف كنت تحس بالأرض تحت قدميك؟ قلت: مثل الموج إذا دخلت تحت السفينة.

الثانية بعد الأربعين: عن شقيق البلخي ـ رحمه الله ـ قال: خرجت حاجا سنة، فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر إلىٰ الناس وزينتهم وكثرتهم، نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتملا بشملة، وفي رجليه نعلان وقد جلس منفردا.

فقلت في نفسي: هذا الفتى صوفي يريد أن يكون كلًّا علىٰ الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنه.

فلما رآني مقبلا قال: يا شقيق ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾[1] فتعجبت منه، فأردت أن أجالسه، فغاب عني.

---

(١) سورة الحجرات (١٢).

فلما نزلنا منزلة أخرى إذا به يصلي وأعضاؤه تظهر ودموعه تجرى، فأقبلت نحوه.

فلما رآني مقبلا قال: ياشقيق اقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1] ثم تركني ومضى.

فقلت: إن هذا لمن الأبدال، ثم رأيته ثالثة، وإذا هو على بئر وبيده ركوة للاستقاء، فسقطت منه في البئر، فرمق السماء وقال: أنت ربي إذا ظمئت من الماء، وقوتي إذا أردت الطعام اللهم سيدي ما لي سواها، فلا تعدمني إياها قال شقيق: فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤه، فمد يده وأخذ ركوته وملأها وتوضأ وصلى أربعا ، ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يفيض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب فأقبلت إليه وسلَّمت عليه فرد عليَّ السلام فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك. فقال: يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك.

ثم ناولني الركوة فشربت منها، فإذا هو سويق وسكر ، فوالله ما شربت قط ألذ منه، ولا أطيب، فشربت ورويت وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا. ثم رأيته بعد ذلك بمكة في جنب قبة الشراب نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر، جلس في مصلاه يسبح، ثم قام يصلي، فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسبوعا وخرج فتبعته.

وإذا له حاشية ومال وأقبل الناس يسلمون عليه، وإذا هو موسى[2] بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فعرفت إن هذا من ذاك الأصل.

الثالثة بعد الأربعين: عن الشيخ أبي سعيد الخزاز قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل فقلت في نفسي: مثل هذا يكدي.

فنظر إلي وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3].

---

(١) سورة طه (٨٢) أى كل من تاب إليَّ تبت عليه من أى ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بنى إسرائيل، وقوله تعالى: "تاب" أى: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق، وقوله: "آمن" أى: بقلبه "وعمل صالحا" أي: بجوارحه، وقوله "ثم اهتدى" ، قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس: أى ثم لم يشكك، وقال سعيد بن جبير: "ثم اهتدى" أى لزم على السنة والجماعة [تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٦)].

(٢) موسى بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين أبو الحسن الهاشمي العلوي المدني، الكاظم، صدوق، عابد، أخرج له :الترمذي وابن ماجه، توفي سنة (١٨٣). [التقريب (٢/ ٢٨٢)].

(٣) سورة البقرة (٢٣٥).

فاستغفرت في سري، فناداني ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[(١)].

الرابعة بعد الأربعين: قال بعضهم: بينما أنا أمشي في البرية إذا رأيت فقيرًا حافي القدمين حاسر الرأس عليه خرقتان مؤتزر بواحدة مرتد بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة. فقلت في نفسي: لو كان مع هذا ركوة وحبل، إذا رأىٰ الماء توضأ وصلىٰ، كان خيرًا له.

ثم لحقت وقد اشتدت الهاجرة فقلت له: يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التي علىٰ كتفك علىٰ رأسك تتقي بها حر الشمس، كان خيرًا لك. فسكت ومشى، فلما كان بعد ساعة قلت: أنت حاف إيش ترى في نعليَّ تلبسها ساعة، وأنا أخرى قال: أراك كثير الفضول، ألم تكتب الحديث؟

قلت: بلىٰ.

قال: فلم تكتب حديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٢)].

فسكت ومشينا فعطشت ونحن علىٰ ساحل البحر فالتفت إليَّ وقال: أنت عطشان؟ فقلت: لا.

فمشينا ساعة وقد كظني العطش، ثم التفت إليَّ فقال: أنت عطشان؟

فقلت: نعم، وما معي في مثل هذا الموضوع ماء.

فأخذ الركوة مني ودخل البحر فغرف وجاءني وقال: اشرب، فشربت ماء أعذب من ماء النيل وأصفىٰ لوناً، وفيه حشيش.

وما أحسن من قال:

إذا وردوا الأطلال تاهت بهم عجباً ... وإن لم عودا وهي غضة رطباً
وإن وطئوا يومًا علىٰ ظهر صخرة ... لأنبتت الصماء من وطئهم عشباً
وإن وردوا البحر الأجاج لشربه ... لأصبح ماء البحر من ريقهم عذباً

= توعدهم علىٰ ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء وأرشدهم إلى إضمار الخير دون الشر، ثم لم يوئيسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. [تفسير ابن كثير(١/ ٢٨٧)].

(١) سورة الشورى (٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣١٨). كتاب الزهد، باب (١١) يلي باب ـ فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٦) كتاب الفتن ١٢ ـ باب كف اللسان في الفتنة، وبها بهامش ابن ماجه: أي من جملة محاسن إسلام الشخص وكمال إيمانه تركه ما لا يعنيه، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦١٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ١٧١).

قال: فقلت في نفسي هذا وليُّ الله.

فلما وافينا المنزلة سألته الصحبة فأبىٰ وتركني، ورششت من ذلك الماء علىٰ عليل فبرأ.

الخامسة بعد الأربعين: قال بعض الصالحين: بينما أنا جالس عند الكعبة إذ جاء شيخ قد شال ثوبه علىٰ وجهه، ودخل زمزم فاستقى بركوة وشرب فأخذت فضله. فإذا هو ماء مخلوط بعسل لم أذق شيئًا قط أطيب منه، فالتفت لأنظره، فإذا هو قد ذهب.

ثم عدت من الغد فجلست عند البئر وإذا به قد أقبل وثوبه مسدول علىٰ وجهه فدخل زمزم فاستقى دلوًا وشرب. فأخذت فضلته فشربت منها، فإذا هو لبن ممزوج بسكر لم أذق شيئًا أطيب منه.

السادسة بعد الأربعين: قال علي بن الموفق: حججت سنة من السنين في محمل، فرأيت رحالة فأحببت المشي معهم وأركبت واحدًا في محملي، ومشيت معهم، فتقدمنا إلىٰ البرية، وعدلنا عن الطريق فنمت. فرأيت في منامي جوراي معهن طسوت من ذهب وأباريق فضة يغسلون أرجل المشاة، فبقيت أنا فقالت إحداهن لصواحبها: أليس هذا منهم؟ قلن: هذا له محمل.

قالت: بلىٰ هو منهم لأنه لأحب المشي معهم.

فغسلن رجلي، فذهب عني كل وجع كنت أجده.

السابعة بعد الأربعين: قال بعضهم: كنت أسير في البادية مع القافلة فرأيت امرأة تمشي بين يديها فقلت: هذه ضعيفة سبقت القافلة لئلا تتقطع، وكان معي دُرَيْهمات فأخرجتها من جيبي وقلت لها خذيها، فإذا نزلت القافلة فاطلبيني لأجمع لك شيئًا تكترين به مركوبًا يحملك.

فمدت يدها وقبضت شيئًا من الهواء فإذا في يدها دراهم، فناولتني إياها وقالت: أنت أخذتها من الجيب، ونحن أخذناها من الغيب.

الثامنة بعد الأربعين: عن الشيخ فتح الموصلي [١] قال: رأيت في البادية غلامًا لم يبلغ الحنث يمشي ويحرك شفتيه. فسلمت عليه، فرد الجواب فقلت له: إلىٰ أين يا غلام؟ فقال إلىٰ بيت الله الحرام. قلت: فبماذا تحرك شفتيك؟ قال: بالقرآن. قلت:

---

(١) فتح الموصلي هو فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي، الزاهد، أحد العارفين، ذكر المعافي بن عمران شيخ الموصل أنه لقي ثمانمائة شيخ ما فيهم أعقل من فتح، وكان مشهورًا بالعبادة والفضل، وهو فتح الموصلي الكبير، لا فتح الصغير، وأرسل إليه المعافي بألف درهم فردها وأخذ منها درهمًا مع شدة فاقة أهله، وقيل: إنه كان لا ينام إلا قاعداً، وكان كثير البكاء من خشية الله ملازمًا لقيام الليل، توفي سنة (١٦٥). [الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (١٦١-١٧٠)].

فإنه لم يجر عليك قلم التكليف. قال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سناً. قلت: خطوك صغير، وطريقك بعيد.

فقال: إنما علي نقل الخطا، وعلىٰ الله الإبلاغ. قلت: فأين الزاد والراحلة؟ قال: زادي يقيني وراحلتي رجلاي.

قلت: أسألك عن الخبز والماء. قال: يا عماه أرأيت لو أن مخلوقًا دعاك إلىٰ منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك؟ فقلت: لا.

قال: سيدي دعا عباده إلىٰ بيته، وأذن لهم في زيارته، فحملهم ضعف يقينهم علىٰ حمل أزوادهم وأنا استقبحت ذلك وحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني؟ فقلت: كلا وحاشا.

ثم غاب عن عيني، فلم أره إلا بمكة. فلما رآني قال: يا شيخ أنت بعد ذلك الضعف في اليقين، ثم أنشأ يقول:

مالك العالمين ضامن رزقي ... فلماذا أكلف الخلق رزقي

قد قضى لي بما قضى لي ومالي ... مالكي في قضائه [(١)] قبل خلقي

صاحب البذل والنداء في يساري ... ورفيقي في عسرتي حسن خلقي

فكما لا يرد عجزي رزقي ... فكذا لا يجيء برزقي حذقي

التاسعة بعد الأربعين: عن ذي النون المصري قال: رأيت في البادية حدثًا كأنه سبيكة فضة قد ولع بجسمه الوله، يريد الحج. فصحبته وأوصيته وذكرت له بعض المشقة. فأنشأ يقول:

بعيد علىٰ الكسلان أو ذي ملالة ... وأما علىٰ المشتاق غير بعيد

الخمسون: قال شقيق البلخي: رأيت في طريق مكة مُقْعَدًا يزحف علىٰ الأرض فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند.

قلت: وكم لك في الطريق؟

فذكر أعوامًا تزيد علىٰ العشرة، فرفعت طرفي أنظر إليه متعجبًا فقال لي: ما لك

---

(١) قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره علىٰ ما قدره وقضائه وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها، قال: والقدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾. [النووي في شرح مسلم (١/ ١٣٩) طبعة دار الكتب العلمية].

يا شقيق؟ أما بعد سفرتي فالشوق يقربها، وأما ضعف مهجتي فمولاها يحملها.

يا شقيق أتعجب من عبد ضعيف يحمله المولىٰ اللطيف، ثم أنشأ يقول:

أزوركم والهوى صعب مسالكه والشوق يحمل من لا مال يسعده

ليس المحب الذي يخشى مهالكه كلا ولا شدة الأسفار تبعده

الحادية بعد الخمسين: عن بعضهم قال: رأيت كهلًا قد أجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدًا عليها، فسألته عن بلده فقال: خراسان.

ثم قال: في كم تقطعون هذا الطريق؟ قلت: في شهرين أو ثلاثة. قال: أفلا تحجون كل عام؟ فقلت له: كم بينك وبين هذا البيت؟ قال: مسيرة خمس سنين. قلت: هذا والله هي المحبة الصادقة.

فأنشأ يقول:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حُجُبٌ وأسفار

لا يمنعك بعد من زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

الثانية بعد الخمسين: قال علي بن الموفق[1] : سمعت امرأة متعلقة بأستار الكعبة تنشد وتقول:

يا حبيب القلوب مالي سواكا فارحم اليوم زائرًا قد أتاكا

عيل صبري وزاد فيك اشتياقي وأبى القلب أن يحب سواكا

أنت سؤلي وبغيتي ومرادي ليت شعري متى يكون لقاكا

ليس قصدي من الجنان نعيماً غير إني أريدها لأراكا

ونختم المجلس بما وعدنا به في مجلس الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ وهو ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: كنت جالسًا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا صفوة الله، سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ [2] الآية، وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلىٰ ربي.

---

(١) علي بن الموفق الزاهد، أحد مشايخ الطرق، له أحوال ومقامات، صحب منصور بن عمار، وأحمد بن أبي الحواري، حكى عنه أبو العباس السراج: سمعت علي بن الموفق يقول: خرجت علىٰ رحلي ستين سنة، وقرأت نحو اثني عشر ألف ختمة، وضحيت عن رسول الله ﷺ مائة وسبعين أضحية، وجعلت في حجاتي ثلاثين عن النبي ﷺ . قلت. أي الذهبي. وفد ناس فيهم أبو العباس السراج فضحى عن النبي كذا وكذا أضحية.
توفي علي بن الموفق سنة (٢٦٥) [تاريخ الإسلام للذهبي (٢٦١/ ٢٧٠)].

(٢) سورة النساء (٦٤).

ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالىٰ غفر له[١].

وزاد بعضهم علىٰ بيتي العتبي ثالثاً:

أنت النبي الذي ترجى شفاعته   عند الصراط إذا زلت القدم

وزاد بعضهم علىٰ الأولين:

وفيه شمس التقى والدين قد غربت   من بعد ما أشرقت من نورها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلىٰ[٢] وقد هديت   في الشرق والغرب من أنواره الأمم
لئن رأيناه قبرًا إن باطنه   لروضة من رياض الخلد تبتسم
طافت به من حواليه ملائك   في كل يوم كالتي تسعى وهي تزدحم
لو كنت أبصرته حيًا لقلت له   لا تمشي إلا علىٰ خدي لك القدم
لقيت ربك والإسلام صارمه   ماض وقد كان جيش الكفر يصطدم
فقمت فيه مقام المرسلين إلي   إن عز فهو علىٰ الأديان يحتكم

ثم رأيت مؤلفًا ذكر فيه بعد البيتين الأولين:

أنت البشير النذير المستفاء به   وشافع الخلق إذا يغشاهم الندم
تخصهم بنعيم لا نفاد له   والحور في جنة المأوى لهم خدم
تسقى لمن شئت يا خير الأنام وكم   قوم لعظم الشقاء والبعد قد حرموا
صلى عليه إله العرض ما طلعت   شمس وحن إليه الضال والسلم

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٩، ٥٢٠) ونسبها فقال: وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: ..... وذكر القصة. [انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩، ٥٢٠)].

(٢) رواه أبو داود في سننه (١٠٤٧) كتاب الجمعة باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ . يقولون بليت. فقال: «إن الله ﷻ حرم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء» وقد رواه ابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨).

مجلس في تحريم الظلم والأمر برد المظالم

وأصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه. ممن أشبه أباه فما ظلم، من استرعى الذنب فقد ظلم.

ثم اشتهر في تعاطي ما لم يأذن به الرب جل جلاله.

قال تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[(٢)] وهو بيان للحميم السالف في الآية التي قبلها.

أي لا حبيب لهم، صديق ولا قريب ولا ودود ولا ناصر لهم، لا بشفاعة ولا بقهر.

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [(٣)] الآية.

وقد ذكرنا حديث أبي ذر الطويل: " يا عبادي[(٤)] "، وفيه وروينا في صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعاً: « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » [(٥)].

---

(١) سورة غافر (١٨/ ١٩).
أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم و لا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] يخبر ﷻ عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالىٰ حق الحياء ويتقوه حق تقواه [تفسير بن كثير (٤/ ٧٥)].

(٢) سورة الحج (٧١). (٣) سورة الأنبياء (٤٧).

(٤) يقصد ما رواه مسلم في صحيحه [٥٥ ـ (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥. باب تحريم الظلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. . الحديث».

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦.(٢٥٧٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥. باب تحريم الظلم، =

فالظلم ظلمات يوم يسعى نور المؤمنين بأيديهم وبأيمانهم[١] فأبان بهذا أن من خاصيته إطفاء نور الإيمان أو غلبة ظلمته عليه " كأنما ﴿أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يُونس: ٢٧][٢].

ولا منفر مثل هذا، وسببه شح النفس، فليحذر فإنه الحامل علىٰ سفك الدماء واستحلال المحارم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: ٩][٣].

وروينا فيه أيضاً: من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتىٰ تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٤].

فاستيلاء الظالم مردود لأهله، وما قدر انتفاعه بالمظالم، فالدنيا كساعة من نهار أضغاث أحلام ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النَّازعَات: ٤٦][٥].

فلولا الوهم والخيال، ونسيان دار القرار ما ظلم ظالم، ولا استقر هائم.

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عمر بعد أن ذكر الدجال: " ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد ثلاثاً.

ويلكم . أو ويحكم . لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٦].

وروى مسلم بعضه.

فحرمة الظلم كحرمة يوم النحر في البلد الحرام، وإنه ننحر القلوب في بلد

= وأحمد في مسنده (٢/ ٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣، ١٠/ ١٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٥٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٦)، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٦) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٨٥٨) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/ ١٠٠).

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ الحديد.

(٢) سورة يونس (٢٧).

(٣) سورة الحشر (٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٠ ـ (٢٥٢٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥. باب تحريم الظلم، والترمذي في سننه (٢٤٢٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٣٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٠١) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٨).

(٥) سورة النازعات (٤٦).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٠٣) كتاب المغازي، ٧٩. باب حجة الوداع والطبراني في =

التكاليف، إنما الجنة هي التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت [(١)]، فهو جناية علىٰ جناب الحق بانتهاك محارمه، فكأن الظالم لم يرض به ربًا ولا علىٰ دينه الذي ارتضاه في كتبه، وعلىٰ ألسنة رسله.

إذ رماه الظالم بيده وراء ظهره، ولم يرض به دينا، وعلىٰ مملكته.

إذ الظلم خراب للعالم لا جرم.

قال صاحب الشرع إثر ذلك: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» [(٢)] وعلىٰ المظلوم إذا لم يرع الظالم له حرمة.

وروينا فيهما من حديث عائشة مرفوعاً: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».

أي فكل درهم يؤخذ ظلمًا فعليه إثمه وإثم لوازمه كلها.

فهذا تعدد في ضرر الظلم، باعتبار لوازم المظلمة وإيجابها وجهاته.

والذي قبله تعدد فيه باعتبار من يتأذى به.

وروينا فيهما من حديث أبي موسىٰ الأشعري مرفوعاً: «إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»، ثم تلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ .[(٣)] الآية.

= المعجم الكبير (١٥/٣٢٨) وروي مسلم آخره [١٢٠.(٦٦)] كتاب الإيمان ٢٩. باب بيان معنى قول النبي ﷺ : «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢.(٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في فاتحته، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» وأخرجه أحمد في مسنده (٢ /٤٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٢١، ٥٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٦٨، ١٠ / ٥٣٥).

(٢) تقدم تخريجه، وقال النووي في معناه: قيل في معناه سبعة أقوال: أحدها: أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق، والثاني: المراد كفر النعمة وحق الإسلام، والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه، والرابع: أنه فعل كفعل الكفار، والخامس: المراد حقيقة الكفر ومعناه: لا تكفروا بل دوموا مسلمين، والسادس: حكاه الخطابي وغيره أن المراد بالكفار والمتكفرون بالسلاح والسابع: قاله الخطابي معناه لا يُكفِّرْ بعضكم بعضًا فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً، وأظهر الأقوال الرابع وهو اختيار القاضي عياض. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٤٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، سورة هود. باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] ، ومسلم في صحيحه [٦١.(٢٥٨٣)] [كتاب البر والصلة والآداب، ١٥ . باب تحريم الظلم، والترمذي في سننه (٣١١٠) كتاب تفسير القرآن باب من سورة هود، وابن ماجه (٤٠١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٥)، والشجري في أماليه (٢/١٨٨).

ولا شئ أسوأ من هذا الحال.

وروينا فيهما من حديث معاذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن فقال: "إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله " الحديث، وفي آخره: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١).

وأي عناية كهذا، فلا يسرف في الأسف إنه كان منصوراً.

وروينا فيهما من حديث أبي حميد عبد الرحمن الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأزد يقال له ابن اللتبية علىٰ الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى إلي(٢).

فقام رسول الله ﷺ علىٰ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم علىٰ العمل مما ولاني الله، فيأتي ويقول: "هذا لكم وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتىٰ تأتيه هديته إن كان صادقًا والله لا يأخذ منكم شيئًا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة، فلا عرفت أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تبعر.

ثم رفع يديه حتىٰ رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم قد بلغت "(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٤٣٤٧) كتاب المغازي، ٦٢. باب بعث أبي موسىٰ ومعاذ إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع. ومسلم في صحيحه [٢٩.(١٩)] كتاب الإيمان ٧. باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام. والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٩٦، ٧/ ٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٧٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٥٢، ١٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٩٤).

(٢) في هذا الحديث بيان أن هدايا العمل حرام وغلول لأنه خان في ولايته وأمانته ولهذا ذكر في الحديث في عقوبته وحمله ما أهدى إليه يوم القيامة كما ذكر مثله في الغال وقد بين النبي ﷺ في نفس الحديث السبب في تحريم الهدية عليه وإنها بسبب الولاية بخلاف الهدية لغير العامل فإنها مستحبة. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٨٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧١٧٤) باب هدايا العمال، (٧١٩٧) كتاب الأحكام، ٤١ . باب محاسبة الإمام عماله، ومسلم في صحيحه [٢٧. (١٨٣٢)] كتاب الإمارة، ٧. باب تحريم هدايا العمال.

قال النووي: قوله: "ثم رفع يديه حتىٰ رأينا عُفرتي إبطيه" هي بضم العين المهملة وفتحها والفاء ساكنة فيهما وممن ذكر اللغتين في العين القاضي هنا وفي المشارق وصاحب المطالع والأشهر الصم قال الأصمعي وآخرون: عفرة الإبط هي البياض بالناصح بل فيه شئ كلون الأرض. قالوا: مأخوذ من عفر الأرض بفتح العين والفاء وهو وجهها. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٨٤) طبعة دار الكتب العلمية].

فهدايا العمال ظلم ورشوة وسحت وإن سميت بغير اسم الظلم والسحت.

تغير الاسم لا تغيير الحقيقة التي هي أخذ شئ بغير حقه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾[١].

حتى يلقى الله وهو يحمل وزره على ظهره ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٢].

وروينا في صحيح البخاري[٣] من حديث أبي هريرة مرفوعاً:

«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه».

فالمخلص ليس إلا التحلل من المظلوم بأي طريق تيسر قبل يوم التغابن.

وروينا في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً[٤]:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»

فمن لا يسلم المسلمون من لسانه ويده[٥] فليس بمسلم ليأتي عكس، أو عكس نقيض، ومن ليس مسلمًا فهو أهل الظلم والعدوان وأما المسلم فحاشاه.

وفي ذكر اليد واللسان تنويع الظلم وتعميمه بغالب الآية.

وروينا في صحيح البخاري من حديثه قال: كان على ثقل رسول الله ﷺ رجلٌ

---

(١) سورة البقرة (٩).

(٢) سورة النحل (٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٣٤) كتاب الرقاق، ٤٨ ـ باب القصاص يوم القيامة، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٦٥، ٨٣، ٣/ ٣٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٨٦)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٧٠)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٣٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠) كتاب الإيمان، ٤ ـ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ورقم (٦٤٨٤) كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ومسلم في صحيحه [٦٤ ـ (٤٠)] كتاب الإيمان، ١٤ ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، والترمذي (٢٦٢٧)، وأبو داود (٢٤٨١) والنسائي (٨/ ١٠٥ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٣، ١٩٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠، ٣/ ٥١٧).

(٥) قوله ﷺ: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» معناه: من لم يؤذ مسلمًا بقول ولا فعل وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها، وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها لما ذكرناه.

قالوا: معناه المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، بل هذا كما يقال العلم ما نفع أو العالم زيد، أي الكامل أو المحبوب. [النووي في شرح مسلم (٢/ ١٠) طبعة دار الكتب العلمية].

يقال له كركرة، فمات فقال ﷺ «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها[(١)] .

فمآل الظالم النار، ولو كان هذا الخادم في حقير عباءة فالحذر الحذر.

وروينا في الصحيحين أيضًا من حديث أبي بكر مرفوعاً:

«إن الزمان قد استدار» الحديث وفيه « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[(٢)] إلىٰ آخره.

وصح من حديث أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي مرفوعاً: " من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة ".

فقال: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟فقال: «وإن كان قضيبًا من أراك»[(٣)].

ولا أوكد من هذا، فمنه اقتطاع حق امرئ مسلم بيمين فاجرة، ولا أعم من مغلول حق في كل عين ودين ومنفعة وانتفاع واختصاص واستحقاق وعرض ورجاء وإلزام وحسم وجد، وغير ذلك، ولا من تنكيره في الشرط.

وروينا في صحيح مسلم من حديث عدي بن عميرة مرفوعاً: «من استعملناه منكم علىٰ عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه كان غلولاً، يأتي به يوم القيامة» .

فقام إليه رجل أسود من الأنصار، كأني أنظر إليه فقال " يا رسول الله اقبل عني عملي؟

قال: وما لك؟" قال: سمعتك تقول كذا وكذا قال: وأنا أقوله الآن، فما استعملناه منكم علىٰ عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهى عنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٧٤) كتاب الجهاد والسير، ١٩٠ ـ باب القليل من الغلول وابن ماجه في سننه (٢٨٤٩) كتاب الجهاد، باب الغلول، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٦١، ٨/ ٣٣٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٤٩١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥٠٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٣،٧/ ١٢٩)، ومسلم في صحيحه [٢٩.(١٦٧٩)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات.
٩ ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، وأبو داود في سننه (١٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٧،٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٦٥٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٤،٢٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ ـ (١٣٧)] كتاب الإيمان، ٦١ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، والنسائي (٨/ ٢٤٦. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٦٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٦٠)، ومالك في الموطأ (٧٢٧).

انتهى "[١].

وهو ما قبله بيان لأنواع الظلم، وإن منها الحجة والجناية المحوجين إلىٰ اليمين الفاجرة، وإن منها الاختلاس فيما علم، والكتمان فيما لم يعلم.

وقوله ": مخيطًا فما فوقه " يحتمل ما فوقه من القلة.

ومنها السرقة والغلول المانع للشهادة، والموقع في النار، كما سيأتي.

ومنها الدين الذي صنع علىٰ صاحبه، بأنه لم يترك وفاءه أو لم يشهد به، أو نحو ذلك.

وروينا في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا فلان شهيد، وفلان شهيد، حتىٰ مروا علىٰ رجل فقالوا: فلان شهيد.

فقال ﷺ: «كلا إني رأيته في بردة غلها أو عباءة»[٢] وروينا فيه أيضًا من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي إنه ﷺ قام فيهم فذكر لهم إن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: أرأيت يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر خطاياي؟

فقال: نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر .

قال: كيف قلت؟ فأعاده.

فقال ﷺ: إلا الدين، فإن جبريل ﷺ قال لي ذلك [٣].

وكل ذلك مؤكد، للتنفير من الدين.

نعوذ بالله من غلبته، ومن قهر الرجال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠ ـ (١٨٣٣)] كتاب الإمارة، ٧. باب تحريم هدايا العمال، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/١٥٨)، وابن أبى شيبة في مصنفه (٦ / ٥٤٨، ٥٤٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٨٢ ـ (١١٤) كتاب الإيمان، ٤٨ ـ باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأحمد في مسنده (١/ ٣٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٤٦٦) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٧ ـ (١٨٨٥)] كتاب الإمارة، ٣٢ ـ باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه، إلا الدين، والترمذي في سننه (١٧١٢) كتاب الجهاد، باب ما جاء فيمن يستشهدون وعليهم دين، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٠٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣١١).

وفيه تنبيه من باب أولىٰ علىٰ النهب والمحاربة، كل استيلاء باطل [١]. وروينا أيضًا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون من المفلس من أمتي قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٢].

وهذا هو المفلس الحق، يقي وغير خاف.

أن إذ تفرق غرماؤه حسناته التي كأمثال الجبال، ثم وضعت عليه سيئاتهم، وطرح في النار، لا حسرة كحسرته، وأي أمر حصل له من مظالمه يقابل هذا الإفلاس الشديد في أضيق الأوقات.

وروينا فيهما من حديث أم سلمة مرفوعاً: «وإنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[٣].

فالحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا فليكن الإنسان علىٰ بصيرة ولو ألقىٰ معاذيره.

واعلم أن أحكام الدنيا والآخرة لون، وأحكام الجزاء والحاقة لون، فلا يتوهم أن إذن الحاكم يحمي الحساب أو يمنع العذاب.

---

(١) قال النووي: فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، وفيه أن الأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص لله تعالىٰ وقوله ﷺ: «مقبل غير مدبر» لعله احتراز مما يقبل في وقت ويدبر في وقت، والمحتسب هو المخلص لله تعالىٰ فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيت أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٦، ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٩.(٢٥٨١)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٥ ـ باب تحريم الظلم، والترمذي في سننه (٢٤١٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧١٨١) كتاب الأحكام، ٢٩. باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه فإن قضاء الحاكم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً، ومسلم في صحيحه [٤.(١٧١٣)] كتاب الأقضية، ٣. باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، وأبو داود في سننه (٣٥٨٣)، ومالك في الموطأ (٧١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٩)، وتلخيص الحبير (٤/ ١٩٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٣).

وروينا في صحيح البخاري من حديث ابن عمر مرفوعاً: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حراماً»[١].

وما أخشى أن يكون هذا إنذارًا بسوء الخاتمة.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[٢] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٣].

وروينا فيه أيضًا من حديث خولة بنت عامر الأنصارية[٤] وهي امرأة حمزة رضي الله عنهما وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة "[٥] أي لأن خصمه الله، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٦].

ومدار ما ذكرناه من الأحاديث على عشر مهمات.

بيان تحريم الظلم وخاصيته وسببه، وأن نفعه وهمي وقليل، وضرره متعدد كثير، وسوء حال الظالم والاعتبار بالمظلوم.

والتنبيه على ما لم يحسب ظلمًا أو يحسب أنه يخلص وما به التخلص، وبيان أهله وما يؤول إليه أمرهم أو بيان أنواعه وما فيه من الحسرة الناجمة عنه، وما لا يحله باطلاً، وإن سُلِّط عليه ظاهراً، وظلم لا فسحة للدين معه، وحكم ما لا يطالب به

إلا الرب جل جلاله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٦٢) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥١) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤٤٧).

(٢) سورة التوبة (٧٧).

(٣) سورة البقرة (٦١)، آل عمران (١١٢)، المائدة (٧٨).

(٤) خولة بنت ثامر الخولانية، البخارية الأنصارية، صحابية زوج حمزة بن عبد المطلب، ولها حديث، أخرج لها: البخاري والترمذي. ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/ ٤١٤)، وتقريب التهذيب (٢/ ٥٩٦)، وأسد الغابة (٧/ ٩١)، والثقات (٣/ ١١٦)، والاستيعاب (٤/ ١٣٨٠)، والإصابة (٧/ ٦١٧) والكاشف (٣/ ٤٦٩)، والخلاصة (٣/ ٣٨١) وأسماء الصحابة الرواة (٥٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣١١٨) كتاب فرض الخمس، ٧ - باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يعني للرسول قسم ذلك.
وأحمد في مسنده (٦/ ٤١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٤٦، ٣٩٩٥).

(٦) سورة فاطر (٥).

مجلس في النصيحة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

فيجب صفاء السرائر، وبذل الجهد في دفع الضرائر.

وقال تعالىٰ إخبارًا عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [2].

وعن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [3] فالنصح من شأن الكرام، وحقيقته الصدق، والنقاء من كل غش، وأثره بذل الجهد في الإصلاح، ولم كل شعث وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري مرفوعاً: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[4].

وروينا في الصحيحين من حديث جرير: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[5].

وروينا فيهما من حديث أنس مرفوعاً: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[6].

---

(١) سورة الحجرات (١٠).

(٢) سورة الأعراف (٦٢).

(٣) سورة الأعراف (٦٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٩٥ ـ (٥٥)] كتاب الإيمان، ٢٣ ـ باب بيان أن الدين النصيحة وذكره البخاري تعليقًا في كتاب الإيمان، ٤٣. باب قول النبي ﷺ : «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، والترمذي في سننه (١٩٢٦) كتاب البر والصلة باب ما جاء في النصيحة، والنسائي (٧/ ١٥٧) المجتبى، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧) كتاب الإيمان، ٤٣ ـ باب قول النبي ﷺ : «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، ورقم (٥٢٤) كتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة علىٰ إقام الصلاة، ورقم (١٤٠١) كتاب الزكاة، ٢ ـ باب البيعة علىٰ إيتاء الزكاة، ورقم (٢١٥٧) كتاب البيوع، ٦٨ ـ باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر ؟ وهل يعينه أو ينصحه ؟ وانظر كذلك أرقام (٢٧٠٥، ٢٧١٤، ٧٢٠٤)، ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٢٥٦)] كتاب الإيمان، ٢٣ ـ باب بيان أن الدين النصيحة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣) كتاب الإيمان، ٧ ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب=

ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان مزية النصح ومجاريه وصفته وموجبه، ودلائل التحقق بمنازلته.

ومن الحكايات اللائقة بذلك: ما روي عن علي بن أبي طالب الوراق إن يوسف بن الحسين رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي ورحمني.

فقيل: بماذا؟

فقال: بكلمة أو بكلمات قلتها عند الموت، قلت: اللهم إني نصحت الناس قولًا وخنت نفسي فعلًا فهو خيانة نفسي لنصح قولي.

الثانية: قال الأحنف[1] قال عمر: يا حنيف من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه كانت النار أولىٰ به.

الثالثة: قال وديعة سمعت عمر يقول وهو يعظ رجلًا: لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجره، ولا تطلعه علىٰ سرك ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله ﷻ.

الرابعة: قال محمد بن علي: أوصاني أبي فقال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق. قلت: جعلت فداك يا أبت من هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبن فاسقاً، فإنه يُتْبِعُك بالكلمة فما دونها.

قال: تطمع فيها، ثم لا تنالها. قلت: يا أبت ومن الثاني؟

قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما تكون إليه.

= لنفسه، ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٤٥)] كتاب الإيمان، ١٧ ـ باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والترمذي (٢٥١٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع.

(١) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين أبو بحر التميمي الذي يضرب به المثل في الحلم، من كبار التابعين وأشرافهم، اسمه الضحاك، ويقال: صخر، وغلب عليه الأحنف لاعوجاج رجليه وكان سيدًا مطاعًا في قومه، أسلم في حياة الرسول ﷺ ووفد علىٰ عمر، وحدث عن عمر وعثمان وعلي وأبي ذر والعباس وابن مسعود، قال ابن سعد: كان الأحنف ثقة مأمونًا قليل الحديث، وكان صديقًا لمصعب بن الزبير فوفد عليه إلىٰ الكوفة فتوفي عنده سنة (٦٧، ٧١) [تاريخ الإسلام وفيات (٦١ ـ ٧٠)].

فقلت: يا أبت ومن الثالث؟

قال: لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب، يبعد عنك القريب، ويقرب منك البعيد.

قلت: يا أبت ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. قلت: قد قيل عدو عاقل خير من صديق أحمق.

قلت: يا أبت ومن الخامس؟

قال: لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله ﷻ في ثلاثة مواضع.

الخامسة: عن ابن عباس أنه قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتبه إلي علي بن أبي طالب، كتب إليَّ:

أما بعد، فإن المرء ليسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته.

فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، وليكن أسفك علىٰ ما فات منها.

وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأس جزعاً.

السادسة: قال ثابت بن الحجاج[1]: قال عمر بن الخطاب: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾[2].

السابعة: قال عبد الرحمن: أتى رجل الضحاك فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع بدائع.

قال: لا تشرك بالله شيئاً، وزُلْ مع الحق حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وإن كان بغيضاً.

ومن جاءك بالباطل فاردده عليه، وإن كان حبيباً.

الثامنة: عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر عند الكعبة فقال: أيها الناس أنا جندب الغفاري[3] هلموا إلىٰ الأخ الناصح الشفيق.

---

(١) ثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، ثقة أخرج له أبو داود.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٤)، وتقريب التهذيب (١/ ١١٥)، والكاشف (١/ ١٧٠)، وتاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٦٢)، والجرح والتعديل (٢/ ١٨١٠).

(٢) سورة الحاقة (١٨).

(٣) أبو ذر الغفاري اسمه جندب بن جنادة، أحد السابقين الأولين، يقال كان خامسًا في الإسلام ثم =

فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلي.

قال: فسفر طريق الآخرة أبعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول النشور، وصلوا ركعتين في ظلمة سواد الليل لوحشة القبور. كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء فتسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرة. اجعل الدنيا مجلسين، مجلس في طلب الحلال، و مجلس في طلب الآخرة.

والمجلس الثالث يضرك ولا ينفعك، فلا ترده.

واجعل المال درهمين، درهمًا تنفقه علىٰ عيالك من حله، ودرهمًا تنفقه لآخرتك.

والمال يضرك ولا ينفعك، فلا ترده.

ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً.

التاسعة: كتب أبو الدرداء[١] إلىٰ سلمان الفارسي: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده، واغتنم دعوة المبتلىٰ ويا أخي ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن المسجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله تعالىٰ لمن كانت المساجد بيوتهم الروح والرحمة والجواز علىٰ الصراط إلىٰ رضوان الله، ويا أخي ارحم اليتيم وأدنه، أطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه فقال: « أتحب أن يلن قلبك »[٢].

قال: نعم، قال: «أدنِ اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر علىٰ حاجتك».

يا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول[٣]

= انصرف إلىٰ بلاد قومه وأقام بها بأمر النبي ﷺ ثم لما هاجر النبي ﷺ هاجر أبو ذر إلىٰ المدينة.

(١) أبو الدرداء عويمر بن عبد الله، وقيل ابن زيد وقيل ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، وقيل عويمر بن قيس بن زيد، ويقال عامر بن مالك، حكيم هذه الأمة، له عن النبي ﷺ عدة أحاديث. توفي سنة (٣٢)هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٠).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٠٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١٤)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٤٦).

يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله فيها وهو بين يدي ماله، وماله خلفه، كلما تكفىٰ به الصراط قال له ماله: امض فقد أديت الحق الذي عليك.

قال: ويجاء بالذي لم يطع الله ﷻ وماله بين كتفيه فيعيره ماله ويقول له: ويلك هلا عملت بطاعة الله في، فلا يزال كذلك حتىٰ يدعو بالويل والثبور".

ويا أخي حُدِثْتُ إنك اشتريت خادماً، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال العبد من الله زهو منه ما لم يخدم، فإذا خدم وجب عليه الحساب»[(١)].

ويا أخي لا تغترن بصحبة رسول الله ﷺ فإنا عشنا بعده دهرًا طويلاً، والله أعلم بالذي أصابنا بعده.

العاشرة: عن بعض الشيوخ قال: دخلت أنا وعشرة نفر في جبل لكام، فسرنا فيه أياماً، فانحدرنا إلىٰ واد، فإذا فيه بحيرة ماء عذب، وإذا علىٰ شاطئ البحيرة مسجد مبني من حجر أبيض، وإذا بعين ماء تحت المسجد تجري إلىٰ البحيرة، فجلسنا فيه، فلما كان وقت الظهر جاء رجل أذن وأقام، ثم دخل المسجد، فسلم علينا وصلى ركعتين، ثم أقام الصلاة فدخل شيخ ومعه ثلاثون رجلاً، فتقدم إلىٰ المحراب وصلى بنا، ثم انصرفوا، ولم يكلمونا ، ولم نكلمهم، فلما كان بعد ساعة جاء رجل منهم معه شئ فوضعه في زاوية المسجد، ثم قال لنا: هلموا رحمكم الله.

فقمنا إليه فإذا نحن بمنديل أبيض لم نر مثله تحت مكبة من زمرد أخضر.

فكشفناها فإذا مائدة من ياقوت أحمر عليه طعام يشبه الثريد، فأكلنا منه.

فكنا نأكل ولا ينقص منه شئ.

فلما كان وقت السحر جاء ذلك الرجل فحمل المائدة ثم أذن وأقام الصلاة فتقدم الشيخ فصلىٰ بنا وجلس في محرابه وختم القرآن وحمد الله وأثنىٰ عليه، ودعا بدعاء حسن.

ثم قال: إن الله تعالىٰ افترض علىٰ خلقه فريضتين في آية واحدة، والخلق عنها غافلون.

فقلت: ما هي يرحمك الله؟

فقال لي: تقدم جبرك الله، فقدمني علىٰ الجماعة وقال لي: يا بني جبرك الله قال الجليل جل جلاله ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فَاطِر: ٦] ونتحصن منه قال: اعلم رحمك الله إن الله جل جلاله جعل لكل مؤمن سبعة حصون.

---

(١) أخرجه عبد الرازق في مصنفه (٢٠٠٢٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١٥).

فقلت وما هذه الحصون؟

قال: الحصن الأول: من ذهب: وهو معرفة الله تعالىٰ وحوله: حصن من فضة، وهو الإيمان بالله، وحوله حصن من حديد وهو التوكل علىٰ الله وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عن الله وحوله حصن من فخار وهو الأمر والنهي والقيام بهما، وحوله حصن من زمرد وهو الصدق والإخلاص في جميع الأحوال.

وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو أدب النفس.

والمؤمن من داخل هذه الحصون، وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب، والمؤمن لا يبالي به لأنه قد تحصن بهذه الحصون.

فينبغي للمؤمن أن لا يترك أدب النفس في أحواله ولا يتهاون به في كل ما يأتيه، فإنه من ترك أدب النفس وتهاون به يأتيه الخذلان من فوق لتركه الأدب، ولا يزال إبليس يعالجه ويطمع فيه حتىٰ يأخذ منه الحصن الأول ثم لا يزال يأخذ منه حصنًا بعد حصن إذا ترك الأدب، ويطمع فيه، ويأتيه الخذلان من الله لتركه حسن الأدب حتىٰ يأخذ منه جميع الحصون، ويرده إلىٰ الكفر فيخلد في النار، نعوذ بالله من جميع ذلك، ونسأله التوفيق وحسن الأدب.

قال: فقلت له: أوصني بوصية.

قال: نعم جبرك الله، اجتهد في رضى خالقك بقدر ما تجتهد في رضى نفسك، واعمل في الدنيا بقدر مقامك فيها، واعمل لربك بقدر حاجتك إليه، وأطع إبليس لعنه الله بقدر نصحه لك، وارتكب من المعاصي بقدر طاقتك علىٰ النار، واحفظ لسانك عما لا ترجو فيه ثوابا كما تحفظ نفسك من سلعة لا ترجو فيها ربحاً.

واترك أربعة لأربعة، ثم لا تبالي متى مت اترك الشهوات إلىٰ الجنة والنوم إلىٰ القبر، والراحة إلىٰ الصراط والفخر إلىٰ الميزان.

ثم قام فمشى، فأقمنا يومنا ذلك.

فلما كان اليوم الرابع ودعناهم فقال الشيخ في آخر كلامه لنا: يا فتيان استروا المكان يستركم الله في الدنيا والآخرة.

الحادية عشرة: عن أبي عامر الواعظ قال: بينما أنا جالس في مسجد الرسول ﷺ إذ جاءني غلام أسود برقعة فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم متعك الله بمسامرة الفكرة ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلق، يا أبا عامر أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة، فسررت بذلك، وأحببت زيارتك.

وبي من الشوق إلىٰ مجالستك والاستماع إلىٰ مجالستك والاستماع إلىٰ محادثتك ما لو كان فوقي لأظلني أو كان تحتي لأقلني فسألتك بالذي حباك بالبلاغة

لما أتحفتني جناح التوصل بزيارتك. والسلام.

قال أبو عامر: فقمت مع الرسول أتىٰ بي إلىٰ فناء، فأدخلني منزلًا رحيباً، فقال لي: قف هنا حتىٰ أستأذن لك.

فوقفت، فخرج إليَّ وقال: لج، فدخلت فإذا ببيت مفرد في الخربة له باب من جريد النخل، وإذا بشيخ قاعد مستقبل القبلة بحالة من الوَلَه مكروبًا من الخشية محزونًا قد ظهرت في وجهه أحزانه.

وذهبت من البكاء عيناه، مرضت أجفانه.

فسلمت عليه، فرد علي السلام، فإذا به أعمى مقعد مقام.

فقال لي: يا أبا عامر غسل الله من أوزار الذنوب قلبك، لم يزل قلبي إليك تواقاً، وإلى سماع الموعظة منك مشتاقاً، وبي جرح ثقل قد أعيا الواعظين دواءه، وعجز المطيبين شفاؤه.

وقد بلغني نفع مراهمك الجراح والآلام.

فلا بأس رحمك الله، مر (وابقاع)[1] الترياق، وإن كان مر المذاق، فإني ممن يصبر علىٰ ألم الدواء، رجاء الشفاء قال أبو عامر: فنظرت إلىٰ منظر هولني، وسمعت كلامًا قطعني، وفكرت طويلاً.

ثم أتاني من كلامه ما أتاني من الكلام، وسهل عني صعوبته ما منه تابا، وبرق الأفهام.

فقلت: يا شيخ ارم ببصرك قلبك من ملكوت السموات فأجل فسمّع معرفتك في سكان الأرجاء، وتمقل بحقيقة إيمانك إلىٰ جنة المأوى، فترى ما أعد الله فيها للأولياء.

ثم تُشرف علىٰ نار فترى فيها ما أعد الله للأشقياء فشتان ما بين الدارين، ليس الفريقان في الموت سواء.

قال: فأنَّ وأنه صاح صيحة، وزفر والتوى وبكىٰ حتىٰ أروىٰ الثرىٰ.

وقال: يا أبا عامر وقع دواؤك علىٰ دائي، وأرجو أن يكون عندك شفائي، زدني رحمك الله.

قلت: يا شيخ إن الله عالم سريرتك، مطلع علىٰ حقيقة ساهرتك في خلوتك، بعينه عند استتارك من خلقه ومبارزته.

---

(١) كذا بالأصل.

فصاح صيحة كصيحته الأولىٰ، ثم قال: من لفقري، من لفاقتي، من لذنبي، من لخطيئتي، أنت لي يا مولاي إليك منقلبي، ثم خر ميتاً.

فخرجت إليَّ جارية عليها مدرعة من صوف وخمار من صوف قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، واصفر لطول القيام لونها، وتورمت قدماها فقالت: والله يا حادي قلوب العارفين ومثير أشجان عليل المحزونين لا ينسى لك هذا المقام من رب العالمين.

هذا الشيخ والدي مبتلي بالسقم منذ عشرين سنة، صلىٰ حتىٰ أقعد، وبكىٰ حتىٰ عمي، وكان يتمناك علىٰ الله ويقول: حضرت مجلس أبي عامر، فأحيىٰ موات قلبي وطرد وسن نومي، وإن سمعته ثانيًا قتلني، فجزاك الله من واعظ خيراً، ومتعك من حكمتك بما أعطاك.

ثم أكبت علىٰ أبيها تقبل بين عينيه وتبكي وتقول: واأبتاه، يا من أعماه البكاء علىٰ ذنبه، يا من قتله وعيد ربه، ثم علا البكاء والاستغفار والدعاء والنحيب وجعلت تقول: يا حليف الحرقة والبكاء، يا جليس الابتهال والدعاء، يا صريع المذكرين والخطباء.

يا قتيل الوعاظ والحكماء.

قال أبو عامر: فأجبتها فقلت: أيتها الباكية الحيراء، والنادبة الثكلاء، إن أباك نحبه قضي، وورد دار الجزاء، وعاين كل ما عمل، وعليه يحصى في كتاب عند ربه ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] فمحسن فله الزلفىٰ، ومسيء فوارد دار من أساء.

فصاحت الجارية وجعلت ترشح عرقاً، ثم ماتت.

فخرجت مبادرًا إلىٰ مسجد المصطفى ﷺ وفزعت إلىٰ الصلاة والدعاء والاستغفار حتىٰ كان عند العصر، فجاءني غلام أسود يؤذنني بجنازتهما وقال: أحضر للصلاة عليهما ودفنهما.

فحضرت وسألت عنهما فقيل لي: هما من ولد الحسن والحسين بن علي بن أبي طالب[1]، فما زلت جزعًا مما جنيت عليهما حتىٰ رأيتهما في المنام عليهما

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٧٦٨) كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وروي البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا».

حلتان خضراوتان، قلت: مرحبًا بكما وأهلاً، ما زلت حذرًا مما وعظتكما به فما صنع الله بكما؟ فقال الشيخ:

أنت شريكي في الذي نلته ... مستأهلًا ذاك أبا عامر
وكل من أيقظ ذا غفلة ... فنصف ما يعطاه للآمر
من رد عبدًا مذنباً ... كان كمن راقب للقاهر
واجتمعا في دار عدن وفي ... جوار رب سيد غافر

يا أبا عامر وردت علىٰ رب كريم راض غير غضبان، فأسكنني الجنان وزوجني من الحور الحسان، فاحرص يا أبا عامر أن تكثر من الاستغفار:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وبت مجاور الرب الرحيم
فهنوني يا أصحابي وقولوا ... لك البشرى قدمّت علىٰ كريم

مجلس في التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] [١].

وهذا خطاب لسيد الأولين والآخرين، فما بالك بآحاد المخلوقين.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [٢].

وهذا شرح خفض الجناح، فوصف المحبوبين لله المحبين له بذلك.

ولنتمنَّ الذلة معنى التحصن عداد (بعلي) [٣] فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [٤].

فإذا كان الأمر كذلك فلم لا يتواضع، والناس في ذلك سواء، فلا وجه للترفع إذن.

وإن تفرعوا للشعوب والقبائل فهو للتعارف لا للتفاخر.

وقال الله تعالىٰ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [٥] فلا يتوهم فاعله ترفعه

---

(١) سورة الحجر (٨٨).

(٢) سورة المائدة (٥٤).

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝١٧﴾ أي بممتنع ولا صعب. [تفسير ابن كثير (٢/ ٧١)].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) سورة الحجرات (١٣).

يقول تعالىٰ مخبرًا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبًا وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل.

وقوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣] أي إنما تتفاضلون عند الله تعالىٰ بالتقوى لا بالأحساب. [تفسير بن كثير (٤/ ٢١٧)].

(٥) سورة النجم (٣٢).

ومكانه، فإنه تزكية منهي عنها بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ .

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [(١)] الآية ، ولنذكر أحاديث في ذكر ما يرغب في التواضع ويجذب إليه، وما يحذر من عواقب الرفعة الدنيوية، والمراتب العلية.

وقد روينا في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار . بالراء . مرفوعاً : - «إن الله أوحى إلىٰ أن تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد، ولا يبغي أحد علىٰ أحد» [(٢)] .

وروينا فيه أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعاً : «ما نقصت صدقة من مال، ولا زاد الله عبدًا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» [(٣)] .

وروينا في صحيح البخاري من حديث أنس: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت.

وروينا في الصحيحين من حديثه أيضًا أنه مر علىٰ صبيان فسلم عليهم، وقال: "كان رسول الله ﷺ يفعله " [(٤)] .

---

(١) سورة الأعراف (٤٨).
قال حذيفة: إن أصحاب الأعراف قوم تكاثفت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا علىٰ الأعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى الله بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك. . . .الحديث بطوله. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٣)].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤-(٢٨٦٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٦. باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، وأبو داود في سننه (٤٨٩٥)، وابن ماجه في سننه (٤١٧٨، ٤٢١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٦٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٥٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٩ ـ(٢٥٨٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٩. باب استحباب العفو والتواضع، والترمذي في سننه (٢٠٢٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٥). وقال النووي: قوله ﷺ : «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهان معًا جميعها في الدنيا والآخرة والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٦/ ١١٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان، ١٥ ـ باب التسليم علىٰ الصبيان، ومسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢١٦٨)] ـ (١٥) كتاب السلام ٥ ـ باب استحباب السلام علىٰ الصبيان.

وروينا في صحيح البخاري من حديث الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟

قالت: كان يكون في مهنة أهله، ـ يعني في خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة [(١)].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي رفاعة تميم بن أسد قال: انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟

فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتىٰ انتهى إلي، فأُتِيَ بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني ما علمه الله.

ثم أتى خطبته فأتم آخرها [(٢)].

وروينا فيه من حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث قال: وقال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذىٰ وليأكلها ولا يدعها للشيطان»، وأمر بسلت القصعة قال: فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة [(٣)].

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»

قال أصحابه: وأنت؟

قال: «نعم كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٦) كتاب الأذان، ٤ ـ باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، ورقم (٥٣٦٣) كتاب النفقات، ٨ ـ باب خدمة الرجل في أهله، ورقم (٦٠٣٩) كتاب الآداب، ٤٠. باب كيف يكون الرجل في أهله، والترمذي (٢٤٨٩)، وأحمد في مسنده (٦/ ١٢٦، ٢٠٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١٥) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٩٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٠ ـ (٨٧٦)] كتاب الجمعة، ١٥. باب حديث التعليم في الخطبة، قال النووي: فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلىٰ جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور، فأهمها ولعله كان يسأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء علىٰ أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه علىٰ الفور. [النووي في شرح مسلم (٦/ ١٤٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٥.(٢٠٣٣)] كتاب الأشربة، ١٨. باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها، وأبو داود في سننه (٣٨٤٥) وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٦٢) كتاب الإجارة، ٢ ـ باب رعي الغنم علىٰ قراريط، وابن =

وروينا فيه أيضًا عنه مرفوعاً: «لو دعيت إلىٰ كراع لأجبت ولو أهدي إلىٰ ذراع أو كراع لقبلت»[١].

وروينا فيه أيضًا عن أنس قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق، ولا تكاد تسبق، فجاء أعرابي علىٰ قعود له فسبقها.

فشق ذلك علىٰ المسلمين حتىٰ عرف.

فقال: «حق علىٰ الله إن لا يرفع شئ من الدنيا إلا وضعه»[٢].

وروينا عن حماد بن زيد قال: قال لي أيوب السختياني: إن قومًا يريدون أن يرفعوا فيأبي الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا ويأبىٰ الله إلا أن يرفعهم .

وقال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع الحديث فاجتهدت أن أرفعه، فأبي وقال: لا أجلس إلا بين يديك فقد أمرنا بالتواضع لمن نتعلم منه.

وقال علي بن أبي طالب فيما رواه الشعبي [٣] عنه: يا أيها الناس عُدُّوا عني هذه الكلمات، فلو ركبتم المطايا حتىٰ تضنوها ما أصبتم منها: لا يرجَونَّ عبدًا إلا ربه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يتعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

واعلموا أن الصبر مع الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له.

= ماجه (٢١٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١١٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٦٨) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ٢ ـ باب القليل من الهبة، ورقم (٥١٧٨) كتاب النكاح، ٧٤. باب أجاب إلىٰ كراع، وابن حبان في صحيحه (١٠٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٦٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٩، ٢/ ٤٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٥٣) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٨٢٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠١) كتاب الرقاق، ٣٨ ـ باب التواضع، وأبو داود في سننه (٤٨٠٢) كتاب الأدب باب في كراهية الرفعة في الأمور، والنسائي (٦/ ٢٨٨ـ المجتبى)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٥٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٥) والقرطبي في تفسيره (٩/ ١٤٦)، والدارقطني في سننه (٤/ ٣٠٣).

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الحميري، الكوفي، الهمداني، ثقة، مشهور، فقيه فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٠٩، ١٠٥، ١٠٤).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/ ٦٥)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٨٧)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٤٥٠) سير الإعلام (٤/ ٢٩٤)، والثقات (٥/ ١٨٥)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٥٨٧)، والجرح والتعديل (٦/ ١٨٠٢)، والتاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢٤٣، ٢٥٣).

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١]: ما دخل قلب رجل شئ من الكبر إلا نقص من عقله قدر ما دخله من ذلك، قل أو كثر.

وعنه: أن والده كان يحب أن لا يعينه علىٰ طهوره أحد، كان يستقي الماء لطهوره، ويحضره قبل أن ينام فإذا أقام من الليل بدأ بالسواك، ثم يتوضأ ويأخذ في صلاته، وكان يقول: عجبت للمتكبر الفجور الذي كان أمس نطفة ثم يكون غدًا جيفة وعجبت كل العجب من يرد دار البقاء، ويعمل لدار الفناء.

وقال الشبلي: إذا أردت أن تنظر إلىٰ ما أنت، فانظر إلىٰ ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان هذا حاله فلا يجوز له أن يتطاول أو يتكبر علىٰ من هو مثله.

وللحسن البصري عجبت من معجب بصورته، وكان بالأمس نطفة مذرة، وهو علىٰ تيهه ورونقه ما بين جنبيه يحمل العذرة.

وروي أن إبراهيم بن أدهم[٢] كان يعمل في الحصاد ويحفظ السلتين.

فجاءه يومًا جندي وطلب منه أن يعطيه شيئًا من الفاكهة فأبىٰ.

فقلب الجندي سوطه وضرب رأسه، فطأطأ إبراهيم رأسه وقال: اضرب رأسًا طال ما عصى الله، فلما عرفه الجندي اعتذر إليه فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج إلىٰ الاعتذار تركته ببلخ.

وقال همام: قال لي عروة: كلمة احتملتها أورثتني عزًا طويلاً.

وقال إبراهيم بن أدهم: رأيت جبريل في المنام وفي يده قرطاس، فقلت له ما تصنع بهذا؟ قال: اكتب فيه أسماء المحبين.

فقلت: أكتب محبهم محب المحبين إبراهيم بن أدهم.

فنودي يا جبريل قال: اكتبه هو أولهم.

وروي أن الشيخ محمد بن الكيس كان يجتمع بالخضر[٣] في أكثر الأوقات،

---

(١) تقدمت ترجمته من قبل.

(٢) قال القشيري: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر أبو إسحاق العجلي، وقيل: التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، كان من أبناء الملوك، فخرج يتصيد وأثار ثعلبًا أو أرنبًا وهو في طلبه، فهتف به هاتف، ألهذا خلقت أم لهذا أمرت فنزل عن دابته وصادف راعيًا لأبيه، وأخذ جبته الصوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم إنه دخل البادية إلىٰ أن قال: ومات بالشام وكان يأكل من عمل يده، من الحصاد، وحفظ البساتين، ورأىٰ في البادية رجلًا علمه اسم الله الأعظم، فدعا به بعده فرأىٰ الخضر وقال: إنما علمك أخي داود الاسم الأعظم. [تاريخ الإسلام وفيات (١٦١-١٧٠)].

(٣) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح =

وكان له صاحب موسر كثير المعروف فقال له: يا أخي مالي منك نصيب؟ قال: فبماذا؟ قال: تجمع بيني وبين الخضر وتسأله أن يظهر لي حتىٰ أراه. قال: أنا أقول له.

فقال للخضر: صاحبي فلان قصد رؤيتك. فقال: صاحبك لما يريد أن يراني؟

قال: سبحان الله هكذا قال لي.

فقال له الخضر قل له أنا يوم الجمعة أقصد في زويته.

فلما كان يوم الجمعة بادر الرجل فتطهر وجلس علىٰ سجادته يذكر الله.

فدق الباب رجل، فقيل إنما عليه أطمار رثة ويريد الاجتماع بك.

فقال هذا مسكين، لا شك إنه يريد من القمح الذي سمع عنه، قولي له يرجع بعد الصلاة، وإذا هو الخضر.

فلما كان بعد الصلاة قال لابن الكيس: انتظرته فلم أره.

فقال: يا قليل التوفيق هو الذي جاءك وردته تريد أن تجتمع بالخضر وعلىٰ بابك الحجاب؟

فأعتق جواريه، وصار يخرج بنفسه إلىٰ الباب إذا دق.

وحكي أن سليمان بن داود ﷺ مر في موكبه والطير تظله والدواب وسائر الحيوانات يمينه ويساره[1] فمَّر بعابد من عُبَّاد بني إسرائيل.

فقال: والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكًا عظيمًا فسمع ذلك سليمان فقال: لتسبيحه في صحيفة مؤمن خير مما أُعطى ابن داود.

فما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى.

ولبعضهم:

إذا لم تكن مَلِكًا مطاعاً فكن عبدًا لمالكه مطيعاً

= والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النَّمل: ١٧]، وقال ابن كثير: أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حرًا أظلته منه بأجنحتها، وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النَّمل: ٨٣] أي يكف أولهم علىٰ آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له. [تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠)].

وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تختار فاتركها جميعاً
هما سببان من ملك ونسك ينيلان الفتى شرفًا رفيعاً
ومن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين يجيء به وضيعاً

وروينا عن الشيخ أبي يزيد البسطامي قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟

فقال: اترك نفسك وتعال.

وروي مرفوعا:[١] إن الله يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء الشَعِثةُ رؤوسهم المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإذا خطبوا المُنَعَّمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يُشْهَدُوا.

قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟

قال: ذاك أويس القرني [٢] أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين، (ممتد)[٣] القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله لا يؤبه له، متزر بإزار من صوف، ورداء صوف مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبرَّ قسمه، وإن تحت منكبه لمعة بيضاء.

ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة وقيل لأويس: قم فاشفع فيشفعه الله في مثل ربيعة ومضر.

يا عمر ويا علي إذا أنتما لقيتماه، فاطلبا إليه أن يستغفر لكما، يغفر الله لكما.

قال: فكانا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء(٢/ ٨١)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ١٦٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه [٢٢٣.(٢٥٤٢)] كتاب فضائل الصحابة، ٥٥. باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه وفيه: فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «إن رجلًا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم».

في قوله ﷺ: «فمن لقيه منكم فليستغفر لكم» وفي الرواية الأخرى قال لعمر: «فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» هذه منقبة ظاهرة لأويس القرني رضي الله عنه، فيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم. [شرح مسلم للنووي (١٦/ ٧٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) في الأصل "مفسد".

فلما كان في آخر السنة التي مات فيها عمر، قام علىٰ أبي قبيس فنادى بأعلى صوته، يا أهل البيداء أفيكم أويس؟

فقال شيخ كبير طويل اللحية فقال: إنا لا ندرى من أويس ولكن ابن أخ لي يقال له أويس، وهو أخمل ذكرًا وأقل مالا وأهون أمرًا من إن نرفعه إليك، وإنه ليرعي إبلًا حقير بين أظهرنا، فعمي عليه عمر كأنه لا يرقيه.

وقال: ابن أخيك هذا تحرمناه هو.

قال: نعم، قال: وأين يصاب؟

قال: بأراك عرفات، فإذا هو قائم يصلي إلىٰ شجرة والإبل حوله ترعى، فشدا حماريهما، ثم أقبلا عليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله.

فخفف أويس من الصلاة، ثم رد عليهما السلام.

فقالا: من الرجل؟

قال: راعي إبل، وأجير قوم.

قلنا: لسنا نسألك عن الرعاية، ولا عن الإجارة.

ما اسمك؟ قال: عبد الله.

قالا: قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله، فما اسمك الذي سمتك به أمك؟

قال: يا هذان أينما تريدان إليَّ؟

قالا: وصف لنا محمد ﷺ أويسًا القرني وقد عرفنا الصهوبة والشهولة.

وأخبرنا محمد ﷺ أن تحت منكبه الأيمن لمعة بيضاء، فأوضحها لنا، فإن كانت بك، فأنت هو، فأوضح لهما منكبه، فإذا اللمعة.

فابتدرا يقبلانه وقالا نشهد أنك أويس القرني فاستغفر لنا يغفر الله لك.

قال أويس: ما أخص باستغفاري نفسي، ولا أحدًا من ولد آدم، ولكنه في البر والبحر في المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

يا هذان قد شهر الله لكما حاشيها، وعرَّفكما أمري فمن أنتما؟

قال علي: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فاستوى أويس قائمًا قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

وأنت يا ابن أبي طالب.

فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً.

قالا: وأنت جزاك الله عن نفسك خيراً. فقال عمر: مكانك رحمك الله حتىٰ

أدخل مكة، فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي.

هذا المكان ميعاد بيني وبينك.

قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرفني ما أصنع بالنفقة، ما أصنع بالكسوة، أما ترى علي إزار من صوف، ورداء من صوف.

متى تراني أخرقهما؟ أما ترى نعلي مخصوفتان متى تراني أبليهما؟.

أما ترى إني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟.

يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويلك عقبة كؤودًا إلا ضامر مخف مهزول، فأخف رحمك الله.

فلما سمع عمر ضرب بدرته الأرض، ثم نادى بأعلىٰ صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها عقيمًا لم تعالج حملها ألا من يأخذها بما فيها يعني الخلافة ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت.

فهنا تولى عمر ناحية مكة، وساق أويس فوافى القوم فأعطاهم المير، وخلى الرعاية، وأقبل علىٰ العبادة حتىٰ لحق بالله.

وروي عن عمار بن سيف الضبي أنه قال: قال رجل لأويس كيف أصبحت أو كيف أمسيت؟

فقال له أويس: أصبحت أحب الله، وأمسيت أحمده.

وما يسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن إنه لا يمسي وإذا أمسى ظن أنه لا يصبح.

إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحاً، وإن حق الله في مال المسلم لم يدع له في ماله فضة ولا ذهبًا.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً.

وروي عنه إنه كان يقتات من المزابل، ويكتسي منها فنبحه كلب يومًا علىٰ مزبلة، فقال له أويس: " كل مما يليك، فأنا آكل مما يليني، ولا تنبحني، فإن جزت الصراط، فأنا خير منك، وإلا فأنت خير مني ".

ولسيدي عبد الله اليافعي:

سقى الله قومًا من شراب وداده ... فهانوا به ما بين باد وحاضر

يظنهم الجهال جُنًا وما بهم ... جنون سوى حُبٍّ علىٰ القوم ظاهر

سقوا بكؤوس الحب راحًا من الهوى ... فراحوا سكارى بالحبيب المسامر

يناجونه في ظلمة الليل عندما   به قد خلوا أويس بن عامر(١)

وحكي عن بعضهم أنه دعي إلىٰ دار مرارًا كثيرة في ساعة واحدة كلما وصل باب الدار رده الداعي اختبارًا له وهو طيب بذلك لم يظهر منه انزعاج.

فتعجب الداعي من حلمه وصبره واستعظمه منه فقال: لا تستعظم ذلك مني، هذه صفة الكلب؛ كلما دعي أجاب وكلما طرد ذهب وحكي عن الحسن البصري أنه قال: في الكلب عشر خصال ينبغي لكل مؤمن أن تكون فيه:

١ - أن يكون خائفًا فإنه من آداب الصالحين

٢ - لا مكان له يعرف، وذلك من آداب المتوكلين.

٣ - لا ينام من الليل إلا قليلا، وذلك من صفات المحبين.

٤ - لا ميراث له بعد موته، وذلك من صفات الزاهدين.

٥ - لا يترك صاحبه وإن جناه، وذلك من علامات المريدين الصادقين.

٦ - وإن يرضي من الأرض بأدنى المواضع، وذلك من علامات المتواضعين.

٧ - وإذا غلب علىٰ مكانه تركه وانصرف إلىٰ غيره، وذلك من علامات الراضين.

٨ - وإذا ضرب وطرد وجفي ثم طرحت له كسرة أجاب ولم يحقد علىٰ ما مضى، وذلك من علامات الخاشعين.

٩ - وإذا حضر الآكل جلس بعيدا ينتظر، وهذا من علامات المساكين.

١٠ - وإذا رحل من مكانه لا يلتفت إليه، وهذا من علامات المحزونين.

وحكي عن بعضهم إنه رأىٰ كلابا في كهف في جبل مقيمة به لا تخرج منه، ولا تدخل البلد إلا يومًا واحدًا في الأسبوع.

تدخل وتأكل من المزابل وتعود إلىٰ مكانها.

هكذا دائما، فأقام معها مدة، يدخل معها يوم دخولها، ويخرج معها يوم خروجها، ويأكل معها من المزابل مما يحل له أكله فحصل له بتلك الكلاب رياضات وآداب.

---

(١) أويس بن عامر كذا رواه مسلم، وهو المشهور، قال ابن ماكولا: ويقال أويس بن عمرو، قالوا: وكنيته أبو عمرو، قال القائل: قتل بصفين وهو القرني من بني قرن بفتح القاف والراء، وهي بطن من مراد، وهو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، وقال الكلبي: ومراد اسمه جابر بن مالك بن أدد بن صحب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سياد. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ٧٧) طبعة دار الكتب العلمية].

وقال بعض الصالحين وقد جاز قوم معهم كلاب الصيد فنبحتها كلاب الدرب كأن هذه حدثت.

فقالت الأهلية لهنَّ، رغبتن في نعم الملوك (فجنز)[1] ردكن، ولو قنعتن بالمنبوذ مثلنا كنتن مخليات فقال لها كلاب الصيد: خفي عليكُنَ حالنا، نحن وأوافينا آلة الخدمة، فحبسونا لها، وقاموا لنا بالكفاية.

قالت الأهلية: فالواحد منكنَّ إذا كبر خُلِّي وصار معنا.

قالت: لأنه قصد فيما يجب عليه وكل من قصر فيما يجب عليه طُرِد.

وعن بعض الصالحين قال: اشتريت عبدًا فقلت له ما اسمك؟

فقال: يا مولاي ما سميتني به. فقلت: ما الذي تعمل؟

قال: يا مولاي ما به أمرتني.

فقلت: ما الذي تأكل.

قال: يا مولاي ما أطعمتني.

فقلت: فما لك إرادة في شئ.

قال: وأي إرادة تكون للعبد مع مولاه؟

قال: فأبكاني وذكَّرني حالي مع مولاي.

فقلت: يا هذا لقد أدبتني مع سيدي

فأنشأ يقول:

لو تم لي كوني لعبد خادماً ... ما كنت أطلب فوق ذاك نعيماً

فارحم بفضلك زلتي وتحيري ... فلذا عرفتك محسنًا ورحيماً

آخره ولله الحمد.

(١) كذا بالأصل.

مجلس في الخوف

ومعناه انخلاع القلب من طمأنينة الأمن للشعور بمحذور يتوقع.

ويترتب عليه الورع عن محارمه، والتوقف عن كارهه قال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البَقَرَة: ٤٠] [(١)].

أي خافون، وهو أشد من الوجل الذي هو خوف لا قرار معه.

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوج: ١٢] [(٢)].

والبطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وذلك علىٰ الرهبة واقتضاؤه وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هُود: ١٠٢] [(٣)].

إلىٰ قوله: ﴿وَشَهِيقٌ﴾ [هُود: ١٠٦].

وهذه الآيات بيان لشدة البطش.

ومعنى شديد: وجيع صعب علىٰ المأخوذ.

وهو تحذير من عاقبة الظلم لكل من ظلم غيره، أو نفسه بذنب اكتسبه، فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد، فيبادر بالتوبة ولا يغتر بالإمهال ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ﴾ [هُود: ١٠٣] [(٤)] أي لعبرة له.

لأنه ينظر إلىٰ ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا، وما هي إلا إنموذج مما أعد لهم في الآخرة، فيتعظ ويعتبر وتتمة الآية تصوير لعظائم مهولة تنخلع منها الأوصال وتتقطع من أسرها الكبود لعظم الانفصال.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة البقرة (٤٠).

(٢) سورة البروج (١٢). أي إذا أخذ الظالم أخذًا أليمًا شديدًا أخذ عزيز مقتدر، قال ابن أبي حاتم بسنده عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي ﷺ علىٰ امرأة تقرأ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ [البُرُوج: ١٧] فقام يستمع فقال: نعم قد جاءني. [تفسير ابن كثير (٤/٤٩٦)].

(٣) سورة هود (١٠٢-١٠٦). روى في الصحيحين عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ﴾.

(٤) سورة هود (١٠٣).

(٥) سورة آل عمران (٢٨)، (٣٠).

وهذا تصريح بمضمون ذلك كله.

وأي تخويف أبلغ من ذلك، وزجر أعظم مما هنالك، وقد كرر ذلك وأعقبه بأردع وعظ، وأزجره وأقوى عزيمة وأقصمه.

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥﴾[1] الآية وفيها تنويه هذا التحذير بأنه ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[2].

إذ يفر من أحبابه وأنصاره وهو مشتغل بما هو مدفوع إليه، ويعلم أن أحدًا منهم لا يغني عنه شيئًا ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾[3].

وفي ترتيب من يفر منهم بلاغة واضحة ونكتة لامعة.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾[4] إلى قوله: ﴿شَدِيدٌ﴾.

أي يذهل لسببه ما ذكر، وهو موضح للفرار السالف، وتقرير وقوعه في النفوس.

وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[5] الآيات.

قيل إحداهما لترك المنكرات والأخرى لفعل الخيرات الناشئ من الخوف.

وقيل: إحداهما جزاء، والأخرى زيادة من فضل الله.

وقيل: إحداهما للإنسي، والأخرى للجني.

ومقام الرب جل جلاله، إما قيام الناس لرب العالمين وإما قيامه علىٰ كل نفس بما كسبت.

---

(١) سورة عبس (٣٤، ٣٥).
أي يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل، قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت وتثنى بخير ما استطاعت فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين، فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذي تخاف... إلى آخره في الابن. [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٣)].

(٢) سورة هود (٤٣). (٣) سورة عبس (٣٧).

(٤) سورة الحج (١، ٢).
اختلف المفسرون في زلزلة الساعة، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلىٰ عرصات القيامة، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٩)].

(٥) سورة الرحمن (٤٦).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾(1).

إلىٰ قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾.

وفيه ابتهاج أهل الجنة بإشفاقهم ذكر ما استفادوه به، والآيات في الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فمنتشرة نذكر منها ستة عشر حديثاً:

أولها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك».

ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح(2)، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد(3)، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق

---

(1) سورة الطور (٢٥-٢٨).
أي أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحدث أهل الشراب علىٰ شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطُّور: ٢٦] أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطُّور: ٢٧] أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ [الطُّور: ٢٨] أي نتضرع إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾. [تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٢، ٢٤٣)].

(2) اتفق العلماء علىٰ أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، ووقع في رواية للبخاري «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين، ثم يمكث علقة مثله ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه».

(3) المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثة، أنه يظهر ذلك للملك ويأمره بإنفاذه وكتابته وإلا فقضاء الله تعالىٰ سابق علىٰ ذلك وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل والله أعلم.
والمراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقى بينه وبين موضع من الأرض ذراع، والمراد بهذا الحديث أن هذا يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف الله تعالىٰ وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلىٰ الخير في كثرة وأما انقلابهم من الخير إلىٰ الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالىٰ: «إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي». [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٥٧ - ١٥٨) طبعة دار الكتب العلمية].

عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " أخرجاه[١].

وفيه ذكر سبب الخوف الشامل لكل أحد ما لم يؤمن ببشارة الهيئة، أو دخول الجنة بسابقة القضاء بالشقاوة والسعادة، والموطن الدنيا دار العمل والعطاء.

فمن لا يدرى من أي الفريقين مآله كيف يطمئن ويأمن ويقر قراره.

ومن ظهرت عليه آثار السعادة وأمارات السيادة كيف يطمئن، وقد سبق الكتاب بضده، فيبذل المشهود الظاهر بخلافه، كما وقع لإبليس وحزبه وعند صفو الليالي يحدث الكدر.

وقد خاف قوم من السابقة كما خاف آخرون من الخاتمة.

وقد ظهر إن الخوف من متعلقة في المستقبل، وظهور السابقة وأثرها وهو الخاتمة، أو ما بعد الموت

اللهم وصلنا ولا تهلكنا بالفوت.

الحديث الثاني: حديثه أيضًا مرفوعاً: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٢] أخرجه مسلم.

وفيه خوف سوء الدار بالمعاصي، ويعاين ما يشيب النواصي ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾[٣].

وفرق عظيم بين علم اليقين وعين اليقين.

الحديث الثالث: حديث النعمان بن بشير مرفوعاً: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابا، فإنه لأهونهم عذابا».[٤]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ٦. باب ذكر الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ ورقم (٣٣٣٢) في أحاديث الأنبياء، ١ ـ باب خلق آدم وذريته، ورقم (٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم في صحيحه كتاب القدر، ١ ـ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢، ٤٣٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء «٨/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢٨٤٢)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٢ ـ باب في شدة حر نار جهنم، وبُعْدِ قعرها، وما تأخذ من المعذبين، والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٣٤٣).

(٣) سورة الفجر (٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٦٢) كتاب الرقاق، ٥١أ باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه [٣٦٣.(٢١٣)] كتاب الإيمان، ٩١. باب أهون أهل النار عذاباً، وابن ماجه في سننه =

أخرجاه.

وفيه تفاوت قوة عذاب أهلها، وأن أخفه ذلك وإن كان أشد عنده.

الحديث الرابع: حديث سمرة بن جندب مرفوعاً: «منهم من تأخذه النار إلىٰ كعبيه ومنهم من تأخذه إلىٰ ركبتيه ومنهم من تأخذه إلىٰ حجزته، ومنهم من تأخذه إلىٰ ترقوته»[1] أخرجه مسلم.

وفيه التفاوت في ذلك.

الحديث الخامس: حديث ابن عمر مرفوعاً: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتىٰ يوم يقوم أحدهم في رشحه إلىٰ إنصاف أذنيه»[2] أخرجاه.

وهو بيان الكبرياء والعظمة، وذوبان المهابة، ورشح الجبين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقيل لبشر الحافي: تخاف الموت؟ فقال: القدوم علىٰ الله أشد.

الحديث السادس: حديث أنس وسيأتي في فضل البكاء من خشية الله.

الحديث السابع: حديث المقداد مرفوعاً: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتىٰ تكون منهم كمقدار ميل».

قال أحد رواته: ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم ميل العين، فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق إلىٰ كعبيه، إلىٰ ركبتيه، إلىٰ حقويه، من يلجمه

= (٢٦٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٥٧، ١٨٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٤٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٤٤٧، ٢٠٨٩٨).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣(٢٨٤٥)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٢. باب في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين، وأحمد في مسنده (٥/ ١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٧١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤١١) وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤٤، ٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٣٨) كتاب تفسير القرآن، من سورة المطففين، ١. باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] ، ورقم (٦٥٣١) كتاب الرقاق، ٤٧. باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾، ومسلم في صحيحه [٦٠ ـ (٢٨٦٢)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٥. باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله علىٰ أهوالها، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٧٨).

العرق إلجامًا» وأشار ﷺ إلىٰ فيه»[1]. أخرجه مسلم.

وهو نتائج سوء الأعمال.

الحديث الثامن: حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يعرق الناس يوم القيامة، حتىٰ يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا يلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم»[2]. أخرجاه.

الحديث التاسع: عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة فقال: «هل تدرون ما هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا حجر رمي به في النار من سبعين خريفاً، فهوى في النار إلىٰ الآن حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قعرها، فسمعتم وجبته»[3] رواه مسلم.

وفيه بيان بعد قعرها، وأن عمقها هذه المسافة حتىٰ سمعت وجبة الحجر من عظمه.

الحديث العاشر: حديث عدي بن حاتم مرفوعاً: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[4]. أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٢٨٦٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٥. باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله علىٰ أهوالها.
والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٨٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٤٠)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٥٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٤٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٣٢) كتاب الرقاق، ٤٧. باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾، ومسلم في صحيحه [٦١ ـ (٢٨٦٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٥ ـ باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله علىٰ أهوالها، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٣٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤ / ٤٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ ـ (٢٨٤٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٢ ـ باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين. والآجري في الشريعة (٣٩٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥/ ٥) والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٢، ١٨١) ومسلم في صحيحه [٦٧.(١٠١٦)] كتاب الزكاة، ٢٠ ـ باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ٣٧٧، ٤/ ٢٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٨٢، ٨٣).

وفيه تفخيم شأن قوله «ليس بينه وبين الرب ترجمان» والحث علىٰ الصدقة بالقليل، وإنه يتقي به النيران.

الحديث الحادي عشر: حديث أبي ذر مرفوعاً: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله تعالىٰ»(١).

أخرجه الترمذي وحسنه.

والأطيط: صوت الرحل والقتب وشبههما.

ومعناه أن كثرة من في السماء من الملائكة العباد قد أثقلتها حتىٰ أطَّت.

فهم في مقام الخضوع والتذلل لعز جلال ذي العظمة والسلطان.

الحديث الثاني عشر: حديث أبي برزة الأسلمي مرفوعاً:(٢)

«لا تزول قدما عبد حتىٰ يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فليحذر الفوات.

الحديث الثالث عشر: حديث أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤].

قال: «أخبارها أن تشهد علىٰ كل عبد أو أمة بما عمل علىٰ ظهرها»(٣).

رواه الترمذي أيضًا وحسنه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣١٢) كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، وابن ماجه (٤١٩٠) كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٠، ٤/ ٥٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٣٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب في القيامة، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٠٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٩٦)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٥٣) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]، والنسائي في الكبرى، في التفسير، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٨٦ ـ الموارد) والعجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٨٠).

فليحذر المخالفة، فإنه يوم بروز المخبآت وبدو الممكنات بنميمة لا تزد، ولا تبقىٰ، ولا تذر لا سيما والأعضاء أيضًا تشهد، وجل الأعمال وقلها بعد.

الحديث الرابع عشر: حديث أبي سعيد مرفوعاً[(١)].

«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر أن ينفخ ذلك»، فثقل ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

رواه الترمذي أيضًا وحسنه.

والقرن هو الصور المذكور في القرآن.

كذا فسره سيد الأنام وهو المفرق للجماعات، الهادم للذات، وتوقعه مع الأنفاس.

وفيه إن ما يثقل من ذلك خففه الحسبلة فليلذ به وبالبسملة.

الحديث الخامس عشر: حديث أبي هريرة مرفوعاً[(٢)]: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة».

رواه الترمذي وحسنه.

أدلج بإسكان الدال: سار في أول الليل.

والمراد التشمير في الطاعة.

وفيه: التنبيه علىٰ ذكر فوائد الخوف ونتائجه، وهي الإدلاج والدأب في طلب الفلاح والرضوان.

الحديث السادس عشر: حديث عائشة مرفوعاً[(٣)] «يحشر الناس حفاة عراة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في شأن الصور، وأحمد في مسنده (١/ ٣٢٦، ٤/ ٣٧٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣١، ١٠/ ٣٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٢٢)، وفي الصغير (١/ ٢٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٨٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٤٤١، ١٠/ ١٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٢)،والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٢٧) كتاب الرقاق، ٤٥ ـ باب كيف الحشر، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٨٥٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٤ ـ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٣) وابن ماجه في سننه (٤٢٧٦) والمنذري في الترغيب =

غرلًا » قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟!

فقال: «يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»

وفي لفظ «من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض».

أخرجاه.

غرلًا[1]: بضم الغين المعجمة، أي غير مختونين.

ففيه خاصية الخوف، وأدلة التحقق به إذ فيه الاهتمام بالأهم النافع، وباشتغال النفس بعيوبها، وما بين يديها، واللهو عن اللهو.

وحاصل هذه الأحاديث ذكر سبب الخوف، ومواطنه ومخفف ما يثقل منها، وأنواع المحو.

وجماعها حلول مكروه أو فوات محبوب، وكل نوع يتفاوت درجاته، وذكر خاصيته ونتائجه، ودلائل منازلته.

أعاننا الله عليه، وأذاقنا لذته، والركون إليه.

ولنذكر إذ ذاك من الحكايات مما يليق بذلك.

ونقتصر من ذلك علىٰ ست عشرة حكاية:

الأولىٰ: عن بعض الصالحين قال: كان رجل بالبصرة يقال له ذكوان كان سيدًا في زمانه، فلما حضرته الوفاة لم يبق أحد بالبصرة إلا شهد جنازته.

فلما انصرف الناس من دفنه، نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل من السماء وهو يقول: يا أهل القبور قوموا لآخذ أجوركم، فانشقت القبور عن أهلها، وخرج كل من كان فيها، وغابوا ساعة، ثم جاءوا وذكوان في جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والحرير، وبين يديه غلمان يسبقونه إلىٰ قبره.

وإذا ملك ينادي: هذا عبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة نصبت إليه المحن

= والترهيب (٤/ ٣٨٥) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٩٧) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٥٦)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٢٢٥، ١٠/ ٤١٨)

(١) الغُرْل: بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه غير مختونين جمع أغرل، وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان. قال الأزهري: وغيره هو الأغرل، والأرغل، والأغلف بالغين المعجمة في الثلاثة، والأقلف والأعرم بالعين المهملة وجمعه غرل ورغل وغلف وقلف وعرم. والحفاة جمع حاف والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شئ معهم ولا يفقد منهم شئ حتىٰ الغرلة تكون معهم. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥٩) طبعة دار الكتب العلمية].

والبلوى، فامتثلوا فيه أمر البلوى.

فقرب من جهنم، فخرج إليه لسان، أو قال ثعبان فلدغ بعض وجهه فاسود ذلك الموضع.

ونودي يا ذكوان هذه النفخة بتلك النظرة، ولو زدت لزدنا.

فبينما هم كذلك وإذا برجل قد أطلع رأسه من قبر فقال: يا هولاء ما أردتم، فوالله لقد مت منذ تسعين سنة، فما ذهبت حرارة الموت مني حتىٰ الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت، وبين عينيه أثر السجود.

وأنشدوا:

فلست أدرى أن يومك قد دنا ... أو لست تدرى إن عمرك ينفد

فعلام تضحك والمنية [(١)] قد دنت ... وعلام ترقد والثرى لك مرقد

الثانية: قال وهب[(٢)].

أوحى الله تعالىٰ إلىٰ داود ﷺ: يا داود هل تدرى من أغفر له ذنوبه من عبيدي؟ قال: من يا رب؟ قال: الذي إذا ذكر ذنوبه، ارتعدت منها فرائصه.

فذلك العبد الذي آمر ملائكتي أن تمحو عنه ذنوبه.

فقال: إلهي أين أجدك إذا طلبتك؟

قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي.

الثالثة: عن بشر الحافي [(٣)] قال: كنت يومًا مارًا في جبال الشام، فأتيت علىٰ جبل يقال له الأفزع، فإذا بشاب قد نحل جسمه، ورق جلده، وعليه ثوب من صوف، فسلمت عليه، فرد علي السلام.

فقلت في نفسي: أقول له عظني وأبلغ.

فقال لي: قبل أن أكلمه، وأجاب عن سري، : عظ نفسك بنفسك، وفك الحبس من حبسك، ولا تشتغل بموعظة غيرك من جنسك، واذكر الله في اللهوات تقل

---

(١) المنية: الموت، جمعها: المنايا.

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن ذي كناز، أبو عبد الله اليماني الصنعاني، الزماري الأبتاوي، ثقة أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة ١١٤). [التقريب (٢/ ٣٣٩)].

(٣) بشر الحافي بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، كان عديم النظير زاهدًا وورعًا وصلاحاً، كثير الحديث إلا أنه كان يكره الرواية، ويخاف من شهوة النفس في ذلك حتىٰ إنه دفن كتبه، توفي سنة (٢٢٧) قبل المعتصم بستة أيام وله (٧٥ سنة) [تاريخ الإسلام وفيات (٢٢١-٢٣٠)].

السيئات، وعليك بالجد والاجتهاد، ثم بكي وجعل يقول:-

شغلت النفوس بالقليل الفاني   وسحبت الأبدان بالتسويف والإماني

ثم قال: يا بشر وما رآني ولا عرفني قبل ذلك: إن لله عبادًا خالط قلوبهم الحزن، وأسهر ليلهم، وأظمأ نهارهم، وأبكى عيونهم، وكانوا كما وصفهم ربهم في كتابه: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

الرابعة: عن محمد بن محبوب قال: كنت في شارع البيمارستان وإذا بغلام قد غل وقيد، فقال: يا ابن محبوب أتراه بعد الغل والقيد راضيًا عني في حبه؟

ثم بكى وأنشأ يقول.

من ذنوبي يحق لي أن أنوحا   لم تدع لي الذنوب قلبًا صحيحاً

أخلفت بهجتي إلف المعاصي   ونعاني المشيب نعيًا صريحاً

كلما قلت قد برئ جرح قلبي   عاد قلبي في الذنوب جريحاً

إنما الفوز والنعيم لعبد   جاء في الحشر آمنًا مستريحاً

الخامسة: عن ذي النون قال: بينما أنا سائر في جبل لكام مررت علىٰ دار كثير الأشجار والنبات.

فبينما أنا واقف أتعجب من حسن زهوته، ومن خضرة العشب في جنباته إذ سمعت صوتًا أهطل مدامعي وهيج بلابل حزني.

فاتبعت الصوت حتىٰ أوقفني بباب مغارة في سفح ذلك الوادي، فإذا كلام يخرج منها، فاطلعت فيها، فإذا برجل من أهل التعبد والاجتهاد يقول: سبحان من نزه نفوس المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه.

سبحان من أوصل الفهم إلىٰ عقول ذوي البصائر، فهي لا تعتمد إلا عليه.

سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة.

فهي لا تحن إلا إليه.

ثم أمسك فقلت: السلام عليك يا حليف الأحزان، وقريب الأشجان.

فقال: وعليك السلام، ما الذي أوصلك إلىٰ من أفرده خوف المسألة عن الأنام، واشتغل بمحاسبة نفسه عن التقطع في الكلام.

فقلت: أوصلني إليه الرغبة في النصح والاعتبار والتماس المواهب من قلوب المقتربين والأبرار.

فقال: يا بني إن لله عبادًا قدح في قلوبهم زند الشغف نارا ترمق، فأرواحهم تسرح في رياض الملكوت وتنظر إلىٰ ما ادُّخر لها في حُجُب الجبروت.

قلت: صفهم لي.

قال: أولئك قوم أووا إلىٰ كهف رحمته، وشربوا كؤوس راح محبته.

ثم قال لي: يا سيدي بهم فألحقني، ولأعمالهم وفقني.

فقلت: إلا توصيني بوصية؟

فقال: أحب الله شوقًا إلىٰ لقائه، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه.

ثم أنشد يقول:

قد كان لي دمع فأفنيته ... وكان لي جفن فأدميته

وكان لي جسم فأبليته ... وكان لي قلب فأضنيته

وكان لي سيدي ناظر ... أرى به الخلق فأعميته

عبدك أضحى سيدي موثقاً ... لو شئت قبل اليوم آويته

السادسة: عن ذي النون المصري أيضًا قال: وصف لي رجل من البادية باليمن قد برز علىٰ الخافقين[١] ، وسما علىٰ المجتهدين بسيما بين الناس معروف، وباللباد حكمه والتواضع والخشوع موصوف.

فخرجت حاجًا إلىٰ بيته، فلما قضيت الحج، قصدت زيارته لأسمع كلامه، وانتفع بموعظته، أنا وأناس كانوا معي يطلبون كما أطلب من البركة. وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين.

وكان مصفر الوجه من غير سقم، أعمش العينين من غير رمد.

يحب الخلق ويأنس بالوحدة، تراه كأنه قريب بمصيبته.

وكنا نعذله علىٰ أن يرفق بنفسه.

فلا يجيب قولنا وعذلنا، ولا يزداد إلا مجاهدة.

أيها الغافلون في الحب مهلاً ... حاش لي عن هواه أن أتسلىٰ

كيف أسلوا وقد تزايد وجدي ... وتبدلت بعد عزي ذلاً

قيل: تُبلىٰ فقلت تبلىٰ عظامي ... وسط لحدي[٢] وحكيم ليس يبلا

حبكم قد شربته في فوادي ... في قديم الزمان مذ كنت طفلاً

---

(١) الخانق: الأفق، وهما خافقان: أفق المشرق وأفق المغرب، جمعها: خوافق، وخوافق السماء الجهات التي تهب منها الرياح.

(٢) لحد: الميت. لحداً، دفنه في اللحد، واللحد الشق يكون في جانب القبر للميت، جمعها: ألحاد ولحود.

قال: ولم يزل ذلك الشاب في محلتنا حتىٰ انتهى معنا إلىٰ اليمن، فسألنا عن مجلس الشيخ فأرشدنا إليه فطرقنا الباب، فخرج إلينا، فكانما يخبر عن أهل القبور فجلسنا إليه، فبدأه الشاب بالسلام والكلام.

فصافحه وأبدى له البشر والترحيب من دوننا، وسلمنا كلنا عليه.

ثم تقدم إليه الشاب وقال: يا سيدي إن الله قد جعلك وأمثالك أطباء لأسقام القلوب، ومعالجين لأوجاع الذنوب، وبي جرح قد تعل، وداء قد استمكن وأعضل.

فإن رأيت أن تتلطف بي ببعض مراهمك فافعل، فأنشأ الشيخ يقول:-

إن داء القلوب داء عظيم ... كيف لي بالخلاص من داء ذنبي

هل طبيب مناصح لي فإني ... أعجز الخلق والأطباء طِبيِّ

آه مَا خُجلتي ويا طول حزني ... من ذنوبي إذا وقفت لربي

وانقطاع الجواب مني ولم لا ... وبلائي قد حل كل من خطبي

فقال الشاب للشيخ: إن رأيت أن تتلطف بي ببعض مراهمك فافعل.

فقال له الشيخ: أسأل عما بدا لك فقال له: ما علامة الخوف من الله؟ قال: أن يؤمِّنك خوف الله من كل خوف غير خوفه.

فانتفض الفتى جزعًا ثم خرّ مغشيًا عليه ساعة.

فلما أفاق قال: رحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله؟ قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة العليل السقيم فهو محمي من كل الطعام، مخافة طول السقام.

ويصبر علىٰ مضض الدوا، مخافة طول الضنا. فصاح الشاب صيحة ظننا إن روحه قد خرجت ثم قال: يرحمك الله ما علامة المحبة لله؟ فقال: يا حبيبي إن درجة المحبة في الله رفيعة فقال الشاب: أُحب أن تصفها لي فقال: يا حبيبي إن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب إلىٰ جلال عظمة الإله المحبوب فصارت أرواحهم روحانية، وقلوبهم حجبية، وعقولهم سماوية، تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد تلك الأمور اليقين والعيان

فعبدوه بمبلغ استطاعتهم له لا طمعًا في جنته، ولا خوفًا من ناره.

فشهق الشاب شهقة فمات فجعل الشيخ يقلبه ويبكي ويقول: هذا مصرع الخائفين هذه درجة المحبين، هذه روح حنت فأَنَّتْ، فسمعت فاشتاقت، فشهقت فماتت.

علىٰ عظم قدر المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف

فآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

السابعة: عن الفضل بن الربيع قال: حج الرشيد فأتاني، فخرجت إليه مسرعَاً.

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك فقال: ويحك قد حاك في صدري شيء، فانظر لي رجلًا أسأله فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة[1] فقال: امض بنا إليه فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك فقال له: خذ لما جئنا إليه يرحمك الله فحادثه ساعة ثم قال: هل عليك دَينَ؟

قال: نعم، قال هارون: يا أبا العباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئاً، انظر لي رجلًا أسأله فقال: ههنا الفضيل بن عياض[2] قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من كتاب الله ويرددها فقال: اقرع الباب فقرعته فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي وله، فقلت: سبحان الله، لنا عليك طاعة أليس روى عن رسول الله ﷺ أنه قال« ليس للمؤمن أن يذل نفسه»[3] فنزل، ففتح الباب، ثم ارتقى إلىٰ الغرفة، فأطفأ المصباح ثم التجأ إلىٰ زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون إليه فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله فقلت في نفسي لنكلمنَّه الليلة بكلام من قلب تقي فقال له: خذ لما جئنا يرحمك الله قال: إن عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافة دعا سالم بن عبد الله[4]، ومحمد بن كعب[5]، ورجاء بن حيوة وقال: إني ابتليت بهذا البلاء، وأشيروا عليّ.

---

(١) سفيان بن عيينة، أبو محمد الهلالي الكوفي المكي، ثقة حافظ فقيه، إمام حجة إلاّ أنه تغير بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار توفي سنة (١٩٨). [التقريب (١/ ٣١٢)].

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي، اليربوعي في التقريب، التيمي، الخراساني، ثقة، عابد، إمام، أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة (١٧٨) أو قبلها التقريب (٢/ ١١٣)].

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٠٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٥٤٦)، (٥٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٢٩٦).

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عمرو أبو عبد الله، أبو عبيد الله، أبو المنذر، العدوي، المدني، الفقيه، القرشي، أحد الفقهاء السبعة، ثقة، ثبت، عابد، فاضل، كان يُشبَّه بأبيه في الهدى والسمت، توفي سنة (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨)، وأخرج له أصحاب الكتب الستة. [التقريب (١/ ٢٨٠)].

(٥) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة، أبو عبد الله، القرظي، المدني، الكوفي، القاص، ثقة، عالم، قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة، ولد سنة (٤٠) علىٰ الصحيح =

فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الدنيا فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأواسطهم أخاً، وأصغرهم ولدًا فوقِّر أباك وارحم أخاك، وأكرم ابنك.

وقال له رجاء بن حيوة[1]: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت متى شئت وإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزلّ فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا فبكىٰ الرشيد بكاءًا شديدًا حتىٰ غشي عليه

قال الفضل: فقلت له: يا أبا علي أرفق بأمير المؤمنين.

قال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا.

ثم قال: فقال له: زدني رحمك الله قال: يا أمير المؤمنين بلغني أن غلامًا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه منه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك، قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتىٰ قدم عليه فقال له: ما أقدمك عليّ؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، فلا أعود إلىٰ ولاية حتىٰ ألقىٰ الله.

فبكىٰ هارون الرشيد بكاءًا شديداً.

ثم قال له: زودني يرحمك الله. قال: يا أمير المؤمنين بلغني أن العباس جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني علىٰ إمارة فقال: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة[2] فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل فبكى الرشيد بكاءًا شديداً، وقال: زدني فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تُصبح وتُمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح وهو غاش لرعيته لم يرح رائحة الجنة»[3] فبكىٰ الرشيد ثم قال: عليك دين؟

= ووهم من قال ولد علىٰ عهد النبي ﷺ، وأخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٢٠). [التقريب (٢/ ٢٠٣)].

(١) رجاء بن حيوة بن جرول، ويقال: جندل بن الأحنف بن السمط، أبو نصير، أبو المقدام، وقيل: أبو بكر بن امرئ القيس، الشامي، الفلسطيني، الكندي، الأزدي، ثقة فاضل، أخرج له: البخاري تعليقًا وباقي الستة، توفي سنة (١١٢). التقريب (١/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٠٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٠٨).

قال: نعم، دين لربي يحاسبني عليه بعد، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي قال: إنما أعني دين العباد قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أوحده، وأطيع أمره، فقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1]، إلىٰ قوله: ﴿الْمَتِينُ﴾ فقال له الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها علىٰ عيالك قال: يا سبحان الله، أنا أدلك علىٰ سبيل النجاة، وتكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله، ووفقك ثم صمت ولم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما صرنا علىٰ الباب قال لي هارون: يا أبا العباس إذا دللتني علىٰ رجل فدُلَّني علىٰ مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

شاردة: قال علي بن محمد: حضرت عند أسود بن سالم ليلة فقلت:

أمامي موقف قدَّام ربي سيسألني وينكشف الغطاء
وحسبي إذ أمرّ علىٰ صراط كحد السيف[2] أسفله لظى

الثامنة: عن بعض القضاة[3] إنه مات، فلما حضروا قبره وجدوا فيه حيَّة عظيمة، فحفروا آخر، فوجدوها فيه، ثم كذلك إلىٰ أن حفروا نحوًا من ثلاثين قبرًا في كل قبر يجدونها فيه.

فلما علموا إنه لا يقدر علىٰ الهرب منه هارب ولا يغلبه غالب دفنوه معها وهي عمله كما سلف في فصل اليقظة.

التاسعة: عن مالك بن دينار قال: دخلت الجبانة فإذا بسعدون قلت له: كيف

---

(١) سورة الذاريات (٥٦ ـ ٥٨).
أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إلاّ ليعبدون أي إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج: إلاّ ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: إلاّ للعبادة، وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع. ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. [تفسير ابن كثير (٤/٢٣٨)].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣٠٢ ـ (١٨٣)] كتاب الإيمان ٨١ ـ باب المعرفة طريق الرؤية، عن أبي سعيد من حديثه الطويل وقال في آخره: قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف».

(٣) رواه الترمذي في سننه (١٣٢٢م) كتاب الأحكام، ١ ـ باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، عن أبي موسىٰ أن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك، فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة».

حالك؟ وكيف أنت؟.

قال: يا مالك كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفرًا بعيدًا بلا أُهبة ولا زاد، ويقدم علىٰ رب عدل حاكم بين العباد؟

ثم بكى بكاءًا شديدًا. فقلت: ما يُبكيك؟

فقال: والله ما بكيت حرصًا علىٰ الدنيا ولا خوفًا من الموت والبلاء، ولكن بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي، أبكاني والله قلة الزاد، وبعد المفازة، والعقبة الكؤود، ولا أدري بعد ذلك أصير إلىٰ الجنة أم النار.

فسمعت منه كلام حكمة فقلت: إن الناس يزعمون أنك مجنون.

قال: وأنت واغتررت بما اغتر به بنو الدنيا.

ما بي من جنة ولكن حب مولاي خالط قلبي، وأحشائي، وهو بين لحمي ودمي وعظمي.

فأنا والله من حبه هائم مشغوف، فقلت: يا سعدون لم لا تخالط الناس وتجالسهم.

فأنشأ يقول:

كن من الناس جانبا ... وأرض بالله صاحبا

قلّب الناس كيف شئت ... تجدهم عقاربا

ولبعضهم:

ومازلت مذ لاح المشيب بمفرقي ... أفتش عن هذا الورى ثم أكشف

فما عرفت الناس إلا ذممتهم ... جزى الله خيرًا كل من لست أعرف

العاشرة: عن بعض أصحاب فتح الموصلي[1] قال:

دخلت يومًا عليه فوجدته وقد خالطت دموعه صُفرة فقلت له: بالله عليك يا سيدي فتح هل بكيت الدم قط؟

فقال: والله لولا قسمك ما أخبرتك، بكيت بالدمع وبكيت بالدم.

---

(١) فتح الموصلي هو فتح بن محمد بن وشاح، الأزدي الموصلي، الزاهد، أحد العارفين، ذكر المعافى بن عمران، شيخ الموصل، أنه لقى ثمانمائة شيخ ما فيهم أعقل من فتح، وكان مشهورًا بالعبادة والفضل، وهو فتح الموصلي الكبير، لا فتح الصغير، ولقد بالغ الأزدي في "تاريخ المواصلة" في ترجمة هذا وجمع مناقبه، وكان كثير البكاء من خشية الله، ملازمًا لقيام الليل، توفي سنة (١٦٥). [انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٦١ - ١٧٠)].

فقلت له: علىٰ من بكيت بالدمع؟. قال: علىٰ تخلفي عن الله. فقلت: علىٰ من بكيت بالدم؟، قال: علىٰ الدموع أن لا تصلح لي.

فلما توفي رأيته في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وقربني وقال: يا فتح بكيت هذا البكاء علىٰ ماذا؟، فقلت: يا رب علىٰ تخلفي من حقك.

قال: والدم لما بكيته؟

قلت: يا رب علىٰ الدموع أن لا تصلح لي.

قال: يا فتح فما أردت بهذا كله، وعزتي وجلالي صعد إلي حافظاك أربعين سنة بصحيفتك وما فيها خطيئة.

الحادية عشرة: حكي عن سالم الحداد، وكان من الأبدال، ويتردد إلىٰ فتح الموصلي إنه كان إذا سمع الأذان تغير لونه وأصفر واضطرب، ثم يثب ويترك الحانوت مفتوحاً.

وينشد:

إذا ما دعا داعيكم قمت مسرعاً	مجيبًا لمولى جل ليس له مثل
أُجيب إذا نادى بسمع وطاعته	وبي قوة لبيك يا من له الفضل
يصفر لوني خيفة ومهابة[١]	ويرجع لي عن كل شغل به شغل
وحقكم ما لذَّ لي غير ذكركم	وذكر سواكم في فمي قط ما يحلو
متى تجمع الأيام بيني وبينكم	ويفرح مشتاق إذا اجتمع الشمل
فمن شاهدت عيناه نور جمالكم	يموت اشتياقًا نحوكم قط لا يسلو

الثانية عشرة: عن ذي النون المصري[٢] قال: اجتمعت في جبل لكام بامرأة متعبدة كالشن الجابي كأنها تخبر عن أهل المقابر، ذات اجتهاد وعبادة، لم أر مثلها فسألتها: أين وطنك؟. فقالت: مالي وطن إلا النار، أو يغفر الغفار. فقلت: يرحمك الله، هل من وصية أو فائدة، قالت: أجعل كتاب الله لك مائدة، وجالس وعده ووعيده، وشمِّر عن ساق الجد بالعزائم الحميدة.

---

(١) هابه: هيبًا ومهابة: أجله وعظَّمه، وحذره وخافه فهو هائب، ويقال للمبالغة هَيَّاب.

(٢) دعا أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم، فرضي أمره وكتب به إلىٰ المتوكل، فأمره بإحضاره، فحُمل علىٰ البريد فلما سمع كلامه ولع به، وأحبه وأكرمه، حتىٰ إنه لو كان إذا ذكر العلماء يقول: إذا ذكر الصالحون فحي هلا بذي النون، وقال علي بن حاتم: سمعت ذا النون يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. [تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١أ٢٥٠)].

ومع ما يتعلق به البطَّالون من الرجاء الكاذب الذي لا تحقيق لهم فيه، ولا يدرون كيف العواقب، فوالله لا يرد المنزل غدًا إلا المضمرون، ولا يفوز بالسبق إلا المشهرون، فخذ يا أخي لنفسك ما أمكن الأخذ بها فليس المطلوب غيرك، وكن من أهل النهى.

فقلت: ادعي لي بدعوة، فحمدت الله بمحامد لم أسمع بمثلها قط، وصلّت علىٰ رسول الله ﷺ بصلاة لم أسمع بمثلها قط، ودعت بدعاء حسن.

الثالثة عشر: عن سري السقطي: بلغني أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت: اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك، يراني من حيث لا أراه وأنت تراني من حيث لا يراك.

اللهم أنت تقدر علىٰ أمره كله، ولا يقدر علىٰ شيء من أمرك اللهم إن أرادني سوء فاردده، وإن كادني فكده، إدراء يكفي نحره، وأعوذ بك من شره، ثم بكت حتىٰ ذهبت إحدى عينيها فقيل لها: اتقي الله لا تذهب الأخرى.

فقالت: إن كانت عيني الأخرى من عيون أهل النار فأبعدها الله مني.

الرابعة عشر: عن بعض الصالحين قال: كانت إلىٰ جانبي عجوز قد أتعبتها العبادة، فسألتها أن ترفق بنفسها.

فقالت: يا شيخ أما علمت أن رفقي بنفسي غيَّبني عن باب المولى؟

ومن غاب عنه مشتغلًا بالدنيا عرض مهجته للمحن والبلوى.

وما قدر علمي إذا اجتهدت، فكيف إذا قصَّرت، ثم قالت: واشوقاه من حسرة السباق، وفجعة الفراق.

فأما الأولىٰ إذا قام القائمون من قبورهم، وركب الأبرار من نجائب الأنوار إلىٰ قصر من العز والجلال.

ورفعت لهم من منازل المحبين، وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين، وبقى المسبوق في حلة المحزونين، فعند ذلك ينقطع فؤاده حسرة وتأسفاً، ويذوب ندامة وتلهفاً.

وأما فجعة الفراق فعند تميز الناس والافتراق، وذلك أن الله تعالىٰ إذا جمع الخلق في صعيد واحد أمر ملكًا أن ينادي: أيها المجرمون امتازوا إن المتقين قد فازوا وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾ [١].

---

(١) سورة يس (٥٩).

فيماز الرجل من زوجته، والولد من والديه، والحبيب من حبيبه.

هذا يُحمل مُبجَّلًا إلىٰ رياض النعيم، وهذا يساق مسلسلًا مغلغلًا إلىٰ دار الجحيم.

وقد طال منهم التلف والوداع، ودموعهم تجري كالأنهار ومنخعة الانقطاع وفي البين والفراق.

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... ورأيت كيف يكون التوديعا

لعلمت أن من الدموع لأنهرا ... تجري وعاينت الدما دموعا

الخامسة عشرة: عن إسماعيل بن أبي أمية[1] إنه قال: قيل لمسروق: لو قصّرت عن بعض ما تصنع من العبادة.

قال: لا. قيل: وكيف؟. قال: حتىٰ تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها أما بلغك قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[2].

إنما لاموا أنفسهم حتىٰ صاروا إلىٰ جهنم، فأعنفهم الزبانية ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾[3].

وانقطعت عنهم الأماني، وارتفعت عنهم الرحمة.

وأقبل كل إنسان منهم يلوم نفسه.

السادسة عشرة: قال بعضهم: وقد ذكر حال الصالحين وكثرة خوفهم مع كثرة اجتهادهم في الأعمال.

كانوا مع الاجتهاد يخافون، وأنتم مع التفريط تأمنون.

كانوا مع العمل يبكون، وأنتم مع البطالة تضحكون.

= يقول تعالىٰ مخبرًا عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [يونس: ٢٨]. [تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٥)].

(١) إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي، الأموي المكي، ثقة، ثبت، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٤٤، ١٣٩)، ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٢٨٣)، وتقريب التهذيب (١/ ٢٨٣)، والكاشف (١/ ١٢٠)، والثقات (٦/ ٢٩)، وتاريخ البخاري الكبير (١/ ٣٤٥)، وتاريخ البخاري الصغير (٢/ ٧٢)، الجرح والتعديل (٢/ ١٥٩)، الوافي بالوفيات (٩/ ٩٤)، ولسان الميزان (١/ ٣٩٣)، وضعفاء ابن الجوزي (١/ ١١٠).

(٢) سورة القيامة (٢).

(٣) سورة سبأ (٥٤).

=

كانوا مع المرض يسهرون، وأنتم مع الصحة تنامون.

كانوا علىٰ صحة الطريق يمشون، وأنتم لمسالك الغضب تسلكون.

السابعة عشرة: قال بعضهم رأيت في تيه بني إسرائيل[(١)] رجلًا قد أنحلته العبادة حتىٰ صار كالشن البالي، فقلت له: ما الذي بلغ بك إلىٰ هذه الحالة؟.

فنظر إليّ متعجبًا من سؤالي وقال: يا هذا ثقل الأوزار وخوف النار، والحياء من الملك الجبار.

وأنشدوا:

لما ذكرت عذاب النار أزعجني ... ذاك التذكر عن أهلي وأوطاني

وصرت في القفراء أرعى الوحش منفرداً ... كما يُراعى علىٰ وجدي[(٢)] وأحزاني

وذا قليل لمثلي بعد جزائه ... فما عصى الله عبد مثل عصياني

نادوا عليّ وقولوا في مجالسكم ... هذا المسيء وهذا المجرم الجاني

فما ارعويت ولا قصّرت عن زللي ... ولا غسلت بماء الدمع أجفاني

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] لما دعا عليهم موسىٰ ﷺ حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم... إلىٰ آخره. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤١)].

(٢) وَجَدَ فلان وجداً: حزن، وتواجد فلان: تظاهر بالوجد.

مجلس في الرجاء

وهو استقرار القلب بنيل محبوب محقن الوجود لشهود الجود، وسعة الرحمة، وصدق الوعود يترتب عليه الاجتهاد في التحقق بالأسباب الناجحة المواصلة للصواب.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

فنهىٰ من أسرف عن القنوط، والنهي عن القنوط أمر بضده وهو إما الرجاء، وإما تحقق الرحمة.

والثاني ملموم بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

فيتعين الأول فيه، ويتبين أن الرجاء ينافي اليقين من طرفي الوجود والقدم.

ثم باقي الآية فيه تقدير وتحقيق، وتوكيد لا يخفى.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[4].

وفيها تبيين عباد الله من هم، وإيضاح محل آيات الوعيد الواقعة في القنوط، بأن المجازاة إلا للكفور.

قيل: المؤمن يُكَفِّر عنه سيئاته بطاعته وحسناته، والكافر يُجازى بكل سوء يعمله.

وهو معنى قول الفراء: المؤمن يُجزَى ولا يُجَازَى أي يُجزَى بالثواب بعمله ولا يُكافأ بسيئاته، وتَمسُّك المرجئة بالآية الكريمة مردود بالبراهين القطعية.

---

(١) روى أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٨) بسنده عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتىٰ تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالىٰ لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله ﷻ بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم».

(٢) سورة الزمر (٥٣).

(٣) سورة الأعراف (٩٩).

(٤) سورة سبأ (١٧).

وقيل: المعنى: وهل يُجازَى بالعقاب الآجل إلا الكفور[1].

قيل: كافر الدين، وقيل: كافر النعمة.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾[2].

وهذا بيان للكفور، وإنه هذا ليس إلا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3].

وهذا بيان للرحمة المنهي عن القنوط منها.

ووصفها أن من حالها، ومن شأنها إنها واسعة يبلغ كل شيء ما من مؤمن ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا هو يتقلب في النعمة والرحمة.

وكيف يقنط من شيء من هذا شأنه.

وأما الأحاديث فنذكر منها ثمانية وعشرين حديثًا ومدارها علىٰ ذكر موجبات الرجاء من أسباب رحمة الله الكريم، وعظم شأن رحمته وكثرة خيره.

وتكثير أسباب جل ذلك، خصوصًا وعزه كسبيًا ووهبيًا وفعليًا، ومع بيان ما يحتاج إليه من موطن وشرط وفعل ومسهل ونحو ذلك.

الحديث الأول: حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً[4]: «من شهد أن لا إله إلا

---

(١) ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سَبَإ: ١٧] قال مجاهد: ولا يعاقب إلاّ الكفور، وقال الحسن البصري: صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلاّ الكفور، وقال طاوس لا يناقش إلاّ الكفور، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن خيرة. وكان من أصحاب علي رضي الله عنه. قال: "جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة. قيل وما التعسر في اللذة ؟ قال: لا يصادف لذة حالًا إلا جاءه من ينغصه إياها". [تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٠)].

(٢) سورة طه (٤٨)

أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾[الليل]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾[القيامة]. [تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩)].

(٣) سورة الأعراف (١٥٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ٤٩. باب قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النِّسَاء: ١٧١] الآيات، ومسلم في صحيحه [٤٦ ـ (٢٨)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧).

الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل ». أخرجاه.

ولمسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار»[1].

وهو دال علىٰ إيجاب الجنة، وتحريم النار علىٰ من وحَّد، وهو سبب رجاء أصل النجاة.

الحديث الثاني: حديث أبي ذرّ مرفوعاً: يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها، أو أغفر، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئاً، لقيته بمثلها مغفرة"[2]. أخرجه مسلم.

ومعناه من تقرب إلي بطاعتي، تقربت إليه برحمتي[3] وإن زاد زدت، وإن أسرع في طاعتي صببت عليه رحمتي وسبغته بها، ولم أُحوِجْه إلىٰ المشي الكثير في الوصول إلىٰ المقصود.

والقُراب: بضم القاف علىٰ الأشهر، وهو أفصح من الكسر، والمعنى ما يقارب ملئها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٧أ(٢٩)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً، والترمذي في سننه (٢٦٣٨)، والنسائي (٧/ ٧٦ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣١٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٣٣٢، ٥٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٦ ـ باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلىٰ الله تعالىٰ.
والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٤٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٦).

(٣) قوله تعالىٰ: «وإذا تقرب مني ذراعًا تقربت إليه باعاً» الباع والبوع بضم الباء، والبوع بفتحها كله بمعنى وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره، قال الباجي: وهو قدر أربعة أذرع، وهذا حقيقة اللفظ، والمراد بها في هذا الحديث المجاز.
وقوله تعالىٰ: «فله عشر أمثالها أو أزيد» معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلىٰ سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض علىٰ حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٠، ١١) طبعة دار الكتب العلمية].

وفي الحديث أربعة من أسباب رجاء الخيرات:

أولها: أن الحسنة سبب لرجاء كثرة الثواب.

ثانيها: أن السيئة إذا ساءت فاعلها، سبب لرجاء العدل بتقليل العقوبة، أو الجود بالمغفرة.

ثالثها: أن التقرب من الكريم سبب لرجاء العدل (الأقربيه)[1].

رابعها: أن توحيد الأفعال فما فوقه سبب الغفران والحرمان من النار، ولو كانت قراب الأرض خطايا.

فالأول: للعباد الناسكين.

والثاني: للمغلوبين العارفين.

والثالث: للصابرين.

والرابع: للموحدين الفاعلين.

الحديث الثالث: حديث جابر الثابت في صحيح مسلم قال:

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما الموجبتان؟

قال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار»[2].

وهذا بيان موطن ذلك، وهو الموت، والموجبة: المتحتمة.

الحديث الرابع: حديث أنس الثابت في الصحيحين أنه ﷺ ومعاذ رديفه علىٰ الرَّحل قال: «يا معاذ».

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: «يا معاذ»، قلت مثله ثلاثاً.

قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله صِدقًا من قلبه إلا حرّمه الله علىٰ النار».

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٣٨) كتاب الجنائز، ١. باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ومسلم في صحيحه [١٥١أ(٩٣)] كتاب الإيمان، ٤٠. باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٢، ٤٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢١، ٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٠٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠).

قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟

قال: «إذا يتكلوا».

أخبرها معاذ عند موته تأثمًا أي خوفًا من الإثم في كتم هذا العلم(١).

وهذا بيان محل الرجاء وصفته، وهو القلب وعلىٰ وجه الصدق، فلا يكفي مجرد اللسان، وبيان متعلق نفي الشرك، وهو توحيد نفي الإلهية والإقرار بالرسالة المحمدية ـ أعني الجامعة الخاتمة ـ .

الحديث الخامس: عن أبي هريرة وأبي سعيد الثابت في صحيح مسلم قال: لمَّا كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا فقال: افعلوا، فجاء عمر(٢) فقال: يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم.

قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم.

قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمرة، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم».

قال: فأخذوا حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه.

قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ « أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٨) كتاب العلم، ٥٠. باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ومسلم في صحيحه [٥٣أ(٣٢)] كتاب الإيمان، ١٠. باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا ، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٤).

(٢) قوله: فقال عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم» قال النووي: هذا فيه بيان جواز عرض المفضول علىٰ الفاضل ما يراه مصلحة لينظر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله ويقال بقي بكسر القاف وفتحها والكسر لغة أكثر العرب، وبها جاء القرآن الكريم والفتح لغة طيء، وكذا يقولون فيما أشبهه، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١/ ١٩٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٥ ـ (٢٧)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً، وأحمد في مسنده (٣/ ١١، ٤١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٨)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧)، وابن المبارك في الزهد (٣٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٢٦، ٢٣٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٤٨)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٤٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٤٧).

وفيه بيان الصدق وبأي قدر، وأن للموحد مع تحريم النار الجنة.

الحديث السادس: حديث عِتْبَان بن مالك البدري الثابت في الصحيحين فإنه دعا النبي ﷺ وحبسه علىٰ خزيرة وأنه ﷺ صلىٰ في بيته ركعتين يتخذه مصلىٰ.

وفيه ثابت رجال منهم أي جاءوا أو اجتمعوا حتىٰ كثروا في البيت، وفي آخره: «إن الله قد حرم النار علىٰ من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(١)].

والخريزة: بخاء معجمة، ثم زاي: دقيق يطبخ علىٰ شحم.

وفيه بيان ما هو شرط ذلك، وما ليس بشرط فيه فابتغاء وجه الله تعالىٰ هو المعتبر دون الانكفاف عن محادثة المنافقين، أو ملازمة كل مجلس تقوى.

الحديث السابع: حديث عمر الثابت في الصحيحين أيضًا قال: قُدِمَ علىٰ رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته وألصقته ببطنها وأرضعته.

فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟».

قلنا: لا والله.

قال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[(٢)].

الحديث الثامن: من حديث أبي هريرة أيضًا الثابت فيهما مرفوعاً: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب وهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي».

وفي لفظ: " غلبت "، وفي آخر " سبقت "[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٥) كتاب الصلاة، ٤٦ ـ باب المساجد في البيوت، ومسلم في صحيحه [٢٦٣ ـ (٣٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٧ ـ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٤)، وابن خزيمة في صحيحه (١٦٥٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٠، ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٩٩) كتاب الأدب، ١٨ ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في صحيحه [٢٢ ـ (٢٧٥٤)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٩٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (٥٧١٨٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٧٠)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٠٤) كتاب التوحيد، ١٥ ـ باب قول الله تعالىٰ: 'ويحذركم الله نفسه'، ومسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٧٥١)]، (١٥)، (١٦) كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٣، ٢/ ٢٦٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٥٥٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦) والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٢١).

الحديث التاسع: حديثه أيضًا مرفوعًا: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتىٰ ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»(١).

وفي لفظ(٢): «إن لله تعالىٰ مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش علىٰ ولدها وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة». أخرجاه.

ولمسلم (٣) من حديث سلمان مرفوعًا: «إن لله تعالىٰ مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة».

ولمسلم: عنه أيضاً: «إن الله خلق، يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة علىٰ ولدها، والوحش والطير بعضها علىٰ بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»(٤).

وفي هذه الأحاديث الثلاثة أسباب لرجاء الرحمة.

ففي أولها: قوتها واستدامتها.

وفي الثاني: سبقها وغلبتها للغضب(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٠٠) كتاب الأدب، ١٩ ـ باب جعل الله الرحمة مائة جزء، ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (٢٧٥٢)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩ ـ (٢٧٥٢)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠ ـ (٢٧٥٣)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه.

قال النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية علىٰ الأكدار الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالىٰ به فكيف الظن بمائة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١ ـ (٢٧٥٣)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦، ٤/ ٢٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ١٨٢)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦).

(٥) قوله تعالىٰ: «إن رحمتي غلبت غضبي»، وفي رواية «سبقت رحمتي غضبي».

قال العلماء: غضب الله تعالىٰ ورضاه يرجعان إلىٰ معنى الإرادة فإرادته الإثابة للمطيع ومنفعة =

وفي الثالث: كثرتها المستوفية أُصول مراتب العدد كلها.

وفي كل حديث من البلاغة التوكيدية ما لا يخفىٰ.

الحديث العاشر: حديثه أيضاً: عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تعالىٰ قال[1]: «أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

وفي رواية: «غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء»[2] أخرجاه.

وفيه بيان سبب آخر لرجاء التوبة والمغفرة وهو الاستغفار وتكريره لكل ذنب.

ومعنى «فليعمل ما شاء» أي ما دام يفعل هكذا: يذنب فيتوب فأغفر له، فإن التوبة تهدم ما كان قبلها.

الحديث الحادي عشر: حديثه أيضًا مرفوعاً: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم»[3].

أخرجه مسلم.

وفيه تأنيس يزيل التوقف عن الاستغفار.

الثاني عشر: حديث أبي أيوب مرفوعاً: «لولا أنكم تُذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم».

= العبد تسمى رضاء ورحمة وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبًا وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بها جميع المرادات.

قالوا: والمراد بالسبق الغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب علىٰ فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ٣٥ ـ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ومسلم في صحيحه [٢٩ ـ (٢٧٥٨)] كتاب التوبة، ٥ ـ باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٩٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٩، ٩/ ١٧٧).

(٢) تقدم تخريجه وهو أيضًا في: السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٨٨)، وفي الأسماء والصفات له أيضًا (٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١١ ـ (٢٧٤٩)] كتاب التوبة، ٢ ـ باب سقوط الذنوب بالاستغفار، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٥)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (١٩٥٠).

أخرجه مسلم[(١)] أيضاً.

وفيه تأنيس يزيل وحشة الذنب والاسترسال في الجفاء والبعد.

الثالث عشر: حديث أبي هريرة قال: كنا قعودًا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع[(٢)] دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتىٰ أتيت حائطًا " وذكر الحديث بطوله إلىٰ قوله: فقال ﷺ: «اذهب بنعلي هاتين[(٣)]، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة».

رواه مسلم[(٤)].

وفيه تشجيع بالتوحيد وعظم الشهادة، ولو لم يحصل في الدنيا غيرها لكفت.

شعر:

فلو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحسن الجميلا

وفيه تنفيس من ضيق الخناق عند الغضبان إذا قال: ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا، ليت الأرض تبتلعني.

الحديث الرابع عشر: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً[(٥)]: تلىٰ قول الله ﷻ في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٩ ـ (٢٧٤٨)] كتاب التوبة، ٥- باب سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة.

(٢) قوله: "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي: يصاب بمكروه من عدو إما بأسره وإما بغيره وقوله: "وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع" قال القاضي عياض رحمه الله: الفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به وبمعنى الإغاثة قال: فتصح هذه المعاني الثلاثة، أي ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ عنا ألا تراه كيف قال: "وخشينا أن يقتطع دوننا". [النووي في شرح مسلم (١/ ٢٠٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقى النبي ﷺ، ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ولا ينكر كون هذا يفيد تأكيداً، وإن كان خبره مقبولًا من غير هذا والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١/ ٢٠٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٣١)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً. وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦ ـ (٢٠٢)] كتاب الإيمان، ٨٧ ـ باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٠٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٦٩٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٥٥١)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٥٨)، والقرطبي في تفسيره (٦/ ٣٧٩)، وابن أبي الدنيا في الظن (٦١).

وقال عيسىٰ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى.

فقال الله ﷻ: «يا جبريل اذهب إلىٰ محمد، وربك أعلم فسله ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم. فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك». رواه مسلم(١).

وهو بيان سبب آخر لرجاء الرحمة وهو شفاعة أكرم الخلق علىٰ الله، ووعد الله له بإرضائه، وعدم إساءته في أُمته.

الحديث الخامس عشر: حديث معاذ بن جبل(٢) قال: كنت رِدفَ رسول الله ﷺ علىٰ حمار فقال: «يا معاذ هل تدري ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله؟».

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوا الله ولا يشركون به شيئاً، وحق(٣) العباد علىٰ الله ﷻ أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئاً».

---

(١) هذا الحديث مشتمل علىٰ أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، ومنها: استحباب رفع اليدين في الدعاء، ومنها: البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالىٰ شرفًا بما وعدها الله تعالىٰ بقوله: «سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها. [النووي في شرح مسلم (٣/ ٦٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٨) كتاب العلم، ٥- باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ورقم (٧٣٧٣) كتاب التوحيد، ١ ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٣٠)] كتاب الإيمان، ١٠ ـ باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) قال صاحب التحرير: اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة والله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الأزلي الباقي الأبدي، والموت والساعة والجنة والنار حق لأنها واقعة لا محالة، وإذا قيل للكلام الصدق حق فمعناه أن الشيء المخبر عنه بذلك الخبر واقع متحقق لا تردد فيه. وكذلك الحق المستحق علىٰ العبد من غير أن يكون فيه تردد وتحير، فحق الله تعالىٰ علىٰ العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتمًا عليهم، وحق العباد علىٰ الله تعالىٰ معناه أنه متحقق لا محالة. هذا الكلام صاحب التحرير.

وقال غيره: إنما قال: حقهم علىٰ الله تعالىٰ علىٰ جهة المقابلة لحقه عليهم، ويجوز أن يكون من نحو قول الرجل لصاحبه حقك واجب عليَّ أي متأكد قيامي به. [النووي في شرح مسلم (١/ ٢٠٤) طبعة دار الكتب العلمية].

قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أُبشر الناس؟

قال: «لا تُبشرهم فيتكلوا». أخرجاه.

وهو ظاهر في أن السلامة من الشرك سبب لرجاء السلامة من العذاب لا من النار فقط.

وهذا أثر آخر للمغفرة والتوحيد، سبب للغفران المترتب عليه تحريم النار، بل وكل عذاب، وسبب لدخول الجنان.

الحديث السادس عشر: حديث البراء مرفوعاً: «المسلم إذا سُئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾. أخرجاه[1].

وهو ظاهر في كون الإسلام سببًا لرجاء تلقين الشهادة وهي مواضع الضرورة إليها كالقبر وسؤال الملكين.

الحديث السابع عشر: حديث أنس مرفوعاً: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا علىٰ طاعته»[2]. أخرجه مسلم.

وفي رواية له: إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة.

وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا، حتىٰ إذا أفضى إلىٰ الآخرة، لم يكن له حسنة يجزى بها "[3].

وهو ظاهر في كون الإيمان سببًا لادخار الحسنات لدار القرار، ولإعقاب الرزق في الدنيا علىٰ الطاعات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٩٩) كتاب تفسير القرآن، سورة إبراهيم، ٢ ـ باب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾.
ومسلم في صحيحه [٧٣ /(٢٨٧١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٢٨٠٨)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٣ ـ باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٨٠٨)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١٣ ـ باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٣، ١٢٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٥٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٣)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٨).

الحديث الثامن عشر: من حديث جابر مرفوعاً: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار فَمر علىٰ باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات»(١). أخرجه مسلم.

وهو ظاهر في أن الخمس سبب لمحو الخطايا كمثل نهر غَمرٍ ـ أي كثير ـ يغتسل منه كل يوم.

الحديث التاسع عشر: حديث ابن عباس مرفوعاً: «ما من رجل يموت فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهُم الله فيه»(٢).

أخرجه مسلم.

فقيام العدد المذكور سبب للرحمة والنجاة.

الحديث العشرون: حديث ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحوًا من أربعين رجلاً، فقال: «أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة؟» قال: قلنا: نعم.

فقال: «ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة(٣)؟»

فقلنا: نعم.

فقال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»(٤). أخرجاه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٤ ـ (٦٦٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥١ ـ باب المشي إلىٰ الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٢٦، ٣/ ٣٠٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٤٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٩ ـ (٩٤٨)] كتاب الجنائز، ١٩ ـ باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه.

(٣) أما قوله ﷺ : «ربع أهل الجنة، ثم ثلث أهل الجنة، ثم الشطر، ولم يقل أولًا شطر أهل الجنة فلفائدة حسنة وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل علىٰ الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكرير البشارة مرة بعد أخرى، وفيه أيضًا حملهم علىٰ تجديد شكر الله تعالىٰ وتكبيره وحمده علىٰ كثرة نعمه والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٣/ ٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٢٨) كتاب الرقاق، ٤٥ ـ باب كيف الحشر ورقم (٦٦٤٢) كتاب الأيمان والنذور، ٣ ـ باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، ومسلم في صحيحه [٣٧٧أ(٢٢١)] كتاب الإيمان، ٩٥ ـ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، والترمذي في سننه (٢٥٤٧)، وابن ماجه في سننه (٤٢٨٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٥٢).

وفيه أن الانعداد من خير أمة سبب لرجاء دخول الجنة.

الحديث الحادي بعد العشرين: حديث أبي موسىٰ مرفوعاً: «إذا كان يوم القيامة دفع الله ﷻ إلىٰ كل مسلم يهوديًا أو نصرانيا فيقول: هذا فكاكك من النار»[(١)].

أخرجه مسلم.

وفي رواية له: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم»[(٢)].

وهو سبب لإقامة الفكاك والنجاة من ربقة الهلاك.

ومعنىٰ "دفع إلىٰ كل مسلم" إلىٰ آخره ما جاء من حديث أبي هريرة: لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار .

لأنه مستحق ذلك بكفره.

ومعنىٰ فكاكك[(٣)]: إنك كنت معرضًا لدخولها، وهذا فكاكك لأن الله تعالىٰ قدر للنار عددًا لملؤها فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنىٰ الفكاك للمسلمين.

الحديث الثاني بعد العشرين: حديث ابن عمر مرفوعاً: «يُدْنَى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتىٰ يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟، فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٧٦٧)] كتاب التوبة، ٨ ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، والشجري في أماليه (٢/ ١٧٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٥٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٧٦، ١٠/ ٥٥٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٤٤، ٢٥٩)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥١ ـ (٢٧٦٧)] كتاب التوبة، ٥ ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٣) الفكاك: بفتح الفاء وكسرها، والفتح أفصح وأشهر وهو الخلاص والفداء، ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة.......... انظر ما ذكره المصنف نقلا عن النووي، وأما رواية يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب فمعناه أن الله تعالىٰ يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع علىٰ اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] . [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٧٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٧٠) كتاب الأدب، ٦٠ ـ باب ستر المؤمن علىٰ نفسه، ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ(٢٧٦٨)]، كتاب التوبة، ٨- باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، وابن ماجه (١٨٣)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٤٦٩)، والآجرى في الشريعة (٢٦٨)، وابن الجوزي في =

أخرجاه.

فالإيمان سبب لذلك، وحشرنا الله عليه فيما هنالك. وكنفه: ستره ورحمته.

الحديث الثالث بعد العشرين: حديث ابن مسعود: «إن رجلًا أصاب من امرأة قُبلة، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1] فقال الرجل: إلىٰ هذا يا رسول الله؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»[2] أخرجاه.

وفيه إن الحسنات سبب لإذهاب السيئات.

الحديث الرابع بعد العشرين: حديث أنس قال جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله أصبت حدًا فأقمه عليّ، قال: وحضرت الصلاة فصلي مع رسول الله ﷺ، فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله:إني أصبت حدًا فأقم فيّ كتاب الله قال: «هل حضرت الصلاة معنا؟» قال: نعم قال: «قد غفر لك»[3]. أخرجاه.

وهو ظاهر في كون الصلاة من الحسنات، وأنها تكفر أصاغر الحدود، فإن معنى أصبت حداً: معصية توجب التعزير، وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا ونحوه.

فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة، ولا يجوز للإمام تركها.

الحديث الخامس بعد العشرين: حديثه أيضًا مرفوعاً: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[4] أخرجه مسلم.

= زاد المسير (١/ ٣٤٣)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٤٢٣)، وابن المبارك في الزهد (٥٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٨).

(١) هذا تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات واختلفوا في المراد بالحسنات هنا، فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين علىٰ أنها الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة، وقال مجاهد: هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ويحتمل أن المراد الحسنات مطلقاً. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٦٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة، ٤ ـ باب الصلاة كفارة ورقم (٤٦٨٧) كتاب تفسير القرآن، سورة هود، ٦ ـ باب قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هُود: ١١٤]، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٦)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٤ ـ (٢٧٦٤)] كتاب التوبة، ٧ ـ باب قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: ١١٤]، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٩٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٣)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٦٠٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٩ ـ (٢٧٣٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٤٤. باب =

والأكلة بفتح الهمزة: المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء، فحمد الله علىٰ المرة من ذلك سبب للرضوان الموجب للحسنات.

الحديث السادس بعد العشرين: حديث أبي موسىٰ مرفوعاً[١]: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها».

فإقبالها سبب لبسط الله الكريم يَدَ جودِهِ ورحمته لذلك[٢].

الحديث السابع بعد العشرين: حديث عمرو بن عبسة الطويل الثابت في صحيح مسلم في خروج الخطايا من أعضاء الوضوء.[٣]

وهو دال علىٰ أن الوضوء سبب لخروج الخطايا مع الماء.

وأن تفريغ القلب لله تعالىٰ في الصلاة سبب لحط ذنوب العبد كيوم ولدته أمه.

الحديث الثامن بعد العشرين: حديث أبي موسىٰ مرفوعاً: «إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيُها حيّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذّبوه وعصوا أمره»[٤].

أخرجه مسلم.

وهذا سبب آخر للرجاء إذ قبض نبينا . عليه أفضل الصلاة والسلام . قبلنا،

= استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل والشرب. والترمذي في سننه (١٨١٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٠، ١١٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١١٩، ١٠/ ٣٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤١٠٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ ـ (٢٧٥٩)] كتاب التوبة، ٥ ـ باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٦، ١٠/ ١٨٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢١).

(٢) ولا يختص قبولها بوقت، فبسط اليد استعارة في قبول التوبة، قال المازري: المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب إذا رضي أحدهم عن الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه وهو مجاز، فإن يد الجارحة مستحيلة في حق الله تعالىٰ. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) تخريج الحديث تقدم من قبل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٢٢٨٨)] كتاب الفضائل، ٨ ـ باب إذا أراد الله تعالىٰ رحمة أمة قبض نبيها قبلها. والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٢، ٣/ ٧٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٦٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٥٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٣٧٠).

فكان فرطًا وسلفاً.

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك.

الأولىٰ: أنه لحق بني إسرائيل قحط في عهد موسىٰ. عليه الصلاة والسلام، فاجتمع إليه الناس فقالوا: يا نبي الله ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث.

فقام معهم فخرجوا إلىٰ الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون، فقال موسىٰ ﷺ[1]: إلهي اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرُتع، والشيوخ الرُكع، فما زادت السماء إلا صحواً، ولا الشمس إلا حراً. فقال موسىٰ: إلهي إن كان خَلِقَ جاهي عندك فبجاه النبي الأمي الذي تبعثه آخر الزمان. فأوحى الله إليه ما خَلِقَ جاهك عندي، وإنك عندي وجيه. ولكن فيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة فنادى بالناس حتىٰ يخرج من بين أظهرهم، فبه مُنِعْتُم.

فقال موسىٰ: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا ويزيدون فأوحى الله إليه: منك النداء وعلي البلاغ. فقام مناديًا وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله تعالىٰ منذ أربعين سنة بالمعاصي، أخرج من بين أظهرنا. فبك منعنا المطر.

فقام العبد العاصي ونظر ذات اليمين، وذات الشمال فلم ير أحدًا خرج، فعلم أنه المطلوب. فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هؤلاء افتضحت علىٰ رؤوس بني إسرائيل، وإن أنا قعدت معهم مُنعوا لأجلي.

فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا علىٰ فعاله[2] وقال: إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة، وأمهلتني. وقد أتيتك طائعاً، فاقبلني.

فلم يستتم الكلام حتىٰ ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب.

فقال موسىٰ. عليه الصلاة والسلام: إلهي وسيدي بماذا سقيتنا، وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال الله ﷻ: يا موسىٰ سقيتكم بالذي منعتكم.

فقال موسىٰ ﷺ: إلهي أرني هذا العبد الطائع.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠١٣) عن أنس في دعاء الاستسقاء وفيه رفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا». وروى أبو داود في سننه (١١٦٩) عن جابر مرفوعاً: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريئًا نافعًا غير ضار عاجلًا غير آجل».

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].
وقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُمَر].

فقال: يا موسىٰ إني لم أفضحه وهو يعصيني فأفضحه وهو يطيعني؟ يا موسىٰ أنا أبغض النمامين أفأكون نماماً؟

الثانية: عن جويريه بنت محمد قالت: رأيت يزيد بن هارون[١] في المنام بعد موته بأربع ليال فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: تقبل مني الحسنات وتجاوز عن السيئات ووهب لي التبعات.

فقلت: وما كان بعد ذلك؟ فقال: وهل يكون من الكريم إلا الكرم؟ غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة. قلت: بم نلت ذلك؟

قال: بمجالس الذكر، وقول الحق وصدقى الحديث وطول قيامي في الصلاة، وصبري علىٰ الحق. قلت: منكر ونكير حق؟

قال: أي والله الذي لا إله إلا هو أقعداني وسألاني من ربك وما دينك، ومن نبيك؟

فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من ذلك التراب وقلت: مثلي يُسأل عن هذا؟
أنا يزيد بن هارون الواسطي، مكثت في دار الدنيا سنين أُعَلِّم الناس.

فقال أحدهما: صدق، وهو يزيد بن هارون، نم نومة العروس، فلا روعة عليك بعد اليوم.

نادرة: قال حسان بن عطية[٢] فيما حكاه الأوزاعي:

من طال عليه قيام الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة.

وقال: إن العبد إذا عمل سيئة وقف الملك لم يكتبها ثلاث ساعات، وإن لم يستغفر كتب، وإن استغفر لم يكتب.

---

(١) يزيد بن هارون بن وادي، أبو خالد السلمي مولاهم الواسطي، ثقة، متقن، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة (٢٠٦).
ترجمته: تهذيب التهذيب (١١/ ٣٦٦)، تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٢)، التاريخ الكبير (٨/ ٣٦٨)، الجرح والتعديل (٩/ ١٢٥٧)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٣٠٧، ٣٠٩)، سير الأعلام (٩/ ٣٥٨).

(٢) حسان بن عطية، أبو بكر، المحاربي مولاهم الدمشقي، الفقيه، العابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وكان ثقة، فقيهًا عابدًا. توفي سنة (١٢٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٢٥١)، تقريب التهذيب (١/ ١٦٢)، الكاشف (١/ ٢١٧)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٣)، الجرح والتعديل (٣/ ١٠٤٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٧٩)، لسان الميزان (٧/ ١٩٦)، الوافي بالوفيات (١١/ ٣٦٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٦)، الثقات (٦/ ٢٢٣).

أخرى: قال مجاهد فيما حكاه أبو يحيي: يؤمر بالعبد إلىٰ النار يوم القيامة فيقول: يا رب ما كان هذا ظني. فيقول الله تعالىٰ: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي. فيقول: خلُّوا سبيله. ويدخله الجنة[1].

الثالثة: حكي أنه كان رجل يشرب الخمر مع جمع من ندمائه، فدفع إلىٰ غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها شيئًا من الفواكه للمجلس فمرّ الغلام بباب منصور بن عمار، وهو يسأل لفقير شيئًا ويقول: من يدفع له أربعة دراهم أدعو له أربع دعوات. فدفع الغلام الدراهم إليه. فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك؟

فقال: يا سيدي إن لي سيدًا أريد أن أتخلص من مملكته.

فدعا له، وقال: الأخرى.

قال: أن يخلف الله علىٰ دراهمي.

فدعا له، ثم وقال: الأخرى.

قال: أن يتوب الله علىٰ سيدي.

فدعا له، ثم وقال: الأخرى.

قال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم.

فدعا منصور ورجع الغلام إلىٰ سيده.

فقال: ما أبطأك؟ فقصّ عليه القصّة.

فقال له: وبما دعا؟

قال: إن تعتقني.

قال: اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله.

وإيش الثانية؟، قال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي.

قال: لك أربعة آلاف درهم.

وإيش الثالثة؟ قال: أن يتوب الله عليك.

قال: تبت إلىٰ الله. قال: وإيش الرابعة؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكور وللقوم.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. وقال تعالىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران].

قال: هذه ليست إليَّ.

فلما كان الليل رأى في المنام كأن قائلًا يقول له فعلت ما كان إليك افتراني لا أفعل ما كان إليّ؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار[١]، وللقوم الحاضرين.

الرابعة: قال مالك بن دينار: رأيت بالبصرة قومًا يحملون جنازة وليس معهم مشيع فسألت عنه، فقالوا: هذا رجل من كبار المذنبين العُصاة المسرفين.

قال: فصليت عليه وأنزلته في قبره، ثم انصرفت إلىٰ الظل، فنمت. فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا القبر، ونزل أحدهما إليه وقال لصاحبه: اكتبه من أهل النار، فما فيه جارحة سَلِمَت من المعاصي والأوزار.

فقال له صاحبه: يا أخي لا تعجل، اختبر عينيه. فقال: قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلىٰ محارم الله.

قال: اختبر سمعه. قال: قد اختبرته فوجدته مملوءًا بسماع الفواحش والمنكرات.

قال: فاختبر لسانه.

قال: اختبرته فوجدته مملوءتين بالخوض في المحظورات وارتكاب المحرمات.

قال: فاختبر يديه. قال: قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذَّات والشهوات.

قال: فاختبر رجليه.

قال: قد اختبرتها فوجدتهما مملوءتين بالسعي في المذمومات.

قال يا أخي لا تعجل عليه، دعني أنزل إليه فنزل إليه الملك الثاني.

فأقام عنده ساعة وقال لصاحبه: يا أخي قد اختبرت قلبه فوجدته مملوءاً إيماناً، فاكتبه مرحومًا سعيدًا ففضل المولى سبحانه يستغرق ما عليه من الذنوب والخطايا.

لما رأوه مبعدًا عن طاعتي ... حكموا بأني لا أجود برحمتي

حكمي أجل وإن يضيق عن الورى ... من ذا يجد أوامري ومشيئتي

الخامسة: عن بعض الصالحين قال: خطر لي أن أزور رابعة العدوية[٢] وأنظر صدقها في دعاويها.

---

(١) منصور بن عمار بن كثير، أبو السري السلمي الخراساني ويقال إنه بصري كان زاهداً، واعظاً، كبير الشأن، وكان إليه المنتهى في بلاغة الموعظة وتحريك القلوب إلىٰ الله. [تاريخ الإسلام وفيات (١٩١ ـ ٢٠٠)].

(٢) رابعة العدوية العابدة البصرية المشهورة بالتأله والزهد، وهي رابعة بنت إسماعيل كنيتها أم=

فبينما أنا كذلك، وإذا بفقراء قد أقبلوا ووجوهم كالأقمار ورائحتهم كالمسك، فسلموا عليّ، وسلمت عليهم. وقلت: من أين أقبلتم؟. قالوا: يا سيدي حديثنا عجيب.

فقلت: وما هو. قالوا: نحن من أبناء التجار المتمولين، وكنا عند رابعة في مصر.

فقلت: وما ودَّاكم إليها؟ قالوا: كنا ملتهين بالأكل والشرب في بلدنا، فقيل لنا عن حُسن رابعة وحسن صوتها. فقلنا: لابد أن نروح إليها ونسمع غناها، وننظر إلىٰ حسنها. فخرجنا من بلدنا إلىٰ أن وصلنا إلىٰ بلدها، ووصفوا لنا بيتها وذكروا لنا أنها قد تابت. فقال أحدنا: إن كان فاتنا حسن صوتها وغناها فإنا ننظرها وحُسنها.

فَغَيَّرنا حِلْيَتَنَا ولبسنا لبسة الفقراء، وانتهينا إلىٰ بابها، وطرقنا الباب، فلم نشعر إلا وقد خرجت وتمرغت بين أقدامنا وقالت: لقد سعدت بزيارتكم.

فقلنا: وكيف ذلك؟

قالت: عندنا امرأة عمياء منذ أربعين سنة فلما طرقتم الباب قالت: إلهي وسيدي، بحُرمَة هؤلاء الأقوام الذين طرقوا الباب إلا مارددت عليّ بصري، فرد في الوقت.

قال: فعند ذلك نظر بعضنا إلىٰ بعض. وقلنا: ترون لطف ربكم، ما فضح سريرتنا، فقال الذي أشار علينا بلباس الفقراء: والله لا عدت أقلع هذا اللباس من عليَّ، وأنا تائب إلىٰ الله علىٰ يد رابعة. فقلنا: لكن نحن وافقناك علىٰ المعصية، فوافقنا علىٰ الطاعة والتوبة. فتبنا كُلنا علىٰ يديها، وخرجنا من أموالنا وصرنا كما ترى.

السادسة: حُكِي أن شابا كان يحضر مجلس بعض علماء السلف وكان الشاب إذا سمع الواعظ يقول: يا ستار يهتز كما تهتز السعفة. فقيل له في ذلك.

فقال: اعلموا أني كنت أُحب أن أخرج في زي النساء، وأحضر كل موضع فيه عرس أو عزاء يجتمع فيه النساء. فحضرت يومًا عرسًا لبنت بعض الملوك.

= عمرو، قال ابن أبي الدنيا بسنده عن عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابعة العدوية قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر، هجعت هجعة حتىٰ يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول: يا نفس كم تنامين، وإلىٰ كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومي منها إلا ليوم النشور، وتوفيت رابعة سنة (١٨٠). [تاريخ الإسلام وفيات (١٧١ ـ ١٨٠)].

فسُرِقَ عقد بنت الملك، فصاحوا أن أغلقوا الباب وفتشوا النساء، ففتشوهن واحدة واحدة حتىٰ لم يبق إلا واحدة، وأنا، فدعوت الله وأخلصت التوبة، وقلت: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلىٰ مثل هذا أبداً، فوجدوا العقد مع المرأة التي بقيت قبلي، وقالوا: أطلقوا الأخرى، يَعنُوني فأطلقوني، وسرت.

فمن حينئذ إذا سمعت ذكر الستَّار، أذكُر ستره عليّ، ويأخذني ما رأيتم من الاهتزاز.

السابعة: حُكِي أن رجلًا من بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة، وعصى الله عشرين سنة ما أطاعه فيها طرفة عين، فلما كان بعض الأيام نظر في المرآة، فنظر شيبًا في لحيته فقال: آه الشيب والعيب، وعزتك لا عدت إلىٰ معصيتك، وقام من وقته وتطهر للتوبة.

فلما جنَّ الليل قال: إلهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة، فيا ليت شعري إن رجعت إليك تقبلني[(١)].

فسمع صوتًا لا يُرى قائله: أحببتنا فأحببناك وأطعتنا فأطعناك، وعصيتنا فأملهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

أخلقت وجهي المعاصي عند علام الغيوب
سيدي شؤم المعاصي أبعدت منك نصيبي
سيدي قسوة قلبي حيرت كل طبيب
يا طبيب الأطباء أنت عوني وطبيبي
اشفني هب لي إلهي توبة تمحو ذنوبي

فصل في فضل الرجاء

قال تعالىٰ إخبارًا عن العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه [١ ـ (٢٦٧٥)] كتاب التوبة، ١ ـ باب في الحض علىٰ التوبة والفرح بها، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول».

(٢) سورة غافر (٤٤،٤٥).

أي وأتوكل علىٰ الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] أي: هو بصير بهم تعالىٰ وتقدس، فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال وله الحجة =

ورويناا في الصحيحين، والسياق لمسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله ﷻ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني؛ إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة»[(١)].

وفي رواية لهما: «وأنا معه حين يذكرني»[(٢)] بالنون.

وروينا في صحيح مسلم من حديث جابر أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»[(٣)] وروينا في جامع الترمذي حديث أنس في قراب الأرض خطايا.

وقد ذكرناه في الاستغفار.

= البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥] أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فنجاه الله تعالىٰ مع موسىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأما في الآخرة فبالجنة. [تفسير ابن كثير (٤/ ٨١)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ١٥ ـ باب قول الله تعالىٰ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، ومسلم [١أ(٢٦٧٥)] كتاب التوبة، ١ ـ باب في الحض علىٰ التوبة.

(٢) مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١ ـ باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٢ ـ (٢٨٧٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٩ ـ باب الأمر بحسن الظن بالله تعالىٰ عند الموت، وابن ماجه (٤١٦٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٩٣، ٣١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٦٢) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٦٠٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٩)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٠٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٦٩، ١٠/ ٢٧٨).

مجلس في الجمع بين الخوف والرجاء

المختار للعبد في صحته أن يكون خائفًا راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء.

وفي حال المرض يتمحض الرجاء؛ وقواعد الشرع ونصوصه من الكتاب والسنة وغيرهما دالة عليه ومتظاهرة لديه.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]

وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]

وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3]

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]

فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[5]

وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾﴾[6] الآية.

والآيات في هذا كثيرة، فاجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين، أو آيات أو آية.

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحداً»[7].

---

(١) سورة الأعراف (٩٩).
قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٩)].

(٢) سورة يوسف (٨٧).

(٣) سورة آل عمران (١٠٦).

(٤) سورة الأعراف (١٦٧).

(٥) سورة الانفطار (١٣، ١٤).

(٦) سورة القارعة (٦).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٣ ـ (٢٧٥٥)] كتاب التوبة، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالىٰ وأنها سبقت غضبه، والترمذي في سننه (٣٥٤٢)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٣٤، ٣٩٧)، وابن =

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال علىٰ أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها إنسان لصعق»[١].

وروينا فيه أيضًا من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»[٢].

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك فنقول:

الحكاية الأولىٰ: عن سليم بن منصور[٣] قال: رأيت أبي في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إن الرب تبارك وتعالى قربني وأدناني، وقال يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا.

قال: إنك جلست يومًا مجلسًا فبكَّيتهم، فبكي فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت.

الثانية: قال منصور بن عمار[٤]. رحمه الله تعالىٰ: رأيت في بعض الأيام شابا يصلي صلاة الخائفين فقلت في نفسي: هذا الشاب لعله وليٌّ من أولياء الله تعالىٰ، فوقفت حتىٰ فرغ من صلاته، ثم سلمت عليه فرد عليَّ السلام.

= حبان في صحيحه (٢٥٢٣ ـ الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٢)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٣٤، ١٣٩).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٨٠) كتاب الجنائز، ٩٠ ـ باب كلام الميت علىٰ الجنازة، وأحمد في مسنده (٣/ ٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٨٨) كتاب الرقاق، ٢٩ ـ باب الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٧، ٤١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٦٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٨).

(٣) سليم بن منصور بن عمار بن كثير المروزي أبو الحسن، روى عن أبيه منصور بن عمار، وإسماعيل بن عُلية وأبي داود، وعلي بن عاصم، وعنه: أبو حاتم الرازي وحَسَّنَ أمره، وإسحاق الحربي، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: أهل بغداد يتكلمون فيه فقال: مه، [انظر تاريخ الإسلام وفيات (٢٣١أ٢٤٠)].

(٤) منصور بن عمار تقدمت ترجمته وقال عنه أبو حاتم: صاحب مواعظ ليس بالقوي، وقال ابن يونس: قص بمصر علىٰ الناس وسمعه الليث فأعجبه ووصله بألف دينار، وقيل: إن الرشيد لما سمع وعظه قال: من أين تعلمت هذا؟ قال: تفل في فيَّ النبي ﷺ في النوم وقال: "يا منصور قل".

وقلت: ألم تعلم أن في جهنم واديًا يقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾[1]؟

فشهق شهقة، فخر مغشيًا عليه.

فلما أفاق قال: زدني، قلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

قال: فخر ميتًا فكشفت عن ثيابه، فإذا علىٰ صدره مكتوب: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[3] قال: فلما كان الليلة الثالثة رأيته في المنام جالسًا علىٰ سرير وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأعطاني ثواب أهل بدر، وزادني.

فقلت له: لم؟ قال: لأنهم قتلوا بسيف الكفار، وأنا قتلت بكلام الجبار.

الثالثة: قال المزني[4]: دخلت علىٰ الشافعي في علته التي مات فيها فقلت له: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت من الدنيا راحلًا ولإخواني مفارقًا ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالي ملاقيًا وإلى الله الكريم وارداً، فلا أدري أروحي تصير إلىٰ الجنة فأهنئها أو إلىٰ النار فأعزيها.

ثم بكىٰ وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجاء مني لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرماً

الرابعة: عن سعيد بن ثعلبة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: بتنا ليلة مع رجل من العباد علىٰ الساحل بسيراف فأخذ في البكاء، فلم يزل يبكي حتىٰ خفنا طلوع الفجر ولم يتكلم بشيء،ثم قال: يا مولاي جرمي عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمي

---

(١) سورة المعارج (١٥ ـ ١٨).
(٢) سورة التحريم (٦).
(٣) سورة الحاقة (٢١ ـ ٢٣).
(٤) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، الفقيه، المزني المصري صاحب الشافعي كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا مناظرًا محجاجًا غوَّاصًا علىٰ المعاني الدقيقة صنف كتبًا كثيرة، توفي سنة (٢٦٤).

وعفوك يا كريم قال: فتصارخ الناس من كل ناحية.

الخامسة: روى أن سليمان بن عبد الملك[(١)] . رحمه الله . قال لأبي حازم . رحمه الله تعالىٰ: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة، وإنكم تكرهون النقلة من العمران إلىٰ الخراب. قال: صدقت يا أبا حازم، ليت شعري ما لنا عند الله غداً؟

قال: أعرض عملك علىٰ كتاب الله تعالىٰ.

قال: وأين أجده من كتاب الله تعالىٰ؟ فقال: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝﴾[(٢)].

قال سليمان: وأين رحمة الله؟ قال ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [(٣)] قال سليمان: ليت شعري كيف العرض علىٰ الله تعالىٰ؟

قال أبو حازم: أما المحسن فكالغائب يقدم علىٰ أهله فرحًا مسروراً، وأما المسيء فكالآبق يقدم علىٰ مولاه خائفًا محسوراً.

وأنشدوا:

عرضنا علىٰ المولى ونحن عبيده ... فمنا شقي رده وسعيد
فمن كان منا ليس يصلح خادماً ... فعن بابه بالطرد ذاك بعيد
ومن كان يصلح فهو في قدس حضره ... قريب ومغبوط هناك حميد
حبيب له جاه عظيم ورفعة ... ومجد علىٰ من الجديد جديد
أولئك خُدَّام كرام وسادة ... ونحن عبيد السوء بئس عبيد
فيا غبننا يوم التغابن عندما ... يقابلهم وعد ونحن وعيد
ترى الناس إلَّا وهم سكارى وما هم ... بسكارى ولكن العذاب شديد
وهم ركبوا نجائب من النور في الهوى ... تطير بهم إلىٰ الرب الكريم وُفُود
فلا فزع يحزنهم بل يقربه ... لهم فرح يحلو هناك وعيد

السادسة: عن بعض السلف قال: رأيت في بعض الجبال شابا أصفر اللون غائر

---

(١) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو أيوب، وكان من خيار ملوك بني أمية ولي الخلافة سنة (٩٦) بعد الوليد، وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لوقتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز، وتوفي سليمان سنة (٩٩) [تاريخ الإسلام وفيات (٩١ ـ ١٠٠)].

(٢) سورة الانفطار (١٣، ١٤). (٣) سورة الأعراف (٥٦).

العينين مرتعش الأعضاء لا يستقر في الأرض كائن به وخز الأشنة وجموعه تتحادر. فقلت له: من أنت؟ قال: آبق من مولاه. قلت: تعود وتعتذر.

قال: العذر يحتاج إلىٰ إقامة حجة، وكيف يعتذر المقصر؟

قلت: يتعلق بمن يشفع فيه. قال: كل الشفعاء يخافون منه.

قلت: من هو؟

قال: هو مولى، رباني صغيرًا فعصيته كبيرًا شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني فخنته في ضماني وعصيته وهو يراني وأحياني من صنيعته، وقبح معاملتي، فقلت: أين هذا المولىٰ؟

قال: أين توجهت لقيت عونه، وأين استقرت قدمك ففي داره.

فقلت: أرفق بنفسك، فربما أحرقَك الخوف، فقال: احترق بنار خوفه، لعله يرضى أحق وأولىٰ.

وأنشأ يقول:

لم يبق خوفك لي دمعًا ولا جلداً	لا شك أني بهذا ميت كمداً
عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً	وناره تحرق الأحشاء والكبدا
ضاقت مسالكه في الأرض من وجل	فهب له منك لطفًا إن لقيتك غداً

فقلت: يا غلام الأمر أسهل مما تظن فقال: هذا من فتن البطالين، إنه تجاوز عني إني أنا والإخلاص والصفا، ثم صاح صيحة خرجت منها روحه، فخرجت عجوز من كهف جبل عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان علىٰ البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلىٰ الرجاء.

فقالت: قد دعوته إلىٰ ذلك، فقال لي: الرجاء بلا صفا شرك.

قلت: فمن أنت منه؟ قالت: والدته، فقلت: أقيم عندك أعينك عليه. قالت: خله بين يدي قاتله عسى يراه بغير معين فيرحمه.

فلم أدر مما أعجب من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز وحسن صدقها، رحمهم الله أجمعين.

السابعة: حُكِي أنه قيل للحسن البصري . رحمه الله: يا أبا سعيد هنا رجل لم نره قط إلا جالسًا وحده خلف سارية، فمضى إليه الحسن وقال: يا عبد الله أراك قد أحببت العزلة، فما يمنعك من مجالسة الناس؟

قال: أمر شغلني عن الناس. قال: فما يمنعك تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن البصري تجلس إليه؟

قال: أمر شغلني عن الناس وعن الحسن البصري. فقال له الحسن: ما ذاك الشغل يرحمك الله؟

قال: أتى الصبح بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي بالشكر علىٰ النعمة والاستغفار من الذنب.

فقال له الحسن البصري: أنت يا عبد الله أفقه من الحسن فالزم ما أنت عليه.

الثامنة: قال ذو النون المصري. رحمه الله تعالىٰ: كنت في جبال بيت المقدس، وإذا برجل قد اتزر بالخوف واتشح بالرجاء، فتقدمت إليه وسلمت عليه، فرد عليَّ السلام، فقلت له: من أين أقبلت يرحمك الله؟

قال: من حضرة الأنس.

قلت: إلىٰ أين تريد؟

قال: إلىٰ راحة النفس، ثم ولي وهو يقول:

هجر الخلق كلهم فتولى ... فهو بالله طيب الخلوات

قال للنفس ساعديني وجدي ... ليس نقض العهود فعل الثقات

ليس من يطلب الحبيب فتورا ... فأسبل الدمع واهجر الترَّهات

هل رأيتم مدلَّلًا في عذاب ... وعروسًا تواصل العبرات

ملك جائع غني فقير ... مشرق وجهه من الحسنات

لم يدم عرسه الذي هو ماض ... إنما رام عرسه الذي هو آت

فلعمري ليخلعن عليه ... خلع العز مع جزيل الهبات

التاسعة: عن الشبلي رحمه الله تعالىٰ: إنه كان يقول: ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب وما أنت صانع بي يا غفار الذنوب، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب، ثم أنشد وجعل يقول:

ليت شعري كيف ذكري ... عند من يعلم سري

أجميل أم قبيح ... أم بخير أم بشري

ليت شعري كيف موتي ... بيقين أم بكفر

أترى يقبل قولي ... أم ترى يشرح صدري

ليت شعري كيف حالي ... يوم إحضاري وحشري

ليت شعري أين أمضي ... لنعيم أم لجمري؟

العاشرة: قال صالح المدي. رحمه الله: رأيت في محراب داود ﷺ عجوزًا

عليها مدرعة شعر وقد كُفَّ بصرها وهي تصلي وتبكي قال: فتركت صلاتي، ووقفت أنظر إليها.

فلما فرغت من صلاتها رفعت وجهها إلىٰ السماء وجعلت تنشد:

أين سؤلي وعصمتي في حياتي أنت ذخري وعدتي في مماتي

يا عليما ما أكِنُّ وأُخْفِي وبما في بواطن الخطرات

ليس لي مالك سواك فأرجوه لدفع العظائم الموبقات

قال: فسلمت عليها وقلت لها: ما الذي أوجب ذهاب عينيك؟

قالت: بكائي علىٰ ما فرطت في مخالفته ومعصيته، وما كان من تقصيري في ذكره وخدمته، فإن عفي عني عوضني في الآخرة خيرًا منها، وإن لم يعف عني فما لي حاجة بعين تحرق في النار.

قال: فبكيت رحمة لها، فقالت: يا صالح أقسم عليك أن تقرأ شيئًا من كتاب الله تعالىٰ لي فقد طال وعزته شوقًا إليه.

قال: فقرأت: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ .(١)

قالت: يا صالح من خدمه حق خدمته؟ ثم صرخت صرخة يتصدع قلب من يسمعها، وسقطت علىٰ وجهها، وإذا بها قد فارقت الدنيا.

قال: ثم إني رأيتها بعد ذلك في المنام وهي في حالة حسنة فسألتها عن أمرها كيف كان؟

قالت: لما قبضني أوقفني الحق بين يديه وقال: أهلًا بمن قتلها الأسف علىٰ تقصيرها في خدمتي، ثم ولت وهي تقول:

جاد لي بالذي أؤمل منه وحباني بكل ما أرتجيه

في نعيم ولذة وسروره أبدًا عنده أخلد فيه

---

(١) سورة الأنعام (٩١).

مجلس في بيان كثرة طرق الخير

وطرقها العبادات لأن الخير سلكها ويتوصل بها إليها.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ (٢).

وقال: وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " (٣).

وقال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ (٤).

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النحل: ٩٧] إلىٰ قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٦).

وقال: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ﴾ (٧).

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (٨).

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ (٩).

وقال: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ (١٠).

وقال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (١١).

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٢).

وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ (١٣).

ومثقال الذرة يشمل الكيف والكم، والكم هو المتبادر.

وقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ (١٤).

---

(١) سورة البقرة (٢١٥).
(٢) سورة البقرة (١٩٧).
(٣) سورة آل عمران (١١٥).
(٤) سورة الأعراف (١٨٨).
(٥) سورة النحل (٩٧).
(٦) سورة الكهف(٣٠).
(٧) سورة الكهف (٤٦).
(٨) سورة الأنبياء (٩٠).
(٩) سورة الأنبياء (٩٤).
(١٠) سورة الحج (٧٧).
(١١) سورة فاطر (١٠).
(١٢) سورة الذاريات(١٦).
(١٣) سورة الزلزلة (٧).
(١٤) سورة البقرة (١٨٤).

وقال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾[(١)].

وقال: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[(٢)].

وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾[(٣)].

وقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[(٤)].

وأما الأحاديث فخمسة وعشرون حديثًا وهي مشتملة علىٰ بيان أصول الخير ومراتبه وأنواعه وغير ذلك:

الحديث الأول: عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟

قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله» قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟

قال: «أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً»[(٥)].

قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق».

قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك علىٰ نفسك»[(٦)].

أخرجاه.

الصانع: بالصاد المهملة. وروى بالمعجمة. أي ذا ضياع، فقرأ وعيال ونحوهما.

والأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله.

---

(١) سورة الروم (٤٥).
أي يجازيهم مجازاة الفضل؛ الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ ما يشاء الله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٥] ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجور.

(٢) سورة الروم (٤٤).

(٣) سورة الرعد (٢٩).

(٤) سورة الأنبياء (٧٣).

(٥) قوله ﷺ في الرقاب "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً" فالمراد به والله أعلم إذ أراد أن يعتق رقبة واحدة، أما إذا كان معه ألف درهم وأمكن أن يشتري بها رقبتين مفصولتين أو رقبة نفيسة مثمنة فالرقبتان أفضل، وهذا بخلاف الأضحية، فإن التضحية بشاة سمينة أفضل من التضحية بشاتين دونها في السمن. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥١٨) كتاب العتق، ٢ ـ باب أي الرقاب أفضل، ومسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (٨٤)] كتاب الإيمان ٣٦ ـ بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، وأحمد في مسنده (٥/ ١٥٠، ١٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٨١، ٩/ ٢٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٣٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٠٨).

وهذا الحديث فيه بيان أفضل الأعمال، إما مطلقًا وإما لحال شخص.

فذكر للمطلق كل خير وهو الإيمان، وتممه بأمرين: الدعاء إليه والحجة والسيف، وفك رقبة مؤمنة وحال من لم يفعل شيئًا من ذلك إسداء المعروف إعانة واستقلالا، ولحال من ضعف عنه كف الشر.

الحديث الثاني عنه مرفوعاً[1]: «يصبح علىٰ كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

أخرجه مسلم.

والسلامى: بضم السين المهملة وتخفيف اللام المفصل[2].

وفيه بيان أن كلًّا من الأذكار الأربعة صدقة علىٰ النفس وعلى العالم، والصلاة المذكورة تجزئ من ذلك كله.

الحديث الثالث: عنه مرفوعاً: «عرضت عليَّ أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، وجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن»[3].

أخرجه مسلم.

فإماطة الأذى من محاسن العادات، ومهم العبادات.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤ ـ (٧٢٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٣. باب استحباب صلاة الضحى، وأبو داود في سننه (١٢٨٩، ٥٢٤٣)، وأحمد بن حنبل (٥/ ١٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٦١)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٦٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١/ ٢٣١١)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ١٦٠).

(٢) قوله ﷺ: «علىٰ كل سلامى من أحدكم صدقة» وهو بضم السين وتخفيف اللام وأصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله، وفي الحديث وحديث أبي الدرداء الحث علىٰ الضحى وصحتها ركعتين والحث علىٰ صوم ثلاثة أيام من كل شهر وعلى الوتر وتقديمه علىٰ النوم لمن خاف أن لا يستيقظ آخر الليل. [النووي في شرح مسلم (٥/ ١٩٨، ١٩٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧ ـ (٥٥٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١٣ . باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩١)، وابن خزيمة في صحيحه (١٣٠٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦١٦) والقرطبي في تفسيرة (١٢/ ٢٧٨).

الحديث الرابع: عنه أيضًا أن ناسًا قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة[1]، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[2].

رواه مسلم.

الدثور: بالثاء المثلثة، الأموال وأحدها دثر.

وفيه أن البضع صدقة، وهو عادي أيضاً، وهو صدقة علىٰ العالم كله، من نسل يكثر السواد ويجاهد في الله حق الجهاد.

والحرام لا خير فيه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: ٢٢].

الخامس: عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».[3] رواه مسلم.

وهو عادي أيضًا فالطلاقة في وجه الإخوان، وعدم الاحتقار بالمعروف من المهم المألوف.

الحديث السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى

---

(١) قوله ﷺ: «وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة» فيه إشارة إلىٰ ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكره، والثواب في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، وقد يتعين ولا يتصور وقوعه نفلاً، والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل لقوله عز وجل: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضت عليه». [النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (١٠٠٦)] كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٦)، وفي آداب الزفاف للألباني (٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٤ ـ (٢٦٢٦)] كتاب البر والصلة والآداب، ٤٣ ـ باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣، ٥/ ٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨، ١٠، ١٠/ ٢٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٨٦٦، ١٤٥٠) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٨٢، ٥٣٣).

من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس».قال: «تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل علىٰ دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليه متاعه، صدقة» قال: «والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلىٰ الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»(١).

متفق عليه.

ورواه مسلم أيضًا من رواية عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: إنه خُلِقَ كل إنسان من بني آدم علىٰ ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السُلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»(٢). فهذه العادات صارت عبادات.

الحديث السابع: عنه عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلىٰ المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نُزُلاً، كلما غدا أو راح»(٣).

متفق عليه، والنزل: القوت أو الرزق، وما يُهيأ للضيف، فتكرار الخيرات تزاد به الأجور والمسرات.

الحديث الثامن: عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فِرْسِنَ شاة. متفق عليه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٠٧) كتاب الصلح، ١١ ـ باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، ورقم (٢٨٩١) كتاب الجهاد والسير ٧٢. باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر ورقم (٢٩٨٩) كتاب الجهاد والسير، ١٢٨ ـ باب من أخذ بالركاب ونحوه، ومسلم في صحيحه [٥٦ ـ (١٠٠٩) كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٤ ـ (١٠٠٧) كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (١٧١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٢) كتاب الأذان، ٣٧ ـ باب فضل من غدا إلىٰ المسجد ومن راح، ومسلم في صحيحه [٢٨٥.(٦٦٩)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٥١ ـ باب المشي إلىٰ الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣ / ٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١٧) كتاب الأدب، ٣٠ ـ باب لا تحقرن جارة لجارتها، ومسلم في صحيحه [٩٠ ـ (١٠٣٠)] كتاب الزكاة، ٢٩ ـ باب الحث علىٰ الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من =

قال الجوهري: الفرسن من البعير كالحافر من الدابة.

قال: وربما أستعير للشاة، فترك الاحتقار من كرم النفس به يحصل كمال الأدب وطرح النفس.

الحديث التاسع: عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه(١).

البضع: من ثلاثة إلىٰ تسعة، بكسر الباء، قد تفتح، والشعبة: القطعة، وهو بيان لأنواع الشعب منوعة إلىٰ العقائد والأعمال والأحوال، وبها يخلص من النصب.

الحديث العاشر: عنه أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش(٢).

فقال الرجل: «لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتىٰ رقي(٣)، فسقي الكلب فشكر الله له، فغفر له».

= القليل لاحتقاره، وأحمد في مسنده (٤/ ٦٤، ٥/ ٣٧٧)، ومالك في الموطأ (٩٣١)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٠٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩) كتاب الإيمان، ٣ ـ باب أمور الإيمان، ومسلم في صحيحه [٥٨ ـ (٣٥)] كتاب الإيمان ١٢ ـ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

قال النووي: قال القاضي عياض وغيره من الشراح: إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولكن استعماله علىٰ قانون الشرع يحتاج إلىٰ اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا علىٰ أفعال البر ومانعًا من المعاصي.

وقوله ﷺ «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو مدر، أو شوك أو غيره. [النووي في شرح حديث مسلم (٢/ ٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) قوله ﷺ «فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش» أما الثرى فالتراب الندى، ويقال: لهث بفتح الهاء وكسرها يلهث بفتحها لا غير لهثًا بإسكانها.

والاسم اللهث بفتحها واللهاث بضم اللام، ورجل لهثان وامرأة لهثى كعطشان وعطشى وهو الذي أخرج لسانه من شدة العطش والحر.

(٣) «حتى رَقِي فسقي الكلب»: يقال رقي بكسر القاف علىٰ اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى فتحها وهى لغة طيئ في كل ما أشبه هذا.

[النووي في شرح مسلم (١٤/ ٢٠٢، ٢٠٣) طبعة دار الكتب العلمية].

قالوا: يا رسول الله ، وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟

فقال : «في كل كبد رطبة أجرا»[١]

وفي البخاري: فشكر الله له فأدخله الجنة.

وفي رواية لهما: «بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت مُوقها ، فسقت له به، فسقته إياه، فغفر لها به»[٢].

المُوْق: الخُف.

يطيف : يدور حول ركيَّة : وهي البئر .

الحديث الحادي عشر: عنه عن النبي ﷺ قال : « لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[٣]رواه مسلم .

وفي رواية : «مرّ رجل بغصن شجرة علىٰ ظهر طريق فقال: والله لأُنحِّينَّ هذا عن المسلمين لا يُؤذيهم، فأدخل الجنة»[٤].

وفي رواية لهما: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك علىٰ الطريق فأخرَّه، فشكر الله له فغفر له»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٦٣) كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء. ومسلم في صحيحه [١٥٣ ـ (٢٢٢٤)] كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥. باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها. وأبو داود في سننه (٢٥٥٠) كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام علىٰ الدواب والبهائم. وأحمد في مسنده (٢/ ٥١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٦ ـ باب عقب باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه [١٥٥ ـ (٢٢٤٥)] كتاب قتل الحيات وغيرها، ٥ ـ باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها. قال النووي: البغي هي الزانية، والبغاء بالمد هو الزنا، ومعنى يطيف أي يدور حولها، بضم الياء ويقال طاف به وأطاف إذا دار حوله، والموق: بضم الميم هو الخف فارسي معرب، ومعنى نزعت له بموقها أى استقت، يقال: نزعت بالدلو استقيت به من البئر ونحوها ونزعت الدلو أيضًا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٩ ـ (١٩١٤)] كتاب البر والصلة والآداب، ٣٦ ـ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٠) والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٥٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٠٥).
وقال النووي: أي يتنعم في الجنة بملاذها بسبب قطعه الشجرة: .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (١٩١٤)] كتاب البر والصلة والآداب، ٣٦ ـ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٢) كتاب الأذان، ٣٢ ـ باب فضل التهجير إلىٰ الظهر، ومسلم في صحيحه [١٢٧ ـ (١٩١٤)] [كتاب البر والصلة والآداب، ٣٦ ـ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٠).

الحديث الثاني عشر: عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام[١] ومن مس الحصى فقد لَغَا».[٢] رواه مسلم.

الحديث الثالث عشر: عنه أن رسول الله ﷺ. قال[٣] «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ حتىٰ يَخْرُج نقيًا من الذنوب»[٤]. رواه مسلم.

الحديث الرابع عشر: عنه عن رسول الله ﷺ: الصلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة، ورمضان إلىٰ رمضان، مكفرات مابينهن إذا اجتنب الكبائر»[٥]. رواه مسلم.

---

(١) قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ ـ (٨٥٧)] كتاب الجمعة، ٨ ـ باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة. وأحمد في مسنده (١/ ١٩، ٥٧، ٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣١، ٢٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٦٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٩٧)، وابن خزيمة في صحيحة (٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٣) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٤٤)] كتاب الطهارة، ١١ ـ باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣)، والترمذي في سننه (٢) في الطهارة، باب ما جاء في فضل الطهور. والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨١)، وابن خزيمة في صحيحه (٤)، ومالك في الموطأ (٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥١)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٧٥).

(٤) تقدم تخريجه في أوله.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦ ـ (٢٣٣)] كتاب الطهارة، ٥ ـ باب الصلوات الخمس والجمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر. والترمذي في سننه (٢١٤) أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس ـ وابن ماجه (٥٩٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩، ٤٠٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤٦٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٣١٤، ١٨١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٣) والشجري في أماليه (١/ ٢٧٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٣، ٤٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٩٨، ٣٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٦٤)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٩). وقال النووي: قوله ﷺ: «ورمضان إلىٰ رمضان كفارة لما بينهما» فيه جواز قول رمضان من غير إضافة شهر إليه، وهذا هو الصواب، ولا وجه لإنكار من أنكره.
[النووي في شرح مسلم (٣/ ١٠١) طبعة دار الكتب العلمية].

الحديث الخامس عشر: عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أدُلُّكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ ».

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال: « إسباغ الوضوء علىٰ المكاره ، وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط»[١]رواه مسلم .

الحديث السادس عشر: عن أبي موسىٰ الأشعري مرفوعًا : قال : قال رسول الله ﷺ: « من صلى البردين دخل الجنة ».[٢]متفق عليه.

البردان : الصبح والعصر.

الحديث السابع عشر: قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»[٣]رواه البخاري.

وفيه إشارة إلىٰ ملازمة الأوراد وصدق العزم في إرادتها . فيبلغ غاية الأغراض وتزول عنه الأعراض .

الحديث الثامن عشر: عن جابر مرفوعا: « كل معروف صدقة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤١/ (٢٥١)] كتاب الطهارة، ١٤ ـ باب فضل إسباغ الوضوء علىٰ المكاره. والترمذي (٥١) في الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٢)، وابن حبان في صحيحه (١٦١ ـ الموارد) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠١، ٣٠٣)، وابن ماجه في سننه، وابن خزيمة في صحيحه (٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨٢)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٢/ ٣٧) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٤٨)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة، ٢٧ ـ باب فضل صلاة الفجر، ومسلم في صحيحه [٢١٥ ـ (٦٣٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧ ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. وأحمد في مسنده (٤/ ٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٧٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٢١) كتاب الأدب، ٣٣ ـ باب كل معروف صدقة. ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (١٠٠٥)] كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف. وأبو داود في سننه (٤٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠٧، ٥/ ٣٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٦، ١٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٦١)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣٥٣، ٨/ ٣٨٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٤٩).

رواه البخاري .

ورواه مسلم من رواية حذيفة ﵁ وهو أبلغ تعظيم وأشرف تكريم .

الحديث التاسع عشر: عنه مرفوعًا: «ما من مسلم يغرسُ غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سُرِقَ منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة ، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة »[1]رواه مسلم .

وفي رواية له : «فلا يغرس المسلم غرسًا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير، إلا كان له صدقة إلىٰ يوم القيامة »[2].

وفي رواية له : « لا يغرس مسلم غرسًا ولا يزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان و لا دابة ولاشيء ، إلا كانت له صدقة»[3].

وروياه جمعيا من رواية أنس[4] ﵁ قوله.

قوله: يَرْزَؤُهُ : أي ينقصه .

العشرون : عنه قال : أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » .

قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال : « يا بني سلمة دياركم تكتب أثاركم ، دياركم تكتب آثاركم »[5]. رواه مسلم[6].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧ـ (١٥٥٢)] كتاب المساقاة، ٢ ـ باب فضل الغرس والزرع. والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٠٣) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨). قال النووي: في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغراس والزرع وما تولد منه إلىٰ يوم القيامة وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها فقيل التجارة وقيل الصنعة باليد وقيل الزراعة وهو الصحيح. [شرح مسلم للنووي (١٠/ ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠ ـ (١٥٥٢)] كتاب المساقاة، ٢ ـ باب فضل الغرس والزرع.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٨ ـ (١٥٥٢)] كتاب المساقاة، ٢ ـ باب فضل الغرس والزرع، وأحمد في مسنده (٣/ ١٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٣٧، ١٣٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٧٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢ ـ (١٥٥٣)] كتاب المساقاة، ٢ ـ باب فضل الغرس والزرع.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٠ ـ (٦٦٥)]، [٢٨١] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٠ ـ باب فضل كثرة الخطا إلىٰ المساجد. وأحمد في مسنده (٣/ ٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٠٠)، والسيوطى في الدر المنثور (٥/ ٢٦٠)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٢).

(٦) قوله ﷺ «دياركم تكتب آثاركم» معناه الزموا دياركم، فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم =

وفي رواية : « إن بكل خطوة درجة».

ورواه البخاري[(١)] أيضا بمعناه من رواية أنس ﷺ .

وبنو سلمة : بكسر اللام ، قبيلة معروفة من الأنصار .

وأثارهم : خطاهم .

الحادي والعشرون : عن أبي المنذر أبي بن كعب ﷺ قال[(٢)]: كان رجل لا أعلم رجلا أبعد من المسجد، وكان لا تخطئه صلاة.

قال : فقيل له : أو قلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء ، وفي الرمضاء .

قال : ما يسرني أن منزلي إلىٰ جنب المسجد إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلىٰ المسجد ورجوعي إذا رجعت إلىٰ أهلي .

فقال رسول الله ﷺ: « قد جمع الله لك ذلك كله »[(٣)].

رواه مسلم .

وفي رواية : إن لك ما احتسبت »[(٤)] الرمضاء : الأرض التي أصابها الحر الشديد .

= الكثيرة إلىٰ المسجد، وبنو سلمة بكسر اللام قبيلة معروفة من الأنصار .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٥)، (٦٥٦) كتاب الأذان، ٣٣ ـ باب احتساب الآثار.

(٢) في هذا الحديث إثبات الثواب في الخطا في الرجوع من الصلاة كما يثبت في الذهاب. وقاله في الحديث التالي له وذكرناه بلفظة: «ما أحب أن بيتي مطنب بيت محمد ﷺ أي ما أحب أنه مشدود بالأطناب وهى الجبال إلىٰ بيت النبي ﷺ، بل أحب أن يكون بعيدا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه.
[النووي في شرح مسلم (٥/ ١٤٢، ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٨ ـ (٦٦٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٠ ـ باب فضل كثرة الخطا إلىٰ المساجد. وأبو داود في سننه (٥٥٧) كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلىٰ الصلاة. والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٧٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧٨ ـ (٦٦٣)] عقب ما تقدم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ـ ٥٠ ـ باب فضل كثيرة الخطا إلىٰ المساجد ـ وابن ماجه في سننه (٧٨٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٣٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٥٠، ١٥٠٠).
ولفظه في مسلم: فقلت له: يا فلان لو إنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء ويقيك من هوام الأرض، قال: أم والله، ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد ﷺ قال: فحملت به حملا ، حتىٰ أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته قال: فدعاه، فقال له مثل ذلك، وذكر له أنه يرجو في أثره الأجر، فقال له النبي ﷺ «إن لك ما احتسبت».

الثاني والعشرون : عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة »[1]. رواه البخاري.

المنيحة : أن يعطيه إياها ليأكل لبنها ، ثم يردها إليه .

وهو دال علىٰ أن الأعمال التي لا يلقي لها بالا يدخل بها صاحبها الجنة في المآل .

الثالث والعشرون : عن عدي بن حاتم رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار، ولو بشق تمرة »[2]. متفق عليه .

وفي رواية لهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما منكم أحد إلا سيكلِّمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قَدَّم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد ، فبكلمة طيبة »[3] .

وهو دال علىٰ أن اليسير لا يخفر .

الرابع والعشرون : عن أنس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٣١) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، ٣٥ـ باب الاستعارة للعروس عند البناء. وأبو داود في سننه (١٦٨٣) كتاب الزكاة، باب في المنيحة. والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٧) كتاب الزكاة، ١١ ـ باب اتقو النار ولو بشق تمرة والبخاري أيضًا (٦٠٢٣) كتاب الأدب، ٣٤ ـ باب طيب الكلام. ومسلم في صحيحه [٦٦ ـ (١٠١٦)] كتاب الزكاة ٢٠ ـ باب الحث علىٰ الصدقه ولو بشق تمرة والترمذي في سننه (٢٤١٥) كتاب صفة القيامة، باب في القيامة.
وأحمد في مسنده (٦/ ١٣٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٠٥،١٠٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٣)، والزبيدي في الإتحاف (٤٧٠٨٠) والسيوطي في الدرِ المنثور (١/ ٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٣) كتاب الزكاة، ٩ ـ باب الصدقة قبل الرد ورقم (٣٥٩٥) كتاب المناقب، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام. ورقم (٦٠٢٣) كتاب الأدب، ٣٤ ـ باب طيب الكلام ورقم (٦٥٣٩) كتاب الرقاق، ٤٩ ـ باب من نوقش الحساب عُذِب.
ورقم (٧٥١٢) كتاب التوحيد، ٣٦ ـ كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ومسلم في صحيحه [٦٧ـ (١٠١٦)]، (٦٨) كتاب الزكاة، ٢٠ـ باب الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. وأحمد في مسنده (٤/ ٣٧٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٨٢، ٨٣).

عن العبد أن يَأكُل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها »[(١)]. رواه مسلم .

والأكلة بفتح الهمزة وهى الغدوة أو العشوة وهو دال علىٰ أن الحمد يجلب الرضوان وأي شيء أسلم من هذا ، فقد ظهر عظيم أجره وبان .

الخامس وَالعشرون : عن أبى موسىٰ ﷺ ، عن النبي ﷺ قال :[(٢)]«على كل مسلم صدقة» قيل أرأيت إن لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» .

قال : قيل : أرأيت إن لم يستطع ؟

قال : «يعين ذا الحاجة الملهوف»

قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع؟

قال : «يأمر بالمعروف أو الخير »

قال : أرأيت إن لم يفعل ؟

قال : «يُمسك عن الشرِّ فإنها صدقة »[(٣)]. متفق عليه .

وهو دال علىٰ تنوع المراتب ، ولا راتبه وراء الإمساك .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٩ ـ (٢٧٣٤)] كتاب الذكر والدعاء و والتوبة والاستغفار، ٢٤ـ باب استحباب حمد الله تعالىٰ بعد الأكل والشرب، والترمذي في سننه (١٨١٦) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الحمد علىٰ الطعام إذا فُرغ منه.
والنسائي في الكبرى، في الوليمة، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٠، ١١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٤٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١١٩، ١٠/ ٣٤٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٤١٠٠).

(٢) قوله ﷺ «تعين ذا الحاجة الملهوف» الملهوف عند أهل اللغة يطلق علىٰ المتحسر وعلى المضطر وعلى المظلوم، وقولهم يا لهف نفسي علىٰ كذا حكمه يتحسر بها علىٰ ما فات، ويقال لهف بكسر الهاء يلهف بفتحها لهفا بإسكانها أي حزن وتحسر وكذلك التلهف.
وقوله ﷺ «تمسك عن الشر فإنها صدقة» معناه صدقة علىٰ نفسها كما في غير هذه الرواية، والمراد أنه إذا أمسك عن الشر لله تعالىٰ كان له أجر علىٰ ذلك كما أن للمتصدق بالمال أجرًا.
[النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٢٢) كتاب الأدب، ٣٣ ـ باب كل معروف صدقة. ومسلم في صحيحه [٥٥ ـ (١٠٠٨)] كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف. وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٥)، والنسائي (٥/ ٦٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٣).

- مجلس في الاشتغال بالله والإعراض عما سواه

قال تعالىٰ : ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ (١).

وروينا في الصحيحين(٢) من حديث أبى سعيد الخدري قال : قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله ؟

قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال :ثم من ؟

قال : ثم رجل معتزل في شعب من الشِّعاب(٣)، يعبد ربه».

وفي رواية: «يتقي الله ويدع الناس من شرِّه»(٤).

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك : الأولى عن ذي النون المصري(٥)رحمه الله قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلىٰ موسىٰ : كن كالطير الوحداني يأكل من

---

(١) سورة النساء (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٩٤) كتاب الرقاق، ٣٤ ـ باب العزلة راحة من خلاط السوء. ومسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (١٨٨٨)] كتاب الإمارة، ٣٤ ـ باب فضل الجهاد والرباط. وأحمد في مسنده (٣/ ٦، ٥٦، ٨٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٣٨، ٣/ ٤٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٢).

(٣) فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة علىٰ الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور، فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول علىٰ الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص، ولقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير، ٢ ـ باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٥) سأله المتوكل فقال: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته وجللهم بالبهاء من أردية كرامته ووضع علىٰ مفارقهم تيجان مسرته، نَشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلَّمة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة. . . إلىٰ آخر كلامه تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠).

رؤوس الأشجار، ويشرب من الماء القراح أو قال من الأنهار ، إذا جنه الليل أوى إلىٰ كهف من الكهوف ، واستئناسا بي واستيحاشا ممن عصاني ، يا موسىٰ إني آليت علىٰ نفسي أني لا أتم لمدَّع عملا ، ولأقطعنَّ أمل من أمل غيري ، ولأقصمنَّ ظهر من استند إلىٰ سواي ، ولأطيلنَّ وحشة من آنس بغيري، ولأعرضنَّ عمن أحب حبيبًا سواي.

يا موسىٰ إن لي عبادا إن ناجوني أصغيت إليهم وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا علىٰ دانيتهم، وإن دنوا مني قربتهم ، وإن تقربوا أكنفتهم ، وإن والوني واليتهم وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جزيتهم ، أنا مدبر أمورهم وسائس قلوبهم ومتولى أحوالهم لم أجعل لقلوبهم رأفة إلا في ذكرى ، فهو لاشفائهم شفاء وعلى قلوبهم ضياء . لايستأنسون إلا بي ، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، ولا يستقر قرار الإيواء إلا إلي.

الثانية : عن الواسطى رحمه الله قال : بينما أنا أسير في البادية إذا بأعرابي جالس منفرد، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد علي السلام.

فأردت أن أكلمه فقال : اشتغل بذكر الله ، فإن ذكره شفاء القلوب.

ثم قال :كيف يفتر ابن آدم من ذكره وخدمته والموت في أثره والله ناظر إليه. ثم بكي وبكيت معه.

فقلت له : ما لي أراك وحيدًا؟

قال : ما أنا بوحيد ، والله معي ، وما أنا بفريد وهو أنيس .

ثم قام ومضى عني مسرعًا ، وقال : سيدي أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك، وأنت عوض عن جميع ما فات .

يا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد ، ويامؤوى كل طريد .

وجعل يمشي وأنا أتبعه ، ثم أقبل إلي وقال: ارجع عافاك الله إلىٰ من هو خير لك مني ، ولا تشغلني عمن هو خير لي منك ، ثم غاب عن بصري.

فائدة :- عن أبي تراب[1] من شغل مشغولا بالله عن الله أدركه المقت[2] في الوقت أو كما قال .

الثالثة: عن عبد الواحد بن زيد قال : مررت براهب فسألته منذ كم أنت في هذا المكان ؟

---

(١) أبو تراب النخشبي تأتي ترجمته.

(٢) مَقَتَ فلانا مقتًا، أبغضه أشد البغض.

قال : منذ أربع وعشرين سنة .

قلت: من أنيسك؟

قال : الفرد الصمد.

قلت : ومن المخلوقين؟

قال : الوحش.

قلت : فما طعامك؟

قال: ذكر الله.

قلت : ومن المأكولات؟

قال: ثمار هذه الأشجار، ونبات الأرض.

قلت: أفلا تشتاق إلىٰ حبيب قلوب العارفين؟

قال : نعم.

قلت : ومن المخلوقين؟

قال : من كان شوقه إلىٰ الله ، كيف يشتاق إلىٰ غيره.

قلوب العارفين تحن شوقا تحل بقربه في كل راح
صفت في ودِّ مولاها فليست لها عن ودِّ مولاها براح

الرابعة: عن ذي النون قال : بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا وهو يقول : ذهبت الآلام عن أبدان الخدام ، وولهت[1] بالطاعة عن الشراب والطعام وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام .

فتبعت الصوت.

فإذا شاب أمرد قد علا وجهه اصفرار يميل ميل الغصن إذا ميلته الريح.

عليه شملة قد اتزر بها ، وأخرى قد اتشح بها فلما رآني توارى عني بالشجر.

فقلت له: أيُها الغلام ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين فكلمني وأوصني.

فخرَّ ساجدًا وجعل يقول : هذا مقام من لاذ بك، واستجار بمعرفتك ، وألف محبتك.

يا إله القلوب وما تحويه من جلال عظمتك ، احجبني عن القاطعين لي عنك.

ثم غاب عنِّي فلم أره.

---

(١) وَلِهَ فلان ـ يَله ولها: اشتد حزنه حتىٰ ذهب عقله، وتحير من شدة الوجد.

الخامسة : عنه أيضًا قال : بينما أنا أسير بين جبال الشام إذا بشيخ علىٰ قلعة من الأرض قد سقط حاجباه علىٰ عينيه كِبرًا.

فسلمت عليه ، فرد عليَّ السلام.

ثم جعل يقول : يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبًا[1]، ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيبًا ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه مجيبا.

ثم أنشأ يقول:

ولـه خـصـائـص مـصـطـفـون بـحـبـه ... اخـتـارهـم فـي سـالـف الأزمـان

اختـارهـم مـن قـبـل فـطـرة خـلـقـه ... فـهـم ودائـع حـكـمـة وأمـان

السادسة: عن ذي النون أيضًا قال : وُصِف لي رجل من أهل المعرفة في جبل لكام فقصدته فلحقني جماعة من المتعبدين فسألتهم عنه فقالوا: تسأل عن المجانين.

قلت : ومارأيتم من جنونه؟

قالوا: نراه في أكثر أوقاته هنا قائمًا ساهيًا يكلم فلا يجيب ، فلا نفقه ما يقول، وينوح في أكثر أوقاته علىٰ نفسه.

فقلت في نفسي : ما أحسن أوصاف هو المجنون ثم قلت لهم: دلوني عليه.

فقالوا : إنه يأوي في الوادي الفلاني . فانطلقت إليه، فأشرفت علىٰ واد وَعِر.

فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً، فإذا أنا بصوت محزون شُجَّ من قلب وجل وهو يقول :

يـاذا الـذي أنِسَ الـفـؤاد بـذكـره ... أنـت الـذي مـا أن سـواه أريـد

تـفـنـى الـلـيـالـي والـزمـان بـأسـره ... وهـواك غـض فـي الـفـؤاد جـديـد

إنـي أرى غـيـري إلـيـك مـقـربـا ... وأنـا بـسـهـم الـهـجـر مـنـك بـعـيـد

قال: فاتبعت الصوت ، فإذا أنا بفتى حسن الصورة، وقد ذهبت تلك المحاسن وبقيت رُسُومها، نحيل قد اصفر واحترق ، وهو شبيه بالوَاله الحيران.

فسلمت عليه فرد السلام ، وبقى شاخصًا يقول:

أعْمِيت عيني عن الدنيا وزينتها ... فأنت والروح شيء ليس يفترق

إذا ذكرتك وافي مقلتي[2] أرق ... من أول الليل حتىٰ يطلع الفلق

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٦].

(٢) المُقْلة: العين كلها.

وما تطابقت الأجفان عن سِنَةٍ[١] إلا رأيتك بين الجفن والحدق

ثم قال : يا ذا النون مالك تطلب المجانين؟

قلت : أو مجنون أنت؟

قال : سُمِّيت به.

قلت : لي مسألة .

قال : سَلْ.

قلت : أخبرني ما الذي حبَّب إليك الانفراد وقطعك عن المؤنسين ، وهيَّمك في الأودية؟

قال: حبي له هيمني ، وشوقي ،إليه هيجني، ووجدي به أفردني .

ثم قال : ياليت شعري إلىٰ متى تتركني (مغلغلا)[٢]عن محبتى؟

فقلت له: أخبرني عن محل الحب عندك وأين مسكن الشوق منك؟

قال : مسكنه منيِّ سواد الفؤاد.

قلت : فما الذي تجد في خُلوتك؟

قال: الحق سبحانه .

قلت : كيف تجده؟ .

قال : بحيث لا حيث.

ثم قال : يا ذا النون أعجبك كلام المجانين؟

قلت : أي والله وأشجاني.

ثم قلت له: ما صِدق وجدانك للحق تعالىٰ.

فصرخ صرخه ارتج لها الجبل ، ثم قال : يا ذا النون هذا موت الصادقين، ثم سقط علىٰ الأرض ميتًا فحرت في أمري ولا أدرى ما أصنع به.

وإذا هو قد غاب عني ، فلم أر أين ذُهب به.

السابعة: عن الفضيل بن عياض قال : مكثت في جامع الكوفة ثلاثة أيام لم أطعم ولم أشرب فلما كان في الرابع ، هذبني[٣] الجوع.

فبينما أنا جالس إذ دخل من باب المسجد مجنون وبيده حجر كبير ، وفي عنقه غُل[٤] ثقيل.

---

(١) السِنَة: هي الوسن والنعاس. (٢) كذا بالأصل.

(٣) هذَّب: نقى، ورباه وخلصه من الشوائب وتَهَذب: صار مُهَذبا.

(٤) الغُلُّ: طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما.

والصبيان من ورائه.

فجعل يجول في المسجد حتىٰ إذا حاذاني جعل يتفرس فيَّ ، فجزعت علىٰ نفسي منه .

فقلت : إلهي وسيدي أجعتنى ، وسلطت عليَّ من يقتلني.

فالتفت إليَّ فقال :

محل بيان الصبر فيك عزيزة فياليت شعري هل لصبرك آخر

قال الفضيل : فزال عنى جزعي وطار عني هلعي.

وقلت : يا سيدي لولا الرجاء لم أصبر .

قال : فأين مستقر الرجاء منك؟

قلت : بحيث مستقر هموم العارفين .

فقال: أحسنت والله يا فضيل ، إنها لقلوب الهموم عمارتها ، والأحزان أوطانها، عرفته فاستأنست به ، وارتحلت إليه.

فعقولهم صحيحة ، وقلوبهم غارقة ، بالأنوار مشرقة وأرواحهم بالملكوت الأعلى مُعلقة.

ثم ولى وأنشأ يقول:

فهام ولي الله في القفر سائحًا وحطت علىٰ سيد القدوم رواحله

فعاد سجين قد جرى في ضميره تذوب به أحشاؤه ومفاصله

قال الفضيل:[1] فوالله لقد بقيت عشرة أيام لم أطعم طعاما، ولم أشرب شرابا وجدا بكلامه.

فطوبى لمن استوحش من الخلق واستأنس بالحق

آنست بوحدتي ولزمت بيتي فطاب الأنس لي وصفا السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بسائل ما عشت يومًا أسار الجندُ أم رَكِبَ الأمير

(١) الفُضيل بن عياض بن مسعود الأستاذ الإمام شيخ الإسلام أبو علي التميمى اليربوعي المروزي الزاهد، قال ابن سعد: ولد الفُضَيل بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع من منصور، وغيره، ثم تَعبَّد ونزل مكة، وكان ثقة نبيلا فاضلاً ، عابدًا، كثير الحديث.
قال ابن المبارك: ما بقي علىٰ ظهر الأرض عندي أفضل من الفُضيل بن عياض، توفي سنة (١٨٧) انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٨١ ـ ١٩٠).

الثامنة: عن أبى يزيد البسطامي قال: طلقت الدنيا ثلاثًا لا رجعت لشيء فيها .

وسرت إلىٰ ربي وحدي ، فناديته بالاستغاثة:

إلهي أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك.

فلما عرف صدق الدعاء من قلبي ، واليأس من نفسي كان أول ما ورد عليَّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكليَّة ، وبعض الخلائق من يُرى مع إعراضي عنهم .

التاسعة: قال محمد بن أحمد : سمعت علي بن الموفق[١] ما لا أحصيه يقول: اللهم إن كنت تعلم أني عبدتك خوفا من نارك فعذبني بها،[٢] وإن كنت تعلم أني عبدتك حبًا مني، وشوقًا لجنتك ، وشوقا مني إليها فاحرمنيها.

وإن كنت تعلم أني إنما عبدتك حبًا مني لك، وشوقًا مني إلىٰ وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بي ما شئت.

العاشرة: قال بعض الصالحين: عُرضَت عليَّ الدنيا بزينتها وزخارفها وشهواتها، وأعرضت عنها ثم أعرضت علي الأخرى بجواريها وقصورها ، وزينتها فأعرضت عنها .

فقيل لي : لو أقبلت علىٰ الأولى حجبناك عن الأخرى ، ولو أقبلت علىٰ الأخرى حجبناك عنها (فها خن)[٣] وقسمتك من الدارين تأتيك.

الحادية عشرة: عن بعض الصالحين قال : إن الله تعالىٰ لما أظهر الخلق في القدم[٤]، أظهر لهم الصنائع ، ثم خيرهم فيها .

فاختار كل إنسان صنعته.

فلما أبداهم إلىٰ الوجود أجرى علىٰ لسان كل واحد ما اختار لنفسه.

وانفردت طائفة لم تخير شيئا.

---

(١) علي بن الموفق الزاهد، أحد مشايخ الطرق له أحوال ومقامات، صحب منصور بن عمار، وأحمد بن أبي الحواري، توفي سنة (٢٦٥). تاريخ الإسلام وفيات (٢٦١ ـ ٢٧٠).

(٢) كيف ذلك وكان النبي ﷺ يستعيذ من النار وعذابها: فروى البخاري في صحيحة (٦٣٧٦) كتاب الدعوات، ٤٦ ـ باب الاستعاذة من فتنة الغنى أن النبي ﷺ «كان يتعوذ اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر» الحديث.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية الأعراف (١٧٢).

فقال لها : اختاري .

فقالت ما أعجبنا شيء رأيناه فنختاره.

فأظهر لهم مقامات العبادة .

فقالت: قد اخترنا خدمتك يامولانا .

فقال : وعزتي وجلالي لأشفعنكم غدًا فيمن عرفكم وخَدَمكُم.

وفيهم يقال:

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم
فالذمَهُم باب مرضاته وعن سائر الخلق أغناهم

الثانية عشرة: عن أبى الحسن الشاذلي[1] قال : وقع لي تردد في بدايتي بين الانقطاع في البراري والرجوع إلىٰ العمران ، وصحبة العلماء والأخيار .

فوصف لي وليٌّ في رأس الجبل فقصدته ، فوصلت إليه بعد ما أمسيت.

فقلت : ما أدخل عليه في هذا الليل إلىٰ الصبح فبت علىٰ باب المغارة ، فسمعته يقول من داخل المغارة: اللهم إن ناسا من عبادك سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا عنك بذلك .

وإني أسألك أن تعرج علىٰ خلقك حتىٰ لا يكون لي ملجأ إلا إليك.

فقلت : اسمعي يا نفس من أي بحر يغترف هذا الشيخ.

فلما أصبحت دخلت فسلمت عليه، ومُلئت منه رعبا، وقلت له: يا سيدى كيف حالك؟ . أما أمر التدبير والاختيار فأنا أعرفه وأنا فيه الآن، فلم ترد الرضا والتسليم، ولم تشكو ذلك فقال : أخاف أن يشغلني حلاوتهما عنه .

فقلت ياسيدي : سمعتك تقول: اللهم إن أناسا من عبادك سألوك ، وذكر ما سلف .

فتبسم وقال : يابني عوض ما تقول : سخر لي ، قل كن لي ، من كان له يحتاج إلىٰ شيء آخر ، فما هذه الجناية.

قلت لفظة : كان الله لك ، واللهم كُن لى .

كلمة جامعة لكل مرغوب ومرهوب فلتلازم.

الثالثة عشر: عن سري السقطي[2] قال : كنت يومًا أتكلم بجامع المدينة ،

---

(١) الشيخ أبو الحسن الشاذلي تأتى ترجمته قريبًا.

(٢) السري بن المغلس، أبو الحسن السقطي البغدادي الزاهد، علم الأولياء في زمانه، صحب =

فوقف علي شاب حسن الشباب ، فاخر الثياب ومعه أصحابه.

فسمعني أقول في وعظي : عجبا لضعيف كيف يعصي قويا ، فتغير لونه وانصرف.

فلما كان من الغد جلست في مجلس، وإذا به قد أقبل فسلم وصلى ركعتين وقال : يا سري سمعتك بالأمس تقول: عجبا لضعيف كيف يعصي قويا، فما معناه.

فقلت: لا أقوى من الله ، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه ، فنهض فخرج.

ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان ،وليس معه أحد فقال : يا سري كيف الطريق إلىٰ الله؟

فقلت له: إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل .

وإن أردت الله، فاترك كل شيء سواه تصل إليه وليس إلا المساجد والخراب والمقابر.

فقام وهو يقول : والله لا سلكت إلا أصعب الطريق ، وولى خارجا.

فلما كان بعد أيام أتى إلىٰ غلمان كثيرة فقالوا : ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟

فقلت : لا أعرف إلا رجلا جاءني من صفته كذا وكذا ، ولا أعلم حاله.

فقالوا : بالله عليك متى عرفت حاله أخبرنا ودلنا علىٰ داره.

فبقيت سنه لا أعرف له خبرًا .

فبينما أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة جالس في بيتي ، وإذا بطارق يطرق الباب ، فأذنت له بالدخول ، فإذا أنا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه ، وأخرى علىٰ عاتقه ، ومعه زنبيل فيه نوى.

فقبل بين عيني وقال : ياسري أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا.

فأومأت إلىٰ صاحبي أن امض إلىٰ أهله فأخبرهم فمضى فإذا زوجته جاءت ومعها ولده وغلمانه فدخلت ، وألقت الولد في حجره ، وعليه حُلي وحلل وقالت له. : ياسيدي أرملتني وأنت حي وأيتمت ولدك وأنت حي .

قال سري : فنظر إلي ، وقال : يا سري : ما هذا وفاء ، ثم أقبل عليها وقال: والله إنَّك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي ، وأن هذا ولدي لأعز الخلق عليَّ ، غير أن هذا سري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه .

= معروفًا الكرخي وحدث عن الفضيل بن عياض وهشيم وأبي بكر بن عياش وغيرهم، وعنه الجنيد، وأبو الحسن النوري وأبو العباس بن مسروق وغيرهم، توفي سنة (٢٥٣) تاريخ الإسلام وفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠).

ثم نزع ما علىٰ الصبي وقال ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية وقطع قطعة من كسائه ، فلف بها الصبي .

فقالت المرأة : لا أرى ولدى في هذه الحالة وانتزعته منه .

فحين رآها قد اشتغلت به نهض وقال : والله ضيعتم ليلتي ، بيني وبينكم الله ، وولى خارجًا وضجت الدار بالبكاء .

فقالت: إن عدت يا سرى سمعت له خبرًا فأعلمني.

فقلت: إن شاء الله .

فلما كان بعد أيام أتتني عجوز فقالت: يا سري بالشونيزية غلام يسألك الحضور .

فمضيت فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة.

فسلمت عليه ففتح عينيه وقال : يا سري أترى تلك الجنايات غفرت ؟

فقلت : نعم

قال : يغفر لمثلي[1]؟

قلت :نعم

قال : أنا غريق .

قلت : هو منجي الغرقاء .

فقال : علىٰ مظالم.

فقلت : في الخبر أنه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه ، فيقال لهم خلوا عنه فإن الله تعالىٰ يُعوضكم .

فقال : يا سري معي دراهم من لقط النوى ، إذا أنا مت فاشتري ما أحتاج إليه وكفني ، ولا تُعلم أهلي لئلا يكفنوني بحرام .

فجلست عنده قليلا ، ففتح عينيه وقال : ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[2].

---

(١) قال تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزُّمَر: ٥٣] الآية.

(٢) سورة الصافات (٦١).

وأول الآيات ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ثم مات ، فأخذت الدراهم فاشتريت ما يحتاج إليه وسرت نحوه.

فإذا الناس يهرعون.

فقلت : ما الخبر؟

فقيل : مات وليٌّ من أولياء الله نريد أن نصلي عليه.

فجئت فغسلناه ودفناه.

فلما كان بعد مدة قدم أهله يسألون خبره، فأخبرتهم بموته.

فأقبلت امرأته باكية، فأخبرتها بحاله.

فسألتني أن أريها قبره.

فقلت : أخاف أن تُغيروا أكفانه .

فقالت : لا والله.

فأريتها قبره ، فبكت ، وأمرت بإحضار شاهدين فأحضرا ، فاعتقت جواريها ، ووقفت عقارها وتصدقت بمالها ، ولزمت قبره حتىٰ ماتت.

بانوا[1] الذين تجنبوا الأشغالا ... بذلوا النفوس وأنفقوا الأموالا

تركوا النساء كأنهن أرامل ... قبل الممات وأيتموا الأطفالا

وتجرعوا[2] وتعطشوا وتضمروا ... طلبوا السباق وخففوا الأثقالا

وتعذبوا وتغربوا عن أهلهم ... حذر الفوات وفككوا الأغلالا

فطموا عن الدنيا نفوسا طال ما ... كانت تتيه علىٰ النعيم دلالا

خافوا البيات فشمَّروا بعزيمة ... طلب النجاة وكابدوا الأهوالا

حتىٰ إذا بليت فنى أجسادهم ... ولقوا شجونا في السرى وكلالا

وردوا جنان مليكهم فحباهم ... رتبا تفوق الفرقدين مثالا

الرابعة عشر: عن أحمد بن أبي الحواري قال:- سمعت أبا سليمان يقول : خطب رجل امرأة من أهل الموصل يقال لها : (المُوق)[3].

فقالت للرسول قل له : ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي ، وإنك شغلتني عن الله عز وجل طرفة عين .

---

(١) بَان: منه وعنه بَينا: بعد وانفصل، ويقال بانت المرأة عن زوجها، ومنه: انفصلت بطلاق فهي بائن.

(٢) جَرع الماء بلعه، ويقال جرع الغيظ كظمه، وتجرع تابع جرعه كالمتكاره.

(٣) كذا بالأصل.

الخامسة عشر: قال الربيع : بتُّ أنا ومحمد بن المنكدر،[١]، وثابت البناني[٢]عند ريحانة المجنونة فقامت أول الليل وهى تقول :-

قام المحب إلىٰ المؤمل قومة كاد الفؤاد من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعتها وهى تقول :-

لا تأنس بمن توحشك نظرته فتمنعت من التذكار في الظلم
واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن يسقيك كأس وداد العز والكرم

فلما ذهب الليل نادت : واحزناه واسلباه .

فقلت : بماذا ؟

فقالت :

ذهب الظلام بأنسه وبألفه ليت الظلام بأنسه يتجدد

السادسة عشر: عن بعض الصالحين قال : كنت متوجهًا من منى إلىٰ عرفات ، فلقيتني جارية عليها مسح من شعر ، وقناع من صوف ، وبيدها سبحة وعكاز .

وعلى وجهها نور الطاعة والعبادة ، وهى مهرولة في مشيتها تقول : الله الله .

فقلت في نفسي : هذه جارية مدَّعية.

فقالت : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[٣].

فعلمت أنها ولية لله تعالىٰ فقلت لها : ياجارية كُلِّي بكلِّكِ مشغول .

فقالت : يامسكين وكُلِّي بكلك مبذول ، ولكن ورائي من هو أصبى مني .

فالتفت فلم أر أحدًا، فقالت بعلو صوتها يا مادي يا كذاب ، ما هكذا فعل الأحباب بالأحباب .

---

(١) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثه بن سعد بن تيم بن مرة، أبو عبد الله، أبو بكر التيمي، المدني، القرشي ثقة، فاضل، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ترجمته: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧٣)، تقريب (٢/ ٢١٠)،، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢١٩)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٣٢)، الوافي بالوفيات (٥/ ٧٨)، سير الأعلام (٥/ ٣٥٣).

(٢) ثابت البناني هو ثابت بن أسلم، أبو محمد أحد التابعين بالبصرة، وكان رأسًا في العمل والعلم ثقةً ثبتًا رفيعًا، ولم يحسن ابن عدي بإيراده في كامله ولكنه اعتذر وقال: ما وقع في حديثه من النكرة فإنما هو من جهة الراوي عنه لأنه روى عنه جماعة ضعفاء وقال عنه أنس بن مالك: إن للخير أهلا، وإن ثابتا هذا من مفاتيح الخير، توفي سنة (١٢٧). تاريخ الإسلام وفيات (١٢١ ـ ١٣٠).

(٣) سورة المائدة (٩٩)، والنور (٢٩).

أما الأولى : فإنك أسأت الظن بكلام رب الأرباب.

أما لو جئت إليه وعرفته صدقا لأوقفك علىٰ بابه لما رأيناك من بعيد حسبناك عابدا .

فلما رأيناك من قريب حسبناك عارفًا، فلما كلمتنا حسبناك عاشقا.

ولو كنت عابدا له لما اشتغلت بغيره .

ولو كنت عارفا به ما رجعت منه إلينا .

ولو كنت عاشقا لنا ما رجعت منا إلىٰ سوانا.

ثم هربت عني مسرعة وهي تقول : ما مع الله سوى الله، حتىٰ غابت عني[1].

السابعة عشر: قال أبو سعيد الخراز نمت في البادية فكنت أقول:

أتيهُ فلا أدري من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس في وفي جنسي

أتيهُ علىٰ جن البلاد وإنسها ... فإن لم أجد شخصًا أتيه علىٰ نفسي

فسمعت هاتفا يهتف بي يقول:-

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ... ويفرح بالتيه الدنيء وبالإنس

فلو كنت من أهل الوجود وحقيقته ... لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي

وكنت بلا حال مع الله واقفًا ... تصان عن التذكار للجن والإنس

(١) كذا ولم تذكر باقي كلامها.

مجلس في الفرج بعد الشدة

قال تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [١].

وحديث ابن عمر في كشف الصخرة عن الثلاثة بصالح أعمالهم ،[٢] مشهور وهو ثابت في الصحيح كما مر.

وروينا عن علي بن حرب قال : خرجت أنا وبعض شباب الموصل إلىٰ الشط ، فركبنا في زورق.

فلما بعدنا من البلد وتوسطنا الشط إذا سمكة كبيرة طفرت[٣]من الشط إلىٰ وسط الزورق، فقام الشباب ونزلوا إلىٰ حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة ، فنزلت معهم.

فبينما نحن نمشي علىٰ جانب الشط، وإذا بالقرب منا خرابة.

فذهبنا إليها نبصر آثارها، وإذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح إلىٰ جانبه، وبغل واقف عليه قماش فقلنا للشاب: ما قصتك ؟ وما هذا المذبوح ؟

فقال :إنني مكتر مع هذا المكاري، صاحب هذا البغل فعدل بي إلىٰ هذا المكان وكتفني كما ترون .

وقال : لابد من قتلك فعاهدته الله لا يظلمني ولا يربح إثمي ، ولا يعد مني روحي ، بل يأخذ القماش، وهو في حِل منه.

وحلفت له بالله تعالىٰ لا أغمز[٤]عليه أبدًا.

ومازلت أناشده الله تعالىٰ ، وهو ما يفعل.

---

(١) سورة يوسف (١١٠).

(٢) قال النووي: استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلىٰ الله تعالىٰ به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم. إلىٰ أن قال النووي: وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق. [النووي في شرح مسلم (١٧ / ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) طَفَرَ فلان طفرًا قفر، وطفَّر الفرس وغيره النهر ونحوه جعله يقفر من فوقه.

(٤) غمزت بفلان سعي به شرًا، وعلى فلان: طعن فيه، والمغموز: المتهم بعيب، وتغامز القوم أشار بعضهم إلىٰ بعض بأعينهم أو بأيديهم.

فمدَّ يده إلىٰ سكين كانت في وسطه فجذبها، فتعسرت عليه أن تخرج من غلافها.

فما زال يجذبها إلىٰ أن خرجت بصعوبة، فما أخطأت حلقه، فذبحته.

فهو كما ترون، وأنا علىٰ حالتي هذه.

قال: فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش.

وراح، وعدنا إلىٰ الذورق.

فلما صعدنا طفرت السمكة إلىٰ الشط .

وهذا أعجب ما رأيت وسمعت.

فسجان اللطيف الخبير.

ويحكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها ذلك الأمين في موضع في بيته.

فظفر بها ابن له صغير، فضربها بحجر فانكسرت أربع فلق.

فدخل علىٰ ذلك الرجل من الغم والخوف من الملك ما لا يطيق، وعزم علىٰ الهرب، فلقيه شخص فقال له أراك محزونًا.

فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف .

فعلمه هذه الأبيات الأربعة[(١)].

فكم لله من لطف خفي	يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عُسر	وفرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحا	وتأتيك المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأحوال يوما	فثق بالواحد الفرد العلى
توسل بالنبي وصاحبيه	فما خاب من توسل بالنبي[(٢)]

وقال : قلها وكررها، والفرج يأتيك من الله تعالىٰ ففعل ما أمره به .

فبينما هو كذلك إذا برسول الملك قد جاء وقال: إن سرية الملك قد حدث بها وجع وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح في ماء وتشربه.

والملك يقول لك: انظر لنا صائغًا عارفًا يكسر الجوهرة التى عندك أربع فلق لا

(١) هم خمسة أبيات وليسوا أربعة كما ذكر.

(٢) التوسل بالنبي ﷺ فيه خلاف علىٰ أنه توسل بالدعاء وكما ورد عنه ﷺ وقوله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تنسانا بالدعاء يا أخي» وذلك في استئذانه النبي ﷺ للعمرة.

تزيد ولا تنقص وأكد عليه في ذلك.

فقال : السمع والطاعة .

وانفرج عنه الكرب والغم، وذهب عنه الخوف والهم فحمد الله وشكره علىٰ ما أولاه من النعم باللطف الخفي والكرم .

ثم حمل تلك الفلق الأربع إلىٰ الملك .

فرأى الملك له صنيعًا في ذلك وإحسانًا ، فأنعم عليه وأحسن إليه .

فعاد بالجائزة مسرورًا آمنًا ما كان محذورًا.

فسبحان اللطيف الرحمن الرحيم الذى يكشف الأحزان والثبور.

ويخلفها بالإحسان والسرور.

ما أقرب فرجه من المضطرين ، ورحمته من المحسنين تبارك الله رب العالمين.

وعن بعضهم قال : كنت بجبل النور بالمصيصة .

فدخل في رجلي عظم.

فاجتهدت في نفسي كل الجهد أن أخرجه ، فلم أقدر علىٰ ذلك، وبقي في رجلى أيامًا كثيرة حتىٰ ورمت وانتفخت واسودت ، وصارت مثل الزِّقُّ[1] .

فبقيت ملقى تحت شجرة، فغلبتني عيني .

فنمت فوجدت راحة، ففتحت عيني، فإذا بحية سوداء ، قد وضعت فمها علىٰ الموضع الذى فيه العظم.

وجعلت تمُصُّه وترمي القيح والدم .

فغمضت عينى فلم تزل تمُص وترمي الدم حتىٰ وصلت إلىٰ العظم ، فحركته وأخرجته.

ثم أحسست بشئ لين مسح علىٰ رجلي ، فلا أدري ذلك لسانها أو ذَنَبُها.

فجلست ، فإذا أنا بالدم و العظم مطروح ، وأنا لا أدري أي الرجلين كانت تؤلمني.

والحمد لله علىٰ ذلك كثيرًا، فسبحان اللطيف الخبير الذي هو علىٰ كل شيئ قدير .

وقال الشيخ أبو حمزة الخراسانى رحمه الله تعالىٰ : حججت سنة من السنين.

فبينما أنا أمشي إذا وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث.

---

(١) الزِّقُّ: وعاء من جلد يُجزُّ شعره، يتخذ للماء والشراب وغيره.

فقلت: لا والله لا أستغيث، فما استتم هذا الخاطر حتىٰ مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعالىٰ نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد.

فأتوا بقصب وباريه(١)، وطمسوا رأس البئر .

فهممت أن أصيح ، ثم قلت في نفسي : إلىٰ من هو أقرب منهما ، فسكت.

فبينما أن بعد ساعة إذا بشئ جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول تعلق في همهمة منه فتعلقت به، فأخرجني.

فإذا هو سبع عظيم ، فمرَّ.

وهتف بى هاتف : يا أبا حمزة هذا أحسن، نجيناك من التلف بالتلف.

فمشيت وأنا أقول:

نهانى حيائي منك أن أكشف الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غايبى واللطف يدرك باللطف
تراءت لي بالغيب حتىٰ كأنما ... تبشرني بالغيب إنك بالكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وباللطف
وتحيي محبًا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وقد أنكر بعض السلف رحمهم الله في هذه الحكاية ما فعله الشيخ أبو حمزة المذكور وقال : لا يجوز هذا الفعل.

وليس إنكاره بصحيح، لأن أبا حمزه المذكور صدر منه هذا، وقد منح يقينا كاملا وقلبًا شاهدا، وحالا غائبا.

فعليه حاجزان (. . .)(٢)إلى غير مولاه، أو يرى معه سواه كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالىٰ : إنا لا نرى مع الحق من الخلق أحدًا، إن كان ولا بد فكالهباء في الهواء، فيشتبه فلم نجده شيئًا.

وكيف ينكر مثل هذا الحكاية علىٰ من صار فانيا عما سوى الحق صاحب قلب مشاهد ، لايرى في الملك والملكوت إلا من هو أقرب إليه من نفسه ، كاشف الضر الإله الواحد.

والعجب كل العجب أن هذا الذي أنكر له شاهد في الشرع الشريف.

وذلك ماجاء أن إبراهيم الخليل علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما ألقي

---

(١) البَرَى: التُراب.

(٢) بياض بالأصل.

في النار[1] عَرَض له جبريل ﷺ في الهواء بأمر الله تعالىٰ فقال له : ألك حاجة؟

فقال :أما إليك فلا.

فقال :سل ربك.

فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وقال : «حسبي الله ونعم الوكيل»[2].

فهل كان هذا من سيدنا إبراهيم ﷺ إلا كمال يقين، ومقام رفيع مكين صلى الله علىٰ نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين.

وعن بعض أهل العلم قال : كنت أقرأ عند أبى بكر بن مجاهد المقرئ رحمه الله تعالىٰ، فدخل عليه شيخ عليه ثياب رثة.

فسأله أبو بكر عن حال أولاده.

فقال: يا أبا بكر جاءتني البارحة ابنة ثالثة.

وطلب منى أهلي دانقا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به، فلم أقدر عليه.

فبت مهموما مغمومًا محزونًا، فرأيت النبي ﷺ في المنام[3].

فقال: «يافلان لا تغتم ولا تحزن، إذا كان غدا أُدخل علىٰ علي بن عيسىٰ وزير الخليفة، فأقرأ عليه مني السلام وقل له بعلامة إنك صليت عليَّ عند قبري أربعة آلاف مرة ، يدفع لك مائة دينار عينًا.

قال الداوودى: فقال أبوبكر: يا أبا عبد الله في هذا فائدة ، وقطع علىٰ القراءة، وأخذ بيد الشيخ ودخل علىٰ الوزير.

فرأى الوزير مع ابن مجاهد شيخا لم يعرفه .

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ الأنبياء [٦٨ ـ ٧٠].
وقال سعيد بن جبير: ويروى عن ابن عباس قال: لما ألقي إبراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال: فكان أمر الله أسرع من أمره قال تعالىٰ: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٩).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٥٦٣) كتاب تفسير القرآن من سورة آل عمران، ١٣ ـ باب «إن الناس قد جمعوا لكم» الآية عن ابن عباس: ـ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمدﷺ حيث قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣] .

(٣) روى البخاري في صحيحه (٦٩٩٣) كتاب التعبير، ١٠ ـ باب من رأى النبي ﷺ في المنام، أن أبا هريرة قال: سمعت النبيﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي» ورقم (٦٩٩٦) عن أبي قتادة مرفوعًا: «من رآني فقد رأى الحق» ورقم (٦٩٩٧) عن أبي سعيد مرفوعًا: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لايتكوَّننى».

فقال له : من أين هذا يا أبا بكر؟

فقال: يُدنيه الوزير منه ويسمع كلامه.

قال: فناداه وقال : ما خطبك أيها الشيخ؟

فقال: إن أبا بكر يعلم أن لي ابنتين وجاءتني البارحة ابنة ثالثة ، فطلب منى أهلى دانقًا يشترون به سمنا وعسلا يحنكونها به ، فلم أقدر عليه، فبت مهموما مغمومًا.

فرأيت النبي ﷺ في المنام وهو يقول لي كذا وكذا، وذكر ما تقدم.

قال :فاغرورقت عينا علي بن عيسىٰ بالدموع وقال: صدق الله ورسوله، وصدقت أنت يا رجل، هذا شيء ما كان علم به إلا الله ورسوله ياغلام هات الكيس.

فأحضره بين يديه، فأخرج منه ثلاثمائة دينار

وقال: هذه المائة التي قال لك عنها رسول الله ﷺ .

وهذه مائة أخرى هدية ، فخرج الرجل ومعه ثلاثمائة دينار، وقد زال عنه همه وغمه وحزنه .

وعن بعضهم قال: سافرت إلىٰ العراق علىٰ قصد السياحة ورؤية المشايخ.

فرأيت مدينة، فمشيت نحوها، وقصدت مكانًا آوي إليه، فآويت إلىٰ خربة طرف المدينة فيها أثمار دائرة .

فجلست قليلا ، ثم نامت عيناى، فهتف بى هاتف في المنام.

وقال لى : قم إلىٰ جانبك في الحائط خبيئة، فخذها فليس لها وارث، وهى ملكك.

فاستيقظت ونظرت إلىٰ جانبي عصا ، فحفرت بها في المكان قليلا ، فوجدت خرقة ففتحتها، فوجدت فيها خمسمائة دينار فصررتها في طرف ثوبي.

وخرجت من ذلك المكان، ففكرت فيما أفعل فيها.

فقلت: أُنفق منها علىٰ الفقراء.

ثم قلت: اشترى بها حوانيت وأوقفها علىٰ الفقراء وخطر لي غير ذلك.

فنمت تلك الليلة ، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فسلم علي وقال: يا فقير، إرادة وطلب زيادة من الدنيا، لا يكونان معًا.

ثم جمع السبابة والوسطى، ثم قال لي: امض بما معك إلىٰ الشيخ أبى العباس من أهل الجزيرة الخضراء إلىٰ بغداد في مسجد كذا وكذا وسلمها إليه .

قال: فانتبهت من منامي ووجدت وضوءا ثم صليت وخرجت من ساعتي إلىٰ بغداد.

فوصلت إلىٰ الشيخ في المكان الذي هو فيه فاجتمعت به وكتمتها وأخبرته بالقصة.

فقال: منذ كم قيل لك هذا؟

قال: منذ سبع ليال، وقال لي: إذا وصل إليك فقير ومعه رسالة فاقبلها منه وتصرف فيها.

ثم قال: يا بني إن لنا سبعة أيام لم يكن عندنا ما نقتات به، ولإنسان علينا دين قد ألح في طلبه، وقد سد الله هذه الفاقة علىٰ يديك ثم قال لي: سألتك بالله أن تقيم عندنا، وإحدى بناتي هدية إليك.

فقلت ياشيخ وكيف لي بذلك، ولكني مشغول بما شغلني الله به، وقد أخبرتك بما أخبرني النبيﷺ، فقال لي: الضيافة ثلاثة أيام [(١)].

فقلت: نعم.

فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يفارقني إلا في وقت يتصرف فيه، ثم ودعته وانصرفت رحمهما الله تعالىٰ.

وعن بعض الصالحين رحمه الله قال: بينما أنا أطوف بالكعبة إذا أنا بجارية علىٰ عنقها طفل، وهى تنادي: يا كريم عهدك القديم.

قال: فقلت لها: ما هذا العهد الذي بينك وبينه.

قالت: ركبت سفينة ومعنا قوم من التجار، فعصفت بنا ريح، فغرقت السفينة وجميع من فيها، ولم ينج منهم أحد غيري، وهذا الطفل في حجري علىٰ لوح ورجل أسود علىٰ لوح آخر.

فلما أضاء النهار، ونظر الأسود إلي وجعل يدفع الماء بيده حتىٰ لصق بي

---

(١) روى مسلم في صحيحه[١٥ ـ(٤٨)] كتاب اللقطة ٣ ـ باب الضيافة ونحوها، عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتىٰ يؤثمه» قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به». قال العلماء: معناه الاهتمام به في اليوم والليلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ولا يزيد علىٰ عادته، وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقه ومعروف إن شاء فعل، وإن شاء ترك. [النووي في شرح مسلم (١٢/٢٨) طبعة دار الكتب العلمية].

فاستوى معنا علىٰ اللوح وجعل يراودني عن نفسي.

فقلت له: يا عبد الله أما تخاف الله تعالىٰ نحن في بلية نرجوا الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته.

فقال: دعي هذا فوالله لا بُد لي من هذا الأمر.

قالت: وكان هذا الطفل نائما في حجري فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى، فقلت له: يا عبد الله دعني أنوِّم هذا الطفل ويكون من أمرنا ما قدر الله علينا فمد الأسود يده إلىٰ الطفل ورمى به في البحر فرمقت بطرفي السماء وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك علىٰ كل شئ قدير.

فوالله ما استوعبت الكلام حتىٰ ظهرت دابة من دواب البحر، ففتحت فاها، والتقمت الأسود وخاضت به في البحر وعصمني الله منه بحوله وقوته، وهو القادر علىٰ ما يشاء سبحانه وتعالى.

قالت: ومازالت الأمواج تدفعنى من كل جانب حتىٰ رمتنى إلىٰ جزيرة من جزائر البحر.

فقلت في نفسي آكل من بقلها وأشرب من مائها حتىٰ يأتي الله بأمره، ولا فرج لي إلا منه.

فمكثت أربعة أيام.

فلما كان في اليوم الخامس لاحت لي سفينة علىٰ بعد، فعلوت علىٰ كل شيء وأشرت إليهم بثوب كان عليّ، فخرج ثلاثة منهم في زورق.

فركبت معهم.

فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بهذا الطفل الذي رمى به الأسود في البحر عند رجل منهم.

فلم أتمالك أن تراميت عليه.

فقال لي أهل السفينة: مجنونة أنت أم خَبَل عقلك.

فقلت: والله ما أنا مجنونة ولا خَبَل عقلي، ولكن جرى كيت وكيت، وذكرت لهم القصة إلىٰ آخرها، فلما سمعوا ذلك مني أطرقوا رؤوسهم وقالوا: يا جارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه، ونحن أيضًا نخبرك بأمر تتعجبي منه.

بينما نحن نجري بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا، وهذا الطفل علىٰ ظهرها، وإذا مناد ينادي إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم، فصعد خدمنا علىٰ ظهرها وأخذوا الطفل.

فلما دخل به في السفينة غاصت الدابة في البحر.

وقد تعجبنا من هذا الأمر ومما أخبرتينا به.

وقد عاهدنا الله تعالىٰ أن لا يرانا علىٰ معصية بعد هذا اليوم.

قالت: فتابوا عن آخرهم.

فسبحان اللطيف جميل العوائد، سبحان مدرك الملهوف[١] عند الشدائد.

وفي هذا المعنى قيل:

يا مدركًا بسريع اللطف والفرج ... عنها الشدائد للملهوف ذي الحرج

كلمحة الطرف بل أدنى تُغيث به ... ولو في قعر بحر وجوف الحوت في اللجج[٢]

عوائد منك يا رحمن جارية ... عن جميل ندا معروفك النهج

عودتنا وكم عودت من نعم ... وكم بعونك بعد البؤس منتهج

فالخير منك تراه غير منقطع ... والشر لسنا نراه غير منفرج

لك المحامد يا محمود أجمعها ... هديتنا دين حق غير ذي عوج[٣]

بأحمد المصطفى صلى الإله على ... بدر الدُّجى[٤] مع نجوم بعده سرج

ولبعضهم في معنى هذه الحكاية:

فإذا ابتليت بشدَّة فاصبر لها ... صبر الكريم فما يدوم مقامها

فلرُبَّ يوم نازلتك خطوبة[٥] ... ثم انجلى قبل الظلام ظلامها

فالله يبكي كي يشيب فلا تضق ... ذرعًا بنازلة جرت أحكامها

ولئن جزعت فليس ذاك بنافع ... إن الأمور قضى بها علاَّمها

ولبعضهم:

إن خانك الدهر واشتدت نوائبه[٦] ... فإن لله أنواعًا من الفرج

---

(١) لُهف لهفًا: أصابه كرب، فهو ملهوف، واللهفان: المكروب.

(٢) اللُجُ: معظم الماء حيث لا يدرك قعره، ولجُّ البحر: عرضه، ولُجُّ الليل: شدة ظلمته واللُّجة: معظم البحر وتردد أمواجه، واللُّجي: البحر اللُّجي: المُتلاطم الأمواج. وفي القرآن: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النُّور: ٤٠].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨] أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان.

(٤) الدُّجى: سواد الليل وظلمته، يقال: ليلة دُجًى، وليال دُجًى، الدَّياجي: الظلمات.

(٥) الخَطْب: الحال والشأن والأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، جمعها: خُطُوب.

(٦) النائبة: ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة، جمعها: نوائب.

فثق بربك أن تأتيك نائبة ... فإنه ينقذ الغرقاء مع السابح

ولبعضهم:

فلا تجزع لريب الدهر واصبر ... فإن الصبر في العقبى[(١)] سليم

فما جزع بمغن عنك شيئًا ... ولا ما فات ترجعه الهموم

إذا ضاق الخناق فكن صبورا ... كريمًا فالشدائد لا تدوم

فبالصبر الجميل تنال أجرًا ... وتفضي بعد ذاك لمّا تروم[(٢)]

فكم من محنة عظُمت ودامت ... وفات[(٣)] مواصل وجنا حميم

أتى فرج الإله لها صباحاً ... فما أمست وأقلعت الغموم

فسلم والذي أبلى يعافي ... وثق بالله فهو بنا عليم رحيم

فصل

في فضل البكاء من خشية الله تعالىٰ

قال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾[(٤)].

أي لأنه أولاً يشتمل علىٰ التهديد والإنذار المفتت للأكباد، وخوف النار، ورهبة من الجبار.

وثانيًا مشتمل علىٰ الجلال والجمال والكمال والنوال والملك والحكمة والعدل والتدبير، والفردانية والوحدانية، وغير ذلك من الصفات الأحدية مما توجب الحسنة والخشوع والشوق إليه وإلىٰ دار كرامته دار الحبور، وإلىٰ رضوانه الذي إذا حل زال الكدر، وحصل الصفا، وزال الضجر.

---

(١) العاقبة: الجزاء بالخير، وآخر كل شيء أو خاتمته، ومصير كل شيء، ومنها عواقب الأمور.

(٢) رامه رَوما: طلبه، والمرام: المطلب.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) سورة الإسراء (١٠٩).

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهى أسفل الوجه، سجدًا: أي لله ﷻ شكرًا علىٰ ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسرَاء: ١٠٩] أي خضوعًا لله ﷻ وإيمانا وتصديقًا لكتابه ورسوله ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسرَاء: ١٠٩] أي إيمانًا وتسليمًا كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ وقوله ﴿وَيَخِرُّونَ﴾ عطف صفة علىٰ صفة لا عطف السجود علىٰ السجود. تفسير ابن كثير (٣/ ٧٠).

وثالثًا: مُشعر بالقرب، أو وصول الأثر، يؤذن بالوصول والظفر.

ولذلك استشرق الكليم الكليم لما كلَّم ربه، وذاق لذة التكليم، فلم يُقر قراره حتىٰ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[1].

ها أنا قد مددت يدي إليك والكلام مذكر بالمتكلم وبه يتجلى المحاسن فيخرون إذ ذاك للأذقان يكون من الخشية والاشتياق إليه، ويتضرعون.

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾[2].

فالغافل عن البكاء مذموم سماعه واستمرار سموده هو غاية لمرامه.

فاللهو المنافي للخشوع عن الشوق والمهابة والخضوع مناف للإقبال علىٰ المطلوب مؤذن بعدم الإقبال علىٰ المحبوب، فليس سواء عالم وجهول.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن مسعود[3] قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟.

قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» فقرأت النساء حتىٰ إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾[4]، قال: «حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تهملان بالدموع»[5].

فيه القراءة علىٰ أكبر أكابر الأولياء، وذرف المدامع.

وروينا فيهما أيضًا من حديث أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت

---

(١) سورة الأعراف (١٤٣).

(٢) سورة النجم (٥٩، ٦٠).
قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم (تعجبون) من أن يكون صحيحا و(تضحكون) منه استهزاء وسخرية «ولا تبكون» أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسرَاء: ١٠٩] تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٠).

(٣) في حديث ابن مسعود هذا فوائد منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم. [النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) سورة النساء (٤١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٨٢) كتاب التفسير، من سورة النساء ٩ ـ باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾، ورقم (٥٠٤٩) كتاب فضائل القرآن، ٣٢ ـ باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره، ورقم (٥٠٥٠)٣٣ ـ باب قول المقرئ للقارئ حسبك، ورقم (٥٠٥٥) ٣٥ ـ باب البكاء عند قراءة القرآن.

مثلها قطُّ، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين»[(١)].

أي وهو بالخاء المعجمة:[(٢)]وهو البكاء مع غُنَّة وانتشاق الصوت من الأنف.

وهو دال علىٰ أنه لا يقدر قدره من (. . . . . .)[(٣)].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[(٤)].

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتىٰ يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[(٥)].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظله، إمام عادل . . . .»[(٦)].

= ومسلم في صحيحه [٢٤٧ - (٨٠٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٠ - باب فضل استماع القران، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر. والترمذي في سننه (٣٠٢٥)، وابن ماجه (٤١٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣١)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٠، ٤٣٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٢١) كتاب تفسير القران، من سورة المائدة، ١٢ - باب قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، ومسلم في صحيحه [١٣٤ - (٢٣٥٩)] كتاب الفضائل، ٣٧ - باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك. والترمذى في سننه (٢٣١٢، ٢٣١٣)، وابن ماجه في سننه (٤١٩٠، ٤١٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٦).

(٢) خنين بالخاء المعجمة، هو في معظم النسخ، ولمعظم الرواة ولبعضهم بالحاء، وممن ذكر الوجهين القاضي وصاحب التحرير وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الانتحاب قالوا: وأقل الخنين خروج الصوت من الأنف كالحنين بالمهملة من الفم، وقال الخليل: هو صوت فيه غنة، وقال الأصمعي إذا تردد بكاؤه فصار في كونه غنة فهو خنين وقال أبو زيد الخنين مثل الحنين وهو شديد البكاء. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٩٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) بياض بالأصل.

(٤) سورة الزمر (٤٧).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله والنسائي (٦/ ١٢) والمجتبى في الجهاد، باب ثواب من رمي بسهم في سبيل الله عز وجل. وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٥)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٢٦٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧١، ٤/ ٢٢٩)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٠) كتاب الأذان، ٣٦ - باب اثنان فما فوقهما جماعة، ورقم =

وذكر منهم: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[(١)].

فمن فائدة البكاء من ذكر الله لخوف أو خشية أو شوق أو غيره.

أن الله يُظل صاحبه في ظلّه المنيع الحريز.

وروينا في أبي داود، وشمائل الترمذي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن الشخير قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز الرَّحى من البكاء»[(٢)].

وروينا في الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال لأُبي بن كعب «إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البيّنَة: ١].

قال: وسمّاني؟

قال: «نعم». فبكى[(٣)].

قلت: وهذا البكاء سببه الهيمان أي عدم التمالك لعدم الفضل، واللطف مع غاية البعد عن استحقاق مثله عن توهم التأهيل له كما يدل عليه قوله: وسمَّاني.

وروينا في صحيح مسلم من حديثه أيضًا قال أبو بكر لعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها[(٤)] فلما انتهينا

= (١٤٢٣) كتاب الزكاة، ١٨ ـ باب الصدقة باليمين ـ ٧٨ أ كتاب المحاربين ورقم (٦٨٠٦)، باب فضل من ترك الفواحش ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة، ٣٠ ـ باب فضل إخفاء الصدقة.

والترمذي في سننه (٢٣٩١) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله. والنسائي (٨/ ٢٢٢)، وأحمد بن حنبل (٢/ ٤٣٩) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧).

(١) قال النووي: قوله ﷺ «ورجل ذكر الله تعالىٰ خاليا ففاضت عيناه»: منه فضيلة البكاء من خشية الله تعالىٰ وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٩٠٤) كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٠٩) وكتاب مناقب الأنصار، ١٦ ـ باب مناقب أبي بن كعب ﵁. ورقم (٤٩٥٩)، (٤٩٦٠)، (٤٩٦١) كتاب تفسير القران، ومن سورة «لم يكن »ومسلم في صحيحه [١٢١ ـ (٢٤٦٥)]، (١٢٢)، وكتاب فضائل الصحابة، ٢٣ ـ باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٠)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢١٩٦).

(٤) قوله: «قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر ﵄ انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها » فيه زيارة الصالحين وفضلها وزيارة الصالح لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها واستصحاب العالم والكبير صاحبا له في الزيارة والعيادة ونحوهما والبكاء حزنا علىٰ فراق الصالحين والأصحاب =

إليها بكت.

فقلنا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله.

قالت: لكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

فهيجتهما علىٰ البكاء فجعلا يبكيان معها[١].

ففيه الخوف علىٰ الحبيب والاستيحاش من غيبته، وانقطاع أثاره.

وروينا في الصحيحين[٢] من حديث ابن عمر قال: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة.

فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غَلَبه البكاء.

فقال: «مروه فليصل»[٣].

وفي رواية لهما عن عائشة قالت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء.

وفيه رقة القلب، وشهود منازل الأحباب فقرًّ منهم.

كفى حزنا بالواله الصَّب أن يرى   منازل من يهوى معطلة فقر

يعز علينا أن نرى ربعكم بلى   وكانت به أيام حُسنكم تترا

= وإن كانوا قد انتقلوا إلىٰ أفضل مما كانوا عليه والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٥٤٥٤)] كتاب فضائل الصحابة، ١٨ ـ باب من فضائل أم أيمن والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٤) كتاب الأذان، ٣٩ ـ باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ورقم (٦٧٨) كتاب الأذان ٤٦ ـ باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة وكذلك رقم (٦٧٩، ٦٨٢) في نفس الباب ومسلم في صحيحه [٩٤ ـ (٤١٨)]،(٩٥)، [١٠١ ـ (٤٢٠)] كتاب الصلاة،٢١ ـ باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه. والنسائي (٢/ ٩٩ ـ المجتبى)، وابن ماجه في سننه (١٢٣٢، ١٢٣٤)، وأحمد في مسنده(٤/ ٤١٢، ٤١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٥٠).

(٣) فيه فوائد منها: فضيلة أبي بكر الصديق ﷺ وترجيحه علىٰ جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله وتنبيه علىٰ أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره ومنها أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم [النووي في شرح مسلم (٤/ ١١٦) طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا في صحيح البخاري من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[١] أن والده أتي بطعام، وكان صائمًا.

فقال: قُتِلَ مصعب بن عمير، وهو خير مني، فلم يوجد له ما يُكفن به إلاَّ بُردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه قال: قُتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ـ أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا، ثم جعل يبكي حتىٰ ترك الطعام[٢].

ففيه (عشر)[٣] مخالفة الأحباب خوف مواقعة الأعداء فيوقع في العذاب.

وروينا في جامع الترمذي[٤] وقال: حسن من حديث أبي أُمامة مرفوعًا: ليس شيء أحب إلىٰ الله من قطرتين أو أثرين: قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله.

وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله.

وفيه بيان مرتبته، وأن الغاية إذا قرنت بإراقة الدم له، وعُبِّرَ عنها بما سلف.

وقد سلف في باب (. . . .)[٥] حديث العرباض[٦]: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة

---

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق، أبو محمد، أبو عبد الله، الزهري العوضي، المدنى، قيل له رؤية، وسماعه من عمر أثبته يعقوب بن شيبة، مات سنه (٩٥، ٩٦). أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ١٣٩)، تقريب التهذيب (١/٣٨)، تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٩٥) تاريخ البخاري الصغير (١/ ٢٠٥)، الجرح والتعديل (٢/٣٢٨)، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢)، سير الأعلام (٤/ ٢٩٢)، أسد الغابة (١/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٠٤٥) كتاب المغازى، ١٧ ـ باب غزوة أحد. وفي دفنه ﷺ من حديث خباب رواه البخاري في صحيحه (٤٠٨٢) كتاب المغازى، ٢٨ ـ باب من قتل من المسلمين يوم أحد منهم حمزة بن عبد المطلب واليمان وأنس بن النضر ومصعب بن عمير وفيه: «كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطى بها رجليه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ «غطوا بها رأسه واجعلوا علىٰ رجليه من الإذخر أو قال ألقوا علىٰ رجليه من الإذخر».

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٦٩) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٥) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٨٠). والسيوطى في الدر المنثور (١/ ٢٤٨).

(٥) بياض بالأصل.

(٦) العرباض بن سارية، أبو نجيح، أبو الحارث السلمي الفزارى، القرشي، صحابي من أهل الصفة، توفي بعد سنة (٧٠)، أخرج له أصحاب السنن الأربعة. ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ =

ذرفت منها العيون.

ومدار هذه الأحاديث علىٰ بيان هذا، ومحله وصفته وخاصته، وفائدته ومواطنه الفاضلة.

وما ليس بمانع له وأسبابه ومهيجاته ومرتبته عند الله وإثارته بالمواعظ البليغة.

وأشباه ذلك فتأمله.

= ١٧٤)، تقريب التهذيب (٢/ ١٧)، الكاشف (٢/ ٢٦٠) تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٨٥)، الجرح والتعديل (٧/ ٣٩)، الثقات (٣/ ٣٢١)، أسد الغابة (٤/ ١٩)، الإصابه (٤/ ٤٨٢)، سير الأعلام (٣/ ٤١٩).

مجلس في الجهاد

قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[2] الآية

وقال تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[4] الآية.

فأبان فيها الجزاء المهم بأن لهم الجنة بقوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

وبقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[5].

ثم غبطهم بباقي السورة، ويااله بسرور في بيع مبرور.

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة (٣٦). أي جميعهم ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه حكم مستأنف، ويكون من باب التهييج والتحريض أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضا لهم إذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البراءة منهم. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٣).

(٢) سورة البقرة (٢١٦). (٣) سورة التوبة (٤١).

(٤) سورة التوبة (١١١). يخبر تعالىٰ أنه عاوض من عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به علىٰ عبيده المطيعين، لهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم الله فأغلى ثمنهم «وعدا عليه حقا» تأكيد لهذا الوعد وإخبار بأنه قد كتبه علىٰ نفسه الكريمة وأنزله علىٰ رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة علىٰ موسىٰ والإنجيل المنزل علىٰ عيسىٰ (تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩).

(٥) سورة التوبة (١١١).

(٦) سورة النساء (٩٥)

روى البخاري في صحيحه (٤٥٩٢) كتاب تفسير القرآن، من سورة النساء، ١٨ باب (لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمِلها عليَّ قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله علىٰ رسوله ﷺ وفخذه علىٰ فخذي فثقلت علىٰ حتىٰ خفت أن تُرض فخذي ثم سُري عنه فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾.

فأبان فيها عن فضل المجاهدون بكل معنى ولطف زائد، بذلوا أموالهم وأنفسهم لإعلاء الإسلام فحصل لهم محبة الملك العلام.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1] الآية.

والآيات فيه كثيرة مشهورة.

ولنذكر نبذة من الأحاديث مشتملة علىٰ بيان مرتبة الجهاد وأهله ورتبة الاستعداد له وأوانه وزمانه والمهم منه وأثاره وفضله، وأفضليته علىٰ العبادات ودرجات أهله في الجنة وبيان حال من رغب فيه وحرص عليه أو سعى إليه أو مسَّه غبار منه أو ساعد فيه، وبيان أجره وإجمالاً وتفصيلاً من دفع ونفع، وكرامة ورفعة ومباهاة وابتهاج، وأناله الله ذلك كله لصادق في طلبه، وإن لم يستشهد.

وبيان أقوال تناسبه، والترغيب فيما لا يتم إلاً بها وذم من تركه إلا لعذر أو فعله غير مخلص ونقص أجر السالم الغانم.

وبيان أنه سياحة المسلم، وترك التأسي بتلقينه وبيان أنواعه وأولى الأوقات به وبيان أعون شيء عليه.

والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصر ونذكر منها ثمانية وستين حديثًا:

أولها: حديث أبي هريرة ﷺ سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟[2]

قال: «إيمان بالله ورسوله».

قيل: ثم ماذا؟

---

(١) سورة الصف (١٠، ١١)
فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالىٰ ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [الصَّف: ١١] أي من تجاره الدنيا والكد لها والتصدي لها وحدها. ثم قال تعالىٰ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصَّف: ١٢] أي إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦١).

(٢) معاني الأحاديث وفقهها فقد يستشكل الجمع بينها مع ما جاء في معناها من حيث أنه جعل في حديث أبي هريرة أن الأفضل الإيمان بالله، ثم الجهاد، ثم الحج، وفي حديث أبي ذر: الإيمان والجهاد، وفي حديث ابن مسعود: الصلاة، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد، وفي حديث عبد الله بن عمرو: أى الإسلام خير، قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف وفي حديث أبي موسىٰ وعبد الله بن عمرو: أي المسلمين خير، قال:من سلم المسلمون من لسانه ويده [النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٦) طبعة دار الكتب العلمية].

قال: «الجهاد في سبيل الله».

قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[١]. أخرجاه.

فتلاه بالإيمان وأخَّر الحج المبرور عنه لما فيه من إعلاء كلمة الله وإذلال غير الله.

ثانيهما: حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال:

قلت: يا رسول الله أي العمل أحب إلىٰ الله؟

قال: «الصلاة علىٰ وقتها».

قال: ثم أي؟

قال: «بر الوالدين»[٢].

قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» أخرجاه[٣].

فتلاه بهما لأنه مقصود، وهما وسيلة.

فالصلاة تعظيم لأمر الله، والبّر شفقة علىٰ خلق الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦) كتاب الإيمان، ١٨ ـ باب من قال إن الإيمان هو العمل ورقم (١٥١٩) كتاب الحج، ٤ ـ باب فضل الحج المبرور ومسلم في صحيحه [١٣٥ ـ (٨٣)] كتاب الإيمان ٣٦ ـ باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال، والنسائي (٦/ ١٩) المجتبى والترمذي (١٦٥٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٤، ٢٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٢، ٢٨٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٧١)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٣٧)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٨)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٢٥٠٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٠١).

(٢) أما بر الوالدين فهو الإحسان إليهما وفعل الجميل معهما وفعل ما يسرهما ويدخل فيه الإحسان إلىٰ صديقهما، كما جاء في الصحيح: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه»، وضد البر العقوق. قال أهل اللغة: يقال بررت والدي بكسر الراء أبَره بضمهما مع فتح الباء برا وأنا برّ به بفتح الباء وبار وجمع البر الأبرار وجمع البار البررة انظر [النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، ٥ ـ باب فضل الصلاة لوقتها ـ ورقم (٢٧٨٢) كتاب الجهاد والسير، ١ ـ باب فضل الجهاد والسير ورقم (٥٩٧٠) كتاب الأدب، ١ ـ باب البر والصلاة ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [العَنكبوت: ٨] . ومسلم في صحيحه [١٣٩ ـ (٨٥)] كتاب الأيمان، ٣٦ ـ باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال. والترمذي في سننه (١٧٣، ١٨٩٨)، والنسائي في المواقيت، وأحمد في مسنده (١/ ٤١٠، ٤٣٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢١٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٥٦).

والجهاد دفع لأعداء الله عن إيذاء خلق الله وتهديم بيوت الله.

ثالثها: حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟

قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله»[1]. أخرجاه.

فقرنه بالإيمان لما فيه من إظهار حب الله وتعظيمه ومحو الكفر.

رابعها: حديث أنس: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[2]. أخرجاه.

خامسها: حديث أبي سعيد الخدري قال: أتى رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟

قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله بنفسه وماله».

قال: ثم مَنْ؟

قال: «مؤمن في شِعب من الشِّعاب، يعبد الله ربه ويدع الناس من شرّه»[3]. أخرجاه.

فقدم المجاهد علىٰ العابد[4]، وفضل عليه بأنه رفع أشرارًا كثيرة، بخلاف

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٦ ـ (٨٤)] كتاب الإيمان، ٣٦ ـ باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال. والنسائي (٥/ ١١٣ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٠، ٣٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٣/ ١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، ٥ ـ باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم في الجنة. ورقم (٢٧٩٦) ٦ ـ باب الحور العين وصفتهن ورقم (٦٥٦٨) كتاب الرقاق، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار.. ومسلم في صحيحه [١١٢ ـ (١٨٨٠)] كتاب الإمارة ٣٠ ـ باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله والترمذي في سننه (١٦٥١)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٢، ١٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٨، ٤/ ٥٣٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢٨٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير، ٢ ـ باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ورقم (٦٤٩٤) كتاب الرقاق، ٣٤ ـ باب العزلة راحة من خُلاط السوء. ومسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (١٨٨٨)] كتاب الإمارة، ٣٤ ـ باب فضل الجهاد والرباط. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٥).

(٤) والجمع بين الأحاديث في تقديم عمل علىٰ الآخر قال القفال: الجمع بينهما بوجهين: أحدهما أن ذلك اختلاف جواب جرى علىٰ حسب اختلاف الأحوال والأشخاص فإنه قد يقال خير الأشياء كذا ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه، وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال أو نحو ذلك. والوجه الثاني: أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال =

العابد، فإنه كفى شرَّه وحده.

سادسها: حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»(١). أخرجاه.

والمراد بالسوط الذي يحث به فرس الجهاد، أو يضرب به العدو.

سابعها: حديث سلمان مرفوعًا: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأَمِنَ الفتَّان»(٢). أخرجاه.

ثامنها: حديث فضالة بن عبيد مرفوعًا: «كل ميت يختم علىٰ عمله إلاَّ المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلىٰ يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»(٣).

رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

= كذا أو من خيرها أو من خيركم من فعل كذا، فحذفت من وهى مرادة، كما يقال فلان أعقل الناس وأفضلهم ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم..... إلىٰ آخر كلامه. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٩٢) كتاب الجهاد والسير، ٧٣ ـ باب فضل رباط يوم في سبيل الله. والترمذي في سننه (١٦٦٤) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط. وأحمد في مسنده (١/ ٦٢، ٦٥، ٧٥)، والمنذري في الترغيب (٢/ ٢٤٢، ٢٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٩١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٣ ـ (١٩١٣)] كتاب الإمارة، ٥٠ ـ باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل. والترمذي في سننه (١٦٦٥) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الجهاد والنسائي في الجهاد، باب فضل الرباط وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٨١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٩٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٩٠) والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٧٢، ٢٨٦) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٦١، ٢/ ٢١٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٠٠) كتاب الجهاد، باب في فضل الرباط. والترمذي في سننه (١٦٢١) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا. وأحمد في مسنده (٤/ ١٥٧، ٦/ ٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٩، ١٤٤)،وابن حبان في صحيحه (١٦٢٤ الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٨٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣١٢) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٤، ٢٤٣)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٨١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨٢٣، ٣٨٢٤)، وابن كثير في تفسيره(٢/ ١٧٢).

تاسعها: حديث عثمان مرفوعًا: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[١]. رواه الترمذي وحسنه.

عاشرها: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «تَضمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاَّ جهادًا في سبيلي، وإيمانًا بي، وتصديقًا برسلي، فهو عليَّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلىٰ مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة[٢].

والذي نفس محمد بيده ما من كَلْم يُكْلم في سبيل الله إلاَّ جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم، لونه لون دم، وريحه مسك[٣].

والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق علىٰ المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني.

والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»[٤]. رواه مسلم. وللبخاري بعضه.

الكَلْم: الجرح، وكفى في شرفه قسم الشارع عليه ووده لديه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٦٧) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط، والنسائي في سننه (٦/ ٤٠ ـ المجتبى) في الجهاد، باب فضل الرباط. وأحمد في مسنده (١/ ٦٥، ٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٨، ٣٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٣١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٨)، والدارمي في سننه (٢/ ٢١١).

(٢) قوله: «أو أرجعه إلىٰ مسكنه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة» قالوا: معناه ما حصل له منه الأجر بلا غنيمة إن لم يغنم أو من الأجر والغنيمة معا إن غنموا، وقيل: إن أو هنا بمعنى الواو أي من أجر وغنيمة، وكذا وقع بالواو في رواية أبي داود. ومعنى الحديث أن الله تعالىٰ ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرًا بكل حال، فإما أن يستشهد فيدخل الجنة، وإما أن يرجع بأجر، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أما الكَلْم بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجرح، ويكلم بإسكان الكاف أي يجرح، وفيه دليل علىٰ أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة علىٰ هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالىٰ. وفيه دليل علىٰ جواز اليمين وانعقادها بقوله: والذي نفسي بيده ونحو هذه الصيغة من الحلف بما دل علىٰ الذات ولا خلاف في هذا. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (١٨٧٦)]كتاب الإمارة، ـ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله. أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٩)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢٧٧) وابن أبي شيبه في مصنفه (٥/ ٢٨٨).

الحادي عشر: حديثه أيضًا مرفوعًا: «ما من مَكْلُوم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يدمي اللون لون دم، والريح ريح مسك»[(١)] أخرجاه.

الثاني عشر: حديث معاذ مرفوعًا[(٢)]: «من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقًا، ثم مات أو قتل، فإن له أجر شهيد» زاد ابن المصفى: «ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نُكِب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران، وريحها ريح المسك، (ومن خرج به خُراج في سبيل الله فإن عليه طابع الشهداء)[(٣)] ».

رواه أبو داود، والترمذي وصححه.

وعبر بالزعفران لأنه مفرح، أو لأن لونه لون الدم ولفظ الزعفران أحشم أو لأن الجروح تتفاوت بتفاوت مقاصد أربابها.

الثالث عشر: حديث أبي هريرة قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعبٍ فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال: لو اعتزلت الناس[(٤)] فأقمت في هذا الشِعب ولن أفعل حتىٰ أستأذن رسول الله ﷺ .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٣٣) كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، ٣١ ـ باب المسك. ومسلم في صحيحه [١٠٥ ـ (١٨٧٦)] كتاب الإمارة، ٢٨ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، والترمذي (في سننه (١٦٥٦) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤١) كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالىٰ الشهادة. والترمذي في سننه (١٦٥٧) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يُكلم في سبيل الله وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٦، ٥٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦١، ١٧٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٨، ٧٧)، وابن حبان في صحيحه (١٥٩٦ ـ الموارد)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٥،٢٤٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٥)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٣٧).

(٣) هذه الزيادة ليست بالأصل واستكملناها من أبي داود.

(٤) مذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل من العزلة بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل، وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول علىٰ الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣٠، ٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

من صلاته في بيته سبعين عامًا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزو في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة»(١).

رواه الترمذي وحسنه.

والفواق: ما بين الحلبتين.

الرابع عشر: عنه أيضًا: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟

قال: «لا تستطيعوه».

فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا.

كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه».

وقال في الثالثة: «مثل المجاهد(٢) في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتىٰ يرجع المجاهد في سبيل الله»(٣).

أخرجاه، واللفظ لمسلم.

وفي رواية للبخاري: «أن رجلاً قال: يا رسول الله دُلني علىٰ عمل يعدل الجهاد؟

قال: «لا أجد».

ثم قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر».

قال: ومن يستطيع ذلك؟(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٥٠) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغدُو والرواح في سبيل الله. وأحمد في مسنده (٢/ ٥٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٨٠) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٣٣٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٢).

(٢) قوله ﷺ «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله إلىٰ آخره » معنى القانت هنا المطيع، وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال وقد جعل المجاهد مثل من لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد ولهذا قال ﷺ «لا تستطيعونه» والله علم. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٨٧) كتاب الجهاد والسير، ٢ ـ باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ومسلم في صحيحه [١١٠ ـ (١٨٧٨)] كتاب الإماره، ٢٩ ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالىٰ. والترمذي (١٦١٩) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الجهاد، وابن ماجه (٢٧٥٤) وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٢)، وابن أبي شبيه في مصنفه (٥/ ٢٨٧، ٣١٩)، والهيثمى في مجمع الزوائد(٥/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، ١ ـ باب فضل الجهاد والسير، =

الخامس عشر: عنه أيضًا مرفوعًا: «من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير علىٰ متنه، كُلَّما سمع هيعة، أو فزعة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّهُ[1]، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتىٰ يأتيه اليقين، ليس من الناس إلاَّ في خير»[2]. أخرجه مسلم.

السادس عشر: عنه مرفوعًا: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[3]. أخرجه البخاري.

السابع عشر: حديث أبي سعيد مرفوعًا: «من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد، فقال أَعِدْهَا عليَّ يا رسول الله، ففعل.

ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

قال: وما هي يا رسول الله؟

قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله»[4].

= والنسائي في الجهاد باب (١٥)، أحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٣).

(١) قال النووي: معناه يسارع علىٰ ظهره وهو متنه كلما سمع هيعة وهى الصوت عند حضور العدو، وهى بفتح الهاء وإسكان الياء، والفزعة بإسكان الزاي النهوض إلىٰ العدو. ومعنى يبتغي القتل مظانة يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة، وفى هذا الحديث فضيلة الجهاد والرباط والحرص علىٰ الشهادة. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥ ـ (١٨٨٩)]كتاب الإمارة، ٣٤ ـ باب فضل الجهاد والرباط.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير، ٤ ـ باب درجات المجاهدين في سبيل الله. ورقم (٧٤٢٣) كتاب التوحيد، ٢٢ ـ باب وكان عرشه علىٰ الماء وهو رب العرش العظيم. وابن حبان في صحيحه (١٥٨٦ ـ الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٨٧)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٩)، والسيوطى في الدر المنثور (٢/ ٢٠٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٣، ٤/ ١١٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه[١١٦ ـ (١٨٨٤)] كتاب الإمارة، ٣١ ـ باب بيان ما أعده الله تعالىٰ للمجاهد في الجنة من الدرجات. والنسائي في الجهاد باب (١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٥١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٠٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٣).

الثامن عشر: حديث أبي بكر بن أبي موسىٰ الأشعري، عن أبيه مرفوعًا[١]: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[٢]، فقام رجل رثّ الهيئة فقال: يا أبا موسىٰ أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟

قال: نعم، قال: فرجع إلىٰ أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه[٣] فألقاه، ثم مشى بسيفه إلىٰ العدو، فضرب به حتىٰ قُتل.

التاسع عشر: حديث أبي عبس عبد الرحمن بن جبر قال: قال رسول الله ﷺ[٤]: «ما اغبرَّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار». أخرجه البخاري.

العشرون: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتىٰ يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[٥].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

أي أنه بعيد عن مسّها.

الحادي بعد العشرين: حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسّهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٦(١٩٠٢)]كتاب الإمارة، ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد والترمذي في سننه (١٦٥٩) كتاب فضائل الجهاد، باب ما ذكر أن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف. وأحمد في مسنده (٤/ ٤٩٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٥٢).

(٢) قوله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» قال العلماء: معناه إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلىٰ الجنة وسبب لدخولها» [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) كسر جَفْنَ سيفه: هو بفتح الجيم وإسكان الفاء، وبالنون وهو غمده.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨١١) كتاب الجهاد والسير، ١٦ ـ باب من اغبرت قدماه في سبيل الله. والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٩٤)، وابن حجر في المطالب العالية (١٩٥٤).

(٥) أخرجه :الترمذي في سننه (١٦٣٣) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. ورقم (٢٣١١) كتاب الزهد، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله. والنسائي (٦/ ١٢ ـ المجتبى) في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله علىٰ قدمه. وابن ماجه في الجهاد، باب الخروج في النفير، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧١، ٤/ ٢٢٩)، و السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٨)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٨).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل=

رواه الترمذي وحسَّنه.

فبكاء العين جوهرها الكثيف، وحراستها عبادة شعاعها اللطيف.

وأيضًا الدمع دفعة باطنها، والشعاع دفعه ظاهرها.

الثاني بعد العشرين: حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: «من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله فقد غزا»[1]. أخرجاه[2].

الثالث بعد العشرين: حديث أبي أمامة مرفوعًا: «أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله ومنيحة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل في سبيل الله»[3].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

الرابع بعد العشرين: حديث أنس أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز.

فقال: «ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض»[4].

= الله. والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٨٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٨، ٤/ ٢٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٩)، والشجري في أماليه (١/ ٢٠٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٣٦٠)،وابن حجر في المطالب العالية (١٩٨٩، ١٩٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٦).

(١) قال النووي: أي حصل له أجر بسبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليلة وكثيرة ولكل خالف له في أهله بخير في قضاء حاجة لهم وانفاق عليهم أو مساعدتهم في أمرهم. ويختلف قدر الثواب بقلة ذلك وكثرته. وفي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير، ٣٨ ـ باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير. ومسلم في صحيحه [١٣٥ ـ (١٨٩٥)] كتاب الإمارة، ٣٨ ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، وأبو داود في سننه (٢٥٠٩). والترمذي (١٦٢٨، ١٦٣١) والنسائي (٦/ ٤٦ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ١١٥، ١١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٢)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٥)، وفي الكبير (٥/ ٢٨٠، ٢٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٢٧) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الخدمة في سبيل الله، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٧٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٦٦).

(٤) فيه فضيلة الدلالة على الخير، وفيه أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة يستحب له بذله في جهة أخرى من البر ولا يلزمه ذلك ما لم يلتزمه بالنذر شرح مسلم للنووي (١٣/ ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: «أعطني الذي تجهزت به».

قال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه[١]. أخرجه مسلم.

الخامس بعد العشرين: حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ[٢] بعث إلىٰ بني لحيان[٣] فقال: «لينبعث من كل رجلين رجل»، ثم قال للقاعد: «أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير، كان له مثل نصف أجر الخارج».

وهذه الرواية يحتمل أن تكون بيانًا للرواية الأولى.

ويحتمل أن يكون النصف لأجل إعانته له مع أجره الكامل لأجل قعوده لمهمات البلد.

السادس بعد العشرين: حديث البراء: أتى النبي ﷺ رجل مقنَّع بالحديد.

فقال[٤]: يا رسول الله أُقاتل وأُسلم؟

قال: «أسلم ثم قاتل».

فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ «عَمِلَ قليلاً وأُجر كثيرًا».

أخرجاه، واللفظ للبخاري.

السابع بعد العشرين: حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلىٰ الدنيا وله ما علىٰ الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (١٨٩٤)] كتاب الإمارة، ٣٨ ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٧ ـ (١٨٩٦)]، (١٣٨) كتاب الإمارة، ٣٨ ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير. وأحمد في مسنده (٣/ ٤٩، ٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٢).

(٣) أما بنو لحيان فبكسر اللام وفتحها والكسر أشهر وقد اتفق العلماء علىٰ أن بنى لحيان كانوا في ذلك الوقت كفارًا فبعث إليهم بعثًا يغزونهم وقال لذلك البعث ليخرج من كل قبيلة نصف عددها، وهو المراد بقوله من كل رجلين: أحدهما وأما كون الأجر بينهما فهو محمول علىٰ ما إذا خلف المقيم الغازي في أهله بخير كما تقدم قريبا [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣٦)].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٨٠٨) كتاب الجهاد والسير، ١٣ ـ باب عمل صالح قبل القتال. ومسلم في صحيحه [١٤٤ ـ (١٩٠٠)] كتاب الإمارة، ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٧) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٠) وأحمد في مسنده(٤/ ٣٥٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٦٣).

إلىٰ الدنيا فيقتل عشر مرات[1]، لما يرى من الكرامة»[2].

وفي لفظ: «لِمَا يرى من فضل الشهادة»[3]. أخرجاه.

الثامن بعد العشرين: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «يغفر للشهيد كل شيء إلاَّ الدين» أخرجه مسلم[4].

وفي رواية له: «القتل في سبيل الله يُكفر كل شيء إلاَّ الدين»[5].

التاسع بعد العشرين: حديث أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قُتلت في سبيل الله تُكفر عني خطاياي؟

فقال له رسول الله ﷺ: «نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر»[6].

ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف قلت»؟

---

(١) قال ابن الانباري: إن الله تعالىٰ وملائكته عليهم الصلاة والسلام يشهدون له بالجنة، وقيل لأنه شهد عند خروج روحه ما أعده الله تعالىٰ له من الثواب والكرامة، وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدون فيأخذون روحه، وقيل لأنه شهد له بالإيمان وخاتمه الخير بظاهر حاله، وقيل لأن عليه شاهد بكونه شهيدًا وهو الدم، وقيل لأنه ممن يشهد علىٰ الأمم يوم القيامة بإبلاغ الرسالة إليهم، وعلى هذا القول يشاركهم غيرهم في هذا الوصف. [النووي في شرح مسلم (٢٣/١٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨١٧) كتاب الجهاد، ٢١ ـ باب تمنى المجاهد أن يرجع إلىٰ الدنيا. ومسلم في صحيحه [١٠٩(١٨٧٧)] كتاب الإمارة، ٢٩ ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالىٰ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٨ ـ (١٨٧٧)] كتاب الإمارة، ٢٩ ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالىٰ.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٩ ـ (١٨٨٦)] كتاب الإمارة، ٣٢ ـ باب من قتل في سبيل الله كُفِّرت خطاياه إلا الدَّين. وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٠)، والحاكم (٢/ ١١٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٠ ـ (١٨٨٦)] كتاب الإمارة، ٣٢ ـ باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدَّيْن.

(٦) فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهى تكفير خطاياه كلها إلاَّ حقوق الآدميين وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يُقتل صابرًا محتسبًا مُقبلاً غير مدبر، وفيه أن الأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص لله تعالىٰ. وقوله ﷺ «مقبل غير مُدبِر» لعله احتراز ممن يقبل في وقت ويدبر في وقت، و المحتسب هو المخلص لله تعالىٰ، فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيت أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٦، ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

قال: أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟

فقال رسول الله ﷺ: «نعم وأنت صابر محتسب، مُقبل غير مدبر، إلاَّ الدين فإن جبريل ﷺ قال لي ذلك»[1]. أخرجه مسلم. وفيه الاهتمام بأمر الدين.

الثلاثون: حديث جابر قال: قال رجل: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟

قال: «في الجنة».

فألقى تمرات كُنَّ في يده، ثم قاتل حتىٰ قُتل»[2].

أخرجه مسلم أيضًا.

الحادي بعد الثلاثين: حديث أنس: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتىٰ سبقوا المشركين إلىٰ بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يَقدمن أحد منكم إلىٰ شيء حتىٰ أكون أنا دونه»[3].

فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض».

قال: يقول ابن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنَّة عرضها السماوات والأرض؟

قال: «نعم».

قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله ﷺ «ما يحملك علىٰ قول بَخٍ بَخٍ».

قال: لا والله يا رسول الله إلاَّ رجاءة أن أكون من أهلها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٧ ـ (١٨٨٥)] كتاب الإمارة، ٣٢ ـ باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين. والترمذي في سننه (١٧١٢) كتاب الجهاد، باب ما جاء فيمن يستشهد وعليه دين، والألباني في إرواء الغليل (٥/ ١٨). والنسائي (٦/ ٣٤ ـ المجتبى) في الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله تعالىٰ وعليه دين. قال النووي: وأما قوله ﷺ: «إلا الدين» ففيه تنبيه علىٰ جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يُكفِّر حقوق الله تعالىٰ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٣. (١٨٩٩)] كتاب الإمارة، ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد وقد رواه البخاري في صحيحه (٤٠٤٦) كتاب المغازى، ١٧ ـ باب غزوة أحد. والنسائي (٦/ ٣٣ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٣، ٩٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٣)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٣٩٣٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٥٦٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦١، ٧/ ١٨٨) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٩، ٤/ ١٦٨).

(٣) أى قدامه متقدمًا في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

قال: «فإنك من أهلها»[١].

فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتىٰ قُتل[٢].

أخرجه مسلم.

القرن: بفتح القاف والراء هو جُعبة النشاب.

الثاني بعد الثلاثين: حديثه أيضًا: جاء أُناس إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسُّنَّة.

فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القُراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن ويتدارسونه بالليل يتعلمون وكانوا[٣] بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة[٤]، وللفقراء.

فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

---

(١) قوله: (بخ بخ) فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منونًا وهى كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. قوله «لا والله يا رسول الله إلاّ رجاءة أن أكون من أهلها» هكذا في أكثر النسخ المعتمدة رَجَاَءة بالمد ونصب التاء وفي بعضها رجاء بلا تنوين، وفي بعضها بالتنوين ممدودان بحذف التاء وكله صحيح معروف في اللغة، ومعناه والله ما فعلته لشيء إلا لرجاء أن أكون من أهلها وقوله: «فأخرج تمرات من قَرنه» هو بقاف وراء مفتوحتين ثم نون أي جُعبة النشاب.
[[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٥ ـ (١٩٠١)] كتاب الإمارة، ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد وأحمد في مسنده (٣/ ١٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٤٣، ٩٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩١)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٣١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣١١٠)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٣، ٤/ ٣٠).

(٣) قوله: «وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد» معناه يضعونه في المسجد مسبلاً لمن أراد استعماله لطهارة أو شرب أو غيرهما وفيه جواز وضعه في المسجد وقد كانوا يضعون أيضا أعزاق التمر لمن أرادها في المسجد في زمن النبي ﷺ ولا خلاف في جواز هذا وفضله [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أَصْحَاب الصُفة هُم الفُقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلىٰ مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه، قاله إبراهيم الحربي والقاضي: وأصله من صفة البيت وهى شيء كالظلة قدامة، فيه فضيلة الصدقة وفضيلة الاكتساب من الحلال لها، وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور. المرجع السابق (١٣/ ٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

فقالوا: اللهم بلغ عنَّا نبينا أنَّا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا.

قال: وأتى رجل حرامًا خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتىٰ أنفذه.

فقال حرام: فُزت ورب الكعبة.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنَّا نبينا، أنَّا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا»[1]. أخرجاه، واللفظ لمسلم.

وما أعظم هذه النفس (والادلال)[2]وأنفس هذه المكانة وأعظم بتقريرهم عليها.

الثالث بعد الثلاثين: حديثه أيضًا قال: غاب عمي أنس في قتال بدر... الحديث[3].

وقد سلف في المجاهدة.

الرابع بعد الثلاثين: حديث سمرة مرفوعًا: «رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء»[4]. أخرجه البخاري. وفيه طول يأتي في مجلس الكذب.

الخامس بعد الثلاثين: عن أنس ﷺ أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر[5] أصابه سهم غرب - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٠١) كتاب الجهاد والسير، ٩ - باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله. ومسلم في صحيحه [١٤٧ - (٦٧٧)] كتاب الإمارة، ٤١ - باب ثبوت الجنة للشهيد وأحمد في مسنده (٣/ ٢٧٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٦).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٠٥) كتاب الجهاد والسير، ١٢ - باب قول الله تعالىٰ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] ورقم (٤٠٤٨) كتاب المغازي ١٧ - باب غزوة أحد، ورقم (٤٧٨٣) كتاب تفسير القرآن، من سورة الأحزاب، ٢ - باب «فمنهم من قضى نَحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» ومسلم في صحيحه [١٤٨ - (١٩٠٣)] كتاب الإمارة، ٤١ - باب ثبوت الجنة للشهيد.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٩١) كتاب الجهاد والسير، ٤ - باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال هذا سبيلي وهذه سبيلي. والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٣).

(٥) استشهد يوم بدر: مهجع، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الخزاعى، وعاقل بن البكير، وصفوان بن بيضاء، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وهؤلاء من المهاجرين. وعمير بن الحمام، وابنا عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث فُسحُم، ورافع بن المعلى الزرقي، وسعد بن خيثمة الأوسي، ومبشر بن عبد المنذر أخو أبي لبابة فالجملة أربعة عشر رجلاً.

اجتهدت عليه في البكاء.

قال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»(١).

أخرجه البخاري.

السادس بعد الثلاثين: حديث جابر قال: جيء بأبي إلىٰ النبي ﷺ وقد مُثِّل به ووضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فنهاني قومي، فسمع صوت نائحة.

فقيل: ابنة عمرو ـ أو أخت عمرو ـ.

فقال: «لِمَ تبكي ـ أو لا تبكي ـ ما زالت الملائكة تُظله بأجنحتها»(٢). أخرجاه.

وهذا إبهاج عجيب فالملائكة لا يعصون ويبادرون إلىٰ ما يؤمرون.

السابع بعد الثلاثين: حديث سهل بن حنيف مرفوعًا: «من سأل الله تعالىٰ الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات علىٰ فراشه»(٣).

الثامن بعد الثلاثين: حديث أنس مرفوعًا: «من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها، ولو لم تُصبه»(٤). أخرجهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٠٩) كتاب الجهاد والسير، ١٤ ـ باب من أتاه سهم غرب فقتله. ورقم (٣٩٨٢) كتاب المغازي، ٩ ـ باب فضل من شهد بدرا ورقم (٦٥٥٠، ٦٥٦٧) كتاب الرقاق، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار. والترمذي (٣١٧٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٧٢، ٢٤٣٤ ـ الموارد)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٠٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨١٦) كتاب الجهاد والسير، ٢٠ ـ باب ظل الملائكة علىٰ الشهيد. ومسلم في صحيحه [١٢٩ ـ (٢٤٧١)] كتاب فضائل الصحابة، ٢٦ ـ باب من فضائل عبد الله ابن عمرو بن حرام والد جابر ﷺ وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٩). قال النووي: قال القاضي: يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه، وما أعد له من الكرامة عليه ازدحموا عليه إكراما له وفرحا به أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧ ـ (١٩٠٩)] كتاب الإمارة، ٤٦ ـ باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالىٰ. والترمذي في سننه (١٦٥٣) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة. والنسائي (٦/ ٣٧ ـ المجتبى) في الجهاد، باب مسألة الشهادة. وابن ماجه (٢٧٩٧) كتاب الجهاد، باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٠٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٦ـ (١٩٠٨)] كتاب الإمارة،٤٦- باب استحباب طلب الشهادة في =

التاسع بعده: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما يجد الشهيد من مسّ القتل إلاّ كما يجد من مسّ القرصة»[١]. رواه الترمذي وصححه.

الأربعون: حديث عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتىٰ إذا مالت الشمس، قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو[٢]واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

ثم قام النبي ﷺ وقال: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم»[٣]. أخرجاه.

فليحتفل بهذا الدعاء، فإن الدعاء سلاح المؤمن.

الحديث الحادي بعده: حديث سهل مرفوعًا: «ثنتان لا تُردان، وقلَّ ما تُردان، الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلجم بعضهم بعضًا».

رواه أبو داود بإسناد صحيح[٤].

= سبيل الله تعالىٰ، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٥)، والسيوطي في الدر المنثور(٢/ ١٠١).

(١) أخرجه الترمذي (١٦٦٨) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط. والنسائي في الجهاد، باب ما يجد الشهيد من الألم، وابن ماجه (٢٨٠٢) كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٩٩).

(٢) إنما نهى عن تمني لقاء العدو، ولما فيه من صورة الإعجاب والاتكال علىٰ النفس والوثوق بالقوة وهي نوع بغي، وقد ضمن الله تعالىٰ لمن بُغي عليه أن ينصره ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم وتأوله بعضهم علىٰ النهى عن التمني في صورة خاصة وهي إذا شك في المصلحة فيه وحصول ضرر وإلا فالقتال كله فضيلة وطاعة، والصحيح الأول ولهذا تممه ﷺ بقوله ﷺ «واسألوا الله العافية» [النووي في شرح مسلم (١٢/ ٤٠، ٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٦٥، ٢٩٦٦) كتاب الجهاد والسير، ١١٢ - باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتىٰ تزول. ورقم (٣٠٢٤ - ٣٠٢٦) ١٥٦ - باب لا تتمنوا لقاء العدو. ومسلم في صحيحه [٢٠ - (١٧٤٢)] كتاب الجهاد والسير، ٦ - باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، والترمذي (١٦٧٨)، وابن ماجه (٢٧٩٦) وأبو داود في سننه (٢٦٣١) والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٥٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٧٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤٠) كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء. والبيهقي في السنن =

الحديث الثاني بعده: حديث أنس كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول، وبك أصول وبك أقاتل»[١]. رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه.

الثالث بعده: حديث أبي موسىٰ أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[٢]. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الرابع بعده: حديث ابن عمر مرفوعًا: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة»[٣]. أخرجاه.

الخامس بعده: حديث عروة[٤] مرفوعًا: مثله بزيادة «الأجر والمقيم»[٥] أخرجاه.

السادس بعده: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شبعه ، وريَّهُ وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»[٦] أخرجه البخاري.

= الكبرى (١/ ٣٦٠، ٤٠٠) والحاكم في المستدرك (١/١٩٨)، وابن حبان في صحيحه (١٧٢٠ ـ الموارد)، ومالك في الموطأ (١/ ٧٠) والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٧٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٥).

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢) كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء. والترمذي (٣٥٧٨) كتاب الدعوات، وأحمد في مسنده (٣/ ١٨٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦٦١) وابن أبي شبيه في مصنفه (١٠/ ٣٥١، ١٢/ ٤٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٤٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٣٧) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قوما وأحمد في مسنده (٤/ ٤١٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٤١)،والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٤٩) كتاب الجهاد والسير، ٤٣ ـ باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة. ومسلم في صحيحه [٩٦ ـ (١٨٧١)] كتاب الإمارة، ٢٦ ـ باب الخيل في نواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة. والترمذي (١٦٣٦)، وابن ماجه (٢٧٨٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٩، ٥٧ ، ١٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨١، ٦/ ٣٢٩)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٢، ٩١).

(٤) عروة هو البارقي بالموحده والقاف وهو منسوب إلىٰ بارق وهو جبل باليمن تركته الأزد وهم الأسْد بإسكان السين فنسبوا إليه، وقيل: إلىٰ بارق ابن عوف بن عدي، ويقال له عروة بن الجعد كما وقع في رواية مسلم وعروة بن أبي الجعد وعروة بن عياض بن أبي الجعد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٥٢) كتاب الجهاد والسير، ٤٤ ـ باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (١٨٧٢)] كتاب الإمارة، ٢٦ ـ باب الخيل في نواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٥٣) كتاب الجهاد والسير، ٤٥ ـ باب من احتبس فرسًا، =

السابع بعده: حديث أبي مسعود: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله.

فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة»[1] أخرجه مسلم[2].

الثامن بعده: حديث عقبة مرفوعًا: سمعت رسول الله ﷺ وهو علىٰ المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي» ثلاثًا. أخرجه مسلم[3].

التاسع بعده: حديثه أيضًا مرفوعًا: «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه» أخرجه مسلم[4].

الخمسون: حديثه أيضًا مرفوعًا: «من عَلِمَ الرمي ثم تركه فليس منا، أو فقد عصى»[5]. أخرجه مسلم[6].

= والنسائي (٦/ ٢٢٥ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٢) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٩٧).

(١) قال النووي: معنى مخطومة أي فيها خطام وهو قريب من الزمام، قيل: ويحتمل أن يكون علىٰ ظاهره ويكون له في الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم، [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٢ ـ (١٨٩٢)] كتاب الإمارة، ٣٧ ـ باب فضل الصدقة في سبيل الله وتضعيفها. والبيهقي في السنن الكبرى (/ ١١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٩٩)، والسيوطي في الدُّر المنثور (١/ ٣٣٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (١٩١٧)] كتاب الإمارة، ٥٢ ـ باب فضل الرمي والحث عليه وذم من عَلِمَه ثم نَسِيَهُ. وأبو داود في سننه (٢٥١٤) كتاب الجهاد، باب في الرمي.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٨ ـ (١٩١٨)] كتاب الإمارة، ٥٢ ـ باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه. وأحمد في مسنده (٤/ ١٥٧)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ٣٥).

(٥) هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٥٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٩ ـ (١٩١٩)] كتاب الإمارة، ٥٢ ـ باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه. وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٦٣، ٣٨٨٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٤٥٢).

الحادي بعده: حديثه أيضًا مرفوعًا: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومُنْبِلَهُ، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا ليس من اللهو إلاَّ ثلاث: تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله، ورمَيُهُ بقوسه ونبلهِ، ومن ترك الرمي بعد ما عَلِمَه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها» أو قال: «كفرها»[1] أخرجه أبو داود.

الثاني بعده: حديث سلمة بن الأكوع قال: مرّ النبي ﷺ علىٰ نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ : «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا». أخرجه البخاري.

فالعرب أحق بوراثة أبيهم من كل أحد. فالانتضال كان شأن خير أمة في خير القرون.

الثالث بعده: حديث عمرو بن عبسة مرفوعًا: «من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل مُحرَّرٍ»[2].

رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

ومن المعلوم أن الله يعتق من النار بكل عضو منها عضوًا من المحرر لها.

الرابع بعده: حديث خريم بن فاتك مرفوعًا: «من أنفق نفقة في سبيل الله كُتِب له بسبعمائة ضعف»[3]. رواه الترمذي وحسنه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥١٣) كتاب الجهاد، باب في الرمي، والنسائي (٦/ ٢٨، ٦/ ٢٢٣ ـ المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣، ٢١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢١٠١٠)، والتبريزي مشكاة المصابيح، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣٦٨٠) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٩٢، ١٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٩٦٦) كتاب العتق، باب أى الرقاب أفضل؟ والترمذي في السنن الكبرى (١٦٣٨) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله. والنسائي في الجهاد، ٢٣ ـ باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله ﷻ وأحمد في مسنده (٤/ ١١٣، ٢٣٦، ٣٨٤) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٩٣، ١٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه(١٦٢٥) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله والنسائي (٦/ ٤٩ ـ المجتبى) في الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله تعالىٰ وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٤، ٩/ ١٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٦٤٧ ـ الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٨)، =

وناهيك به، ومثله قوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١] الآية.

الخامس بعده: حديث أبي سعيد مرفوعًا: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلاَّ باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»(١) أخرجاه.

السادس بعده: حديث أبي أمامة مرفوعًا: «من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض»(٢).

رواه الترمذي(٣)، وقال: حسن صحيح.

السابع بعده: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من مات ولم يغزو ولم يُحدِّث نفسه بغزو مات علىٰ شُعبة من نفاق»(٤) أخرجه مسلم.

وأي مصيبة أعظم من شُعبة من نفاق.

الثامن بعده: حديث جابر: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلاَّ كانوا معكم حبسهم المرض»(٥).

= والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٧، ٣/ ٢٦٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ٣٦ ـ باب فضل الصوم في سبيل الله ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (١١٥٣)] كتاب الصيام، ٣١ ـ باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، بلا ضرر ولا تفويت حق والترمذي في سننه (١٦٢٣) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (٨ / ٢٨١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٦، ٨٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٦٠٤)، والشجري في أماليه (٢/ ٣٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٢٤) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٨. (١٩١٠)] كتاب الإمارة، ٤٧ ـ باب ذم من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو. وأبو داود (٢٥٠٢)، والنسائي (٦/ ٨ ـ المجتبى) وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٤٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٨١٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ١٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٩(١٩١١)] كتاب الإمارة، ٤٧ ـ باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو. وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٤)، وابن حبان في صحيحه (١٦٢٣. الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٥٤٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨١٥، ٣٨١٦)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٧). وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٨ / ١٢٦) قال النووي: هذا الحديث فضيلة النية في الخير وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته وأنه كلما أكثر من التأسف علىٰ فوات ذلك وتمني كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه، والله أعلم.

وفي لفظ «العذر».

وفي لفظ: «إلاَّ شركوكم في الأجر». رواه مسلم.

وأخرجه البخاري[١] من حديث أنس.

التاسع بعده: حديث أبي موسىٰ : أن أعرابيًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر[٢]، والرجل يقاتل ليرى مكانه.

وفي لفظ : يقاتل شجاعة، ويقاتل حميَّة.

وفي لفظ: ويُقاتل غضبًا. فمن في سبيل الله؟

فقال رسول الله ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»[٣].

الستون: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلاَّ كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سريَّة تخفق وتصاب إلاَّ تم أجورهم»[٤]. أخرجه مسلم.

الحادي بعده: حديث أبي أمامة : أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة.

قال النبي ﷺ : «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[٥]. رواه أبو داود بإسناد جيد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣٩) كتاب الجهاد والسير، ٣٥ ـ باب من حبسه العذر عن الغزو.

(٢) أي ليذكره الناس بالشجاعة وهو بكسر الذال.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨١٠) كتاب الجهاد والسير، ١٥ ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. ورقم (٧٤٥٨) كتاب التوحيد، ٢٨ ـ باب قوله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصَّافات: ١٧١] ومسلم في صحيحه [١٤٩ ـ (١٩٠٤)]، (١٥٠) كتاب الإمارة، ٤٢ ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. والترمذي (١٦٤٦)، والنسائي (٦/ ٢٣ ـ المجتبى) وابن ماجه (٢٧٨٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٩٢، ٣٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى(٩ /١٦٨، ١٦٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ١٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥٣ ـ (١٩٠٦)]، (١٥٤) كتاب الإمارة، ٤٤ ـ باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم، وأبو داود (٢٤٩٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٩)، الحاكم في المستدرك (٢/ ٧٨)، والنسائي (٦/ ١٨ ـ المجتبى) وابن ماجه في سننه (٢٧٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ١٦٩) والقرطبي في تفسيره (٥/ ٢٧٧).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٤٨٦) كتاب الجهاد باب في النهي عن السياحة. والبيهقي في السنن الكبرى =

الثاني بعده: حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «قفلة كغزوة»[١].

رواه أبو داود بإسناد جيد.

والقفلة: الرجوع من الغزو بعد فراغه.

ومعناه أنه يثاب في رجوعه أيضًا.

الثالث بعده: حديث السائب بن زيد قال: لما قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس تلقية مع الصبيان علىٰ ثنية الوداع»[٢]. رواه أبو داود بإسناد صحيح كذلك.

والبخاري قال: «ذهبنا نتلقى رسول الله ﷺ مع الصبيان إلىٰ ثنية الوداع»[٣].

الرابع بعده: حديث أبي أمامة مرفوعًا: «من لم يغز أو يُجهِّز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة» قال يزيد بن عبد ربه في حديثه: «قبل يوم القيامة».

رواه أبو داود[٤] بإسناد صحيح.

والقارعة تكون في النفس أو المال دون الإيمان وإلاَّ فما أشده.

الخامس بعده: حديث أنس مرفوعًا: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٥].

= (٩ / ١٦١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٣، ٤٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٨ / ٢١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٤٤٣) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٤)، وابن المبارك في الزهد (٢٩٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٨٧) كتاب الجهاد، باب في فضل القفل في سبيل الله تعالىٰ. وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٦٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٤١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢٧٧٩) ـ كتاب الجهاد، باب في التلقي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٨٣) كتاب الجهاد والسير، ١٩٦ ـ باب استقبال الغزاة. ورقم (٤٤٢٦) كتاب المغازي، ٨٤ ـ باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرى وقيصر وكذا رقم (٤٤٢٧) به.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٠٣) كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو. وابن ماجه في سننه (٢٧٦٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٢٠)، والدارمي في السنن (٢/ ٢٠٩)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٤٧).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٠٤) كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو والنسائي (٦/ ٧ ـ =

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

السادس بعده: حديث النعمان بن مقرن قال: شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أَخَّرَ القتال حتىٰ تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر»[1].

رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وقوله: وينزل النصر. فيه إشعار بشيوعه بينهم.

السابع بعده: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم صابروا واصبروا»[2]. أخرجاه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨].

الثامن بعده: عنه وعن جابر مرفوعًا: «الحرب خدعة»[3] أخرجاه. فرب حيلة أدفع من قبيلة.

= المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٤، ٢٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨١) وابن حبان في صحيحه (١٦١٨ ـ الموارد)، والدارمي في سننه (٢/ ٢١٣)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور(٣/ ٢٠٦)، والقرطبي في تفسيره (٨ / ١٥٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٦٥٥) كتاب الجهاد، باب في أي وقت يستحب اللقاء والترمذي في سننه (١٦١٣) كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٢٦) كتاب الجهاد والسير، ١٥٦ ـ باب لا تتمنوا لقاء العدو. ومسلم في صحيحه [١٩ ـ (١٧٤١)] كتاب الجهاد والسير، ٦ـ باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء وأبو داود (٢٦٣١) كتاب الجهاد، باب في كراهية تمني لقاء العدو، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٢، ٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٨) وعبد الرزاق في مصنفه (٩٥١٣، ٩٥١٨) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٣٠) كتاب الجهاد والسير، ١٥٧ ـ باب الحرب خدعة ومسلم في صحيحه [١٧ ـ (١٧٣٩)] كتاب الجهاد والسير، ٥ ـ باب جواز الخداع في الحرب. وأبو داود في سننه (٢٦٣٦) كتاب الجهاد، باب المكر في الحرب. والترمذي في سننه (١٦٧٥) كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرخصة في الكذب والخديعة في الحرب. وابن ماجه في سننه (٢٨٣٣، ٢٨٣٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٩٠، ٢/ ٣١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٠، ٩/ ١٥٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٢٤٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه(١٢/ ٥٢٩، ١٤/ ٤٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٨٣، ٥/ ١٤٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٢٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٩٣٩).

فصل في بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة ويغسَّلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «الشهداء خمسة، المطعون، والمبطون، والغَرِق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»(١). أخرجاه.

وروينا من حديثه أيضًا مرفوعًا(٢): «ما تعدون الشهداء فيكم»

قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد.

قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل».

قالوا: فمن هم يا رسول الله.

قال: «من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»(٣). أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد». أخرجاه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٢٩) كتاب الجهاد والسير، ٣٠ـ باب الشهادة سبع سوى القتل. ومسلم في صحيحه [١٦٥ ـ (١٩١٥)] كتاب الإمارة، ٥١ ـ باب بيان الشهداء والترمذي في سننه (١٠٦٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٥، ٥٣٣)، ومالك في الموطأ (١٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(١٥٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٥ ـ (١٩١٥)] كتاب الإمارة، ٥١ ـ باب بيان الشهداء وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠١، ٥/ ٣١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٠٠،٣٠١).

(٣) أما المطعون فهو الذي يموت في الطاعون، وأما المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الإسهال. قال القاضي: وقيل هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن، وقيل: هو الذي تشتكي بطنه، وقيل هو الذي يموت بداء بطنه مطلقًا. وأما الغرق فهو الذي يموت غريقا في الماء، وصاحب الهدم من يموت تحته وصاحب ذات الجنب معروف وهي قرحة تكون في الجنب باطنًا والحريق الذي يموت بحريق النار، وأما المرأة تموت بجمع قيل: التي تموت حاملاً جامعة ولدها في بطنها، وقيل هي البكر والصحيح الأول. [النووي في شرح مسلم (١٣/ ٥٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٩) ومسلم في صحيحه [٢٢٦ ـ (١٤١)] كتاب الإيمان، ٦٢ ـ باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد وأبو داود في سننه (٤٧٧٢) كتاب الأدب، باب في قتال اللصوص. والترمذي (١٤١٨، ١٤١٩) كتاب الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد.

وروينا من حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل مرفوعًا: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»

أخرجه أبو داود[١]، والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي[٢]؟

قال: «فلا تعطه مالك».

قال: أرأيت إن قاتلني؟

قال: «قاتله».

قال: أرأيت إن قتلني؟

قال: «فأنت شهيد».

قال: أرأيت إن قتلته؟

قال: «هو في النار»[٣].

أخرجه مسلم[٤].

ولنذكر من الحكايات ما يتعلق بذلك:

الأولى: عن عبد الواحد بن زيد قال: بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٧٢) كتاب الأدب، باب في قتال اللصوص. والترمذي (١٤٢١) كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد. والنسائي (٧ / ١١٦) المجتبى، وأحمد في مسنده (١/ ١٩٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٩).

(٢) قال النووي: أحكام الباب فيه جواز قتل للقاصد لأخذ المال بغير حق، سواء كان المال قليلاً أو كثيرًا لعموم الحديث وهذا قول الجماهير من العلماء، وقال بعض أصحاب مالك: لا يجوز قتله إذا طلب شيئًا يسيرا كالثوب والطعام، وهذا ليس بشيء، والصواب ما قاله الجماهير، وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف وفي المدافعة عن النفس بالقتل خلاف في مذهبنا ومذهب غيرنا، والمدافعة عن المال جائزة غير واجبة والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٢/ ١٤٠، ١٤١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) معناه أنه يستحق ذلك وقد يجازى وقد يعفي عنه إلا أن يكون مستحلا لذلك بغير تأويل فإنه يكفر ولا يعفى عنه والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٥ ـ (١٤٠)] كتاب الإيمان، ٦٢ ـ باب الدليل علىٰ أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد. والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٦٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٤٠) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٥١٢).

تهيأنا للخروج للغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيأوا لقراءة آيتين.

فقال رجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية[1].

فقال غلام في مقدار خمس عشرة سنة أو نحو ذلك، وقد مات أبوه، وورَّثه مالاً كثيرًا، فقال: يا عبد الواحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التّوبَة: ١١١] الآية.

فقلت: نعم حبيبي.

فقال: إني أُشهدك أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة.

فقلت له: إن السيف أشد من ذلك، وأنت صبي، وأنا خائف ألا تصبر وتعجز عن ذلك.

فقال: يا عبد الله أُبايع الله بالجنة، ثم أعجز أنا، أُشهد الله أني قد بايعته، أو كما قال عبد الواحد، فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا: صبي يعقد ونحن لا نعقد.

فخرج من ماله كله، وتصدق به إلاَّ فرسه وسلاحه ونفقته.

فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا.

فقال: السلام عليك يا عبد الواحد.

فقلت: وعليك السلام، ربح البيع.

ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار، ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا، ويحرسنا إذا نمنا حتىٰ انتهينا إلىٰ دار الروم.

فبينما نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلىٰ العناية العيناء المرضية.

فقال أصحابي: لعله وَسْوَس هذا الغلام فاختبط عقله.

فقلت: حبيبي وما هذه العناية العيناء المرضية؟

فقال: إني غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني آت فقال: اذهب إلىٰ العناية المرضية.

فهُجم بي إلىٰ روضة فيها نهر من ماء غير آسن فإذا علىٰ شط النهر جوار عليهم من الحُلي والحُلل ما لا أقدر أن أصفه.

فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية.

---

(١) سورة التوبة (١١١).
يخبر تعالىٰ أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به علىٰ عبيده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم الله فأغلى ثمنهم. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩).

فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية.

قلن: نحن خدمها وإماؤها، امض أمامك.

فمضيت أمامي فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة، فيها جوار، لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية.

فقلن وعليك السلام يا وليّ الرحمن، قد دَنَا لك القدوم علينا.

فذهبت لأعتنقها فقالت: مهلاً فإنه لم يكن لك أن تعانقني لأن فيك روح الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالىٰ.

فانتبهت يا عبد الواحد، ولا صبر لي عنها.

قال عبد الواحد:[١] فما انقطع كلامنا حتىٰ ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم، وكان هو العاشر.

فمررت به وهو يتشحط في دمه، ويضحك ملء فيه، حتىٰ فارق الدنيا.

ولله در القائل:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح مغرورًا وعزارا

هلا تركت في الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النارا

الثانية: عن أبي قُدامة الشامي رحمه الله قال: كنت أميرًا علىٰ جيش في بعض الغزوات فدخلت بعض البلاد فدعوت الناس إلىٰ الغزو ورغبتهم في الثواب.

وذكرت فضل الشهادة[٢] وما لأهلها.

ثم نفرت الناس فركبت فرسي وسرت إلىٰ منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي يا أبا قدامة.

---

(١) عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصري، العابد، القدوة، شيخ الصوفية بالبصرة، روى عن الحسن وعطاء بن أبي رباح وعبادة بن نسي وعبد الله بن راشد وجماعة سواهم، وعنه وكيع ومحمد بن السماك وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني ومسلم بن إبراهيم وجماعة، وهو ضعيف الحديث، وقال البخاري: عبد الواحد بن زيد تركوه وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتىٰ غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه، توفي سنة (١٥٠) تاريخ الإسلام وفيات (١٤١-١٥٠).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

قلت: هذه مكيدة من الشيطان، فمضيت ولم أجب ، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت.

فجاءت فدفعت إليَّ رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية.

فنظرت في الرقعة، فإذا هي مكتوب إنك دعوتنا إلىٰ الجهاد، ورغبتنا في الثواب ولا قُدرة لي علىٰ ذلك، فقطعت أحسن ما في ضفيرتاي، فأنفذتها إليك لتعملها قيد فرسك لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال، أخرجت الضفيرة فقيدت بها فرسي، وباكرنا القتال، فإذا بغلام يقاتل بين يدي الصفوف.

فتقدمت إليه وقلت: أنت يا فتى غلام غرّ راجل ولا آمن عليك أن تجول عليك الخيل بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا.

فقال: أتأمرني بالرجوع وقد قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥﴾[1].

فحملته علىٰ هجين كان معي.

فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم.

فقلت: أهذا وقت القرض.

فما زال يلح عليَّ حتىٰ قلت بشرط إن مَنَّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك.

قال: نعم.

فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهمًا في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل روميًا، ثم رمى آخر فقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم ، فوقع في عينه، فوضع رأسه علىٰ قربوس دابته.

فتقدمت إليه، فقلت: لا تنس.

فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة إذا دخلت المدينة فآت والدتي، فسلِّم عليها

---

(١) سورة الأنفال (١٥).

يقول تعالىٰ متوعدا علىٰ الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي تقاربتم منهم ودنوتم إليهم ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] أي تفروا وتتركوا أصحابكم، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: ١٦] أي يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك. تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٠).

وسلِّم خُرجي[1] إليها.

وأخبرها بأمري، فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك فإنها في العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام أُصيبت بي، ثم مات، فحفرت له ودفنته.

فلما هممت بالانصراف عن قبره، قذفته الأرض وألقته علىٰ ظهرها.

فقال أصحابي إنه غلام سوء، ولعله خرج بغير إذن أمه.

فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شرّ منه.

فقمت وصليت ركعتين، فسمعت قائلاً يقول: يا أبا قدامة اترك وليّ الله.

فما برحت حتىٰ نزلت طيور فأكلته.

فلما أتيت المدينة أتيت دار والدته، فقرعت الباب، فخرجت إليَّ أخته.

فلما رأتني نادت وقالت: يا أماه، هذا أبو قدامة ليس أخي معه.

فخرجت أمه فقالت: أمُعزيًا أم مُهنئًا؟

فقلت: ما معنى هذا؟

فقالت: إن كان مات فعزني وإن كان استشهد فهنيني.

فقلت: لا بل مات شهيدًا.

فقالت: له علامة، فهل رأيتها؟

قلت: نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت طيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها.

فقالت: الحمد لله، فسلَّمت الخُرج إليها.

ففتحته وأخرجت منه مسحا[2] وغِلاً من حديد.

وقالت: إنه كان إذا جنَّه الليل، لبس هذا المِسح وغَلَّ روحه وناجا مولاه وقال في مناجاته: يا مولاي احشرني في حواصل الطيور، فقد استجاب الله دعاءه.

الثالثة: عن بعضهم قال: كنت في بلاد الروم فصحبنا رجل فرأيناه لا يأكل ولا يشرب فقلت له: ما رأيتك تأكل شيئًا من القوت منذ أحد عشر يومًا.

فقال: إذًا دنا فراقي منك حدثتك حديثي.

فلما دنا الفراق قلت له: حدثنا ما وعدتنا.

---

(١) الخُرْج: وعاء من شعر أو جلد ذو عدلين، يحمل علىٰ ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه. جمعها: خِرَجة، وأخراج.

(٢) المسح: الكساء من شعر. وثوب الراهب جمعها: أمساح، ومُسُوح.

قال: غزوت في أربعمائة، فخرج علينا العدو فقتل أصحابنا وخرجت أنا، فكنت بين القتلى فلما كان وقت الغروب، حسست رائحة من قبل الجو، ففتحت عيني فإذا بجوار عليهن ثياب ما رأيت مثلها.

وفي أيديهن كاسات يَصُبن في أفواه القتلى فغمضت عيني حتىٰ وصلن إليَّ.

فقالت واحدة منهن: اصببن في حلق هذا وعجِّلن قبل أن تغلق أبواب السماء، فنبقى في الأرض.

فقالت أخرى: أسقيه وفيه رمق؟

فقالت لها: لا بأس عليك يا أختي، فصبَّت في حلقي.

فأنا منذ شربت ذلك الشراب لا أحتاج الطعام والشراب رحمه الله ونفعنا به.

وأنشدوا في هذا المعنى:

عذرتك إذ للعزّ حلت هوانا ... لأنك لم تسلك طريق هوانا

تركي (الرى)[1] بفتى اشتغالا بصده ... فأذهب عنا جوعنا وظمانا

فليس لنا في الكون أن نخشى الظمأ ... ومحبوبنا بكأس الوصال سقانا

(١) كذا بالأصل.

مجلس في وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1].

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3].

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام علىٰ خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان». أخرجاه[4].

---

(١) سورة الحج (٧٨)، المجادلة (١٣).

(٢) سورة البينة (٥).

﴿حُنَفَآءَ﴾ أي متحنفين عن الشرك إلىٰ التوحيد كقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهي الإحسان إلىٰ الفقراء والمحاويج، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة علىٰ أن الأعمال داخلة في الإيمان تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٧).

(٣) سورة التوبة (١٠٣).

أمر تعالىٰ رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلىٰ الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا. ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلىٰ الإمام لا يكون وإنما كان هذا خاصا بالرسول ﷺ، ولهذا احتجوا بقوله تعالىٰ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقاتلوهم حتىٰ أدوا الزكاة إلىٰ الخليفة كما كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ قال الصديق: والله لو منعوني عناقًا ـ وفي رواية عقالاً ـ كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله ﷺ لأقاتلنهم علىٰ منعه. تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨) كتاب الإيمان، ٢ ـ باب دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] ورقم (٤٥١٤) كتاب تفسير القرآن، من سورة البقرة، ٣٠ ـ باب ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ومسلم في صحيحه [٢١ ـ (١٦)] كتاب الإيمان ٥ ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام. والترمذي (٢٦٠٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١، ٩٣/ ١٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٨) والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٧١، ١٢/ ١٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٨، ٣٠٩).

وروينا من حديث طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس يسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتىٰ دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : «خَمس صلوات في اليوم والليلة».

قال: هل عليَّ غيرهن؟

قال: «لا إلاَّ أن تطوع».

فقال رسول الله ﷺ «وصيام شهر رمضان».

قال: هل عليَّ غيره؟

قال: «لا إلاَّ أن تطوع»[1].

قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة.

فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلاَّ أن تطوع».

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد علىٰ هذا ولا أنقص.

فقال رسول الله ﷺ : «أفلح[2] إن صدق»[3]. أخرجاه.

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلىٰ اليمن فقال: «ادعهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله

(١) قال أصحابنا وغيرهم من العلماء قوله ﷺ «إلاَّ أن تطوع» استثناء منقطع، ومعناه لكن يستحب لك أن تطوع، وجعله بعض العلماء استثناء متصلا واستدلوا به علىٰ أن من شرع في صلاة نفل أو صوم وجب عليه إتمامه ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١/ ١٤٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) (أفلح إن صدق) قيل: هذا الفلاح راجع إلىٰ قوله «لا أنقص خاصة، والأظهر أنه عائد إلىٰ المجموع بمعنى أنه إذا لم يزد ولم ينقص كان مفلح وليس في هذا أنه إذا أتى بزائد لا يكون مفلحا لأن هذا مما يعرف بالضرورة، فإنه إذ أفلح بالواجب، فلأن يفلح بالواجب و المندوب أولى [النووي في شرح مسلم (١/ ١٤٩، ١٥٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة (٤٦) كتاب الإيمان، ٣٥ ـ باب الزكاة من الإسلام ورقم (١٨٩١) كتاب الصوم، ١ ـ باب وجوب صوم رمضان ورقم (٢٦٧٨) كتاب الشهادات، ٢٦ ـ باب كيف يستحلف ورقم (٦٩٥٦) كتاب الحيل، ٣ ـ باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة ومسلم في صحيحة [٨ (١١)]، (٩) كتاب الإيمان، ٢ ـ باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، وأبو داود (٣٩٢، ٣٢٥٢)، والنسائي (١/ ٢٢٨، ٨ / ١١٩ ـ المجتبى)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٦٦، ٤/ ٢٠١).

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتُرد علىٰ فقرائهم»(١) أخرجاه.

وروينا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أُقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم علىٰ الله»(٢) أخرجاه.

وروينا من حديث أبي هريرة قال: لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب(٣).

فقال عمر: كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها عَصم مني ماله ونفسه إلاَّ بحقه وحسابه علىٰ الله».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٥) كتاب الزكاة، ١ ـ باب وجوب الزكاة ورقم (١٤٥٨) كتاب الزكاة، ٤٣ ـ باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ورقم (١٤٩٦) كتاب الزكاة، ٦٥ ـ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ورقم (٤٣٤٧) كتاب المغازي، ٦٢ ـ باب بعث أبي موسىٰ ومعاذ إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع ورقم (٧٣٧٢) كتاب التوحيد، ١ ـ باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم في صحيحه [٢٩ ـ (١٩)] كتاب الإيمان ٧ ـ باب الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥) كتاب الإيمان، ١٧ ـ باب «فإذا تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» ومسلم في صحيحه [٣٤ ـ (٢١)] كتاب الإيمان، ٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.
والترمذي في سننه (٢٦٠، ٢٦٠٦) (٢٦٠٨، ٣٣٤١)، والنسائي (٥/ ١٤، ٦، ٦/ ٤ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٧١، ٧٢، ٣٩٢٧)،وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٥، ٤٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٨٤، ٢/ ٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٨،٣٨٦)، وابن خزيمة (٢٢٤٧)،والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٤٧، ٦/ ١٦١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٩١٦، ١٠٠٢٠)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ١٣٧) وأبو نعيم في حلية الأولياء(٢/ ١٥٩).

(٣) قال الخطابي رحمه الله: أهل الرِّدة كانوا صنفين: صنف ارتدوا عن الدين ونابزوا الملة وعادوا إلىٰ الكفر، وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله: وكفر من كفر من العرب، وهذه الفرقة طائفتان: إحداهما أصحاب مسيلمة من بنى حنيفة وغيرهم الذين صدقوه علىٰ دعواه في النبوة، وأصحاب الأسود العنسي ومن كان من مستجيبه من أهل اليمن وغيرهم وهذه الفرقة بأسرها منكره لنبوة نبينا محمد ﷺ مدعية النبوة لغيره فقاتلهم أبو بكر حتىٰ قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء والطائفة الأخرى ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين والصنف الأخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة وواجب أدائها إلىٰ الإمام، وهؤلاء علىٰ الحقيقة أهل بغي، وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصًا لدخولهم في غمار أهل الردة، فأضيف الاسم في الجملة إلىٰ الردة [النووي في شرح مسلم (١/ ١٨٠) طبعة دار الكتب العلمية].

فقال: والله لأُقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعه.

قال عمر: فوالله ما هو إلاَّ أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق. أخرجاه(١).

وروينا من حديث أبي أيوب ﷺ أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟

قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» أخرجاه(٢).

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ أن أعرابيًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت الجنة.

قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان».

قال: والذي نفسي بيده لا أزيد علىٰ هذا شيئًا.

فلما ولَّى قال النبي ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة، فلينظر إلىٰ هذا»(٣). أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٩) كتاب الزكاة، ١ ـ باب وجوب الزكاة ورقم (١٤٥٦، ١٤٥٧) ٤٢ ـ باب أخذ العناق في الصدقة ورقم (٦٩٢٤، ٦٩٢٥) كتاب استتابه المرتدين والمعاندين وقتالهم، ٣ ـ باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلىٰ الردة. ورقم (٧٢٨٤، ٧٢٨٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٢ ـ باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. ومسلم في صحيحه [٣٢ ـ (٢٠)] كتاب الإيمان، ٨ ـ باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأبو داود (١٥٥٦، ٢٦٤٠)، الترمذي (٢٦٠٦، ٢٦٠٧)، وابن ماجه (٣٩٢٧، ٣٩٢٨)، وأحمد في مسنده (١/ ١١، ١٩، ٣٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٦) كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ورقم (٥٩٨٣) كتاب الأدب، ١٠ ـ باب فضل صلة الرحم. ومسلم في صحيحه [١٢ ـ (١٣)] كتاب الإيمان ٤ ـ باب بيان الإيمان الذي به يدخل الجنة، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة قال النووي: قوله ﷺ «تعبد الله لا تشرك به شيئا»: أما العبادة في الطاعة مع خضوع فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله تعالىٰ والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة والصوم والزكاة عليها لإدخالها في الإسلام وقوله ﷺ «وتصل الرحم» أي تحسن إلىٰ أقاربك ذوي رحمك بما تيسر علىٰ حسب حالك وحالهم من إنفاق وسلام أو زيارة أو طاعتهم أو غير ذلك. [النووي في شرح مسلم (١/ ١٤٥، ١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٩٧) كتاب الزكاة، ١ ـ باب وجوب الزكاة ومسلم في صحيحه[١٥ ـ (١٤)] كتاب الإيمان ٤ ـ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما =

وروينا من حديث جرير ﷺ قال: «بايعت النبي ﷺ علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»(١) أخرجاه أيضًا(٢).

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلاَّ كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتىٰ يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار».

قيل يا رسول الله فالإبل، (وعبدها ووعيد لها)(٣) البقر والغنم.

قيل: يا رسول الله فالخيل، قال: «ما أنزل عليَّ فيها إلاَّ هذه الآية الفاذَّة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾أخرجاه(٤)، والسياق لمسلم.

= أمر به دخل الجنة. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٣، ٣٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٩٤)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٣، ٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٠١) كتاب الزكاة، ٢ ـ باب البيعة علىٰ إيتاء الزكاة ومسلم في صحيحه [٩٧ ـ (٥٦)] كتاب الإيمان، ٢٣ ـ باب بيان أن الدين النصيحة قال النووي: وإنما اقتصر علىٰ الصلاة والزكاة لكونهما قرينتين، وهما أهم الإسلام بعد الشهادتين وأظهرها، ولم يذكرا الصوم وغيره لدخولها في السمع والطاعة.

(٢) في الحديث منقبة ومكرمة لجرير ﷺ رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده اختصارها أن جريرا أمر مولاه أن يشتري له فرسا، فاشترى له فرسا بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم، قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله، فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائه درهم، ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضي وجرير يقول: فرسك خير إلىٰ أن يبلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها فقيل له في ذلك فقال: إني بايعت رسول الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) كذا بالأصل وأظنها «وعددها وعدد معها البقر والغنم وفي الصحيحين ذكر طائفة علىٰ هنا ولكن المصنف اختصرها.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٠٢) كتاب الزكاة، ٣ ـ باب إثم مانع الزكاة وقول الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾. ومسلم في صحيحه [٢٤ ـ (٩٨٧)] كتاب الزكاة، ٦ ـ باب إثم مانع الزكاة والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٨٢، ١١٩) والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٧٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٣٦) والشجري في أماليه (٢/ ١٨٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٤٩).

مجلس في وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[١]

إلى قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

إلى قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٢]

وهي دالة علىٰ الإيجاب من كتب عليكم، وعلى فضله باعتبار غايته المرجوة من قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩] . وبكونه هدى أو أنزل فيه هدى.

وقد سلفت الأحاديث في الزكاة[٣]الدالة علىٰ أنه أحد مباني الإسلام، أو أحد أجزاء الأركان ونحو ذلك.

وروينا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالىٰ: كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصيام[٤]فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، فإذا كان يوم

---

(١) سورة البقرة (١٨٣) يقول تعالىٰ مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرًا لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنيةٍ خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه علىٰ من كان قبلهم فلهم فيه أسوة حسنة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك. تفسير ابن كثير (١/ ٢١٣).

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) الزكاة هي في اللغة النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لايرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، وقيل: ينمى أجرها عند الله تعالىٰ، وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوى فيها وقيل: لأنها تزكى صاحبها وتشهد بصحة إيمانه قالوا: وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه. قال القاضي: قال المازري رحمه الله: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لاتكون إلا في مال له بال وهو النصاب، ثم جعلها في الأموال الثابته وهي العين والزرع والماشية. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٢، ٤٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالىٰ فقيل: سبب إضافته إلىٰ الله تعالىٰ أنه لم يعبد أحد غير الله تعالىٰ به، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبودا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك. وقيل: لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة، وقيل: لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ. [النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٤) طبعة دار الكتب العلمية].

صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سَابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[١].

أخرجاه، والسياق للبخاري.

وفي رواية له: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، الحسنة بعشرة أمثالها»[٢].

ولمسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فِيه أطيب عند الله من ريح المسك»[٣].

وقد ذكر العلماء في معنى قوله: «إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» أقوالاً كثيرة:

ذكر منها أبو الخير الطالقاني في كتابه حظائر القدس زيادة علىٰ ستين قولاً، ومن أحسنها قولان: أحدهما: أن الصوم لم يُعبد به غيره، فلذلك اختص بهذا الفضل.

وثانيهما: أنه لا يطلع عليه أحد من الخلق، بخلاف غيره من العبادات.

وقوله: «جُنَّة»[٤] أي حاجز بين الإسلام، وبين مهالكه ومؤذياته.

وفي الرواية الثانية: إشعار بمعنى الصوم، أي لا شهوة للعبد فيه برياء ولا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٠٤) كتاب الصوم، ٩ ـ باب هل يقول إنى صائم إذا شُتِم. ومسلم في صحيحه [١٦٣ ـ (١١٥١)] كتاب الصيام، ٣٠ ـ باب فضل الصيام. وأحمد في مسنده (٣/ ٢٧٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٨٨، ١٨٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٨٩١)، والسيوطى في الدر المنثور (١/ ١٧٩، ٢/ ٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩٤) كتاب الصوم، ٢ ـ باب فضل الصوم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٤ ـ (١١٥١)] كتاب الصيام، ٣٠ ـ باب فضل الصيام وابن ماجه في سننه (١٦٣٨، ٣٨٢٣)، ـ وأحمد في مسنده (٢/ ٤٤٣، ٤٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٣، ٣٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٥٩)، والسيوطى في الدر المنثور (٢/ ٨١)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٣٦٩)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٤٦٨).

(٤) قوله ﷺ «الصيام جُنَّة» هو بضم الجيم، ومعناه ستره ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار، ومنه المجن وهو الترس، منه الجن لاستتارهم.

غيره، بل هو ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل الله.

وفي الثالثة: تبيين ما أبهمته الحسنة بعشر أمثالها، وإيضاح أن الصوم بغير حساب الحسنات ولو ضُوعفت سبعمائة ضعف[١].

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله[٢]، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة» قال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟

قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»[٣].

وفيه فضل ظاهر على الصيام، فإنه قبل دخولهم من باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم.

فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد.

وهذا تخصيص باهر.

---

(١) قوله تعالى «وأنا أجزي به» قيل معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها، وقيل: هي إضافة تشريف كقوله تعالى ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] مع أن العالم كله لله تعالى وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم والحث إليه وقوله تعالى «وأنا أجزي به» بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء [النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) قال القاضي عياض: قال الهروى في تفسير هذا الحديث: قيل وما زوجان، قال: فرسان أو عبدان أو بعيران، وقال ابن عرفة: كل شيء قرن بصاحبه فهو زوج، يقال زوجت بين الإبل إذا قرنت بعيرًا ببعير، وقيل: درهم ودينار أو درهم وثوب، قال: والزوج يقع على الاثنين ويقع على الواحد، وقيل إنما يقع على الواحد إذا كان معه آخر. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٠٢، ١٠٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩٧) كتاب الصوم، ٤ ـ باب الريان للصائمين ورقم (٢٨٤١) كتاب الجهاد والسير، ٣٧ ـ باب فضل النفقة في سبيل الله. ورقم (٣٢١٦) كتاب بدء الخلق، ٦ ـ باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ورقم (٣٦٦٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥ ـ باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلا» ومسلم [٨٥ ـ (١٠٢٧)]،(٨٦)، كتاب الزكاة، ٢٧ ـ باب من جمع الصدقة وأعمال البر والترمذي (٣٦٧٤)، والنسائي (٤/١٦٨ ـ المجتبى) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٧٧).

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي سعيد مرفوعًا:[١]

«ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلاَّ باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»[٢].

وسبيل الله يحتمل الجهاد، ويحتمل مرضاته، ومباعدة صائم يوم واحد عن النار سبعين خريفًا يوضح أن سبعمائة ضعف بالنسبة إليه.

فإن الحسنة عشر عشر سبع المضاعفة، فاليوم سدس سدس عشر سبع السبعين خريفًا.

وروينا فيهما أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

وهو يجري مجرى ذكر السبب في تلك المباعدة العظيمة.

وقوله: «إيمانًا واحتسابًا» وإن كان شرطًا في كل جزء، لكن ذكره كالمُنوه بعلو درجة ما جاء به حتىٰ جوزي بذلك، وهو من نسبة الصوم «وأنا أجزي به» يدع كذا وكذا من أجلي.

وروينا فيهما أيضًا من حديثه مرفوعًا: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير، ٣٦ ـ باب فضل الصوم في سبيل الله. ومسلم في صحيحه [١٦٧ ـ (١١٥٣)] كتاب الصيام، ٣١ ـ باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق والنسائي (٤/ ١٧٣ ـ المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٨٦، ٢٦٦)، والدارمي في سننه (٢/ ٢٠٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ٢٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٢، ٦٨٢).

(٢) فيه فضيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول علىٰ من لا يتضرر به ولا يفوت به حقًا ولا يختل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه المباعدة عن النار والمعافاة منها والخريف السنة، والمراد سبعين سنة [النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨) كتاب الإيمان، ٢٩ ـ باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان. رقم (١٩٠١) كتاب الصوم، ٦ ـ باب من صام رمضان إيمانا واحتسابًا ونية ورقم (٢٠٠٨، ٢٠٠٩) كتاب صلاة التراويح، ١ ـ باب فضل من قام رمضان ورقم (٢٠١٤) كتاب فضل ليلة القدر، ١ ـ باب فضل ليلة القدر. ومسلم في صحيحه [١٧٥ ـ (٧٦٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٥ ـ باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح. والنسائي (٤/ ١٥٦، ١٥٧ ـ المجتبى)، ابن ماجه (١٦٤١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩٨ ـ ١٨٩٩) كتاب الصوم، ٥ ـ باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان. ورقم (٣٢٧٧) كتاب بدء الخلق، ١ ـ باب صفة إبليس وجنوده ومسلم في صحيحه [١ ـ (١٠٧٩)] كتاب الصيام، ١ ـ باب فضل شهر رمضان وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي في =

وما أعظم ذلك من فضل إذ فيه تفتح أبواب الرحمة، وتغلق فيه أبواب الغضب، ويحبس فيه أهل الإضلال والأهواء.

وروينا فيهما عنه مرفوعًا: والسياق للبخاري «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّي عليكم، فأكملوا عدة شعبان»(١).

وفي رواية مسلم: «فإن غُمَّ عليكم فصوموا ثلاثين يومًا»(٢).

وهو جامع لسبب الوجوب من رؤية، أو عدد والفطر لرؤية أو كماله.

فصل في الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

روينا في الصحيحين(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فكان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

وروينا فيهما أيضًا من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر

= السنن الكبرى (٤/ ٣٠٣، ٢٠٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٩٧)، والشجري في أماليه (٢/ ٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٨٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٠٩) كتاب الصوم، ١١ ـ باب قوله النبي ﷺ «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا» ومسلم في صحيحه [١٨ ـ (١٠٨١)]، (١٩، ٢٠) كتاب الصيام، ٢ ـ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما والترمذي (٦٨٤، ٦٨٨)، والنسائي (٤/ ١٣٣، ١٣٥ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٦، ٢٥٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٠٥، ٢٠٦)، والشجري في أماليه (٢/ ٣٥، ٤٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٥٢).

(٢) مسلم في صحيحه [١٧ ـ (١٠٨١)] كتاب الصيام، ٢ ـ باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يومًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦) كتاب بدء الوحي، ورقم (١٩٠٢) كتاب الصوم ٧ ـ باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان. ورقم (٣٢٢٠) كتاب بدء الخلق، ٦ ـ باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. ورقم (٣٥٥٤) كتاب المناقب، ٢٣ ـ باب صفة النبي ﷺ ورقم (٤٩٩٧) كتاب فضائل القران، ٧ ـ باب كان جبريل يعرض القرآن علىٰ النبي ﷺ ومسلم في صحيحه [٥٠ ـ (٢٣٠٨)] كتاب الفضائل، ١٢ ـ باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وأحمد في مسنده (١/ ٣٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٣٠٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/١١٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/١٠٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٩٨).

أحيى الليل وأيقظ الأهل، وشدَّ المئزر»[١]. وهو كناية عن شدة الاجتهاد.

فصل في النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلاَّ لمن وصله بما قبله

أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الاثنين والخميس فوافقه.

روينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يتقدمَنَّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين[٢] إلاَّ أن يكون رجل كان يوم صومه، فليصم ذلك اليوم»[٣].

وروينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: « لا تصوموا قبل رمضان، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غياية، فأكملوا ثلاثين يومًا»[٤].

أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح.

والغياية[٥]: بغين معجمة، ثم مثناة مكررة: السحابة.

وروينا فيه أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢٤) كتاب فضائل ليلة القدر، ٥ ـ باب العمل في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم في صحيحه [٧ ـ (١١٧٤)] كتاب الاعتكاف، ٣ ـ باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، والنسائي (٣/ ٢١٨ ـ المجتبى) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣١٣) وابن أبي شيبة (٢/ ٥١٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٧٠٢، ٧٧٠٤).

(٢) فيه التصريح بالنهى عن استقبال رمضان بصوم يوم ويومين لمن يصادف عادة له أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام هذا هو الصحيح في مذهبنا بهذا الحديث. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٦٩، ١٧٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩١٤) كتاب الصوم، ١٤ ـ باب لا يتقلمن رمضان بصوم يوم ولا يومين ومسلم في صحيحه [٢١ ـ (١٠٨٢)] كتاب الصيام، ٣. باب لاتقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٠٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٦٨٨) كتاب الصوم، باب ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال والإفطار له. وأخرجه أيضا: أبو داود (٢٣٢٧) كتاب الصوم، باب من قال فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين، والنسائي (٤/ ١٣٦) المجتبى كتاب الصيام ١٢ ـ ذكر الاختلاف علىٰ عمرو بن دينار في حديث ابن عباس فيه.

(٥) غياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه(٧٣٨) كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان لحال رمضان. وأبو داود في سننه (٢٣٣٧) كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك قال =

ثم قال: حسن صحيح.

وروينا فيه أيضًا وقال: حسن صحيح.

وفي أبي داود من حديث عمَّار قال: «من صام اليوم الذي يشك فيه، فقد عصى أبا القاسم ﷺ»[(١)].

والحديث الأول مقيد للنهي، والثاني مطلق، والثالث مقيد لهذا الإطلاق.

وأن المراد إذا بقي نصف شعبان لا ما قبله.

والرابع: مقيد لمن صام يوم الشك[(٢)] هو وإن تقدما بيوم، لكن قد يقال: قدمن رمضان ولا يقدم فاحتيج إلىٰ السبب عليه بخصوصه.

فصل في فضل السحور
وتأخيره ما لم يخشى طلوع الفجر

وروينا في الصحيحين من حديث أنس مرفوعًا: «تسحروا فإن في السحور بركة»[(٣)].

وروينا فيهما أيضًا من حديث زيد بن ثابت قال: «تسحرنا مع رسول اللهﷺ ثم

= الترمذي: حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه علىٰ هذا اللفظ، ومعنى هذا الحديث عند بعض أهل العلم، أن يكون الرجل مفطرا، فإذا بقي من شعبان شيء أخذ في الصوم لحال شهر رمضان.

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٣٤) كتاب الصوم، باب كراهية صوم يوم الشك الترمذي في سننه (٦٨٦) كتاب الصوم باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك والنسائي (٤/ ١٥٣ ـ المجتبى) كتاب الصيام، باب صيام يوم الشك. وابن ماجه في سننه (١٦٤٥)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٥٧)، والألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٢٥).

(٢) والعمل علىٰ هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي يُشك فيه، ورأى أكثرهم إن صامه فكان من شهر رمضان أن يقضي يوما مكانه. الترمذي عقب حديث رقم (٦٨٦) المتقدم قبل هذا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٢٣) كتاب الصوم، ٢٠ ـ باب بركة السحور في غير إيجاب ومسلم في صحيحه [٤٥ ـ (١٠٩٥)] كتاب الصيام، ٩ ـ باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر والترمذي (٧٠٨) كتاب الصوم، باب ماجاء في فضل السحور. وابن ماجه (١٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٩٢٨)، والشجري في أماليه (١ / ٢٦٥، ٢٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٥٩٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٣٥، ٣٢٢).

قمنا إلىٰ الصلاة. فقيل: كم كان بينهما؟

قال: قدر خمسين آية»(١).

وروينا فيهما من حديث ابن عمر قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم، فقال رسول الله ﷺ: «إن بلال يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتىٰ يؤذن ابن أم مكتوم» قال: ولم يكن بينهما إلاَّ أن ينزل هذا ويصعد هذا(٢).

فهو دال علىٰ قرب التفاوت بينهما.

وروينا في صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص مرفوعًا: «فصل ما بين صيامنا وصوم أهل الكتاب أكلة السحور»(٣). وهو بيان لمعنى السحور ووقته.

فصل في تعجيل الفطر وما يفطر عليه وما يقوله عند إفطاره

روينا من حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»(٤). أخرجاه.

وروينا من حديث أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق علىٰ عائشة فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألو عن الخير، أحدهما يُعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٢١) كتاب الصوم، ١٩ - باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر ومسلم في صحيحه [٤٧ - (١٠٩٧)] كتاب الصيام، ٩ - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩١٨، ١٩١٩) كتاب الصوم، ١٧ - باب قول النبي ﷺ «لايمنعنكم من سحوركم أذان بلال» ومسلم في صحيحه [٣٨ - (١٠٩٢)] كتاب الصيام ٨ - باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر والترمذي (٢٠٣)، والنسائي (٢/ ١٠ - المجتبى) وأحمد في مسنده (٢/ ٩، ٥٧، ٤/ ٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٨٠، ٣٨٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٤٠١، ٤٠٣، ٤٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٦ - (١٠٩٦)] كتاب الصيام، ٩ - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٥٧) كتاب الصوم، ٤٥ - باب تعجيل الفطر ومسلم في صحيحه [٤٨ - (١٠٩٨) كتاب الصيام ٩ - باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر. الترمذي في سننه (٦٩٩) كتاب الصوم باب ما جاء في تعجيل الإفطار وابن ماجه (١٦٩٧، ١٦٩٨)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٣١، ١٣٤، ٣٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٩٢) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٩).

قال: عبد الله، فقالت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع»[١]. أخرجه مسلم.

ومعنى لا يألو: لا يُقصِّر في الخير.

والحديث الأول دال علىٰ الحث علىٰ الاتباع فإن يتركه يزول الخير.

كيف لا وهو صُنع الشارع، أما تعجيل الصلاة فعزيمة، وأما تعجيل الفطر فرخصة، والرب يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه[٢].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «قال الله عز وجل: أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا»[٣].

رواه الترمذي وحسنه.

وتبيينه من وجوه: **أحدها**: أنه حفظ لحدوده تعالىٰ من غير اعتداء بلحظة واحدة ذلك خير وأشد تبينًا.

وثانيها: أنها مبادرة إلىٰ إذنه في التناول، كما كان الصوم مبادرة إلىٰ منعه أول إمكانه وهو الفجر، تعمير لأول الليل يأكل رزقه[٤] وأول النهار يتركه من أجله تحليلاً لما أحله الله وتحريمًا لما حرمه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٠ ـ (١٠٩٩)] كتاب الصيام، ٩ ـ باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر وأبو داود في سننه (٢٣٥٤) كتاب الصوم باب ما يستحب من تعجيل الفطر والنسائي في الصوم، باب ذكر الاختلاف علىٰ سليمان بن مهران في حديث عائشة في تأخير السحور والترمذي في سننه (٧٠٢) كتاب الصوم، باب ما جاء في تعجيل الإفطار وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) حديث «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه»، أخرجه وأحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٤٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٤٥، ٩١٣-الموارد)، وابن خزيمة في صحيحه (٩٥٠)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٠١، ٦/ ٢٧٦) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٥)، والسيوطى في الدر المنثور (١/ ١٩٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٧٠٠) كتاب الصوم، باب ماجاء في تعجيل الإفطار. وقال الترمذي: وهو الذي اختاره أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، استحبوا تعجيل الفطر، وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق.

(٤) قال النووي: في قوله ﷺ «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» فيه الحث علىٰ تعجيله بعد تحقيق غروب الشمس، ومعناه لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما دامو محافظين علىٰ هذه السنة وإذا أخروه كان ذلك علامة علىٰ فساد يقعون فيه.
[النووي في شرح مسلم (٧/ ١٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقدم

ويشعر به قوله: عبادي.

ثالثها: أنه أجمع للنفس على أداء الصلاة ونحوها ولهذا يقدم عليها.

رابعها: أنه يشعر برأفة الله ورفقه بالعبد، فيولد حب في النفوس.

خامسها: أنه مذكِّر بالليل والنهار، وهما من أعجب صنع الله عز وجل.

سادسها: أنه معنى قول الخنساء:

تذكرني طلوع الشمس صخرًا   وأذكره لكل غروب شمس

فإنها إشارة بالطلوع شجاعة وقهرًا وإلى موائده بالغروب كرمًا وجودًا تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

سابعها: أنه تحقق لما يليق بالعباد والمخلوقين المحتاجين بعد السرّ فسرع صمدية أي إن أسرع العارية ردها إلى مستحقها واعتراف بأنها حقة.

ثامنها: أنه قيام بحق النفس بعد القيام بحق الرب من غير مماطلة لها فأعط كل ذي حق حقه.

تاسعها: إنه لما كان مبادر إلى الأسباب الحكمية التي عليها أم الدنيا فإنه صاحبه يخالع الخوالق الاقتدارية بعد أن يسرف بما ناله منها على خلاف القياس رجوعًا إلى حكم الدار.

عاشرها: إنه مذكِّر بربوبيته المرتبة والمالكية والسيادة كما كان الصيام مذكِّر بالرهبة والتعظيم والمسارعة في اللمحات النورانية الروحانية القدسية، وقس على هذا وتنفح النسمات.

وروينا من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا: «إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»[1]. أخرجاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٥٤) كتاب الصوم، ٤٣ ـ باب متى يحل فطر الصائم؟ ومسلم في صحيحه [٥١ ـ (١١٠٠)] كتاب الصيام ١٠ ـ باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار والترمذي في سننه (٦٩٨) كتاب الصوم،باب ما جاء إذا أقبل الليل وأدبر النهار فقد أفطر الصائم، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٨٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠٠)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٥٢). قال النووي: قوله ﷺ «أقبل الليل وأدبر النهار وغربت الشمس» قال العلماء كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما وإنما جمع بينها لأنه قد يكون في وادٍ نحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٧/ ١٨٢) طبعة دار الكتب العلمية].

وهو دال علىٰ أن وقت التعجيل الغروب المحقق، فكان الفطر الحكمي فيه الحسي أيضًا.

وروينا فيهما أيضًا من حديث[1] أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى قال: سرنا مع رسول الله ﷺ وهو صائم فلما غربت الشمس قال لبعض القوم: «يا فلان انزل فاجدح لنا».

فقال: يا رسول الله أي لو أمسيت.

قال: «انزل فاجدح لنا».

قال: إن عليك نهارًا.

قال: «انزل فاجدح لنا».

قال: فنزل فجدح لهم، فشرب رسول الله ﷺ.

ثم قال: «إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم - وأشار بيده قبل المشرق»[2].

واجدح: بجيم ثم دال وحاء مهملتين: أي اخلط السويق بالماء.

وفيه ما يفطر عليه جوازًا وهو مجدوح السويق ونحوه.

وروينا من حديث سلمان بن عامر الضبي الصباحي مرفوعًا: «إذا أفطر أحدكم فليفطر علىٰ تمر، فإن لم يجد فليفطر علىٰ الماء فإنه طهور»[3].

---

(١) معنى الحديث أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا صياما وكان ذلك في شهر رمضان، فلما غربت الشمس أمره النبي ﷺ بالجدح ليفطروا، فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي بعد غروب الشمس فظن أن الفطر لا يحل إلا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده أن النبي ﷺ لم يرها فأراد تذكيره وإعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله إن عليك نهارا لتوهمه أن ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وفهم معنى لو أمسيت أي تأخرت حتىٰ يدخل المساء وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده علىٰ أن ذلك نهار يحرم فيه الأكل مع تجويزه أن النبي ﷺ لم ينظر إلىٰ ذلك الضوء نظرًا تامًا، فقصد زيادة الإعلام ببقاء الضوء.

[النووي في شرح مسلم (٧/ ١٨٢، ١٨٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٥٥) كتاب الصوم، ٤٣ - باب متى يحل فطر الصائم؟ وكذا في رقم (١٩٥٦) ٤٤ - باب يفطر بما تيسر عليه بالماء وغيره. ورقم (١٩٥٨) ٤٥ - باب تعجيل الإفطار ومسلم في صحيحه[٥٢ - (١١٠١)]، (٥٣)، كتاب الصيام، ١٠ - باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار وأبو داود (٢٣٥٢) كتاب الصوم، باب وقت فطر الصائم. وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه(٢٣٥٥) كتاب الصوم، باب ما يفطر عليه والترمذي في سننه (٦٩٥) كتاب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار وهو في رقم (٦٥٨) كتاب الزكاة باب ما جاء في =

رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح.

وفيه: ما يفطر عليه ندبًا وهو التمر.

قيل لما فيه ما يحدثه الصيام في التصرف، تعليل الماء بأنه طهور، إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾[١].

وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١][٢].

وروينا فيهما محسنًا من حديث أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يُفطر قبل أن يصلي علىٰ رطبات، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تميرات، حسا حسوات من ماء»[٣].

وهو دال في تقديم الرطب، ثم التمر، ثم الماء.

فصل في أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات السابقة ونحوها

سلف في أوائل المجلس حديث أبي هريرة في ذلك وأخرجه عنه مرفوعًا: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[٤].

= الصدقة علىٰ ذي القرابة. وابن ماجه (١٦٩٩)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٧) وعبد الرزاق في مصنفه (٧٥٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير(٦/ ٣٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٨٩٢ ـ الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٠٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٩٠).

(١) سورة الفرقان (٤٨) أي أنه يتطهر بها كالسحور والوجور وما جرى مجراهما فهنا أصح ما يقال في ذلك، وأما من قال إنه فعول بمعنى فاعل أو أنه مبنى للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم. تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣١).

(٢) سورة الإنسان (٢١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٥٦) كتاب الصوم، ٢١ ـ باب ما يفطر عليه والترمذي في سننه (٦٩٦) كتاب الصوم، باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار. وأحمد في مسنده (٣/ ١٤٦)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٨٥)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٣٠)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٣٣٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٠٣) كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ورقم (٦٠٥٧) كتاب الأدب، ٥١ ـ باب قول الله تعالىٰ «واجتنبوا قول الزور» وأبو داود في سننه (٢٣٦٢) كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم. وابن ماجه (١٦٨٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٥٢، ٥٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٩٩)، والشجري في أماليه(٢/ ٩٢)، والسيوطى في الدر المنثور (١ / ٢٠١)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٠١).

وورد من حديث ابن أبي أوفى مرفوعًا: «يوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف»(١).

فصل في جمل من الصوم

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا نسي أحدكم وأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه»(٢). أخرجاه

وروينا من حديث لقيط بن صبرة قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء؟

قال: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، وترك المبالغة فيه خيفة سبق الماء»(٣).

وروينا من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»(٤). أخرجاه.

وأخرجاه أيضًا من حديث عائشة وأم سلمة قالتا: «كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير حلم، ثم يصوم»(٥).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٣٣) كتاب الصوم، ٢٦ ـ باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا. ورقم (٦٦٦٩) كتاب الأيمان والنذور، ١٥ ـ باب إذا حنث ناسيا في الإيمان ومسلم في صحيحه [١٧١ ـ (١١٥٥)] كتاب الصيام، ٣٣ باب أكل الناسي وشربه وجماعه لايفطر.
وقال النووي: فيه دلالة لمذهب الأكثرين أن الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسيا لايفطر، وممن قال بهذا الشافعي وأبو حنيفه وداود وآخرون، وقال ربيعة ومالك: يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة، وقال عطاء والأوزاعى والليث يجب القضاء في الجماع دون الأكل وقال أحمد: يجب في الجماع القضاء والكفارة ولا شيء في الأكل [النووي في شرح مسلم (٨ / ٢٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٦٦) كتاب الصوم، باب السواك للصائم، والترمذي في سننه(٧٨٨) كتاب الصوم باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم. وابن ماجه في سننه (٤٤٨)، والنسائي في الطهارة باب المبالغة في الاستنشاق، والبيهقي في السنن الكبرى(١ / ٥٠، ٥٢)، والحاكم في المستدرك (١ / ١٤٧، ٤/ ١١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٩) وابن خزيمة في صحيحه (١٥٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٢٦) كتاب الصوم، ٢٢ ـ باب الصائم يصبح جنبًا ورقم (١٩٣٠) ٢٥ ـ باب اغتسال الصائم ومسلم في صحيحه [٧٦ ـ (١٠٩)] كتاب الصيام، ١٣ باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب والترمذي (٧٧٩) كتاب الصوم، باب ما جاء في الجنب يدركه الفجر وهو يريد الصوم والبيهقي في السنن (٤/ ٢١٤)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٠٨، ٣١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٨١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٣١، ١٩٣٢) كتاب الصوم، ٢٥ ـ باب اغتسال الصائم ومسلم =

وفيه مسألة الإصباح جنبًا، فإنه جائز كما في القرآن من دلالة الإشارة.

وحديث: «من أصبح جُنبًا فلا صوم له»[١] منسوخ أو مؤول.

وحديث عائشة وأم سلمة يزيلان وهم عدم التمكن والاجتناب في الحديث قبله.

فصل في فضل من فطر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

روينا من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: «من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا»[٢].

رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وروينا من حديث أم عمارة الأنصارية أن النبي ﷺ دخل عليها فقدمت له طعامًا فقال: «كُلي»، فقالت: إني صائمة.

فقال رسول الله ﷺ: «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أُكل عنده حتىٰ يفرغوا»[٣].

وربما قال: «حتى يشبعوا». رواه الترمذي وحسنه.

وروينا من حديث أنس أن النبي ﷺ جاء إلىٰ سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت، فأكل ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت

= في صحيحه [٧٨ ـ (١٠٩)] كتاب الصيام، ١٣ ـ باب صحه صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٢٩٣)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٢٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٨ / ١٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه(٨٠٧) كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا وابن ماجه في سننه (١٧٤٦) كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائما. وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٩٢)،والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٩٧)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٣/ ٧٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٤)، والشجري في أماليه (١ / ٢٦٨) والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٧٨٥) كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصائم إذا أكل عنده، وابن ماجه في سننه (١٧٤) كتاب الصيام، ٤٦ ـ باب في الصائم إذا أكل عنده وأحمد في مسنده (٦/ ٣٦٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٥)، وابن حبان في صحيحه (٩٥٣ ـ الموارد)، والمنذري في الترهيب والترغيب (٢/ ١٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٨٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٦٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٨١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨١) وابن المبارك في الزهد (٥٠٠).

عليكم الملائكة»[١].

رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فصل في فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم[٢]، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٣]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث عائشة قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله».

وفي رواية: «كان يصوم شعبان إلاَّ قليلاً». أخرجاه[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٨٥٤) كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده. وابن ماجه في سننه (١٧٤٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٨، ٢٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٩٠٧)، وابن حبان في صحيحه (١٣٥٣ الموارد) وابن حجر في المطالب العالية (٣١٤٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢٢٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٠٠)، والشجري في أماليه (١/ ٤٣).

(٢) قوله ﷺ «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم» تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم. وقد سبق الجواب عن إكثار النبي ﷺ من صوم شعبان دون المحرم وذكرنا فيه جوابين أحدهما: لعله إنما علم فضله في آخر حياته والثاني: لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غيرهما. وقوله ﷺ «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل لأنها تشبه الفرائض والأول أقوى وأوفق للحديث والله أعلم [النووي في شرح مسلم (٧/ ٤٤، ٤٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٢ ـ (١١٦٣)] كتاب الصيام، ٣٨ ـ باب فضل صوم المحرم وأبو داود في سننه (٢٤٢٩) كتاب الصوم باب في صوم أشهر الحرم. والترمذي (٤٣٨) في الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة الليل. والنسائي (٣/ ٢٠٧) المجتبى، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤، ٥٣٥) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٢٣، ٢/ ١١٤)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٢٥) والشجري في أماليه (٢/ ٤٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧٠) كتاب الصوم، ٥٢ ـ باب صوم شعبان ومسلم في صحيحه [١٧٦ ـ (١١٥٦)] كتاب الصيام، ٣٤ ـ باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان وفي الترمذي (٧٣٦) كتاب الصوم، باب ما جاء في وصال شعبان برمضان. وأحمد في مسنده (٦/ ١٢٨، ١٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢١٠، ٢٩٢)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٨٢).

وروينا من حديث مجيبة الباهلية، عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ﷺ ، ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حالته وهيأته.

فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟

قال: «لا من أنت؟».

قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول.

قال: «فما غيَّرك وقد كنت حسن الهيئة»؟

قال: ما أكلت طعامًا إلاَّ بليلٍ منذ فارقتك.

فقال رسول الله ﷺ : «لِمَ عذَّبت نفسك»؟

ثم قال: «صُم شهر الصبر ويومًا من كل شهر»(١).

قال: زدني فإني بي قوة.

قال: «صم يومين».

قال: زدني.

قال: «صُم ثلاثة أيام»(٢).

قال: زدني، قال: «صم من الحُرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك».

وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها.(٣) رواه أبو داود.

---

(١) قال النووي في شرح مسلم: في هذه الأحاديث أنه يستحق أن لا يخلى شهرا من صيام، وفيها أن صوم النفل غير مختص بزمان معين بل كل السنة صالحة له إلا رمضان والعيد والتشريق وقال في حديث يشبه هذا وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته، وشفقته عليهم وإرشادهم إلىٰ مصالحهم، وحثهم علىٰ ما يطيقون الدوام عليه ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، وقد بين ﷺ «عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتىٰ تملوا ».
[النووي في شرح مسلم (٨/ ٣٠، ٣٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٩٤ ـ (١١٦٠)] كتاب الصيام، ٣٦ ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، عن عائشة: وفيه: أنها سئلت: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت: نعم، فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم ؟ قالت: لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٢٨) كتاب الصوم، باب في صوم أشهر الحرم والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١)، والشجري في أماليه (٢/ ٣١) وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٣٥)، وابن سعد في طبقاته (٧ / ٥٨)، وابن حجر في المطالب العالية (١٠٣١).

وشهر الصبر رمضان.

فصل في فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

روينا من حديث ابن عباس مرفوعًا: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلىٰ الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر.

قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟

قال: «ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء»[١]. رواه البخاري[٢] .

فصل في صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

روينا في صحيح مسلم[٣] من حديث أبي قتادة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يُكفر السنة الماضية والباقية».

وسئل عن صيام يوم عاشوراء؟

فقال: يُكفر السنة الماضية.

وروينا في الصحيحين من حديث ابن عباس أنه ﷺ صام عاشوراء وأمر بصيامه[٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٣٨) كتاب الصوم باب في صوم العشر والترمذي في سننه(٧٥٧) كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في أيام العشر وابن ماجه في سننه (١٧٢٧) كتاب الصيام ٣٩كتاب الزكاة باب صيام العشر. وأحمد في مسنده (١ / ٢٢٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٨، ١٩٩)، وابن خزيمة في مصنفه (٢٨٦٥)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (١٤٦٠).

(٢) كذا بالأصل ولكن وجدناه فيما حققناه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٦ ـ (١١٦٢)] كتاب الصيام، ٣٦ ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١١، ١١٥)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٥٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٠٤) كتاب الصوم، ٦٩ ـ باب صوم يوم عاشوراء ورقم (٣٣٩٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ٢٥ ـ باب «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه إلىٰ قوله ـ مسرف كذاب » ورقم (٣٩٤٣) كتاب مناقب الأنصار، ٥٢ ـ باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة. ورقم (٤٦٨٠) كتاب تفسير القران، من سورة يونس، ٢ ـ باب ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يُونس: ٩٠] . الآيه. ومسلم في صحيحه [١٣٣ ـ (١١٣٤)] كتاب الصيام ٢٠ ـ باب أي يوم يصام في عاشوراء وأبو داود في سننه (٢٤٤٤) كتاب =

وروينا في صحيح مسلم عنه مرفوعًا: «لئن بقيت إلىٰ قابل لأصومن التاسع»(١).

فصل في استحباب صوم ستة أيام من شوال

روينا في صحيح مسلم من حديث أبي أيوب مرفوعًا: «من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»(٢).

فصل في استحباب صوم الاثنين والخميس

روينا في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة أنه ﷺ سُئل عن صوم الاثنين؟ فقال: «ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت أو أنزل علي فيه»(٣).

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأُحب أن يعرض عملي وأنا صائم»(٤). رواه الترمذي وحسَّنه

ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

وروينا من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يتحرى(٥) صوم الاثنين

= الصوم باب في صوم عاشوراء. وبنحوه في الترمذي في سننه (٧٥٤، ٧٥٥) كتاب الصوم، باب ما جاء عاشوراء أي يوم هو ـ وابن ماجه (١٧٣٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٤ ـ (١١٣٤)] كتاب الصيام، ٢٠ ـ باب أي يوم صيام في عاشوراء وابن ماجه في سننه (١٧٣٦)، وأحمد في مسنده (١ / ٢٢٥، ٣٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٦). قال النووي: ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلىٰ أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم، وممن قال ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وأحمد وإسحاق وخلائق وقال الشافعي وأصحابه به وأحمد وإسحاق وآخرون يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا لأن النبي ﷺ صام العاشر ونوى صيام التاسع.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٤ ـ (١١٦٤)] كتاب الصيام، ٣٩ ـ باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعًا لرمضان. والترمذي في سننه (٧٥٩) كتاب الصوم باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال وابن ماجه في سننه(١٧١٦) كتاب الصيام، ٣٣ ـ باب صيام ستة أيام من شوال والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٦٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢١٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٩٢٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٧ ـ (١١٦٢)] كتاب الصيام، ٣٦ ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفه وعاشوراء والاثنين والخميس.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٧٤٧) كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤، ٣/ ٤٥٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٥٨، ٧ / ٢٠٥، ١٠/ ٣٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٦).

(٥) يتحرى: قال ابن الأثير التحري القصد والاجتهاد في الطلب والعزم علىٰ تخصيص الشيء بالفعل والقول.

والخميس[١]. رواه الترمذي وحسَّنه.

فصل في استحباب صوم ثلاث أيام من كل شهر

والأفضل صومها في أيام البيض وهي الثالث عشر وتالييه.

وقيل: بإسقاط الخامس عشر، وزيادة الثاني عشر والصحيح المشهور هو الأول[٢].

روينا في الصحيح من حديث أبي هريرة قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أُوتر قبل أن أنام»[٣].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت «بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى وأن لا أنام حتىٰ أوتر»[٤]. أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧٤٥) كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس والنسائي (٤/ ٢٠٢) المجتبى) كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ وابن ماجه في سننه (١٧٣٩) كتاب الصيام، ٤٢كتاب الصوم باب صيام الاثنين والخمس والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٦) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧ / ١٢٣)، والترمذي في الشمائل (١٥٧).

(٢) قال القاضي عياض: اختلفوا في تعيين هذه الثلاثة المستحبة من كل شهر، ففسره جماعة من الصحابة والتابعين بأيام البيض وهى الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبو ذر، وبه قال أصحاب الشافعي، واختار النخعي وآخرون آخر الشهر، واختار آخرون ثلاثة من أوله منهم الحسن، واختارت عائشة وآخرون صيام السبت والأحد والاثنين من كل شهر ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من الشهر الذي بعده واختار آخرون الاثنين والخميس. [النووي في شرح مسلم (٨ / ٤١، ٤٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٨١)كتاب الصوم ٦٠ ـ باب صيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ومسلم في صحيحه [٨٥ ـ (٧٢١)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ١٣ ـ باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث علىٰ المحافظة عليها. وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣، ٢٥٨، ٢٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢١٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٦ ـ (٧٢٢)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١٣ ـ باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث علىٰ المحافظة عليها وأبو داود (١٤٣٣) كتاب الصلاة، باب في الوتر قبل النوم. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٩)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٣٦٧). قال النووي: قوله «أوصانى خليلي» لا يخالف قوله ﷺ: لو كنت متخذا من أمتي خليلا لأن الممتنع أن يتخذ النبي ﷺ غيره خليلا ولا يمتنع اتخاد الصحابي وغيره النبي ﷺ خليلا [النووي في شرح مسلم (٥/ ١٨٩) طبعة دار الكتب العلمية].

وروينا في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر، صوم الدهر كله»[١].

وروينا في صحيح مسلم من حديث معاذة العدوية[٢] أنها سألت عائشة زوج النبي ﷺ: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟

قالت: نعم.

فقلت: من أي الشهر كان يصوم؟

قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم[٣].

وروينا من حديث أبي ذر مرفوعًا: إذا صمت من الشهر ثلاثة فصم ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر»[٤].

رواه الترمذي وحسّنه.

وروينا من حديث قتادة بن ملحان[٥] قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٧٩) كتاب الصوم، ٥٩ ـ باب صوم داود عليه السلام ومسلم في صحيحه [١٨١ ـ (١١٥٩)] كتاب الصيام، ٣٥ ـ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٠، ١٢٩) والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٦٢).

(٢) معاذة بنت عبد الله، أم الصهباء العدوية البصرية، ثقة، أخرج لها: أصحاب الكتب الستة ترجمتها: ـتهذيب التهذيب (١٢/ ٤٥٢)، التقريب (٢/ ٦١٤)، أعلام النساء (٥/ ٦٠)، سير الأعلام (٤/ ٥٠٨)، تراجم الأخبار (٣/ ٣٣٥)، أعيان النساء (٥٩٢).

(٣) مسلم في صحيحه [١٩٤ ـ (١١٦٠)] كتاب الصيام، ٣٦ ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، وأبو داود (٢٤٥٣)، والترمذي (٧٦٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٧٦١) كتاب الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر. والنسائي في الصيام، ٨٤ ـ باب ذكر الاختلاف على موسىٰ بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩)، و المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٢٥٨).

(٥) قتادة بن ملحان القيسى الجريرى، السدوسى صحابي له حديث في الأيام البيض، أخرج له: أبو داود والنسائي وابن ماجه وترجمته: تهذيب التهذيب (٨ / ٣٥٧)، تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣)، التاريخ الكبير (٧ / ١٨٥) الجرح والتعديل (٧ / ١٣٢)، والثقات (٣/ ٣٤٥)، أسد الغابة (٤/ ٣٨٩)، الإصابة (٥/ ٤١٦).

(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٢٤٤٩) كتاب الصوم، باب في صوم الثلاث من كل شهر والنسائي (٤/ ٢٢٥ ـ المجتبى)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤).

رواه أبو داود.

وروينا من حديث ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر»[١]. رواه النسائي بإسناد حسن.

فصل في السواك وخصال الفطرة

روينا في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لولا[٢]أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[٣]. أخرجاه.

وللبخاري تعليقًا: مع كل وضوء.

وروينا من حديث حذيفة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»[٤]. أخرجاه.

الشوص: الدلك.

وروينا من حديث عائشة قالت: «كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيسوك ويصلي»[٥]. أخرجه مسلم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٩٨ ـ المجتبى) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٧١)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٨٠).

(٢) فيه دليل على أن السواك ليس بواجب، قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو كان واجبا لأمرهم به شق أو لم يشق، قال جماعات من العلماء من الطوائف فيه دليل على أن الأمر للوجوب وهو مذهب أكثر الفقهاء وجماعات من المتكلمين وأصحاب الأصول قالو أوجه الدلالة أنه مسنون بالاتفاق. وقال: وجماعه أيضًا: فيه دليل على أن المندوب ليس مأمورا به وهذا فيه خلاف لأصحاب الأصول. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨٧) كتاب الجمعة،٨ ـ باب السواك يوم الجمعة ورقم (٧٢٤٠) كتاب التمنى، ٩ ـ باب ما يجوز من اللو. ومسلم في صحيحه [٤٢ ـ (٢٥٢)] كتاب الطهارة، ١٥ ـ باب السواك وأبو داود في سننه (٤٦،٤٧)، والترمذي في سننه (٢٢، ٢٣)، والنسائي (١/ ١٢ ـ المجتبى) وابن ماجه (٢٨٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢١) والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥، ٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٢٨٠)، وابن حبان في صحيحه (١٤٢ ـ الموارد)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢١٠٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٦٨، ١٦٩)، وأبو نعيم في حليه الأولياء (٨/ ٣٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٥) كتاب الوضوء، ٧٧ ـ باب السواك ورقم (٨٨٩) كتاب الجمعة، ٨ ـ باب السواك يوم الجمعة ورقم (١١٣٦) كتاب التهجد، ٩ ـ باب طول القيام في صلاة الليل ومسلم في صحيحه [٤٦ ـ (٢٥٥)] كتاب الطهارة ١٥ ـ باب السواك، أبو داود في سننه (٥٥)، والنسائي (١ / ٨ ، ٣/ ٢١٢ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٨٢، ٣٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١ / ٣٨)،و الزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٤٩).

(٥) السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابا أحدها عند الصلاة=

وروينا من حديث شريح بن هانئ قال: قلت لعائشة بأي شيء يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك[١]. أخرجه مسلم.

وروينا من حديث أبي موسىٰ ﷺ قال: «دخلت علىٰ النبي ﷺ والسواك علىٰ لسانه»[٢]. أخرجاه[٣]. واللفظ لمسلم.

وروينا من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[٤].

أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه بأسانيد صحيحة.

وروينا من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط»[٥]. أخرجاه.

= سواء كان متطهرًا بماء أو بتراب أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا ترابا، الثاني عند الوضوء، الثالث عند قراءة القرآن، والرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس عند تغير الفم. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٣ - (٢٥٣)] كتاب الطهارة، ١٥ - باب السواك. وأحمد في مسنده (٦/ ١٨٨)، وأبو عوانة في مسنده (١ / ١٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٣، ٢٧٦). وقال النووي: فيه بيان فضيلة السواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمام به وتكراره والله أعلم.

(٢) المستحب أن يستاك بعود متوسط لاشديد اليبس يجرح ولا رطب لا يزيل، والمستحب أن يستاك عرضا ولا يستاك طولا لئلا يدمي لحم أسنانه، فإن خالف واستاك طولا حصل السواك مع الكراهة ويستحب أن يمر السواك أيضا علىٰ طرف أسنانه وكراسي أضراسه وسقف حلقه امرارًا لطيفا، ويستحب أن يبدأ في سواكه بالجانب الأيمن من فيه. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٤) كتاب الوضوء، ٧٧ - باب السواك ومسلم في صحيحه [٤٥ - (٢٥٤)] كتاب الطهارة، ١٥ - باب السواك.

(٤) أخرجه النسائي (١ / ١٠ - المجتبى) ماجه (٢٨٩)، وأحمد في مسنده (١ /٣، ١٠، ٦/ ٤٧) وابن خزيمة في صحيحه (١٣٥) والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢١٠، ٢٤٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٢٠)، وابن أبي شيبة (١ / ١٦٩، ١٩٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤٣ - الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١ / ١٦٥)، والسيوطى في الدر المنثور (١/ ١١٣، ١١٤) وابن حجر في تلخيص الحبير (١ / ٣٤، ٦٠)، والزبيدي في الإتحاف ٢/ ٣٥٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨١) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧ / ٩٤، ١٥٩)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٥٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٨٩) كتاب اللباس، ٦٣ - باب قص الشارب ورقم (٥٨٩١) ٦٤ - باب تقليم الأظفار ورقم (٦٢٩٧) كتاب الاستئذان، ٥١ - باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط =

الاستحداد: حلق العانة، وهو حلق الشعر الذي حول الفرج.

وروينا من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قصّ الشارب، وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء[1]».

قال الراوي: ونسيت العاشرة إلاَّ أن تكون المضمضة.

قال وكيع وهو أحد رواته: انتقاص الماء يعني الاستنجاء. أخرجه مسلم[2].

البراجم: بالباء الموحدة، والجيم عقد الأصابع، وإعفاء اللحية معناه لا ينقص منها شيئًا.

وروينا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «أحفوا الشوارب»[3].

ولنذكر من الحكايات ما يليق بذلك:

= ومسلم في صحيحه [٤٩ ـ (٢٥٧)]، ٥٠ ـ كتاب الطهارة، ١٦ ـ باب خصال الفطرة وأبو داود في سننه (٤١٩٨) كتاب الترجل، باب في أخذ الشارب. والنسائي (١ / ١٤ ـ المجتبى) وابن ماجه في سننه (٢٩٢).

(١) أما انتقاص الماء فهو بالقاف والصاد المهملة وقد فسره وكيع في الكتاب بأنه الاستنجاء وقال أبو عبيدة وغيره معناه انتقاص البول بسبب استعمال الماء في غسل مذاكيره، وقيل هو الانتضاح وقد جاء في رواية الانتضاح بدل انتقاص الماء، قال الجمهور: الانتضاح نضح الفرج بماء قليل بعد الوضوء لينفي عنه الوسواس. وقيل: هو الاستنجاء بالماء وذكر ابن الاثير أنه روى انتقاص الماء بالفاء و الصاد المهملة وقال في فصل الفاء قيل الصواب أنه بالفاء قال: والمراد نضحه علىٰ الذكر من قولهم لنضح الدم القليل نقصه وجمعها نقض وهذا الذي نقله شاذ والصواب ما سبق والله أعلم [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢٨) طبعة دار الكتب العلمية]. .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٦ ـ (٢٦١)] كتاب الطهارة، ١٦ ـ باب خصال الفطرة وأبو داود (٥٣) كتاب الطهارة، باب السواك من الفطرة.
والترمذي في سننه (٢٧٥٧) كتاب الأدب، باب ما جاء في تقليم الأظفار والنسائي (٨/ ١٢٦، ١٢٨ ـ المجتبى) في الزينة باب من السنن الفطرة وابن ماجه في سننه (٢٩٣) كتاب الطهارة وسننها، باب الفطرة، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٦، ٥٢، ٥٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٩٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٦٦)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٣٥٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧٩، ٣٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٩٣) كتاب اللباس، ٦٥ ـ باب إعفاء اللحى ومسلم في صحيحه [٥٢ ـ (٣٥٩)] كتاب الطهارة ١٦ ـ باب خصال الفطرة والترمذي (٢٧٦٣) كتاب الأدب، باب ما جاء في إعفاء اللحية وأبو داود (٤١٩٩) كتاب الترجل، باب في أخذ الشارب، والنسائي (١/ ١٦، ٨ / ١٢٩ ـ المجتبى) وابن ماجه (١٨٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦) والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٧)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٨٨).

الأولى: عن الشبلي قال: كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها، وجعلوا يعرضونها علىٰ أميرهم فخرج جراب فيه لوز وسكر، فأكلوا منه ولم يأكل الأمير.

فقلت: لم لا تأكل؟

فقال: إني صائم.

فقلت: تقطع الطريق وتأخذ الأموال، وتقتل الأنفس وأنت صائم.

فقال: يا شيخ اجعل للصلح موضعًا، فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت، وهو محرم كالشَّن البالي.

فقلت له: أنت ذاك الرجل.

قال: نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بيننا.

وأنشد:

خذ من حياتك للممات نصيبًا ... وتيقن السفر البعيد قريبًا

واعمل يوم ترجع الولدان من ... أهواله عند القيامة شيبًا[1]

لو كنت تخشى من أمور قد مضت ... لجعلت يومك للإله رقيبًا

قُم في الدُّجى واضرع إليه لعله ... يعفو وثب مدامعًا ونحيبًا

واشك السقام واقرع بابه أبدًا ... تجده للسقام طبيبًا

الثانية: عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: خرجنا غازين في البحر، فبينما نحن نسير والريح لنا طيبة، والشراع لنا مرفوع إذ سمعنا مناديًا ينادي: يا أهل السفينة قفوا أخبركم حتىٰ (والا سبعة)[2]أصوات.

قال أبو موسى: فقمت علىٰ صدر السفينة.

فقلت: من أنت ومن أين أنت، أو ما ترى أين نحن، وهل نستطيع وقوفًا.

قال: فأجابني الصوت ألا أخبركم بقضاء قضاه الله علىٰ نفسه؟

قلت: بلى أخبرنا.

قال: إن الله تعالىٰ قضى علىٰ نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار، كان حقًا علىٰ الله أن يرويه يوم القيامة.

فكان أبو موسىٰ يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحرّ الذي يكاد الإنسان ينسلخ

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ المزمل (١٧).

(٢) كذا بالأصل.

فيه فيصومه.

قال أبو إدريس: صام أبو موسىٰ حتىٰ عاد كأنه خلال، فقيل له: لو رحمت نفسك؟

فقال: هيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة.

فائدة: قال أبو أمامة الباهلي[(١)]: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله مُرني بعمل آخذه عنك ينفعني الله به.

قال: «عليك بكثرة الصوم فإنه لا مثل له»[(٢)].

فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يوجدون إلاَّ صيامًا.

فإذا رؤي في منزلهم نارًا أو دخانًا نهارًا عرفوا أنه اعتراهم ضيف.

الثالثة: عن عبد الله بن مروان قال: كان الأسود بن يزيد[(٣)] يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتىٰ يضمر جسده.

وكان علقمة يقول له: لِمَ تُعذب هذا الجسد؟ فيقول: إن الأمر جد.

الرابعة: قال: حج الحجاج بن يوسف[(٤)] فنزل في بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغذاء وقال لحاجبه: انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الأمر.

فنظر نحو الجبل، فإذا بأعرابي نائم، فضربه برجله وقال: ائت الأمير.

---

(١) أبو أمامة الباهلي صدي بن عجلان بن وهب، صحابي مشهور سكن الشام ومات فيها، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفى سنة (٨١، ٨٦) انظر التقريب (١/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٢٤٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٠٨)، والشجري في أماليه (١/ ٢٧٧) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ١٠٨).

(٣) الأسود بن يزيد بن قيس، أبو عمرو، أبو عبد الرحمن النخعي الكوفي، ثقة مكثر فقيه، مخضرم أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفي سنة (٧٤) وقيل (٧٥). ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٢)، تقريب التهذيب (١/ ٧٧)، الكاشف (١/ ١٣٢)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٤٤٩)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٦)، الجرح والتعديل (٢/ ٢٩١)، والثقات (٤/ ٣١)، والوافي بالوفيات (٩/ ٢٥٦)، سير الأعلام (٤/ ٢٥٠).

(٤) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفى، أمير العراق، أبو محمد، ولد سنة أربعين أو إحدى وأربعين، روى عن ابن عباس وسمرة بن جندب، وأسماء بنت الصديق وابن عمر وعنه: ثابت البناني وقتيبة بن مسلم، وحميد الطويل ومالك بن دينار، ولي إمرة الحجاز، ثم ولي العراق عشرين سنة، قال النسائي: ليس ثقة ولا مأمون توفي سنة (٩٥). تاريخ الإسلام وفيات (٩١ ـ ١٠٠).

فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يدك واقعد معي.
فقال: إنه دعاني من هو خير منك فأجبته.
قال: ومن هو؟
قال: الله تبارك وتعالى دعاني إلىٰ الصوم فصمت.
قال: في هذا الحرّ الشديد؟
قال: نعم صمت ليوم هو أشد حرًا من هذا اليوم.
قال: فأفطر وصم غدًا.
قال: إن ضمنت لي البقاء إلىٰ غدٍ، فطرت.
قال[1]: ليس ذلك إليَّ.
قال: فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه؟
قال: إنه طعام طيب.
قال: لَمْ تُطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيَّبته العافية.
وفي هذا المعنى قيل:

وما طيب الطباخ عيشًا وإنما ... لعافية طاب الطعام لطاعم
إذا كان بي سقم فلا شيء طيب ... وإن لم يكن طابت جميع المطاعم

(١) قال عمر بن العزيز عن الحجاج: لو تخابثت الأمم، وجئنا بالحجاج لغلبناهم، ما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة، ولي العراق وهو أوفر ما يكون من العمارة، فأخس به حتىٰ صيره أربعين ألف ألف ولقد أدى إلي في عامي هذا ثمانون ألف ألف وزيادة، المرجع السابق.

مجلس في الاعتكاف

روينا في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان»[1].

وروينا فيهما من حديث عائشة: «أنه ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتىٰ توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه بعده»[2].

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام».

فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يومًا»[3].

وقد اعتكف في شوال أيضًا[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢٥) كتاب الاعتكاف، ١ ـ باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها ومسلم في صحيحه [١ ـ (١١٧١)] كتاب الاعتكاف ١ ـ باب اعتكاف الأواخر من رمضان. وأبو داود (٢٤٦٢)، والترمذي (٧٩٠، ٨٠٣) وابن ماجه (١٧٦٩)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٣١٤) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٠١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٧٦٨٢)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف، ١ ـ باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه [٥ ـ (١١٧٢)] كتاب الاعتكاف، ١ ـ باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان. وأبو داود (٢٤٦٢) كتاب الصوم، باب الاعتكاف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٤٤) كتاب الاعتكاف، ١٧ ـ باب الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان ورقم (٤٩٩٨) كتاب فضائل القرآن، ٧ ـ باب كان جبريل يعرض القرآن علىٰ النبي ﷺ.

(٤) روىٰ البخاري في صحيحه (٢٠٤١) كتاب الاعتكاف، ١٤ ـ باب الاعتكاف في شوال، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان، وإذا صلى الغداة دخل مكانه الذي اعتكف فيه، قال فاستأذنته عائشة أن تعتكف فأذن لها فضربت فيه قبة، فسمعت بها حفصة فضربت قبة، وسمعت زينب بها فضربت قبة أخرى، فلما انصرف رسول الله ﷺ من الغد أبصر أربع قباب، فقال: «ما هذا؟ فأخبر خبرهن، فقال: ما حملهن علىٰ هذا؟ آلبر؟ انزعوها فلا أراها»، فنزعت، فلم يعتكف في رمضان حتىٰ اعتكف في آخر العشر من شوال.

مجلس في فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قال تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١).

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب: «ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو يُقسم علىٰ الله لأبره».

ألا أخبركم بأهل النار كل عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُستكبر»(٢).

العُتُلّ: الغليظ الجافي. والجوَّاظ: الجموح المنوع، أو الخصم المختال في مشيته، أو القصير البطين(٣). أقوال.

وفيهما من حديث سهل بن سعد الساعدي: مرّ رجل علىٰ رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟».

فقال: هذا رجل من أشراف الناس، هذا والله حرّي إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشفَّع.

---

(١) سورة الكهف (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩١٨) كتاب تفسير القرآن، ١ ـ باب عتل بعد ذلك زنيم من سورة القلم ورقم (٦٠٧١) كتاب الأدب، ٦١ ـ باب الكبر ورقم (٦٦٥٧) كتاب الأيمان والنذور، باب قوله الله تعالىٰ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ومسلم في صحيحه [٤٧ ـ (٢٨٥٣)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣كتاب الصوم باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. والترمذي في سننه (٢٦٠٥) كتاب صفة جهنم وأحمد في مسنده (٤/ ٣٠٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦١٣، ٢٠٦٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٠٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٢٥).

(٣) كذا ذكره النووي في شرح مسلم وقال أيضا في قوله ﷺ فيما رواه مسلم وسيأتى قريبا «وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم » وفي حديث آخر «أكثر أهل الجنة البُلهُ » قال القاضي معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان الذين لا يفطنون للسنة فيدخل عليهم الفتنة. أو يدخلهم في البدعة أو غيرها فهم ثابتوا الإيمان وصحيحوا العقائد وهم أكثر المؤمنين وهم أكثر أهل الجنة، وأما العارفون والعلماء العاملون والصالحون المتعبدون فهم قليلون وهم أصحاب الدرجات، قال: وقيل معنى الضعفاء هنا وفي الحديث الآخر أهل الجنة كل ضعيف متضعف أنه الخاضع لله تعالىٰ المذل نفسه له سبحانه وتعالى، ضد المتجبر المستكبر. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥٠، ١٥٤) طبعة دار الكتب العلمية].

ثم مرَّ رجل فقال له: «ما رأيك في هذا؟».

فقال: هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب لا يُنكح، وإن شفع لا يُشفع، وإن قال لا يُسمع لقوله. فقال ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من هذا»[(١)].

ولعلي كرم الله وجهه:

دليلك أن الفقر خير من الغنى وأن قليل المال خير من الثرى

لقاؤك عبدًا قد عصى الله بالغنى ولم نلق عبدًا قد عصى الله بالفقر

وفي مسلم[(٢)] من حديث أبي سعيد الخدري قال: «احتجَّت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون.

وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم.

فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء.

وإنك النار عذابي أُعذب بك من أشاء وكليكما عليَّ ملؤها».

وفيهما من حديث أبي هريرة: «أنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يوزن عند الله جناح بعوضة»[(٣)].

فالإكرام والتنعيم الدنيوي ابتلاء من الله لا إكرام ولابد، وأن تقدير الرزق الجاهي والمالي ليس إهانة ولابد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٩١) كتاب النكاح، ١٦ ـ باب الأكفاء في الدين وقوله «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا». وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٢٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٠٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٤٧)، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٢٢٥٧). والزبيدي في الإتحاف (٧/ ١٠٦)، والسيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٦ ـ (٢٨٤٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء. و الترمذي في سننه (٢٥٦١) كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٧٦، ٤٥٠، ٣/ ٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٤، ٥٨٩) والآجري في الشريعة (٣٩١)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٢٩) كتاب تفسير القرآن، من سورة مريم، ٦ ـ باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾ الآية. ومسلم في صحيحه [١٨ ـ (٢٧٨٥)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١/ ٣٧٦)، قال النووي: قوله، وفيه ذم السمن والحبر بفتح الحاء وكسرها، والفتح أفصح وهو العالم، [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٠٧) طبعة دار الكتب العلمية].

تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[(١)].

وفيهما أيضًا من حديثه: «أن امرأة سوداء كانت تقُم المسجد، أو شابًا، فقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها أو عنه فقالوا: مات.

قال: «أفلا كنتم آذنتموني» فكأنهم صغَّروا أمرها أو أمره.

فقال: «دلوني علىٰ قبره» فدلوه، فصلى عليها.

ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة علىٰ أهلها وإن الله تعالىٰ ينورها لهم بصلاتي عليهم»[(٢)]. وفيه الاعتناء بقمَّام المسجد حيث سأل عنه وصلى علىٰ قبره.

وفي مسلم[(٣)] من حديثه: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره».

ففيه الاعتناء بمن هذا حاله حتىٰ يبرّ قسمه لو أقسم.

لا تغترر بالمال والفخار كم أشعث أغبر ذي أطمار

قد صح فيه صادق الأخبار عن النبي السيد المختار

---

(١) سورة سبأ (٣٧).
أي ليست هذه دليلا علىٰ محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم، قال أحمد في مسنده بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم» ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سَبَإ: ٣٧] أي إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٨) كتاب الصلاة، ٧٢ ـ باب كنس المسجد، والتقاط الخرق والعيدان والقذى ورقم (٤٦٠) ٧٤ ـ باب الخدم للمسجد وفي رقم (١٣٣٧) كتاب الجنائز، ٦٦ ـ باب الصلاة علىٰ القبر بعد ما يدفن. ومسلم في صحيحه [٧١ ـ (٩٥٦)] كتاب الجنائز ٢٣ ـ باب الصلاة علىٰ القبر. وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٣٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢٦٦)، والدارقطني في السنن (٢/ ٧٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٨ ـ (٢٦٦٢)] كتاب البر والصلة والآداب، ٤٠ ـ باب فضل الضعفاء والخاملين وفي رقم [٤٨ ـ (٢٨٥٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣ ـ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٢) والزبيدي في الإتحاف (٢٢٥). قال النووي: الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل، ومدفوع بالأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له لو أقسم علىٰ الله لأبره أي لو حلف علىٰ وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالىٰ وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل: معنى القسم هنا الدعاء وإبراره وإجابته والله أعلم [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٤) طبعة دار الكتب العلمية].

مـن دار الـقـسـم وبـرّ الـقـسـم سـعـادة قـد سـبـقـت فـي الـقـدم

مـن رفـع الـمـولـى عـلا قـدره مـاضـي مـا شـأنـه مـن فـقـر

مـن بـعـد مـا شـاع جـمـيـل ذكـره بـيـن الـورى بـجـهـره وسـرّه

وفي الصحيحين عن أسامة ﷺ رفعه: «قمت علىٰ باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلىٰ النار.

وقمت علىٰ باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء»(١).

الجَدّ: بفتح الجيم: الحظ والغنى.

ومحبوسون: لم يؤذن لهم بعد في دخول الجنة. ففيه الاعتناء بالمساكين في الآخرة.

وحديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين: «لم يتكلم في المهد إلاَّ ثلاثة: عيسىٰ ابن مريم، وصاحب جريج، والصبي الذي كان يرضع»(٢).

شاهد لما نحن فيه، فإن فيه اعتناء الرضيع بسؤاله أن يجعله الله مثل المسكين دون ذوي السيادة الخيار(٣).

فإنه لا يرتفع شيء من هذه الدنيا إلاَّ وضعه فالضعيف يتعرض للرحمة، والوجيه متعرض للفتنة، فجزى الله القلة والذِّلة عن أهلها خيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥١٩٦) كتاب النكاح، باب ٨٨ ـ عقب باب ٨٧ ـ باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ورقم (٦٥٤٧) كتاب الرقاق، ٥١ ـ باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه (٩٣ ـ (٢٧٣٦) ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٢٦ ـ باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء. وأحمد في مسنده (٥/٢٠٥)، والشجري في أماليه (٢/ ١٥٩، ٢٠٢)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٧٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٤١)، وابن عبد البر في التمهيد (٣/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ٥٠ ـ باب ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ ومسلم في صحيحه [٨ ـ (٢٥٥٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ٢ ـ باب تقديم بر الوالدين علىٰ التطوع بالصلاة وغيرها وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٥)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٩١، ٩/ ١٧٢).

(٣) وذلك فيما رواه مسلم «وبينا صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب علىٰ دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لاتجعلني مثله ثم أقبل علىٰ ثديه فجعل يرضع قال: فكأني أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها، قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه: اللهم لاتجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها. ثم قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا، فقلت: اللهم لاتجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت اللهم اجعلني مثلها».

وعارف يرفع من الخامل أشد ما يرفع من المشهور ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[(١)].

يكفي شرفًا للفقراء بمدحهم الرب جل جلاله حيث قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[(٢)]

وحيث قال رسوله ﷺ: «اصبروا حتىٰ تلقوني، فإنكم أو زمرة تردون عليَّ»[(٣)].

وقال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام، يأكلون ويشربون ويتمتعون، والأغنياء في كرب الحساب»[(٤)].

هم الفقراء فادر عنهم ذكرا ... وحدث عنهم سرًا وجهرًا
هم الفقراء أهل الله حقًا ... ومنهم تكتسى الأكوان عطرًا
هم الفقراء والسادات حقًا ... وقد حازوا بزمن الفخر فخرًا
هم الفقراء قد صبروا وذلوا ... فعوضهم بذاك الصبر أجرًا
فكم صبروا علىٰ ضيم الليالي ... وكم كابدوا ضيقًا وعسرًا
وقد كسروا النفوس له وذلوا ... فعوضهم بذاك الكسر جبرًا
وقد زاروا الحبيب وشاهدوه ... وقد سجدوا له حمدًا وشكرًا

فصل في توقير العلماء والكبار وأهل الفضل[(٥)]
وتقديمهم علىٰ غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) سورة عبس (٥ ـ ١٠).

(٢) سورة البقرة (٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٩٢، ٣٧٩٣، ٣٧٩٤) كتاب مناقب الأنصار، ٨ ـ باب قول النبي ﷺ للأنصار «اصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض» ورقم (٧٠٥٧) كتاب الفتن، ٢ ـ باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ومسلم في صحيحه [١٣٢ ـ (١٠٥٩)] كتاب الزكاة ٤٦ ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم علىٰ الإسلام ورقم [٤٨ ـ (١٨٤٥)] كتاب الإمارة، ١١ ـ باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٩٧ ـ الموارد).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦، ٤٥١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٤٦)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٢٢٢)، السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢١٢)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٨).

(٥) في الحديث مسلم الأتي «ليلني منكم أولوا الأحلام والنهى» قال النووي في هذا الحديث تقديم =

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله . . . الحديث بطوله[(١)].

وفيه عنه كان ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، لِيَلِني منكم أُولوا الأحلام، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(٢)].

وفيه من حديث ابن مسعود: ليلني منكم أولوا الأحلام، ثم الذين يلونهم ثلاثًا، وإياكم وهيْشَات[(٣)] الأسواق»[(٤)].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن أبي خيثمة في قصة القسامة، فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال: كَبر كَبر أي يتكلم الأكبر»[(٥)].

وفي البخاري من حديث جابر أنه ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ـ يعني في القبر ـ ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن، فإذا أُشير إلىٰ أحدِهما قدَّمه في اللَّحد»[(٦)].

= الأفضل فالأفضل إلىٰ الإمام لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلىٰ استخلاف فيكون هو أولى. ولا يختص هذا بالصلاة بل السنة إن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلىٰ الإمام وكبير المجلس كمجلس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة، والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها ويكون الناس فيها علىٰ مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب والأحاديث متعاضدة علىٰ ذلك. [النووي في شرح مسلم (٤/ ١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩٠ ـ (٦٧٣)]، (٢٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٥٣ ـ باب من أحق بالإمامة. وأبو داود في سننه (٥٨٢)، والنسائي(٢/ ٧٦ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٦٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ٩٠، ١١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٢ ـ (٤٣٢)] كتاب الصلاة، ٢٨ ـ باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٧٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٤٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٢٧)، والشجري في أماليه (١/ ١١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٥١)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٧٣).

(٣) هيشات الأسواق: أي اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٣ ـ (٤٣٢)] كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦ ـ (١٦٦٩)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ١ ـ باب القسامة. وأبو داود (٤٥٢١)، والنسائي (٨/ ٥، ٧/ ١١ ـ المجتبى)، ومالك في الموطأ (٨٧٧، ٨٧٨)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٨١)، وابن الجارود في المنتقى (٧٩٩، ٨٠٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٥٣) كتاب الجنائز، ٧٨ ـ باب اللحد والشق في القبر والنسائي =

وفي مسلم من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال: «أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر.

فقيل لي: كبْر فدفعته إلىٰ الأكبر منهما»[١].

وفي أبي داود من حديث أبي موسى: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقسط»[٢].

وفي أبي داود والترمذي مصححًا من حديث عبد الله بن عمرو: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[٣]. وفي (مسلم)[٤]تعليقًا وأبو داود بسند حسن.

حديث عائشة: «أنزلوا الناس منازلهم»[٥].

وفي الترمذي وقال: غريب من حديث أنس: «ما أكرم شاب شيخًا لِسِنه إلاَّ قيَّض الله له من يُكرمه عند سنِّه»[٦].

= في الجنائز باب: ٦١ ، وابن ماجه (١٥١٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٠، ٣١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٢٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١ / ١١٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٦) كتاب الوضوء، ٧٨ ـ باب دفع السواك إلىٰ الأكبر. ومسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٣٠٠٣)] كتاب الزهد، ١٥ ـ باب مناولة الأكبر ورقم [١٩ ـ (٢٢٧١)] كتاب الرؤيا، ٤ ـ باب رؤيا النبي ﷺ . والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٤٣) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٧٢)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١ / ١١٣)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٤١، ٢٤٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١١٨)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٤٣) كتاب الأدب، باب في الرحمة، والترمذي (١٩٢٠) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٤٢) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٦٥)،وابن كثير في البداية والنهاية (٨ / ٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١ /٥٧).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٢٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير، والشجري في أماليه (٢/ ٢٤٤) و العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٩٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٢، ١٥، ٢٣)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٥٦)، والقرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٤١).

فصل في صحبة أهل الخير

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية[(١)].

«وكان ﷺ يزور أم أيمن، وكذا أبو بكر وعمر بعده». كما أخرجه مسلم[(٢)] من حديث أنس.

وفيه من حديث أبي هريرة: «أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله علىٰ مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟

قال: أخًا لي في هذه القرية.

قال: هل له عليك من نعمة تَرُبُّها؟

قال: لا، غير أني أُحبه في الله.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»[(٣)].

وفي الترمذي محسنًا من حديثه: «من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناداه منادٍ أن طبْتَ وطاب ممشاك، وتبوَّأت من الجنة منزلاً»[(٤)].

وفي الصحيحين من حديث لأبي موسى: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحزيكَ وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة»[(٥)].

---

(١) سورة الكهف (٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٣ ـ (٢٤٥٤)] كتاب فضائل الصحابة، ١٨ ـ باب من فضائل أم أيمن وقال النووي: فيه زيارة الصالحين وفضلها وزيارة الصالح لمن هو دونه وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل وُدِّ صَدِيقه وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها واستصحاب العالم والكبير صاحبا له في الزيارة والعيادة ونحوهما والبكاء حزنا علىٰ فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا إلىٰ أفضل مما كانوا عليه والله أعلم.
[النووي في شرح مسلم (١٦/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٨ ـ (٢٥٦٧)] كتاب البر والصلة والآداب، ١٢ ـ باب في فضل الحب في الله. وأحمد في مسنده (٢/ ٤٦٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٠٠٧)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٦)، والشجري في أماليه (٢/ ١٣٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٤٠٠، ١١/ ٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٠٨) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦٤) والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٦، ٢٩٦) والشجري في أماليه (٢/ ٢٨٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٥٧). وذكره الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٠٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٣٤) كتاب الذبائح والصيد والتسمية علىٰ الصيد، ٣١ ـ باب =

تجنب قرين السوء واصرم جماله فإن لم تجد منه محيصًا فداره
وأحبب حبيب الصدق واترك مُراه تنل منه صفو الود ما لم تُماره
ولله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره

وفيهما من حديث أبي هريرة: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسنها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

وفي البخاري: من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[2].

وفي أبي داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري: «لا تصحب إلاَّ مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»[3].

وفيهما محسنًا من حديث أبي هريرة: «الرجل علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[4].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى: «المرء مع من أحب»[5].

= المسك. ومسلم في صحيحه [١٤٦ ـ (٢٦٢٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ٤٥ ـ باب استحباب مجالسة الصالحين و مجانبة قرناء السوء قال النووي: فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر من فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٦، ١٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه البخاري في صحيحة (٥٠٩٠) كتاب النكاح، ١٦ ـ باب الأكفاء في الدين وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤] . ومسلم في صحيحه [٥٣ ـ (١٤٦٦)] كتاب الرضاع، ١٥ ـ باب استحباب نكاح ذات الدين، باب ما جاء أن المرأة تنكح علىٰ ثلاث خصال. والبيهقي في السنن الكبرى (٧٩/٧)، والزبيدي في الإتحاف (٥ / ٣٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠٨٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ٣٨٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٣١) كتاب تفسير القرآن، من سورة مريم، ٢ ـ باب قوله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] والترمذي في سننه (٣١٥٨) كتاب تفسير القرآن، من سورة مريم. وأحمد في مسنده (١ /٣٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١١)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٨)، والقرطبي في تفسيره (١١/ ١٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٣٢) كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي (٢٣٧٨) كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن. وأحمد في مسنده (٣٨/٣) والدارمي في سننه (٢/ ١٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٤٨٣٣) كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس والترمذي في سننه (٢٣٧٨) كتاب الزهد.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٧٠) كتاب الأدب، ٩٦ باب علامة حب الله عز وجل، ومسلم =

وفي رواية لهما: قيل يا رسول اله الرجل يحب القوم ولَما يلحق بهم.

قال: «لمرء مع من أحب»[١].

ولهما من حديث ابن مسعود مثله: ما أعددت لها؟

قال: حُب الله ورسوله.

قال: «أنت مع من أحببت»[٢].

وفي رواية لهما: ما أعددت من كثرة صوم ولا صلاة ولا صدقة، ولكن حُب الله ورسوله»[٣].

وفي مسلم[٤] من حديث أبي هريرة: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا.

والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[٥].

= في صحيحه [٦٥ . (٢٦٤٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ٥٠ ـ باب المرء مع من أحب، وأبو داود في سننه (٥١٢٧) كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه.
والترمذي في سننه (٢٣٨٦) كتاب الزهد باب ما جاء أن المرء مع من أحب. وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٢) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦، ٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١١٢) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٥٨، ٢/ ١٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٨٦).

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩) كتاب الأدب، ٩٦. باب علامة حب الله عز وجل. ومسلم انظر ما تقدم قبل هذا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٦٧) كتاب الأدب، ٩٥ـ باب ما جاء في قول الرجل ويلك. ومسلم في صحيحه [١٦١ ـ (٢٦٣٩)] كتاب البر والصلة والآداب، ٥٠ باب المرء مع من أحب. وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٤، ١١٠، ١٦٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٦٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٣١٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٠٤)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٧٢، ٩/ ٥٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٧١) كتاب الأدب، ٩٦. باب علامة حب الله عز وجل، ومسلم في صحيحه [١٦٤ ـ (٢٦٩٣)] كتاب البر والصلة والآداب، ٥٠ ـ باب المرء مع من أحب. والترمذي (٢٣٨٥) كتاب الزهد، باب ما جاء أن المرء مع من أحب.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٦٠ . (٢٦٣٨)] كتاب البر والصلة والآداب، ٤٩ ـ باب الأرواح جنود مجندة. وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (١/ ٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٩).

(٥) قال النووي: قال العلماء: معناه جموع مجتمعة أو أنواع، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه.
وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شبهها، وقيل: لأنها خلقت مجتمعة =

وللبخاري هذا الأخير من حديث عائشة.

وفي صحيح مسلم من حديث أسيد بن عمرو[١]، في قصة أويس، وطلب الاستغفار منه، وأنه خير التابعين[٢].

فصل في فضائلهم

قال تعالىٰ: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣] الآية.

وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾[٤] الآية.

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[٥] الآية.

وقال: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾[٦] الآية.

وقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ﴾[٧] الآية.

= ثم فرقت في أجساده فمن وافق بشيمه ألفه ومن باعده نافره وخالفه.
وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه فيميل الأخيار إلىٰ الأخيار والأشرار إلىٰ الأشرار، والله أعلم. النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٥٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أسيد بن عمرو، أو ابن جابر، أبو الخبار الكندي الكوفي، أخرج له: البخاري ومسلم وأبو داود في القدر والنسائي وهو ثقة. انظر التقريب (١/ ٧٨)، التهذيب (١/ ٣٤٩).

(٢) الحديث بطوله أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٣ . (٢٥٤٢)] كتاب فضائل الصحابه، ٥٥ . باب من فضائل أويس القرني ﷺ وقال النووي: فيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم. وقوله ﷺ «إن خير التابعين رجل يقال له أويس» إلىٰ آخره. هذا صريح في أنه خير التابعين وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب أن مرادهم أن سعيدا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالىٰ، وفي هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضا [شرح مسلم للنووي (١٦/ ٧٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة النساء(٦٩).

(٤) سورة يونس (٦٢) .
يخبر تعالىٰ أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [يونس: ٦٢] أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ علىٰ ما وراءهم في الدنيا وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف: أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٢).

(٥) سورة فصلت (٣٠)، الأحقاف (١٣).

(٦) سورة آل عمران (١١٣).

(٧) سورة الأحزاب (٢٣).

وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1] الآية.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2].

وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3].

وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[4] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[5] الآية.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله تعالىٰ[6]: من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطينه ولئن استعاذني لأُعيذنه»[7].

وفيه أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟

قال: «مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله». قال: ثم من؟

قال: «رجل معتزل في شِعب من الشِعاب يعبد ربه»[8].

---

(١) سورة الحجر (٤٢).

(٢) سورة العنكبوت (٦٩).
يعني الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة [تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٦)].

(٣) سورة المائدة (٥٤).

(٤) سورة الكهف (٢٨).

(٥) سورة البقرة (٢٧٣).

(٦) هذا من الأحاديث القدسية وهي من الله سبحانه وتعالى، تلقاها النبي ﷺ بالإلهام أو بالمنام دون واسطة جبريل واللفظ من عند النبي ﷺ والمعنى من عند الله، وهو خلاف القرآن، فالقرآن بلفظه تلقاه النبي من أمين الوحي جبريل من قبل الله تعالىٰ بترتيبه الذي عليه مما راجعه عليه جبريل قبل موته ﷺ والحديث القدسي أضافه النبي ﷺ إلىٰ رب العزة جل وعلا، ورواه عنه والحديث النبوي ما رواه النبي ﷺ ولم يضفه إلىٰ الله تعالىٰ ولم يروه عنه.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، ٣٨ ـ باب التواضع. وابن ماجه في سننه (٣٩٨٩) كتاب الفتن، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٨). قال ابن حجر في الفتح: المراد بولي الله: العالم بالله تعالىٰ المواظب علىٰ طاعته المخلص في عبادته.

(٨) انظر الحديث تقدم من قبل برواياته في الصحيحين. وقال النووي: فيه دليل لمن قال تفضيل =

وفي رواية لهما: «يتقي الله ويدع الناس من شره»

أخص الناس بالإيمان عبد خفيف الحاد مسكنه القفار
له في الليل حظ من صلاة ومن صوم إذا طلع النهار
وقل الباكيات عليه لما قضى نحبًا وليس له يسار
فذلك قد نجا من كل شدة ولم تمسه يوم البعث نار

وفي البخاري من حديث ابن عمر: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي وقال: «كن في الدنيا غريب أو عابر سبيل»[1].

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

يا فرقة الأحباب لا بد لي منك ويا دار دنيا إنني راحل عنك
ويا قصر الأيام ما لي وللنسا ويا سكرات الموت ما لي وللضحك
وما لي لا أبكي لنفسي بعبرة إذا كنت لا أبكي لنفسي فمن يبك
ألا أي حي ليس بالموت موقنًا وأي يقين منه أشبه بالشك

وصحح الترمذي من حديث أبي هريرة: «إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»[2].

= العزلة على الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص. (شرح مسلم للنووي (١٣/ ٣٠، ٣١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٦) كتاب الرقاق، ٣ ـ باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» والترمذي في سننه (٢٣٣٣) كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل. وابن ماجه في سننه (٤١١٤) كتاب الزهد، باب مثل الدنيا. والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٢٣٦، ٤٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩٩، ٤١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٢) والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٣٠)، والشجري في أماليه (٢/ ١٩٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٣)، (٢٣٥٤) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم. والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، ٦ ـ باب منزلة الفقراء، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٣، ٥١٣) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ١٢١، ٨/ ١٢٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٦٣، ٤٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٤٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩١، ٨/ ٣٠٨)، والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٦).

وقائلة ما المجد للمرء والفخر ... فقلت لها شيء ليس العلا مهر
فأما بنو الدنيا ففخرهم الغنى ... كرم قصير في غد بئس الزهر
وأما بنو الأخرى ففي الرب فخرهم ... نضارته تزداد ما بقي الدهر

وقصة ثعلبة بن حاطب[1] في سبب نزول قوله تعالىٰ:
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾[2] الآية مشهورة[3] وفي التواليف والتفاسير مسطورة.

فصل

صح من حديث معاذ قال: «قال الله تعالىٰ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

رواه الترمذي[4] وقال: حسن صحيح.

وللموطأ: «وجبت محبتي في المتجالسين فيَّ وللمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ»[5].

تعاشر قوم في المعاصي فحالهم ... غدًا للتبري والندامة عقبًا
فأين هم من فتية قد تحاببوا ... على طاعة المولى وفي حبه تاهوا
هنيئًا لهم في الله حبهم لقد ... كفى شرفًا من أن يحبهم الله

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «سبعة يُظلهم الله في ظِلّه يوم لا ظل إلاَّ

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير بسنده عن أبي أمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب أنه قال لرسول الله ﷺ «ادع الله أن يرزقني مالاً »، قال: فقال رسول الله ﷺ «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ». . . . . إلىٰ آخره وفيه: «وأنزل فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين علىٰ الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان إلىٰ أن قال: «فأنزل الله ﷻ » ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [التوبَة: ٧٥] الآيه. . . . . . الحديث بطوله تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨١، ٣٨٢).

(٢) سورة التوبة (٧٥).

(٣) الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١)، الشجري في أماليه (١/ ١٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٦٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/٢٦٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه والترمذي في سننه (٢٣٩٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣٩)،والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٣١).

(٥) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٦/ ١٧٥، ٥/ ٢٤٧، ٥/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم في العلل (١٨٣٠) وأحمد في مسنده (٥/٢٤٧)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧/ ٢٠٨).

ظله[١]، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابًا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما قدمت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[٢].

وقد جمعهم بعض الحفاظ في بيت:

وقال النبي المصطفى أن جمعتهُ ... يظلهم الله العظيم بظله

محبٌ عفيف ناشئ متصدق ... وذاك مصل والإمام العادل

فصل

وورد من حديث البراء بن عازب مرفوعًا: «إن لله تعالىٰ خوَّاص يسكنهم الرفيع من الجنان، كانوا أعقل الناس». قالوا: يا رسول الله وكيف كانوا كذلك؟

قال: «همتهم المسابقة إلىٰ ربهم والمسارعة إلىٰ ما يرضيه، وزهدوا في الدنيا، وفضولها ورياستها ونعيمها، فصبروا قليلاً، واستراحوا طويلاً»[٣].

وعن أنس رفعه: «بدلاء أمتي أربعون رجلاً، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية

---

(١) قال القاضي: إضافة الظل إلىٰ الله تعالىٰ إضافة ملك وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه والمراد هنا ظل العرش كما جاء في حديث آخر مبينا والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين ودنت منهم الشمس واشتد عليهم حرها وأخذهم العرق ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش، وقد يراد به هنا ظل الجنة وهو نعيمها والكون فيها كما قال تعالىٰ ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾. وقال القاضي: قال ابن دينار: المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف من المكاره في ذلك الموقف قال: وليس المراد ظل الشمس، قال القاضي: وما قاله معلوم في اللسان يقال: فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته [شرح مسلم للنووي (٧/ ١٠٧، ١٠٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٠) كتاب الأذان، ٣٦ ـ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد. ورقم (١٤٢٣) كتاب الزكاة، ١٨ ـ باب الصدقة باليمين، ورقم (٦٤٧٩) كتاب الرقاق، ٢٤ ـ باب البكاء من خشية الله ورقم (٦٨٠٦) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، ٥ ـ باب فضل من ترك الفواحش ومسلم في صحيحه [٩١ ـ (١٠٣١)] كتاب الزكاة ٣٠ ـ باب فضل إخفاء الصدقة. والترمذي في سننه (٢٣٩١) كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله. والنسائي (٨/ ٢٢٢ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧)، وابن حجر في التلخيص (٣/ ١١٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٢٩٩)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢١٦).

عشر بالعراق، كلما مات واحدًا بدَّل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قُبضوا»(١).

وعن ابن مسعود رفعه(٢): «إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم علىٰ قلب آدم، وأربعون قلوبهم علىٰ قلب موسى، وسبعة علىٰ قلب إبراهيم، وخمسة علىٰ قلب جبريل، وثلاثة علىٰ قلب ميكائيل، وله واحد قلبه علىٰ قلب إسرافيل، فإذا مات واحد أبدل الله مكانه من الثلاثة(٣).

وإذا مات من الثلاثة أبدل مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين.

وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة.

يرفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة»(٤).

وعن عبد الله بن عمر مرفوعًا: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟(٥) قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تُسد بهم الثغور، وتُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء.

قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٣٣٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٦١).

(٢) أخرجه الذهبي في الميزان (٥٥٤٩) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٥٠) وابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٣٤٩).

(٣) قال الإمام الشوكاني: اعلم إن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز علىٰ سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عالية، فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله. ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره، بل الواجب أن يعرض أقواله، وأفعاله علىٰ الكتاب والسنة فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه. [انظر قطر الولي علىٰ حديث الولي صـ ٣٥ ـ ٣٧ من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) تقدم تخريجه في أوله فانظره.

(٥) روى مسلم في صحيحه [١٤ ـ (٢٨٣٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٦ ـ باب أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم، عن أبي هريرة «أن أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر والتي تليها علىٰ أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب وقد روى الترمذي وتقدم قريبا «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة».

صبرتم فنعم عقبى الدار» . رواه ابن حبان[١] في صحيحه .

وعن أنس بعث الفقراء إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إن الفقراء[٢] يقولون لك إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله .

وفي لفظ : ذهبوا بالجنة هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ويعتقون، ولا نقدر عليه .

وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذُخرًا لهم .

فقال ﷺ : «بلِّغ الفقراء عني أن لمن صبر واحتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء :

أما الأولى : فإن في الجنة غُرفًا من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلىٰ النجوم لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير .

والثانية : يدخل الفقراء الجنة قبلهم بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام[٣] .

والثالثة : إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر مخلصًا[٤] وقال الغني مثل ذلك، لم يلحق الغني الفقير في فضله، فتضاعف الثواب، وإن أنفق الغني منها عشرة الآف درهم . وكذلك أعمال البر كلها» .

فرجع الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا : رضينا يا ربنا رضينا .

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٥٦٥ ـ الموارد)، وأحمد في مسنده ((٢/ ١٦٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٩٨٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٨)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٧٣).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٥٣ ـ (١٠٠٦)] كتاب الزكاة، ١٦ ـ باب بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، عن أبي ذر أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة . .» الحديث بطوله فانظره وقال النووي : في هذا الحديث فضيلة التسبيح وسائر الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النية في المباحات وذكر العالم دليلا لبعض المسائل التي تخفى.

(٣) أخرجه والترمذي في سننه (٢٣٥٣) وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٥١٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٩١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٢٢٢، ٩/ ٢٨٧)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٣٦٣).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٨٧).

وعن عبد الله بن مغفل قال:[١]قال رجل يا رسول الله والله إني لأُحبك.

فقال: «انظر ما تقول؟»

قال: والله إني أُحبك ثلاث مرات.

قال: «إن كنت تحبني فاتخذ للفقر تجفافًا[٢]، فإن الفقر أسرع إلىٰ من يحبني من السيل إلىٰ منتهاه» حسَّنه الترمذي.

التجفاف: شيء تلبسه الفرس تتقي به الأذى.

وعن الحسن البصري أنه روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:[٣] «أكثروا من معرفة الفقراء، واتخذوا عندهم الأيادي، فإن لهم دولة».

قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟

قال: «إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا إلىٰ من أطعمكم كسرة أو كساكم ثوبًا، أو سقاكم شربة في الدنيا، فخذوا بيده، ثم امضوا به إلىٰ الجنة»[٤].

وعن الحسن أيضًا رفعه:[٥] «يؤتى بالفقير يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلىٰ الرجل في الدنيا. ويقول: وعزتي وجلالي ما زويتها عنك لهوانك عليَّ، ولكن ما أعددت لك من الكرامة والفضيلة.

أُخرج يا عبدي إلىٰ هذه الصفوف فانظر إلىٰ من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخُذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق[٦]فيتخلل الصفوف وينظر

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٥٠) كتاب الزهد، باب ما جاء في فضل الفقر وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٣٥٧). والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٦٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٥٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٦٣)، والشجري في أماليه (١/ ٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٠٢)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ١٧١)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥٣).

(٢) تجفافا: أي استعد له.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٧٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ١٩٢). وقال ابن حجر في التقريب (١/ ١٦٥): عن الحسن البصري أنه كان يرسل كثيرا ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول حدثنا وخطبنا، ويعني قومه الذين حدثوا أو خطبوا بالبصرة.

(٤) ورواه أيضا: ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٢٥)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٨٩١٥)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣١٠).

(٥) أخرجه ـ الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٧٨).

(٦) روى مسلم في صحيحه [٦٢ ـ (٢٨٦٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٥ ـ باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله علىٰ أهوالها عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنى =

من فعل به ذلك في الدنيا، فيأخذ بيده ويدخله الجنة.

ويروى أن الله تعالىٰ أوحى إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام: يا موسىٰ إن من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته، ولو سألني علاقة سوط من الدنيا لم أُعطه[(١)].

وليس ذلك من هوان له، ولكني أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي[(٢)]، وأخرجه من الدنيا كما يجيء الراعي غنمة من مراعي السوء.

ومن حديثه قال: ما من يوم أقر لعيني ولا أحب لنفسي من يوم آتي أهلي، فلا أجد عندهم طعامًا فيقولون: ما نقدر علىٰ قليل ولا كثير، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالىٰ أشد حميَّة للمؤمن من الدنيا من المريض أهله الطعام والشراب.

والله تعالىٰ أشد تعاهدًا للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير»[(٣)].

وعن ابن عمر مرفوعًا: [(٤)]«لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حُب المساكين، والفقراء الصُبُر جلساء الله يوم القيامة».

وورد بإسناد صححه الحاكم: «اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في

= الشمس يوم القيامة، من الخلق، حتىٰ تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعنى بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: «فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما».

(١) قال تعالىٰ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]. وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: ٥٢].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٨٢٤)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر» وروي أيضا في رقم [٢٢ ـ (٢٨٣٧)] عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: موسى «ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسئموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا» فذلك قوله ﷻ ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حليه الأولياء (١/ ٢٧٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٥)، والكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢/٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٨٠).

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٢٨٣) والسيوطي في اللآلي المصنوعة (٢/ ١٧٤).

زمرة المساكين»[١].

وقد ورد أن الله تعالىٰ عرض عليه مفاتيح كنوز الأرض وخيره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاستشار جبريل، فأشار عليه أن تواضع، فقال بل نبيًا عبدًا، أجوع يومًا، وأشبع يومًا، فإذا جعت دعوت الله، وإذا شبعت شكرت الله».

فقصد أن يكون شُغله بالله في حالتي الشدَّة والرخاء والنعمة والبلاء.

وقد صح من حديث شداد بن أوس[٢]: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى علىٰ الله»[٣]. أخرجه الترمذي وحسنه.

وروى من حديث زيد بن أسلم مرفوعًا: «إذا أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وأخرج آخر درهمًا من درهمين لا يملك غيرهما طيبة نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف».

ويشهد له قوله ﷺ: «سبق درهم مائة ألف»[٤].

---

(١) أخرجه والترمذي في سننه (٢٣٥٢) كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم. وابن ماجه في سننه (٤١٢٦) كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٢)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٢)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٢٨٩، ٨/ ١٥٢، ٩/ ٢٧٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٤٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٠٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٩٤، ٦/ ٧٥)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٦٩) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٧٤).

(٢) شداد بن أوس بن ثابت، أبو يعلى، ويقال أبو عبد الرحمن، الأنصاري، البخاري ابن أخي حسان بن ثابت، صحابي مات بالشام، أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة (٥٨، ٦٤) ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٤٧)، وتاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٢٤)، والجرح والتعديل (٤/ ١٤٣٤) الثقات (٣/ ١٨٥)، أسد الغابة (٢/ ٥٤٧) الإصابة (٣/ ٣١٩)، سير الأعلام (٢/ ٤٦٠)، الوافي بالوفيات (١٦/ ١٢٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٢٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٥٩) كتاب صفه القيامة والرقائق والورع وابن ماجه في سننه (٤٢٦٠) كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٦٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٣٨، ٣٤١)، وفي الصغير (٢/ ٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٦٧، ٨/ ١٧٤)، وابن المبارك في الزهد (٥٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٦) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٨٩).

(٤) أخرجه النسائي (٥/ ٥٩ ـ المجتبى.) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨١) والحاكم في المستدرك (١/ ٤١٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/ ١٢٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٥٣١).

أخرجه النسائي.

ويقويه قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[١].

وقوله ﷺ: «أفضل الصدقة جهد البلاء»[٢].

لئن كان للأموال فخر علىٰ الثرى | فللفقر فخر بالثريا معلق
وإن أنفق النُّفاق ألف عديدة | فدرهم أهل الفقر يا صاح يسبق

وعن الضحاك[٣]: «من مرَّ في السوق فرأى شيئًا يشتهيه ولا يقدر عليه فصبر واحتسب كان خيرًا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله».

وعن أبي الدرة: «أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ولهم فضول يحاسبون عليها، ونحن بُرآء منها».

وعن عبد الله بن عمر قال[٤]: يجمع الله الخلق يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها فيتراؤون فيقال: ما عندكم؟

فيقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا، وأنت أعلم، ووليت الأموال والسلطان غيرنا، قال: فيقال: صدقتم.

فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان ويبقى شدَّة الحساب علىٰ ذوي الأموال.

وعن أبي سليمان الداراني[٥] قال: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل

---

(١) سورة التوبة (٧٩).

(٢) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٤/ ١١) والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٩٣٨)، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٤١٤)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٩٦)، والحميدي في مسنده (١٢٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٣) وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٦٩).

(٣) الضحاك بن مزاحم، أبو القاسم، أبو محمد الهلالي الخراساني، البلخي، صاحب التفسير، صدوق كثير الإرسال، أخرج له: أصحاب السنن الأربعة توفي سنة (١٠٥، ١٠٦). ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٧٣) تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٣٣٢)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٢٤٣، ٢٤٤)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٢٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٥)، سير الأعلام (٤/ ٥٩٨)، الوافي بالوفيات (١٦/ ٣٥٩)، الثقات (٦/ ٤٨٠).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣، ٣٩٩)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٥٥٨، ٤٧٢)، حلية الأولياء لابي نعيم (٢/ ٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠، ٥٢، ٥٣)، والقرطبي في تفسيره (١٥/ ٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٧، ٣٧٥).

(٥) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد وقيل عبد الرحمن بن عطية، وقيل ابن عسكر، وقيل: ابن أحمد بن عطية السيد القدوة. روىٰ عن: سفيان الثوري، وأبي الأشهب، وعبد الواحد بن زيد، وعلقمة بن سويد، وعلي بن الحسن الزاهد، وصالح بن عبد الجليل. قال الجنيد: وقال =

من عبادة غني ألفي عام.

وعن ابن وهب قال: درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الغني.

وعن بعض السادة أنه جاءه إنسان فقال: ادع الله لي فقد أضر بي العيال.

فقال له الشيخ: إذا قال لك عيالك: ما عندنا دقيق ولا خبز، فادع الله فإن دعاءك في تلك الساعة أرجى من دعائي لك[١].

وعن بعضهم أنه قال له أولاده ما عندنا عشاء فقالوا: نحن أهون علىٰ الله من أن يجوعنا، إنما يجوع أحبابه ـ أو قال أولياؤه.

وعن الأرقم[٢] قال: رأيت عليًا وهو يبيع سيفًا له بالسوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف. فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ.

ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته.

وعن سلمان الفارسي أنه قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم دواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه، فلا يزال يمنعه حتىٰ يبرأ.

فكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة من العيش فيمنعه الله إياه، حتىٰ يتوفاه، فيدخله الجنة.

وعن الإمام أحمد أنه سُئل عن استعاذة[٣] رسول الله ﷺ من الفقر، وقد أخبر

= أبو سليمان: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس. وقال: لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء ولكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن وقال: لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا. توفي سنة (٢١٥). تاريخ الإسلام وفيات (٢١١ ـ ٢٢٠).

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] روى ابن أبي حاتم بسنده عن معاوية بن حيدة أن أعرابيا قال يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبي ﷺ فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني أستجيب، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٨).

(٢) الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي الذي استخفى رسول الله ﷺ في داره المعروفة بدار الخيزران عند الصفا، أبو عبد الله، نفله النبي ﷺ يوم بدر سيفا، واستعمله علىٰ الصدقات عاش الأرقم بضعا وثمانين سنة ومات بالمدينة وصلى عليه سعد بن أبي وقاص بوصيته وبقي ابنه عبد الله إلىٰ حدود المائة. وروى وأحمد في مسنده من حديث هشام بن زياد عن عثمان بن الأرقم عن أبيه، في ذم تخطي الرقاب يوم الجمعة رفع الحديث. توفي سنه (٥٣) وله (٨٣) سنة تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٥١ ـ ٦٠).

(٣) حديث «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أُظلم » أخرجه أبو داود في سننه (١٥٤٤)، والنسائي (٨/ ٢٦١ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٣٨٤٢)، والحاكم في =

بما فيه من الثواب؟

فقال: إنما معناه فقر القلب، ولا فقر اليد.

وعن الجنيد[(١)] أنه جاءه شخص بخمسمائة دينار فوضعها بين يديه وقال: فرِّقها علىٰ هؤلاء الجماعة. فقال: ألك غيرها؟

قال: نعم لي دنانير كثيرة.

قال: أتريد زيادة علىٰ ما تملك؟

قال: نعم.

قال: خذها فإنك أحوج إليها منا، ولم يقبلها[(٢)].

لكسرةٍ من جريش الخبز تُشبعني ... وشربة من قراح الماء ترويني

وخرقة من حرس السور تكفيني ... حيًا فإن مت تكفيني لتكفيني

وعن إبراهيم بن أدهم[(٣)] أنه جاءه رجل بعشرة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها

= المستدرك (١/ ٥٤٠)، وأحمد في مسنده ((٢/ ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٤٣ ـ الموارد) والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٥٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٢٥٧)، والزبيدي في الإتحاف (٤/ ٣٥٠، ٩/ ٢٧١).

(١) الجنيد بن محمد الزجاج كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري أصله من نهاوند مولده ومنشؤه بالعراق وكان فقيها يفتي الناس علىٰ مذهب أبي ثور صاحب الإمام الشافعي وراوي مذهبه القديم. صحب خاله السرى السقطى والحارث المحاسبي ومحمد بن علىٰ القصاب وكان من كبار القوم وساداتهم وكلامه مقبول علىٰ جميع الألسنة وكان يقول إذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه انظر الطبقات الكبري للشعرانى (١/ ٧٢).

(٢) ذكرها في الطبقات الكبرى وقال الذهبي: قال الجنيد: كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال: ياغلام ما الشكر، فقال: أن لايعص الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أذكر علىٰ هذه الكلمة التي قالها لي. وعن الجنيد قال: أعلى درجه الكبر أن ترى نفسك وأدناها أن تخطر ببالك، يعني نفسك. تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠).

(٣) إبراهيم بن أدهم بن منصور، كان من كورة بلخ من أولاد الملوك، ومن كلامه: من علامة العارف بالله أن يكون أكبر همه الخير والعبادة وأكثر كلامه الثناء والمدحة. كان يقول في تفسير قوله تعالىٰ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [القَصَص: ٨٣] من حب العلو أن تستحسن شسع نعلك علىٰ شسع نعل أخيك، وكان رحمه الله إذا لم يجد الطعام الحلال يأكل التراب ومكث شهرا يأكل الطين، وكان يقلل الطعام والأكل ما استطاع. وكتب إليه الأوزاعي رحمه الله إنى أريد ان أصحبك يا إبراهيم فكتب إليه إبراهيم إن الطير إذا طار مع غير شكله طار الطير وتركه والله أعلم. انظر الطبقات الكبرى (١/ ٥٩).

وقال: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بذلك.

لا أفعل ذلك.

ولست بمال إلىٰ جانب الغنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وعنه أيضًا طلب أبناء الدنيا الراحة في الدنيا فأُعطوا ولو علموا أن الملك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف.

وعن ذي النون[1] قال: الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين.

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال لرجل: أتحب أن تكون وليًا؟

قال: نعم، قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرغ نفسك لله، وأقبل بوجهك عليه، ليقبل عليك ويواليك.

وقد صح: ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما بين أيدي الناس يحبك الناس»[2].

وعن أبي يزيد البسطامي أنه قال: إن لله عبادًا لو حجبهم في الجنة من رؤيته لاستغاثوا من الجنة، كما يستغيث أهل النار من النار.

قلت: وسيدنا عليه أفضل الصلاة والسلام قد جمع له بين الحالين: الفقر والغنى، وهو سيد الزهاد.

وجمع الصحابة المال كعبد الرحمن بن عوف[3] ليس للمباهاة كما نبه عليه

---

(١) اسمه ثوبان بن إبراهيم، وكان أبوه نوبيا وكان رجلا نحيفا تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية ومن كلامه: إياك أن تكون للمعرفة مدعيًا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متعلقا وفر من كل شيء إلىٰ ربك، وتذاكر الفقراء عنده يوما في المحبة فقال لهم كفوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها، وكان يقول من القلوب: قلب يستغفر قبل أن يذنب فيثاب قبل أن يطيع. توفي سنه (٢٤٥) انظر الطبقات الكبرى (١/ ٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٤١٠٢) كتاب الزهد، ١ ـ باب الزهد في الدنيا وقال في الزوائد: في إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق علىٰ ضعفه، واتهم بالوضع، وأورد له العقيلي هذا الحديث وقال: ليس له أصل من حديث الثوري، لكن قال النووي عقب هذا الحديث رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة وأخرجه أيضا: والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣) والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٨٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٦)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٣٠٩).

(٣) قال عنه الذهبي: كان تاجرا سعيدا فتح عليه في التجارة وتمول، حتىٰ باع مرة أرضا بأربعين ألف دينار فتصدق بها وحمل علىٰ خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم علىٰ خمسمائة راحلة. تاريخ الإسلام وفيات (٣١ ـ ٤٠).

الحارث المحاسبي[١] السيد، وبسَّطه.

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

فتقوى الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للأتقى مزيد

فصل

وقد كان سفيان الثوري يزور رابعة العدوية[٢] ويتأدب معها.

وكان الإمام أحمد عند الشافعي، وجاء شيبان الراعي، فقال الإمام أحمد أُريد أن أنبه هذا علىٰ نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم، فقال له الشافعي لا تفعل[٣]، فلم يطعه فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسى صلاة من الخمس لا يدري عينها.

فقال: يا أحمد هذا قلب غفل عن الله فيؤدب حتىٰ لا يغفل عن صلاته، فغشي علىٰ أحمد.

وفي رواية عنه: يؤدب بإعادة الخمس.

فلما أفاق قال له الشافعي: ألم أنهك عن ذلك.

وكذلك لما سعى بالصوفية إلىٰ بعض الخلفاء فأمر أن تضرب أعناقهم.

فأما الجنيد فتستر بالفقه، كان يفتي علىٰ مذهب أبي ثور.

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات، وهو أستاذ أكثر البغداديين بصري الأصل، مات ببغداد سنه (٢٤٣). ومن كلامه: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله تعالىٰ ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة وكان يقول خيار هذه الأمة هم الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دينهم ولا دنياهم عن آخرتهم.

(٢) رابعة العدوية كانت كثيرة البكاء والحزن وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زمانًا وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلىٰ استغفار وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: مالي حاجه بالدنيا، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شن بال تكاد تسقط إذا مشت وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها، وكان بموضع سجودها وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، وسمعت سفيان الثوري يقول واحزناه فقالت له: وا قلة حزناه، ولو كنت حزينا ما هناك العيش.

(٣) قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه وذكر الشافعي عنده، فقال: ما استفاد منا أكثر مما استفدنا منه. وروى عنه الشافعي لكنه قال: الثقة ولم يسمه وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: يا أبة أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف، أو منهما عوض. وقال أبو داود: ما رأيت أحمد يميل إلىٰ أحد إلا الشافعي، وقال الميموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم سحرا أحدهم الشافعي. الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠) ووفيات (٢٠١ ـ ٢١٠).

وأما الشحام والرقام والنوري[١] فقبض عليهم وبسط النطع لتُضرب أعناقهم.

فتقدم النوري[٢] فقال له السياف أتدري إلىٰ ما تبادر.

فقال: نعم.

قال: وما يعجلك؟

قال: أُوثر أصحابي بحياة ساعة.

فتحير السياف، وأنهىٰ الأمر إلىٰ الخليفة.

فتحيَّر الخليفة ومن عنده في ذلك، وكان عنده القاضي.

فاستأذن الخليفة أن يذهب إليهم ليبحث معهم ويختبر حالهم.

فأذن له، فآتاهم وقال: يخرج إليَّ واحد منكم حتىٰ أبحث معه.

فخرج إليه النوري، فألقى عليه القاضي مسائل فقهية، فالتفت يمنة ويسرة، ثم أطرق ساعة ثم أجابه عن الكل[٣].

ثم جعل يقول: إن لله عبادًا إذا قاموا، قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله،

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري الزاهد شيخ الصوفية، كان من أعلم العراقيين بلطائف القوم، صحب السري السقطي وغيره، وكان أبو القاسم الجنيد يعظمه ويحترمه وأصله خراساني بغوي، توفي سنة (٢٩٥)، حكى ابن الأعرابي محنته وغيبته في أيام محنة غلام خليل، وأنه أقام بالكوفة مرة سنين متخليا عن الناس، ثم عاد إلىٰ بغداد وقد فقد أناسه وجلاسه وأشكاله فانقبض عن الكلام لضعف قوته، وضعف بصره. انظر تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠).

(٢) كان النوري من أقران الجنيد وكان يقول: أعز الأشياء في زماننا هذا شيئان عالم يعمل بعلمه وعارف ينطق عن حقيقة وكان يقول الجمع بالحق تفرقه عن غيره والتفرقة عن غيره جمع به وكان يقول: ليس التصوف رسومًا ولا علومًا، وإنما هو أخلاق، وكان يقول: من لم يعرف الله تعالىٰ في الدنيا لم يعرفه في الآخرة وكان يقول منذ عرفت ربى ما اشتهيت شيئا ولا استحسنت شيئا وكان يقول من رأيته يركن إلىٰ غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربن منه، ومن رأيته يسمع القصائد ويميل إلىٰ الرفاهية فلا ترج خيره ومن رأيته من الفقراء غافل القلب عند السماع فاتهمه. الطبقات الكبرى (١/ ٧٤، ٧٥).

(٣) قال أبو نعيم: سمعت عمر البنا بمكة لما كانت محنه غلام خليل ونسبوا الصوفية إلىٰ الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم، فأخذ في جملتهم النوري إلىٰ السياف ليضرب عنقه فقيل له في ذلك فقال: آثرت حياتهم علىٰ نفسي في هذه اللحظة، فتوقف السياف فرد الخليفة أمرهم إلىٰ قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق فسأله القاضي عن مسائل في العبادات فأجابه النوري، ثم قال له: وبعد هذا فلله عباد يسمعون بالله وينطقون بالله، ويأكلون بالله، فبكى القاضي ودخل علىٰ الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فليس في الأرض موحد، فأطلقهم. تاريخ الإسلام الذهبي وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠).

وسرد كلامًا أبكى القاضي(١).

ثم سأله القاضي عن التفاته؟

فقال: سألتني عن المسائل ولا أعلم لها جوابًا فسألت عنها صاحب اليمين فقال لا أعلم.

وسألت عنها صاحب الشمال فقال: لا أعلم.

فسألت قلبي فأخبرني عن ربي، فأجبتك بذلك.

فأرسل القاضي إلىٰ الخليفة وقال: إن كان هؤلاء زنادقة، فما علىٰ وجه الأرض مسلم(٢).

وجاء جماعات من فقهاء اليمن إلىٰ الشيخ العارف أبي الغيث بن جميل يمتحنوه في شيء، فلمَّا دنو منه قال: مرحبًا بعبيد عبيدي.

فاستعظموا ذلك، فلقوا الشيخ إسماعيل بن محمد الحضري، فأخبروه بذلك.

فضحك وقال: صدق، أنتم عبيد الهوى والهوى عبده.

وللشيخ تاج الدين بن عطاء الله(٣):

وكنت قديمًا أطلب الوصل منهم ... فلما أتاني الحلم وارتفع الجهل

---

(١) القاضي هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن يزيد بن درهم، أبو إسحاق الأزدى مولاهم البصري، شيخ مالكية العراق وعالمهم قال الخطيب: كان عالما متقنا فقيها علىٰ مذهب مالك شرح المذهب واحتج له وصنف المسند، وصنف في علوم القرآن، واستوطن بغداد وولى قضاءها إلىٰ أن توفي، ونشر مذهب مالك بالعراق. كان وافر الحرمة، ظاهر الحشمة، كبير القدر توفي فجأة سنة (٢٨٢).

(٢) قال الخلال: كان أبو الحسين النوري إذا رأى منكرا غيره، ولو كان فيه تلفه، فنزل يوما يتوضأ فرأى زورقا فيه ثلاثون دنًا فقال للملاح: ما هذا؟ فقال: ما يلزمك، فألح عليه. فقال: أنت والله صوفي كثير الفضول، هذا خمر للمعتضد، فقال: أعطني ذلك المدري فاغتاظ وقال لأجيره: ناوله حتىٰ أبصر ما يصنع فأخذه ولم يزل يكسرها دنا دنا، فلم يترك إلا واحدا، فأخذ النوري وأدخل إلىٰ المعتضد فقال: من أنت ويلك؟. قال: قلت: محتسب، قال: ومن ولاك الحسبة؟ قال: الذي ولاك الإمامة يا أمير المؤمنين. فأطرق ثم قال: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قلت: شفقة مني عليك، قال: كيف خلص هذا الدن ؟، قال: أنه كان يكسر الدنان ونفسه مخلصة، فلما وصل إلىٰ هذا الدن أعجبته نفسه فارتاب في إخلاصه، فترك الدن. الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠).

(٣) تاج الدين بن عطاء الله السكندري الزاهد المذكر الكبير القدر تلميذ الشيخ ياقوت وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، كان ينفع الناس بإشاراته ولكلامه حلاوة في النفوس وجلالة، مات سنه (٧٠٧)، ومن مؤلفاته: لطائف المنن، وكتاب التنوير في إسقاط التدبير، وكتاب الحكم، وغير ذلك.

تيقنت أن العبد لا طلبه له فإن قربوا فضل وإن بعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلوا

غيره

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مُذ رأتك العين أهوائي
وصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مُذ صرت مولاي
تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنياي

غيره

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غِضَابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

مجلس في التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[1].

وقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾[2].

ينهى عن قهر اليتيم والضعيف. ونهر السائل المسكين.

وأما الأحاديث فكثيرة منها:

حديث أبي هريرة السالف: «من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[3].

ومنها: حديث سعد بن أبي وقاص السالف في ملاطفة اليتيم.

وقوله ﷺ[4]: «يا أبا بكر إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك».

وروينا في صحيح مسلم من حديث جندب مرفوعًا: «من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله[5]، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يُدركه، ثم يَكبّه علىٰ وجهه في نار جهنم»[6].

---

(١) سورة الأحزاب (٥٨).

(٢) سورة الضحي (٩، ١٠) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [الضحى: ٩] أي كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم، أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به. قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ١٠] السائل في العلم المسترشد، قال ابن إسحاق: أي فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا علىٰ الضعفاء من عباد الله. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٣).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، ٣٨ ـ باب التواضع وابن ماجه في سننه (٣٩٨٩) وكتاب الفتن والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١١٧)، والزبيدي في الإتحاف (٨/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٠ ـ ٢٥٠٤] كتاب فضائل الصحابة، ٤٢ ـ باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال، وأحمد في مسنده (٥/ ٦٤)، والطبراني في المعجم الكبير(١٨/١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٠٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٤٦).

(٥) قوله ﷺ «من صلى الصبح فهو في ذمة الله » قيل: الذمة هى الضمان، وقيل: الأمان.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦١ ،(٦٥٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٦ ـ باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة والبيهقي في السنن الكبرى والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٤٠)، =

وفي هذه الأحاديث بيان وبال ذلك.

والحرب من الجليل لا يقاوم، وما أبلغ التهديد به وإغضاب أوليائه مُوقع في إغضابه، وما أشده فإن الغضب إرادة الانتقام، وإخفار الذمة سبب الغضب فليحذر.

= وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٩٦)، والهيثمى في مجمع الزوائد (٢/ ٤١، ٢٩٦)، والطبراني في المعجم في الكبير (٢/ ١٦٩).

مجلس في ذم الدنيا وذكر الموت وقصر الأمل

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ (١) إلىٰ آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾(٢) الآية.

وقال: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾(٣).

وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾(٤). وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾(٥). إلىٰ قوله: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾.

فكل نفس ذائقة الموت وليس إلىٰ الإنسان تدبير مكانه، بلى ولا يعلم بمكانه ولا زمانه قبل حلوله ولا حال حلوله ولا بعده.

وقول المحتضر: ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾(٦)، لغو.

وقال من مات: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] (٧). لا فائدة فيه.

---

(١) سورة المنافقون (٩).
يقول تعالىٰ آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأنه من النهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) سورة آل عمران (١٨٥)، والأنبياء (٣٥)، العنكبوت (٥٧).

(٣) سورة لقمان (٣٤). (٤) سورة النحل (٦١).

(٥) سورة المؤمنون (٩٩).
يخبر تعالىٰ عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالىٰ وقولهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلىٰ الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ وكلا حرف ردع وزجر أى لا نجيبه إلىٰ ما طلب ولا نقبل منه، وقوله تعالىٰ ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أي لابد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم. تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

(٦) سورة المنافقون (١٠).

(٧) قال ابن كثير: وقوله لأعمل معه، ولورد لما عمل صالحا ولكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالىٰ. ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] قال قتادة: والله ما تمنى أن =

فهذه الحياة ولو طالت فهي بالموت قصيرة.

فلو علموا أن كل آت قريب ما فرحوا بالأمل ولا بالأمد الطويل.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] الآية.

وفيها بيان فضل قصر الأمل[2] الذي هو أحسن الاستعداد الناشئ عن الإيمان الحق.

وروينا في جامع الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث عبد الله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثَّر في جنبه.

فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء.

فقال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلاَّ كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[3].

وروينا فيه وفي السنن الثلاثة من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[4].

قال الترمذي: حسن غريب وصححه ابن حبان والحاكم وقال: علىٰ شرط مسلم.

= يرجع إلىٰ أهل ولا إلىٰ عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل، فرحم الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلىٰ النار. تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

(١) سورة الحديد (١٦).

(٢) يقول تعالىٰ: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، وقال ابن المبارك بسنده عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم علىٰ رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] . تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٧٧) كتا الزهد، باب ـ ٤٤ وابن ماجه في سننه (٤١٠٩) كتاب الزهد، ٣ ـ باب مثل الدنيا. والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٨) والشجري في أماليه (٢/ ٢٠٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ٣٩١). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ١٠٢) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٠٧) كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت والنسائي (٤/ ٤ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٤٢٥٨) في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٥٩، ٢٥٦٢ ـ الموارد)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٥٢، ٣٥٥)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ٣٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٦٧)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٢٨) والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٤)، والذهبي في الميزان (٥٦٤٠).

وفيه الأمر بذكره والإكثار منه.

ولُقِّب بهاذم اللَّذات من حيث أن العدم إثرة، والمراد باللذات الجثمانية الكثيفة، فإنه يزعج عن الاحتفال بها فملابس تلك اللذَّات تتجافى عنها.

وفاقدها يتسلى عنها ولا يأسف عليها.

الموت لا شك آت فاستعد له | إن اللَّبيب[1] بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيش ويلذ به | من التراب علىٰ عينيه مجعول

غيره:

تزود من الدنيا قليلاً فما تدري | إذا جنَّ ليل هل تعيش إلىٰ الفجر
فكم من صحيح مات من غير عِلَّة | وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

غيره:

وكيف يُلذ العيش من هو عالم | بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظُلِمه لِعبادِه | ويجزيه بالخير الذي هو فاعله
وكيف يلذ العيش من هو صائر | إلى لحد قبر فيه تبلى شمائله[2]
ويذهب رسم الوجه فيه بعده | يبلى سريعًا جسمه ومفاصله

نادرة: قال منصور بن عمار[3]: إذا دنا موت العبد قسم حاله إلىٰ خمسة أقسام: المال للوارث، والروح لملك الموت، واللحم للدود، والعظم للتراب، والحساب للخصوم.

فيا ليت الشيطان لا يذهب بالإيمان عند الموت فيكون فراقًا من الرب جل جلاله.

---

(١) اللبيب: ذو اللب: وهو من كل شيء خالصه وخياره، وهو هنا العقل، وجمعها «ألباء».

(٢) الشمال، والشؤم: يقال جمع الله شملهم أي ماتشتت وتفرق من أمرهم، والخلق: جمعها شمائل.

(٣) ساق عنه الذهبي قصة قال: السراج: حدثنا أحمد بن موسىٰ الأنصاري قال منصور بن عمار: حججت، فبت بالكوفة، فخرجت في الظلماء فإذا بصارخ يقول: إلهى وعزتك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت أعانني عليها شقائي، وغرني سترك، والآن من ينقذني؟ فتلوت هذه الآيه ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التّحْريم: ٦] فسمعت دكدة، فلما كان من الغد مررت هناك فإذا بجنازة، وإذا عجوز تقول: مر البارحة رجل فتلا آية، فتفطرت مرارته، فوقع ميتا. تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٩١ ـ ٢٠٠).

نعوذ بالله منه فإن كل فراق إلىٰ الاجتماع، وفراق الرب صعب لا يدركه أحد[١].

إليك من مكرك يا سيدي ... كل البرايا دائمًا يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت ... ونحن عنها سيدي غافلون
نُضيِّع بكسب الخطا ... فنحن في أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموت ولا نعتبر ... ولا تنبهنا الريب المنون[٢]
بل غفلة تعمي أبصارنا ... وشقوة[٣] خابت لديها الظنون
فنحن يا رب الورى كلنا ... إليك من زلأتنا[٤] هاربون
لكنا نسأل رب الورى ... عفوًا وصفحًا كي تقرَّ العيون

وروينا من حديث ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال[٥]: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» أخرجه البخاري[٦].

---

(١) روي أنه رئي منصور بعد موته فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال: يا منصور قد غفرت لك علىٰ تخليطك، إلا أنك تحوش الناس إلىٰ ذكري، وقيل هذا لأبي العتاهية:
إن يوم الحساب يوم عسير ... ليس للظالمين فيه مجير
فاتخذ عدة لمطلع القبر ... وهول الصراط يا منصور

(٢) المنون: الموت.

(٣) الشقوة: الشقاء، والشقاء: العسر والتعب.

(٤) الزلة: السقطة والخطيئة.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٦) كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» والترمذي في سننه (٢٣٣٣) كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الأمل وابن ماجه في سننه (٤١١٤) كتاب الزهد، باب مثل الدنيا. والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩٩)، وفي المعجم الصغير (١/ ٣٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٧٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣١٣) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٦)، والشجري في أماليه (٢/ ١٩٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٤).

(٦) قال العجلوني: وقال النجم وفي معناه ماعند الحسن بن سفيان وأبي نعيم عن الحكم بن عمير: كونوا في الدنيا أضيافا، واتخذوا المساجد بيوتا، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا من التفكير والبكاء، ولا تختلفن بكم الأهواء، تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون. انظر العجلوني في كشف الخفا (١/ ١٩٤).

وفيه من أسباب ذكر الموت وفضل عدم الركون إلىٰ الدنيا، فلا يكثر فيها تعلقه، وتتجافى عنها تجافي[١] الغريب وعابر[٢] السبيل من غير وطنه.

وروينا من حديثه مرفوعًا: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي[٣] فيه يبيت ليلتين إلاَّ ووصيته مكتوبة عنده»[٤].

أخرجاه، والسياق للبخاري.

ولمسلم: «يبيت ثلاث ليال».

قال ابن عمر: ما مرَّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلاَّ وعندي وصيتي[٥].

وهذا سبب آخر كالأول.

وروينا من حديث أنس قال: خط النبي ﷺ خطوطًا وقال: «هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب»[٦]. أخرجه البخاري.

---

(١) جفا: الشيء، نبا وبعد، وفلانا أعرض عنه وقطعه، وتجافى في سجوده) أي باعد بين عضديه وجنبيه.

(٢) العابر: يقال هو عابر سبيل: مسافر.

(٣) قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ الأمر بها لكن مذهبنا ومذهب الجماهير أنها مندوبة لا واجبة وقال داود وغيره من أهل الظاهر هي واجبة لهذا الحديث ولا دلالة لهم فيه فليس فيه تصريح بإيجابها لكن إن كان علىٰ الإنسان دَيْنٌ أو حق أو عنده وديعة ونحوها لزمه الإيصاء بذلك. [شرح مسلم للنووي (١١/ ٦٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ١ ـ باب الوصايا، وقول النبي ﷺ «وصية الرجل مكتوبة عنده» ومسلم في صحيحه [١ ـ (١٦٢٧)] كتاب الوصية في مقدمته. وأبو داود في سننه (٢٨٦٢)، والنسائي (٦/ ٢٣٨، ٢٣٩ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٨٠)، ومالك في الموطأ (٧٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٥٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٧٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٤ ـ (١٦٢٧)] كتاب الوصية، في مقدمته. قال الشافعي رحمه الله: معنى الحديث ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده، ويستحب تعجيلها وأن يكتبها في صحته ويشهد عليه فيها ويكتب فيها ما يحتاج إليه فإن تجدد له أمر يحتاج إلىٰ الوصية به ألحقه بها، قالوا: ولا يكلف أن يكتب كل يوم محقرات المعاملات وجزئيات الأمور المتكررة. وأما قوله ﷺ «ووصيته مكتوبة عنده » فمعناه مكتوبة وقد أشهد عليه بها لا أنه يقتصر علىٰ الكتابة لا يعمل بها ولا تنفع إلا إذا كان أشهد عليه بها، هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال الإمام محمد بن نصر المروزي من أصحابنا: يكفي الكتاب من غير إشهاد لظاهر الحديث، والله أعلم. [شرح مسلم للنووي (١١/ ٦٣، ٦٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٨) كتاب الرقاق، ٤ ـ باب في الأمل وطوله. والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٦٩).

وأخرجه أيضًا من حديث ابن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط، وخارجًا منه، وخط خُططًا صغارًا إلىٰ هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله مُحيط به - أو قد أحاط به - وهذا هو الذي خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار الأعراضُ، فإن أخطأهُ هذا نهشه[1] هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[2].

هذا لفظه وهذه صورته.

وفيه التنبيه الدافع عن الغرور غفلته المانعة من ذكر الموت، وهو تخطي الخط الأقرب قبل خطوط الأمل البعيد فمستحضر ذلك لا يأمن هجوم الأجل في كل نفس، ثم الأجل له أسباب متكاثرة، هي الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، فالمتيقظ لذلك لا اطمئنان له.

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلاَّ فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفنِّدًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال[3] فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[4]. رواه الترمذي وحسنه.

---

(١) روى الترمذي في سننه (٢١٥٠) كتاب القدر، باب بعد باب ما جاء في القدرية، عن عبد الله بن الشخير، عن النبي ﷺ قال: مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطاته المنايا وقع في الهرم حتىٰ يموت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤١٧) كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله. والترمذي في سننه (٢٤٥٤) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه ما جاء في صفة أواني الحوض. والنسائي في الكبرى في الرقائق، وابن ماجه (٤٢٣١) كتاب الزهد، ٢٧ - باب الأمل والأجل. وأحمد في مسنده (٣/ ١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٦٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٢٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٩٤) والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٤٣٨).

(٣) قال القاضي: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره علىٰ أشياء من مقدورات الله تعالىٰ من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدره الله تعالىٰ ومشيئته ثم يعجزه الله تعالىٰ بعد ذلك فلا يقدر علىٰ قتل ذلك الرجل ولاغيره ويبطل أمره ويقتله عيسىٰ ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار. [شرح مسلم للنووي (١٨/ ٤٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٠٦) كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٥٠) والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٣٧). ومفندا: الفند ضعف العقل والفهم والتخليط في الكلام من الهرم.

وفيه أن المسبوق للعمل إذا ترك البدار إليه لا ينتظر إلاً موانع وشواغل لاستدراك معها كما ذكر من الفقر إلىٰ آخرها.

وروينا فيه محسَّنًا من حديث أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

قال أُبي: قلت يا رسول الله إني أُكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟[1]

فقال: «ما شئت».

قال: قلت: الربع.

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك».

قلت: النصف.

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك».

قال: قلت: فالثلثين.

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»[2].

قلت: اجعل لك صلاتي كلها.

قال: «إذًا تُكفى همَّك، ويغفر لك ذنبك»[3].

وفي الحديث دلالة علىٰ أن الذاكر من أفضل الخلق وأعظم بأمر من يريد انفصالاً عنهم واتصالاً بهم وتجريدًا عن الملهيات، وتفريدًا لاهبات، ولا يعبر عن

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٧٠ ـ (٤٠٨)] كتاب الصلاة، ١٧ ـ باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علىٰ واحدة، صلى الله عليه عشرا». قال القاضي: معناه رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالىٰ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ قال: وقد يكون الصلاة علىٰ وجهها وظاهرها تشريفا له بين الملائكة، كما في الحديث، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه.

(٢) أخرجه والترمذي في سننه (٢٤٥٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٧٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٢٩)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٥٦)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥٦)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٥٤).

(٣) وأخرجه أيضا: وأحمد في مسنده (٥/ ١٣٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٤٢).

شدة القرب بأحسن من قوله: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة[1]، جاء الموت».

وقد حصل من مجموع ما ذكرناه أسباب ذكر الموت ودفع موانعه من غفلة ونحوها.

والترغيب في الاستعداد له، والتحذير من التسويف والإشارة إلىٰ فوائد ذكر الموت، وإنه واقع لا محالة عن قرب.

فصل

توفي نبينا ﷺ وقد بلغ من العمر ثلاث وستين سنة[2] علىٰ الأصح يوم الاثنين حيث اشتد الضحى لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

ومرض أربعة عشر يومًا ودفن ليلة الأربعاء ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يدخل يده فيه ويمسح وجهه ويقول: «اللهم أعني علىٰ سكرات الموت»[3]، وسُجِّي بُرد حبر. وقيل إن الملائكة سجّته.

وكَرِبَ بعض أصحابه بموته، دهش عمر، وخرس عثمان، وأقعد علي، ولم يكن فيهم أثبت من العباس والصديق.

وأكب الصديق علىٰ وجهه يُقبله وقال: بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لم يصبك بها موتة أبدًا.

ثم خرج إلىٰ الناس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد

---

(١) قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد، وعن مجاهد أما الأولى وهي قوله جل وعلا ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝﴾ [النَّازعَات: ٦] فكقوله جلت عظمته ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المُزمّل: ١٤]، والثانية وهى الرادفة فهى كقوله ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝﴾ [الحَاقَّة: ١٤] تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٦).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٤٦٦) كتاب المغازى، ٨٧ ـ باب وفاة النبي، ومسلم في صحيحه [١١٥ ـ (٢٣٤٩)] كتاب الفضائل، ٣٢ ـ باب كم سن النبي ﷺ يوم قبض، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة» وكذا رواه عن أنس. وفي عمر النبي ﷺ قال النووي ذكر في الباب ثلاث روايات: إحداها: أنه ﷺ توفي وهو ابن ستين سنة، والثانية خمس وستون. والثالثة: ثلاث وستون وهو أصحها وأشهرها. [شرح مسلم للنووي (١٥/ ٨١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧) وابن ماجه في سننه (٧/ ٢٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٠٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٦٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ٢٠٨) والزبيدي في الإتحاف (٩/ ١٣، ١٠/ ٢٦٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٦٤).

محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت[(١)].

ثم تلى هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[(٢)] الآية.

ورجع عمر إذ ذاك[(٣)] ثم إن الناس سمعوا من باب الحجرة لا تُغسلوه فإنه طاهر مُطهر.

ثم سمعوا بعد ذلك غسلوه فإنما هو إبليس، وأنا الخضر وعزاهم وقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت[(٤)]، فبالله فثقوا وإياه فارحوا، فإن المصاب من حُرم الثواب.

واختلفوا في غسله هل يكون في ثيابه أو يجرد عنها، فوضع الله عليهم النوم.

فقال قائل لا يدري من هو: غسّلوه في ثيابه، وانتبهوا وفعلوا ذلك، والذين تولوا غسله عليّ، والعباس وولده الفضل، وقثم[(٥)] وشقران[(٦)] وأسامة مواليه،

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٤٥٤) كتاب المغازي ٨٥ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته. عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر: أما بعد؛ من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] إلىٰ قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم. . . . الحديث.

(٢) سورة آل عمران (١٤٤).

(٣) وفي الحديث السابق في البخاري (٤٤٥٤): فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فقعدت حتىٰ ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلىٰ الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات».

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (٥/ ١١٤).

(٥) قثم بن العباس بن عبد المطلب ﵄ الهاشمي، القرشي، صحابي صغير، أخرج له: النسائي، توفي سنة (٥٧).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٦١)، تقريب التهذيب (٢/ ١٢٣)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ١٩٤)، تاريخ البخاري الصغير (١/ ١٤٢، ١٤٣)، الجرح والتعديل (٧/ ١٤٥)، الثقات (٣/ ٣٣٧)، أسد الغابة (٤/ ٣٩٢)، طبقات ابن سعد (٩/ ١٥٧)، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ١٣)، الإصابة (٥/ ٤٢٠)، الاستيعاب (٢/ ١٣٠٤)، البداية والنهاية (٨/ ٧٨)، سير الأعلام (٣/ ٤٤٠).

(٦) شقران مولى رسول الله ﷺ، صحابي شهد بدرًا، أخرج له الترمذي، توفي في خلافة عثمان.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٠)، التقريب (١/ ٣٥٤)، الكاشف (٢/ ١٤)، تاريخ البخاري الكبير (٤/ ٢٨٦)، الجرح والتعديل (٤/ ١٦٩٢)، أسد الغابة (٢/ ٥٢٧).

وحضرهم أوس بن حزبى من الأنصار، ونفَّضه فلم يخرج منه شيئًا.

فقال: صلى عليك الله طبت حيًا وميتًا، وكُفِّن في ثلاثة أثواب بيض سَحولية[١] ليس فيها قميص ولا عمامة، بل لفائف من غير خياطة وصلى عليه المسلمون أفذاذًا، لم يؤمهم أحد وفرشت تحته في القبر قطيفة حمراء[٢] كان يتغطى بها نزل بها شقران وحفر له، ولحد وأطبق عليه بسبع لبنات.

واختلف أيُلحد أم يُضرح.

وكان بالمدينة حفاران، أحدهما: يُلحد، والآخر: يضرح، والأول أبو طلحة، والثاني أبو عبيدة، فاتفقوا علىٰ أن من جاء منهم أولاً عمل عمله، فجاء الذي يلحد فلحد له.

وذلك في بيت عائشة ودفن معه أبو بكر ثم عمر.

فصل في زيارة الرجل القبور
وما يقوله الزائر والدعاء لهم والقراءة عليهم

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾[٣] الآية.

---

(١) السحولية: بفتح السنن وضمها، والفتح أشهر، وهو رواية الأكثرين، قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقية لاتكون إلا من القطن وقال ابن قتيبة ثياب بيض ولم يخصها بالقطن وقال آخرون: هي منسوبة إلىٰ سحول مدينة باليمن يحمل منها هذه الثياب، وبالضم ثياب بياض، وقيل إن القريه أيضا بالضم حكاه ابن الأثير في النهاية. [شرح مسلم للنووي (٧/ ٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) قال النووي: هذه القطيفة أبقاها شقران مولى رسول الله ﷺ وقال: كرهت أن يلبسها أحد بعد رسول الله ﷺ وقد نص الشافعي وجميع أصحابنا وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر، وشذ عنهم البغوي من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب: لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهته كما قال الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك لم يوافقه غيره من الصحابة ولا علموا ذلك، وإنما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهته أن يلبسها أحد بعد النبي ﷺ لأن النبي ﷺ كان يلبسها ويفترشها فلم تطب نفس شقران أن يستبدلها أحد بعد النبي ﷺ . شرح مسلم للنووي (٧/ ٣٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الحشر (١٠).

هؤلاء القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفئ وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٩).

وورد من حديث علي مرفوعًا: «من مرّ على المقابر فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] أحد عشر مرة، ثم وهب أجرها، أعطي من الأجر بعدد الأموات»(١).

وصح أنه أمر بزيارة القبور وقال: «زوروها فإنها تذكركم الآخرة»(٢).

وجاء أنه أمر الآتي عليهم بالسلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين برحمة يرحم الله المستقدمين والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون(٣).

ولبعضهم فيه: أنتم لنا فرط، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنَّا بعدهم(٤)

وفي صحيح مسلم(٥) من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ كُلَما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غدًا، مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

وفيه أيضًا من حديث بريدة: كان رسول الله ﷺ يُعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم(٦): السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء

---

(١) أخرجه الزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٧١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣٢٣٥) كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٤٢) وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٥)، والترمذي (١٠٥٤) في الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور.

(٣) قوله ﷺ «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتثال قول الله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقيل المشيئة عائدة إلى تلك التربة بعينها وقيل غير ذلك، وفي هذا الحديث دليل لاستحباب زيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم والترحم عليهم» [شرح مسلم للنووي (٧/ ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٢ - (٩٧٤)] كتاب الجنائز، ٣٥ - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. أخرجه أبو داود في سننه (٣٢٣٧) كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا زار القبور أو مر بها، والنسائي (١/ ٩٤ - المجتبى)، وابن ماجه (١٥٤٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٧٨، ٧٩)، ومالك في الموطأ (٢٨)، والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٤)، والشجري في أماليه (١/ ٢٠٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩٨٥).

(٦) قال النووي: فيه استحباب هذا القول لزائر القبور، وفيه ترجيح لقول من قال في قوله: سلام عليكم دار قوم مؤمنين أن معناه أهل دار قوم مؤمنين. وفيه أن المسلم والمؤمن قد يكونان بمعنى واحد وعطف أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظ، وهو بمعنى قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] ولا يجوز أن يكون المراد بالمسلم في هذا الحديث غير المؤمن لأن المؤمن إن كان منافقًا لا يجوز السلام =

الله بكم للاحقون، وأسأل الله لنا ولكم العافية[١].

وفي جامع الترمذي محسنًا من حديث ابن عباس مرَّ رسول الله ﷺ بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»[٢].

وفي هذه الأحاديث فعله ﷺ للزيارة وتكريره وقصده لها في السَحَر الذي هو مظنة الرحمة والإجابة.

والسلام عليهم بوصف الإيمان، وبوصف القبور أخرى، والدعاء لهم بالعافية وبالمغفرة أخرى.

وقوله: «ونحن بالأثر».

هو يقين، ولذلك لم يذكر فيه الاستثناء[٣] الواقع في قوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» إذ ذاك يحمل البقعة أو للوفاة علىٰ الإيمان ولذلك ذكره أهل العقائد في استثناء الموت.

تناجيك أموات وهُنَّ سكوت   وسكانها تحت التراب خفوت

= عليه والترحم وفيه دليل لمن جوز للنساء زيارة القبور. [شرح مسلم للنووي (٧/ ٣٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٤ ـ (٩٧٥)] كتاب الجنائز، ٣٥ ـ باب مايقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي في الجنائز، باب ١٠٢، وابن ماجه (١٥٤٧)، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٥٣، ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٧٩)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٧٦٤).

(٢) أخرجه والترمذي في سننه (١٠٥٣) كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر والدارمي في سننه (١/ ٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ١٠٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٢٠)، وابن المبارك في الزهد (١٧١) والزبيدي في الإتحاف (١٠/ ٣٦٤).

(٣) أما قوله ﷺ «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فأتى بالاستثناء مع أن الموت لاشك فيه وللعلماء فيه أقوال: أظهرها أنه ليس للشك ولكنه ﷺ قاله للترك وامتثال أمر الله تعالىٰ في قوله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، والثاني حكاه الخطابي وغيره أنه عادة للمتكلم يحسن به كلامه. والثالث: أن الاستثناء عائد إلىٰ اللحوق في هذا المكان وقيل معناه إذ شاء الله، وقيل: أقوال أخر ضعيفه جدًا تركتها لضعفها وعدم الحاجه إليها منها قول من قال الاستثناء منقطع راجع إلىٰ استصحاب الإيمان، وقول من قال كان معه ﷺ مؤمنون حقيقة وآخرون يظن بهم النفاق فعاد الاستثناء إليهم وهذان القولان وإن كانا مشهورين فيهما خطأ ظاهر والله أعلم.

[شرح مسلم للنووي (٣/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية].

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
وإنكم لما علينا تُسلِّموا ... نرُد عليكم واللسان صموت

فصل

ولنذكر من الحكايات ما يليق بكل فصل من هذين الفصلين، فما ينعطف علىٰ الأول: ما روي عن جابر الجعفي[1] قال: قال لي محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب : ما الدنيا وما عسى أن تكون؟ هل هو إلاَّ مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها.

يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلىٰ الدنيا إلاَّ إلىٰ مؤنة وأكثرهم معونة، إن نسيت ذكَّروك وإن ذكرت أعانوك، قوَّالين بالحق، قوَّامين بأمر الله.

فأنزل الدنيا بمنزل نزلت فيه وارتحلت عنه، أو كخيال أصبته في منامك واستيقظت، وليس معك منه شيء، فاحفظ الله ما استرعاك من دينه وحكمته.

وقد ذكرنا بعض هذا في أثناء الحكايات المتعلقة بالزهد.

نادرة: قال سلمان الفارسي: ثلاث أعجبتني حتىٰ أضحكتني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس مغفولاً عنه، وضاحك ملء فمه لا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راض.

وثلاث أُخر أحزنتني حتىٰ أبكتني: فراق محمد ﷺ وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي الجليل لا أدري إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار[2].

---

(١) جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث، أبو عبد الله أبو محمد الجعفي الكوفي، ضعيف، رافضي، أخرج له: أبو داود والترمذي وابن ماجه توفي سنه (١٢٧، ١٢٨، ١٣٢) ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/ ٤٦)، وتقريب التهذيب (١/ ١٢٣)، والكاشف (١/ ١٧٧)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢١٠)، وتاريخ البخاري الصغير (٢/ ٩، ١٠)، الجرح والتعديل (١/ ٤٩٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٣٧٩)، لسان الميزان (٧/ ١٨٨)، الوافي بالوفيات (١١/ ٣١)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٩).

(٢) قال الذهبي نقلا عن جرير بن عبد الله قال: نزلت بالصفاح في يوم شديد الحر فإذا رجل نائم مستظل بشجرة معه شيء من الطعام في مزور تحت رأسه وقد التف في عباءة فأمرت أن يظلل عليه ونزلنا فانتبه، فإذا هو سلمان فقلت: ما عرفناك، فقال: ياجرير تواضع في الدنيا فإنه من تواضع في الدنيا يرفعه الله يوم القيامة، ومن يتعظم في الدنيا يضعه الله يوم القيامة، ياجرير لو حرصت علىٰ أن تجد عودا يابسا في الجنة لم تجده، لأن أصول الشجر ذهب وفضة وأعلاها الثمار، ياجرير تدري ماظلمة النار، قلت: لا، قال: ظلم الناس بعضهم بعضا. انظر تاريخ الإسلام وفيات (٣١ ـ ٤٠).

الثانية: حكى عن بعضهم أنه دخل عليه بعض الفقراء فلم ير في بيته شيئًا من المتاع.

فقال له: أما لكم شيء؟

قال: نعم، لنا داران، دار أمن ودار خوف.

فما يكون لنا من الأموال ندخره في مقام الأمن يعني الآخرة.

فقيل له: إنه لا بد لكل منزل من متاع.

فقال: إن صاحب هذا المنزل لا يدعنا فيه.

نادرة: الدنيا وديعة، أو عارية[١]، ولا بد للمُعير أن يرجع، وللمودع أن يأخذ ما أودع.

وما المال والأهلون إلاَّ وديعة ... ولا بد من يوم ترد الودائع

الثالثة: عن مالك بن دينار قال: إن الله تعالىٰ جعل الدنيا دار مفر، والآخرة دار مقر.

فخذوا من مفركم لمقركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم.

ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم.

إنما مثل الدنيا كالسُّم أكله من لا يعرفه، ومثل الدنيا كالحية مسَّها لين وفي جوفها السُّم القاتل فحذرها ذو العقول، وأهوى الصبيان إليها بأيديهم.

الرابعة: كان أبو نصر[٢] يخرج في كل جمعة وصلاة الغداة فيدخل السوق مما

---

(١) العارية في ذاتها من أعمال البر التي تقتضيها الإنسانية لأن الناس لا غنى لهم عن الاستعانة ببعضهم بعضا فهى مندوبة بحسب ذاتها، وقد يعرض لها الوجوب مثل احتياج شخص من آخر مظلة في الصحراء في الحر الشديد يتوقف عليه حياته أو إنقاذه من مرض، وقد يعرض لها الحرمة كما إذا كان عند شخص جارية أو خادمة تشتهي وطلب إعارتها منه شخص يختلي بها أو قضاء أربه منها. انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (٣/ ٢٣٧).

(٢) أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، المروزي، البغدادي، الزاهد الكبير المعروف ببشر الحافي، كان عديم النظير زاهدًا وورعا وصلاحا، كثير الحديث إلا أنه كان يكره الرواية ويخاف من شهوة النفس في ذلك حتىٰ أنه دفن كتبه، قال أبو بكر المروزي: سمعت بشرا يقول: الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق، قال أحمد بن حنبل لما مات بشر: مات رحمه الله وما له نظير في هذه الأمة إلا عامر بن عبد قيس، فإن عامرا مات ولم يترك شيئا، توفي سنه (٢٢٧).
تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٢١ ـ ٢٣٠).

يلي الثنية فلا يزال يقف علىٰ مربعة مربعة يقول: يا أيها الناس: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[١] الآية.

إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وبقي عمله[٢] فاختاروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم، فلا يزال في مربعة مربعة حتىٰ يأتي مصلى رسول الله ﷺ ثم يمضي إلىٰ الجمعة ولا يخرج من المسجد حتىٰ يصلي العشاء الآخرة.

وأنشد بعضهم:

ومن يكن همه الدنيا ليجمعها ... فسوف يومًا علىٰ رغم يخليها
علىٰ تشبع النفس من دنياه يجمعها ... ومبلغه من قيام العيش يكفيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فمن بناها بخير طاب مسكنها ... ومن بناها بشرٍّ خاب بانيها
فاعرف أصول التقى ما عشت مجتهدًا ... واعلم بأنك بعد الموت تجنيها

الخامسة: عن رجل من بني شيبان أن عليًا ﵁ خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودينَ الحق ليربح به عليكم ويوقظ به نائمكم.

واعلموا بأنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون علىٰ أعمالكم[٣] ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها دار بالفناء محفوفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلىٰ زوال[٤]، وهي بين أهلها دول ومحال، لا تدوم أحوالها، ولن يسلم مَن مِن شرِّها نُزَّالها.

---

(١) سورة البقرة (٤٨)، (١٢٣).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ٤٢ ـ باب سكرات الموت روى مسلم في صحيحه [٥ ـ (٢٩٦٠)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، تبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله» واللفظ لمسلم وقد رواه الترمذي (٢٣٩٧)، والنسائي (٤/ ٥٣ ـ المجتبى).

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي قفوهم حتىٰ يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم إنهم محاسبون. تفسير ابن كثير (٤/ ٤).

(٤) روى مسلم في صحيحه [٤ ـ (٢٩٥٩)] كتاب الزهد والرقائق، في مقدمته، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يقول العبد: « مالي مالي، وما له من ماله إلا ثلاث؛ ما أكل فأفنى، وما لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس ».

=

بينما أهلها منها في رخاء وسرور أبدلهم منها ببلاء وغرور.

أحوال مختلفة وثارات متفرقة، والعيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم.

وإنما أهلها فيها أعراض مستهدفة ترميهم بأسهامها وتعضهم بجماحها.

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الدنيا علىٰ سبيل من مضى ممن كان أطول منكم أعمارًا وأشد منكم بطشًا، وأعمر وأبعد آثارًا.

فأصبحت أموالهم هامدة من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية وديارهم خالية وأثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق المتمهدة، الصخور والأحجار في القبور التي بنى بالخراب وشيّد بالتراب بناؤها.

فميلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان علىٰ ما منهم من قرب الخوار ودنو الدار.

وكيف يكون تواصل وقد طحنهم بكلكله[(١)] البلى، وأصلهم الجنادل والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتًا وبعد غضارة النفس رفاتًا.

فجَعَ بهم الأحباب، وسكنوا التراب وظعنوا وليس لهم إياب.

هيهات هيهات ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[(٢)] الآية.

وكأنكم عن قليل صرتم إلىٰ ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار النوى وارتهنتم الأمور وبعثرتم القبور، وحُصل ما في الصدور[(٣)]، ووقفتم بين يدي الجليل، فطارت القلوب لانشقاقها من مآلف الذنوب، وهتكت عنهم الحجب والأستار وظهرت منهم العيوب والأسرار هنالك تُجزى كل نفس بما كسبت، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النّجم: ٣١] [(٤)].

---

(١) الكلكل: الصدر، أو هو مابين الترقوتين.

(٢) سورة المؤمنون (١٠٠).
قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لابد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم، وقال محمد بن كعب القرظى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال: فيقول الجبار ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣).

(٣) قال تعالىٰ: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ العاديات (٩ ـ ١١).

(٤) سورة النجم (٣١). أي يجازي كلا بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فبشر ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، أي لا يتعاطون المحرمات الكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر، فإنه يغفر لهم ويستر عليهم تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٥).

السادسة: روى أن مَلِكًا من ملوك كندة كان شديد المصاحبة للهو واللَّذات، كثير العطوف إلىٰ اللعب والمحرمات[(١)]، فركب يومًا للاصطياد أو غيره.

فانقطع عن أصحابه، فإذا هو برجل جالس قد جمع عظامًا من عظام الموتى، وهي بين يديه يُقلبها.

فقال: ما قصتك أيها الرجل؟ وما بلغ بك؟ وما أرى من سوء الحال؟ ويبس الجسم، وتغير اللون والانفراد في هذه الفلاة؟

فقال: أما ما ذكرت من ذلك فلأني علىٰ جناح سفر بعيد ولي ملكان يزعجان يجدَّان بي إلىٰ منزل ضنيك المحل، مظلم القصر، كريه المقرّ[(٢)].

ثم يُسلماني إلىٰ مصاحبة البلى، ومجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى.

فلو نزلت بذلك المنزل مع ضيقه ووحشته، (وارتقى)[(٣)] أجناس الأرض من لحمى، حتىٰ أعود رفاتًا، وتصير أعظمي رميمًا، لكان للبلاء انقضاء وللشقاء نهاية، ولكني أدفع بعد ذلك إلىٰ صيحة الحشر، وأرد أهوال موقف الجرائم، لا أدري إلىٰ أي الدارين يؤمر بي، وأي حال يلتذ به من إلىٰ هذا الأمر مصيره.

فلما سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه.

وقال: أيها الرجل لقد كدَّر عليَّ مقالك صفو عيشي وملك قلبي، فأعد عليَّ بعض قولك، واشرح لي دينك.

فقال له: أما ترى هذه التي بين يدي؟

قال: بلى. قال: هذه عظام ملوك غرتهم الدنيا بزخرفها، واستحوذت علىٰ قلوبهم بغرورها، فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع حتىٰ أجابتهم الآجال وجدلتهم وسلبتهم بها النعمة. وستنشر هذه العظام، فتعود أجسادًا.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام ٧٠]. وقال تعالىٰ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

(٢) روى البخاري في صحيحه (١٣٧٩) كتاب الجنائز، ٨٩ - باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله إلىٰ القيامة» وعن أبي سعيد فيما يليه رقم (١٣٨٠) باب كلام الميت علىٰ الجنائزة مرفوعا: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال علىٰ أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: ياويلها أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق».

(٣) كذا بالأصل.

ثم تجازى بأعمالها، فإما إلىٰ دار النعيم والقرار، وإما إلىٰ دار العذاب والبوار.

ثم غاب الرجل، فلم يدر أين ذهب، وتلاحق أصحاب الملك به، وقد تغير لونه وتواصلت عبراته فلما جن عليه الليل نزع ثياب ملكه، ولبس طمرين[1] وخرج ليلاً، فكان آخر العهد به.

أفنى القرون التي كانت منعمة ... كرّ الليالي إقبالاً وإدبارًا
يا راقد الليل مسرورًا بأوله ... إن الحوادث قد تطرقن أسحارًا
لا تأمنن بليل طاب أوله ... فربَّ آخر ليل أجج[2] النارا

السابعة: روى أن بعض الملوك كان متنسكًا ثم مال إلىٰ الدنيا ورياسة الملك، وبنى دارًا وشيدها، وأمر بها ففرشت.

واتخذ مائدة ووضع طعامًا ودعى الناس.

فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلىٰ بنائه ويتعجبون من ذلك، ويدعون له وينصرفون.

فمكثوا أيامًا كذلك، ثم جلس هو ونفر من خاصة أصحابه.

فقال: قد ترون سروري بداري هذه، وقد حدث أن اتخذ لكل واحد من أولادي مثلها.

فأقيموا عندي أيامًا استأنس بكم وأشاور فيما أريد من هذا البناء.

فأقاموا عنده أيامًا يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبني؟ وكيف يصنع؟ ويرتب ذلك؟

فبينما هم ذات ليلة في لهو إذ سمعوا قائلاً من أقصى الدار يقول:

يا أيها الباني الناسي منيَّته ... لا تأمنن فإن الموت مكتوب
علىٰ الخلائق إن سرُّوا وإن كدُّروا ... فالموت حتف لدى الآمال منصوب
لا تبنين دارًا لست تسكنها ... وراجع النُسك[3] كيما يغفر الحوب[4]

---

(١) الطمر: الثوب الخلق البالي، جمعها: أطمار.

(٢) أجج النار: ألهبها، وبينهم الشر، أوقده وأثاره، والماء: جعله أُجاجًا، وتأججت النار: تلهبت.

(٣) نَسِكَ نَسكًا ونسك فلان: تزهد وتعبد وذبح ذبيحة تقرب بها إلىٰ الله.
والمنسك: طريقة الزهد والتعبد، وموضع تذبح فيه النسيكة وجمعها مناسك.

(٤) حاب، حوبًا: أثم، وأحوب: انزلق إلىٰ الإثم.
وفي القرآن: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النِّساء: ٢].

ففزع الملك لذلك، وفزع أصحابه فزعًا شديدًا، وراعهم.

فقال: هل سمعتم ما سمعت؟

قالوا: نعم.

قال: فهل تجدون ما أجد؟

قالوا: وما تجد، قال: عليّ مسكة علىٰ فؤادي وما أراها إلاَّ علَّة الموت.

فقالوا: كلا بل البقاء والعافية.

فبكى، ثم أمر بالشراب فأهريق، وبالملاهي فأخرجت - أو قال: فكسرت - فتاب، ولم يزل يقول الموت حتىٰ فاضت نفسه.

الثامنة: عن سرّي قال: مررت يومًا في بعض البراري مع جماعة من إخواني علىٰ قصر، قد أناخ الزمان بكلكله[١].

فهدَّم أركانه وحطَّم بنيانه، وقد بقيت معالمه وأبوابه، وعلى أبوابه مكتوب، فنفضت التراب عن ذلك، ثم تأملته.

فإذا هو مكتوب:

هو السبيل فمن يوم إلىٰ يوم … كفرحة النائم المهجوع في النوم

إن المنايا وإن أصبحت في شغل … تحوم حولك حومًا أيما حوم

لا تعجلن رويدًا إنها دول … دنيا تنقل من قوم إلىٰ قوم

قال: فدخلت القصر أنا وأصحابي، وإذا بقبة في وسطه من الزمرد الأخضر مرصعة بالدرّ والياقوت الأخضر.

قد علاها الغبار من تطاول السنين والأعمار معلقة علىٰ أربعة أعمدة من ياقوت.

فتأملتها وأطلت النظر فيها، فإذا عليها منقوش هذا النظم:

قف بالقبور وناد المستقر بها … من أعظم بليت فيها وأجسادا

قوم تقطَّعت الأسباب بينهم … بعد الوصال فصاروا نحو ألحاد[٢]

والله لو بُعثوا والله لو نُشروا[٣] … قالوا بأن التُقى من أفضل الزاد

قال: فتأملنا متكأ الملك فإذا عليه مكتوب:

---

(١) الكلكل: الصدر، أو هو ما بين الترقوتين.

(٢) لحد الميت لحدًا: دفنه في اللحد، وألحد فلان عدل عن الحق، والميت: دفنه في اللحد، واللَّحد: الشق يكون في جانب القبر للميت، جمعها: ألحاد، لحود.

(٣) نشر الله الموتى نشرًا، ونشورًا: بعثهم وأحياهم.

لا تأمنن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمنَّعت[١] بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت نافذة ... من كل مدَرَّع[٢] منا ومترَّس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

التاسعة: حكى أن بعض الناس جاء إلىٰ سليمان بن داود عليهما السلام وقال: يا نبي الله أريد منك أن تأمر الريح تحملني إلىٰ بلاد الهند، فإن لي فيها حاجة في هذه الساعة وألحَّ عليه في ذلك. فقال له: نعم، وأمر الريح بحمله.

فلما خرج من عنده التفت سليمان فرأى ملك الموت قائمًا عنده مبتسمًا.

فسأله عن تبسمه؟

فقال له: يا نبي الله تعجبت من هذا الرجل فإني أُمرت بقبض روحه[٣] بأرض الهند في هذه الساعة، فبقيت متفكرًا.

كيف يصل إلىٰ بلاد الهند في هذه الساعة.

فلما سألك أن تأمر الريح بحمله تعجبت من ذلك[٤].

فمن لم تأته منا المنايا ... إلى أوصاله يومًا أتاها
كما قال الذي عرى نفوسًا ... وقوى في توكلها أقواها
ومن كانت منيته بأرض ... فليس تموت في أرض سواها
وكم لهيت بطيب عيش ... دهرًا نسيت به المماتا
والآن مُت وأنت أيضًا ... لا بد يومًا يقال ماتا
فجِدّ واحذر تكون مثلي ... كسبت حوبًا والخير فاتا

العاشرة: عن بعض الزهاد قال: كنت في جماعة من الزهاد وقد حان وقت صلاة الظهر ونحن في برية ليس فيها ماء.

فدعونا الله فلم يستتم الدعاء حتىٰ لاح بالبعد شيء، فقصدناه.

---

(١) تمنَّع الشيء: امتنع وبه احتمى.

(٢) الدرع القميص من حلقات من الحديد متشابكة تلبس وقاية من السلاح.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ⑪﴾ [السَّجدَة: ١١].

(٤) قال عبد الرزاق بسنده عن مجاهد: «ما علىٰ ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلاَّ وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين».
وقال كعب الأحبار: «والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلاَّ وملك الموت يقوم علىٰ بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه».

وطوى الله لنا البعد[(١)] حتى وصلنا إلىٰ قصر مشيد عالي البناء، حسن الفناء، وحوله أنهار تتفجر، فشكرنا الله علىٰ ذلك وأسبغنا الوضوء وصلينا.

ثم تقدمنا إلىٰ القصر فإذا علىٰ حائطه مكتوب:

هذه منازل أقوام عهدتهم ... في رَغْدِ[(٢)] عيشٍ خصيب ماله خطر

دعتهم نُوَّب[(٣)] الأيام فارتحلوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

ورأينا في وسط الدار سريرًا من فضة وعليه هذه الأبيات:

ما زلت تطلب ما يردى وتمعن في الطلب

وملكت ما أمكنت من أرض الأعاجم والعرب

مرت إليك يد الرَّدى[(٤)]

فذهبت فيمن قد ذهب

قال: ورأينا بستانًا فيه لوح رخام عليه مكتوب:

قد كان صاحب هذا القصر مغتبطًا ... في ظل عيش يخاف الناس من بأسه

إذ جاءه بغتته[(٥)] بالأمر ذلَّله ... فخر ميتًا وزال التاج عن رأسه

فاخرج إلىٰ القصور وانظر كيف أوحشه ... فقدان أربابه من بعد إيناسه

قال: فاستحسنا ذلك ورجعنا إلىٰ القبة فإذا وسطها قبر عند رأسه لوح من رخام أبيض وعليه مكتوب:

أنا رهين التراب في اللَّحد وحدي ... واضعًا تحت لبنة التراب خدِّي

غيره:

باتوا قُلَلَ[(٦)] الأجيال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

---

(١) روى الترمذي في سننه وحسنه (٣٤٣٤) عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته، قال بإصبعه: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا بنصحك، واقلبنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب».

(٢) الرَّغد من العيش: الواسع الذي لا عناء فيه، ويقال: هو في رغد من العيش: رزق واسع. وعيشة رغد: واسعة طيبة، والرَّغيد: العيش الطيب الواسع.

(٣) النائبة: ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة، جمعها: نوائب. والنَّوبة: النازلة، جمعها: نُوَب.

(٤) الرَّدى: الهلاك، ورَدَى: هلك، وفي الهوة: سقط.

(٥) بَغَتَهُ: بَغْتًا: وبَغْتَةً: فجأهُ وبهته. وبَاغَتَهُ: مباغتة وبغاتًا: فاجأهُ.

(٦) قُلَّة كل شيء: قمته وأعلاه ومنه: قُلَلُ الجبال. وجمعها: قُلَلَ: وقِلال.

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... واسكنوا جدثًا[١] يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ[٢] من بعد ما دفنوا ... أين الأسرَّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل[٣]
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شبعوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

الحادية عشر: عن الجنيد قال: دخلت الكوفة في بعض أسفاري فرأيت دارًا لبعض الرؤساء وقد شف عليها النعيم.

وعلى بابها عبيد وغلمان، وفي بعض رواشينها[٤] جارية تغني وتقول:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف ... إذا ما الضيف أعوزه[٥] المكان

قال: ثم مررت بها بعد مدة، فإذا الباب مسدود والجميع مبدَّد[٦]، وقد ظهر عليها كآبة[٧] الذُّل والهوان ولسان الحال ينشد:

ذهبت محاسنها وبان شجونها[٨] ... والدهر لا يبقي مكانًا سالمًا
فاستبدلت من أُنسها بتوحش ... ومن السرور بها عزاء دائمًا

قال: فسألت عن خبرها؟

فقيل لي: مات صاحبها، فآل أمرها إلىٰ ما ترى.

فقرعت الباب الذي كان يقرع.

فكلمتني جارية بكلام ضعيف.

فقلت لها: يا جارية أين بهجة هذا المكان وأين أنواره وأين شموسه، وأين

---

(١) الجَدَث: القبر: جمعها: أجداث وفي القرآن الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].
(٢) صَرَخ. صُراخًا، وصريخًا: صاح صياحًا شديدًا، واستغاث، والصَّارخ: المستغيث.
(٣) اقتتل القوم: قاتل بعضهم بعضًا: وتقاتل القوم: اقتتلوا.
(٤) الرَّوشن: الكوة والشرفة.
(٥) أعوز الشيء فلانًا: احتاج إليه، والدهر فلانا: أدخل عليه العوز، وعوز الرجل: احتاج واختلت حاله فهو أعوز، وهي عوزاء.
(٦) بدَّد الشيء: فرَّقه، وتبدَّد: تفرق.
(٧) كئب كآبة: تغيرت نفسه، وانكسرت من شدة الهم والحزن، فهو كئيب.
(٨) شَجِنَ. شجنًا: حَزِنَ، فهو شَجِنٌ.

أقماره، وأين قُصَّاده، وأين زوَّاره؟ فبكت.

ثم قالت: يا شيخ كانوا فيه علىٰ سبيل العارية[(١)] ثم نقلتهم الأقدار إلىٰ دار القرار.

وهذه عادة الدنيا، تُرحِّل من سكن فيها وتُسيء إلىٰ ما أحسن إليها.

فقلت لها: يا جارية مررت بها في بعض الأعوام وفي هذا الروشن جارية تغني وتقول:

ألا يـــا دار لا يـــدخـــلـــك حـــزن

فبكت وقالت: أنا والله تلك الجارية، ولم يبق من أهل هذه الدار أحد غيري، فالويل لمن غرَّبته دنياه.

قلت لها: كيف قرَّبك القرار في هذا الموضع الخرَاب؟

قالت: ما أعظم جفاك[(٢)]، أما كان هذا منزل الأحباب، وأنشدت:

قـالـوا تـفـنـى وقـوفًـا فـي مـنـازلـهـم ... ونـفـس مـثـلـك لا تـفـنـى تـحـمـلـهـا

قـفـلـت والـقـلـب قـد ضـحـت أضـالـعـه ... والـروح تـنـزع والأشـواق تـبـريـهـا

مـنـازل الـحـب فـي قـلـبـي مـعـظـمـة ... وإن خـلا مـن نـعـيـم الـوصـل مـنـزلـهـا

فـكـيـف أتـركـهـا والـقـلـب يـتـبـعـهـا ... جـاء لـمـن كـان قـبـل الـيـوم يـنـزلـهـا

فتركتها ومضيت وقد وقع شعرها من قلبي موقعًا، وازداد قلبي تولعًا.

نادرة: قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهبًا فانيًا والآخرة خزفًا باقيًا، لكان الخزف الباقي أولى من الذهب الفاني[(٣)].

---

(١) تعريف العارية قد مر من قبل وقال الحنابلة: العارية معناها العين المعارة وهي المأخوذة من مالكها أو مالك منفعتها للانتفاع بها زمنا معينا بلا عوض.
وتطلق العارية علىٰ الإعارة مجازًا والإعارة هي إباحة نفع العين بغير عوض من المستعير أو غيره.
انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (٣/ ٢٤٩).

(٢) جفا الشيء ـ جفاءً، وجفوا: نبا وبَعُد، وجفا فلان عليه: أعرض عنه وقطعه.

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٣٢٠) في الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا علىٰ الله عز وجل، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء» ـ وقال: صحيح. ورقم (٢٣٢١) عن المستورد بن شداد قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ علىٰ السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ «أترون هذه هانت علىٰ أهلها حين ألقوها، قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: فالدنيا أهون علىٰ الله من هذه علىٰ أهلها».

فكيف والأمر بالعكس، بل هي أجل وأفضل من الذهب المذكور.
مخلوقة من فاخر الجوهر والنور، ذات اللّذات والنعيم والسرور.
في طلب الدنيا الذُّل، والآخرة العزّ.
فيا عجبًا لمن يختار الدنى في طلب الفاني، ويترك العز في طلب الباقي.
وما أحسن قول الإمام الشافعي[١] رحمه الله في ذم الدنيا.

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها … وسيق إلينا عَذْبها وعذابها
فلم أرها إلاَّ غرورًا وباطلاً … كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
فما هي إلاَّ جيفة مستحيلة … عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها … وإن تجتذبها نازعتك كلابها

ومن شعره البديع[٢]:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي … جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته … بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل … بجودك تعفو منةً وتكرُّما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد … فكيف وقد أغوى صفيك آدم
فيا ليت شعري هل أصرْ لجنةٍ … أهنأ وإما في السعير فأندما[٣]

---

(١) كان الشافعي يقول: طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد، وكان يمشي علىٰ العصا فقيل له في ذلك فقال: لأذكر أني مسافر من الدنيا، وكان يقول من شهد الضعف من نفسه نال الاستقامة، وكان يقول من غلبته شدة وشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع. انظر الطبقات الكبرى (١/ ٤٣).

(٢) سبب هذا الشعر ما ذكره الذهبي قال: وقال ابن خزيمة وغيره: حدثنا المزني قال: دخلت علىٰ الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلىٰ جنة فأهنؤها أو إلىٰ نار فأعزيها ثم بكىٰ وأنشأ يقول هذا الشعر وذكره الذهبي. انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٠١ ـ ٢١٠).

(٣) ومن شعره أيضًا قال المبرد: دخل رجل علىٰ الشافعي فقال: إن أصحاب أبي حنيفة لفصحاء فأنشد الشافعي يقول:

فلولا الشعر بالعلماء يزري … لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع في الوغى من كل ليث … وآل مهلب وأبي يزيد
ولولا خشية الرحمن ربي … حسبت الناس كلهم عبيدي

ولما بلغه قول أشهب بن عبد العزيز في دعائه: اللهم أمت الشافعي ولا تذهب علم مالك، =

ولغيره:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا دبرت كان على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرًا همومها

الثانية عشرة: عن بعضهم قال: مررت ببعض القرى، فإذا بثلاثة قبور على قدر واحد، وهي على نَشَز[1] من الأرض، وعليها مكتوب أبيات من الشعر، على أحدها مكتوب:

وكيف يلذ العيش من هو عالم بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى الثاني مكتوب:

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا بأن المنايا بغتة ستعاجله
فتسلبه ملكًا عظيمًا وبهجة وتسكنه القبر الذي هو أهله

وعلى الثالث مكتوب:

وكيف يلذ العيش من كان صائرًا إلى جدث[2] تبلى الشباب منازله
ويذهب ماء الوجه من بعد حُسنه سريعًا ويبلى جسمه ومفاصله

فقلت لشيخ جلست إليه: لقد رأيت في قريتكم عجبًا.

قال: وما رأيت؟

فقصصت عليه قصة القبور.

= تبسم الشافعي وأنشأ يقول:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيه بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم لئن مت ما الداعي عليَّ بمخلد

انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٠١ . ٢١٠).

(١) النَّشز: ما ارتفع وظهر من الأرض، وجمعها: نشوز.
ونشز الشيء نشزًا ونشوزًا ارتفع، ويقال نشز المكان ونشز العرق عن مكانه، وفيه ارتفع منه ونهض.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: ٥١].
وهذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] والنسلان هو المشي السريع. تفسير ابن كثير (٥٩٣/٣).

فقال: حديثهم أعجب مما رأيت.

فقلت: حدثني.

قال: كانوا ثلاثة أخوة، أمير وتاجر وزاهد، فحضرت الزاهد الوفاة، فاجتمع إليه أخواه وعرضا عليه ما أحب من مالهما ليتصدق به، فأبى أن يقبل، وقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكني أعهد إليكما فلا تخلفا عهدي.

قالا: أعِهد، قال: إذا مِتُّ فغسلاني وكفناني وصليا عليَّ، وادفناني علىٰ نشز من الأرض واكتبا علىٰ قبري هذين البيتين - يعني الأولين:

وكيف يُلذّ . . . . . إلىٰ آخرهما.

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتياني في كل يوم مرة لعلكما تتيقظان، ففعلا ذلك.

وكان أخوه الملك يركب في جنده حتىٰ يقف علىٰ قبره، ويقرأ عليه، ويبكي.

فلما كان اليوم الثالث جاء كما كان يجئ مع الجند، فنزل وبكى كما كان يبكي.

فلما أراد أن ينصرف سمع هدُّة من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه.

فانصرف فزعًا مذعورًا.

فلما كان الليل رأى أخاه في منامه وقال له: يا أخي ما الذي سمعت في قبرك.

قال: حسّ المقمعة[1]، قيل لي: رأيت مظلومًا، فلم تنصره.

فأصبح مهمومًا، فدعا أخاه وخاصته.

وقال: ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب علىٰ قبره غيري، وإني أشهدكم لا أُقيم بين أظهركم أبدًا، فترك الإمارة، ولزم العبادة.

وكان يأوي إلىٰ الجبال والبراري حتىٰ حضرته الوفاة مع بعض الرعاة.

فلما بلغ ذلك أخاه أتاه وقال له: يا أخي ألا توصني؟

قال: فبأي شيء أُوصي ليس لي مال أوصي به ولكني أعهد إليك عهدًا إذا أنا مت فادفنني جنب أخي واكتب علىٰ قبري هذين البيتين:

وكيف يُلذّ العيش . . . . . إلىٰ آخرهما

كما أسلفناهما.

ثم زرني ثلاثة أيام بعد موتي وادع لي ، لعل الله يرحمني ، ثم مات.

ففعل ما أمره.

فلما كان اليوم الثالث أتاه فبكى عنده، ودعا له فلما أراد أن ينصرف سمع

---

(١) المقمعة: خشبة أو حديدة معوجة الرأس يضرب بها، جمعها: مقامع.

وجبة[١] عظيمة من داخل القبر كادت تذهب عقله، فرد قلقًا فلما كان الليل رأى أخاه في النوم قد أتاه فقال: يا أخي جئتنا زائرًا؟

فقال: هيهات بعد المزار فلا مزار، واطمأنت بنا الدار.

فقال له: كيف أنت؟

قال: بخير ما أجمع التوبة لكل خير.

فقال له: كيف أخي؟

قال: مع الأئمة الأبرار.

قال: فما أمرنا.

قال: من قدم شيئًا وجده، فاغتنم وجدك قبل عدمك.

فأصبح معتزلاً[٢] للدنيا، قد انخلع قلبه منها، ففرق ماله وقسم رباعه، وأقبل علىٰ الطاعة.

ونشأ له ولد كامل الشباب وجهًا وجمالاً.

فأقبل علىٰ التجارة حتىٰ حضرت أباه الوفاة.

فقال الابن: يا أبت ألا توصني؟

قال: والله ما لأبيك مال فيوصي به، ولكن أعهد إليك عهدًا، إذا أنا مِتُّ فادفنني مع عمَّيك، واكتب علىٰ قبري هذين البيتين:

وكيف يلذ العيش . . . إلىٰ آخرهما كما سلف.

فإذا بلغت ذلك فتعاهدني ثلاثًا، وادع الله لي.

ففعل الفتى ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتًا اقشعر له جلده، وتغيَّر لونه، فرجع إلىٰ أهله محمومًا - أو قال مهمومًا - فلما كان الليل آتاه أبوه في المنام فقال: يا بني أنت عندنا عن قليل، والأمر بآخره، والموت أقرب من ذلك،

---

(١) وجب الشيء: يجب وجوبًا لزم وثبت وسقط إلىٰ الأرض.

(٢) قال النووي: مذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذهب طوائف أن الاعتزال أفضل، وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمول علىٰ الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص، وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك.

[النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

فاستعد لسفرك وتأهب لرحيلك، وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه إلىٰ المنزل الذي أنت فيه مُقيم، ولا تغتر بما اغتر به البطّالون قبلك من طول آمالهم فقصّروا في أمر معادهم فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا علىٰ تضييع أعمارهم أشد الأسف.

فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف الذي علىٰ التقصير أنقذهم من سوء ما نالهم ، وشدة ما هالهم.

ثم قال: يا بُني بادر، ثم بادر.

فأصبح الفتى وقال: ما أرى هذا الأمر إلاَّ قد أظلني، فأدى ولم يزل يُعطي ويُقسم ويتصدق إلىٰ أن كان اليوم الثالث من صبيحة الرؤيا فدعا أهله وولده فودَّعهم وسلَّم عليهم.

ثم استقبل القبلة وتشهد شهادة الحق، ثم مات، فكان الناس يزورون قبورهم ويتوسلون[(١)] إلى الله تعالىٰ بهم في قضاء حوائجهم فتُقضى.

الثالثة عشر: عن عبد الله بن مهران قال:

حج الرشيد فوافى الكوفة، فأقام بها أيامًا ثم ضرب بالرحيل، فخرج الناس وخرج بهلول المجنون[(٢)] فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه، ويولعون به.

إذ أقبلت هوادج هارون، فكف الصبيان عن الولوع به.

فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين:

فكشف هارون السِّجاف[(٣)] بيده وقال: لبيك يا بهلول.

---

(١) للتوسل ثلاثة أوجه: أولها: التوسل بدعاء الصالحين وذلك مما ورد عن النبي ﷺ وفي طلبه من عمر بن الخطاب الدعاء لما أراد العمرة، وكذلك توسل عمر بدعاء العباس عم النبي ﷺ في الاستسقاء.

والثاني: التوسل بصالح الأعمال وذلك في حديث أصحاب الغار الثلاثة في الصحيحين.

والثالث: التوسل بأسماء الله الحسنى وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] . وهذا مما أجمع عليه العلماء، وأما غير هذا ففيه خلاف.

(٢) بهلول المجنون اجتمع به هارون الرشيد فقال له الرشيد: كنت أشتهي رؤيتك من زمان، فقال لكني أنا لم أشتق إليك قط، فقال له: عظني، فقال: بم أعظك، هذه قصورهم وهذه قبورهم، ثم قال: كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالىٰ بين يديه فسألك عن النقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جيعان عريان، وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون، فخنقته العبرة، وكان بهلول مجاب الدعوة وأمر له الرشيد بصلة فردها عليه وقال: ردها علىٰ من أخذتها منه قبل أن يطالبك بها أصحابها في الآخرة فلا تجد لهم شيئًا ترضيهم به، فبكى الرشيد وتأتي ترجمته.

(٣) السِّجاف: السِّتر، وما يركب علىٰ حواشي الثوب، وجمعها أسجاف، وسُجوف.

فقال: يا أمير المؤمنين أنبأنا أيمن بن نايل[١] عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله ﷺ بمنى علىٰ جمل وتحته رحل رثٌّ، فلم يكن ضرب ولا طرد ولا إليك إليك.

وتواضعك في سفرك هذا خير لك من تكبرك وتجبرك.

فبكى هارون حتىٰ سقطت الدموع علىٰ الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا يرحمك الله.

فأنشده:

هب إنك قد ملكت الأرض طرًّا[٢] ودان لك العباد فكان ماذا

أليس غدًا مصيرك جوف قبر ويحثو التراب عليك هذا ثم هذا

قال: أحسنت يا بهلول[٣] هل غيره؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، رجل أتاه الله مالاً وجمالاً، فأنفق من ماله وعفَّ في جماله كُتِب في خالص ديوان الله من الأبرار.

فقال: أحسنت يا بهلول مع الجائزة.

قال: أردد الجائزة علىٰ من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها.

قال: يا بهلول فنجري عليك ما يكفيك.

فرفع بهلول رأسه إلىٰ السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين اعلم أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني، فأسبل هارون السِّجاف ومضى.

الرابعة عشر: حكى عن علي رضي الله عنه أنه قال: دخلت مقابر البقيع[٤] لأزور

---

(١) أيمن بن نايل، أبو عمران، أبو عمرو الحبشي المكي الكوفي، صدوق، أخرج له البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة (١٦٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب (١/ ٣٩٣)، تقريب التهذيب (١/ ٨٨)، الكاشف (١/ ١٤٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٣١٩)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٨٣)، الوافي بالوفيات (١٠/ ٣٠)، سير الأعلام (٦/ ٣٠٩).

(٢) طرَّ طرًّا وطرورًا: كان طريرًا ذا رواء وجمال. والطُّرَة: ما تتزين به المرأة من الشعر الموفى علىٰ جبهتها بالقص والتصفيف.

(٣) اسمه البهلول بن عمرو، أو وهب الصيرفي الكوفي وسوس في عقله وما أظنه اختلط، أو قد كان يصحو في وقت فهو معدود في عقلاء المجانين.
وحدث عن عمرو بن دينار، وعاصم بن بهدلة، وأيمن بن نايل، وما تعرضوا له بجرح ولا تعديل ولا كتب عنه الطلبة، طول ترجمته ابن النجار وذكر أنه أتى بغداد، ولم أجد له وفاة. تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٨١ - ١٩٠).

(٤) روى مسلم في صحيحه [١٠٢ - (٩٧٤)] كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء =

الأحباب وجعلت أُسلِّم علىٰ واحد واحد، ثم وليت وأنا أقول:

ما لي مررت علىٰ القبور مسلمًا ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي
يا قبر ما لك لا تجيب مناديًا ... أمللت بعدي صُحبة الأحباب

فأجابني صوت

قل للحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا الرهين بجندل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وأحجبت عن أهلي وعن أحبابي

غيره

لياليك تفنى والذنوب كثيرة ... وعمرك يبلى والزمان جديد
وتحسب أن النقص فيك زيادة ... وأنت علىٰ النقصان حين تزيد

ووجد علىٰ باب مقبرة مكتوبًا:

سلام علىٰ أهل القبور[1] الدوارس ... كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء نهلة ... ولم يطعموا من كل رطب ويابس
ولم يك منهم في الحياة منافس ... طويل المُنا فيها كثير الوساوس
ألا ليت شعري أين قبر ذليلكم ... وقبر العزيز الشامخ المتشاوس[2]
لقد سكنوا في موحش التراب والثرى ... فها هم بها ما بين راج وآيس
ولو عقل المرء المنافس في الذي ... تركتم من الدنيا لم ينافس

خاتمة

عجَّ[3] بالمعالم والربوع ... وأسبل بِهِنَّ عن الجموع
أين الذين عهدتم ... يا دار في العز المنيع

= لأهلها، عن عائشة كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلىٰ البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

(١) قوله ﷺ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» دار مقصور علىٰ النداء أي يا أهل دار فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقيل: منصوب علىٰ الاختصاص.
قال صاحب المطالع: ويجوز جره علىٰ البدل من الضمير في عليكم، قال الخطابي: وفيه أن اسم الدار يقع علىٰ المقابر. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) تشوش عليه الأمر: اختلط والتبس.

(٣) عجَّ: عجًّا وعجيجًا: رفع صوته وصاح.

والـنـهـى والأمـر الـمـطـاع بـذروة[1] الـقـصـر الـرفـيـع
إن لـم تـجـبـك ديـارهـم يـا صـاح بـالأمـر الـفـظـيـع
فـلـسـان حـالـهـم يـقـول أمـا نـظـرت إلـىٰ الـربـوع
قـد أصـبـحـت مـهـجـورة مـن بـعـد مـنـظـرهـا الـبـديـع
هـيـهـات أن يـنـجـو غـدًا مـن الـعـذاب سـوى الـمـطـيـع

فصل

ونذكر حكايات تليق بالثاني:

فالأولى: حُكِيَ أن امرأة يقال لها ناهبة لما أشرفت علىٰ الموت رفعت رأسها إلىٰ السماء وقالت: يا ذُخري[2] وذخيرتي، ومن عليه اعتمادي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني.

فلما ماتت كان لها ولد يأتي كل ليلة جمعة، ويوم جمعة يقرأ عندها شيئًا من القرآن.

ويدعو ويستغفر لها ولأهل المقابر.

قال: فرأيتها في المنام، فسلَّمت عليها وقلت: يا أُماه كيف أنت؟ وكيف حالك؟

قالت: يا بني إن للموت كربة شديدة، وأنا بحمد الله في برزخ محمود، نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلىٰ يوم القيامة.

فقلت: ألك حاجة؟

قالت: يا بني لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا، فإني يا بني أُسرُّ بمجيئك إلينا ليلة الجمعة ويومها[3].

---

(١) الذروة: ذروة كل شيء: أعلاه، جمعها: ذُرا.

(٢) ذخر الشيء ذخرًا، وذخرًا جمعه وحفظه لوقت الحاجة إليه.

(٣) قال النووي في حديث عائشة في الصدقة عن الميت ووصول ثوابها إليه: وفي الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا علىٰ وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، وكذا إذا وصى بحج التطوع علىٰ الأصح عندنا، واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها، وقال جماعة من أصحابنا: يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور.

=

إذا أقبلت يقول لي الموتى: هذا ابنك قد أقبل فأُسرَّ بذلك، ويُسرّ من حولي.

قال: فكنت أزورها في كل ليلة جمعة ويومها وأقرأ عندها شيئًا من القرآن وأقول: أَنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وتقبل حسناتكم.

فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني فقلت: من أنتم؟ وما حاجتكم؟

فقالوا: نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك أن لا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فما زلت أقرأ وأدعو لهم بتلك الدعوات في كل ليلة جمعة ويومها.

ويحك تنبه لنفسك	واعمل لما تلقى غدا
فالموت يأتي بغتة	وليس عنه محيد
من لك إذا ملك	من كان يهوى صحبتك
وجزت لحدك وحدك	مفلس غريب وحيد
إن كنت يا صائح نائم	لا بد في القبر تنتبه
وأنت فيه (محر)[1]	عما تريد بعيد
أهل القبور تهيئوا	ما أنت فيه بجهدهم
ولست تدري	من هم شقي وسعيد
فدع دموعك تجري	قبل أن يقال لمن عصى
ألم تكن قبل تدري	أن الحساب شديد
كل القلوب قد كانت	لكن قلبك قد قسا
قد كان قلبك أضحى	بين القلوب جديد
ويحك فهيئ زادك	واحذر تفند[2] يا فتى
قبل أن تسافر بغتة	ما ينفع التفنيد

الثانية: عن صالح المري[3] قال: أقبلت ليلة الجمعة إلىٰ الجامع لأُصلي فيه صلاة الفجر.

= وقال أحمد: يصله ثواب الجميع كالحج. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٧٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) كذا بالأصل.

(٢) فَنَدَ فَنَدًا: كذب وأتى بالباطل، فنَّد فلانا خطَّأ رأيه، والمُفنَّد: الضعيف الرأي.

(٣) صالح المري، واعظ أهل البصرة، أبو بشر صالح بن بشير البصري، القاص، الزاهد، الخاشع =

فمررت بمقبرة لأهلي فجلست عند قبر، فغلبتني عيني فرأيت في نومي كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم.

فقعدوا حِلقًا حِلقا يتحدثون، وإذا بشاب عليه ثياب دنسة، قعد في جانب المقبرة مغمومًا مهمومًا فريدًا بنفسه.

فلم يلبثوا إلاَّ ساعة حتىٰ أقبلت ملائكة علىٰ أيديهم أطباق مغطاة بمنديل كأنه قال: من نور فكلما جاء أحد منهم طبق أخذه[1] ودخل في قبره حتىٰ بقي ذلك الفتى في آخر القوم، فلم يأته شيء فقام حزينًا ليدخل قبره.

فقلت: يا عبد الله ما لي أراك حزينًا؟ وما الذي رأيت؟

قال: يا صالح[2] هل رأيت الأطباق؟

قلت: نعم، فما هي؟

قال: تلك صدقات الأحياء ودعاؤهم لموتاهم تأتيهم ذلك ليلة الجمعة ويومها.

ثم ذكر كلامًا طويلاً، ذكر فيه أن له والدة اشتغلت عنه بالدنيا، وتزوجت والتهت وأنه يحق له أن يحزن، إذ ليس له من يذكره.

فسأله عن منزل والدته أين هو؟

فوصفه لي، فلما أصبح ذهب وسأل عنها.

فقص عليها قصته.

فبكت ثم قالت: يا صالح من نزل عن كبدي والحشا ومن كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حِوَاء.

ثم دفعت لي ألف درهم وقالت: تصدق بها عن حبيبي وقُرَّة عيني، ولا أنساه من الدعاء والصدقة في بقية عمري إن شاء الله.

= روى عن الحسن، وبكر بن عبد الله ومحمد بن سيرين وقتادة وأبي عمران الجوني، وثابت ومالك بن دينار وطائفة.

قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو داود: لا يكتب حديث، وقال أبو سعيد بن الأعرابي: كان الغالب عليه كثرة الذكر والقراءة بالتحزين يقال إنه أول من قرأ بالبصرة، توفي سنة (١٧٢). تاريخ الإسلام وفيات (١٧١ . ١٨٠).

(١) انظر ما تقدم في ثواب وصول الصدقة للميت عن النووي في شرح صحيح مسلم.

(٢) قال صالح: للبكاء دواع: الفكرة في الذنوب، فإن أجابت علىٰ ذلك القلوب وإلا نقلتها إلىٰ الموقف وتلك الشدائد والأهوال، فإن أجاب وإلا فاعرض عليها التقلب في أطباق النيران، ثم إنه صاح وغشي عليه، وضج الناس، وقال الأعرابي: إن غير واحد ممن سمع قراءة صالح مات منها. تاريخ الإسلام وفيات (١٧١ . ١٨٠).

قال صالح[١]: فتصدقت بها عنه.

فلما أقبلت أريد الجامع أتيت المقبرة، واستندت إلىٰ قبر، فخفقت برأسي، وإذا بالقوم خرجوا وإذا بالفتى عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فأقبل نحوي حتىٰ دنا مني وقال: يا صالح جزاك الله عني خيرًا.

قد وصلت إليَّ الهدية.

قلت له: أنتم تعرفون يوم الجمعة؟

قال: نعم، وإن الطيور تعرفه في الهواء وتقول سلام سلام ليوم صالح.

ألا أيها القلب الكثير علائقه ... ألم تر أن الدهر تجري بوائقه

ألا أيها الباكي علىٰ الميت بعده ... رويدك لا تعجل فإنك لاحقه

رويدك لا تنسى المقابر والبلى ... وطعم غذاء الموت الذي أنت ذائقه

إذا اعتصم مخلوق من فتن النوى ... بخالقه أنجاه منها خالقه

أرى صاحب الدنيا فقيهًا بجهله ... على ثقة من صاحب لا يفارقه

فلا تتمنى الموت يا صاح إنه ... ستأتيك منه عن قريب طوارقه[٢]

الثالثة: عن بعض أهل العلم أن رجلاً رأى في نومه أهل القبور قد خرجوا من قبورهم إلىٰ ظاهرة المقبرة، وهم يلتقطون شيئًا لا يدرى ما هو.

قال: فتعجبت من ذلك ، ورأيت واحدًا منهم جالسًا لا يلتقط معهم شيئًا.

قال: فدنوت منه وسألته ما الذي يلتقطه هؤلاء؟

فقال: يلتقطون ما يهدي إليهم المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء.

قال: فقلت : لم لا تلتقط أنت معهم؟

قال: أنا غني عن ذلك.

قلت: بأي شيء؟

قال: بختمة يقرؤها ويهديها إليَّ كل يوم ولد لي يبع الزَّلابية[٣] في السوق الفلاني.

فلما استيقظت ذهبت إلىٰ السوق فوجدته وهو شاب يبيعها ويحرك شفتيه.

---

(١) قلت أي الذهبي: روى خمسة عن يحيى تليين صالح المري وما في ضعفه نزاع، إنما الخلاف هل يترك حديثه أو لا؟ انظر المرجع السابق.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً، والنجم الثاقب، والحادث أو الحادث ليلاً، جمعها: طوارق.

(٣) الزَّلابية: حلواء تصنع من عجين رقيق تُصب في الزيت وتقلى ثم تعقد بالدِّبس، وهو عسل التمر.

فقلت له: بأي شيء تحرك شفتيك؟

قال: اقرأ القرآن، فأهديه لوالدي في قبره.

قال: فمكثت مدة من الزمان.

ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور يلتقطون كما تقدم، وإذا أنا بالرجل الذي كان لا يلتقط معهم صار يلتقط.

فاستيقظت وتعجبت من ذلك.

ثم ذهبت إلىٰ السوق لأتعرف خبر ولده، فوجدته قد مات.

الرابعة: قيل أن بعض النساء توفيت فرأتها امرأة في المنام تعرفها، إذا عندها تحت السرائر آنية من نور مغطاة.

فسألتها ما في هذه الأوعية؟

فقالت: فيها هدية أهداها إليَّ أبو أولادي البارحة.

فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة[١] فقال: قرأت شيئًا من القرآن البارحة وأهديته لها.

الخامسة: عن بعض الصالحين قال: بلغني أن بعض الموتى في بلاد اليمن راه بعض أصحابه في النوم، وكنت قد أهديت إليه شيئًا من القرآن[٢].

فقال له: سلِّم علىٰ فلان، وقل له جزاه الله عني خيرًا، كما أهدى إليَّ القرآن.

السادسة: رأى بعضهم العلامة عز الدين بن عبد السلام في منامه فقال له: ما تقول في قراءة القرآن للموتى؟

فقال: هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن.

يا غافلاً يتمادى ... في اللهو كم هذا الزلل

غدا عليك ينادى ... يا ناكثا خوَّان

لا تغترنَّ بالدنيا ... فليس هي الباقية

---

(١) مما يقول الزائر عند رؤية القبور: «اللهم رب الأرواح الباقية والأجسام البالية والشعور المتمزقة، والجلود المتقطعة والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أنزل عليها روحًا منك وسلامًا مني». انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٤٥١).

(٢) زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة، وتتأكد يوم الجمعة ويومًا قبلها ويومًا بعدها عند الحنفية والمالكية، وخالف الحنابلة والشافعية، وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت، فإن ذلك ينفع الميت علىٰ الأصح. انظر الفقه علىٰ المذاهب الأربعة (١/ ٤٥١).

الدار دار الأخرى ... فجد في البنيان
أبناء عشر تواصوا ... بالخير فيما بينكم
فالخير لا شك عادة ... من الصغر قد بان
أبناء عشرين جدّوا ... واستغنموا شبابكم
ما دام غصن الشيبة ... رطب لكم ريان
يا ابن الثلاثين بادر ... إلى المتاب فربما
تأتي المنايا بغتة ... وتحرم الإمكان
وأنت ماذا عُذرك ... ذا الوقت يا ابن الأربعين
وقد بلغت أشدك ... فاسبق إلىٰ الإحسان
أبناء الخمسين هذا ... وقت الرجوع عن الزلل(١)
فليس بعد الزيادة ... شيء سوى النقصان
أبناء ستين كونوا ... من المنون علىٰ حذر
فما أحد قط يعطي ... من المنون أمان
أبناء سبعين وأفحش ... المشيب وما
بقي للزرع إلاّ حصاده ... ويُنشر الديوان(٢)
يا ابن الثمانين قل لي ... في الدهر ماذا تنتظر
قد حان وقت رحيلك ... وشالت الركبان
أبناء تسعين فوالله ... قد كتب توقيعكم
من ربكم بالإنابة(٣) ... والعفو والغفران
يا ابن المائة آن وقتك ... وما بقي لك من عمل
إلاّ التوجه لله في ... السرّ والإعلان
قد حان وقت رحيلك ... فقم تجهز للسفر

---

(١) الزَّلة: السقطة والخطيئة.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: ١٠]. قال الضحاك: أعطي كل إنسان صحيفة بيمينه أو بشماله، وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى في صحيفته. تفسير ابن كثير (٤/٤٧٨).

(٣) أناب: رجع إليه مرة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع.

وحصِّل الزاد قبل أن … تبقى عليه ندمان

فصل

في أشعار أخرى

روى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه، وأنشد:[(١)]

ما لي مررت على القبور مسلِّمًا … قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيب ما لك لا تُجيب مناديًا … أمللت[(٢)] بَعدي خِلَّة الأحباب

فهتف بي هاتف من جانب القبر يقول:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم … وأنا الرهين بجندل[(٣)] وتراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم … وأُحجبت عن أهلي وعن أحبابي

وحضرت الحسين بن هاني الوفاة وأنشد:

دبَّ في السقام سفلاً وعلوا … وأراني أموت عضوا فعضوا

ليس من ساعة بدت لي إلاَّ … نغصتني[(٤)] بمُرِّها بي حلوا

لهف نفسي على ليال نُقضت … وسنين مضين لعبًا ولهوا

قد أسأنا كل الإساءة جهرًا … ومن الله نطلب الآن عفوا

شعر:

معارف في الثرى هجوع[(٥)] … والقلب من بعدهم صدوع

تكدَّرت بعدهم حياتي … فأوحشت منهم الربوع[(٦)]

كانوا سروري ونور عيني … فما لها بعدهم هجوع

ماتوا فماتت لذَّات عيشي … وبالأسى ذابت الضلوع

يا نفس كم من جموع وصل … فرقها للردى ولوع[(٧)]

---

(١) مر ذلك من قبل عن علي بن أبي طالب.

(٢) مَلَّ: فلان الشيء، سئمه، فهو ملّ.

(٣) الجنادل: الشديد العظيم.

(٤) نغَّص: فلانا: كدَّر عيشه، وتنغصت معيشته: تكدَّرت.

(٥) هَجَعَ: هجوعًا: نام ليلاً، والهجعة: النومة الخفيفة من أول الليل.

(٦) الرَّبع: الموضع ينزل فيه زمن الربيع، وتطلق على الدار.

(٧) وَلَعَ بفلان ولعًا: تعلق به بشدة، أُولع به: تعلَّق بشدة.

يا نفس للموت فاستعدي فالموت إتيانه سريع
فلا مليك في الدهر يبقى ولا شريف ولا وضيع[(١)]
ولا سعيد ولا شقي ولا مسيء ولا مطيع
يا نفس إن الأصول ماتت فما عسى تلبث الفروع

غيره:

أحبابنا فارقتمونا فأوحشت قلوب لنا من بعدكم وديار
فكم قد تذاكر مصارع[(٢)] من مضى فحادت دموع للفراق غزار
قضوا وقضيتم ثم يقضي ولا بقاء لحي وكاسات المنون تدار
وكنا وإياكم نزور مقابر ومتم فزرناكم فسوف نزار
سقت ديمة[(٣)] الرضوان رُبا ثراكم وسحت لها من ساحتيه بحار
يقول لسان الحال إذا خرس الردى لسانًا لهم منه الفصيح يغار
شربنا بكأس أسكرتنا مرارة الإرب[(٤)] سكر ما حباه عقار
وإنَّا وجدنا خير أزوادنا التُقى هو الربح حقًّا ما عداه خسار
وما العيش إلاَّ زورة الطيف في الكرى[(٥)] وما هذه الدنيا الدنية دار

غيره:

لقد زرت أقوامًا أُحبهم وهم تحت أطباق الثرى فيه أموات
وواصلتهم من بعد بين وفرقة فكان لنا فيهم غطات وأنصات
وأعجب شيء في الوجود اجتماعنا ونحن علىٰ ذاك التواصل الشتات[(٦)]

ويروى أنه وجد علىٰ قبر مكتوب:

اصبر لدهر نال فهكذا أمضيت الدهور فَرحًا وحزنًا مرة لا الحزن دام ولا السرور

---

(١) وَضَعَ فلان من فلان: حطَّ من قدره ودرجته.
(٢) صَرَعَ صرعًا: طرحه علىٰ الأرض، فهو مصروع.
(٣) دام الشيء دومًا: ثبت واستمر، والديوم: الدائم.
(٤) الأرب: البغية والأمنية والإرب: الحاجة.
(٥) الكَرَى: النُعاس، جمعها: أكراء.
(٦) الشَّتات: التفرق، وأمر شتات: متشتت.

غيره

يا آمن الأقدار بادر صرفها ... واعلم بأن الطالبين (حباث)[1]

خُذ من تراثك ما استطعت فإنما ... شركاؤك الأيام والوراث

المال مال المرء ما بلغت به ... الشهوات أو دفعت به الأحداث

ما كان منه فاضلاً عن قوته ... فليوقنن بأنه ميراث

ما لي إلىٰ الدنيا الغرورة حاجة ... مات الذكور بها ومات الإناث

(١) كذا بالأصل.

مجلس في كراهة تمني الموت بسبب ضُرّ نزل به ولا بأس لخوف الفتنة في الدين

روينا من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا يتمنى أحدكم الموت إما محسنًا فلعله يزداد، وإما مسيئًا فلعله يُستعتب»[1].

أخرجاه، السياق للبخاري.

ولمسلم: لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعٍ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلاَّ خيرًا»[2].

ففيه النهي عن تمني الموت والدعاء به، وإن من حكمه النهي حصول من لم ينزل به علىٰ أحد الحسنيين اللذين هما فائدة الحياة.

إما اكتساب وتدارك الفائت، وإما اجتناب سوء وبلاء.

وفي الثاني إن من حكمة النهي إندفاع آفة الموت إلىٰ أن يأتيه وآفته أن العبد إذا مات انقطع عمله لفوات مزرعة الآخرة.

وفيه أن الجالب للتمني ليس إلا وهم ضرر في الحياة كألم بدني ، أو قبض نفس أو خوف قلب أو اتلاف صبابة شوق أو غير ذلك.

وإنه لوهم فاسد ، والمؤمن له من الإيمان ما يوجب أن يزيد عمره إلا خيرًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٣) كتاب المرض والطب، ١٩ ـ باب تمني المريض الموت. ورقم (٧٢٣٥) كتاب التمني، ٦ ـ باب ما يكره من التمني. ومسلم في صحيحه [١٣ ـ (٢٦٨٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٤. باب تمني كراهة الموت لضر نزل به. وأبو داود (٣١٠٩) كتاب الجنائز باب كراهية تمني الموت وابن ماجه في سننه (٤٢٦٥) وأحمد في مسنده (١٠١/٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣٧/١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٧/٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦٣٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٧٧/٣).

(٢) انظر التخريج قبل هذا. وقال النووي: فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا. فأما إذا خاف ضررًا في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره. وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم وفيه أنه إن خاف ولم يصبر علىٰ حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللهم أحيني إن كانت الحياة خيرًا لي. . الخ. والأفضل الصبر والسكوت للقضاء. [النووي في شرح مسلم (٧/١٧). طبعة دار الكتب العلمية].

(وجندًا)[١] كلما ذكر عند التأمل.

وروينا من حديث أنس مرفوعًا: «لا يَتَمَنَّين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»[٢]. أخرجاه.

ففيه النهي عن تمنيه لضرِّه، ومفهومه أن لا يتمنى لهم ديني، وإرشاد المضطر إليه إلىٰ تفويض العليم وسؤاله من فضله أن يفعل ما هو بخيرته.

وروينا من حديث قيس بن أبي حازم قال: دخلنا علىٰ خباب بن الأرت[٣] نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وإنا أصبناه ما لا نجد له موضعًا إلاَّ التراب، ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطًا له فقال: «إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلاَّ في شيء يجعله في هذا التراب»[٤]. أخرجاه، واللفظ للبخاري.

وفيه الاعتصام بالسنة مع دفع الدواعي الدينية والدنيوية إليه آخره.

أُناس أعرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا ... فهلا أحسنوا الظنا
فإن عادوا لنا عدنا ... وإن خانوا فما خُنَّا
وإن كانوا قد استغنوا ... فأنا عنهم أغنى

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧١) كتاب المرض والطب، ١٩ ـ باب تمنى المريض الموت. ورقم (٦٣٥١) كتاب الدعوات، ٣٠ ـ باب الدعاء بالموت والحياة. ورقم (٧٢٣٣) كتاب التمنى، ٦ ـ باب ما يكره من التمنى. ومسلم في صحيحه [١٠ ـ (٢٦٨٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٤ ـ باب تمنى كراهة الموت، لضر نزل به.

(٣) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو عبد الله، أبو يحيى، أبو محمد التميمي الزهري الخزاعي، صحابي جليل مشهور، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٣٧، ١٩).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ١٣٣)، تقريب التهذيب (١/ ٢٢٢)، الكاشف (١/ ٢٧٧)، التاريخ الكبير (٣/ ٢١٥)، التاريخ الصغير (١/ ٧٨) الجرح والتعديل (٣/ ١٨١٧)، أسد الغابة (٢/ ١١٤)، الإصابة (٢/ ٢٥٨)، سير الأعلام (٢/ ٣٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٧٢) كتاب المرض والطب، ١٩ . باب تمني المريض الموت، ورقم (٦٣٤٩)، (٦٣٥٠) كتاب الدعوات، ٣٠ . باب الدعاء بالموت والحياة. ورقم (٦٤٣٠، ٦٤٣١) كتاب الرقاق، ٧ . باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها. ورقم (٧٢٣٤) كتاب التمني، ٦ . باب ما يكره من التمني. ومسلم في صحيحه [١٢ . (٢٦٨١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٤ . باب تمني كراهة الموت لضر نزل به.

مجلس في الدجال

روينا من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفَّض فيه ورفع، حتىٰ ظنناه في طائفة النَّخل[1]، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا.

فقال: «ما شأنكم؟».

قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة، فخفَّضت فيه ورفَّعت، حتىٰ ظنناه في طائفة النَّخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي علىٰ كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[2]، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله، فاثبتوا».

قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟

قال: «أربعون يومًا ، يوم كسنة، ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»[3].

---

(١) قوله: «فخفض فيه ورفَّع حتىٰ ظنناه في طائفة النَّخل» هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: أحدهما: أن خفض بمعنى حقر، وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهوانه علىٰ الله تعالىٰ عوره، ومنه قوله ﷺ «هو أهون علىٰ الله من ذلك» وأنه لا يقدر علىٰ قتل أحد إلاَّ ذلك الرجل، ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة وأنه ما من نبي إلاَّ وقد أنذره قومه.
والوجه الثاني: أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٥٧ . (٨٠٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٤٤ . باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.
قال النووي: وفي رواية: من آخر الكهف، قيل: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال.

(٣) قال العلماء: هذا الحديث علىٰ ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة علىٰ هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله ﷺ «وسائر أيامه كأيامكم» وأما قولهم يا رسول الله فذلك اليوم الذي =

قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟

قال: «لا، اقدروا له قدره».

قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟

قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي علىٰ القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنُبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلتين[1] رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين[2] واضعًا كفيه علىٰ أجنحة ملكين.

إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلاَّ مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتىٰ يدركه بباب لُدِّ، فيقتله.

ثم يأتي عيسىٰ ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة.

فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلىٰ عيسىٰ: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلىٰ الطور.

ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون[3]، فيمر أوائلهم علىٰ

= كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال: لا اقدروا له قدره، فقال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع.

قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلىٰ اجتهادنا لاقتصرنا فيه علىٰ الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

(١) جَزْلَتَين: بفتح الجيم علىٰ المشهورة، وحكى ابن دريد كسرها أي قطعتين ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته، وحكى القاضي هذا، ثم قال: وعندي أن فيه تقديمًا وتأخيرًا وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول.

(٢) المهرودتان: روى بالدال المهملة، والذال المعجمة والمهملة أكثر، ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس، ثم بزعفران، وقيل: هما شقتان والشقة نصف الملاءة.

(٣) قوله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الحدب: النشز، وينسلون: يمشون مسرعين.

بحيرة طبرية فيشربون، ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.

ويحصر نبي الله عيسىٰ وأصحابه حتىٰ يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف[١] في رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزلقة[٢]. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك. وروي بركتك. فيومئذ يأكل العصابة[٣] من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل[٤] حتىٰ إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج

---

(١) النغف، بنون وغين معجمة مفتوحتين، ثم فاء: وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نغفة. والفرسى، بفتح الفاء مقصور: أي قتلى، واحدهم: فريس.

(٢) الزلفة: روي بفتح الزاي واللام والقاف، وروي الزلفة، بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروي الزلفة بفتح الزاي والام وبالفاء: قال القاضي: روي بالفاء والقاف، وبفتح اللام وبإسكانها، وكلها صحيحة، قال في المشارق: والذي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه كالمرآة. وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا؛ شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل كمصانع الماء، أي أن الماء يستنقع فيها حتىٰ تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء، وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل كالصحفة، وقيل كالروضة. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٥٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) العصابة: الجماعة. وقحفها، بكسر القاف: مقعد قشرها، شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٤) الرِّسل، بكسر الراء وإسكان السين: هو اللبن. واللقحة، بكسر اللام وفتحها، لغتان مشهورتان، والكسر أشهر: وهي القريبة العهد بالولادة، وجمعها لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك، واللقوح ذات اللبن، وجمعها لقاح.

والفئام، بكسر الفاء، وبعدها همزة ممدودة: وهي الجماعة الكثيرة، هذا هو المشهور والمعروف في كتب اللغة وكتب الغريب ورواية الحديث أنه بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز، بل يقوله بالياء. وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، وهي رواية القابسي.

الحمر[1]، فعليهم تقوم الساعة»

رواه مسلم[2].

وقوله: خلَّة بين الشام والعراق: أي طريقا بينهما.

وقوله: عاث، بالعين المهملة والثاء المثلثة، العيث: أشد الفساد.

والذرا: الأسنمة، واليعاسيب: ذكر النحل.

وجَذْلَتَيْن: أي قطعتين.

والغرض: الهدف الذي يرمى بالنشاب، أي يرميه رمية كرمية النشابة.

والمهرودة: بالدال المهملة والمعجمة، هي الثوب المصبوغ.

قوله: لا يدان: أي لا طاقة.

والنغف: دود. وفرسى: جمع فريس، وهو القتيل.

والزلقة: بفتح الزاي واللام والقاف، وروي الزُّلفة بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي المرآة.

والعصابة: الجماعة. والرسل: بكسر الراء: اللبن. واللقحة: اللبون.

والفئام: بكسر الفاء وبعدها همزة: الجماعة.

والفخذ من الناس دون القبيلة.

---

(١) قوله: «يتهارجون تهارج الحمر» أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.

والهرج، بإسكان الراء الجماع، يقال: هرج زوجته أي جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها. [النووي في شرح مسلم (١٨/٥٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٠ . (٢١٣٧)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٠] باب ذكر الدجال وصفته وما معه، والترمذي في سننه (٢٢٤٠)، وابن ماجه في سننه (٤٠٧٥)، و السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٨١، ٥/ ١٤٥)، والزبيدي في الإتحاف(١/ ٣٥١)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٥/ ١٤٧)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٤١٤، ٥/ ٣٦٨).

وقال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض . رحمه الله تعالى: نزول عيسىٰ . ﷺ . وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة، للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطل فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وبقوله ﷺ: «لا نبي بعدي» وبإجماع المسلمين علىٰ أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلىٰ يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسىٰ . ﷺ . أن ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا.

[النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية].

وعن ربعي بن حراش[١] قال: انطلقت مع أبي مسعود الأنصاري إلىٰ حذيفة بن اليمان فقال أبو مسعود: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال. قال: «**إن الدجال يخرج ومعه ماء ونار، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق. وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب**»[٢] فقال عقبة: وأنا قد سمعته. متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين. لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما. فيبعث الله عيسىٰ ابن مريم[٣] كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى علىٰ وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتىٰ لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتىٰ تقبضه». قال سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع**[٤] **لا يعرفون**

---

(١) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو الغطفاني ثم العيسي الكوفي، أحد كبار التابعين المعمرين، وهو أخو الرجل الصالح مسعود بن حراش الذي تكلم بعد الموت، وسمع عمر بن الخطاب بالجابية وعليا وحذيفة وأبا موسى وأبا مسعود البدري، وأبا بكرة الثقفي وجماعة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة. توفي سنة (١٠٤) أو (١٠٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٣/ ٢٣٦)، تقريب التهذيب(١/ ٢٤٣)، تاريخ البخاري الكبير (٣/ ٣٢٧)، تاريخ البخاري الصغير (١/٨٨)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٣٧)، الوافي بالوفيات (١٤/ ٧٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٩)، الثقات (٤/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٣٠) كتاب الفتن، [٢٧] باب ذكر الدجال، ومسلم في صحيحه [١٠٧. (٢٩٣٤، ٢٩٣٥)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٠] باب ذكر الدجال وصفته وما معه، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٧٣).

قال النووي: قوله ﷺ: «معه جنة ونار، فجنته نار، وناره جنة» وفي رواية: «نهران» وفي رواية «ماء ونار» قال العلماء: هذا من جملة فتنته، امتحن الله تعالىٰ به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل، ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وبقوله ﷺ: «لا نبي بعدي» وبإجماع المسلمين علىٰ أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلىٰ يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسىٰ ﷺ. أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث هنا. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) قال العلماء: معناه: يكونون في سرعتهم إلىٰ الشر وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية.

معروفا ولا ينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون ؟ فيقولون: فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارة أرزاقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا» قال: «وأول من يسمعه رجل يلوط[1] حوض إبله»، قال: فيصعق، ويصعق الناس. ثم يرسل الله» أو قال: «ينزل الله مطرا كأنه الطل[2] أو الظل، فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلىٰ ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم ؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق[3] رواه مسلم.

الليت: صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

وروينا من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال[4] إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[5].

---

(١) أي يطينه ويصلحه.

(٢) قوله: «كأنه الطل أو الظل» قال العلماء: الأصح: الطل بالمهملة، وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمني الرجال، وفي آخره قوله: «فذلك يوم يكشف عن ساق» قال العلماء: معناه ومعنى ما في القرآن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القَلَم: ٤٢] يوم يكشف عن شدة وهول عظيم، أي يظهر ذلك، يقال: كشفت الحرب عن ساقتها، إذا اشتدت، وأصله أن من جد في أمره كشف عن ساقه مستمرا في الخفة والنشاط له.

(٣) رواه مسلم في صحيحه [١١٦. (٢٩٤٠)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٣] باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسىٰ وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٥، ٤/ ٥٥٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩، ٤/ ١٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٢٥٦)، وابن كثير في تفسيره(٢/ ٤١٦، ٦/ ٢٢٥).

(٤) في إظهار الدجال لبعض الخوارق قال النووي: الجواب أنه إنما يدعي الربوبية، وأدلة الحدوث تخل ما ادعاه وتكذبه، وأما النبي فإنما يدعي النبوة، وليست مستحيلة في البشر، فإذا أتى بدليل لم يعارضه شيء صُدِّقَ، وأما قول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر ؟ فيقولون: لا، فقد يستشكل لأن ما أظهره الدجال لا دلالة فيه لربوبيته لظهور النقص عليه، ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٥٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٨١) كتاب فضائل المدينة، [٩] باب لا يدخل الدجال المدينة، =

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا، عليهم الطيالسة**»[١].

وعن أم شريك مرفوعا: «لَيَفرنَّ الناس من الدجال»[٢].

وعن عمران بن حصين: «ما بين خلق آدم - ﷺ - إلىٰ قيام الساعة أمر أكبر من الدجال»[٣] أخرج هذه الأحاديث الثلاثة مسلم.

وروينا من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فيتلقاه المسالح، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول أعمد إلىٰ هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه، قال فينطلقون به إلىٰ الدجال، فإذا رآه المؤمنون قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال: «فيأمر الدجال به فيشج، فيقول: خذوه وشجوه، فيُوسَع ظهره وبطنه ضربا»، قال: «فيقول: أوما تؤمن بي؟» قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال فيؤمر به فيوشر بالمنشار من مفرقه حتىٰ يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم، فيستوي قائما» قال: «ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة[٤]» قال: «ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس» قال: «فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلىٰ ترقوته نحاسا، فلا يستطيع إليه سبيلا، قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به،**

= ورقم (٧١٢٣) كتاب الفتن، [٢٧] باب ذكر الدجال، ورقم (٧١٣٤) [٢٨] باب لا يدخل الدجال المدينة، ورقم (٧٤٧٣)كتاب التوحيد، [٣١]باب في المشيئة والإرادة، مسلم في صحيحه [١٢٣. (٢٩٤٣)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٤] باب قصة الجساسة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٤. (٢٩٤)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٥] باب في بقية من أحاديث الدجال، والتبريزي في مشكاة المصابيح(١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٥. (٢٩٤٥)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، والترمذي في سننه (٣٩٣٠) كتاب المناقب، باب مناقب في فضل العرب، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٤٦٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٦. (٢٩٤٦)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٥] باب في بقية من أحاديث الدجال، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩، ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٨)، والتبريزي (٥٤٦٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٥٤).

(٤) ما أظهره الدجال لا دلالة فيه لربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات، وشهادة كذبه، وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك.

فيحسب الناس أنما قذفه إلىٰ النار، وإنما أُلقي به في الجنة». فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين» رواه مسلم[(١)] وروى البخاري بعضه بمعناه.

المسالح: هم الخفراء والطلائع.

ويقال إن هذا الرجل هو الخضر[(٢)]. ﷺ.

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته، وإنه قال لي: «ما يضرك؟» قلت: إنهم يقولون إن معه جبلا من خبز ونهرا من ماء، قال: «**هو أهون علىٰ الله من ذلك**» متفق عليه[(٣)].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: ك ف ر»[(٤)] متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدثكم حديثا عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٣ . (٢٩٣٨)] كتاب الفتن، [٢١] باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٧٦).

(٢) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر، وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٢٢) كتاب الفتن، [٢٧] باب ذكر الدجال، ومسلم في صحيحه [١١٤، ١١٥. (٢٩٣٩)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٢] باب في الدجال وهو أهون علىٰ الله ﷻ، وابن ماجه في سننه (٤٧٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤٦، ٢٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٤).

وقال النووي: قال القاضي: معناه هو أهون علىٰ الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالىٰ علىٰ يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانا، ويثبت الحجة علىٰ الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٣١) كتاب الفتن، [٢٧] باب ذكر الدجال، ورقم (٧٤٠٨) كتاب التوحيد، [١٧] باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، مسلم في صحيحه [١٠١. (٢٩٣٣)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٠] باب ذكر الدجال وصفته وما معه، والترمذي في سننه (٢٢٤٥) كتاب الفتن، باب ما جاء في قتل عيسىٰ ابن مريم الدجال، وأحمد في مسنده (٣/ ١٧٣، ٢٧٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٤٥)، والعجلوني في كشف الخفا(٢/ ٤٢١).

الدجال، ما حدث به نبي أمته، إنه أعور[1] وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»[2] متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: **«إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة»**[3] متفق عليه.

طافئة[4]: أي لا نور فيها، وورد أن اليسرى كذلك، أي جاحظ بكل منهما عوراً أي معيبة.

---

(١) في ظهور الدجال وما يكون من أمره قال النووي: هو مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي مخارق خيالات لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا غلط من جميعهم ؛ لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الألوهية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيح (٣٠٥٧) كتاب الجهاد والسير، [١٧٨] باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، ورقم (٣٣٣٨) كتاب أحاديث الأنبياء، [٤] باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾، ومسلم في صحيحه [١٠٩. (٢٩٣٦)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٠] باب ذكر الدجال، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٤٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٧٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٣٧) كتاب أحاديث الأنبياء، [٤] باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾، ورقم (٧١٢٥) كتاب الفتن، [٢٧] باب ذكر الدجال، ومسلم في صحيحه [١٠٠. (١٦٩)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٠] باب ذكر الدجال وصفته وما معه، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧، ١٣٠، ١٤٩)، والخطيب في الفقيه والمتفقه(٢/ ١٢٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٩٧)، وابن حجر في تغليق التعليق (١٠٦٧).

(٤) أما طافئة: فرويت بالهمز وتركه، وكلاهما صحيح، فالمهموزة هي التي ذهب نورها وغير المهموزة التي نتأت وطفت مرتفعة، وفيها ضوء، وقد جاء في رواية أعور العين اليمنى، وفي رواية اليسرى، وكلاهما صحيح، والعور في اللغة العيب، وعيناه معيبتان عوراً، وأن إحداهما طافئة بالهمزة لا ضوء فيها، والأخرى طافية بلا همزة ظاهرة ناتئة. [النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

مجلس في منثورات وملح ومواعظ وزهد ورقائق ومغنيات وغير ذلك

روينا من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال[1] : «لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود حتىٰ يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد[2] فإنه من شجر اليهود» متفق عليه.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتىٰ يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء»[3] . متفق عليه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٩٢٥، ٢٩٢٦) كتاب الجهاد والسير، [٩٤] باب قتال اليهود، ورقم (٣٥٩٣) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في صحيحه [٨٢. (٢٩٢٢)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [١٨] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤١٤).

(٢) قوله ﷺ: «إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود. وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١١٥) كتاب الفتن، [٢٣] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يغبط أهل القبور، مسلم في صحيحه [٥٣، ٥٤. (١٥٧)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [١٨] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٦، ٥٣٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٢٢٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤، ١٠/ ٣٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١١٩) كتاب الفتن، [٢٥] باب خروج النار، ومسلم في صحيحه [٢٩. (٢٨٩٤)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٨] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يحسر الفرات عن جبل من ذهب، وابن ماجه في سننه (٤٠٤٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢)، والطبراني في =

وفي رواية: «يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا»[(١)]. متفق عليه.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يتركون المدينة علىٰ خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي. يريد عوافي السباع والطير، وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا حتىٰ إذا بلغا ثنية الوداع خرا علىٰ وجوههما»[(٢)]. متفق عليه[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان يحثو**[(٤)] **المال ولا يعده**»[(٥)]. رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ليأتين علىٰ الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب**[(٦)] **ثم لا يجد أحدا يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه**

= المعجم الكبير (١/ ١٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٤٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١١٩) كتاب الفتن [٢٥] باب خروج النار، ومسلم في صحيحه [٣٠، ٣١ (٢٨٩٤)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٨] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يحسر الفرات عن جبل من ذهب، وأبو داود في سننه (٤٣١٣)، والترمذي في سننه (٢٥٦٩، ٢٥٧٠) كتاب صفة الجنة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤٦، ٤١٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٤٤٢).

(٢) أما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة ؛ فإنهما يخران علىٰ وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر كما ثبت في صحيح البخاري، فهذا هو الظاهر المختار، وقال القاضي عياض: هذا فيما جرى في العصر الأول وانقضى، قال: وهذا من معجزاته ﷺ، فقد تركت المدينة علىٰ أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلىٰ الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا. [النووي في شرح مسلم (٩/ ١٣٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٧٤) كتاب فضائل المدينة، [٥] باب من رغب عن المدينة، ومسلم في صحيحه [٤٩٩. (١٣٨٩)] كتاب الحج، [٩١] باب في المدينة حين يتركها أهلها.

(٤) قال أهل اللغة: يقال: حثيت أحثي حثيا، وحثوت أحثو حثواً، لغتان، ومعنى الحثو هو الحفن باليدين، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٨ ـ (٢٩١٤)]، [٦٩ ـ (٢٩١٤)]، (٢٩١٣)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [١٨] باب لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه من البلاء، وأحمد في مسنده (٢/ ٥، ٣٨، ٣٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٨).

(٦) إنما هذا يتضمن التنبيه علىٰ ما سواه؛ لأنه إذا كان الذهب لا يقبله أحد فكيف الظن بغيره.
وقوله ﷺ «يطوف» إشارة إلىٰ أنه يتردد بها بين الناس فلا يجد من يقبلها، فتحصل المبالغة =

أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء[(١)]. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اشترى رجل من رجل عقارا فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، فقال الذي باع الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها.**

قال: فتحاكما إلىٰ رجل، فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلام، وقال: الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا علىٰ أنفسكما منه وتصدقا»[(٢)] متفق عليه.

وعنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلىٰ داود، فقضى بهِ للكبرى، فخرجتا علىٰ سليمان بن داود. عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى»[(٣)]. متفق عليه، والله الموفق.

وعن مرداس الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: يذهب الصالحون: الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير. أو التمر. لا يباليهم الله بالة»[(٤)] رواه البخاري.

= والتنبيه علىٰ عدم قبول الصدقة بثلاثة أشياء: كونه يعرضها، ويطوف بها، من ذهب. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٩. (١٠١٢)] كتاب الزكاة، [١٨] باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه [٢١. (١٧٢١)] كتاب الأقضية، [١١] باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٨٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٧٦٩) كتاب الفرائض، [٣٠] باب إذا ادعت المرأة ابنا. ومسلم في صحيحه [٢٠. (١٧٢٠)] كتاب الأقضية، [١٠]باب بيان اختلاف المجتهدين، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٧١٩).
قال النووي: يحتمل أن داود. ﷺ قضى به للكبرى لشبه رآه فيها أو أنه كان في شريعته الترجيح بالكبير، ولكونه كان في يدها، وكان ذلك مرجحا في شرعه، وأما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة إلىٰ معرفة باطن القضية، فأوهمهما أنه يريد قطعه ليعرف من يشق عليها قطعه، فتكون هي أمه، فلما أرادت الكبرى قطعه عرف أنها ليست أمه، فلما قالت الصغرى ما قالت عرف أنها أمه، ولم يكن مراده أن يقطعه حقيقة، وإنما أراد اختبار شفقتهما لتتميز له الأم، فلما تميزت بما ذكرت عرفها. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ١٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٣٤) كتاب الرقاق، [٩] باب ذهاب الصالحين، ويقال الذهاب =

وعن رفاعة بن رافع الدرقي قال: جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين. أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة»(١). رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بُعِثوا علىٰ نياتهم»(٢) متفق عليه.

وعن جابر رضي الله عنهما قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ، يعني في الخطبة، فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتىٰ نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه»(٣).

وفي رواية: فوضع يده عليه فسكن»(٤).

وفي رواية: «فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ علىٰ المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتىٰ كادت أن تنشق».

وفي رواية: «فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ حتىٰ أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسَكَّن حتىٰ استقرت» قال بكت علىٰ ما كانت تسمع من الذكر»(٥). رواه البخاري.

وعن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله فرض فرائض فلا تُضيِّعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»(٦)حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

= المطر، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٣٦٢)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٠١)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٢٨٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٩٩٢) كتاب المغازي، [١١] باب شهود الملائكة، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٦٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٧٩، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٠٨) كتاب الفتن، [٢٠] باب إذا أنزل الله بقوم عذابا، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٠، ١٣٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٣٤٤). ورواه مسلم عن عائشة [٨ (٢٨٨٤)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢] باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩١٨) كتاب الجمعة، [٢٦] باب الخطبة علىٰ المنبر.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٨٥) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٥٨٤) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام.

(٦) أخرجه الدارقطني في سننه(٤/ ٢٩٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١/ ١٧١، ٧/ ٢٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(١٩٧)، وابن حجر في المطالب العالية (٢٩٠٩)، والخطيب في الفقيه والمتفقه(٢/ ٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٧).

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: " غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد "[١].

وفي رواية: " نأكل معه الجراد " متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا يُلْدغ المؤمن من جحر مرتين»**[٢] متفق عليه.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل علىٰ فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدَّقه، وهو علىٰ غير ذلك، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف»[٣] متفق عليه.وعنه عن النبي ﷺ قال: **«ما بين النفختين أربعون»، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما؟. قال أبيت. قالوا: أربعون شهرا ؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت «ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل»[٤] متفق عليه.**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٤٩٥) كتاب الذبائح الصيد والتسمية علىٰ الصيد، [١٣] باب أكل الجراد، ومسلم في صحيحه [٥٢. (١٩٥٢)] كتاب الصيد، [٨] باب إباحة الجراد، وأبو داود في سننه (٣٨١٢) كتاب الأطعمة، باب في أكل الجراد، والنسائي (٧/ ٢١٠. المجتبى)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٣٧، ١٢/ ٥٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦١٣٣) كتاب الأدب، [٨٣] باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ومسلم في صحيحه [٦٣. (٢٩٩٨)] كتاب الزهد والرقائق، [١٢] باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وابن ماجه في سننه (٣٩٨٢، ٣٩٨٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ١١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٧٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ٩٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ١٢٧، ١٦٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٠٥٣)، والخطيب في تاريخ بغداد(٥/ ٢١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٥٨) كتاب المساقاة، [٦] باب إثم من منع ابن السبيل من الماء، و رقم (٢٣٦٩) كتاب المساقاة، [١١] باب من رأى أن صاحب الحوض أو القربة أحق بمائه، ورقم (٢٦٧٢) كتاب الشهادات، [٢٢] باب اليمين بعد العصر، ورقم (٧٢١٢) كتاب الأحكام، [٤٨] باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا، ورقم (٧٤٤٦) كتاب التوحيد، [٢٤] باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾، ومسلم في صحيحه [١٧٣. (١٠٨)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمَنّ بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، وأبو داود (٣٤٧٤)، والترمذي (١٥٩٥)، والنسائي (٥/ ٨١ . المجتبى)، وابن ماجه (٢٢٠٧، ٢٢٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٩٣٥) كتاب تفسير القرآن، من سورة عم يتساءلون، [١] باب =

وعنه: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟[(١)] فمضى رسول الله ﷺ يحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتىٰ إذا قضى حديثه قال: **«أين أراه السائل عن الساعة؟» قال ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلىٰ غير أهله فانتظر الساعة»**[(٢)] رواه البخاري.وعنه رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: " خير الناس للناس؛ **يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتىٰ يدخلوا الإسلام**"[(٣)].

وعنه عن النبي ﷺ قال: **«عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»**[(٤)].

معناه: يؤسرون ويقيدون، ثم يسلمون فيدخلون الجنة.

وعنه عن النبي ﷺ قال: **«أحب البلاد إلىٰ الله مساجدها، وأبغض البلاد إلىٰ الله أسواقها»**[(٥)] رواه مسلم.

= ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨]، ومسلم في صحيحه [١٤١. (٢٩٥٥)] كتاب الفتن، [٢٨] باب ما بين النفختين، والمنذري في الترغيب والترهيب(٤/ ٣٨٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٥٢١)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٢٨).

(١) في حديث جبريل المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه: قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩) كتاب العلم، [٢] باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ورقم (٦٤٩٦) كتاب الرقاق، [٣٥] باب رفع الأمانة، والزبيدي في الإتحاف(١/ ٢٨٤، ٣١٩، ٣٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٥٥٧) كتاب تفسير القرآن، سورة آل عمران، [٧] باب﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٠١٠) كتاب الجهاد والسير، [١٤٤] باب الأسارى في السلاسل، والزبيدي في الإتحاف(٩/ ٦٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٩٦٠)، وفي زاد المسير (١/ ٤٤٠)، وابن كثير في تفسيره(٢/ ٧)، والقرطبي في تفسيره (٥/ ٧١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٨٨. (٦٧١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٥٢] باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٣).

قال النووي: لأن المساجد بيوت الطاعات، وأساسها علىٰ التقوى، أما الأسواق فهي محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه، والحب والبغض من الله تعالىٰ إرادته الخير والشر أو فعله ذلك بمن أسعده أو أشقاه، والمساجد محل نزول الرحمة، والأسواق ضدها.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه من قوله: " لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ؛ فإنها معركة الشيطان[١] وبها ينصب رايته "[٢]. رواه مسلم.

هكذا رواه البرقاني في صحيحه.

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فبها باض الشيطان وفرخ»[٣].

وعن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس قال[٤]: قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله غفر الله لك. «قال ولك» قال عاصم: فقلت له: استغفر لك رسول الله ؟ قال نعم، ولك، ثم تلى هذه الآية: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[٥] رواه مسلم.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[٦] رواه البخاري.

---

(١) قال أهل اللغة: المعركة بفتح الراء، موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضا فيها، ومصارعتهم، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها، ونيله منهم بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش والبيع علىٰ بيع أخيه، والشراء علىٰ شرائه، والسوم علىٰ سومه، وبخس المكيال والميزان.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [١٠٠. (٢٤٥١)] كتاب فضائل الصحابة، [١٦] باب فضائل أم سلمة أم المؤمنين .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٠٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ٧٧)، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٠٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٢. (٢٣٤٦)] كتاب الفضائل، [٣٠] باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ وتكملته: "قال: ثم درت خلفه فنظرت علىٰ خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل.
وقال النووي: أما ناغض كتفه فبالنون والغين والضاد المعجمتين، والغين مكسورة، وقال الجمهور: النغض والناغض أعلى الكتف، وقيل هو العظم الرقيق الذي علىٰ طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك. وأما قوله: "جمعا " فبضم الجيم وإسكان الميم، ومعناه أنه كجمع الكف، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها. والخيلان فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء، جمع خال، وهو الشامة في الجسد، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٨٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) سورة محمد (١٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٨٣، ٣٤٨٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦] يلي باب حديث الغار،وأحمد في مسنده (٤/ ١٢١، ٥/ ٣٧٢)، ومالك في الموطأ(١٥٨)، والبيهقي في=

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال: النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(١) متفق عليه.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَت الملائكة من نور، وخلقت الجان من نار، وخلق آدم مما وصُف لكم»(٢) رواه مسلم.

وعنها قالت: " كان خُلُق نبي الله ﷺ القرآن "(٣) رواه مسلم في جملة حديث طويل.

وعنها قالت(٤): قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن

= السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢)، والشجري في أماليه (٢/ ١٩٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٠٧٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٧٠)/ والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٣٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٢٠٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ١٠٠، ١٠/ ٣٠٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٨٦٤) كتاب الديات، [١] باب قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، ومسلم في صحيحه [٢٨ . (١٦٧٨)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، [٨] باب المجازاة بالسماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، والنسائي (٧/ ٨٤ . المجتبى)، وابن ماجه (٢٦١٥، ٢٦١٧)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٨، ٤٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه(٩/ ٤٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٩٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٨٧، ٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٤٤٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٠ . (٢٩٩٦)] كتاب الزهد والرقائق، [٩] باب تشميت العاطس وكراهية التثاؤب، وأحمد في مسنده (٦/ ١٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ١٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٤٣)، وفي الحبائك في الملائك (٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٧٠١)، وعبد الرزاق في مصنفه(٢٠٩٠٤)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٨)، والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات(٣٤٣، ٣٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٩١، ١٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٩)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٥٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢، ٦/ ٢٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٨).

(٤) الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة: من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله، ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له، ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلىٰ ما أعد لهم، ويحب الله لقاءهم، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة. وأهل الشقاء يكرهون لقاء الله لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم =

كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[(١)] رواه مسلم.

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي قالت: كان النبي ﷺ معتكفا، فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني[(٢)]. وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد. فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رِسْلِكما؛ إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله. قال: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا**» أو قال: «**شيئاً**»[(٣)] متفق عليه.

= أي يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالىٰ لقاءهم كراهتهم ذلك ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك، بل هو صفة لهم. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥ . (٢٦٨٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٥] باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والترمذي (١٠٦٦، ١٠٦٧)، والنسائي (٤/ ٩، ١٠. المجتبى)، وابن ماجه (٤٢٦٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٣، ٣٤٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ٣٢٠، ٣٢١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٣٣، ٣٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٦٤، ٦/ ١٦٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٥٥)، والزبيدي في الإتحاف(١/ ٣٣٠، ٩/ ٦١٥).

(٢) فيه جواز زيارة المرأة لزوجها المعتكف في ليل أو نهار، وأنه لا يضر اعتكافه لكن يكره الإكثار من مجالستها والاستلذاذ بحديثها لئلا يكون ذريعة إلىٰ الوقوع أو إلىٰ القبلة أو نحوها مما يفسد الاعتكاف، وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان؛ فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٣١٠١) كتاب فرض الخمس، [٤] باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب من البيوت إليهن، ومسلم في صحيحه [٢٤ . (٢١٧٥)] كتاب السلام، [٩] باب بيان أن يستحب لمن رُئِيَ خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، وأبو داود في سننه (٢٤٧٠) كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، والترمذي في سننه (١١٧٢)، وابن ماجه في سننه (١٧٨٠)، وأحمد في مسنده (٦/ ٣٣٧)، و أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٩٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٦٨).

وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان[١] بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ علىٰ بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي[٢]، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار.

قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة[٣] رسول الله ﷺ أكُفّها إرادة أن لا تُسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس ناد أصحاب السمرة[٤]» فقال عباس. وكان رجلا صيّتا[٥]: فقلت: بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمرة؟ قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر علىٰ أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة علىٰ بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو علىٰ بغلته كالمتطاول عليها إلىٰ قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس».

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: **«انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال علىٰ هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حَدَّهم كليلا وأمرهم مدبرا»**

---

(١) أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول الله ﷺ، قال جماعة من العلماء: اسمه هو كنيته، وقال آخرون: اسمه المغيرة، وممن قاله هشام بن الكلبي وإبراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وغيره، وفي هذا عطف الأقارب بعضهم علىٰ بعض عند الشدائد، وذب بعضهم عن بعض.

(٢) فروة بن نفاثة، فهو بنون مضمومة ثم فاء مخففة، ثم ألف ثم ثاء مثلثة، وفي رواية إسحاق بن إبراهيم التي بعدها قال: فروة بن نعامة، بالعين والميم، والصحيح المعروف الأول، قال القاضي: اختلفوا في إسلامه فقال الطبري: أسلم وعمَّر عمراً طويلاً، وقال غيرهم: لم يسلم، وفي صحيح البخاري الذي أهداها له ملك أيلة، واسمه فيما ذكر ابن إسحاق بحنة بن روبة. [النووي في شرح مسلم (١٢/٩٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) قال العلماء: ركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضا يكون معتمدا يرجع المسلمون إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدا، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة، ومما ذكر في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلىٰ جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، وفي الرواية الأخرى أنه نزل علىٰ الأرض حين غشوه، وهذا مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر.

(٤) هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان،ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٥) ذكر الحازمي في المؤتلف أن العباس رضي الله عنه كان يقف علىٰ سلع فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة فيسمعهم، قال: وبين سلع والغابة ثمانية أميال.

رواه مسلم[١].

الوطيس: التنور، ومعناه اشتدت الحرب. وقوله: حدهم: بالحاء المهملة: أي بأسهم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طَيِّب لا يقبل إلا طيبا[٢] وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٤] ثم ذكر الرجل يطيل السفر[٥] أشعث أغبر، يمد يديه إلىٰ السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام فأنّى يستجاب له»[٦]. رواه مسلم.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[٧] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٦ . (١٧٧٥)] كتاب الجهاد والسير، [٢٨] باب في غزوة حنين، وأحمد في مسنده (١/ ٢٠٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٧٤١)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٢٥)، والحميدي في مسنده(٤٥٩).

(٢) قال القاضي: الطيب في صفة الله تعالىٰ بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام.
وقد جمعت منها أربعين حديثا في جزء، وفيه الحث علىٰ الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة المؤمنون (٥١).

(٤) سورة البقرة (١٧٢).

(٥) معناه والله أعلم أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ . (١٠١٥)] كتاب الزكاة، [١٩] باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٧٧)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٢٩٤)، والقرطبي في تفسيره (١٢/ ١٢٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ١٢٨).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه [١٧٢ . (١٠٧)] كتاب الإيمان، [٤٦] باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا =

العائل: الفقير.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان[١]، والفرات والنيل، كلٌ من أنهار الجنة»[٢] رواه مسلم.

وعنه قال: **«أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء[٣]، وخلق النور يوم الأربعاء[٤]، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر والليل»**[٥] رواه مسلم.

وعن أبي سليمان خالد بن الوليد ﷺ قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة[٦]

= ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٨٠)، (٥/١٥٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٥٧، ٧/ ٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ١٣٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٧٩٥)، والزبيدي في الإتحاف(٤/ ١١٩).

(١) سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة في بلاد الأرمن ؛ فجيحان نهر المصيصة، وسيحان نهر أذنة، وهما نهران عظيمان جداً، أكبرهما جيحان، فهذا هو الصواب في موضعهما.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦ . (٢٨٣٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [١٠] باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٨٩، ٤٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٦٢٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧)، والقرطبي في تفسيره (١٣/ ١٠٤، ١٦/ ٢٣٧).

(٣) قوله ﷺ: «خلق المكروه يوم الثلاثاء»: هو ما يقوم به المعاش، ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض، وكل شيء يقوم به صلاح شيء فهو تقنة ومنه إتقان الشيء، وهو إحكامه.

قلت: ولا منافاة بين الروايتين، فكلاهما خلق يوم الثلاثاء.

(٤) في صحيح مسلم "النور" بالراء، وروايات ثابت بن قاسم بالنون في آخره، قال القاضي: وكذا رواه بعض رواة صحيح مسلم، وهو الحوت، ولا منافاة أيضا ؛ فكلاهما خلق يوم الأربعاء بفتح الهمزة وكسر الباء وفتحها وضمها: ثلاث لغات حكاهن صاحب المحكم، وجمعه أربعاوات، وحكي أيضا أرابيع. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٧ . (٢٧٨٩)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، [١] باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٠، ٥٤٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٧٣٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦، ٣٨٣)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٩٩، ٣/ ٤٢٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٣)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٣٣).

(٦) قدم رسول الله ﷺ من عمرة القضاء في ذي الحجة فأقام بالمدينة حتىٰ بعث إلىٰ مؤتة في جمادى من =

تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[١] رواه البخاري.

وعن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[٢] متفق عليه.

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: **«من مات وعليه صوم صام عنه وليه»**[٣] متفق عليه.

والمختار جواز الصوم عمن مات وعليه صوم لهذا الحديث، والمراد بالولي القريب وارثا كان أو غير وارث.

وعن عوف بن مالك بن الطفيل[٤] أن عائشة حدثت أن عبد الرحمن بن

= سنة ثمان، وأمر على الناس زيد بن حارثة، وقال: «إن أصيب فجعفر، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلا، فخرج القوم حتى نزلوا معان، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب في مائة ألف من الروم/ ، ومائة ألف من المستعربة، فأقاموا بمعان يومين ثم لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة، وكانوا ثلاثة آلاف. ثم كان ما كان من استشهاد زيد وجعفر وابن رواحة، ثم اصطلحوا على خالد بن الوليد، فجاش بالناس فدافع وانحاز وتحيز عنه ثم انصرف بالناس. [مختصر منن تاريخ الإسلام في السيرة العطرة الجزء الأول، غزوة مؤتة].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٢٦٥، ٤٢٦٦) كتاب المغازي، [٤٦] باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣٥٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [٢١] باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ومسلم في صحيحه [١٥ . (١٧١٦)] كتاب الأقضية، [٦] باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، وأبو داود في سننه (٣٥٧٤) كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ، والنسائي (٨/ ٢٢٤ . المجتبى)، وابن ماجه في سننه (٢٣١٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٧٣٢)، والزيلعي في نصب الراية (٤/ ٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٥٢) كتاب الصوم، [٤٢] باب من مات وعليه صوم، ومسلم في صحيحه [١٥٣ . (١١٤٧)] كتاب الصيام، [٤٧] باب قضاء الصيام عن الميت، وأبو داود في سننه (٢٤٠٠) كتاب الصوم، باب فيمن مات وعليه صيام، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٥٥)، والدارقطني في سننه (٢/ ١٩٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٣/ ١٧٩)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٦٤)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٢٥٨).

(٤) عوف بن مالك بن الطفيل، وهو ابن الحارث بن الطفيل بن سخبرة بن جرثومة الأزدي، رضيع عائشة، الخير، مقبول، أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ١٦٨)، تقريب التهذيب (٢/ ٨٩)، الكاشف(٢/ ٣٥٦)، تاريخ البخاري الكبير (٧/ ٥٧)، الجرح والتعديل (٧/ ١٤)، طبقات ابن سعد(١/ ٢١٩، ٢/ ١٧، ٣/ ١٩٢).

الزبير ﷺ قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهينَّ عائشة أو لأحجرنَّ عليها فقالت: أهو قال هذا ؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: لا والله لا أُشَفِّع فيه أبدا، ولا أتحنث إلىٰ نذري، فلما طال ذلك علىٰ ابن الزبير كلَّم المسور بن مخرمة[١] وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة، وقال لهما أنشدكما بالله لما أدخلتماني علىٰ عائشة لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتىٰ استأذنا علىٰ عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل ؟ قالت عائشة ادخلوا، قالوا كلنا، قالت نعم، ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه قال: **«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» فلما أكثروا علىٰ عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتىٰ كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتىٰ تبل دموعها خمارها»**[٢].

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج إلىٰ قتلى أُحد فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات[٣] فقال: **«إني فرطكم علىٰ الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلىٰ الجحفة[٤] إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم**

---

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أُهيب عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو عبد الرحمن الزهري القرشي، له ولأبيه صحبة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.
تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥١)، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥) كتاب الأدب، [٦٢] باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

(٣) معناه خرج علىٰ قتلىٰ أحد ودعا لهم دعاء مودع، ثم دخل المدينة فصعد المنبر فخطب الأحياء خطبة مودع كما قال النواس بن سمعان: قلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، وفيه معنى المعجزة.

(٤) أما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت، وفتح اللام، وهي مدينة معروفة في عراق الشام علىٰ ساحل البحر متوسطة بين مدينة رسول الله ﷺ ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق نحو ثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل، قال الحازمي: هي آخر الحجاز وأول الشام، وأما الجحفة فهي بنحو سبع مراحل من المدينة، بينها وبين مكة.

الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم» قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر(١).

وفي رواية: «إني فرط لكم، و أنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها»(٢).

والمراد بالصلاة علىٰ قتلى أحد الدعاء لا الصلاة المعروفة.

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري(٣)قال: " صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتىٰ حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا "(٤) رواه مسلم .

وعن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه»(٥) رواه البخاري.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣١ . (٢٢٩٦)] كتاب الفضائل، [٩] باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٧٩)، والزبيدي في الإتحاف(١٠/ ٥٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠ . (٢٢٩٦)] كتاب الفضائل، [٩] باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، وأحمد في مسنده (٤/ ١٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٧٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣٠٧).

قال النووي: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ فإن معناه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض، وقد وقع ذلك، وأنها لا ترتد جملة، وقد عصمها الله تعالىٰ من ذلك، وأنها تتنافس في الدنيا، وقد وقع كل ذلك. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٤٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) عمرو بن أخطب بن رفاعة أبو زيد الأنصاري الأعرج، مشهور بكنيته، صحابي جليل، نزل البصرة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٤)، تقريب التهذيب (٢/ ٦٥)، الكاشف(٣٢٣)، تاريخ البخاري الكبير (٦/ ٣٠٩)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠)، الثقات (٣/ ٢٧٥)، أسد الغابة (٤/ ١٩٠)، الاستيعاب (٣/ ١١٦٢)، الإصابة (٤/ ٥٩٩)، سير الأعلام (٣/ ١٧٣)، تراجم الأحبار (٢/ ٥٧٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/ ٣٩٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥ . (٢٨٩٢)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٦] باب إخبار النبي ﷺ بما يكون إلىٰ قيام الساعة، والخطيب في الفقيه والمتفقه(٢/ ١٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٥٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٦٩٦) كتاب الأيمان والنذور، [٢] باب في النذر في الطاعة، ورقم (٦٧٠٠) [٣١] باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، وأبو داود في سننه (٣٢٨٩) كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في النذر في المعصية، والترمذي (١٥٢٦) كتاب النذور والأيمان، باب من نذر أن يطيع الله فليطعه، والنسائي (٧/ ١٧ . المجتبى) في الأيمان والنذور، باب النذر =

وعن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ(١)، وقال: «**كان ينفخ النار على إبراهيم**»(٢) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الأولى، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة»(٣).

وفي رواية: «من قتل وزغة من أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك»(٤) رواه مسلم.

قال أهل اللغة: الوزغ: العظام من سام أبرص(٥).

= في الطاعة، وباب النذر في المعصية، وابن ماجه في سننه (٢١٢٦) كتاب الكفارات، باب النذر في المعصية، وأحمد بن حنبل في مسنده (٦/ ٣٦، ٤١، ٢٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٣١، ١٠/ ٦٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٤٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٣٤٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٧٥)، ومالك في الموطأ(٧٤٦).

(١) اتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وجمعه أوزاغ ووزغان، وأمر النبي ﷺ بقتله وحث عليه ورغب فيه لكونه من المؤذيات، وأما سبب تكثير الثواب في قتله بأول ضربة ثم ما يليها فالمقصود به الحث على المبادرة بقتله والاعتناء به وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة، فإذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٩٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه(٣٣٥٩) كتاب أحاديث الأنبياء، [٩] باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم في صحيحه [١٤٢ . (٢٢٣٧)] كتاب قتل الحيات وغيرها، [٢] باب استحباب قتل الوزغ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٦ . (٢٢٤٠)] كتاب قتل الحيات وغيرها، [٢] باب استحباب قتل الوزغ، وأبو داود في سننه (٥٢٦٣) كتاب الأدب، باب في قتل الأوزاغ، وابن ماجه (٣٢٢٩) في الصيد، باب قتل الوزغ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٢)، وابن حبان في صحيحه (١٠٨١ . الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٥٨)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٥٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٧ . (٢٢٤٠)] كتاب قتل الحيات وغيرها، [٢] باب استحباب قتل الوزغ، وابن ماجه في سننه (٣٢٢٩) كتاب الصيد، باب قتل الوزغ، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٦٢٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٤١٢١).

(٥) أما تقييد الحسنات في الضربة الأولى بمائة، وفي رواية بسبعين فجوابه من أوجه سبقت في صلاة الجماعة تزيد بخمس وعشرين درجة، وفي روايات بسبع وعشرين:
أحدها: أن هذا مفهوم للعدد ولا يعمل به عند الأصوليين وغيرهم، فذكرهم سبعين لا يمنع المائة فلا معارضة بينهما.
الثاني: لعله أخبرنا بسبعين ثم تصدق الله تعالى بالزيادة فأعلم بها النبي ﷺ حين أوحى إليه بعد =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق علىٰ سارق، فقال اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق الليلة علىٰ زانية، فقال اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق علىٰ غني[١] فقال اللهم لك الحمد، علىٰ سارق، وعلى زانية وعلى غني؟! فأُتِي فقيل له: أما صدقتك علىٰ سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله»[٢] رواه البخاري بلفظه، ومسلم بمعناه.

وعنه قال[٣]: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة فقال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟ يجمع الناس، الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ إلا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم، فيأتون آدم. ﷺ. فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى إلىٰ ما نحن فيه، ألا ترى إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم**

= ذلك. الثالث أنه يختلف باختلاف قاتلي الوزغ بحسب نياتهم وإخلاصهم، ويقال: أحوالهم ونقصها، فتكون المائة للكامل منهم والسبعين لغيره، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٩٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) حديث المتصدق علىٰ سارق وزانية وغني فيه ثبوت الثواب في الصدقة وإن كان الآخذ فاسقا وغنيا، ففي كل كبد حرَّى أجر، وهذا في صدقة التطوع، وأما الزكاة فلا يجزي دفعها إلىٰ غني.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٤٢١) كتاب الزكاة، [١٦] باب إذا تصدق علىٰ غني وهو لا يعلم، ومسلم في صحيحه [٧٨ . (١٠٢٢)] كتاب الزكاة، [٢٤] باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، والنسائي (٥/ ٥٥ . المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٢، ٧/ ٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٠)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٩)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٧٦).

(٣) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم، ويأتي آخره، وأيضا أخرجه الترمذي في سننه (٢٤٣٤) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في الشفاعة، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٣، ٦/ ٣٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٥٧٥)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٣) والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٣٧٧)، والزبيدي في الإتحاف(٧/ ٥٧٢، ١٠/ ٤٩١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٤٤٤).

يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله[(١)] وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته[(٢)]، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى إلىٰ ما نحن فيه ؟

فيقول إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها علىٰ قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى إلىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كِذْبَات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه[(٣)] على الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى إلىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسى، فيأتون عيسىٰ فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وكلَّمت الناس في المهد صبيًا،

---

(١) المراد بغضب الله تعالىٰ ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها، ولا شك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله، فهذا معنى غضب الله تعالى، كما أن رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة؛ لأن الله تعالىٰ يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضاء، والله أعلم.

(٢) قوله ﷺ: إنهم يأتون آدم ونوحا وباقي الأبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيطلبون شفاعتهم، فيقولون: لسنا هناكم ويذكرون خطاياهم إلىٰ آخره: اعلم أن العلماء من أهل الفقه والأصول وغيرهم اختلفوا في جواز المعاصي علىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقال القاضي عياض: الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز، واختلفوا فيه قبل النبوة، والصحيح أنه لا يجوز، وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلىٰ جواز وقوعها منهم، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلىٰ عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالىٰ عمداً. [انظر النووي في شرح مسلم (٣/ ٤٦، ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) هذا بإجماع أهل السنة علىٰ ظاهره، وأن الله تعالىٰ كلم موسى حقيقة كلاما سمعه بغير واسطة، ولهذا أكد بالمصدر، والكلام صفة ثابتة لله تعالىٰ لا يشبه كلام غيره.

اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى إلىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ».

وفي رواية: «فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر[1]، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ﷻ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

ثم قال: «**والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمير، أو كما بين مكة وبُصْرى**»[2] متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء إبراهيم بأم إسماعيل، وابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتىٰ وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى[3] إبراهيم منطلقا[4] فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا ؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يُضيِّعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي

---

(١) هذا مما اختلف العلماء في معناه، قال القاضي: قيل: المتقدم ما كان قبل النبوة، والمتأخر عصمتك بعدها، وقيل: المراد به ذنوب أمته ﷺ. قلت: فعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم أو سلامتهم من الخلود في النار. وقيل المراد ما وقع منه ﷺ عن سهو وتأويل، حكاه الطبري، واختاره القشيري، وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك، وقيل المراد أنه مغفور لك غير مؤاخذ بذنبك لو كان، وقيل هو تنزيه له من الذنوب ﷺ. والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٣/٤٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن، من سورة الإسراء، [٥] باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] ومسلم في صحيحه [٣٢٧، ٣٢٨. (١٩٤)] كتاب الإيمان، [٨٤] باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) قفّى: معناه: ولّى راجعا.

(٤) المنطق: ما تشده المرأة في وسطها عند الشغل لئلا تعثر بذيلها.

بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ حتىٰ بلغ ﴿يَشْكُرُونَ﴾[1].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتىٰ إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى. أو قال: يتلبط. فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتىٰ جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فذلك سعي الناس بينهما»[2] فلما أشرفت علىٰ المروة سمعت صوتا فقالت: صه[3]. تريد نفسها. ثم تسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه. أو قال بجناحه. حتىٰ ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف»

وفي رواية: «بقدر ما تغرف».

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم. أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا»[4] قال: «**فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة، فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، فإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتىٰ مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء[5] فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرا**

---

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

هذا يدل علىٰ أن هذا دعاء؛ فإن بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه تأكيدا ورغبة إلىٰ الله ﷻ، ولهذا قال: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] . [تفسير ابن كثير (٢/٥٥٦)].

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده (٣/٣٤٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩١٠٧).

(٣) قوله "صهِ" بهذا الضبط، ويروى بسكون الهاء، أي اسكتي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٦٢) كتاب أحاديث الأنبياء، [١٠] باب يزفون: النسلان في المشي، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٩٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩١٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/١٢٥)، والقرطبي في تفسيره (٦/٣٦٩).

(٥) قوله: "كداء" ويروى "كدى " كهدى، وهما ثنيتان بمكة، ونص الفيومي علىٰ عدم صرف الأول للعلمية والتأنيث.

عائفاً[1] **فقالوا: إن هذا الطائر ليدور علىٰ ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا»، قال: «وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم».**

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس»[2] فنزلوا، وأرسلوا إلىٰ أهليهم، فنزلوا معهم، حتىٰ إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا».

وفي رواية: يصيد.

ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي ﷺ، وقولي له يغيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد ؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك، فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا في جهد وشِدَّة، قال: فهل أوصاك بشيء ؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك، قال: ذا أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل علىٰ امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي[3] لنا، قال: كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله ﷻ، فقال: ما طعامكم ؟ قالت اللحم، قال: فما شرابكم ؟ قالت: الماء، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء» قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب[4]، ولو كان لهم دعا لهم فيه» قال: **«فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه».**

وفي رواية: «فجاء فقال: أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته ذهب يصيد، فقالت: ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال: وما طعامكم، وما شرابكم ؟ قالت طعامنا اللحم وشرابنا

---

(١) عائفا: حائما.

(٢) أخرجه وأحمد في مسنده (١/ ٣٤٧).

(٣) بغى الشيء بُغْيَةً: طلبه، وابتغى الشيء: أراده وطلبه، والبغية ما يبتغى.

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٢٦)، والقرطبي في تفسيره (٩/ ٣٧٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٥٦).

الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم»، قال أبو القاسم ﷺ «بركة بدعوة إبراهيم» قال فإذا جاء زوجك فاقرئي ﷺ، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير، قال: فأوصاك بشيء ؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، وأمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا، وأشار إلىٰ أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها».

قال: «**فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتىٰ إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧] ».

قال: فجعلا يبنيان حتىٰ يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [١].

وفي رواية: أن إبراهيم خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شنة[٢] فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها علىٰ صبيها، حتىٰ قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلىٰ أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتىٰ لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلىٰ من تتركنا؟ قال: إلىٰ الله، قالت: رضيت بالله .

قال: «**فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها علىٰ صبيها، حتىٰ لما فني الماء قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحداً**».

قال: فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت هل تحس أحدا فلم تحس أحدا، فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل. تعني الصبي. فذهبت فنظرت، فإذا هو علىٰ حاله كأنه ينشغ[٣] للموت، فلم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء، [١٠] باب يزفون: النسلان في المشي.

(٢) الشَّنُّ: القربة الخَلَقُ الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها، جمعها شنان.

(٣) ينشغ: أي يشهق من الصدر، أي يعلو نفسه كأنه شهيق من شدة ما يرد عليه.

تَقَرَّ نفسها. فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا، فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت، ونظرت، فلم تحس أحدا، حتىٰ أتمت سبعا. ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خير، فإذا جبريل قال: فقال بعقبه هكذا» وغمز عقبه علىٰ الأرض، قال: «**فانبثق الماء فدهشت**[١] **أم إسماعيل، فجعلت تحفز**»[٢] وذكر الحديث بطوله. رواه البخاري بهذه الروايات كلها.

والدوحة: الشجرة الكبيرة.

قفَّى: أي ولَّى، والجريُّ الرسول.

فألفى: معناه وجد.

وقوله: ينشغ: أي يشهق.

وعن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الكمأة من المنّ، وماؤها شفاء للعين»[٣] متفق عليه.

فصل في فضل العبادة في الهرج

وهو الاختلاط والفتن ونحوها.

روينا في صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار مرفوعا: «العبادة في الهرج كهجرة إليَّ»[٤].

قلت: لأنه مقصود الهجرة إليه، فإذا ترك عادات زمانه وتمسك بالعبادة فهو الطريقة المثلى.

---

(١) فدهشت: بفتح الدال والهاء، وبكسر الهاء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٣٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء، [١٠] باب يزفون: النسلان في المشي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٠٨) كتاب الطب، [٢٠] باب المن شفاء للعين ومسلم في صحيحه [١٥٧، ١٥٨ . (٢٠٤٩)] كتاب الأشربة، [٢٨] باب فضل الكمأة ومداواة العين بها، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٤٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٧٠، ٤/ ٧٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٥/ ٨٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (١/ ١٨٧، ١٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٦٣)، وفي الصغير (١/ ١٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٤١٨٤)، والزبيدي في الإتحاف(٧/ ١٥١).

قال النووي: شبهها بالمن الذي كان ينزل علىٰ بني إسرائيل لأنه كان يحصل بلا كلفة ولا علاج والكمأة تفعل بلا كلفة ولا علاج ولا زرع ولا بذر ولا سقي ولا غيره.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٠ . (٢٩٤٨)] كتاب الفتن وأشراط الساعة، [٢٦] باب العبادة في الهرج، والترمذي (٢٢٠١) كتاب الفتن، باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه، وابن ماجه (٣٩٨٥) كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٣٩١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣٥٢).

مجلس في الذكر وفضله والحث عليه

فيه آيات: قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1].

وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

فمن ذكر ذكره الجليل، وكفى به فخرا.

وقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[3] الآية.

وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[4].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١] [6] الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7] الآيات.

---

(١) سورة العنكبوت (٤٥).

قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العَنكبوت: ٤٥] يقول: ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وغيره، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: لها وجهان: قال: ذكر الله عندما حزب قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه. [تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٠)].

(٢) سورة البقرة (١٥٢). (٣) سورة الأعراف (٢٠٥).

(٤) سورة الجمعة (١٠).

أي حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة. وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتىٰ يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٧)].

(٥) سورة الأحزاب (٣٥).

(٦) سورة الأحزاب (٤١).

(٧) سورة آل عمران (١٩٠).

أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤] أي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان. [تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨)].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾[١] الآية.

والآصال: جمع أصيل: وهو ما بين العصر والمغرب. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٢].

وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾[٣].

والعشي: ما بين الزوال والغروب.

وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[٤] الآية.

وقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾[٥]

كرر علي الذكر من أسمائه ... وأجلي القلوب بنوره وضيائه
اسم به الكون استحى وضياؤه ... في أرضه وفضائه وسمائه
لا تحمل الأوصاف بعض صفاته ... كلا ولا يدرون كيف سنائه
حارت عقول القوم عند صفاته ... أضاءت قلوب الخلق من لألائه
أعد اسمه للعارفين تلاوة ... تلقى به المعروف من آلائه
يا رب باسمك أرتجي من الرضا ... والعفو عن عبد رُزِي بأخطائه
يا رب أسألك العناية في غد ... بعظيم اسمك فهو عين دوائه
يا رب عبدك قد براه (سندامه)[٦] ... قد حارت الأفكار في أدوائه
يا رب باسمك نرتجي منك الشفا ... أنت المرتجا[٧] دائما لشفائه
يا رب بالهادي البشير المصطفى ... الصادق المصدوق في أنبائه
ارحم غريقا في بحار ذنوبه ... وأجره حقا من فتور عنائه

---

(١) سورة الأعراف (٢٠٥).

(٢) سورة طه (١٣٠).

(٣) سورة غافر (٥٥).

(٤) سورة النور (٣٦).
أي أمر الله تعالىٰ بتعاهدهما وتطهيرهما من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها؛ قال ابن عباس في هذه الآية نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك وغيره. وقال قتادة: هي هذه المساجد، أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها. [تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠١)].

(٥) سورة ص (١٨).

(٦) كذا بالأصل.

(٧) رجاه رجاء: أمّله، فهو راج، وترجَّاه أمَّله، والترجي: ارتقاب شيء محبوب ممكن.

يا رب صل علىٰ النبي محمد ما لاح برق في دجى ظلمائه

وأما الأحاديث:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١).

وفي صحيح مسلم عنه مرفوعا: «لأن أقول: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»(٢).

وفي الصحيحين من حديثه أيضا(٣): من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتِبَتْ له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٠٦) كتاب الدعوات، [٦٧] باب فضل التسبيح، ورقم (٦٦٨٢) كتاب الأيمان والنذور، [١٩] باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو علىٰ نيته، ورقم (٧٥٦٣) كتاب التوحيد، [٥٨] باب قو الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبيَاء: ٤٧] ، ومسلم في صحيحه [٣١. (٢٦٩٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجه(٣٨٠٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٨٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٤٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٢٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢. (٢٦٩٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي في سننه (٣٥٩٧) كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، والنسائي في عمل اليوم والليلة (صـ٢٤٧)، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٢٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٠١)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢١٠).

(٣) قال النووي: هذا فيه دليل علىٰ أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم كان له هذا الأجر المذكور في الحديث علىٰ المائة، ويكون ثواب آخر علىٰ الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نهى عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها، وأن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها، كالزيادة في عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو من غيره أو منه ومن غيره، وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٠٣) كتاب الدعوات، ، [٦٦] باب فضل التهليل، ومسلم في صحيحه [٢٨. (٢٦٩١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل =

وعنه: «من قال: سبحان وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّتْ عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[١].

وفيهما من حديث أبي أيوب: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له[٢]، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[٣].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر: «إن أحب الكلام إلىٰ الله: " سبحان الله وبحمده»[٤] ".

وفيه من حديث أبي مالك الأشعري: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملئ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»[٥].

= والتسبيح والدعاء، والترمذي في سننه(٣٤٦٨) كتاب الدعوات، [٦٠] باب منه. ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٦)، وابن ماجه في سننه(٣٧٩٨)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٥١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٠٥) كتاب الدعوات، [٦٧] باب فضل التسبيح، ومسلم في صحيحه بزيادة عن البخاري، انظر قبله.

(٢) قال النووي: في حديث التسبيح «حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» ظاهره أن التسبيح أفضل، وقد قال في حديث التهليل: «ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به» قال القاضي في الجواب عن هذا: إن التهليل المذكور أفضل، ويكون ما فيه من زيادة الحسنات ومحو السيئات وما فيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزا من الشيطان زائدا علىٰ فضل التسبيح وتكفير الخطايا، لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار، فقد حصل بعتق رقبة واحدة تكفير جميع الخطايا مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة علىٰ الواحدة، ومع ما فيه من زيادة مائة درجة، وكونه حرزا من الشيطان. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه(٦٤٠٤) كتاب الدعوات، ، [٦٦] باب فضل التهليل، ومسلم في صحيحه [٣٠ . (٢٦٩٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٥ . (٢٧٣١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٢] باب فضل سبحان الله وبحمده، وأحمد في مسنده (٥/ ١١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢١)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩١)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٨٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [١ . (٢٢٣)] كتاب الطهارة، [١] باب فضل الوضوء، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠، ٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه(١/ ٦)، والزبيدي في الإتحاف(٢/ ٣٠٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٨١)، =

وفيه من حديث سعد بن أبي وقاص أنه علم ذلك الأعرابي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له[(١)]، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» قال فهؤلاء لربي فما لي؟ قال: قل «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»[(٢)].

وفيه من حديث ثوبان في الانصراف من الصلاة والاستغفار ثلاثا: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»[(٣)].

وفيه من حديث عبد الله بن الزبير: كان يقول دُبُر كل صلاة حين يسلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[(٤)].

وفيهما من حديث المغيرة: عقب السلام «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

= والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٦، ٢٤٨).

(١) حديث «أفضل الذكر التهليل» مع حديث «أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وقيل إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص. والله أعلم. وقد سبق أن معنى التسبيح التنزيه عما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقا، وسمات الحدوث مطلقا. وقوله: «الله أكبر كبيراً» منصوب بفعل محذوف، أي كبرت كبيراً أو ذكرت كبيراً. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٣. (٢٦٩٦)] كتاب)] الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، وأحمد في مسنده (١/ ١٥٨، ٣/ ٤٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٤٤، ٨٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٣٧٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٣٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٥. (٥٩٢)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، والنسائي (٣/ ٦٩. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٧٥، ٢٧٩، ٦/ ٧٢)، وابن ماجه في سننه (٩٢٤، ٩٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٨٣، ٥/ ٧٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٩٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٠٢)، وابن حجر في المطالب العالية (٤٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٠٢، ٣٠٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٩٦٠، ٩٦١)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٣٧)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٩. (٥٩٤)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٩)، والزبيدي في الإتحاف(٣/ ٢٠٩).

الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١).

وفيهما من حديث أبي هريرة: «تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين»(٢).

وفي صحيح مسلم من حديثه: «من سَبَّحَ الله في دُبُر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير غُفِرَت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٣).

وفيه من حديث كعب بن عجرة: «مُعَقِّبات لا يخيب قائلهن، أو فاعلهن دبر كل صلاة(٤) مكتوبة، ثلاث وثلاثون تسبيحة وثلاث وثلاثون تحميدة وأربع وثلاثون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٤٤) كتاب الأذان، [١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه [١٣٧ . (٥٩٣)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، وأبو داود (١٥٠٥)، والنسائي (٣/ ٧٠ . المجتبى)، وفي عمل اليوم والليلة (١٢٩)، والترمذي (٢٩٩، ٣٤٦٨)، وابن ماجه (٣٥٥٣، ٣٧٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٤٢ . الموارد)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٩٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٧٦، ٩/ ٢٢٤)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٨٤٣) كتاب الأذان، [١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم في صحيحه [١٤٢ . (٥٩٥)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، وأبو داود في سننه (١٥٠٤)، والنسائي في الكبرى (٩٩٧٤)، ومالك في الموطأ(١/ ٢٠٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥٠)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٦ . (٥٩٧)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٧١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٨٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٠١)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٠٠)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١).
وقوله: «وإن كانت مثل زبد البحر» أي في الكثرة والعظمة مثل زبد البحر، وهو ما يعلو علىٰ وجهه عند هيجانه وتموجه.

(٤) قوله ﷺ: «دبر كل صلاة»هو بضم الدال، هذا هو المشهور في اللغة، والمعروف في الروايات، وقال أبو عمر المطرزي في كتابه "اليواقيت" دبر كل شيء بفتح الدال آخر أوقاته من الصلاة وغيرها، وقال: هذا هو المعروف في اللغة، وأما الخارجة فبالضم، وقال الداودي عن ابن الأعرابي: دبر الشيء ودبره بالضم والفتح آخر أوقاته، والصحيح الضم، ولم يذكر الجوهري وآخرون غيره. [النووي في شرح مسلم (٥/ ٨١،) طبعة دار الكتب العلمية].

تكبيرة»[(١)].

وفي البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أنه ﷺ كان يتعوذ بهؤلاء الكلمات دبر كل صلاة: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلىٰ أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[(٢)] وفي أبي داود من حديث معاذ: «إني والله أحبك، أوصيك لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[(٣)].

وفي مسلم من حديث أبي هريرة: إذا تشهد أحدكم فليتعوذ بالله من أربع، يقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[(٤)].

وفيه من حديث علي في آخر التشهد: «اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٤٤ ـ (٥٩٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، والترمذي في سننه (٣٤٢١)، والنسائي (٣/ ٧٥ ـ المجتبى)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٦٥) كتاب الدعوات، [٣٨] باب التعوذ من البخل، والنسائي (٨/ ٢٥٥ ـ المجتبى)، وابن ماجه (٣٨٤٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٧٥، ١٠/ ١٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥٢٢) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٨٤، ٤٢٧)،والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٢)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٩٨، ٩/ ٤٨)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٢٣٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٥٨)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١١٤)، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ١٣٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٨ ـ (٥٨٨)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٥] باب ما يستعاذ منه في الصلاة، وأبو داود في سننه (٩٨٣) كتاب الصلاة، باب ما يقول بعد التشهد، والترمذي (٣٤٩٤)، كتاب الدعوات، والنسائي في التطبيق، باب نوع آخر من التشهد، وابن ماجه في سننه (٣٨٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في التشهد، وأحمد في مسنده (١/ ٢٤٢، ٢٥٨)، ومالك في الموطأ (٢١٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٩، ٤٠٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٥٠)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١/ ٢٦٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٩٨، ٦٣٩٩) كتاب الدعوات، [٦٢] باب قول النبي ﷺ: =

وفيهما من حديث عائشة أنه ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»[(١)].

وفي مسلم عنها: أنه كان يقول في ركوعه:

«سبوح قدوس[(٢)] رب الملائكة والروح»[(٣)].

وفيه من حديث ابن عباس: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن[(٤)] أن يستجاب لكم»[(٥)].

وفيه من حديث أبي هريرة: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[(٦)].

= «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت»، ومسلم في صحيحه في آخر الحديث [٢٠١ . (٧٧١)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٦] باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وأبو داود في سننه (١٥٠٩) كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، والترمذي في سننه (٣٤٢١، ٣٤٢٢، ٣٤٢٣) كتاب الدعوات، باب منه . ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، وأحمد في مسنده (١/ ٩٤، ٩٥، ١٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣٢، ١٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٤٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٧٢)، والزبيدي في الإتحاف(٣/ ٨١، ٥/ ٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٩٨١٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٩٤) كتاب الأذان، [١٢٣] باب الدعاء في الركوع، ورقم (٨١٧) كتاب الأذان، [١٣٩] باب التسبيح والدعاء في السجود، ورقم (٤٢٩٣) كتاب المغازي، [٥٣] باب الباب الذي يلي باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ورقم (٤٩٦٧) كتاب تفسير القرآن، من سورة النصر، وكذلك رقم (٤٩٦٨)، ومسلم في صحيحه [٢١٧ . (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٢) سبوح قدوس: هما بضم السين والقاف وبفتحهما، والضم أفصح، وسبوح هو الله ﷻ، فالمراد بالسبوح القدوس المسبح المقدس، فكأنه قال: مسبح مقدس رب الملائكة والروح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٣ . (٤٨٧)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٤) فقمن: بفتح الميم وكسرها، لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، ومعناه: حقيق وجدير.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٠٧ . (٤٧٩)] كتاب الصلاة، [٤١] باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، و أبو داود في سننه (٨٧٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٢١٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٥٩٩، ٦٠٧)، والحميدي في مسنده (٤٨٩)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٣٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١/ ٢٤٩).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٥ . (٤٨٢)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبو داود (٨٧٥)، والنسائي (٢/ ٢٢٦ . المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى، والمنذري في الترغيب والترهيب (١٠/ ٢٤٩).

وفيه من حديثه أيضا: أنه ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجلَّهُ، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»(١).

وفيه من حديث عائشة: فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت»(٢).

وفي رواية: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحْصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»(٣).

وفيه من حديث سعد: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحُطَّ عنه ألف خطيئة»(٤). وفيه من حديث أبي ذر: «يصبح علىٰ كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٦ . (٤٨٣)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبو داود في سننه (٨٧٨) كتاب الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٠٩، ١١٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٩٢)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٩٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٦٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢١ . (٤٨٥)] كتاب الصلاة [٤٢] ما يقال في الركوع والسجود، وأحمد في مسنده (٦/ ٧٧، ١٥١)، والزبيدي في الإتحاف(٣/ ٧٥، ٥/ ٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٢٢ . (٤٨٦)] كتاب الصلاة [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود.

قال النووي: قال الإمام أبو سليمان الخطابي . رحمه الله تعالى: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالىٰ وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلىٰ ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه، وقوله: «لا أحصي ثناء عليك» أي لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به. وقال مالك . رحمه الله تعالى: معناه: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك. [النووي في شرح مسلم (٤/ ١٧١)، طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٧ . (٢٦٩٨)] كتاب والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] فضل التهليل والتسبيح والدعاء، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٤، ١٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٤)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١١)، والحميدي في مسنده (٨٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤ . (٧٢٠)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [١٣] باب استحباب =

وفيه من حديث أم المؤمنين جويرية[(١)]: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[(٢)].

وفي رواية الترمذي: «ثلاثا عن كل واحدة»[(٣)].

وفيهما من حديث أبي موسى: «مَثَلُ البيت الذي يُذْكَرُ الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»[(٤)].

وفيهما من حديث أبي هريرة: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تَقَرَّب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[(٥)].

= صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، وأبو داود في سننه (٥٢٤٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣١١)، والزبيدي في الإتحاف(٣/ ٣٦٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٧٣، ٣٥٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٧٧).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩ . (٢٧٢٦)] كتاب والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٩] باب التسبيح أول النهار وعند النوم، وأحمد في مسنده (١/ ٢٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٣٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٤٧).

(٢) قال النووي: «مداد كلماته» بكسر الميم، قيل: معناه مثلها في العدد، وقيل مثلها في أنها تنفد، وقيل: في الثواب. والمداد هنا مصدر بمعنى المدد، وهو ما كثرت به الشيء. قال العلماء: واستعماله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره، والمراد المبالغة به في الكثرة؛ لأنه ذكر أولا ما يحصره العدد الكثير من عدد الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أي ما لا يحصيه عد كما لا تحصى كلمات الله تعالى. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٣٦، ٣٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٥٥) كتاب الدعوات، [١٠٤] باب الباب الذي يلي باب في دعاء النبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٠٧) كتاب الدعوات، [٦٨] باب فضل ذكر الله ﷻ، و مسلم في صحيحه [٢١١ . (٧٧٩)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٢٩] باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، والمنذري في الترغيب والترهيب(١/ ٢٧٨).

قال النووي: فيه الندب إلى ذكر الله تعالى في البيت، وأنه لا يخلى من الذكر، وفيه جواز التمثيل، وفيه أن طول العمر في الطاعة فضيلة وإن كان الميت ينتقل إلى خير ؛ لأن الحي يستلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٤٠٥) كتاب التوحيد، [١٥] باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ =

ومعناه: من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي، فإن زاد زدت.

والمراد بالهرولة انصباب الرحمة عليه.

من اعتز بالمولى فذاك جليل ومن رام[1] عزًّا من سواه ذليل

ولو أن نفسا مذ براها مليكها مضى عمرها في سجدة لقليل

أحب مناجاة الحبيب بأوجه ولكن لسان المذنبين كليل[2]

فصل

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: «سبق المُفَرِّدُون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**»[3].

وفي الترمذي محسنا من حديث جابر: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[4]

وفيه محسنا عنه: «من قال: سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نخلة في الجنة»[5].

وفيه محسنا من حديث عبد الله بن بسر: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»[6].

= نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، ورقم (٧٥٣٦، ٧٥٣٧) كتاب التوحيد، [٥٠] باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم في صحيحه [٢ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١] باب الحث على ذكر الله تعالى، وأحمد في مسنده (٢/ ٣١٥، ٤/ ١٠٦)، و المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٣، ٤٧٧)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٥، ٦/ ٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢٦).

(١) رام مكانه، ورام فلان ريما: بَرَحَه.

(٢) الكليل: الضعيف المتعب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤ ـ (٢٦٧٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، والترمذي في سننه (٣٥٩٦) كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٢٣، ٤١١)، والحاكم في المستدرك(١/ ٤٩٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٧٥)، والزبيدي في الإتحاف(٧/ ٢٥٣، ٨/ ٥٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٢٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٨٣) كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٢٦. الموارد.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٤٥) باب ثواب من قال: سبحان الله العظيم، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠١، ٥١٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه (٢٣٣٥ . الموارد)، والمنذري في الترغيب والترهيب(٢/ ٤٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٩٤)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٦).

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه في =

وفيه محسنا من حديث ابن مسعود: «لقيت إبراهيم ـ ﷺ ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان(١)، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»(٢).

وفي الترمذي وصحح الحاكم إسناده: «ألا أنبؤكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: «**ذكر الله**»(٣).

وفيه مُحَسنًا من حديث سعد أنه ﷺ دخل علىٰ امرأة وبين يديها نوى، أو قال: حصى، تسبح به، فقال: «**ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»(٤).

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة»(٥).

= سننه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، باب فضل الذكر، وأحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٨٨، ١٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٥).

(١) قيعان: وقيعة جمع قاع، وهو المكان الواسع، وقال ابن فارس: القاع: الأرض.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، باب [٥٩] الباب التالي لباب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، وابن حبان في صحيحه (٢٣٣٨ ـ الموارد)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤١٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، باب [٥٦] منه ـ ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه في السنن (٣٧٩٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ١٩٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/ ٤٢٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٦٩)، وابن كثير في تفسيره (٦/ ٤٢٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٦٨) كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ وتعوذه دبر كل صلاة، وابن حبان في صحيحه (٢٣٣٠ ـ الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣١١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٢٠٥) كتاب المغازي، [٤٠] باب غزوة خيبر، ورقم (٦٣٨٤) كتاب الدعوات، [٥٢] باب الدعاء إذا علا عقبة، ورقم (٦٤٠٩) [٦٩] باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ورقم(٦٦١٠) كتاب القدر، [٧] باب لا حول ولا قوة إلا بالله،ورقم (٧٣٨٦) التوحيد، [٩] باب ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ومسلم في صحيحه [٤٤، ٤٥، ٤٧ ـ (٢٧٠٤)] كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، [١٣] باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

فصل

في صحيح مسلم من حديث عائشة: «أنه ﷺ كان يذكر الله علىٰ كل أحيانه»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن قدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»[(٢)].

فصل

في البخاري من حديث أبي ذر وحذيفة قالا: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلىٰ فراشه قال: **«باسمك اللهم أحيا وأموت» وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»**[(٣)].

فصل

في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر[(٤)]، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلىٰ حاجتكم،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١١٧ . (٣٧٣)] كتاب الحيض، [٣٠] باب ذكر الله تعالىٰ في حال الجنابة وغيرها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٨٨) كتاب الدعوات، [٥٦] باب ما يقول إذا أتى أهله، ومسلم في صحيحه [١١٦ . (١٤٣٤)] كتاب النكاح، [١٨] باب ما يستحب أن يقول عند الجماع، وأبو داود في سننه (٢١٦١) كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، والترمذي في سننه (١٠٩٢) كتاب النكاح، باب ما يقول إذا دخل علىٰ أهله، وابن ماجه في سننه (١٩١٩) كتاب النكاح، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٤١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه(٤/ ٣١١)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٢) كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا قام، ورقم (٦٣١٤) [٨] باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٤، ٣٠٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ٧٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣)، وفي الشمائل (١٣٧).

(٤) قال القاضي عياض: ذكر الله تعالىٰ ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان: أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالىٰ وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه، ومنه الحديث: «خير الذكر الخفي» والمراد به هذا. والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه، ويقف عما أشكل عليه، وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث، وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٤) طبعة دار الكتب العلمية].

قال: فيحُفُّونَهُم بأجنحتهم إلىٰ السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟

قال: «**يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك**» **قال: «فيقول: هل رأوني ؟» قال: «فيقولون: لا والله ما رأوك»، قال: «فيقول: كيف لو رأوني ؟» قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا»** .

قال: يقول: «فما يسألوني ؟» قال: «**يسألونك الجنة» قال: «يقول: وهل رأوها ؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها» قال: «يقول: فكيف لو رأوها ؟» قال: «يقولون: لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة» قال: «فمم يتعوذون ؟» قال: «يقولون: من النار» قال: «يقول: وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله ما رأوها» قال: «يقول: فكيف لو رأوها ؟» قال: «يقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة» قال: «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم» قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»**[(١)] .

وفي مسلم من حديث أبي سعيد: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة[(٢)] وذكرهم الله فيمن عنده»[(٣)].

وفيهما من حديث أبي واقد الحارث بن عوف أن رسول الله بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل[(٤)] اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ وذهب واحد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٤٠٨) كتاب الدعوات، [٦٨] باب فضل ذكر الله ﷻ، ومسلم في صحيحه [٢٥ . (٢٦٨٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٨] باب فضل مجالس الذكر، والترمذي في سننه (٣٦٠٠) كتاب الدعوات، باب ما جاء إن لله ملائكته سياحين في الأرض، والنسائي (٣/ ٤٣ . المجتبى)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠١)، والزبيدي في الإتحاف(٩/ ١٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٢١٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٤).

(٢) المراد بالسكينة هنا الرحمة، وهو الذي اختاره القاضي عياض، وهو ضعيف؛ لعطف الرحمة عليه، وقيل الطمأنينة والوقار، وهو أحسن، وفي هذا دليل لفضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره، وتأوله بعض أصحابه، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩ . (٢٧٠٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلى الذكر، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٢٦١)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٨)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٩).

(٤) فيه استحباب جلوس العالم لأصحابه وغيرهم في موضع بارز ظاهر للناس والمسجد أفضل =

قال فوقفا علىٰ رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلىٰ الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»**[(١)].

وفي مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج علىٰ حلقة من أصحابه فقال: **«ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده علىٰ ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا، قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إني لم أستحلفكم تُهمَة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله** عز وجل يباهي بكم الملائكة»[(٢)].

قيل ليظهر لهم معنى قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾[(٣)] ردا منه لقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[(٤)] ولله درُّ من ينشد محبيه[(٥)].

= فيذاكرهم العلم والخير، وفيه جواز حلق العلم والذكر في المسجد، واستحباب دخولها ومجالسة أهلها، وكراهة الانصراف عنها من غير عذر، واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعا بينا، ويتأدب بأدبه وأن قاصد الحلقة إن رأى فرجة دخل فيها وإلا جلس وراءهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٦) كتاب العلم، [٩] باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومسلم في صحيحه [٢٦ . (٢١٧٦)] كتاب السلام، [١٠] باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم، والترمذي في سننه (٢٧٢٤) كتاب الاستئذان، باب [٢٩] الباب الذي يلي ما جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٢)، والزبيدي في الإتحاف(٦/ ٢٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ٣٠٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/٢٠٤) وابن عبد البر في التمهيد (١/ ٣١٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٣٢).

(٢) قوله ﷺ: «[illegible] عز وجل يباهي بكم الملائكة» معناه يُظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عل[illegible] وأصل البهاء الحسن والجمال، وفلان يباهي بماله أي يفخر ويتجمل بهم علىٰ غير [illegible] ـهم.

(٣) و(٤) سورة البقر[illegible].

(٥) الحديث المتقدم أخرجه مسلم في صحيحه [٤٠ . (٢٧٠١)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١١] باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلى الذكر، والترمذي في سننه (٣٣٧٩) كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله عز وجل ما لهم من الفضل، والنسائي (٨/ ٢٤٩) في القضاة، باب كيف يستحلف الحاكم، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٣٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٤٢، ٣١١)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥١)، وفي الحبائك في الملائك (١٣٩)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤/ ٣٥٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١/ ٣٠٢).

فصل

في مسلم من حديث أبي هريرة: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا وأحد قال مثل ما قال أو زاد عليه»[١].

وفيه عنه: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات**[٢] **من شر ما خلق لم يضرك**»[٣].

وفي أبي داود والترمذي مُحَسَّنًا عنه أنه ﷺ كان يقول إذا أصبح: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور» وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا، وبك نحيا...» علىٰ آخره[٤].

وفيهما مصححا عنه أنه ﷺ علَّم الصديق: «اللهم فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشَركِهِ» قال: «**قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ . (٢٦٩٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٥٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٢)، والشجري في أماليه (١/ ٢٣٩)، وابن تيمية في الكلم الطيب (١٧).

(٢) معنى التامات: هي الكاملات، ومعنى كمالها أنه لا يدخلها نقص ولا عيب، كما يدخل في كلام الناس، وقيل هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما نتعوذ منه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٥ . (٢٧٠٩)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٦] باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، وأبو داود في سننه (٣٨٩٩) كتاب الطب، باب كيف الرقى، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٦٢)وفي رواية الترمذي (٣٣٨٩): «من قال حين يمسي ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره حمة تلك الليلة».

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٦٨) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والترمذي في سننه (٣٣٩١) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وابن ماجه في سننه (٣٨٦٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٤، ٥٢٢)، والدارمي في السنن (٣٣، ٣٤، ٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٥٤ . الموارد)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٤٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١١٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٨٩)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١١١).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٦٧) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والنسائي في الكبرى، والنعوت باب فاطر السماوات والأرض، وباب المليك، وباب عالم الغيب والشهادة، وفي عمل اليوم والليلة(١٧٨)، باب نوع آخر ما يقول إذا أمسى(ص٢٣٦) باب نوع آخر ما يقول من يفزع في منامه، وأحمد في مسنده (١/ ٩، ١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٣٣٥)، وابن كثير =

وفي مسلم من حديث ابن مسعود أنه ﷺ كان إذا أمسى قال[(١)]: أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

قال: أُرَاه قال فيهن: «له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، رب أسألك خير هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر[(٢)]، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضا: «أصبحنا وأصبح الملك لله».

وفي أبي داود والترمذي مصححا من حديث عبد الله بن خبيب[(٣)] أنه ﷺ قال له: اقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا، تكفك من كل شيء»[(٤)].

وفيهما مصححا من حديث عثمان: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم أو عشاء كل يوم: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو

= في تفسيره (٤/ ٣٤٤، ٧/ ٩٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣٢١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٤٣، ٧١٨، ٧١٩).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٥. (٢٧٢٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٨] باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، وأبو داود في سننه (٥٠٧١) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والترمذي في سننه (٣٣٩٠) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٦)، باب نوع آخر من سيد الاستغفار، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٩، ٩/ ٤٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١١١).

(٢) قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر» قال القاضي: رويناه "الكبر" بإسكان الباء وفتحها، فالإسكان بمعنى التعاظم علىٰ الناس، والفتح بمعنى الهرم والخوف والرد إلىٰ أرذل العمر، كما في الحديث الآخر، قال القاضي: وهذا أظهر وأشهر بما قبله. قال: وبالفتح ذكره الهروي، وبالوجهين ذكره الخطابي وصوب الفتح، وتعضده رواية النسائي: «وسوء العمر» [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٣٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) عبد الله بن خبيب المدني الجهني الأنصاري المدني: أخرج له البخاري وأصحاب السنن الأربعة، صحابي.
التهذيب (٥/ ١٩٧)، التقريب (١/ ٤١٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٨٢) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، الترمذي (٣٥٧٥) كتاب الدعوات، باب [١١٧] التالي في انتظار الفرج وغيره.
والنسائي في سننه (٨/ ٢٥٢، ٢٥٤. المجتبى)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٤٩، ١٥١، ٦/ ٤٤٢)، وابن حبان في صحيحه (١٧٧٨. الموارد)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٥، ٤١٦)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٥٥١)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٦).

السميع العليم لم يضره شيء»(١).

وهذه الأحاديث السبعة أولها توحيد الذات، والثاني توحيد الصفات، والثالث توحيد الأفعال، والرابع جامع، والخامس أجمع، والسادس قرآن مجيد. والسابع (جامع)(*).

وأيضا: الأول ثناء، والثاني تعوذ، والثالث مُنَاجاة، والرابع ثناء وتعوذ ومناجاة والخامس (سما)(*) وسؤال، والسادس تلاوة وتعوذ، والسابع تَحَصَّن.

فصل

في البخاري من حديث حذيفة وأبي ذر أنه ﷺ كان إذا أوى إلىٰ فراشه قال: باسمك اللهم أحيا وأموت»(٢).

وفي البخاري ومسلم من حديث علي أنه ﷺ قال: له ولفاطمة: إذا أويتما إلىٰ فراشكما أو إذا أخذتما مضجعكما فكبرا ثلاثا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا كذلك»(٣).

وفي رواية التكبير والتسبيح أربعا وثلاثين.

وفيهما من حديث أبي هريرة: «إذا أوى أحدكم إلىٰ فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٨٨) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، والترمذي في سننه (٣٣٨٨) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٣)، باب نوع آخر لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وابن ماجه في سننه (٣٨٦٩) في الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٥١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٤، ٥١٨)، وابن تيمية في الكلم الطيب (٢٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٥٦).

(*) كذا بالأصل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٢) كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا نام، ورقم (٦٣١٤) كتاب الدعوات، [٨] باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، وأبو داود في سننه (٥٠٤٩) كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، والترمذي في سننه (٣٤١٧) كتاب الدعوات، باب [٢٨] منه باب ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٤٧،٨٥٧)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٣٨٥، ٤٠٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ١٠٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٨) كتاب الدعوات، [١١] باب التكبير والتسبيح عند المنام، ومسلم في صحيحه [٨٠ . (٢٧٢٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأبو داود في سننه (٥٠٦٢) كتاب الأدب، باب في التسبيح عند النوم، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٣٥).

وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين»[١].

وفيهما من حديث عائشة أنه ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده [٢].

وفي رواية لهما: «بالإخلاص والمعوذتين، يبدأ برأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثا»[٣].

وفيهما من حديث البراء أنه ﷺ قال له[٤]: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت، فإن مت مت علىٰ الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٢٠) كتاب الدعوات، [١٣] باب يلي باب التعوذ والقراءة عند المنام، ومسلم في صحيحه [٦٤ . (٢٧١٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأبو داود في سننه (٥٠٥٠) كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، والترمذي في سننه (٣٤١٠) كتاب الدعوات، [٢٠] باب من، ما جاء في الدعاء إذا أوى إلىٰ فراشه، وأحمد في مسنده (٢/ ١٧٤، ٢٤٦)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٩)، وابن كثير في تفسيره (٧/ ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٩) كتاب الدعوات، [١٢] باب التعوذ والقراءة عند المنام، وأبو داود في سننه (٥٠٥٦) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٣٤)، باب نوع آخر، ما يقول من يفزع في منامه، وابن ماجه في سننه (٣٨٧٥) كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلىٰ فراشه، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٥٢).

(٣) كذا في رواية أبي داود والترمذي، وقد تقدم تخريجهما قبل هذا.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣١٣) كتاب الدعوات، [٧] باب ما يقول إذا نام، ومسلم في صحيحه [٥٦ . (٢٧١٠)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه (٥٠٤٦) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، والترمذي في سننه (٣٣٩٤) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلىٰ فراشه، وابن ماجه (٣٨٧٦) في الدعاء، باب ما يدعو به إذا أوى إلىٰ فراشه.

(٥) قال النووي: في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبة ليست بواجبة:

إحداها: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئا كفاه ذلك الوضوء؛ لأن المقصود النوم علىٰ طهارة مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به في منامه وترويعه إياه.

الثانية: النوم علىٰ الشق الأيمن؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلىٰ الانتباه.

الثالثة: ذكر الله تعالىٰ ليكون خاتمة عمله. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

وفي مسلم من حديث أنس أنه ﷺ كان إذا أولى إلىٰ فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**»(١).

وفي الترمذي مصححا من حديث حذيفة أنه ﷺ كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»(٢).

ورواه أبو داود من حديث حفصة، وأنه كان يقوله ثلاثا.

وحاصلها بداءة المضجع بالبسملة، ثم الثانية، ويختم بحديث الفطرة، ويوسط الباقي. والأحاديث في ذلك كثيرة، وهذا القدر كافٍ هنا، ومجموعه نحو من ستين حديثا.

وورد في حديث ابن عمر أنه ﷺ بعث جيشا فيهم رجل يقال له حدير، وكانت تلك السنة أصابتهم شدة من قلة الطعام، فزودهم ﷺ ونسي أن يزود حديرا، فخرج حدير صابرا محتسبا، وهو في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول نعم الزاد هو يا رب، ويرددها، فجاء جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: عن ربي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت حديرا، وهو في آخر الركب يقول ما سلف، وكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزاد، فدعا رسول الله ﷺ رجلا فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عنه ما يقول ويسلم عليه من جهته، ويخبرك أنه نسي أن يزودك، وأن الرب تعالىٰ أرسل إليَّ جبريل يذكرني بك، فذكره جبريل ما علمه بمكانك، فانتهى إليه وهو يقول ما سلف، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى علىٰ رسول الله، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، ذكرني ربي من فوق سبع سمواته ومن فوق

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٦٥ . (٢٧١٥)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٧] باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، وأبو داود في سننه (٥٠٥٣) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، والترمذي في سننه (٣٣٩٦) كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلىٰ فراشه، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٢٣٧)، باب نوع آخر وما يقول من يفزع من منامه، وأحمد في مسنده (٣/ ١٥٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٠٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ١٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٩٨) كتاب الدعوات باب [١٨] منه جاء في الدعاء إذا أوى إلىٰ فراشه، وأبو داود في سننه (٥٠٤٥) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم عن حفصة، وعن البراء في الترمذي (٣٣٩٩) كتاب الدعوات، باب [١٨] منه ما جاء في الدعاء إذا أوى إلىٰ فراشه، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص٧٦٣) باب ما يقول إذا أوى إلىٰ فراشه، وابن ماجه في سننه، في الدعاء باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل.

عرشه، ورحم جوعي وضيعتي، يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديرا لا ينساك، فحفظ ذلك ورجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره به، فقال ﷺ: «أما إنك لو رفعت رأسك إلىٰ السماء لرأيت لكلامه نورا ساطعا بين السماء والأرض».

وأما الآثار:

فقال كعب الأحبار: " إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر دويا حول العرش كدوي النحل، يذكرون (.........)[1]والعمل الصالح في الخزائن.

وقال جعفر بن محمد[2] لسفيان: إذا أنعم الله عليك نعمة وأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله تعالىٰ قال في كتابه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] . وإن استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالىٰ قال: في كتابه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هُود: ٣] الآية.

وإن أحزنك أمر من الشيطان أو غيره فأكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله[3]، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة.

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي المدني الصادق، صدوق فقيه إمام، أخرج له البخاري في الأدب، وباقي الستة، توفي سنة (١٤٨، أو ١٤٠.

ترجمته: تهذيب التهذيب(٢/ ١٠٣)، تقريب التهذيب (١/ ١٣٢)، الكاشف (١/ ١٨٦)، تاريخ البخاري الكبير (٢/ ١٩٨)، تاريخ البخاري الصغير (٢/ ٧٣، ٩١)، الثقات (٦/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥)، الوافي بالوفيات (١١/ ١٢٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٠)، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧)، طبقات ابن سعد(٥/ ٨٧).

(٣) هذا حديث رواه البخاري في صحيحه(٦٤٠٩) كتاب الدعوات، [٦٩] باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله، عن أبي موسى الأشعري، وفيه: «ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز الجنة ؟» قلت بلى، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ورواه مسلم [٤٤ . (٢٧٠٤)] كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، [١٣] باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

وقال النووي: قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض علىٰ الله تعالى، واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر، ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر في الجنة، وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم. قال أهل اللغة: الحول الحركة، والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله، وقيل معناه: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة علىٰ طاعته إلا بمعونته، وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكله متقارب. [النووي في شرح مسلم (١٧/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

وقال مالك بن دينار: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله.

وقال أبو جعفر. رحمه الله. الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب الذاكر. وقال مجاهد: إذا أراد أحدكم أن ينام فليستقبل القبلة، ولينم على يمينه، وليذكر الله تعالى، وليكن آخر كلامه عند منامه: لا إلا الله، فإنها وفَاءُه، ولا يدرى لعلها تكون منيته، ثم قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وأنشد في هذا المعنى:

قـد جـلـى الـبـاب قـلـيـلا	فـاجـعـل الـذكـر سـبـيـلا
والـزم الـبـاب غـدّوا	وعـشـيًّـا وأصـيـلا
إن تُـطِـعْـنِـي لـم تـجـدنـي	لـلـمـطـيـعـين خـذولا
إن عـنـدي لـلـمـطـيـعـين	شـرابـا سـلـسـبـيـلا
واتـعـبـوا الـيـوم قـلـيـلا	تـنـعـمـوا دهـرا طـويـلا

وعن أُبيّ بن كعب[1] أنه قال: " عليكم بالسبيل، أي الدين والسنة، فإنه ليس من عبد عليها ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار[2]. وليس من عبد عليها ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله إلا كان مَثَلُه كَمَثل شجرة بفلاة فبينما هي كذلك إذ أصابتها ريح فتحاتَّت[3] عنها ورقها إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتَّت عن تلك الشجرة ورقها ".

وقال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم: ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا غفل عن الذكر وأصابته حزازة النفس ونار الشهوة فقسى ويبس وامتنع الأعضاء عن الطاعة، فإذا مددتها انكسرت كالشجرة إذا يبست لا تصلح لشيء إلا للقطع، وتصير وقودا للنار.

وعن أبي يزيد البسطامي[4] قال: لم أزل منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر

---

(١) أُبَيّ بن كعب: صحابي جليل غني عن التعريف، من القراء الكبار من الصحابة.

(٢) روى الترمذي في سننه (١٦٣٩) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله».

(٣) حتَّ الورق عن الشجر حتًّا: سقط، وتحاتَّ الورق عن الغصن: سقط، ويقال: تحاتَّ الشجرة: تساقط ورقها، وتحاتَّت عنه ذنوبه.

(٤) أبو يزيد: طيفور بن عيسىٰ البسطامي الزاهد العارف، من كبار مشايخ القوم، وهو بكنيته أشهر وأعرف، وله أخوان: آدم وعلي، وكانا زاهدين عابدين، وكان جدهم أبو عيسىٰ آدم بن عيسىٰ مجوسيا فأسلم، ومن كلامه: ما وجدت شيئا أشد عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف =

الله توضأت وغسلت لساني إجلالا لله أن أذكره.

أثمَّ إذا فزع القلوب تمايلت	طربا وتمت بالتقى استقرارها
وإذا حدثه عاد بطيب حديثه	طابت وذاقت بالرضا أزهارها
ترتاح إذا ذكر اسمه ويهزها	طربا إذا أجفت بها أذكارها
وإذا ابتدأ ذكره في حضرة	حضر السرور بها وطاب مزارها

وأما الحكايات فكثيرة:

الأولى: عن بعضهم، قال: احتسبت علىٰ أهلي خروج الولد، فمضيت إلىٰ أبي الحسن الدينوري بجام أتبرك بخطه فيه، فلما كتب البدء، إذ انفلق الجام، وسقط الشيخ مغشيا عليه. فأتيته بآخر، فكان كالأول، ثم جئته بثالث ورابع وخامس.

فقال: يا هذا اذهب إلىٰ غيري، فلو جئتني بما يمكن أن يُجَاء به لم يكن إلا ما رأيت، فإني عبد إذا ذكرت الله مولاي ذكرته بخيبة وقنوت.

الثانية: عن بعضهم قال: لقيت علة شديدة أتت من نفسي وآيس مني من رآني، فبينما أنا في أشد ما كنت رأيت في المنام ليلة جمعة أن رجلا دخل عليَّ فجلس عند رأسي، ودخل بعده خلق كثير، كأنما في وقت الدخول يشبهون الطيور. فلما جلسوا صاروا في صورة الآدميين، فلم يزالوا يدخلون، وعيني إلىٰ الباب.

فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدي هذا البلد ثلاثة، هذا أحدهم وصالح الخلقاني وامرأة. ثم وضع يده علىٰ جبيني[1] وقال: "بسم الله ربي، حسبي الله توكلت علىٰ الله، اعتصمت بالله، فوضت أمري إلىٰ الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله".

ثم قال: استكثر من هذه الكلمات، فإن فيها شفاء من كل سقم، وفرجا من كُرْبة، ونصرا علىٰ كل عدو. وأول من تكلم بهذا حملة العرش. عليهم السلام. حين أُمِروا بحمله، ولا يزالون يقولون ذلك إلىٰ يوم القيامة[2] فقال رجل كان جالسا عن

= العلماء لبقيت حائرا، وعنه قال: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير، وعنه قال: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر. توفي سنة (٢٦١). [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٦١-٢٧٠)].

(١) روى البخاري في صحيحه(٥٧٤٣) عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما».

(٢) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧] الآية. يخبر تعالىٰ عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين =

يمينه أو عن يساره: يا رسول الله، فإن قالها عند لقاء العدو ؟ قال: بخ بخ فيه فتح ونصر وبشرى، فظننت أنه الصديق. فقلت: يا رسول الله هذا الصديق ؟ فقال: هذا عمي حمزة[(١)].

ثم أومأ بيده إلىٰ من يساره وقال: هؤلاء الشهداء[(٢)] ثم أومأ إلىٰ من وراءه وقال: هؤلاء الصالحون، ثم خرج، فانتبهت وقد شفيت.

الثالثة: عن الشيخ أبي يزيد القرطبي قال: سمعت في بعض الأسفار أن من قال: لا إله إلا الله[(٣)] سبعين ألف مرة كانت براءة من النار، وقمت علىٰ ذلك رجاء بركة الوعد، فعلَّمت منها لأهلي وعملت منها أعمالا أخص بها نفسي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يقال: إنه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار.

وكانت الجماعة ترى له فضلا علىٰ صغر سنه، وكان في قلبي بعض الشيء، فاتفق أنه استدعى بعض الإخوان إلىٰ منزله. فبينما نحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة، والهلع في نفسه وهو يقول: يا عم هذه أمي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من يسمعه أنه (. . . . . . .)[(٤)] فلما رأيت ما به من

= بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي يتقربون بين التسبيح الدال علىٰ نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح. وحملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقَّة: ١٧] .[تفسير ابن كثير (٤/ ٧١)].

(١) حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ سيد الشهداء، قتل يوم أُحد، وكان في إسلامه فتح عظيم للمسلمين، وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة، وعلم المسلمون بإسلامه، وذلك لما رجع من صيده فعلم بإيذاء أبي جهل للنبي ﷺ فأقبل نحوه حتىٰ إذا قام علىٰ رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه، ثم قال: أتشتمه فأنا علىٰ دينه أقول ما يقول فرد عليَّ إن استطعت، فعرفت قريش أن رسول الله قد عز وامتنع.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران].

(٣) روى الترمذي في سننه (٣٥٨٥) كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير»، وفي صحيح مسلم [٢٨ . (٢٦٩١)] كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، [١٠] باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك. . . .» الحديث.

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل.

الانزعاج قلت في نفسي: اليوم أعرف صدقه، فألهمني الباري تعالىٰ السبعين ألفا، ولا يطلع علىٰ ذلك أحد إلا الله تعالى. فقلت في نفسي: الأثر حق، والذين رووه لنا صادقون.

اللهم إن السبعين ألفا فداء هذه المرأة أم هذا من النار، فما استتممت الخاطر في نفسي إلا أن قال: يا عم هاهي أُخْرِجت، الحمد لله.

فحصل لي فائدة أن إيماني بصدق الأثر، وسلامتي لهذا الشاب وعلمي بتصديقه.

ولأبي العباس بن العريف:

سلوا عن الشوق من أهوى فإنهم أدنى إلىٰ النفس من وهمي ومن نفسي

فمن رسول إلىٰ قلبي ليس إليهم عن شكي من سؤال العبث ملتبس[1]

الرابعة: عن خادمة رابعة العدوية[2] قالت: كانت رابعة تصلي الليل، فإذا طلع الفجر هجعت هجعة في (. . . . .)[3] حتىٰ تستقر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين، وإلى كم لا تقومين، يوشك أن تنامين نومة لا تقومين منها إلا لصرخة النشور. وكان هذا دأبها حتىٰ ماتت.

فلما حضرتها الوفاة دعتني وقالت: لا تؤذنن بموتي أحدا، وكفنيني في جُبَّتي هذه، وكانت جبة من شعر تقوم فيها إلىٰ أن حضرتها الوفاة، فكفنتها فيها، وفي خمار صوف كانت تلبسه.

فرأيتها في المنام وعليها حُلَّة إستبرق خضراء، وخمارا من سندس أخضر[4]، ولم أر شيئا قط أحسن منه. قلت لها: ما فعلت بالجبة التي كفنتك فيها والخمار الصوف؟ قالت إنه نزع عني، وأبدلت به هذا الذي ترينه، وطويت أكفاني، ورفعت في عليين ليكون لي ثوابها يوم القيامة. فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا.

---

(١) ذكر بعده بيتا ثالثا غير واضح.

(٢) رابعة العدوية كانت كثيرة البكاء والحزن، وكانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زمانا، وكانت تقول: استغفارنا يحتاج إلىٰ استغفار، وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول: ما لي حاجة بالدنيا، وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شنٌّ بالٍ تكاد تسقط إذا مشت، وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها، وكان بموضع سجودها.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ الكهف [٣٠ - ٣١].

فقالت: وما هذا عند ما رأيت من كرامة الله تعالىٰ لأوليائه.

قلت: فمريني بأمر أتقرب به إليه. قالت: عليك بكثرة ذكره فإنه يوشك أن تعطي ذلك في قبرك.

الخامسة: عن الشيخ أبي العباس بن مسروق[١] قال: كنت بالبصرة، فرأيت صيادا يصطاد السمك علىٰ بعض السواحل. وإذا بجنبه ابنة له صغيرة، فكلما اصطاد سمكة رمتها الصبية في الماء، فالتفت الرجل، فلم ير شيئا. فقال لابنته أي شيء عملت بالسمك؟ فقالت: يا أبت أليس سمعتك تروي عن رسول الله ﷺ أنه لا تقع سمكة في شبكة إلا إذا غفلت عن ذكر الله، فبكى الرجل ورمى بالسنارة.

السادسة: عن بعضهم قالت: رأيت مسكينة الطفاوية بعد موتها في المنام، وكانت تحب مجالس الذكر. فقلت: مرحبا يا مسكينة. فقالت: هيهات، ذهبت المسكنة[٢]، وجاء الغنى. قلت: هنيئا لك. قالت: وما تسأل عمن أبيحت له الجنة بحذافيرها. قلت بماذا؟ قالت بمجالس الذكر.

السابعة: قال بعضهم خرجت إلىٰ السوق ومعي جارية في مكان (. . . .)[٣] وقلت لها: لا تبرحي منه حتىٰ أعود إليك.

فذهبت ثم عدت إلىٰ المكان، فلم أجدها فيه، فذهبت إلىٰ منزلي وأنا شديد الغضب عليها. فجاءتني وقالت: يا مولاي لا تعجل عليَّ فإنك أجلستني بين قوم لا يذكرون الله[٤] فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم.

---

(١) أحمد بن محمد بن مسروق، أبو العباس البغدادي الزاهد، مصنف جزء القناعة، كان من أعيان الصوفية وعلمائهم، روى عن علي بن الجعد، وعلي بن المديني، وخلف بن هشام وأحمد بن حنبل وغيرهم، وكان الجنيد يحترمه ويعتقد فيه، وقال أبو نعيم الحافظ: صحب الحارث المحاسبي ومحمد بن منصور الطوسي والسري السقطي، قال الدارقطني: ليس بالقوي، توفي سنة (٢٩٨). [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٩١. ٣٠٠)].

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ فاطر (٣٤. ٣٥).
قال ابن كثير: أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب، وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب علىٰ أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦)].

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠. ١٩١].

فقلت: هذه أُمَّة قد رفع الله عنها الخسف إكراما لنبيها، فقالت: إن رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب، فعرفته وهي في غفلة من صلاته وكرمه، بادر إلىٰ حميتك ودوائك قبل موتك وفنائك. ثم أنشدت:

هلموا بنا نذري الدموع تأسفا ... بلاء المعاصي فوق كل بلائي

لعل إلهي أن يمن بجمعنا ... فقد طال في سجن الفراق بقائي

فيا مهجتي[1] لا تتركي الحزن ساعة ... ويا مقلتي هذا أوان بكائي

(١) المهجة من كلِ شيء خالصه، ودم القلب والروح جميعها مُهَج.

مجلس في كرامات الأولياء وفضلهم

فيه آيات: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

تجلى لهم وأكرمهم بنفي الخوف والحزن عنهم، وبين من هم بتقواهم، وأن البشرى في الحياة الدنيا بما يتميزون به من خوارق العادات، ولو وُصفت بهذا لم تنفد، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

وقال: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ﴾[2] الآية.

وكان ذلك في غير أوانه، والهز من باب: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[3].

وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[4] الآية.

يقال: كانت تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه.

وقال: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦] إلىٰ قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[5]. ومن ذلك إلهام أم موسى في أمرها ما هو معروف.

---

(١) سورة يونس (٦٢ - ٦٤). يخبر تعالىٰ أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢] أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٨] علىٰ ما وراءهم في الدنيا، وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف: أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٢)].

(٢) سورة مريم (٢٥) أي وخذي إليك بجذع النخلة، وقيل: كانت يابسة، قاله ابن عباس، وقيل: مثمرة، وقال مجاهد: كانت عجوة. [تفسير ابن كثير (٣/ ١٢١)].

(٣) سورة البقرة (٢٦٠).

(٤) سورة آل عمران (٣٧). قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، وفيه دلالة علىٰ كرامات الأولياء وفي السنة لها نظائر كثيرة. [تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠)].

(٥) سورة الكهف (١٦، ١٧). أي إذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضا بأبدانكم: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الكهف: ١٦] أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ الذي أنتم فيه ﴿مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦] لأي أمرا ترتفقون به، فعند ذلك خرجوا هربا إلىٰ الكهف، فأووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك، فيقال إنه لم يظفر بهم، وعمي الله عليهم خبرهم. [تفسير ابن كثير (٣/ ٧٧)].

ومن ذلك قصة آصف بن برخيا[١] مع سليمان في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٢].

وكذا قصة ذي القرنين وتمكين الله له ما لم يمكنه لغيره.

ومنه ما أخبر تعالىٰ من العجائب علىٰ يد الخضر مع موسى. ﷺ.

وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء، وظهورها علىٰ أيديهم جائز عقلا، واقع نقلا، وما جاز أن يكون معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة للولي، إلا بنحو واله دون واله.

والفارق بين المعجزة[٣] وبينها التحدي والإظهار بخلاف الكرامة، فإنها مكتومة إلا لمصلحة راجحة أو إذن أو سقوط اختيار.

وكل كرامة ظهرت علىٰ يد ولي فهي معجزة لنبي تلك الأمة، ولا تظهر إلا علىٰ يد ولي بخلاف السحر، ومنكرها محروم، ومخصصها بمن سلف قول غير معصوم. وما هو إلا كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[٤]: إسرائيلية صدَّقوا بموسى وكذبوا نبينا، لأنهم أدركوا زمنه.

إذا كنت المكذب يا جهول ... عن الآيات تصدقك العقول

فكن بالفهم ترجع نحو شيء ... له الدين المصدق الرسول

بأن الدنيا ما شاء يقضي ... قدير ليس يعجزه المهول

---

(١) قال ابن عباس: هو كاتب سليمان، وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخياء، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنا من الإنس واسمه آصف، وكذا قال أبو صالح والضحاك وقتادة إنه كان من الإنس، زاد قتادة من بني إسرائيل، وقال مجاهد: كان اسمه أسطوم، وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بلخيا. [تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٦)].

(٢) سورة النمل (٤٠).

(٣) المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، وظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائز عقلا وصدقا طالما أن ذلك معلق بقدرة الله تعالى. والفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء. عليهم السلام. مأمورون بإظهار معجزاتهم، والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها، وليست الكرامات للأولياء إلا تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم. [انظر المعجم الصوفي ص٢٠٨].

(٤) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الضرير الزاهد، نزيل الإسكنرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبير المقدار عالي المنار، له عبارات فيها رموز، صحب الشيخ نجم الدين الأصفهاني وابن مشيش وغيرهما، وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصدا الحج، فدفن هناك. قال عطاء في لطائف المنن: سيدي الشيخ أبو الحسن، قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان، حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، زمزم الأسرار ومعدن الأنوار...... على آخر كلامه.

ولما أنكر من أنكر[١] ركب جابر الرحبي ـ وليُّ الله ـ ركب أسدًا ودخل الرحبة، وقال: أين الذين يكذبون بأولياء الله ؟ فكفوا.

وأما الأحاديث فيه فلا تنحصر، ولنذكر منها اثني عشر حديثا :

أحدها : حديث أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٢] أن أصحاب الصفة كانوا فقراء، وأنه ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس» أو سادس، أو كما قال، وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر ثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: امرأتي وخادمي بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتىٰ صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتىٰ تعشى رسول الله ﷺ فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك، أو ضيفك ؟ قال: أو عشيتهم ؟ قالت: أبَوا حتىٰ تجيء[٣]، قد عرضوا عليهم فغلبوهم. فذهبت فاختبأت فقال: يا غنثر، فجدع وسب، وقال: كلوا، قال: لا أطعمه أبدا، قال: وايم الله ما كنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، حتىٰ شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل، فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات.

---

(١) الدليل علىٰ جواز الكرامات للأولياء أن مريم قيل لها : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريَم : ٢٥] ومريم لم تكن نبية، والآيات والكرامات ربما تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات هو أن تبدل خلقا مذموما من نفسك بخلق محمود، والصوفية في ذلك يقولون: لو أن رجلا بسط مصلاه علىٰ الماء وتربع في الهواء فلا تغتر به حتىٰ تنظر كيف تجدونه في الأمر والنهي. [انظر المعجم الصوفي ص٢٣٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٠٢) كتاب مواقيت الصلاة، [٤٢] باب السمر مع الأهل والضيف، ورقم (٣٥٨١) كتاب المناقب، [٢٥] باب علامات النبوة في الإسلام، ورقم (٦١٤٠) كتاب الأدب، [٨٧] باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف، ورقم (٦١٤١) باب قول الضيف لصاحبه: والله لا آكل حتىٰ تأكل، ومسلم في صحيحه [١٧٦ . (٢٠٥٧)] كتاب الأشربة، [٣٢] باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٣) هذا فعلوه أدبا ورفقا بأبي بكر فيما ظنوه ؛ لأنهم ظنوا أنه لا يحصل له عشاء من عشائهم؛ قال العلماء: والصواب للضيف أن لا يمتنع مما أراده المضيف من تعجيل طعام وتكثيره، وغير ذلك من أموره إلا أن يعلم أنه يتكلف ما يشق عليه حياء منه فيمنعه برفق، ومتى شك لم يعترض عليه ولم يمتنع، فقد يكون للمضيف عذر أو غرض في ذلك لا يمكنه إظهاره، فتلحقه المشقة بمخالفة الأضياف، كما جرى في قصة أبي بكر رضي الله عنهما، وأما اختباؤه فخوفا من خصام أبيه وشتمه إياه، وقوله: "فجدَّع" : أي دعا بالجدع، وهو قطع الأنف وغيره. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٧) طبعة دار الكتب العلمية].

أخرجه الشيخان(١) من طرق.

وكذا ما اشتهر عن الصديق أنه أخبر أن حمل امرأته أنثى، فكان كذلك.

ثانيها: حديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل في المهد، قال له: يا غلام من أبوك؟ فقال: فلان الراعي. أخرجاه(٢) أيضا.

الثالث: حديث أصحاب الغار الذين أطبقت عليهم الصخرة، وانفرجت وخرجوا يمشون(٣). أخرجاه أيضا.

الرابع: حديث الغلام(٤) الذي كان يأتي الراهب والساحر.

الخامس: حديث الرجل الذي سمع صوتا في السحاب يقول: اسق حديقة فلان(٥) وهذا في الصحيح.

السادس: حديث أبي هريرة في قصة خبيب(٦)، وأنه أكل قطف عنب في بلده

---

(١) تقدم تخريجه أوله.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٠] باب﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريَم: ١٦]، ومسلم في صحيحه [٨. (٢٥٥٠)] كتاب البر والصلة والآداب، [٢] باب تقديم بر الوالدين علىٰ التطوع بالصلاة وغيرها.
قال النووي: قوله: "يا غلام من أبوك؟ قال فلان الراعي" قد يقال إن الزاني لا يلحقه الولد، وجوابه من وجهين: أحدهما: لعله كان في شرعهم يلحقه، الثاني: المراد من ماء من أنت، وسماه أبا مجازا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٥٩٧٤) كتاب الأدب، [٥] باب إجابة دعاء من بر والديه، ومسلم في صحيحه [١٠٠. (٢٧٤٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢٧] باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.
قال النووي: استدل أصحابنا بهذا علىٰ أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلىٰ الله تعالىٰ به، لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم.

(٤) رواه مسلم بطوله في صحيحه [٧٣. (٣٠٠٥)] كتاب الزهد والرقائق، [١٧] باب قصة الأخدود والساحر والراهب والغلام.
قال النووي: فيه إثبات كرامات الأولياء، وفيه جواز الكذب في الحرب ونحوها وفي إنقاذ النفس من الهلاك، سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة.

(٥) تقدم تخريجه من قبل.

(٦) وذلك في غزوة ذات الرجيع لما استمكنوا منه هو وزيد وباعوهما بمكة، فاشترى خبيبا بنوا الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرا حتىٰ إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث يستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتىٰ أتاه فوضعه علىٰ فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة، عرف ذاك مني، وفي يده =

وهو موثوق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. أخرجه البخاري[(١)] بطوله.

السابع: حديثه أيضا مرفوعا: «إنه كان فيمن كان قبلكم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر» رواه البخاري[(٢)] .

وأخرجه مسلم من حديث عائشة.

وفيه قال ابن وهب: مُحَدَّثُون: مُلْهَمُون[(٣)].

وفي البخاري من حديث ابن عمر: ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن.

وصح عنه أنه قال: يا سارية الجبل في حال خطبته يوم الجمعة، فبلغه صوته إليه، وكان بنهاوند[(٤)] وفيه كرامتان له، بلوغ صوته، وكشفه له عنه.

الثامن: حديث جابر بن سمرة: لما شكى أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلىٰ عمر....الحديث، وفيه: فقام رجل يقال له: أسامة بن قتادة، فقال: إن كنت ما علمتك

= الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، وكانت تقول: ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ؛ لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله. . . . . . .الحديث بطوله في الصحيح.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٠٨٦) كتاب المغازي، [٣٠] باب غزوة الرجيع، ورعل وذكوان وبئر معونة، وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٦٨٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [٦] باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه.
ومسلم في صحيحه [٢٣ . (٢٣٩٨)] كتاب فضائل الصحابة، [٢] باب من فضائل عمر رضي الله عنه عن عائشة.

(٣) قال النووي: اختلف تفسير العلماء للمراد بـ "محدثون" ؛ فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل مصيبون، وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا، وقيل تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية متكلمون ؛ قال البخاري: يجري الصواب علىٰ ألسنتهم، وفيه إثبات كرامات الأولياء. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٣٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: بينما عمر رضي الله عنه يخطب إذ قال: "يا سارية الجبل" وكان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي علىٰ فسا وداربجرد فحاصرهم، ثم إنهم تداعوا وجاءوه من كل ناحية والتقوا بمكان، وكان إلىٰ جهة المسلمين جبل لو استندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فلجئوا إلىٰ الجبل، ثم قاتلوهم فهزموهم، وأصاب سارية الغنائم، فكان منها سفط جوهر، فبعث به إلىٰ عمر، فرده وأمره أن يقسمه بين المسلمين، وسأل النجاب أهل المدينة عن الفتح، وهل سمعوا شيئا، فقال: نعم، يا سارية الجبل الجبل، وقد كدنا نهلك، فلجأنا إلىٰ الجبل فكان النصر، ويروى أن عمر سئل فيما بعد عن كلامه: يا سارية الجبل فلم يذكره. [تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٢٣)].

لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية ولا تغزو في السرية[١].

فقال سعد[٢]: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة فأطل عمره وفقره وعرِّضه للفتن. فكان بعد ذلك إذا سُئِلَ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد، وكبر حتىٰ سقط حاجباه علىٰ عينيه من الكبر، وإنه ليعرض للجواري في الطرق فيغمزهن. أخرجاه[٣].

التاسع: حديث سعيد بن زيد مع غريمته أروى بنت أوس، وكانت ادعت عليه عند مروان بن الحكم أنه أخذ شيئا من أرضها[٤]، فدعا عليها، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها، فما ماتت حتىٰ ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[٥]. أخرجاه.

وفي رواية لمسلم[٦] أنها عميت وكانت تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة

---

(١) غير موجود بالأصل، واستكملناها من تاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) جعله عمر أحد الستة أهل الشورى وقال: إن أصابت الخلافة سعدا وإلا فليستعن به الخليفة بعد، فإني لم أعزله من ضعف ولا من خيانة. وسعد كان ممن اعتزل عليا ومعاوية وخطب علي بعد الحكمين فقال: لله منزل نزله سعد وعبد الله بن عمر، والله لئن كان ذنبا. يعني اعتزالهما. إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنا إنه لعظيم مشكور. ودخل سعد علىٰ معاوية فلم يسلم عليه بالإمارة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت، قال: فنحن المؤمنون ولم نُؤمرك، فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرني أني علىٰ الذي أنت عليه وأني هرقت محجمة دم. [تاريخ الإسلام، وفيات (٥١.٦٠)].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) روى البخاري في صحيحه(٢٤٥٢) كتاب المظالم، [١٣] باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، عن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظلم من الأرض شيئا طُوقه من سبع أراضين»، وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٣٧ . (١٦١٠)] كتاب المساقاة، [٣٠] باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها.
وقال النووي: وأما التطويق المذكور في الحديث، فقالوا: يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقة ذلك، ويحتمل أن يكون يجعل كالطوق في عنقه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٠] وقيل: معناه أنه يطوق إثم ذلك، ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٣١٩٨) كتاب بدء الخلق، [٢] باب ما جاء في سبع أرضين، ومسلم في صحيحه [١٣٩ . (١٦١٠)] كتاب المساقاة، [٣٠] باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٨ ـ (١٦١٠)] كتاب المساقاة، [٣٠] باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها.

سعيد، وإنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها، فوقعت فيها، فكانت قبرها[(١)].

العاشرة: حديث جابر قال: لما حضرت (..............)[(٢)] أخرجه البخاري.

الحادي عشر: حديث أنس، فيه من طرق أن رجلين من الصحابة[(٣)] خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة،ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما. فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله، وهما أسيد بن حضير، وعباد بن بشر.

الثاني عشر: حديث البقرة التي حمل عليها صاحبها أو ركب عليها على اختلاف الروايات، فالتفتت إليه وكلمته، وقالت: إني لم أخلق لمثل هذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجبا وفزعا، أبقرة تكلم ؟ فقال رسول الله ﷺ: «فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر»[(٤)].

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «بينا راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفتَ إليه الذئب فقال له: من لها يوم

---

(١) تقدم تخريجه في أوله.
وفي تحريم الظلم روى مسلم في صحيحه [٥٥ . (٢٥٧٧)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٥] باب تحريم الظلم، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا. . . . .» الحديث بطوله.
قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، كيف يجاوز سبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه ؟ وكيف يتصرف في غير ملك، والعالم كله في ملكه وسلطانه، وأصل التحريم في اللغة المنع، فسمي تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء. [النووي في شرح مسلم (١٦/ ١١٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) حديث قدر ثلاثة أسطر غير واضح بالأصل، ثم قال: أخرجه البخاري، وأظنه في كرامة أحد الصحابة.

(٣) هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما وقد أخرجه البخاري في صحيحه(٣٨٠٥) كتاب مناقب الأنصار، [١٣] باب منقبة أسيد بن حضير وبشر بن عباد رضي الله عنهما وكان أسيد بن حضير أحد النقباء ليلة العقبة، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث فقتل يومئذ، وذلك قبل الهجرة بست سنين، وكان أسيد بعد أبيه شريفا في قومه وفي الإسلام، يعد من عقلائهم وذوي رأيهم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٧١) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] باب، الباب الذي يلي باب حديث الغار، ومسلم في صحيحه [١٣ . (٢٣٨٨)] كتاب فضائل الصحابة، [١] من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والحميدي في مسنده (١٠٥٤)، وذكره البخاري في الأدب المفرد، والألباني في الإرواء (٧/ ٢٤٢)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٤٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٠٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٦٠٤٧).

السبع، يوم ليس لها راع غيري؟»[(١)] فقال الناس: سبحان الله، فقال رسول الله ﷺ: «فإني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر»[(٢)].

وجاء أن ابن عمر قال لأسد منع الناس الطريق: تنح، فبصبص بذنبه وذهب، فمشى الناس، فقال ابن عمر: صدق رسول الله ﷺ: «من خاف الله خافه كل شيء»[(٣)].

وجاء أيضا أنه ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي[(٤)] في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع عرضة من البحر، فدعا الله باسمه ومشوا علىٰ الماء[(٥)].

وجاء أيضا أنه كان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صفحة، فسبحت، أو سبح ما فيها.

وقال شهر عن عمران بن حصين أنه كان يُسَلِّمُ علىٰ الملائكة حتىٰ اكتوى.

وإنما لم تكثر الكرامات من الصحابة لعلو إيمانهم، فلم يحتاجوا إلىٰ محمود

---

(١) قوله ﷺ في كلام البقرة وكلام الذئب وتعجب الناس من ذلك: «فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر» وما هما ثَمَّ: قال العلماء: إنما قال ذلك ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه جواز كرامات الأولياء وخرق العوائد، وهو مذهب أهل الحق. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٦٦٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، [٥٠] باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا»، ومسلم في صحيحه [١٣ . (٢٣٨٨)] كتاب فضائل الصحابة، [١] باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٠٤).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٧)، والزبيدي في الإتحاف(٦/ ١٣٦، ٨/ ٦٢١)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٤، ٤٢٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٥/ ٣٠٦).

(٤) العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضرموت، حليف بني أمية، وإلى أخيه تنسب بئر ميمون التي بأعلى مكة. وكان العلاء من فضلاء الصحابة، ولاه رسول الله ﷺ ثم أبو بكر وعمر البحرين، وقيل إن عمر ولاه البصرة فمات قبل أن يصل إليها، واستعمل عمر بعد العلاء أبا هريرة علىٰ البحرين.

(٥) حدث ذلك لما بعثه النبي ﷺ إلىٰ البحرين فيما ذكر. عن أبي هريرة قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلىٰ البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب: انتهينا إلىٰ شاطئ البحر فقال: "سمُّوا واقتحموا" فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسفل خفاف إبلنا، فلما قفلنا صرنا بعد بفلاة من الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا، ومات بعد ما بعثه أبو بكر إلىٰ البحرين لما ارتدت ربيعة، فأظفره الله بهم، وأعطوا ما منعوا من الزكاة.

بخلاف (. . . . .)(*) فلما(. . . . .)(*) نهايتها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾(١).

وحكي أن بعض العلماء كان يذري (. . . . .)(*) يجده بعد الصبح، وإذا شيخ ومعه فقراء وقد دعوا فقال في نفسه ما شغل هؤلاء إلا الأكل والرقص. فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال: يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح وهو جنب، ودرَّس العلم في المسجد، واغتاب فذكر أنه كان عليه جنابة، فحسن اعتقاده بعد ذلك(٢) فلا يظن بهم إلا خيرا، ولا ينسبهم إلىٰ سحر وشعوذة.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾(٣) بل يتأمل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾(٤).

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾(٥).

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩﴾(٦).

(*) كلمات غير واضحة بالأصل.

(١) سورة مريم (٢٥).
من الكرامات الواردة في كتاب الله مما جاء في قصة مريم. عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧] وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة يرجع إليها في كتب التفسير. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾ [مريَم: ٢٥] والمعلوم أن النخلة لا يقدر علىٰ هزها لإسقاط الرطب عصبة من الرجال الأقوياء، فكيف تفعل ذلك امرأة في حال الولادة والضعف، فهي كرامة ظاهرة.

(٢) التصوف السليم الصحيح كتاب وسنة، دين ودنيا، علم وعمل، ربانية وجهاد وعبادة وأدب وشرع وعقلانية، نظافة قلب وبدن ولسان، وظاهر وباطن، حب ورحمة، بذل وسلام، تعاون علىٰ البر والتقوى، وليس تصوف الطبل والزمر والرقص والمواكب والرايات والأوشحة والبدع والمتاجرة بالكرامات والخوارق والعمائم الملونة، ولا تبل ولا تعطل ولا تظاهر. [انظر هامش قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٤) من تحقيقنا، طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الأنعام (٧).

(٤) سورة العنكبوت (٦٩).

(٥) سورة الحج (٣٤، ٣٥).
قال مجاهد: المطمئنين، وقال الضحاك وقتادة: المتواضعين، وقال السدي: الوجلين، وقال عمر بن إدريس: المخبتين الذين لا يظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا، وقال الثوري: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحَجّ: ٣٤] قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له، وأحسن ما يفسر بما بعده، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفَال: ٢] أي خافت منه قلوبهم. [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢)].

(٦) سورة النحل (٩٩).

وقوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝﴾[(١)].

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝﴾[(٢)].

وقوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝﴾[(٣)].

ولتحذر أن تكون ممن قال الله تعالىٰ في حقه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[(٤)].

بذلت النفس في طلب المعالي معالي المجد في جاه ومال
يا سادتي إن قبلتم مهجتي ودمي بنظرة في الجمال العالي الغالي
فقد أنلتم جميل الفضل عندكم وقد ربحت ببيع الدون بالغالي

وقال بعض السادة: أقل عقوبة المنكر علىٰ الصالحين احترام بركتهم، ويخشى عليه من سوء الخاتمة.

وقال أبو تراب[(٥)]: إنما ألف القلب الإعراض عن الله صحبة الوقيعة في أولياء الله.

= قال الثوري: ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه، وقال آخرون: معناه: لا حجة له عليهم، وقال آخرون: كقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝﴾.

(١) سورة التكاثر (١).

(٢) سورة العلق (٦، ٧).

(٣) سورة الزخرف (٣٦).

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ [الزخرف: ٣٦] أي يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف: ٣٦] والعشا في العين ضعف بصرها، والمراد هنا عشا البصيرة ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلىٰ صراط الجحيم. [تفسير ابن كثير (٤/١٢٨)].

(٤) سورة الكهف (٢٨).

أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا له ولا محبا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝﴾ [طه].

(٥) أبو تراب النخشبي صحب حاتما الأصم وأبا حاتم العطار، وهو من أجلة مشايخ خراسان وكبار المشهورين بالعلم والفتوى والزهد والتوكل والورع، ونخشب هي نسف، بلد من نواحي بلخ، وكان صاحب كرامات، ومن أقواله: ثلاث من مناقب الإيمان: الاستعداد للموت، والرضا بالكفاف والتفويض إلىٰ الله، وثلاث من مناقب الكفر، طول الغفلة عن الله، والطيرة، والحسد، وقال أحمد بن مروان الدينوري: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: جاء أبو تراب النخشبي إلىٰ أبي، فجعل يقول أبي: فلان ضعيف، فلان ثقة، فقال أبو تراب: لا تغتب العلماء يا شيخ، فالتفت إليه أبي وقال له: ويحك، هذه نصيحة، وليس هذا غيبة. كان أبو تراب كثير الحج، =

وقال شاه الكرماني[١]: ما تعبَّد متعبد بأكثر من التحبب إلىٰ أولياء الله ؛ لأن محبة أولياء الله تؤدي إلىٰ محبة الله تعالى.

فصل

وقد وقع من كراماتهم إحياء الموتى كما وقع لأبي عبيد البسري أحد شيوخ الرسالة، فيما حكاه القشيري في رسالته أنه غزا سنة من السنين. فخرج في السرية، فمات المهر الذي كان تحته وهو في البرية، فقال: يا رب أعرنيه حتىٰ نرجع إلىٰ بسر . يعني قريته[٢]. فإذا المهر قائم. فلما غزا ورجع إلىٰ بلده قال لابنه: يا بني خذ السرج عن المهر، فإنه عارية، فأخذه فمات[٣].

وحكى فيها أيضا أن بعض أهل اليمن نفق حماره في الطريق، فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت مجاهدا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى، وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ منة اليوم، أطلب إليك أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه.

وحكاه غيره عن الشعبي[٤]، وفيها أيضا عن محمد بن سعيد البصري قال: بينما أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا فالتفت فإذا الجمل وقع

= فانقطع ببادية الحجاز فنهشته السباع سنة (٢٤٥). [تاريخ الإسلام (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

(١) شاه بن شجاع أبو الفوارس الكرماني الزاهد، قال السلمي: كان من أولاد الملوك فتزهد وصحب أبا تراب النخشبي وغيره، وقال أبو نعيم: كان من أبناء الملوك فتشمر للسلوك. وقال إسماعيل بن مخلد: كان شاه حادَّ الفراسة، قل ما أخطأت فراسته، ومن أقواله: من عرف ربه طمع في عفوه ورجاء فضله، وتوفي بعد سنة (٢٩٠) وقيل قبل ذلك، فالله أعلم، ومات بكرمان. [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠)].

(٢) و(٣) أبو عبيد البسري، الصوفي الزاهد، واسمه محمد بن حسان الغساني، وحدث عن سعيد بن منصور، وآدم بن أبي إياس، وأبي الجماهر محمد بن عثمان، وجماعة. ساق الذهبي القصة ومعها قصص أخرى عن صيامه لشهير رمضان بلا طعام ولا شراب، ثم قال الذهبي بعد حكاية صيامه هذه: هذه حكاية بعيدة الصحة، وفيها مخالفة السنة بالوصال، وفيها ترك الجمعة للجماعة، وغير ذلك، ذكرتها للفرجة لا للحجة، ثم قال الذهبي في آخر ترجمته: وروى له ابن جهضم حكايات من هذا النمط. مات سنة (٢٦٠) [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٥١ ـ ٢٦٠)].

(٤) الشعبي هو عامر بن شراحيل، أبو عمرو، علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر، روى عن علي يسيراً، والمغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين وعائشة، وأبي هريرة وجرير البجلي وابن عباس وعدي بن حاتم ومسروق وخلق كثير. مرَّ ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي فقال: كأنه كان شاهدا معنا، ولهو أحفظ لها مني وأعلم. توفي سنة (١٠٤)، (١٠٥)، (١٠٦)، وقيل غير ذلك.

ميتا، ووقع الرجل والقتب، فمشيت، ثم التفت وإذا الأعرابي يقول: يا سبب كل سبب، يا مولى من طلب، رُدَّ عليَّ ما ذهب، محملي والرحل والقتب[1]، وإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه.

وفيها أيضا عن سهل بن عبد الله التستري[2]. أحد الأقطاب. قال: الذاكر لله علىٰ الحقيقة، لو همَّ أن يحيي الموتى لفعل. يعني بإذن الله. ومسح بيده علىٰ عليل بين يديه فبرئ أو قام.

وفي رسالة الصيفي بن أبي المنصور أن الشيخ مفرح الدماميلي كان وليا عظيم الشأن، وكان عبدا حبشيا، اصطفاه الله، فلما تكاثرت كراماته أحضر عنده فراخ مشوية فقال لها: طيري، فطارت، أحياها بإذن الله[3].

وقتل خادم سيدي العارف بالله الأهدل هرة كانت له اسمها لؤلؤة، وأخفى مكانها فناداها الشيخ فجاءت إليه تجري، فأطعمها.

وتوفي بعض أصحاب الشيخ أبي يوسف الدجاني فجزع عليه أهله. فلما رأى شدة جزعهم جاء إلىٰ الميت، وقال: قم بإذن الله، فقام وعاش بعد ذلك ما شاء الله من الزمان.

ووقع كذلك لشخصين من مشايخ أهل اليمن في اثنين ماتا ثم عاشا بإذن الله. أحدهما رأى ميتا محمولا بعرفة، فقال: من هذا الميت؟ فقيل: فلان، وكان بين يديه طعام، وأقسم بالله أنه لا يأكل منه حتىٰ يأتي ذلك الميت ويأكل منه، فوقع كذلك.

والثاني: وقف علىٰ ميت في مسجد، وكان قد جرت له معه قصة. فقال: وعزتك يا رب لئن لم تحيه لأكونن جبارا في الأرض، فأحياه الله.

---

(١) القتب: الرحل الصغير، علىٰ قدر سنام البعير، جمعها أقتاب.

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسىٰ بن عبد الله بن رفيع التستري. رحمه الله. الإمام العارف، أبو محمد، شيخ الصوفية، صحبه ذو النون المصري قليلا، وكان من أعيان الشيوخ في زمانه، يعد مع الجنيد، وله كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك، من كلامه: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله ﷺ ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه، وقال: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك. مات سنة (٢٧٣).

(٣) أعطى الله تعالىٰ هذا لعيسى. ﷺ. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠] قال ابن كثير: أي تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته ومشيئته [تفسير ابن كثير (٢/ ١١٧)].

وجاءت امرأة إلىٰ سيدي قطب العارفين عبد القادر[١]. نفعنا الله به. ووهبت ولدها له. ثم جاءت يوما فوجدته يأكل مسلوقة دجاج وعظامها بين يديه، ورأت ولدها يأكل قرص شعير، فقالت له: يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ولدي خبز الشعير؟ فوضع يده علىٰ تلك العظام، فقال: قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم. فقامت الدجاجة سوية وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء.

ومرت علىٰ مجلسه حدأة[٢] طائرة في يوم شديد الحر، فصاحت (فشوشت)[٣] علىٰ الحاضرين، فقال: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت طوقها في ناحية ورأسها في ناحية. فقام الشيخ من الكرسي وأخذها بيده، وأمرَّ يده عليها وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فمضت وطارت، والناس يشاهدون ذلك.

فصل

ووقع منها أيضا كلام الموتى[٤].

---

(١) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن، المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان يلبس لبس العلماء ويركب البغلة، ويتكلم علىٰ كرسي عالٍ، وقال: بقيت أياما كثيرا لم أستطعم فيها بطعام، فلقيني إنسان فأعطاني صرة فيها دراهم فأخذت منها خبزا سميدا وخبيصا فجلست آكله، فإذا برقعة مكتوب فيها: قال تعالىٰ في بعض كتبه المنزله: إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقي ليستعينوا بها علىٰ الطاعات، أما الأقوياء فما لهم وللشهوات، فتركت الأكل وانصرفت. وسئل عن الدنيا فقال: أخرجها من قلبك إلىٰ يدك فإنها لا تضرك. [انظر الطبقات الكبرى (١/ ١١٠)].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٢. (١١٩٩)] كتاب الحج، [٩] باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، عن ابن عمر مرفوعا: «خمس لا جناح علىٰ من قتلهن في الحرم والإحرام: الفأرة والعقرب والغراب والحدأة والكلب العقور». وقال النووي: وأما الحدأة فمعروفة، وهي بكسر الحاء مهموزة، وجمعها "حدأ" بكسر الحاء مقصور، وفي رواية "الحُدَيَّا" بضم الحاء وفتح الدال وتشديد الياء مكسور، قال القاضي: قال ثابت: الوجه فيه الهمز علىٰ معنى التذكير وإلا فحقيقته "حُدَيَّة" وكذا قيده الأصيلي في صحيح البخاري.

(٣) في الأصل: "فشرشت".

(٤) وقع إحياء للموتى وسؤالهم فيما روي عن موسى ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً . . .﴾ الآيات. وذلك أنه كان رجل من بني إسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه علىٰ باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتىٰ تسلحوا وركب بعضهم علىٰ بعض، فقال ذو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى ﷺ. فذكروا ذلك له، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً . . .﴾ الآيات ثم ضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلك؟ قال هذا، لابن أخيه، ثم مال ميتا، فلم يعط من ماله شيئا، فلم يورث قاتل بعد. [مختصرا من تفسير ابن كثير (١/ ١٠٨)].

وقد وقع ذلك للشيخ إسماعيل الحضرمي، وأخبر به المحب الطبري لما كان بمقبرة زبيد من بلاد اليمن، وقال صاحب القبر يقول لي: أنا فلان ابن فلان من حشو الجنة.

ومرَّ يومًا علىٰ مقبرة ومعه خلق فبكى بكاءً شديداً، ثم ضحك في الحال. فسئل عن ذلك، فقال: رأيت أهل هذه المقبرة يعذبون، فحزنت لذلك. ثم سألت الله أن يشفعني فيهم فشفعني[١]. فقال صاحب هذا القبر وأشار إلىٰ قبر قريب العهد بالحفر وأنا معهم: يا فقيه إسماعيل أنا فلانة المغنية، فضحكت وقلت: وأنت معهم.

وفي رسالة الأستاذ أبي القاسم أن أبا سعيد الخزاز[٢] قال: كنت مجاورا بمكة حرسها الله فجزت يوما بباب بني شيبة، فرأيت شابا حسن الوجه ميتا، فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا، وإنما ينتقلون من دار إلىٰ دار.

وتكلم الشيخ العارف محمد بن أبي بكر الحكيمي بعد أن انشق قبره[٣]، وخرج

---

(١) قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا، ووجوبها سمعا، ؛ بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق ﷺ وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] وهذه الآيات في الكفار، وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل.

(٢) أبو سعيد أحمد بن عيسىٰ الخراز من أهل بغداد، وصحب ذا النون المصري وسري السقطي، وبشر الحافي وغيرهم، وهو من أئمة القوم وجلة المشايخ، وقيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. ومن كلامه إن الله تعالىٰ عجل لأرواح الأولياء التلذذ بذكره والوصول إلىٰ قربه، وعجل لأبدانهم النهمة بما نالوه من مصالحهم، فعيش أبدانهم عيش الجثمانيين وعيش قلوبهم عيش الروحانيين، وكلن يقول: إذا أراد الله ﷻ أن يوالي عبدا من عبيده فتح له باب ذكره، فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلىٰ مجلس الأنس...... إلى آخر كلامه. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٧٨)].

(٣) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ و"كلا" حرف ردع وزجر، أي لا نجيبه إلىٰ ما طلب ولا تقبل منه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠] قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلىٰ أهل ولا إلىٰ عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ﷻ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلىٰ النار [تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٣)].

إليه منه وهو مشدود الوسط فقال: نحن بعد في الطلب، ومن زعم أنه قد وصل فقد كذب ؛ لأنه لا يوصل إلا إلىٰ محدود، والله يتعالى عن النهاية والحدود. ومراده من توهم أنه وصل إلىٰ مقام ليس فوقه مقام فقد كذب لاختلاف المقامات وتفاوت الدرجات.

وفي مناقب قطب العارفين عبد القادر ـ نفعنا الله به ـ أنه زار بغداد ومعه جمع من الفقهاء والفقراء، ووقف الشيخ عند قبر الشيخ حماد الدباس[١] زمنا طويلا حتىٰ اشتد الحر، والناس واقفون خلفه، ثم انصرف والسرور بَيِّن في وجهه. فسئل عن سبب طول قيامه فقال: كنت خرجت من بغداد في يوم جمعة مع جماعة من أصحاب الشيخ حماد لنصلي الجمعة في جامع الرصافة، والشيخ معنا.

فلما كان عند قنطرة النهر، دفعني فرماني في الماء، وكان في شدة البرد في كوانين[٢] فقلت: بسم الله غسل الجمعة، وكان عليّ جبة صوف، وفي كمي أجزاء. فرفعت يدي لئلا تبتل وتركوني وانصرفوا، فخرجت من الماء وعصرت الجبة، وتبعتهم وقد تأذيت بالبرد أذى كثيراً (. . . . . .)[٣] في أصحابه فنهرهم وقال: إنما أوذيه لأمتحنه، فأراه جبلا لا يتحرك. فإني رأيته اليوم في قبره وعليه حلة من جوهر، وعلى رأسه تاج من ياقوت، وفي يده أساورة من ذهب، وفي رجليه نعلان من ذهب، ويده اليمنى لا تطيعه. فقلت: ما هذا ؟ قال: هذه يدي التي رميتك بها فهلا سامحتني علىٰ فعلي ذلك ؟ قلت: نعم.

قال: فاسأل الله تعالىٰ أن يردها علي، فوقفت أسأل الله في ذلك، وقام خمسة آلاف من أولياء الله في قبورهم يسألون الله أن يقبل مسألتي فيه، ويشفعون عندي في تمام المسألة، فما زلت أسأل الله في مقامي ذلك حتىٰ ردَّ الله يده، وصافحني بها وقد تم سروره.

---

(١) حماد بن مسلم الدباس، هو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، انتهت إليه رياسة تربية المريدين، وانعقد عليه الإجماع في الكشف عن مخفيات الموارد، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم في وقته، وهو أحد من صحب الشيخ عبد القادر وأثنى عليه، وروى كراماته، ومن كلامه: القلوب ثلاثة: قلب يطوف في الدنيا وقلب يطوف في الآخرة، وقلب يطوف بالمولى لا في المولى، فمن طاف في المولى تزندق. وكان يقول: طهر قلبك باليقين لتجري في الأقدار، وكان يقول أقرب الطرق إلىٰ الله تعالى حبه، ولا يصفو حبه حتىٰ يبقى المحب روحا بلا نفس، وما دام له نفس لا يذوق قط محبة الله أبداً.

(٢) يقصد به شهور البرد: كانون أول وكانون الثاني، وهما ديسمبر ويناير، وفيهما شهري كيهك وطوبة، ويكون فيهما البرد شديدا.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

فلما اشتهر هذا ببغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ حماد[(١)] وتبعهم خلق كثير من الفقراء، وأتوا المدرسة، فلم يتكلم منهم أحد إجلالا للشيخ، فبدأهم بمرادهم، وقال لهم اختاروا رجلين من المشايخ نبيِّن لهم ما ذكرته علىٰ لسانهما.

فأجمعوا علىٰ الشيخ أبي يعقوب الهمداني[(٢)] والشيخ أبي محمد الكردي. وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك علىٰ لسانهما جمعة، فقال لهم: بل ما تقومون من مقامكم حتىٰ نحقق لكم الأمر، وأطرق وأطرقوا، فصاح الفقراء من خارج المدرسة.

وإذا الشيخ يوسف أبو يعقوب قد جاء حافيا مشتدا في عدوه حتىٰ دخل المدرسة وقال أشهدني الله الساعة الشيخ حماد وقال لي: أسرع إلىٰ مدرسة الشيخ عبد القادر[(٣)] وقل للمشايخ الذين فيها: صدق عبد القادر فيما أخبر به عني، فلم يتم كلامه حتىٰ جاء الآخر، وأخبر بذلك، فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر، وكان بعض الصالحين يأتي قبر والده في بعض الأحيان، ويتحدث معه ويسمع بعض قرايب الشيخ الصالح بن عجيل يقول في قبره سورة النور والنجم.

والأصفهاني طلع في جنازة بعض الصالحين، فلما جلس بعض الناس من أهل العلم يُلَقِّن الميت[(٤)] ضحك. وإن لم يكن ذلك عادة له، فسئل عن ذلك فقال:

---

(١) وكان يقول أقرب الطرق إلىٰ الله تعالىٰ حبه، ولا يصفو حبه حتىٰ يبقى المحب روحا بلا نفس، وما دام له نفس لا يذوق قط محبة الله أبداً، وكان يقول: أزل الهوى من القدر تعرف، وأزل الهوى من الخلق وأمر تخلص، وعلى قدر ما عندك من الأمر تسلم، وبقدر ما عندك من القدر تعرف.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني أحد الأئمة، وانتهت إليه تربية المريدين بخراسان، واجتمع عنده بخانقاته من العلماء والصلحاء جماعة كثيرة، وانتفعوا به وبكلامه، وقال إبراهيم الحوفي: كان الشيخ يوسف الهمداني يتكلم علىٰ الناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت فإنما أنت مبتدع، فقال لهما: اسكتا لا عشتما فماتا مكانهما. توفي رحمه الله سنة (٥٣٥) [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١١٧)].

(٣) قال ابن الأحض: كنا ندخل علىٰ الشيخ عبد القادر في الشتاء وقوة برده، وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروح بمروحة كما يكون في شدة الحر، وكان يقول لأصحابه: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا، واصبروا ولا تجزعوا، واثبتوا ولا تتمزقوا، وانتظروا ولا تيأسوا، واجتمعوا علىٰ الذكر ولا تتفرقوا، وتطهروا عن الذنوب ولا تتلطخوا، وعن باب مولاكم لا تبرحوا. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١١١)].

(٤) روى مسلم في صحيحه [١ . (٩١٦)] كتاب الجنائز، [١] باب تلقين الموتى لا إله إلا الله. وقال النووي: معناه من حضره الموت، والمراد ذكِّروه "لا إله إلا الله" ليكون آخر كلامه كما في الحديث: «من كان آخر كلامه: "لا إله إلا الله" دخل الجنة» والأمر بهذا التلقين أمر ندب. =

سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يُلَقن حيًا؟!

فصل

ووقع منها أيضا انفلاق البحر[١] وجفافه.

كما روي أنه مات بعض الفقراء في سفينة، فأرادوا إلقاءه في البحر، فانشق نصفين ونزلت السفينة إلىٰ الأرض، فحفر له قبر ودفن. ثم استوى الماء وارتفعت السفينة.

وفي رسالة الأستاذ عن بعضهم مثله، وقال: فصار البحر جافا.

فصل

ووقع منها انقلاب الأشياء، كانقلاب الحصى جواهر وذهبا، وانقلاب البحر الأجاج عذبًا، ولبعضهم الرمل سويقًا وسكرًا، والاسطوانة ذهبا وفضة[٢]، وحب الباذنجان ذهبا، ونشارة الخشب دقيقا، والحطب ذهبا، وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، ووقع لبعضهم انقلاب الخمر سمنا، كما وقع للشيخ العارف عيسىٰ الهناد وقد زوج بغيَّة ثابت[٣] علىٰ يديه لبعض الفقراء وقال: اعملوا الوليمة عصيدة، ولا تشتروا

= وأجمع العلماء علىٰ هذا التلقين وكرهوا الإكثار عليه، والموالاة لئلا يضجر بضيق حاله شدة كربه فيكره ذلك بقبله ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام أخر فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامه، ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر لتذكيره وتأنيسه وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه. [النووي في شرح مسلم (٦/ ١٩٤) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) حدث هذا مع موسى ﷺ. قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣] قال ابن عباس: صار البحر اثني عشر طريقا، لكل سبط طريق، وزاد السدي: وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلىٰ بعض، وقام الماء علىٰ حيله كالحيطان، وبعث الله الريح إلىٰ قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الأرض، قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] [تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٨)].

(٢) كان ابن عباس يحدث أن الله تعالىٰ أرسل إلىٰ نبيه ﷺ ملكا من الملائكة معه جبريل فقال الملك: «إن الله يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا وبين أن تكون ملكا نبيا، فالتفت النبي إلىٰ جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ أن تواضع، فقال رسول الله ﷺ «بل أكون عبدا نبيا» قال فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتىٰ لقي ربه تعالى. [انظر تاريخ الإسلام للذهبي في السيرة العطرة، باب زهده ﷺ].

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣] الآية.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم (١٤٢١) كتاب الزكاة، [١٦] باب إذا

لها أدما. فأراد بعض من لا معرفة عنده أن يفضحهم، فأرسل إليه قارورتين مملوءتين خمرا، فخضهما الشيخ وصبهما، ثم قال للرسول: اجلس فكل، فأكل سمنا، فأرسل إلىٰ من سلمهما فأكل وتاب.

واشتهر عن كثير منهم أنه يأكل طعاما طيبا لم يتغير عن حاله من سماطات شوهدت كلها دما عبيطا، ما عدا الذي يأكل منه.

وطلب بعض الناس من بعض الأولياء ولدا[1] ذكرًا فطلب منه الفقراء مائة دينار، فأحضرها، ثم جاء بعد مدة، قال يا سيدي إنها أتت بأنثى، فقال الشيخ: الدنانير ناقصة، كمِّلها يكمل لك، فكملها ثم راح فوجده ذكرا.

ومر الشيخ عبد القادر ـ نفعنا الله به ـ يوم جمعة، فإذا بالطريق ثلاثة أحمال خمر للسلطان[2] ومعها صاحب الشرطة والأعوان، فقال لهم الشيخ قفوا، فلم يفعلوا، وأسرعوا في سوق بالدواب، فقال الشيخ للدواب: قفي، فوقفت وضُرِبَت فلم تتحرك، وأخذهم القولنج، فتابوا فزال عنهم، وانقلب الخمر خلا.

فبلغ الخبر السلطان، فزار الشيخ وتاب عن كثرة المحرمات[3].

= تصدق علىٰ غني وهو لا يعلم، وفيه: «فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية. . . . .» ثم قال: «وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، ورواه مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (١٠٢٢)] كتاب الزكاة، [٣٤] باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها.

(١) قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾. يخبر تعالىٰ أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٤٩]: أي يرزقه البنات فقط، قال البغوي: ومنهم لوط ـ عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] أي يرزقه البنين فقط، قال البغوي: كإبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٥٠] أي ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي من هذا وهذا، قال البغوي: كمحمد ﷺ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٥٠] أي لا يولد له، قال البغوي: كيحيى وعيسى ـ عليهما السلام. [تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١)].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٨ ـ (٤٩)] كتاب الإيمان، [٢٠] باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان عن أبي سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان». قال النووي: قوله ﷺ: «فبقلبه» معناه فليكره بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه.

(٣) ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلىٰ تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه، ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب، إذا رأى إنسانا يبيع متاعا معيبا أو نحوه فإنهم لا ينكرون ذلك ولا يُعَرِّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر، وقد نص العلماء علىٰ أنه =

وروى بعضهم قال: بينما أنا أسير في فلاة من الأرض، إذا برجل يدور بشجرة شوك ويأكل منها رُطبا، فسلمت عليه فقال: وعليك السلام، تقدم وكل، فتقدمت، فكلما أخذت رطبا عادت شوكا، فتبسم وقال: هيهات، لو أطعمته في الخلوات، أطعمك الرطب في الفلوات.

فصل

ووقع فيها أيضا، زوى الأرض[1] لهم من غير حركة منهم، وهو كثير. وهو أفضل من الطيران في الهواء، والمشي علىٰ الماء، والحظوة للدنيا.

وقد كان بعضهم في جامع طرسوس، واشتاق إلىٰ زيارة الحرم، فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجها فإذا هو في الحرم.

واجتمع جماعة في بعض البلدان البعيدة في يوم عرفة، فاغتسلوا وأحرموا، ثم سجدوا سجدة مكثوا فيها ما شاء الله، ثم رفعوا رؤوسهم، وإذا هم ينظرون الجمال سائرة من منى إلىٰ عرفة.

وعن سهل بن عبد الله التستري[2] أنه توضأ في يوم جمعة وتخطى الناس إلىٰ الصف الأول، وإذا بشاب حسن المنظر، طيب الرائحة عليه أطمار[3] صوف، فقال: كيف تجدك يا سهل؟ قلت: بخير، وتعجبت من معرفته لي، فبينما أنا كذلك إذ أخذني عزق بول، وخفت التخطي (. . . . . .)[4] فالتفت إليَّ وقال: يا سهل أخذك عزق البول ؟ قلت: نعم، فنزع إحرامه من منكبه، فغشاني به حتىٰ قال: اقض

= يجب علىٰ من علم ذلك أن ينكر علىٰ البائع وأن يعلم المشتري به والله أعلم [النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) روى الترمذي في سننه (٣٤٤١) كتاب الدعوات، عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني، قال: «عليك بتقوى الله والتكبير علىٰ كل شرف»فلما أن ولى الرجل قال: «اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر»، ورقم (٣٤٣٤) عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فركب راحلته قال بإصبعه «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل،اللهم اصحبنا بنصحك واقلبنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا السفر. . . . .» الحديث.

(٢) قال سهل: أصولنا ستة أشياء: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، والتوبة وأداء الحقوق. و عن سهل: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن اشتغل بالفضول حرم الورع، ومن ظن السوء حرم اليقين، فإذا حرم من هذه الثلاثة هلك. وعنه قال: من أخلاق الصديقين ألا يحلفون بالله، ولا يغتابون ولا يغتاب عندهم، ولا يشبعون بطونهم، وإذا وعدوا لم يخلفوا،ولا يمزحون أصلا. [تاريخ الإسلام، وفيات (٢٨١-٢٩٠)].

(٣) الطِّمْر: الثوب الخلق البالي، جمعها أطمار.

(٤) كلمة غير واضحة.

حاجتك، وأسرع، فغُمِيَ عليَّ، وفتحت عيني، وإذا بباب مفتوح، فدخلت، وإذا هو قصر عال. فتطهرت، فنزع إحرامه عني. فصليت، ثم تبعته، فقال يا سهل[١] من أطاع الله أطاعه كل شيء، يا سهل اطلبه تجده، ثم غاب عني فلم أره.

ويحتمل نقله من حكاية.

وقد اشتهر عن الشيخ مفرح الدماميلي أنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة بعرفة، ورآه بعض أصحابه في مكانه لم يفارقه، فحلف كل منهما بالطلاق[٢] من زوجته أنه كما ذكر، فاختصما إلىٰ الشيخ، فلم يجبهما.

لأن الولي إذا تحقق في ولايته، ومُكِّن من التصور في روحانيته يعطى من القدرة أن يُتَصَوَّر في صور عديدة في وقت واحد في جهات متعددة، فلا محال إذا.

ويؤيده أن الكعبة المعظمة شوهدت تطوف بجماعة من الأولياء في أوقات، وفي أمكنة غير مكانها.

وقد شوهد قضيب البان يصلي أربع ركعات في أربع صور، فلما سلم الإمام ضحك في وجه الفقيه الذي بجانبه، وقال له: أي الأربعة صلى معكم هذه الصلاة.

وبهذا سُمَّوا أبدالا[٣] علىٰ أحد القولين؛ لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلُفه.

وقد وقع لسيدي عبد القادر[٤] مثل ذلك، وأنه حضر في مجلسه أبو المعالي

---

(١) قال سهل ابن عبد الله: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث؛ فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة. قلت. أي الذهبي: هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم علىٰ الحديث والسنة، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة الأكلة الكسلة. [انظر تاريخ الإسلام، وفيات (٢٨١ . ٢٩٠)].

(٢) روى مسلم في صحيحه [٣ . (١٦٤٦)] كتاب الإيمان، [١٥] باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، عن ابن عمر مرفوعا: «ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت». قال النووي: قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى، فلا يضاهى به غيره.

(٣) البدل في اللغة: الخلف والعوض، واحد الأبدال عند الصوفية، والأبدال عند الصوفية وجمعها أبدال، والأبدال إحدى طبقاتها يزعمون أنه إذا ذهب بدل من الأبدال حل محله آخر.

(٤) كان أبو الفتح الهروي يقول: خدمت الشيخ عبد القادر أربعين سنة فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكان كلما أحدث جدَّد في وقته وضوءه ثم يصلي ركعتين، وكان يصلي العشاء ويدخل خلوته، ولا يُمكِّن أحدا أن يخلها معه، فلا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر، ولقد أتاه الخليفة يريد الاجتماع به ليلا فلم يتيسر له الاجتماع إلىٰ الفجر. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١١٠)].

التاجر، وأنه حصل له حقنة شديدة فنزل إليه الشيخ من كرسيه مرقاة ظهر عليها رأس، ثم نزل أخرى، فظهر كتفان وصدر، وما زال ينزل مرقاة مرقاة حتىٰ تكمل الكرسي صورة كصورته يتكلم علىٰ الناس بصوت كصوته، وجاء يشق الناس حتىٰ وقف عليه، وغطى رأسه بكمه أو بمنديله، وإذا هو بصحراء فيها نهر عند شجرة.

فعلق مفاتيح كانت في كفه، فأزال حقنته، وتوضأ وصلى ركعتين، فلما سلم رفع الشيخ الغطاء عنه، فإذا هو في المجلس، وأعضاؤه مبتلة بالماء[١] ولا حقنة به، والشيخ يتكلم علىٰ الكرسي، كأن لم ينزل، وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه، ثم بعد مدة جهز قافلة لبلاد العجم، وساروا من بغداد أربعة عشر يوما، ونزلوا منزلا في استراحة فيها نهر، فإذا بمفاتيحه معلقة علىٰ الشجرة.

فعاد علىٰ الشيخ فأمسك بأذنه وقال: لا تخبر به وأنا حي[٢].

قال بعض السادة، فما الشأن في الطيران، إنما الشأن في أخوين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، فيشتاق كل منهما إلىٰ زيارة الآخر فيجتمعان وكل واحد منهما علىٰ سجادة، ويتحدثان ثم يعودان إلىٰ مكانهما من غير حركة منهما.

وأخبرني بعض ثقات المقادسة عن بعض الأولياء من أهل حماة أنه قال: لي صاحبان إذا طلبت أحدهما ناديته من تحت الحصير، فإذا هو بالباب، والآخر يمر بخاطري، فإذا هو بالباب، ومن زوى البحر لهم ما وقع لابن الأزهر أنه قال: مكثت مدة أسأل الله أن أرى أحد رجال الغيث، فرأيت في المنام كأني زرت قبر الإمام أحمد، وعنده رجل وقع في نفسي أنه منهم، فاستيقظت وأتيت قبر الإمام أحمد، وإذا هو بعينه، فتبعته، فلما وصل دجلة التقى كل طرفاها فعبرها، فأقسمت عليه أن يقف ليكلمني، فوقف، فقلت له: ما مذهبك ؟ فقال: ﴿حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ فوقع عندي أنه حنفي المذهب[٣]، فجئت أخبر به الشيخ عبد القادر، فناداني من

---

(١) علمنا النبي ﷺ الأخذ بالأسباب، فأخذ حذره وتجهز في هجرته من مكة إلىٰ المدينة، وسار إلىٰ جنوب مكة لخداع المشركين، ولجأ إلىٰ الغار وكان له من ينقل له الأخبار ويحضر لهم الزاد، واتخذ دليلا في هجرته، إلىٰ غير ذلك، هكذا علمنا رسول الله ﷺ.

(٢) لا بد من شروط للولي، وهي الاتصاف بمحامد الأخلاق من التقوى والإيمان، ولا بد أن تتسع الآفاق لأصحاب الولاية مما يأتون به، ولكن مع اعتبار أن كل ما يظهر منهم ليس من باب الكرامة، بل ربما تكون غواية من الشيطان، أو إضلالا من بعض الجان، وعلامة الولي أن يكون مؤدبا للفرائض والواجبات وترك المحرمات والتقرب إلىٰ الله بفعل المستحبات وترك المكروهات.

(٣) أول من دون الفقه والقانون الإسلامي أبو حنيفة النعمان، قال المكي في المناقب: أبو حنيفة =

داخل داره: ما في المشرق والمغرب في هذا الوقت وليٌّ لله حنفي سواه.

فصل

ووقع لهم أيضا انفجار الماء كما وقع لأبي تراب النخشبي[(١)] فيما رواه الأستاذ في رسالته أن بعض أصحابه قال له بطريق مكة: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض، فإذا عين ماء زلالي، فقيل له: إنا نحب أن نشربه في قدح، فضرب بيده الأرض وناوله قدحا من زجاج أبيض، فما زال معنا.

وجاء السيد أبو عبد الله القرشي[(٢)] إلىٰ بئر من آبار منى بركوته وهو عطشان، فرمى بركوته وضرب بيده فأخذها، فوجدها في بركة ماء حلو، فاستقى وأسقى، وأعلم أصحابه فلم يجدوا لها أثرا.

وركز بعض الفقهاء عكازه، فنبع الماء[(٣)] من تحتها وملئ.

فصل

ووقع لهم أيضا كلام الجمادات والحيوانات لهم.

من ذلك الحكاية المشهورة عن محمد بن المبارك الصوري في مخاطبة شجرة الرمان

= أول من دون علم هذه الشريعة لم يسبقه أحد قبله ؛ لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة أبوابا مبوبة، وكتبا مرتبة، وإنما كانوا يعتمدون علىٰ فهمهم، وكانت قلوبهم صناديق علومهم، ونشأ أبو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشرا فخاف عليه من ضياعه بعدهم، فدونه أبو حنيفة أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة، فهو أول واضع لدستور أساسي مبني علىٰ الأدلة الشرعية، وكان يسمح لكل من أصحابه أن يجتهد بحرية مطلقة، ويظهر رأيه، ويبحث بكل دقة وإمعان، فإن اتفقوا علىٰ حكم فذلك وإلا كان موكولا إلىٰ رأيه.

(١) من كلامه ـ رحمه الله: لا ينبغي لفقير قط أن يضيف إلىٰ نفسه شيئا من المال قط، ألا ترى إلىٰ موسى ـ ﷺ ـ حيث قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٨] وادعى الملك لها قال الله ﷻ له: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فلما قلب العين فيها لجأ وهرب، فقيل ارجع ولا تخف. وكان يقول رأيت رجلا بالبادية فقلت له من أنت؟ فقال: أنا الخضر الموكل بالأولياء، أرد قلوبهم إذا شردت عن الله ﷻ. يا أبا تراب التلف في أول قدم، والنجاة في آخر قدم. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٧١)].

(٢) كان أبو عبد الله القرشي جليل القدر، وكان يعظم الفقراء أشد التعظيم، ويقول إنهم انتسبوا إلىٰ الله تعالى، وكان يقول: ما رأينا أحدا قط أنكر علىٰ الفقراء وأساء بهم الظن إلا ومات علىٰ أسوأ حالة، وكان يقول: احتقار الفقراء سبب لارتكاب الرذائل، وكان يقول: من غص من عارف بالله أو ولي ضرب في قلبه ولا يموت حتىٰ يفسد معتقده.

(٣) أحاديث نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ تقدم تخريجها من قبل.

لإبراهيم بن أدهم[1] في طريق بيت المقدس، وقولها له: يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا، قالت ذلك ثلاثًا، وكانت شجرة قصيرة، ورمانها حامضا، وتحمل في السنة مرة، فلما أكل منها صارت طويلة، ورمانها حلوا، وتحمل في السنة مرتين، فسموها رمانة العابدين لإيوائهم إلىٰ ظلها.

وقال الشبلي[2]: عقدت أن لا آكل إلا من الحلال، فكنت أدور في البراري، فرأيت شجرة تين، فمددت يدي إليها لآكل، فنادتني الشجرة: احفظ عليك عقدك، ولا تأكل مني، فإني ليهودي.

وقال أبو عبد الله القرشي[3] بينما أنا أسير علىٰ بعض السواحل إذ خاطبني حشيشة، أنا شفاء هذا المرض الذي بك، فلم أتناول منها ولم أستعملها.

وعن بعضهم أنه قال: كلمني جمل بالطريق، طريق مكة، رأيت الجمال والمحامل عليها، وقد مدت أعناقها ليلا. فقلت: سبحان الله، من يحمل عنها ما هي فيه؟ فالتفت إليَّ جمل فقال لي: قل جل الله، فقلت: جل الله.

وعن بعضهم أنه كان يضرب رأس حمار تحته، فرفع الحمار رأسه وقال: اضرب أو لا تضرب، إنما تضرب علىٰ رأسك.

وشاهد ذلك الحديث الصحيح بكلام البقرة[4] التي كلمت صاحبها، وقالت:

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن حابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التيمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، قال يونس بن سليمان البلخي: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه شريفا كثير المال والخدم والجنائب والبزاة، بينما إبراهيم يأخذ كلابه وبزاته للصيد وهو علىٰ فرسه يركضه إذ هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابته ورفض الدنيا. [تاريخ الإسلام، وفيات (١٦١-١٧٠)].

(٢) الشبلي هو أبو بكر بن جحدر، ومكتوب علىٰ قبره جعفر بن يونس، خراساني الأصل، بغدادي المولد، وصحب أبا القاسم الجنيد ومن عاصره من المشايخ، وصار أوحد الوقت علما وحالا وظرفا، وتفقه علىٰ مذهب الإمام مالك، وكتب الحديث الكثير، عاش سبعا وثمانين سنة، ومات سنة (٣٣٤)، ودفن ببغداد في مقبرة الخيزران، وقبره فيها ظاهر، وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحد.

(٣) كان ـ رحمه الله ـ يقول: الزم العبودية وآدابها، ولا تطلب بها الوصول إليه، فإنه إذا أرادك له أوصلك إليه، وأي عمل خلص حتىٰ تطلب به الوصول؟ وكان يقول: أبت البشرية أن تتوجه إلىٰ الله تعالىٰ إلا في الشدائد، فقيل له في ذلك، قال: عطشت مرة في طريق الحاج فقلت لخادمي: اغرف لي من البحر المالح، فغرف لي ماء حلوا، فلما ذهبت الضرورة غرفت فإذا هو مالح. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٨)].

(٤) رواه: البخاري في صحيحه(٣٤٧١) كتاب أحاديث الأنبياء، [٥٦] باب يلي باب حديث الغار، =

إنما خلقت للحرث، وقال في آخره: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر[(١)] وهذا لما قال الناس: سبحان الله، أبقرة تتكلم؟ وعن أبي الربيع المالقي، قال: قيض الله لي طائرا في بعض الأسفار يبيت يسامرني، فكنت أسمعه الليل كله ينطق: يا قدوس يا قدوس، فإذا أصبح صفق بجناحيه، وقال: سبحان الرزاق، وطار.

وعن بعضهم أنه كان يأتيه طير بمكة ويحادثه، فلما كان ذات يوم أتاه وقال له: موعدي وموعدك الشام.

فاجتمع به بعد ذلك في الشام، وبشر طير أبا مسلم[(٢)] بسلامة السرية وقدومها.

فصل

ووقع لهم أيضا إبراء العلل.

وهو كثير جدا، ومنها إبراء يعقوب بن الليث الولي علىٰ يد سهل[(٣)] بعد إطلاقه كل من كان في سجنه، وقال: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة. فعرض مالاً عليه، فأبى قبوله، فعوتب، فنظر إلىٰ الحصى في الصحراء، فإذا هي جواهر. فقال: من أُعطي مثل هذا يحتاج إلىٰ مال يعقوب؟!

ومن ذلك ما روي عن السري السقطي[(٤)] قال: مررت ببعض الجبان، فإذا أنا

= عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل علىٰ الناس فقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث» فقال الناس: سبحان الله، بقرة تتكلم؟ فقال: فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وكذا رواه مسلم في صحيحه [١٣ . (٢٣٨٨)] كتاب فضائل الصحابة، [١] باب من فضائل أبي بكر الصديق.

(١) قال النووي: قوله ﷺ في كلام البقرة وكلام الذئب وتعجب الناتس من ذلك: «فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر وما هما ثَمَّ»: قال العلماء: إنما قال ذلك ثقة بهما لعلمه بصدق إيمانهما وقوة يقينهما وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه جواز كرامات الأولياء وخرق العوائد،وهو مذهب أهل الحق. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١٢٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) أبو مسلم الخولاني: كان علىٰ جانب عظيم كبير من العبادة حتىٰ لو قيل له إن جهنم لتُسَعَّر لما استطاع أن يزيد في عمله شيئا، وكان يترك الأكل ويقول: الخيل إنما تجري وهي ضمر، وكان يقول: من شد رجليه في الصلاة ثبت الله رجليه علىٰ الصراط. [انظر الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٢٥)].

(٣) له كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك، فنقل أبو القاسم التميمي في الترغيب والترهيب من طريق أبي زرعة الطبري: سمعت ابن درستويه صاحب سهل بن عبد الله يقول: قال سهل. ورأى أصحاب الحديث فقال: اجتهدوا أن لا تلاقوا الله إلا ومعكم المحابر. [تاريخ الإسلام للذهبي (٢٨١. ٢٩٠)].

(٤) سري السقطي كان أوحد أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحد، وهو أول من=

بجمله زَمِنًا وعميا ومرضا، فسألتهم عن حالهم فقالوا: ههنا رجل يخرج في السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء.

فضرب له حتىٰ خرج ودعا لهم، فشفوا، فتعلقت به، وقلت: علة باطنة فما دواؤها؟ قال يا سري خل عني، فإنه غيور، لا يراك تسكن إلىٰ غيره فتسقط من عينه.

ومنها الحكاية المشهورة عن الزَّمْنَاء التي سألت بحرمة ضيفها أن تعافى منها، فقامت تمشي باقي الليل، فلما رآى أهلها ذلك طلبوا الضيف، وكان صبيا حمالا في السوق، بات عندهم، فلم يجدوه، والأبواب مغلقة.

ودعي سيدي عبد القادر إلىٰ منزل تاجر، وقيل له: بحق جدك إلا ما حضرت، فقال: حتىٰ يؤذن لي، ثم سكت ساعة، وقال: نعم، فحضر، فمد السماط ووضع في آخر سلة. ولم يأكل أحد، ثم أمر بإحضار السلة، وإذا فيها ولد الداعي أكمه[1] مقعد مجذوم مفلوج[2] فقال له الشيخ: قم بإذن الله معافى، فغدا لا عاهة به، فصاح الحاضرون، فخرج الشيخ ولم يأكل شيئا.

ووقع مثل ذلك في ميعاده، امتحنه به بعض الرافضة[3] فعوفي، وماتوا ومات في ذلك المجلس ثلاثة، ومات في بعض مجالسه سبعة.

وجاء شخص إلىٰ أحمد بن عجيل العارف، وفي يده سلعة[4] فقال: ادع الله أن يزيلها عني وإلا ما بقيت أحْسِن ظني بأحد، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله[5]، ومسح علىٰ يده وربطها فزالت.

= تكلم في بغداد، وإليه ينتمي أكثر المشايخ ببغداد، ومن أقواله: خصلتان يبعدان العبد من الله تعالى: أداء نافلة بتضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب، وكان ينشد كثيرا ويقول:

لا في النهار ولا في الليل لي فرح — فما أبالي أطال الليل أم قصرا

لأنني طول ليلي هائم دنف — وبالنهار أقاسي الهم والفكرا

(١) كَمِهَ الرجل كمها: عِميَ، فهو أكمه، وهي كمهاء.

(٢) الفالج: شلل يصيب حد شقي الجسم طولا، وفلج الرجل أي أصابه داء الفالج، فهو مفلوج.

(٣) الرافضة فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة، سموا بذلك لأنهم رفضوا نصح زيد بن علي؛ حيث نهاهم عن الطعن في الشيخين أبي بكر وعمر، جمعها روافض.

(٤) السَلعة: زيادة تحدث في العنق وغيره من الجسد، تكون قدر الحمصة أو أكبر، جمعها: سلع.

(٥) رواه: البخاري في صحيحه(٦٣٨٤) كتاب الدعوات، [٥٢] باب الدعاء إذا علا عقبة، عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة».

فصل

ووقع لهم أيضا إطاعة الأشياء ؛ فكثير منهم حرسته السباع، وبعضهم حمل عليها زاده، وبعضهم حطبا، منهم أبو الخير بن جميل العارف، فإن أسدا افترس حماره، فقال: وعزة المعبود ما أُخطي خطوة إلا علىٰ ظهرك، فخضع وحمله.

ووقع ذلك لابن شعوانة[1] أيضا، وقال: بالله يا أماه إلا ما وهبتيني لله، فقالت: إنك لا تصلح الآن، فلما رأت ذلك منه قالت: الآن صلحت لذلك.

وروي أن شاهاً الكرماني[2] خرج يتصيد، وإذا بشاب راكب علىٰ أسد، وحوله جماعة منهم، فلما رأوه ابتدروه، فزجرهم، ثم جاءت عجوز بماء فشرب الشاب، ثم أسقى شاهاً. فقال: هذه الدنيا، وكَّلها الله أن تخدمني، فما احتجت لشيء إلا أحضرته حين يخطر ببالي، أما بلغك أن الله تعالىٰ لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه[3] ووعظه. وكان ذلك سبب توبته وخروجه من الملك[4].

والحكاية المشهورة في الفقهاء الذين عابوا علىٰ الإمام في لحنه، وحصل لهم جنابة، فنزلوا فاغتسلوا، وإذا الأسد علىٰ ثيابهم حتىٰ جاء الإمام فزجره وقال: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فقط.

وكانت السباع تأوي إلىٰ بيت سهل فيطعمها.

---

(١) شعوانة كانت لا تفتر عن البكاء فقيل لها في ذلك قالت: والله لو أردت أن أبكي حتىٰ تنقطع دموعي ثم أبكي دما حتىٰ لا يبقى جارحة في جسدي فيها دم. وكانت تقول: من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين؛ فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بنفسه وما جنى عليها وما هو سائر إليه. وكانت تبكي وتقول: إلهي إنك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا. وكان الفضيل بن عياض يأتيها ويتردد إليها ويسألها الدعاء. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥٧)].

(٢) أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، كان من أولاد الملوك، صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري، وكان من أجل الفتيان وعلماء هذه الطائفة، وله رسالات مشهورة، ومن صحبك ورافقك علىٰ ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما صحبك لهواه، فهو طالب بصحبتك راحة الدنيا لا غير. وكان يقول: لأهل الفضل ما لم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروه فإذا رأوه فلا ولاية لهم.

(٣) أخرجه الفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٥).

(٤) ومن أقواله: من نظر إلىٰ الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم، وقل اشتغاله بهم، قلت. أي الذهبي: كلامه هذا إن صح عنه فغير مسلم إليه، بل ينبغي أن يرحمهم في خصومته ومخاصمتهم في رحمته، وليس للعباد عذر ولا حجة بعد الرسل. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٩١ ـ ٣٠٠)].

وجاء إبراهيمَ الخواصَّ[١] سبُعٌ يعرج، فأزال عنه ما يكره، فعاوده ومعه شبلاه، فبصبصا له وحملا بين يديه رغيفين.

وشوهد أن حية كانت تنش علىٰ ابن أدهم[٢] بالنرجس وهو نائم في البستان فطيبته.

كانت تأتي بعضهم فيشرب من لبنها في بعض البراري.

وطيور كانت تؤانسهم في البراري، وتحمل إليهم أنواع الثمار.

وقال الفقيه إسماعيل الحضرمي يوما لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف له حتىٰ يصل إلىٰ منزله وكان في مكان بعيد، وقد قرب غروبها. فقال الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل قفي له، فوقفت حتىٰ بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أما تطلق ذاك المحبوس، فأمرها الخادم بالغروب، فغربت، فأظلم الليل في الحال.

ومن طاعة الجن[٣] لهم أن شخصا جاء إلىٰ سيدي عبد القادر، ذكر أن ابنة له اختطفت فقال له: اذهب إلىٰ خراب الكوخ، وخط دائرة في الأرض، وقل: بسم الله علىٰ نية عبد القادر، فإذا كان فحمة العشاء فسيمر بك طوائف من الجن[٤] فلا

---

(١) إبراهيم بن أحمد، أبو إسحاق الخواص الزاهد، شيخ الصوفية بالري، كان من أكابر مشايخ الطرق، أخذ عنه جعفر الخالدي وغيره، وله تصانيف في التصوف. عنه قال: من أراد الله لله بذل له نفسه وأدناه من قربه، ومن أراد الله لنفسه أشبعه من جنانه ورواه من رضوانه وفي تاريخ الصوفية: عن عمر بن سنان المنجبي قال: مر بنا إبراهيم الخواص وقال: لقيني الخضر فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد عليَّ سر توكلي بسكوني إليه ففارقته. [تاريخ الإسلام، وفيات (٨/ ٣٦٠)].

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل التميمي البلخي الزاهد، أحد الأعلام، وسئل ابن المبارك: ممن سمع إبراهيم بن أدهم؟ قال: قد سمع من الناس، ولكن له فضل في نفسه، صاحب سرائر، ما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئا من الخير ولا أكل مع قوم إلا كان آخر من يرفع يده. وعن أبي حاتم: سمعت أبا نعيم: سمعت الثوري يقول: إبراهيم بن أدهم كان شبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان فاضلا. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٦١ . ١٧٠)].

(٣) روى البخاري في صحيحه(٤٨٠٨) كتاب تفسير القرآن، [٢] باب قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتا من الجن تفلت عليَّ البارحة . أو كلمة نحوها . ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد حتىٰ تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ قال روح: فرده خاسئا.

(٤) قال النووي فيما رويَ في البخاري قبل هذا، وكذا رواه مسلم في كتاب المساجد، [٨] باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة رقم (٣٩): فيه دليل علىٰ أن الجن موجودون، وأنهم قد يراهم =

يهولنك، فإذا كان السحر أتاك ملكهم، ويسألك، فقل له: بعثني عبد القادر إليك، فاذكر له حاجتك، ففعل فأتاه الملك، وقال: يا إنسي ما حاجتك ؟ قلت: بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنزل عن فرسه وقبل الأرض، وجلس خارج الدائرة، وقال له: ما شأنك؟ فلما أخبره، وأخذها مارد من الصين، وضرب عنقه وقال: إن الله إذا أقام قطبا مكنه من الإنس والجن.

فصل

وروي أن بعض الملوك الكفار قال لبعض الشيوخ أظهر لي آية وإلا قتلت الفقراء، فأظهر له البعر ذهبا، والركوة الفارغة مملوءة ماء، وتُلَّتْ علىٰ أعلاها، فلا يسقط منه شيء، فقيل: هذا سحر. فدخل النار حال وجده[1].

في السماع، وخرج منها ومعه ابن الملك في يده تفاحة، والأخرى رمانة، وأخبر الولد أنه كان في بستان، وقيل هذا أيضا سحر.

فأُسقِي سما[2] فتقطع ما عليه من الثياب، ثم ألقى عليه أخرى، وهكذا مرات، فتقطعت وخرج عرقا، فآمن إذ ذاك.

وامتحن بعض المشايخ وطبخ لهم لحم ميتة ولحم مُذَكًّى. فقام الشيخ وجعل المذكى للفقراء، والميتة إلىٰ جهة الملك وقال: الخبيث للخبيث والطيب للطيب.

وقدم بعضهم طعاما غير طيب لسيدي الشيخ أبي العباس المرسي[3] ليمتحنه،

= بعض الآدميين، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] فمحمول علىٰ الغالب، فلو كانت رؤيتهم محالا لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه، ومن أنه كان يربطه لينظروا إليه كلهم ويلعب به ولدان أهل المدينة. [النووي في شرح مسلم (٥/٢٦) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) من مصطلحات الصوفية " وجد ": والوجد مكاشفات من الحق، والوجد وجدان: وجد ملك، أي أن يملك إذا وجدك، ووجد لقاء وكل وجد تجده فهو وجد لقاء، وكل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، وقالوا: المتواجدون ثلاثة أصناف في تواجدهم: فصنف منهم المتكلمون والمتشبهون وأهل الدعاية، ومن لا وزن لهم. وصنف منهم الذين يستدعون الأحوال الشريفة بالتعرض بعد قطع العلائق المشغلة والأسباب القاطعة. [المعجم الصوفي (٥٨)].

(٢) روى يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر قال: قالوا لخالد: احذر الأعاجم لا يسقونك السم، فقال: ائتوني به، فأتي به، فاقتحمه وقال: بسم الله، فلم يضره شيئا، ومن أصحها عنه ما رواه ابن عساكر عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أُتي بسم فقال: ما هذا ؟! قالوا سم. فقال: بسم الله، وشربه. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢١)].

(٣) أحمد أبو العباس المرسي، كان من أكابر العارفين، وكان يقال إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي غيره، وهو أجل من أخذ عنه الطريق ولم يضع عنه شيئا من الكتب، وكان يقول: =

فقال له: إن كان علىٰ يد الحارث المحاسبي[١] عرق يضرب عليه إذا لم يكن الطعام طيبا، فعلى يدي ستون عرقا كذلك فاستغفر الله.

وقصة مزيد الدين مع البرهمي الذي ارتفع في الهواء، فارتفع إليه نعلي الشيخ ولم يزل يضرب رأسه ويصفعه حتىٰ وقع علىٰ الأرض منكسا.

مشهورة:

وكذا قصة الشيخ بهاء الدين السدي صاحب السهر، وروي مع البرهمي الذي جاء إليه، وارتفع في هواء مجلسه فارتفع الشيخ حينئذ في الهواء، ودار في جوانب المجلس فأسلم البرهمي لعجزه عن ذلك لقدرتهم علىٰ الارتفاع دون الدوران.

وكذا قصة البرهمي مع ابن خفيف[٢] قال له: تعال نصبر علىٰ الطعام أنا وأنت أربعين يوما، فعجز ووفى ابن خفيف.

وكذا قصته معه في المكث مدة في الماء، فمات وصبر الشيخ.

ورعى بعضهم جماعة من أهل الخير في مكان واقع كيدا لهم، فباتوا ليلتهم أجمع، فلما خرج الشيخ بجماعته قال للدار: هذا وقتك فوقعت.

واستأذنت بعض نساء الأمراء زوجها للخروج ليلا، فخرجت وخرج خلفها إلىٰ أن حضرت سماعا فرأى النساء[٣] بقرب الرجال فأنكر، ثم إنه أخذه حرقان بول،

= علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق، وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي لم يضع شيئا، وكان يقول: كتبي أصحابي. توفي رحمه الله سنة (٦٨٦). [الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٢)].

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله البغدادي الصوفي الزاهد العارف، صاحب المصنفات في أحوال القوم، قال الخطيب: وله كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة والرد علىٰ المعتزلة والرافضة. قال الجنيد: مات والد الحارث يوم مات وإن الحارث لمحتاج إلىٰ دانق، وخلف مالا كثيرا، فما أخذ منه الحارث حبة، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان، وكان أبوه واقفيا، يعني يقف في القرآن لا يقول: مخلوق ولا غير مخلوق. وقال ابن مسروق: سمعت الحارث يقول: ثلاثة أشياء عزيزة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. توفي سنة (٢٤٣).. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

(٢) أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبي ـ رحمه الله، أقام بشيراز، وهو شيخ المشايخ وأوحدهم في وقته، كان عالما بعلوم الظاهر والحقائق، وحسن الأحوال في المقامات والأحوال، وجميع الأخلاق والأعمال، وكان يقول: التصوف تصفية القلوب ومفارقة أخلاق الطبيعة وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة والنصح لجميع الأمة، وأتباع النبي ﷺ في الشريعة. توفي ـ رحمه الله ـ سنة (٣٧١). [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٠٣)].

(٣) روى البخاري في فضائل عمر، وكذا مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن =

فقعد للبول فوجد فرجه فرج امرأة، فتحير، فلما فرغ السماع قال له الشيخ: هكذا يكون الفقراء إذا جلس لهم النساء، فاستغفر الله ودعا له الشيخ، فعاد إلىٰ حالته.

واشتهر في بلاد اليمن أن غِلْمان السلطان جاءوا إلىٰ أرض لبعض الشيوخ ليمسحوها لأجل الخراج السلطاني، فخرجت عليهم منها ثعابين، فولوا هاربين وتركوه، ووقع ذلك لبعض أولاد أولاده.

وأُخِذَت بقرة لهم فالتوى ثعبان علىٰ من أراد حلبها فردها.

وأشيع عن بعض الشيوخ موت السلطان فبعث إليه وقال: أنا إذاً حي، فقال: إنما قال هذا الشيخ الفلاني وهو كما قال، ثم خرج فوقعت الدار علىٰ السلطان فمات، وقيل قتل.

ولما قيل للشيخ أبي المغيث إن بعض الملوك قتل خادمه بسبب أنه ضرب بعض غلمان السلطان قال: وللحراسة أنا أنزل علىٰ الميسان، يعني خُصَّ الحارس، وأنزل الزرع، فقتل السلطان في الحال، فجاء ولده المظفر مستغفرًا جاعلاً نعله علىٰ رأسه، فقال له الشيخ: ما تطلب؟ قال: المُلك. قال: ولَّيتك فاستقر سلطانا.

وحصل لبعض أصحاب الشيخ محمد بن عمر النهاوي اليمني عدوان من بعض ملوك العرب. فاستغاث بالشيخ، فكتب إليه بما ينعى نفسه فمات بعد جمعة.

ومشى الشيخ علىٰ الطواسي اليمني إلىٰ صلاة الجمعة فسبَّه[1] شخص فأراد بعض أصحابه التعرض إليه، فقال الشيخ: دعوه، معه ما يكفيه، فاشتعلت فيه نار في الحال.

فصل

عن بعض الصالحين قال: خرجت يوما أقصد البرية علىٰ نية السلعة والخلوة مع الله. فسرت ثلاثة أيام، فلما كان الرابع أدركني في باطني قلق وزيادة حركة في

= عمر علىٰ رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب. . . .الحديث بطوله. قال النووي: قال العلماء: معنى يستكثرنه، يطلبن كثيرا من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن، وقوله: عالية أصواتهن، قال القاضي: يحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ، ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان باجتماعها لا أن كلام كل واحدة بانفرادها أعلى من صوته ﷺ.

(١) روى مسلم في صحيحه [٣٢. (٢٥٦٤)] كتاب البر والصلة والآداب، [١٠] باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. . . . . .» الحديث.

ظاهري. فبينما أنا كذلك لم أشعر إلا برجلين كهلين حسنين سلما عليَّ فرددت عليهما السلام، فقالا لي: ما اسمك؟ فقلت عبد الله، فقال أحدهما: ونحن عبيد الله نقصد الله، فمشينا جميعا، فلما كان وقت الظهر، نظر إليَّ أحدهما وقال: هو الوقت؟ قلت نعم.

فقال: فصلِّ إماما.

قلت: تحملا عني ذلك. فصلى بنا أحدهما وتركع كل واحد منا. فقدَّم الذي أمَّ بنا طبقا عليه قطف من عنب وتين لم أر أحسن منه، وقال: بسم الله، فأكلنا ومشينا، فلما كان اليوم الثاني صلى بنا الآخر إماما، ثم حضر مثل ذلك فأكلنا وانصرفنا.

فلما كان اليوم الثالث صليت بهما وقلت: اللهم إنك ولي النعم من غير استحقاق، وأنا عبدك الضعيف غير مستحق للنعم، قد رجعت إليك فيما أقصده، إنك علىٰ كل شيء قدير[1]، وإذا بالطبق بعينه وفيه رمان بزيادة، فأكلنا ثم انصرفنا، ثم أقمنا علىٰ ذلك أربعين يوما، كل يوم كذلك.

فلما كان بعدها قالا: (الخليفة)[2] عليك الله. قلت: وعليكما. وانصرف كل منا، ولم يسأل صاحبه عن شيء، ثم بقيت بعد ذلك مدة، والنعم متوافرة زائدة ولله الحمد.

فصل

عن محمد بن المبارك الصوري، قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات، فسمعت صوتا من أصلها: يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئا، فطأطأ إبراهيم رأسه[3] فقال ذلك الصوت ثلاثا: يا محمد كن شفيعا إليه ليتناول منا.

فقلت: يا أبا إسحاق لقد سمعت، فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولني

---

(١) قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: ٣٧].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) قال إبراهيم بن بشار: بينما أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي وأبو عبد الله السنجاري متوجهين إلىٰ الإسكندرية فصرنا إلىٰ نهر الأردن، فقعدنا نستريح، فقرب أبو يوسف كُسَيْرَات يابسة، فأكلنا وحمدنا الله، وقام بعضنا ليسقي إبراهيم فسارعه فدخل في الماء إلىٰ ركبتيه ثم قال: بسم الله، وشرب ثم حمد الله، ثم خرج فمد رجليه ثم قال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعم إذاً لجالدونا عليه بأسيافهم. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (١٦١ ـ ١٧٠)].

الأخرى، فأكلتها، وهي حامضة، وكانت شجرة قصيرة. فلما رجعنا من زيارتنا إذ هي شجرة عالية، ورمانها حلو، وتثمر في كل عام مرتين. وسميت رمانة العابدين لإيوائهم إلىٰ ظلها.

فصل

قال بعضهم: كنت مع ذي النون[1] بالبادية، فنزلنا تحت شجرة أم غيلان فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب. فتبسم ذو النون وقال: تشتهونه؟ فحركها وقال: أقسمت عليك بالذي ابتداك وخلقك إلا نثرت علينا رطبا جنيا.

ثم حركها، فنثرت رطبا جنيا، فأكلنا وشبعنا. ثم نمنا وانتبهنا، وحركناها، فنثرت علينا شوكا.

فصل

قال بعضهم: دخلت علىٰ أبي علي أبي الخير فناولني تفاحتين فجعلتهما في جيبي وقلت: لا آكل منهما شيئا، وأتبرك بهما. فكانت تجري علي أوقات ولا آكلهما حتىٰ أجهدتني الطاقة. فأخرجت واحدة فأكلتها، ثم أدخلت يدي لأخرج الأخرى، فإذا بالتفاحتين مكانهما، فما زلت آكل منهما حتىٰ دخلت الموصل. فجزت علىٰ خراب، وإذا بعليل ينادي من داخل الخراب: أشتهي تفاحة، ولم يكن تفاح، فأخرجت التفاحتين فدفعتهما إليه فأكل ومات، فعلمت أن الشيخ إنما أعطاهما من أجله.

فصل

عن بعضهم قال: كنت جالسا بمسجد المدينة ومعي رجل من أهل البحرين يقال له خير، فدخل من باب المسجد سبعة أنفس، فقال لي خير: الحق القوم، لا يفوتوك، فإنهم أولياء الله، فقمت خلفهم، فإذا هم عند قبر رسول الله ﷺ[2].

---

(١) قال يوسف بن الحسين حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان مولعا به، يفضله علىٰ العُبَّاد والزهاد، فقال: يا أبا الفيض صف لي أولياء الله، قال: يا أمير المؤمنين هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع علىٰ مفارقهم تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد ودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلمة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلىٰ عظيم جلاله ناظرة.... إلى آخر كلامه.

(٢) روى البخاري في صحيحه: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»، وفي رواية «ما بين =

فتقدمت إليه، فالتفت واحد منهم، فداخلني الرعب حتىٰ (بلت)[(١)]، فخرج القوم وخرجت، فقال لي واحد منهم دعه لعل الله يجبره فيلحق بالقوم. قال: فسرت معهم، فكنت ونحن نسير في الجبال كأن الأرض والجبال تطوى، وللأرض دوي، ونرى الكنوز تظهر وتغيب إلىٰ أن وصلنا إلىٰ وادٍ كثير الشجر والنبات، وإذا بأقوام يصلون بواد نحوا من سبعين رجلاً، فبتنا فيه، فلما أصبحنا وطلعت الشمس قمنا فإذا نحن بمدينة عليها سور أسس من حجارة، قطعته واحدة، ونهر عظيم يدخل إليها وليس بالمدينة باب إلا من الموضع الذي يدخل منه الماء، وعليه شباك من ذهب.

فدخلنا إليها جميعا، ونحن مائة رجل فإذا فيها قباب من ذهب وتحتها عمد من ذهب وفضة، وفيها أنهار من ذهب يجري فيها الماء، وأشجار بين القباب مثمرة وأرضها مغروس بالريحان، وفيها طيور من كل نوع وثمار كثيرة. وزن كل تفاحة نحو خمسة أرطال بالبغدادي، وتلك الفاكهة[(٢)] تشبه فاكهة الدنيا طعما ولونا ورائحة، فأكلنا من التفاح وغيره.

وكان أحدنا يأكل في الوقت مائة ومائتين ولا يشبع من التفاح والسفرجل والرمان والكمثرى، ومن كل نوع من الثمار إلا النخل.

فأقمنا بها أربعين يوما ليس لنا فيها عمل إلا الصلاة والأكل، ولا نحتاج إلىٰ وضوء ولا شرب ماء ولا نوم[(٣)].

= بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، وكذا رواه مسلم. وقال النووي: ذكروا في معناه قولين: أحدهما: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلىٰ الجنة. والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلىٰ الجن، قال الطبري في المراد ببيتي هنا قولان: أحدهما: القبر، قاله زيد أسلم كما رويَ مفسرا «بين قبري ومنبري» والثاني: المراد: بيت سكناه علىٰ ظاهره، وروي: «بين حجرتي ومنبري» قال الطبري: والقولان متفقان ؛ لأن قبره في حجرته، وهي بيته. [النووي في شرح مسلم (٩/ ١٣٧) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) هكذا بالأصل.

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطُّور: ٢٢].
وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢٠ . ٢١].
وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢﴾ [المرسلات: ٤١ . ٤٢].
وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرَّحمٰن: ٦٨].

(٣) هذا في الآخرة، روى مسلم في صحيحه [٢٢ . (٢٨٣٧)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، [٨] باب في دوام نعيم أهل الجنة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا. . . . .» الحديث، وفي رقم [١٨ . (٢٨٣٥)]، [٧] باب في صفات الجنة وأهلها عن جابر مرفوعا: «عن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون».

فلما كان بعدها خرجنا منها فأخذت ثلاث تفاحات فلم يمنعوني، فخرجنا من موضع دخولنا وسرنا ساعة، فقالوا: أين تريد نوديك ؟ قلت: إلىٰ موضعي.

وسألتهم عن اسم المدينة، فقال واحد منهم هذه مدينة الأولياء، خلقها الله نزهة لأوليائه في الدنيا، فمرَّة تظهر لهم باليمن، ومرة بالشام، ومرة بالكوفة، ولم يبلغ هذه المدينة من لم يبلغ الأربعين غيرك، فلما كان بعد ساعة انتهينا إلىٰ موضع فقلت ما هذا الموضع ؟ فقال: اليمن. وكنت آخذ من التفاح قطعة فما أحتاج إلىٰ طعام أياما كثيرة، ولم يزل معي التفاح، آكل منه حتىٰ قدمت مكة فأعطيت الكتاني[1] منه واحدة. فلقيني في اليوم الثاني فقال: لم فعلت هذا، ولم حدثت بما رأيت ؟ قد أخذنا ما أعطيت الكتاني ورجعناه مكانه، فلقيت الكتاني فقال: كانت عندي في حُق فذهبت لآكل منها فلم أجدها.

فصل

عن بعضهم قال: سافرت شرقا وغربا في طمع أن أكتحل بالبدلاء، فوافيت ساحل البصرة عشيا فتيامنت[2] الطريق، وقربت منه لأكون قريبا من الماء، فرأيت عشرة نفر قعودا علىٰ السجادات لم أر معهم الركاء[3] والآلات التي تكون مع الصوفية، فقاموا واستقبلوني وعانقوني، ثم جلسوا مطرقين لا ينظر بعضهم إلىٰ بعض إلىٰ وقت الغروب. فقام واحد منهم ودخل البحر، ولم أعلم كيف كان حاله، غير أنه أتى بإحدى عشرة سمكة مشوية، ولم أر نارا ولا حطبا. فقام واحد منهم وطرح عند كل واحد سمكة، وتفرد هو بسمكة أعظمها، ثم تفرقوا، واشتغل كل واحد بحاله.

فلما دنا الصبح أذن وصلوا جماعة، وأخذوا سجادتهم ومشوا علىٰ الماء، فأراد خادمه الذي جاء بالسمك واختص بأعظمها أن يتبعهم فغاص في البحر، فالتفتوا إليه وقالوا يا فلان من خاننا فليس منا، فتحسر علىٰ فراقهم، فأخذت الركوة ومشيت وتركته في موضعه.

---

(١) الكتاني: هو أبو بكر بن محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أصله من بغداد، وصحب الجنيد والنوري وأبا سعيد الخراز، وأقام بمكة وجاور بها إلىٰ أن مات سنة (٣٢٢) وكان أحد الأئمة المشار إليهم في علم الطريق، وكان يقول: كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك، ونظر مرة إلىٰ رجل شيخ كبير يسأل الناس فقال، هذا رجل ضيع أمر الله في صغره فضيعه الله في كبره، وكان يقول الشهرة زمام الشيطان ومن أخذ بزمام الشيطان كان عنده، وكان المرتعش يقول: الكتاني سراج الحرم.

(٢) أي أخذ يمين الطريق في السير.

(٣) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ويطلق علىٰ الدلو الصغير.

فصل

قال الشيخ عبد الله العباد: إني كنت في مسجد عبادان بعد صلاة العشاء، وفي الصف ثلاثة نفر قد صلوا معنا، ثم خرجوا نحو البحر، فوقع لي أنهم أولياء، فتبعتهم.

فلما جاءوا إلىٰ البحر امتد لهم فيه مثل الشراك من فضة، فمروا عليه[1]، فوضعت رجلي لأتبعهم فغاصت في الماء، فقعدت أبكي، ثم انصرفت إلىٰ المسجد، فلما كان وقت الصبح إذا هم في الصف الأول، فجلسوا في المسجد إلىٰ أن صلوا العشاء ثم خرجوا نحو البحر، فجرى كما جرى لي ولهم أولا، فقعدت أبكي، فمضوا وانصرفت إلىٰ المسجد.

فلما كان في اليوم الثالث إذا بهم في الصف الأول، فقلت لنفسي: يا نفس منك أنفت، لو كان فيك خير لمررت معهم، وعلم الله صدقي، فمروا في الماء فمررت معهم.

وأخذ واحد منهم بيدي، وإذا بهم سبعة أنفس، كل ثلاث ليال ينزل عليهم سبع سمكات، وكانت الليلة ثالثة، وإذا بمائدة عليها ثمان سمكات، فقعدت معهم آكل، فقلت لواحد منهم: لو كان لنا ملح ؟ فقال لي: أُوه أنت منهم ؟! فأخذ بيدي ولم أرهم.

فصل

عن إبراهيم بن أدهم قال: مررت براعي غنم، فقلت له: هل عندك شربة من ماء أو من لبن ؟ قال: نعم، أيهما أحب إليك ؟

قلت: الماء، فضرب بعصاه حجرًا صلدًا لا صدع فيه، فانبجس الماء[2]، قال: فشربت منه، فإذا هو أبرد من الثلج وأحلى من العسل، فبقيت متعجباً، فقال الراعي: لا تعجب فإن العبد إذا أطاع مولاه أطاعه كل شيء.

---

(١) حدث هذا للعلاء الحضرمي لما وجهه النبي ﷺ إلىٰ البحرين واعترضهم الماء فسموا اسم الله وعبروا عليه، وقد تقدم فانظره.

(٢) قال تعالىٰ في أمره لموسى ﷺ: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٦٠] قال ابن عباس: جعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى ﷺ. فضربه عصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من كل ناحية منه، وأعلم كل سبط عينهم يشربون منها. [تفسير ابن كثير (١/ ١٠٠)].

فصل

روى عن الحسن[١] قال: خرج سلمان إلىٰ المدائن ومعه ضيف، فإذا بصنانير في الصحراء وطيور في الهواء، فقال: ليأتيني (صفر)[٢] وطير منكن سمينان، فقد جاءني ضيف[٣] فأحب إكرامه. فجاء كلاهما، فقال الرجل: سبحان الله، أو قد سخر لك هذا الطير في الهواء؟! فقال: أتتعجب من هذا؟ ما من عبد أطاع الله إلا أطاعه خلقه.

فصل

عن بعض أصحاب أبي تراب[٤] قال: كنا معه في طريق مكة، فعدل عن الطريق إلىٰ ناحية، فقال بعض أصحابه: يا سيدي أنا عطشان. فضرب برجله الأرض، فإذا عين ماء زلال، فقال: الفتى أحب أن أشربه في قدح. قال: فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت، فشرب وسقانا، وما زال القدح معنا إلىٰ مكة.

فصل

عن بعض الصالحين رحمهم الله قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ علىٰ ساحل البحر، فانتهينا إلىٰ غيضة[٥] فيها حطب كثير يابس. فقلت: يا إبراهيم لو

---

(١) الحسن البصري ـ رحمه الله ـ غني عن التعريف، وروى عن جمع من الصحابة منهم عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وجابر وغيرهم.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) روى مسلم في صحيحه [١٥ ـ (٤٨)] كتاب اللقطة عن أبي شريح العدوي رفعه: «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة...... » الحديث.
قات النووي: قال العلماء: معناه الاهتمام به في اليوم والليلة، وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف، وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ولا يزيد علىٰ عادته، وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك. [النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) قال: يوسف بن الحسن: كنت مع أبي تراب بمكة فقال: أحتاج إلىٰ كيس دراهم، فإذا رجل قد صب في حجره دراهم فجعل يفرقه علىٰ من حوله، وكان فيهم فقير يتراءى له أن يعطيه شيئا، فما أعطاه شيئا، ونفدت الدراهم، وبقيت أنا وأبو تراب والفقير، فقال له: تراءيت لك غير مرة فلم تعطني شيئا، فقال له: أنت لا تعرف المعطي. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

(٥) غاض الماء غيض: نزل في الأرض وغاب فيها، والغيضة: الأجمة والموضع يكثر فيه الشجر

أقمنا الليلة، ههنا وأوقدنا من هذا الحطب ؟ فقال: افعلوا، وأوقدنا وكان معنا خبز فأكلنا، فقال واحد منا: ما أحسن هذا الجمر[١] لو كان لحم نشويه ؟ فقال إبراهيم بن أدهم: إن الله ﷻ قادر علىٰ أن يطعمكموه.

قال: فبينما نحن كذلك إذا بأسد يطرد إيلا، فلما قرب منا وقع فاندق عنقه.

فقال إبراهيم: اذبحوه فقد أطعمكم الله. فشوينا من لحمه والأسد ينظر إلينا. رحمه الله ونفعنا به.

فصل

عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد[٢]. رحمه الله. قال: حضرت إملاك[٣] بعض الأبدال من الرجال ببعض الأبدال من النساء، فما كان في جماعة من حضر إلا من ضرب بيده النوى، فأخذ شيئا وطرحه من در وياقوت وما أشبهه، قال الجنيد فضربت بيدي فأخذت زعفرانا فطرحته، فقال الخضر. ﷺ: ما كان في الجماعة من أهدى ما يصلح للعرس غيرك.

فصل

عن سعيد بن يحيى البصري. رحمه الله. قال: أتيت عبد الواحد بن زيد. رحمه الله. وهو جالس في ظل فقلت له: لو سألت الله ﷻ أن يوسع عليك الرزق لرجوت أن يفعل[٤].

فقال: ربي أعلم بمصالح عباده، ثم أخذ حصى من الأرض ثم قال: اللهم إن شئت أن تجعلها ذهبا، فألقاها إليَّ وقال: أنفقها أنت، فلا خير إلا في الآخرة.

= ويلتف، جمعها غياض، وأغياض، والمغيض المكان الذي يغيض في الماء.

(١) الجمرة: القطعة الملتهبة من النار، والحصاة الصغيرة، واحدة الجمرات التي يرمى بها في منى، وهنا قطع ملتهبة من النار بعد إشعال الحطب.

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، قال أبو نعيم: أنا الخلدي كتابة قال: رأيت الجنيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار. وعن الجنيد قال: أعلى درجات الكبر أن ترى نفسك، وأدناها أن تخطر ببالك، يعني نفسك. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٩٠ . ٣٠٠)].

(٣) الإملاك: التزويج.

(٤) كان عبد الواحد بن زيد يقول: عليكم بالخبز والملح فإنه يذهب شحم الكلى ويزيد في اليقين، وكان يقول: أحسن أحوال العبد مع الله موافقته، فإن أبقاه في الدنيا لطاعته كان أحب إليه وإن أخذه كان أحب إليه، وكان يقول: ما من عبد أعطي من الدنيا شيئا فابتغى إليه شيئا ثانيا إلا سلبه =

فصل

حكي أنه كان شابان يتعبدان بالشام يُسَمَّيان الصبيح والمليح[1] لحسن عبادتهما، جاعا أياما، فقال أحدهما: اخرج بنا إلىٰ الصحراء لعلنا نرى رجلا نعلم بعض دينه لعل الله ينفعنا به. فخرجا، قالا: فلما حضرنا إذا بشاب أسود علىٰ رأسه حزمة حطب، فقلنا له: يا هذا من ربك؟ فرمى الحزمة عن رأسه وجلس عليها فقال: لا تقولا: من ربك، ولكن قولا: أين محل الإيمان من قلبك؟

فنظر كل واحد منا إلىٰ صاحبه، ثم قال لنا: اسألا، اسألا، فإن المريد لا تنقطع مسائله.

فلما رآنا لا نرد جوابا قال: اللهم إنك تعلم أن لك عبادا كل ما سألوك أعطيتهم، فحوِّل حزمتي هذه ذهبا، فإذا هي قضبان ذهب تلمع. ثم قال: اللهم إنك تعلم أن لك عبادا الخمول أحب إليهم من الشهرة فردها حطبا، فرجعت حطبا، ثم حملها علىٰ رأسه ومشى فلم نتجرأ أن نتبعه.

فصل

قال بعض الصالحين: اجتمع جماعة من الفقراء فذهبوا يزورون رجلا أسود كان ناطورا يقال له مقبل، فمضيت معهم، فدخلنا إلىٰ مكان فيه باذنجان كثير، وفيه أَسْوَدُ قائم يصلي، فسلمنا وجلسنا إلىٰ أن سلم، فأخرج كيسا في كسر يابسة وملح جريش[2]، وقال كلوا، فأكلنا، وأخذ الجماعة يذكرون كرامات الأولياء وهو ساكت، فقال له بعض الجماعة: يا مقبل قد زرناك فما تحدثنا بشيء، فقال: أي شيء أنا وأي شيء عندي أخبركم به؟ أنا أعرف رجلا لو سأل الله أن يجعل هذا الباذنجان ذهبا لفعل: قال: فوالله ما استتم كلامه حتىٰ رأينا الباذنجان يتقد ذهبا، فقال بعضهم: يا مقبل هل لأحد سبيل أن يأخذ من هذا الباذنجان أصلا واحدا؟ فقال له خذ، فأخذ أصلا معلقة بعروقه وجميع ما فيه ذهب، فوقعت من الأصل باذنجانة صغيرة، وشيء من الورق. فأخذته وبقي معي إلىٰ يومي هذا، ثم صلى مقبل ركعتين، وسأل الله أن يعيده كما كان ففعل، وعاد موضع ذلك الأصل المقلوع أصل آخر باذنجان.

= الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة. وصلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٤٠)].

(١) ملَّح الشاعر: أتى بشيء مليح، واستملح الشيء عده أو وجده مليحا حسنا.

(٢) جرش الشيء: لم ينعم دقه، فهو مجروش وجريش.

فصل

وحكي أن بعض سلاطين الكفار استولى علىٰ بعض بلاد المسلمين، فسفك دماءهم ونهب أموالهم، وأراد أن يقتل فقراء بعض المشايخ، فاجتمع به الشيخ ونهاه عن ذلك، فقال له السلطان: إن كنتم علىٰ الحق فأظهر لي آية، فأشار الشيخ إلىٰ بعض الجبال هناك فإذا هي جواهر تضيء، فأشار إلىٰ كيزان[1] في الأرض فارغة من الماء، فتعلقت في الهواء، فامتلأت ماء وأفواهها مكبة علىٰ الأرض ولا يقطر منها قطرة، فدهش السلطان من ذلك.

فقال له بعض جلسائه: لا يكثر هذا في عينك فإنما هو سحر. فقال له السلطان أرني غير هذا، فأهوى الشيخ بالنار فأوقدت وأمر الفقراء بعمل السماع، فلما عمل فيهم الوجد دخل الشيخ بهم إلىٰ النار[2] وكانت عظيمة، ثم خطف الشيخ ولد السلطان فدار به في النار، ثم غاب به فلم يعلم أين ذهبا، والسلطان حاضر، ذهب عقله علىٰ ولده.

فلما كانا بعد ساعة ظهرا، وفي إحدى كفي ولد السلطان تفاحة وفي الأخرى رمانة، فقال له السلطان: أين كنت يا ولدي ؟ قال: في بستان فأخذت منه هاتين الحبتين وخرجت، فتحير السلطان من ذلك.

فقال له جلساء السوء، هذا أيضا عمله بصنعة باطلة، فقال له السلطان عند ذلك: كل ما تظهره لا أصدق به حتىٰ تشرب من هذا الكأس، وأخرج له كأسا مملوءة سماً[3] تقتل القطرة الواحدة منه في الحال.

فأمر الشيخ الفقراء بالسماع حتىٰ ورد عليه. قال: فأخذ الكأس حينئذ وشرب جميع ما فيها فمزقت ثيابه التي عليه، فألقوا عليه ثيابا أخرى فتمزقت كذلك ثم أخرى ثم أخرى كذلك مرارا عديدة، ثم ترشح عرقا، ثم ثبتت عليه الثياب بعد ذلك ولم تتقطع، فاعتقده السلطان وعظمه وجلّه واحترمه ورجع عن ذلك القتل والإفساد، ولعله أسلم.

---

(١) الكوز: إناء بعروة يشرب به الماء، جمعها: كيزان.

(٢) حدث ذلك لأبي مسلم الخولاني، وكان من التابعين، وقد ألقي في النار فوُجِد قائما يصلي، ولما قدم المدينة جعله عمر بينه وبين أبي بكر، قال الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أراني من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم. [انظر قطر الولى علىٰ حديث الولي ص٦١ من تحقيقنا ،طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) انظر ما تقدم مع خالد بن الوليد وشربه السم، وقد تقدم من قبل.

فصل

وحكي أن بعض السلاطين امتحن بعض الشيوخ بطبائخ قدمها إليه، ولحم بعضها مذكى وبعضها ميتة، فشد الشيخ وسطه وقال للفقراء: أنا اليوم خادمكم في هذا الطعام، وأخذ يلتقط المذكى ويقدمه إلىٰ الفقراء ويعزل الأواني التي فيها غير المذكى إلىٰ الجند، ويقول: الطيب للطيبين، والخبيث للخبيثين، والسلطان حاضر يراه، فاستغفر الله تعالىٰ وحسن اعتقاده[(١)]. وأنشد الشيخ الحسيب النسيب عبد القادر الكيلاني شيخ المشرق لنفسه:

ما في الصبابة[(٢)] منهل[(٣)] مستعذب ... إلا ولي في الألذ الأطيب
أو في الزمان مكانة مخصوصة ... إلا ومنزلتي أعز وأقرب
ومبتهل الأيام رونق[(٤)] صفوها ... فصفا من أمهلها وطاب المشرب
وأنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم في كل مجد رتبة ... علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الأفراح أملي دوحها[(٥)] ... طربا وفي العلياء باز[(٦)] أشهب[(٧)]

فصل

قال إبراهيم الخراساني: احتجت يوما إلىٰ الوضوء، فإذا بكوز من جوهر وسواك من فضة ألين من الخز، فأسكبت وتوضأت، وتركتها وانصرفت.

---

(١) قال الشوكاني: من كان من الأولياء المعدودين كان من المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر: خيره وشره، مقيما لما أوجب الله عليه، تاركا لما نهى الله عنه مستكثرا من طاعاته، فهو من أولياء الله سبحانه، وما ظهر عليه من الكرامات التي لم تخالف الشرع فهي موهبة من الله ﷻ، لا يحل لمسلم أن ينكرها، ومن كان بعكس هذه الصفات فليس من أولياء الله سبحانه وليست ولياته رحمانية، بل شيطانية، وكراماته من تلبيس الشيطان عليه وعلى الناس. [انظر قطر الولى علىٰ حديث الولي ص٦٥ من تحقيقنا، طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) الصبابة: الشوق، أو رقته وحرارته، والصب: العاشق.

(٣) نهل نهلا: شرب حتىٰ روي فهو ناهل، والمنهل: المورد، أي الموضع الذي في المشرب، جمعها: مناهل.

(٤) راق روقا: صفا، و "روَّقَ الشراب"، صفَّاه.

(٥) الدوحة: الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من شجرها، وداحت الشجرة دوحا عظمت، فهي دائحة.

(٦) الباز: ضرب من الصقور يستخدم في الصيد، وجمعها: بيزان.

(٧) شهب شهبا: خالط بياض شعره سواد وحال لونه وتلوح، فهو أشهب.

قال: وبقيت في بعض السياحات[١] أياما لم أر فيها أحدا من الناس ولا طيرا ولا ذا روح، وإذا بشخص لا أدري من أين خرج، فقال لي: قل لهذه الشجرة تحمل ذهبا. فقلت: احملي دنانير فلم تحمل، ثم قال لها هو: احملي دنانير، فإذا بشماريخ[٢] دنانير معلقة، فاشتغلت أنظر، ثم التفت، فلم أر الشخص وذهبت الدنانير من الشجرة.

فصل

قال ذو النون المصري[٣]: ركبنا مرة في مركب، وركب معنا شاب صبيح الوجه يشرق، فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيسا فيه مال ففتش كل من في المركب، فلما وصلوا إلىٰ الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتىٰ جلس علىٰ أمواج البحر، وقام له الموج علىٰ مثال السرير، ونحن ننظر إليه في المركب، وقال[٤]: يا مولاي إن هؤلاء اتهموني، وإني أقسم عليك يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جواهر. فوالله ما تم كلامه حتىٰ تم ذلك، وفي فم كل واحدة جوهرة تتلألأ وتلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلىٰ البحر وجعل يتبختر علىٰ متن الماء ويقول: إياك نعبد وإياك نستعين، حتىٰ غاب عن بصري، قال: فحملني هذا علىٰ السياحة، وذكرت قول النبي ﷺ: «لا يزال في أمتي ثلاثون قلوبهم علىٰ قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه واحدًا»[٥].

---

(١) السياحة: التنقل من بلد إلىٰ بلد طلبا للنزهة أو الاستطلاع والكشف.

(٢) الشمروخ: العرجون عليه بسر، والعنقود عليه عنب، جمعها: شماريخ.

(٣) قال محمد بن يعقوب بن الفرجي: كنت مع ذي النون في الزورق، فمر بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلىٰ السلطان يشهدون عليك بالكفر، فقال: اللهم إن كانوا كاذبين فغرقهم، فانقلبت الزورق، وغرقوا. فقلت له: احسب أن هؤلاء قد مضوا يكذبون فما بال الملاح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلم قصدهم، لأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود الزور، ثم انتفض وتغير وقال: وعزتك لا أعود علىٰ خلقك بهذا. [تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٤١ ـ ٢٥٠)].

(٤) فرقة من المتصوفة المبطلة آمنوا بعصمة الولي وطهارته وعظم قدرته في حياته وبعد مماته، وخافوا الإنكار عليه ولو أتى المنكرات واقترف الفواحش، وفضلوا الولاية علىٰ النبوة، وحجتهم أن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة والأولياء يتلقون من الله بلا واسطة، وكان الجنيد مثلا يقول: خضنا بحرا وقف الأنبياء علىٰ ساحله. [انظر المعجم الصوفي (ص٣٧، ٣٨)].

(٥) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/١٦٨)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٨٠).

فصل

عن بعض الصالحين قال: كنت جالسا في بيت المقدس عند بئر سليمان . عليه الصلاة السلام . يوم الجمعة بعد العصر، فإذا برجلين يشبه أحدهما خلقنا، والآخر عظيم الخلق طويل، كأن عرض جبهته أكثر من ذراع. فجلس الذي يشبهنا عندي وسلم عليَّ، وجلس الآخر بعيداً منا، فقلت: من أنت يرحمك الله ؟ قال: أنا الخضر[(١)].

قلت: ومن ذلك الرجل ؟ قال: أخي إلياس. فداخلني ما يداخل مثلي.

فقال لي: لا بأس عليك، نحن نحبك، ثم قال لي: من صلى العصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة فقال: يا الله يا رحمن، ثم سأل الله شيئا إلا أعطاه. فقلت له: آنستني آنسك الله بذكره كل وليّ[(٢)] في الأرض تعرفه.

قال: المعدودين، قلت: وما معنى المعدودين ؟ قال: إنه لما قبض النبي ﷺ شكت الأرض إلىٰ ربها سبحانه وتعالىٰ[(٣)] فقالت: بقيت لا يمشي عليَّ نبي إلىٰ يوم القيامة، فأوحى الله تعالىٰ إليها: إني سأجعل من هذه الأمة رجالا مثل الأنبياء، قلوبهم علىٰ قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال: فقلت له كم هم ؟ قال: ثلاثمائة، وهم الأولياء، وسبعون وهم النجباء، وأربعون وهم أوتاد الأرض، وعشرة، وهم النقباء، وسبعة، وهم العرفاء، وثلاثة وهم المختارون، وواحد وهو الغوث، فإذا مات الغوث[(٤)] اختير من الثلاثة، فاختير

---

(١) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر.

(٢) قال الحبري المفسر وأبو عمرو بن الصلاح عن الخضر: هو نبي، واختلفوا في كونه مرسلا، وقال القشيري وكثير: هو ولي، وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال: أحدها: نبي، والثاني: ولي، والثالث: أنه من الملائكة، وهذا غريب باطل، قال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو ولي، واحتج من قال بنبوته بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، فدل علىٰ أنه نبي أوحي إليه وبأنه أعلم من موسى، ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) ذكر الثعلبي ثلاثة أقوال في أن الخضر كان من زمن إبراهيم الخليل ﷺ أم بعده بقليل أم بكثير. كنية الخضر أبو العباس، واسمه بليان بن ملكان، وقيل كليان، وقال ابن قتيبة في المعارف: قال وهب بن منبه اسم الخضر بليان بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشيد بن سام بن نوح. [المرجع السابق: (١٥/ ١١١)].

(٤) الغوث: الإعانة والنصرة، ويقال في الشدة تنزل بالمرء فيسأل العون علىٰ كشفها: واغوثاه.

من العشرة واحد، فضم إلىٰ السبعة، فاختير من الأربعين إلىٰ العشرة، ومن السبعين إلىٰ الأربعين، ومن الثلاثمائة إلىٰ السبعين، واختير من الدنيا واحد إلىٰ الثلاثمائة، يعني من أهل الدنيا، هكذا إلىٰ يوم ينفخ في الصور، منهم من قلبه مثل قلب موسى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ومنهم من قلبه مثل قلب نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ.

فقلت له: مثل قلب إبراهيم؟ تعظيما له[1] قال: نعم، ومثل قلب جبريل وداود وسليمان ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعَام: ٩٠] فما مات نبي إلا وعلى طريقته رجل يسلكها إلىٰ يوم القيامة، فلو أن قلوب الأربعين اطلعوا علىٰ قلوب العشرة لرأوا قتلهم ودماءهم حلالاً، وكذا السبعون لو اطلعوا علىٰ قلوب الأربعين لرأوا دماءهم حلالاً أما ترى ما كان في قصة موسى معي؟[2] قال: فقلت له: مم طعامك؟ قال: من الكرفس والكمأة[3] قلت: فطعام إلياس؟ قال: رغيفان حُوَّارَى كل ليلة. فقلت: وأين مقامه؟ قال: في جزائر البحر، قلت: فهل تجتمعان؟ قال: نعم إذا مات وليٌّ صلينا عليه وإذا كان موسم اجتمعنا، فيأخذ من شعري وآخذ من شعره.

قلت: فعرفني أسماء هؤلاء الذين سميتهم، فأخرج درجا من كمه فيه أسماء القوم كلهم، قد كتبهم، ثم قام فقمت معه، فقال لي: إلىٰ أين تريد؟ فقلت: أمشي معك، فقال لا سبيل لك إلىٰ ذلك، فقلت: إلىٰ أين تقصد؟ قال أصلي الغداة بمكة،

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠] يمدح الله تعالىٰ عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النّحل: ١٢٠] فأما الأمة فهو الإمام الذي يقتدى به، والقانت هو الخاشع، والحنيف المنحرف قصدا عن الشرك إلىٰ التوحيد. [تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٩)].

(٢) روى مسلم في صحيحه [١٧٠ ـ (٢٣٨٠)] كتاب الفضائل، [٤٦] باب من فضائل الخضر ـ ﷺ، وفيه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ـ ﷺ ـ صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر ـ ﷺ ـ فقال: كذب عدو الله؛ سمعت أُبَيَّ بن كعب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قام موسى خطيبا في بني إسرائيل. . . . . . .» وذكر الحديث كما ورد في سورة الكهف.

(٣) الكمأة: بفتح الكاف وإسكان الميم، بعدها همزة مفتوحة، واختلف في قوله ﷺ: «الكمأة من المنِّ» فقال أبو عبيد وكثيرون: شبهها بالمن الذي كان ينزل علىٰ بني إسرائيل لأنه كان يحصل لهم بلا كلفة ولا علاج، والكمأة تحصل بلا كلفة ولا علاج ولا زرع ولا سقي ولا غيره، وقيل: هي من المن الذي أنزل الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل حقيقة عملا بظاهر اللفظ.

ثم أجلس في الحجر(١) عند الركن الشامي حتىٰ تطلع الشمس ثم أطوف بالبيت سبعا، ثم أصلي خلف المقام ركعتين، ثم أصلي الظهر بالمدينة والعصر ببيت المقدس والمغرب بطور سيناء، والعشاء بسد ذي القرنين. قم لا أزال أحرس إلىٰ الغداة. عليه وعلى جميع المذكورين السلام.

فصل

عن بعض الصالحين قال: وصف لي ثلاثة نفر من البدلاء من العشرة، فقصدتهم وسألت عنهم، فإذا واحد منهم إمام جامع، فرأيت عليه نبرة(٢) حسنة وثيابا جميلة، وله نعمة كثيرة يديرها، واسمه إبراهيم، واسم الآخرين الحسن والحسين.

فجئت إلىٰ إبراهيم الإمام بين المغرب والعشاء، فسلمت عليه وقلت: إني قصدتك. ففرح بي. فلما صلينا العشاء أخذ بيدي ومضينا إلىٰ منزله، فإذا قصر عظيم وحاشية كبيرة، فقدم لنا مائدة كبيرة عليها طعام كثير، فجلس معنا الحسن والحسين، ولم يجلس معنا إبراهيم الإمام، فأكلنا، فسألتهما عنه فقالا: إنه لا يأكل إلا اللبن، فلما كان وقت النوم فرش له فُرُش كثيرة، فنام عليها، فلم أزل أرقبه.

فلما كان في بعض الليل نزل عن الفراش فصلى(٣) ركعتين من غير أن يتوضأ، قرأ في الأولى فاتحة الكتاب و" قل يا أيها الكافرون " وفي الأخرى فاتحة الكتاب و" قل هو الله أحد " فلما سلم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع

---

(١) الحِجر: قال في النهاية: هو اسم الحائط المستدير علىٰ جانب الكعبة الغربي.
وروى مسلم في صحيحه [٤٠٠ . (١٣٣٣)] كتاب الحج، [٦٩] باب نقض الكعبة وبنائها، عن ابن عمر، عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر» قال النووي بعد أن ساق رأيا ثم قال في الثاني: لا يصح الطواف حتىٰ يطوف خارجا من جميع الحجر، وهذا هو الصحيح، وهو الذي نص عليه الشافعي، وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين، ورجحه جمهور الأصحاب. [النووي في شرح مسلم (٩/ ٧٧، ٧٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) النبر في النطق: إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق به.

(٣) قيام الليل هو تطوع في حق الأمة بالإجماع، وأما للنبي ﷺ فاختلفوا في نسخه في حقه، والأصح نسخه وأما ما حكاه القاضي عياض عن بعض السلف أنه يجب علىٰ الأمة من قيام الليل ما يقع عليه الاسم، ولو قدر حلب شاة فغلط ومردود بإجماع من قبله مع النصوص الصحيحة أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس.

لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد[١].

قالها ثلاثاً وأخذ بها صوته.

ثم صلى ركعتين أخرتين، قرأ في الأولى منها فاتحة الكتاب و" قل أعوذ برب الفلق " وفي الثانية الفاتحة و" قل أعوذ برب الناس "، فلما سلم قال مثل ما قال من الذكر[٢] المذكور ثلاث مرات، ثم رجع بعد الذكر المذكور إلىٰ فراشه.

فلما كان وقت الفجر قام فأذن وصلى ركعتي الفجر من غير أن يجدد وضوءًا وخرج إلىٰ الصلاة. فأقمت عندهم شهرا علىٰ هذا.

فلما كان يوم عرفة قال لي: اقرأ اليوم سورة الأنبياء وسورة الحج، وكلما مررت بذكر نبي من الأنبياء فصل عليه وعلى محمدﷺ فإنك إذا فعلت ذلك أعطاك الله ـ تبارك وتعالى ـ ثواب من حج إلىٰ بيت الله الحرام.

فلما كان الضحى جاءني فأخذ بيدي من المسجد، فجئنا إلىٰ الدار، فإذا القوم تهيئوا للإحرام[٣] فدفع إليَّ إزارين وقال لي انو الإحرام.

ثم خرجنا من الدار، وقد حملوا سطلا[٤] صغيرا مملوءا دراهم صحاحا.

---

(١) روى البخاري في صحيحه(١١٢٠) [١٩] كتاب التهجد، [١] باب التهجد بالليل، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ؛ لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ؛ ولك الحمد ؛ أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد ؛ أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ـ أو لا إله إياك».

(٢) روى البخاري في صحيحه(٨٤٤) كتاب الأذان، [١٥٥] باب الذكر بعد الصلاة، عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله المد وهو علىٰ كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

(٣) أجمع العلماء علىٰ أن المواقيت مشروعة، ثم قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد والجمهور: هي واجبة، لو تركها وأحرم بعد مجاوزتها أثم ولزمه دم وصح حجه، وقال عطاء والنخعي: لا شيء عليه، وقال سعيد بن جبير لا يصح حجه. وفائدة المواقيت أن من أراد حجا أو عمرة حرم عليه مجاوزتها بغير إحرام، ولزمه الدم.

(٤) السَّطل: إناء من معدن كالمرجل له علاقة كنصف الدائرة، مركبة في عروتين، جمعها أسطال وسطول.

فلما جاوزنا الميقات[(١)] صلينا ركعتين وقال: انو الحج، فنويت، ثم لبوا ولبيت معهم، وسجدوا وسجدت معهم.

فلما كان بعد ساعة رفعوا رؤوسهم، ورفعت رأسي فرأيت جبالا وأرضا لا أعرفها، ورأيت جمالا وناسا سائرين، فقال لي إبراهيم: هؤلاء خارجون من منى يريدون عرفة، ثم أخذوا بيدي فسرنا حتىٰ وافينا مسجد عرفات، فاشتروا ماء، فاغتسلنا، واشتروا تمرا وخبزا، فقال إبراهيم: كل، فقلت: إني صائم، فقال: لا تخالف نبيك ﷺ فقد أفطر في مثل هذا اليوم[(٢)] فلما كان عند غروب الشمس دفعوا إليَّ السطل وفيه الدراهم، فقال لي إبراهيم: خذ هذا واستعن به علىٰ أمرك، وعليك بالشام، ثم افترقنا فلم أرهم بعد ذلك.

فصل

عن بعض الأخيار قال: سمعت بالشيخ أبي الفضل الجوهري المصري. رحمه الله. فخرجت من بلدي وعقدت النية لزيارته، فدخلت مصر يوم الجمعة، فحضرت مجلس وعظه مع جماعة الناس، فإذا الشيخ بهي المنظر مليح المخطر، عليه رياش[(٣)] وأثواب رفيعة، وعمامة شرب، وطيلسان[(٤)] كذلك، وله همة عالية، وقباء[(٥)] واسع، وقال: دنيا واسعة. فقلت في نفسي: هذا ابن الجوهري الذي قيل فيه ما قيل، وسارت الركبان بصلاحه ودينه وورعه وكثرة صفاته وقوة إيمانه، وهو علىٰ الحال؟ فتعجبت من ذلك وتركته، علىٰ تلك الحال، فبينما أنا أسير في بعض أزقة مصر إذا

---

(١) انظر رأي العلماء في المواقيت تقدم قبل هذا قريبا. وهو أوسع مما ذكرنا، انظر شرح مسلم للنووي (٨/ ٦٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجمهور العلماء استحباب فطر يوم عرفة بعرفة للحاج، وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وابن عمر والثوري. قال: وكان ابن الزبير وعائشة يصومانه. وروي عن عمر بن الخطاب وعثمان بن أبي العاص، وكان إسحاق يميل إليه، وكان عطاء يصومه في الشتاء دون الصيف، وقال قتادة: لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء، واحتج الجمهور بفطر النبي ﷺ فيه، ولأنه أرفق بالحاج في آداب الوقوف ومهمات المناسك، واحتج الآخرون بالأحاديث المطلقة أن صوم عرفة كفارة سنتين، وحمله الجمهور علىٰ من ليس هناك.

(٣) الريش: اللباس الفاخر، والحالة الجميلة.

(٤) الطيلسان: ضرب من الأوشحة يلبس علىٰ الكتف أو يحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة، وهو ما يعرف في العامية المصرية بالشال، جمعها: طيالسة وطيالس.

(٥) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه.

بامرأة تصيح وتنوح[(١)] وتبكي: وامصيبتاه، وافضيحتاه، فتقدمت إليها رحمة لها مما تعمل بنفسها، فقلت: ما لك ؟ وما قضيتك ؟ فقالت: يا سيدي أنا امرأة من أرباب البيوت، ولم يكن لي سوى بنت واحدة، فتعبت بها إلىٰ أن ترعرعت[(٢)] واستوت، خطبها مني صلاح (العالمين)[(٣)] فزوجتها منه، وهذه ليلة دخولها علىٰ بعلها، وقد اعترض بها جان فأذهب عقلها.

فقلت لها: لا بأس عليك، عليَّ دواؤها وإصلاح شأنها، فسكن قلبها ومضت قدامي إلىٰ أن أتت بي إلىٰ دار عالية البنيان فأذنت لي فصعدت إلىٰ مجلس فيه من جميع الأفنان مما يصلح لأهل العرس والولدان، وأمرتني بالجلوس ففعلت، وإذا بابنتها تلتفت يمينا وشمالا مما حل بها، مع ما بها من الحسن والجمال.

فقرأت عليها عشر آيات بسبع قراآت، فتكلم عند ذلك الجان[(٤)] بأفصح لسان، وقال: يا شيخ أبا بكر لا تفتخر علينا بقراءتك علىٰ الروايات ؛ فنحن سبعون صنفا من الجان، أسلمنا علىٰ يد علي يوم بئر ذات العلم. جئنا في يومنا هذا نصلي وراء الشيخ الصالح أبي الفضل الجوهري الذي احتقرت به وظننت به ما ظننت، فاستغفر الله من ذلك وأدرك غفلتك بالتوبة إلىٰ ربك.

---

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٩ . (٩٣٤)] كتاب الجنائز، [١٠] باب التشديد في النياحة، عن أبي مالك الأشعري رفعه: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب».
قال النووي: فيه دليل علىٰ تحريم النياحة، وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلىٰ الغرغرة.

(٢) رعرع الله الغلام: أنبته وأنشأه، وترعرع الصبي: نشأ وشب، ويقال: ترعرع النبات.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) فيما روى البخاري ومسلم وتقدم في العفريت الذي همَّ النبي ﷺ بربطه في سارية من سواري المسجد ثم أطلقه لما تذكر قول سليمان. ﷺ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥] فرده الله خاسئا.
قال النووي في شرح مسلم: في دليل علىٰ أن الجن موجودون، وأنهم قد يراهم بعض الآدميين، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] فمحمول علىٰ الغالب ؛ فلو كانت رؤيتهم محالا لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه ومن أنه كان يربطه لينظروا كلهم إليه ويلعب به ولدان أهل المدينة. قال القاضي: وقيل إن رؤيتهم علىٰ خلقهم وصورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية، إلا للأنبياء. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم، كما جاء في الآثار. [النووي في شرح مسلم (٥/ ٢٦) طبعة دار الكتب العلمية].

فبينما نحن عابرون علىٰ هذه الدار نقصد الصلاة وراءه في هذا اليوم الشريف اعترضتنا هذه الصبية. فأفرغت علينا بنجاسة، فسلم أصحابي وتنجست أنا، وحرمتني الصلاة خلف الشيخ الولي، ففعلت بها ما رأيت غضبا عليها.

فقلت له: بحرمة هذا الشيخ الذي جئتم من أجل الصلاة وراءه إلا ما خرجت عنها، قال لي: سمعا وطاعة، فخرج حالا، وعوفيت من ساعتها، فأرخت قناعها علىٰ وجهها استحياء مني.

ففرحت والدتها وقالت: جُوزيت عنا خيرا، وسترك الله كما سترتها، ثم خرجت من ساعتي وعقدت النية لزيارة الشيخ المذكور(١)، فلما رآني مقبلا إليه تبسم ضاحكا وقال لي: أهلا وسهلا بالشيخ أبي بكر الذي والله ما خَبِرَنا حتىٰ أخبره الجان عنا، فوقعت عند كلامه هذا مغشيا عليَّ، وأقمت في السماع مدة، ولزمت صحبة الشيخ في زاوية من رباطه بعد أن تبت إلىٰ الله أن لا أعود أنكر كرامات الصالحين.

فصل

عن الشيخ أبي عبد الله الإسكندري قال: كنت بجبل لكام، أسير فيه، وأختار رؤية الرجال والنساء من القوم، فجمع الله لي مرادي، فأول ما لقيت امرأة، وقد سمعتني أنشد هذه الأبيات:

يا حيرة الحي من شرقي ذي سلم ... هل عودة الليالي (البان)(٢) والعلم
أيام شملي بكم يا سلم مجتمع ... وحبل ودي لديكم غير منصرم(٣)
ناشدتك الله إن جزت العقيق صحبا ... فاقرأ السلام عليهم غير محتشم
وقل تركت صريعا في دياركم ... ميتا كحي بغير السقم ذا سقم

فلما رأيتها قلت في نفسي: لو كان اجتماعي برجل كان أحب إلي من امرأة. قالت: من يصل إلىٰ مقامات النساء(٤)؟ فقلت لها: ما أكثر دعواك. قالت: تحرم

---

(١) الصوفي الحق هو الذي يتفق مع الفقهاء وأصحاب الحديث، ويرجع إليهم إذا استشكل عليه حكم أو وحد وإذا اختلف معهم فاستحبابه في مذهب التصوف الأخذ بالأحسن والأولى والأتم، ولا ينزل إلىٰ الرخص، ويطلب التأويلات والسعات، ومن المتصوفة مع ذلك مبطلون يعتبرون أنفسهم صوفية وليسوا منهم في شيء. [المعجم الصوفي ص١٥٣، ١٥٤].

(٢) كذا بالأصل.

(٣) صرم الشيء صرما: قطعه، وانصرم: انقطع، وانصرم الليل: إذا ذهب، وانصرم الشتاء: انقضى.

(٤) من النساء الكثير من الصالحات والعابدات يأتي علىٰ رأسهن أمهات المؤمنين، وكذلك=

الدعاوى بغير بينة، قلت: فما الذي لك من بينة؟ قالت: هو لي كما أريد؛ لأني له كما يريد. قلت: فأريد الآن سمكا طريا مشويا[1].

قالت: هذا من نزول مقامك وافتجاعك[2] في غذائك وطعامك، وهلا سألته أن يهب لك من الشوق جناحا تطير به إليه كطيراني؟ ثم طارت وتركتني، فوالله ما رأيت أمرَّ من ذُلّي ولا أحلى من عِزّها.

فعدوت خلفها[3] فقلت: يا سيدتي بالذي أعطاك ومنعني، وجاد عليك وخذلني، جودي علي بدعوة. فقالت: أنت لا تريد إلا دعوة الرجال، ثم أنشدت:

ما الجزع وما التقى وما نعمان ... أولاك وما طويلغ (والبان)[4]
وما ينفعني العقيق والسكان ... إن لم أركم وبالحي سكان

فقلت لها: إن لم تكن دعوة فزوديني منك بنظرة:

قفي زوديني نظرة من جَمالك ... وإلا دعيني سائرا مع جِمالك
وقولي لحادي[5] العيس[6] هدئ لسيرنا ... ترفق لعبد واله[7] فتمالك
وجودي علىٰ المشتاق منك بنظرة ... وفاء له إن الوفاء من فعالك

= الصحابيات، وكذلك الكثير من النساء العابدات، منهن معاذة العدوية، ورابعة العدوية، وعمرة امرأة حبيب، وعفيرة العابدة، وشعوانة، وماجدة القرشية، ورابعة بنت إسماعيل، وامرأة رباح القيسي، وعبيدة بنت أبي كلاب، والسيدة نفيسة، وغيرهن الكثير.

(١) قال تعالىٰ حاكيا عن عيسىٰ ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

(٢) للصوفية آداب في الصيام فمنها أن لا يصوم واحد بين الجماعة إلا بإذن أصحابه حتىٰ لا يشغل قلوبهم بإفطاره، وليس للصائم أن يدخر لوقت إفطاره نصيبا؛ لأن ذلك ضعف في حاله، وإن كان معهم شيخ فإنهم يصومون ويفطرون بصومه وإفطاره إلا إذا أمرهم بغير ذلك. [انظر المعجم الصوفي (ص١٥٥)].

(٣) أهل السنة والجماعة يؤمنون بوقوع الكرامات علىٰ أيدي الصالحين، وهم المؤمنون المتقون المتبعون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فلا بد من اكتمال خصال الخير من طاعة وأداء ما افترضه الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك هو طريق الولاية، ولا سبيل غيره، ومن ادعى طريقا غير هذا فهو طريق الشيطان. وقال بعض الصالحين: لو وجدتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي علىٰ الماء فلا تصدقوه حتىٰ تنظروا التزامه بالكتاب والسنة.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) الحادي: الذي يسوق الإبل بالحداء، أي ساقها وحثها علىٰ السير بالحداء، وهو الغناء للإبل، جمعها: أحادي.

(٦) العيس: كرام الإبل.

(٧) وَلِهَ فلان ولهاً: اشتد حزنه حتىٰ ذهب عقله وتحير من شدة الوجد.

فقالت: إن الذي أنا فيه من الخطر أولى من اشتغالك بالنظر، قلت: فالدعاء لا بد منه. قالت:

في عذابك تلقى الداعي هو السيد المنتجب الواعي
والمليح المقبول في السماعي

ثم مرت، وكحلو العيش مرت وقد بلبلت[١] بشرف بالها بلبالي، وقطعت لما قطعت بسيف حبها أوصالي.

فلما كان من الغد إذا أنا برجل يزحف وعليه آثار المآثر، وبه من الحب (تابرة)[٢]، فقلت: إن كان الرجل المشار إليه فهو هذا، فأقبل بإقباله وقبوله علي وقال: نعم هو هو.

قلت: يا سيدي، فلعل إردافي بدعوة تكون لي بها عند الحبيب حظوة، فقال: يا أبا عبد الله، فإنك دعيٌ من ليس لها دعوى. أما عندك من بصر البصيرة ما تعرف به ريحانة الكوفية؟ ولكن يا أبا عبد الله ما أقدر أدعو لك حتىٰ تصل إلىٰ مقام محاينها، وفي غد تراهم وتؤمن بمأمن الوجد أغراهم. ثم غاب عني فلم أره، ثم أدركني من الوجد ما لا أعبر عنه ولا أقدر علىٰ فراغي منه، ثم أنشد لسان حالي[٣]:

أنا شيخ الهوى بزاوية الحيِّ ومن يدعي الغرام من كل يدي
والذي مات بالغرام شهيد ذاك في شرعة الهوى من شهودي
وفقيه مدرس ستر العشق فمن ذا الذي يكون مُغْيدي؟
وإذا ما دعا المحبة قوم دع دعواهم فهم من عبيدي

---

(١) البلبال والبلبالة: شدة الهم والوسواس، جمعها: بلابل، وبلبل القوم أوقعهم في افتراق الآراء واضطرابها.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) للصوفية أقوال عجيبة في مظاهر الحب والفناء؛ فقال أبو العباس المرسي، أحد علماء الصوفية: إن لله عبادا محو أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذواتهم بذواته، وحملهم من أسرارهم ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه، وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات، فهي إذاً فناءات ثلاث: أن يفنيك عن أفعالك بأفعاله، وعن أوصافك بأوصافه، وعن ذاتك بذاته، فإذا أفناك عنك أبقاك به؛ فالفناء دهليز البقاء، ومنه يدخل إليه؛ فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه. ويقول أيضا: صاحب البقاء يقوم عن الله، وصاحب الفناء يقوم الله عنه، والولاية ولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله، والبقاء في كل شيء بالله وولاية الصادقين بإخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله طلبا للجزاء من الله.
[مختصرا من لطائف المنن لابن عطاء الله ص ٤٥، ٤٦، ٤٩].

يا أهيل الهوى إليَّ هلموا أنا سلطانكم وأنتم جنودي
قلت القلب قد ملئت غراما فأجاب الفؤاد هل من مزيدي
سكرة الحب أين منها خلاصي ليس عن سكرة الهوى محيدي
وإذا أنكر العذول غرامي فالهوى سائقي ودمعي شهودي

فلما كان من الغد إذا بقارئ يقرأ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾(١) بصوت رخيم من قلب رحيم يكاد سامعه يذوب سوقا، ومتحديه يقوله جنونًا وعشقًا، ومحاربه لا يحاربه سعيا وسبقا، فالمطرود يناديه بحضرة: كم أسعد وأشقى.

فقلت، وقد استعبدني بحسن صوته رقا: بالذي جاد بنعمة النغمة حقا، أرفق بقلب شقه الغرام شقا، وجعله عن لبه أطيار العشق عتقا، وصيره صريعا على مصاريع أبواب أرباب الوصل والوصول ملقى.

قال: فبرز لي رجل قد خنقه الحب خنقا، فقال: ما تريد بالمجنون(٢) الذي دمعه لا يرقى، وجنونه لا يداوى ولا يُرْقى، وعمره في الطريق ينادي: الحريق، فما يرى نحو الغريق سحابا ولا برقا، ولكن قد أحالوك عليَّ في الدعاء، فشبهه الجنون بيننا وفقا، فعليك بخيار المجانين(٣)، وأنشَقْ من حبهم نشقا، والزم سنة محمد ﷺ تدم وتبقى، واحذر أن تخرج عنها فتسمع منه، وقد عصيت "سحقًا سحقًا"(٤).

---

(١) سورة التوبة (١١٨).

(٢) من عقلاء المجانين، له حكايات وكلام حسن، وكان حيا في دولة الرشيد، ومما يروى عنه أن الرشيد مر به فناداه ووعظه فأمر له بمال فقال: ما كنت لأسود وجه الموعظة. وقيل له: غلا السعر فادع الله. قال ما أبالي ولو حبة بدينار، إن لله علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ومن أشعاره:

يا خاطب الدنيا إلىٰ نفسه تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غَرَّارَة قريبة العرس إلىٰ المأتم

[انظر تاريخ الإسلام، وفيات (١٨١ . ١٩٠)].

(٣) ومن عقلاء المجانين أيضا: سعدون المجنون، كان يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر، وكان إذا هاج صعد السقف ونادى بالليل بصوت رفيع: يا نيام انتبهوا من رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة؛ فإن الموت يأتيكم بغتة. [انظر الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥٨)].

(٤) في ذلك حديث مشهور رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨٣، ٦٥٨٤) كتاب الرقاق، [٥٣] باب في الحوض، عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم علىٰ الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم» وفي الحديث الثاني: عن أبي سعيد وزاد: «فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا =

فقلت: أوصني. قال: احم نفسك من الذنوب فإنها ضعيفة، وارفق بها رفقا فإنها تجعل أبناءها ببحرها غرقى، وساحلهم شرقا وأذنابهم حرقا، ومع هذا متعك الله قبولا ووصولا وصدقا، وجعلك من قوم رضي عنهم، فقال عز من قائل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1]، ولا حرمك لذة النظر ولا جعلك من يقنع بعد العيان بالخبرة. ففهمت ما أشار إليه، وحمداً لله.

فصل

حكي عن أبي العباس الخضر[2] أنه سأله بعض الأبدال: هل رأيت وليا لله أرفع منك درجة؟ قال: نعم؛ دخلت مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فرأيت عبد الرزاق حوله جماعة يسمعون الحديث في المسجد، وفتى جالس واضع رأسه علىٰ ركبتيه، فقلت: يا أيها الشاب، أما ترى الجماعة يسمعون أحاديث الرسول ﷺ من عبد الرزاق[3] فهلا سمعت معهم؟ فلم يرفع رأسه إليَّ ولا اكترث بي، ولكن قال: هناك من يسمع من عبد الرزاق، وهنا من يسمع من الرزاق، لا من عبده.

قال الخضر: فقلت له: إن كان ما تقول حقا فمن أنا؟ فرفع رأسه إليَّ وقال: إن كانت الفراسة حقا فأنت الخضر. فعلمت أن لله أولياء لا أعرفهم لعلو رتبتهم.

فصل

قال عبد الله بن خفيف[4] كنت مدة عديدة أسيح علىٰ وجه الأرض للالتقاء

= بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي» وقال ابن عباس: سحقا: بعدا، يقال: سحيق: بعيد، سحقه وأسحقه: أبعده.

(١) سورة الأنفال (٤٠).

(٢) اختلفوا في لقبه الخضر: فقال الأكثرون: لأنه جلس علىٰ فروة بيضاء فصارت خضراء، والفروة وجه الأرض، وقيل: لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، والصواب الأول؛ فقد صح في البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إنما سمي الخضر لأنه جلس علىٰ فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». وقال الثعلبي: الخضر نبي معمر علىٰ جميع الأقوال محجوب عن الأبصار، يعني عن أبصار أكثر الناس، قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميدي مولاهم، الصنعاني، الإمام اليماني، ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره، فتغير وكان يتشيع. أخرج له: أصحاب الكتب الستة. توفي سنة(٢١١) وله ٨٥سنة. ترجمته: تهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠)، تقريب التهذيب (١/ ٥٠٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١٣٠)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/ ٣٢٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٦٠٩)، سيرأعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣)، الثقات (٨/ ٤١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٥)، لسان الميزان (٧/ ٢٨٧)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٩).

(٤) كان ـ رحمه الله ـ يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: «من عرف طريقا إلىٰ الله =

بالبدلاء، فسئمت من السياحة والسفر، فرجعت إلىٰ بلد إصطخر[١] فارس فدخلت دويرة الصوفية، فرأيت جماعة من المشايخ، وبين أيديهم مأكول، وهم تسعة نفر، منهم الحسن بن أبي سعد، وأبو الأزهر بن حيان، فتوضأت، فلما فرغت وسَّعوا لي، وقعدت معهم وتناولت ما كانوا يأكلون. ثم تفرقنا، فرقدت رقدة فرأيت النبي ﷺ في المنام[٢] يقول لي: سس يا ابن خفيف من كنت تطلبهم وترجوا مجالستهم هم هؤلاء في هذا البلد، وأنت منهم طط.

قال: فطالبتني نفسي أن أخبر القوم بما رأيته، فعلاني منهم وقار وهيبة، فلم ألبث ساعة من النهار حتىٰ قابلني أبو الحسن بن أبي سعد، وقال لي: يا أبا عبد الله أخبرهم بما رأيت في المنام، فأخبرتهم، فتفرقوا في البلدان حتىٰ فشى الخبر.

فصل

قال محمد بن العلاف: حضرت يوما عند محمد بن أحمد في مجلس وعظه، وهو علىٰ الكرسي، فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسين محمد بن أحمد عن الكلام ساعة حتىٰ استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه.

فقال أبو الحسين: رأيت النبي ﷺ [٣] في نومك ؟ قال: نعم. قال: فلذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج أو ينقطع عنك ما كنت فيه[٤].

= فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذابا لم يعذب به أحدا من العالمين» وكان يقول أيضًا: عليك بمن يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله. [انظر طبقات الشعراني (١/ ١٠٣)].

(١) إصطخر: من أرض فارس بخراسان.

(٢) قال النووي: اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «فقد رآني» فيما روي من حديثه: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» فقال ابن الباقلاني: معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث، ولا من تشبيهات الشيطان، ويؤيده قوله: رواية: فقد رأى الحق، أي الرؤيا الصحيحة، قال: وقد يراه الرائي علىٰ خلاف صفته المعروفة، كمن رآه أبيض اللحية، وقد يراه شخصان في زمن واحد أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، ويراه كل منهما في مكانه. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٢٠) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) قال القاضي: قال بعض العلماء: خص الله تعالىٰ النبي ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب علىٰ لسانه في النوم كما خرق الله تعالىٰ العادة للأنبياء. عليهم السلام. بالمعجزة، وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة، ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور، فحماه الله تعالىٰ من الشيطان ونزغه ووسوسته وإلقائه وكيده. [المرجع السابق(١٥/ ٢١)].

(٤) قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى(١١/ ١٧): الصوفيون قد يكونون من أجل الصديقين بحسب =

فصل

عن بعض أصحاب سهل ـ رحمه الله ـ قال: خدمت سهلا ثلاثين سنة فما رأيته يضع جنبه على الفراش لا بالليل ولا بالنهار، وكان يصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء، فهرب من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة، وإنما فر من الناس لأن رجلا حج سنة من السنين، فلما رجع قال لأخ له: رأيت سهل بن عبد الله في الموقف بعرفة، فقال له أخوه: نحن كنا عنده يوم التروية في رباطة بباب تستر، فحلف بالطلاق أنه رآه بالموقف، فقال له أخوه: قم بنا حتى نسأله، فقاما ودخلا عليه، فذكر له ما جرى بينهما من الاختلاف في ذلك، وسألاه عن حكم اليمين، فقال: ما لكما بهذا الحديث حاجة، اشتغلا بالله، وقال للحالف: امسك عليك زوجك، ولا تخبر بهذا أحداً.

فصل

قال سهل بن عبد الله ـ رحمه الله: أول ما رأيت من العجائب والكرامات[١] أني خرجت يوما إلى موضع خالٍ فطاب لي المقام فيه، ووجدت من قلبي قربا إلى الله تعالى. فحضرت الصلاة، فأردت الوضوء، وكانت عادتي من صباي تجديد الوضوء لكل صلاة، فكأنني اغتممت لفقد الماء.

فبينما كذلك وإذا دب يمشي على رجليه كأنه إنسان معه جرة خضراء، وقد

= زمانهم؛ فهم من أكمل صديقي زمانهم، والصدِّيق في العصر الأول أكمل منهم، والصديقون درجات وأنواع، ثم يقول بعد ذلك: ولأجل ما يقع من كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غالت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم، بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل الطاعة، والصوفية الحقة أناس مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم؛ ففيهم السابق والمقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، وأهل السنة يؤمنون بكرامة الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات.

(١) قال ابن قيم الجوزية عن شطحات الصوفية: هذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس؛ أحدهما حجب عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم وصدق معاملاتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بها مطلقا، وهذا عدوان وإسراف، والثانية: حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم على عيوب شطحاتهم ونقصانها، وهؤلاء معتدون مفرطون. [ابن القيم في شرح كتاب الهروي ص٢٠].

أمسك بيديه عليها، فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي، حتىٰ دنا مني وسلم عليَّ[١] ووضع الجرة بين يدي، فجاءني اعتراض العلم، فقلت: هذا الجرة والماء من أين هو ؟ فنطق الدب وقال: يا سهل إنا قوم من الوحش قد انقطعنا إلىٰ الله تعالىٰ بعزم المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا: ألا إن سهلا يريد ماء لتجديد الوضوء، فوضعت هذه الجرة بيدي، وإذا بجنبي ملكان فدنوت منهما، فصبا فيها هذا الماء من الهواء، وأنا أسمع خرير الماء.

قال سهل: فغشي عليَّ، فلما أفقت إذا بالجرة موضوعة ولا علم لي بالدب أين ذهب، فأنا متحير إذ لم أكلمه، فلما فرغت أردت أن أشرب منها، فنوديت من الوادي: يا سهل لم يأن لك شرب هذا الماء بعد، فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر إليها، فلا أدري أين ذهبت.

فصل

عن سهل أيضا ـ رحمه الله ـ قال: توضأت في يوم جمعة ومضيت إلىٰ الجامع في أيام البداية، فوجدته قد امتلأ بالناس، وهمَّ الخطيب أن يرقا علىٰ المنبر فأسأت الأدب، ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتىٰ وصلت إلىٰ الصف الأول، فجلست، وإذا عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار صوف[٢] فلما نظر إلي قال: كيف تجدك يا سهل ؟ قلت: بخير أصلحك الله. وبقيت متفكرا في معرفته لي وأنا لم أعرفه[٣]، فبينما أنا كذلك إذ جد بي حرقان بول، فأكربني، فبقيت علىٰ وجل

---

(١) قد رأينا في ترجمة جماعة من أهل الله وأوليائه أنهم سمعوا خطابا من فوقهم ورأوا صورة تكلمهم وتقول: يا عبدي قد وصلت إليَّ وقد أسقطت عنك التكاليف الشرعية بأسرها، فعند أن يسمع منهم السامع ذلك يقول: ما أظنك أيها المتكلم إلا شيطانا فأعوذ بالله منك، فعند ذلك تتلاشى تلك الصورة ولا يبقى لها أثر، فقد بلغ كيد الشيطان إلىٰ هذا الكيد العظيم. [قطر الولي علىٰ حديث الولي للشوكاني (٣٥٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) الكرامة تثبيت لمن أظهرت له، ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أرباب النهايات في نهاياتهم، إذ ما عليه أهل النهاية من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلىٰ مثبت، وهكذا كان السلف الصالح لم يحوجهم الحق سبحانه إلىٰ وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإشارية ولا يحتاج جبل إلىٰ مرساة، فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في المنة، ومُعَرِّفَة بفضل الله فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه.

(٣) المحبة عند الصوفية هي من أجَلِّ مقامات اليقين حتىٰ اختلف أهل الله أيهما أتم، مقام المحبة أو مقام الرضا ؟ وإن كان الذي نقول به: أن مقام الرضا أتم ؛ لأن المحبة ربما حكم سلطانها علىٰ المحب، وقوي عليه وجود الشغف فأداه ذلك إلىٰ طلب شهود ما لا يليق بمقامه؛ ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب، والراضي عن الله راض عنه أشهد أم حجبه، والمحب يحب

خوفا أن أتخطى رقاب الناس، وإن جلست إلىٰ الصلاة، فالتفت إليَّ وقال: يا سهل أخذك حرقان البول ؟ قلت: أجل. فنزع إحرامه عن منكبه فغشاني به، ثم قال: اقض حاجتك وأسرع تلحق الصلاة.

قال: فغُمِّي عليَّ ففتحت عيني فإذا بباب مفتوح، فسمعت قائلا يقول: ألج الباب يرحمك الله، فولجت الباب، وإذا بقصر مشيد عالي البنيان، شامخ الأركان، وإذا بنخلة قائمة إلىٰ جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد، ومنزل إراقة الماء، ومنشفة وسواك[1] فحللت لباسي وأرقت الماء، ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة، فسمعته ينادي ويقول: إن كنت قضيت أربك فقل لي، فقلت: نعم فنزع الإحرام عني فإذا أنا جالس في مكاني ولم يشعر بي أحد، فبقيت متفكرا في نفسي، وأنا مُكذِّب نفسي فيما جرى.

فقامت الصلاة وصلى الناس، فصليت معهم، ولم يكن لي شغل إلا الفتى، لا أعرفه. فلما فرغ تبعت أثره، فإذا به قد دخل إلىٰ درب فالتفت إليَّ وقال: يا سهل كأنك ما وثقت بما رأيت، قلت كلا، قال: ألج الباب يرحمك الله، فنظرت الباب بعينه، فولجت القصر، فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه، والمنشفة مبلولة، فقلت: آمنت بالله[2].

فقال: يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شيء، اطلبه تجده، فتغرغرت عيناي

= دوام الوصلة ؟ والراضي عن الله راض عنه وصله أم قطعه. [لطائف المنن لابن عطاء الله ص٥٩].

(١) قال أهل اللغة: السواك بكسر السين، وهو يطلق علىٰ الفعل، وعلى العود الذي يتسوك به، وهو مذكر، وتؤنثه العرب أيضا، ثم إن السواك سنة ليس بواجب في حال من الأحوال، لا في الصلاة ولا في غيرها بإجماع، وقد حكى الشيخ أبو حامد الإسفراييني، إمام أصحابنا العراقيين عن داود الظاهري أنه أوجبه للصلاة، وحكاه الماوردي عن داود وقال: هو عندي واجب، لو تركه لم تبطل صلاته، وحكى عن إسحاق أنه قال: هو واجب، فإن تركه عمدا بطلت صلاته، وقد أنكر أصحابنا المتأخرون علىٰ الشيخ أبي حامد وغيره نقل الوجوب عن داود، وقالوا: مذهبه أنه سنة كالجماعة، ولو صح إيجابه عن داود لم تضر مخالفته في انعقاد الإجماع علىٰ المختار الذي عليه المحققون والأكثرون، وأما إسحاق فلم يصح هذا المحكي عنه والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٣/ ١٢١، ١٢٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) الولاية ولايتان: ولاية الصادقين، وولاية الصديقين ؛ فولاية الصادقين بإخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله طالبا للجزاء من الله. وولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله، والبقاء في كل شيء بالله، وقد قال أبو الحسن الشاذلي: في بعض كتب الله المنزلة علىٰ أنبيائه قال الله: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء. [انظر لطائف المنن لابن عطاء الله ص٤٩].

بالدموع، فمسحتها وفتحتها فلم أر الفتى ولا القصر، فبقيت متحسرا علىٰ ما فاتني، ثم أخذت في العبادة.

فصل

عن محمد بن عبد الرحمن عن رجل حدثه أنهم كانوا بالبصرة في سنة قحط الناس فيها وغلا سعرهم، واحتبس عنهم المطر، فخرجوا يستسقون(١) وخرجت اليهود والنصارى، فاعتزل اليهود ومعهم التوراة، واعتزل النصارى ومعهم الإنجيل، واعتزل المسلمون فكلهم يدعون، فانصرفوا يومهم ذلك ولم يُسْقَوا. قال: فبينما أنا أمشي بعد ذلك في طريق المربد نظرت فإذا بين يدي فتى عليه أطمار رثة، وهو يمشي وأنا خلفه حتىٰ خرج إلىٰ الجبان فدخل بعض تلك المساجد التي بالقرب من المقابر ودخلت خلفه، يحول بيني وبينه أركان المسجد، فصلى ركعتين، ثم رفع يديه وقال في دعائه: يا رب استغاث بك عبادك فلم تسقهم، يا رب الآن تشمت بنا اليهود والنصارى، أقسمت عليك يا رب إلا سقيتنا الساعة ولم تردني(٢).

قال فما برح يدعو حتىٰ جاءت سحابة ومطرنا، فخرج وخرجت في أثره لأعرف موضعه، فجاء إلىٰ دار فيها أخصاص وأكواخ، وفيها سكان، فدخل بيتا منها، فعرفت موضعه، فانصرفت عنه وهيأت دراهم في صرة، ثم جئت فاستأذنت عليه، فدخلت، فإذا ليس بالبيت إلا قطعة حصير ومطهرة فيها ماء، وإذا هو قاعد يعمل الخوص(٣)، فسلمت عليه ورب بي وبش، فتحدثت ساعة ثم أخرجت الصرة فقلت: يرحمك الله انتفع بهذه، فتبسم وقال: جزاك الله خيرا، أنا في غنى عنها، فألححت عليه، فجعل

---

(١) أجمع العلماء علىٰ أن الاستسقاء سنة، واختلفوا: هل تسن له صلاة أم لا، فقال أبو حنيفة: لا تسن له صلاة بل يستسقي بالدعاء بلا صلاة، وقال سائر العلماء من السلف والخلف والصحابة والتابعون فمن بعدهم: تسن الصلاة، ولم يخالف فيه إلا أبو حنيفة، وتعلق بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة، واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما: أن رسول الله ﷺ صلى للاستسقاء ركعتين.

(٢) روي في الصحيحين من حديث أنس رفعه: «إن من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله لأبره» وحديث ذلك مع الصحابي الجليل البراء بن مالك أحد الأبطال الذين يضرب بهم المثل في الفروسية والشدة، وكان من فضلاء الأنصار، وأحد السادة الأبرار، قتل من المشركين مائة مبارزة، وشهد أُحُداً، وما بعدها.

وقد ذكر ابن تيمية أن في موقعة القادسية قال البراء: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد فمنحوا أكتافهم وقتل شهيدا. [انظر الفرقان لابن تيمية ص٦٩].

(٣) روى البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٢٧) رفعه: «ما أكل ابن آدم طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده».

يدعو ويأبى أن يأخذها، فلما أكثرت عليه تنكر لي وقال: حسبك الآن؛ ليس لي فيها حاجة، فأقبلت عليه وقلت: رحمك الله؛ إن لي حقا، قال: وما هو رحمك الله؟ قلت: كنت أسمع دعاءك حيث خرجت إلىٰ الجبان. قال: فاصفر وجهه حتىٰ أنكرته، وساءه ما قلت له، ثم خرجت من عنده، فلما كان بعد ذلك بأيام أتيته، فلما دخلت الدار جعل سكان الدار يصيحون بقيِّم الدار: هو ذا قد جاء، فجاء إليَّ وتعلق بي وقال: يا عدو نفسه، ما صنعت بذلك الفتى الذي جئته اليوم الأول، أي شيء أسمعته؟ قلت: لا تعجل عليَّ أخبرك بالحديث.

فقال إنك لما خرجت من عنده قام في الحال فأخذ حصيره ومطهرته وودعنا، فخرج ولم يعد البيت إلىٰ الساعة، ولا ندري أين توجه.

فصل

حكي أنه أمسك الغيث عن بغداد حتىٰ كاد أهلها يهلكون، واغتسلوا وتطهروا وخرجوا إلىٰ الصحراء يسألون الله ﷻ أن يسقيهم غيثه يوما بعد يوم، فلم يُسْقَوا.

وكان ذلك في خلافة هارون الرشيد[1]، فبينما هم كذلك يلوذون ويتوسلون إذا برجل قد أقبل من صدر البرية أشعث أغبر ذي طمرين، ومعه ثلاث بنات عذارىٰ كأحسن البنات، فوقفوا في أطراف الناس، فسلم عليهم، فردوا عليه السلام، فقال: يا قوم ما لكم وقوفا مجتمعين؟ فقالوا: يا شيخ دعونا الله ﷻ أن يسقينا[2]. فقال: يا قوم أهو غائب عنكم في المدينة حتىٰ خرجتم إلىٰ الصحراء؟ أو ليس هو سبحانه وتعالى في كل مكان موجود؟ أما قال تعالىٰ في محكم تنزيله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3].

---

(١) استخلف سنة (١٧٠) بعد موت أخيه الهادي، واسمه أبو جعفر بن محمد المهدي بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن عباس العباسي البغدادي، كان كثير الغزو والحج، أغزاه والده أرض الروم وهوابن خمس عشرة سنة، وكان يحب العلم وأهله، ويعظم حرمات الإسلام، وكان يبكي علىٰ نفسه وعلى إسرافه وذنوبه، سيما إذا وُعِظ، وكان يحب المديح ويجيز عليه الأموال الجزيلة الجليلة، مات سنة (١٩٣) وله (٤٥) سنة.

(٢) والاستسقاء ثلاثة أنواع: أحدها: الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة، والثاني: الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في أثر صلاة مفروضة، وهو أفضل من النوع الذي قبله، والثالث: وهو أحكمها: أن يكون بصلاة ركعتين وخطبتين، ويتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة وإقبال علىٰ الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى. [النووي في شرح مسلم (٦/ ١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) سورة الحديد (٤).

فبلغ هارون الرشيد خبره، فقال: هذا كلام رجل بينه وبين الله سريرة، ثم قال: ائتوني به، فلما أحضر بين يديه وتسالما، صافحه هارون وأجلسه بين يديه، ثم قال له: يا شيخ، ادع الله أن يسقينا[1] عسى أن يكون لك عند الله جاه، فتبسم الشيخ وقال: أتريدون أن أدعو لكم إلهي وسيدي ومولاي؟ فقالوا: نعم.

قال توبوا إلىٰ الله ﷻ[2]. فنودي بالناس بالتوبة، فتابوا وأنابوا، ثم تقدم الشيخ فصلى ركعتين خفيفتين، فلما سلم أخذ بناته عن يمينه وعن يساره، وبسط يديه وأسبل دمعته، ودعا فما استتم دعاءه إلا والسماء قد تجللت بالسحاب، وأرعدت وأبرقت وأسبلت مطرا كأفواه القرب.

فاستبشر الرشيد بذلك، واجتمع إليه خواصّه وأهل مملكته يهنونه ويبشرونه، فقال: عليَّ بالشيخ الصالح، فطلبوه فوجدوه في مكانه ساجدا في الماء والطين، لله رب العالمين. فقالوا لبناته: ما لأبيكن هكذا لا يرفع رأسه ؟ فقلن: هذه عادته إذا سجد لا يفيق ولا يرفع رأسه إلىٰ ثلاثة أيام.

فأخبروا بذلك الرشيد فبكى بكاء شديدا[3]، وقال: اللهم إني توسلت إليك بحرمة الصالحين أن تهبنا لهم، وتفيض علينا من جزيل بركاتهم بفضلك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

---

(١) في الاستسقاء يستحب تحويل الرداء في أثنائها، قال أصحابنا: يحول في نحو ثلث الخطبة الثانية، وذلك حين يستقبل القبلة، قالوا: والتحويل شرع تفاؤلا بتغير الحال من القحط إلىٰ نزول الغيث والخصب، ومن ضيق الحال إلىٰ سعته، وفيه دليل للشافعي ومالك وأحمد وجماهير العلماء في استحباب تحويل الرداء، ولم يستحبه أبو حنيفة، ويستحب عندنا أيضا للمأمومين كما يستحب للإمام، وبه قال مالك وغيره، وخالف فيه جماعة من العلماء. [المرجع السابق(٦/ ١٦٦)].

(٢) قال تعالىٰ حاكيا عن نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠. ١٢] قال ابن كثير: روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد علىٰ الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار، ومنها هذه الآية. [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٤)].

(٣) كان الرشيد يبكي علىٰ نفسه وإسرافه وذنوبه، سيما إذا وُعِظ، دخل عليه مرة ابن السماك الواعظ فبالغ في احترامه، فقال له ابن السماك: تواضعك في شرفك أشرف من شرفك، ثم وعظه فأبكاه، وقد وعظه الفضيل بن عياض حتىٰ جعل يشهق بالبكاء، وكان هو أتى بنفسه إلىٰ بيت الفضيل، ومن محاسنه أنه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء، وأمر الأعيان أن يعزوه في ابن المبارك. [تاريخ الإسلام، وفيات (١٩١ . ٢٠٠)].

فصل

قال الأستاذ (أبو علي)[1] الدقاق[2]. رحمة الله عليه: ظهرت علة بيعقوب بن الليث أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله. رحمه الله. لو دعا لك لعل الله يستجيب له، فاستحضره وقال: ادع لي، فقال سهل: كيف يستجاب دعائي فيك وفي حبسك مظلومون؟ فأطلق كل من في حبسه. فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة. ففرج عنه فعوفي، فعرض مالا علىٰ سهل، فأبى أن يقبله. فقيل له: لو قبلته ودفعته إلىٰ الفقراء، فنظر إلىٰ الحصى فإذا هو جواهر، فقال: من يُعْطَى مثل هذا يحتاج إلىٰ مال يعقوب بن الليث؟ رحمه الله ونفعنا به.

فصل

عن عبد الله بن المبارك. رحمة الله عليه. قال: كنت بمكة وقد لحق الناس قحط، واستمر إمساك المطر عنهم، فخرج الناس يستسقون في المسجد الحرام[3] ولم يبق أحد من الصغار والكبار، وكنت في الناس مما يلي باب شيبة، وإذا قد أقبل عبد أسود عليه قطعتا خيش، قد اتزر بأحديهما وألقى الأخرى علىٰ عاتقه، فانتهى إلىٰ موضع خُفِّي بحذائي، فسمعته يقول: إلهي وسيدي، قد أخلقت الوجوه كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال[4]، وقد منعتنا غيث السماء الذنوب الخليقة بذلك، فأسألك يا

---

(١) كذا بالأصل، وما وجدناه " أبو بكر ".

(٢) أبو بكر نصر بن أحمد بن نصر الدقاق، كان من أقران الجنيد ومن كبار مشايخ مصر، قال الكاساني: لما مات الدقاق انقطعت حجة الفقراء في دخولهم مصر، وكان يقول: آفة المريد ثلاثة أشياء: التزويج، وكتابة الحديث، ومعاشرة الضد، وكان يقول: لا يصلح هذا الأمر إلا لأقوام قد كنسوا بأرواحهم المزبل علىٰ رضا منهم واختيار، وكان يقول: عطشت مرة فاستقبلني جندي فسقاني شربة فعادت قساوتها في قلبي ثلاثين سنة. [انظر الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٧٦)].

(٣) في صلاة الاستسقاء ركعتان وهو كذلك بإجماع المثبتين لها، واختلفوا: هل هي قبل الخطبة أو بعدها، فذهب الشافعي والجماهير إلىٰ أنها قبل الخطبة، وقال الليث: بعد الخطبة، وكان مالك يقول به ثم رجع إلىٰ قول الجماهير. قال أصحابنا: ولو قدم الخطبة علىٰ الصلاة صحتا ولكن الأفضل تقديم الصلاة كصلاة العيد وخطبتها.

(٤) الإيمان مرتبط بالولاية، قال ابن عطاء الله: ربط الولاية بالإيمان ليعرفك عزازة قدر الإيمان وعلو منصبه حتىٰ كان سببا لثبوت ولاية الله للعبد، ولا يفهم من هذه الآية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧] اختصاص الولاية بمن وقع منه الإيمان قبل نزول هذا الخطاب لإتيانه بصيغة الماضي، بل المراد أن من قام به الإيمان وجبت ولاية الله له، أي وقت كان ذلك الإيمان. [لطائف المنن لابن عطاء الله (٤٧)].

حليما ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة[(١)] فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتىٰ استترت السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان.

وجلس مكانه، وأخذت أبكي، فلما قام اتبعته حتىٰ عرفت موضعه، فجئت إلىٰ الفضيل بن عياض. رحمه الله. فقال ما لي أراك كئيبا ؟ فقلت: سعى إليه غيرنا فتولاه دوننا. قال: وما ذاك ؟ فقصصت عليه القصة، فصاح وسقط وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه. قلت قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه، فلما كان من الغد صليت الغداة، وخرجت أريد الموضع[(٢)] فإذا شيخ علىٰ الباب قد بسط له، وهو جالس، فلما رآني عرفني وقال: مرحبا بك يا أبا عبد الرحمن، ما حاجتك ؟

فقلت له: احتجت إلىٰ غلام أسود. فقال: نعم عندي عدة فاختر أيهم شئت، وصاح: يا غلام، فخرج غلام جلد، فقال: نعم هذا محمود العافية أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زال يخرج لي واحدا بعد واحد حتىٰ أخرج لي الغلام المذكور، فلما بصرت به برزت عيناي، فقال هذا هو ؟ قلت: نعم. قال: ليس إلىٰ بيعه سبيل. قلت: ولِمَ ؟

قال: قد تبركت لموضعه في هذه الدار، وذلك أنه لا يرزأني[(٣)] شيئا، قلت: ومن أين طعامه ؟ قال: إن يكسب بثمن فتل[(٤)] الشريط كل يوم نصف دانق[(٥)] أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم، وأخبرني عنه الغلمان أنه لا ينام هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم، وهو مهتم بنفسه، وقد أحبه قلبي.

فقلت: انصرف إلىٰ سفيان الثوري والفضيل بن عياض بغير قضاء حاجتهما ؟

---

(١) روى البخاري في صحيحه (١٠١٣) في الاستسقاء عن أنس أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وِجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم اسقنا اللهم اسقنا ....» إلىٰ آخره.

وروى أبو داود في سننه (١١٦٩) عن جابر رفعه: «اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل» قال: فأطبقت عليهم السماء.

(٢) هناك من العباد من عنده من الشغف والحب ما ليس تكفيهم الواجبات، بل قلوبهم متلهفة إلىٰ الله من عوائف هذه الدار الفانية، ويحبون أن يكونوا دائما في ذكر الله وطاعة الله، ولو لم يحجر عليهم التنفل بالصلاة في أوقات النهي لوصلوا الليل بالنهار ولحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون. [انظر هامش قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٢٥٩)].

(٣) رزأه رزءاً أصابه بمصيبة، ورُزي ولده: فقده، والرزيئة: المصيبة، جمعها رزايا.

(٤) فتل الحبل وغيره فتلا: لواه وبرمه، فهو مفتول، ويقال فتل الشيء فتله.

(٥) الدانق سدس الدرهم، جمعها دوانق ـ دوانيق.

فقال: عن ممشاك عندي لكبير، خذه بما شئت.

فاشتريته، وأخذت به نحو دار الفضيل، فمشيت ساعة، ثم قال لي: يا مولاي، قلت لبيك، فقال: لا تقل لبيك، فإن العبد أولى أن يلبي مولاه، فقلت: ما حاجتك يا حبيبي؟ قال أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة، وقد كان لك في غيري سعة، وقد أخرج إليك ما هو أجلد[١] مني، قلت: لا يراني الله أستخدمك، ولكن أشتري لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي، فبكى، فقلت له: ما يبكيك؟

قال: أنت لم تفعل بي هذا إلا وقد رأيت بعض صلاتي لله تعالى، وإلا فلم اخترتني من بين أولئك؟ فقلت له: ليس بك حاجة إلىٰ هذا. فقال: سألتك إلا ما أخبرتني. فقلت له: بإجابة دعوتك، فقال لي: أحسبك إن شاء الله رجلا صالحا، إن لله ﷻ خبرة في خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده، ولا يُظْهِر عليهم إلا من ارتضى من خلقه[٢]، ثم قال: ترى أن تقف عليَّ قليلا، فإنه قد بقيت عليَّ ركعات من البارحة، قلت: هذا منزل الفضيل قريب، قال: لا ههنا أَحَبُّ إليَّ، أمر الله ﷻ لا يؤخر.

فدخل المسجد فلا زال يصلي حتىٰ أتى علىٰ ما أراد، ثم التفت إليَّ وقال: يا أبا عبد الرحمن هل من حاجة؟ قلت: لِمَ؟ قال: إني أريد الانصراف. قلت: إلىٰ أين؟ قال إلىٰ الآخرة، فقلت: لا تفعل، دعني أسرُّ بك.

فقال: إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بيني وبينه، فأما إذا اطلعت عليها فسيطلع عليها غيرك، ولا حاجة لي في ذلك، ثم خر لوجه فجعل يقول: إلهي اقبضني الساعة الساعة، فدنوت منه فإذا هو قد مات[٣]. فوالله ما ذكرته إلا طال حزني

---

(١) الجَلَدُ: القوة والصبر علىٰ المكروه، جمعها: أجلاد وجِلاد. قال ابن سعد: ولد الفضيل بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع من منصور وغيره، ثم تعبد ونزل مكة، وكان ثقة نبيلا فاضلا عابدا كثير الحديث، وكان إماما ثقة زاهدا عابدا نبيها صمدانيا، كبير الشأن، توفي سنة (١٨٧) تاريخ الإسلام وفيات (١٨١ . ١٩٠).

(٢) قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، وهذا كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٣) قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: ٣٤] أي ميقاتهم المقدر لهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ثم أنذر تعالىٰ بني آدم أنه سيبعث إليهم رسلا يقصون عليهم آياته، وبشر وحذر: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]. [تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦)].

وصغرت الدنيا في عيني.

و في أمثاله قيل:

عبيد لمولاهم تعالىٰ وغيرهم عبيد الهوى بين الفريقين كالثرى
وعلو الثريا في ارتفاع مقامهم بهم يدفع الله البلايا عن الورى

فصل

عن إبراهيم الخواص[1] . رحمة الله عليه . قال: رأيت بالبصرة مملوكاً في السوق ينادي عليه: من يشتري هذا الغلام ؟ فقلت للبائع: بكم هذا الغلام؟ فقال: بما أردت فإنه مجنون، فأعطيته ثمنه وقلت في نفسي قد أعتقته لوجهك.

فالتفت إليَّ وقال: يا إبراهيم إن كنت أعتقتني في الدنيا فقد أعتقك الله في الآخرة من النار، ثم غاب عني فلم أره.

فصل

عن عبد الواحد بن زيد[2] ـ رحمه الله ـ قال: اشتريت غلاما علىٰ شرط الخدمة، فلما جن الليل طلبته في داري فلم أجده، والأبواب علىٰ حالها مغلقة فلما أصبحت جاء وأعطاني درهما منقوشا عليه سورة الإخلاص[3] فقلت له: من أين لك؟ قال: يا

---

(١) إبراهيم بن إسماعيل الخواص: كان من أقران الجنيد والثوري، وله في الرياضات والسياحات مقام طويل، مات بجامع الري سنة (٢٩١) مات بعلة البطن، وكان كلما قام توضأ وصلى ركعتين فدخل الماء يوما فمات وسط الماء، وكان يقول: إنما العلم لمن اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم، وكان يقول: التاجر برأس مال غيره مفلس، وكان يقول: علىٰ قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه ويقيم له العز في قلوب المؤمنين.

(٢) قال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتىٰ غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه. وكان شيخ الصوفية، قال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: أصاب عبد الواحد الفالج فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضأ انطلق وإذا رجع إلىٰ سريره فلج.
قال ابن الأعرابي: قال عبد الواحد: بالمحبة علىٰ مذهب أهل الخصوص، ولو صدق نفسه لاضطرب قوله بالمحبة إلىٰ القول بالسنة والكتاب، ولكنه سامح نفسه وتكلم في الشوق والغرق والأنس، وجميع فرع المحبة التي قال بها أهل الإثبات.

(٣) روى الترمذي في سننه (٢٨٩٩) في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن» وقد رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ عن أبي هريرة بأطول من ذلك.

سيدي لك علي كل يوم مثل هذا علىٰ أنك لا تطلبني في الليل، فكان يغيب كل ليلة ويأتي في الصبح بمثل ذلك، فلما كان بعض الأيام جاء بعض الجيران وقال: يا عبد الواحد بع غلامك فإنه نباش القبور.

فغمني ذلك، فقلت لهم: ارجعوا فأنا أحفظه في هذه الليلة، فلما كان بعد صلاة العشاء قام ليخرج، فأشار إلى الباب المغلق فانفتح، ثم أشار إليه فانغلق، وقصد الثاني ففعل مثل ذلك، ثم قصد إلىٰ الباب الثالث ففعل مثل ذلك، وأنا أنظر، فخرج.

فتبعته ومشيت وراءه حتىٰ بلغ أرضا ملساء، فنزع ثيابه ولبس مسحا[1] شعرا وصلى الفجر، ورفع رأسه إلىٰ السماء وقال: هات أجرة سيدي الصغير، فوقع من السماء درهم، فأخذه وتركه في جيبه، فتحيرت في أمره ودهشت لحاله، وقمت فتوضأت وصليت ركعتين، واستغفرت الله تعالىٰ مما خطر ببالي، ونويت أن أعتقه، ثم إني طلبته فلم أجده.

فانصرفت حزينا، وما كنت أعرف تلك الأرض، فإذا بفارس علىٰ فرس أشهب[2] فقال لي يا عبد الواحد ما قعودك ههنا ؟ فقلت من شأن كذا وكذا. فقال: أتدري كم بينك وبين بلدك ؟ قلت: لا. قال مسيرة سنتين للراكب المسرع، فلا تبرح من هذا فإنه يأتيك في هذه الليلة. قال: فلما جن الليل إذا به قد أقبل ومعه طرفوية[3] عليها من كل الطعام.

فقال لي: كل يا سيدي ولا تعد إلىٰ مثلها. فأكلت، وقام يصلي إلىٰ الفجر، ثم أخذ بيدي، وتكلم بكلام لم أفهمه، وخطا معي خطوات فإذا أنا واقف علىٰ باب داري، وقال يا سيدي أليس قد نويت أن تعتقني ؟ قلت: هو ذاك. قال: فأعتقني وخذ ثمني مني، وأنت مأجور، ثم أخذ حجرا من الأرض فأعطانيه، فإذا به ذهب، ومضى الغلام وبقيت متحيرا علىٰ فراقي له.

ثم اجتمعت بجيراني، فقالوا لي: ما فعلت بالنباش؟ قلت: ذاك نباش النور لا نباش القبور، ثم حدثتهم بما شاهدته من الكرامات[4]، فبكوا وتابوا مما خطر لهم

---

(١) المِسْح: الكساء من شعر، وثوب الراهب. جمعها: أمسح، ومسوح.
(٢) شهب، شهبا: خالط بياض شعره سواد، فهو أشهب، وهي شهباء.
(٣) الأطروفة: المُلحة والتحفة، والمستحدث المعجب، جمعها: أطاريف.
(٤) قال الشوكاني: إذا عرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتديا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من =

رحمهم الله ونفعنا بهم.

فصل

عن بعض أهل العلم قال: كان عندنا ببغداد رجل من التجار يقع في الصوفية كثيرا، ثم إنه بعد ذلك صحبهم وأنفق جميع ماله عليهم، فقلت له في ذلك فقال: ليس الأمر علىٰ ما كنت أتوهم.

فقلت له: كيف؟ قال: صليت الجمعة يوما من الأيام وخرجت فرأيت بشراً الحافي[1] خارجا من المسجد مسرعا، فقلت في نفسي: انظر هذا الرجل الموصوف بالزهد ليس يستقر في المسجد، فتركت حاجتي وقلت: أنظر أين يذهب، فتبعته.

فرأيته تقدم إلىٰ الجنازة واشترى بدرهم خبز الماء .... إلىٰ آخر الحكاية، وقد سقتها في ترجمته في الطبقات.

فصل

عن بعض الروم أنه قال: كان سبب إسلامي أنه غزانا المسلمون، فكنت أساير جيشهم، فوجدت غرة[2] في الساقة[3] فأسرت نحو عشرة أنفس وحملتهم علىٰ البغال بعد أن قيدتهم، وجعلت مع كل واحد منهم رجلا موكلا به، فرأيت في بعض الأيام رجلا من الأسارى يصلي، فقلت للموكل به في ذلك، فقال لي: إنه في كل وقت صلاة يدفع إليَّ دينارا، فقلت: وهل معه شيء؟ قال: لا، ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيد الأرض ودفع إليَّ ذلك.

قال: فلما كان من الغد لبست ثيابا خلقانا[4] وركبت فرسا وسرت مع الموكل به

= أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر علىٰ يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريف شيطانية وتلبيسات إبليسية. [قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٤١) من تحقيقنا. طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أصله من مرو، وسكن بغداد، ومات بها سنة (٢٢٧) وكان صحب الفضيل بن عياض، وكان عالما ورعا كبير الشأن، أوحد وقته علما وحالا، ومن كلامه: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس، يعني يحب اطلاع الناس علىٰ صفات كماله، وكان يقول: دخلت داري يوما فإذا رجل جالس في الدار، فقلت له: كيف دخلت داري بغير إذني، فقال أنا أخوك الخضر، فقلت ادع الله تعالىٰ لي، فقال. ﷺ: هوالله عليك طاعته، فقلت: زدني، فقال: وسترها عليك. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٦٢)].

(٢) غر الرجل: جهل الأمور وغفل عنها، فهو مغرور، والغِرُّ: من ينخدع، وهي غِرَّة.

(٣) الساقة من الجيش: مؤخرته.

(٤) خَلِق الثوب والجلد وغيرهما خَلَقاً: بلي، والشيء: لان وأصبح أملس فهو أخلق، وهي خلقاء.

لأعرف صحة ذلك، فلما دنا وقت صلاة الظهر أومأ إليَّ أنه يدفع لي دينارا متى تركته يصلي، فأشرت إليه بأصبعي إني لا آخذ إلا دينارين، فأومأ برأسه: نعم. فلما فرغ من صلاته رأيته ضرب الأرض بيده فدفع إليَّ دينارين[١].

فلما كان وقت العصر أشار كالمرة الأولى، فأشرت إليه: لا آخذ إلا خمسة دنانير، فلما كان وقت المغرب أشار كذلك فقلت: لا آخذ إلا عشرة، فلما نزلنا وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره وخيرته في رجوعه إلىٰ بلاد الإسلام، فاختار الرجوع، فأركبته بغلا، ودفعت إليه زادا، وحملته بنفسي علىٰ البغل. فقال لي: أماتك الله علىٰ أحب الأديان إليه[٢] فوقع لي من ذلك الوقت الإسلام، وأرسلت معه جماعة من وجوه أصحابي وأوصيتهم بإيصاله إلىٰ أول بلد المسلمين، ودفعت إليه دواة وبياضا، وجعلت بيني وبينه علامة يكتب بها إليَّ إذا وصل مأمنه، وكان بيننا وبين ذلك الموضع مسيرة أربعة أيام، فلما كان اليوم الخامس رجعوا إليَّ أصحابي، فخشيت أن يكونوا قتلوه، فسألتهم عنه فقالوا: لما فارقناك وصلنا معه في ساعة، وأقمنا في رجوعنا أربعة أيام.

فصل

روي أن امرأة جاءت إلىٰ بعض المشايخ وقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر علىٰ مال أكثر من دوبرة، ولا أقدر علىٰ بيعها، فلو أشرت إلىٰ من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار[٣].

فقال: نعم، انصرفي حتىٰ أنظر في أمره إن شاء الله. وأطرق الشيخ وحرك شفتيه، ثم جاءت المرأة بعد مدة ومعها ابنها وأخذت تدعو للشيخ وتقول: قد رجع

---

(١) الكرامة تثبيت لمن أظهرت، ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم، وفقدها أرباب النهايات في نهاياتهم، إذ ما عليه أهل النهاية في الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلىٰ مثبت، وهكذا كان السلف الصالح لم يحوجهم الحق سبحانه إلىٰ وجود الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإشارية ولا يحتاج جبل إلىٰ مرساة، فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في المنة، ومُعَرِّفَة بفضل الله فيمن ظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩].

(٣) روى البخاري في صحيحه(٦٣٤٥) في الدعوات عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، رب العرش الكريم». وفي البخاري أيضا (٤٥٦٣) عن ابن عباس قال: سسحسبنا الله ونعم الوكيلطط قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

ولدي سالما، وله حديث يحدثك به[1].

فقال الشاب: كنت بين يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسرى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم، يخرجنا إلىٰ الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينما نحن راجعون من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا، انفتح القيد من رجلي ووقع علىٰ الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافقا الوقت الذي جاءت فيه المرأة إلىٰ الشيخ ودعا فيه لها.

قال فنهض الذي كان يحفظنا وصاح عليَّ وقال: كسرت القيد؟ فقلت لا بل سقط من رجلي، فتحير وأخبر صاحبه وأحضر الحداد، وقيدوني، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي ثانيا، فتحيروا في أمري، فدعوا رهبانهم، فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت نعم، فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، وقالوا: أطلقوه فلا يمكننا نقيدك، فزودوني وأصحبوني إلىٰ ناحية المسلمين.

فصل

حكي عن بعض التجار أنه قال: سافرت مرة ومعي دابة عليها قماش، فلما دخلت مصر واختلطت بالناس نظرت الدابة فلم أجدها[2]، ففتشت عليها وسألت عنها، فلم أعلم لها خبرا، فقال لي بعض أصحابي: ائت الشيخ أبا العباس الدمنهوري لعله يدعو لك، وكنت أعرفه قبل ذلك.

فجئت إليه وسلمت عليه، وحكيت له قصتي، فما أصغى إلىٰ كلامي ولا فرَّحني بحاجتي، ولكن قال: عندنا ضيفان نطلب لهم كيت وكيت من الدقيق واللحم والحوائج وغير ذلك، فخرجت من عنده وأنا أقول: والله لا رجعت إلىٰ هؤلاء الفقراء؛ ما يعرفون إلا حوائجهم، أتيت إليه وأنا مضرور فما سمع شكوى ولا دعا لي[3]، بل طلب قضاء حاجته.

---

(١) روى الحاكم في المستدرك (١/ ٣٢٠) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقعد فقال: «من كانت له حاجة إلىٰ الله أو إلىٰ أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه، ثم ليصل ركعتين ثم يثني علىٰ الله ويصلي علىٰ النبي ﷺ، وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك عزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والسلامة من كل إثم».

(٢) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٤٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما في الضالة يتوضأ ويصلي ركعتين ويتشهد ويقول: بسم الله، يا هادي الضال وراد الضالة، اردد عليَّ ضالتي بعزتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك.

(٣) قال القاضي عياض: إن الله أذن في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ =

فمضيت علىٰ هذه النية، فوجدت بعض من كان لي عليه دين[(١)] فأمسكته وقلت له: ما أفارقك حتىٰ تخلصني، فدفع إليَّ ستين درهما، أو نحو ذلك، فلما حصل لي ذلك قلت في نفسي: والله لأخطون معه بهذه، فإما يحصل لي الجميع وإلا ذهبت مع ما ذهب في سبيل الله تعالى، فاشتريت جميع ما ذكر لي الشيخ وفضل معي فضلة، فاشتريت به علبة حلوى، وحملت الجميع علىٰ حمَّال وأتيت الشيخ، فلما وصلت قريب الزاوية إذا أنا بدابتي واقفة علىٰ باب الزاوية، فقلت في نفسي: هذه دابتي. ثم قلت: وأين دابتي ؟ لعلها تشبهها، فلما دنوت منها وجدتها دابتي بعينها وعليها القماش بعينه كما هو، فتعجبت من ذلك ثم قلت: أخلي من يحفظها أو أدخل بها الزاوية لئلا تذهب ؟ ثم قلت: الذي سلمها وحفظها عليَّ هو يحفظها، ثم دخلت علىٰ الشيخ فوضعت الحوائج بين يديه فاستعرضها حاجة حاجة حتىٰ انتهى إلىٰ علبة الحلاوة فقال: إيش هذه؟ قلت: يا سيدي فضلت معي فضلة فاشتريت بها هذه. فقال: هذه لم تكن داخلة في الشرط ولكن أزيدك بها زيادة ؛ اذهب إلىٰ القيسارية وبع قماشك ولا تعجل عليه، وكلما بعت شيئا اقبض ثمنه ولا تخف أن يرد عليك أحد من التجار، فالبحر في يميني والبر في شمالي[(٢)].

قال فمشيت إلىٰ القيسارية فوجدت جميع ما كان معي من القماش مطلوبا، فبعته بزيادة كثيرة عن العادة جداً، وكلما بعت شيئا قبضت ثمنه، فلما فرغت من ذلك أقبل التجار من البر والبحر كأنهم قد أُطْلِقُوا.

= الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعاءه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس في هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلىٰ الأنبياء والصالحين، [انظر مقدمة كتاب سلاح المؤمن لابن الإمام ص٢٦، ٢٧].

(١) روى أبو داود في سننه (١٥٥٥) عن أبي سعيد قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة ؟» قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك، وقضى دينك ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي ووفى عني ديني.

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

فصل

قال بعض السلف ـ رحمة الله عليه: كان لرجل علىٰ رجل مائة دينار بوثيقة إلىٰ أجل.

فلما جاء الأجل طلب الوثيقة فلم يجدها، فجاء إلىٰ بنان الجمال[1] فسأله الدعاء، فقال له: أنا قد كبرت وأنا أحب الحلوى، اذهب فاشتر لي رطل معقود وجئني به حتىٰ أدعو لك.

فذهب فاشترى له ما قال ثم جاءه، فقال له بنان: افتح القرطاس، ففتحه فإذا بالوثيقة فيه. فقال له بنان: خذ وثيقتك وخذ المعقود وأطعمه صبيانك، فأخذهما ومضى، ولم يأخذ منه شيئا، رحمه الله ونفعنا به.

فصل

روي أنه لما وصل أبو عبد الله القرشي[2] ـ رحمه الله ـ إلىٰ القدس كان معه الفقيه أبو طاهر المحلي، فمر الفقيه أبو طاهر المذكور علىٰ مدرسة بالقدس والفقهاء جالسون علىٰ بابها بأعظم هيئة ولباس، وزي أكثرهم أعاجم، فاستحيا أن يمر عليهم لحقارته في نفسه، وهو شاب أسود فقير رث الحال.

فلما رجع إلىٰ الشيخ وبات معه إلىٰ الصبح قال له الشيخ: امض إلىٰ المدرسة التي مررت عليها، كن بها معيداً، قال: فتعجبت وعظم ذلك عليَّ واستحلت وقوعه، ولم يمكنني إلا الامتثال، فجئت إليها وأنا أتوهم أن البواب يمنعني من الدخول فلم يمنعني، فدخلت فوجدت المدرس جالسا، وحلقة كبيرة دائرة عليه، فأردت أن أدخل في الحلقة، فلم يفسح لي[3] أحد منهم احتقاراً وامتهانه بي.

---

(١) أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد الجمال، كان أصله من واسط، سكن مصر واستوطنها، ومات بها ودفن بالقرافة من الجبل سنة (٣١٦)، وكان من جملة المشايخ القائمين بالحق والآمرين بالمعروف، له المقامات المشهورة والكرامات المذكورة، صحب أبا القاسم الجنيد وغيره من مشايخ الوقت، وكان أستاذ النوري، ومن كلامه: أجل أحوال الصوفية الثقة بالمضمون، والقيام بالأمر والمراعاة للسر، والتخلي من الكونين والتعلق بالحق تعالى. [الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٨٤)].

(٢) قال أبو عبد الله القرشي: الزم العبودية وآدابها، ولا تطلب بها الوصول إليه، فإنه إذا أرادك له أوصلك إليه، وأي عمل خلص حتىٰ تطلب به الوصول؟ وكان يقول: أبت البشرية أن تتوجه إلىٰ الله تعالىٰ في الشدائد، فقيل له في ذلك، قال: عطشت مرة في طريق الحاج فقلت لخادمي: اغرف لي من البحر المالح، فغرف لي ماء حلوا، فلما ذهبت الضرورة غرفت فإذا هو مالح.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٦ ـ (٢١٧٦)] كتاب السلام، [١٠] باب من أتى مجلسا فوجد فرجة =

فجلست خلف اثنين منهم، وإذا برجل قد دخل من باب المدرسة، فلما رآه المدرس عبس وجهه وقام إليه يتلقاه، وانقبض الجماعة بأسرهم، فقلت للذي أنا وراء ظهره: يا أخي ما للجماعة ؟ قال: هذا الذي دخل جدلي خلافي لا يطاق، إذا جاء لا يبقى للشيخ معه كلام، لا يلاطفه ولا يستطيع أحد مجاراته. فلما تلقاه الشيخ أجلسه في مكانه.

فلما قعد استفتح وألقى مسألة خلافية عقدة، فلما استكمل إيرادها فُتِحَ عليَّ بحفظ سؤاله والجواب عنه، فزاحمت ودخلت بين اثنين وانطلق لساني ونصبت سؤاله وما غيرت منه شيئا. وهذا ترتيب المناظرين إعادة السؤال، ثم أجبته بما فتح الله عليَّ، ولم أكن قرأت علم الخلاف ولا ناظرت، فتعجب المدرس مني، وبهت الجماعة من أمري، واستعظموا ذلك، فقال المناظر للمدرس: هذا الفقيه[1] من أين لكم ؟ قال: ما رأيناه إلا في هذه الساعة! قال: لمثل هذا بُنيت المدارس، ففرح المدرس الذي كان في حلقته من إجابة هذا المناظر، ثم قال المدرس لي: ما اسمك ؟ فذكرت له اسمي، فقال: قد ولَّيْتكُ الإعادة، ثم قام فقمت معه، وقامت الجماعة. فقال: يا فقيه عادتنا إذا استقدمنا معيدا نوصله حال توليته إلىٰ منزله.

فلما خرجنا من المدرسة قصد أن يمشي هو والجماعة معي، فسألته أن يخلي عن ذلك، فقبل ورجع، فلما جئت إلىٰ الشيخ قال: يا فضولي، لأي شيء منعته أن يفعل عادته ويوصلك إلىٰ منزلك ؟ قلت: يا سيدي حملا عن خاطرك، وبقيت معيدا بالمدرسة إلىٰ أن توفي الشيخ فدفن بظاهر بيت المقدس. رحمه الله.

= فجلس فيها وإلا وراءهم. عن أبي واقد الليثي، وفيه: « أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ وذهب واحد، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفها» قال النووي: فيه جواز حلق العلم والذكر في المسجد، واستحباب دخولها ومجالسة أهلها، وكراهة الانصراف عنها من غير عذر، واستحباب القرب من كبير الحلقة ليسمع كلامه سماعا بينا، ويتأدب بأدبه، وأن قاصد الحلقة إن رأى فرجة دخل فيها، وإلا جلس وراءهم، وفيه الثناء علىٰ من فعل جميلا، فإنه ﷺ أثنى علىٰ الاثنين. [النووي في شرح مسلم (١٤/ ١٣٢، ١٣٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) الفقه: هو الفِهم لما ظهر أو خفي، قولا كان أو غير قول، قال في القاموس المحيط: الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وفي المصباح المنير: الفقه فهم الشيء، قال ابن فارس: وكل علم بشيء فهو فقه. ومعنى الفقه عند الفقهاء في معنيين: أحدهما: حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب والسنة، وما استنبط منها، فاسم الفقيه ليس خاصا بالمجتهد كما هو عند الأصوليين، بل يتناول المجتهد المطلق والمجتهد المنتسب، ومجتهد المذهب، ومن هو في أهل التخريج وأصحاب الوجوه. وثانيهما: الذي يطلق عليه اسم الفقيه هو مجموعة هذه الأحكام والمسائل.

فصل

حكي عن بعض الشيوخ الأكابر ـ رحمه الله ـ أنه دخل علىٰ بعض التجار بثغر الإسكندرية، فرحب به التاجر وفرح به، فرأى الشيخ في إيوان بيت التاجر بساطين مثمنين مستعملين من بلاد الروم علىٰ قدر ذلك الإيوان، فطلبهما الشيخ من التاجر، فصعب عليه ذلك وقال له: يا سيدي أعطيك ثمنهما، فامتنع الشيخ، فقال له: ما أطلب إلا البساطين بعينهما، فقال التاجر: إن كان ولا بد من الأخذ فخذ أحدهما.

فأخذ الشيخ أحد البساطين وخرج به، وكان حينئذٍ للتاجر ابنان مسافران في بلاد الهند، كل واحد منهما في مركب، فبعد مدة سمع أبوهما أن أحدهما غرق هو ومركبه وجميع ما كان فيه، ووصل الابن الآخر إلىٰ عدن سالما.

فلما كان بعد مدة وصل إلىٰ قريب الإسكندرية، فخرج أبوه إلىٰ لقائه ظاهر البلد، فرأى البساط الذي كان الشيخ أخذه منه بعينه محملا علىٰ بعض الجمال، فسأل ابنه عن قصة البساط ومن أين هو، فقال: يا أبت لهذا البساط قصة عجيبة وآية عظيمة، فقال له أبوه: أخبرني يا بني بذلك.

فقال: سافرت أنا وأخي برج طيبة من بلاد الهند كل منا في مركب، فلما توسطنا البحر عصفت علينا الريح واشتد علينا الأمر، وانفتح المركبان، واشتغل أهل كل مركب بمركبهم، وسلم كل منا أمره إلىٰ الله، وإذا بشيخ قد ظهر لنا وفي يده هذا البساط فسد به مركبنا، وسرنا بالسلامة أياما والمركب مسدود بهذا البساط إلىٰ أن وصلنا إلىٰ بعض المراسي، فقمنا إلىٰ ما كان في المركب وأصلحناه وسافرنا فيه.

وأما مركب أخي فغرق جميع من كان فيه ولم يسلم منه أحد، قال التاجر: فقلت له: يا بني أتعرف الشيخ إذا رأيته؟ فقال: نعم. فذهب به إلىٰ الشيخ، فلما رآه صرخ وصاح صياحا عظيماً وقال: هو ذا والله يا أبت، فجعل الشيخ يده عليه حتىٰ أفاق وسكن ما به، فقال التاجر: يا سيدي لم لا عرفتني بحقيقة الأمر حتىٰ أدفع لك البساطين كليهما؟ فقال الشيخ: هكذا أراد الله تعالى.

فصل

عن جعفر بن سليمان قال: مررت أنا ومالك بن دينار[1] بالبصرة فبينما نحن

(١) كان مالك بن دينار يقول: من علامات حب الدنيا أن يكون دائم البطنة، قليل الفطنة، همته بطنه وفرجه، يقول متى أصبح فألهو أو ألعب وآكل وأشرب، متى أمسي فأنام، جيفة بالليل، بطال بالنهار. وكان إذا سأله سائل والسحابة مارة يقول: اصبر حتىٰ تمر هذه السحابة، فإني أخشى أن =

ندور فيها مررنا بقصر يعمَّر، وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجها منه، فإذا هو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا واصنعوا، فقال لي مالك: ما ترى إلىٰ هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه علىٰ هذا البناء؟ ما أحوجني أن أسأل الله ربي أن يُخَلِّصَه ولعله يجعله من شباب الجنة، يا جعفر ادخل بنا إليه، قال جعفر فدخلنا وسلمنا عليه فرد السلام ولم يعرف مالكا، فلما عرفه قام إليه فقال: ألك حاجة يا مالك: فقال: كم تريد أن تنفق علىٰ هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم. قال: ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه وأضمن لك علىٰ الله تعالىٰ قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وحشمه[1] من ياقوتة حمراء مرصع بالجوهر، ترابه الزعفران، وبلاطه المسك الأذفر، أفسح من قصرك هذا، لم تمسه يد و لم يبنه بان؟ قال له الجليل كن فكان؟ قال له: يا مالك فأجلني الليلة وبكر عليَّ غدا، فقال: نعم. قال جعفر: فبات مالك وهو يفكر في أمر الشاب، فلما كان وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء.

فلما أصبحنا غدونا، وإذا بالشاب جالس، فلما عاين مالك هش إليه ثم قال له: ما تقول فيما قلت بالأمس؟ قال: تفعل؟ قلت: نعم، فدعا بدواة وقرطاس ثم كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان ابن فلان: أني ضمنت لك علىٰ الله تعالىٰ قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة علىٰ الله تعالى، واشتريت بهذا المال قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل، بقرب العزيز الجليل.

ثم طوى الكتاب فدفعه إلىٰ الشاب، وحمل المال، فما أمسى مالك حتىٰ ما بقي قرى ليله، وما أتى علىٰ الشاب أربعون يوما حتىٰ وجد مالك كتابا موضوعا في المحراب عندما انفتل من صلاة الغداة، فأخذه وأبصره، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد: هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار، وفَّيْنا للشاب القصر الذي ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا.

قال: فبقي مالك متعجبا، وأخذ الكتاب، فقمنا فذهبنا إلىٰ منزل الشاب، فإذا اللباس مسود والبكاء في الدار، فقلنا ما فعل الشاب، فقالوا مات بالأمس، وأحضرنا الغاسل، فقلنا: أنت غسلته؟ قال: نعم، قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لي قبل الموت: إذا أنا مت وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني. فجعلته

= يكون فيها حجارة ترمينا بها، وكان يقول: ما بقي لأحد رفيق يساعده علىٰ عمل الآخرة، إنما هم يفسدون علىٰ المرء قلبه.

(١) الحشم: حشم الرجل: خاصته، الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه من عبيد أو أهل أو جيرة.

بين كفنه وبدنه ودفنته معه.

فأخرج مالك الكتاب، فقال الغاسل: هذا الكتاب بعينه، والذي قبضه لقد جعلته بين كفنه وبدنه. قال فكثر البكاء، فقام شاب فقال: يا مالك خذ مني مائتي ألف درهم واضمن لي مثل هذا، فقال: هيهات، كان ما كان وفات ما فات، والله يحكم ما يريد.

قال: فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له.

فصل

عن زيتونة خادمة الشيخ أبي الحسن النوري[١] وخادمة الجنيد وأبي حمزة ـ رحمهم الله ـ قالت: كان يوم بارد فقلت للنوري: أعمل إليك شيئا ؟ قال: نعم. فقلت: إيش تريد ؟ فقال: خبز ولبن، فحملته إليه، وكان بين يديه فحم يقلبها بيديه، وقد اشتعلت ـ يعني النار ـ فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل علىٰ يديه وعليها سواد الفحم، فقلت في نفسي ما أقذر أولياءك يا رب ! ما فيهم أحد نظيف، قالت: فخرجت من عنده فتعلقت بي امرأة وقالت: سُرِقَت لي رزمة ثياب وجروني إلىٰ الشرطي، فأخبر النوري بذلك، فخرج وقال للشرطي: لا تتعرض لها، فإنها ولية من أولياء الله تعالى، فقال الشرطي: كيف أصنع والمرأة تدعي أنها التي أخذت الرزمة ؟ قالت: فجازت جارية ومعها الرزمة المطلوبة، فاسترد النوري المرأة، فقال لها أتقولين بعد ذلك: ما أقذر أولياءك يا رب ؟ قالت: فقلت: تبت إلىٰ الله تعالىٰ.

فصل

قال بعضهم: دخل الشيخ أبو الحسن النوري[٢] المذكور ـ رحمه الله ـ مرة إلىٰ الماء

---

(١) كان من جملة المشايخ وعلماء القوم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاما منه، صحب السري السقطي ومحمد بن القصاب، وكان من أقران الجنيد، وكان يقول: أعز الأشياء في زماننا هذا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة، وكان يقول: الجمع بالحق تفرقة من غيره، والتفرقة من غيره جمع به، وكان يقول ليس التصوف رسوما ولا علوما، وإنما هو أخلاق. توفي سنة (٢٩٥).

(٢) لما وقع بينه وبين المعتضد ما وقع خرج إلىٰ البصرة فأقام بها إلىٰ أن توفي المعتضد بالله خوفا أن يسأل الشفاعة إليه في حاجة، فلما مات المعتضد عاد النوري إلىٰ بغداد، وأصل القصة أنه مر عليه أدنان من خمر فكسرها، فحملوه إلىٰ المعتضد، فقال له المعتضد: من أنت ؟ وكان يسفه قبل كلامه، فقال: محتسب، فقال: من ولاك الحسبة ؟ قال: الذي ولاك الخلافة، وأغلظ عليه القول ثم خرج من بلاده.

ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه ومشى، فبعد ساعة رجع اللص بالثياب وقد جفت يده، فلبس النوري ثيابه وقال: إلهي وسيدي، رددت علي ثيابي فاردد عليه يده. قال: فعوفي ومشى في سبيله.

فصل

قيل: قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض الشيوخ، فلما أتوه صلوا خلفه، فسمعوه يلحن في قراءته، فتغير اعتقادهم فيه، فلما ناموا أجنبوا تلك الليلة كلهم، فخرجوا في السحر يغتسلون، ووضعوا ثيابهم عند بركة ماء هناك ونزلوا في الماء، فجاء الأسد فجلس علىٰ ثيابهم ولاقوا شدة من شدة البرد.

فجاء الشيخ وأخذ بأذن الأسد وقال: ما قلت لك لا تتعرض لضيفاني؟ ثم قال لهم: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخاف منا الأسد.

فصل

قال سفيان الثوري: خرجت حاجاً أنا وشيبان الراعي، فلما سرنا ببعض الطريق فإذا نحن بأسد قد عارضنا، فقلت لشيبان: أما ترى هذا الكلب قد عرض لنا؟ فقال: لا تخف يا سفيان، فما هو إلا أن سمع الأسد كلامه بصبص وحرك ذنبه مثل الكلب، والتفت إليه شيبان وعرك أذنه، فقلت له: ما هذه الشهرة[1]؟ فقال أي شهرة هذه يا ثوري ولا كرامة؟! الشهرة ما حملت مزاري إلىٰ مكة إلا علىٰ ظهره.

فصل

حكي عن بعضهم أنه كان في بعض الجبال، وكان إذا أصابه المطر والبرد يأتيه بعض الأسود ويركن عليه ويدفيه.

فصل

عن محمد بن المنكدر[2] قال: قال لي سفينة مولى رسول الله ﷺ: ركبت سفينة فانكسرت وتعلقت بشيء منها حتىٰ خرجت إلىٰ جزيرة: فإذا فيها أسد، فقلت: أبا

---

(١) شَهَرَ شهرًا وشُهرة: أعلنه وأذاعه، واشتهر الأمر: انتشر.

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى، بن عامر بن الحارث، أبو عبد الله أبو بكر التيمي المدني القرشي، ثقة فاضل، أخرج له الستة، توفي سنة (١٣٠). ترجمته: تهذيب التهذيب (٩/ ٤٧٣)، تقريب التهذيب (٢/ ٢١٠)، الكاشف (٣/ ١٠٠)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٢١٩) الوافي بالوفيات (٥/ ٧٨)، سير الأعلام (٥/ ٣٥٣)، الجرح والتعديل (٨/ ٩٧).

الحارث أنا سفينة[1] مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه فيدلني علىٰ الطريق، فلما خرجت إلىٰ الطريق همهم، فظننت أنه يودعني .

فصل

قال إبراهيم الخواص: كنت بالبادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت إلىٰ شجرة فنزلت، فإذا بسبع عظيم قد أقبل، فاستسلمت، فلما قرب مني إذا هو يعرج، فهمهم وبرك بين يدي، ووضع يده في حجري، فنظرت فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم، فأخذت خشبة فشققت الموضع الذي فيه القيح[2] وشددت علىٰ يده خرقة ومضى.

فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان[3] يبصبصان فحملا إليَّ رغيفين.

فصل

وعن بعض الإخوان أنه سأل كيف حالك مع الأسود ؟ قال: ألبست هيبة فكنت أسد الأسود، وكانت إذا رأتني هربت مني.

آخر المجلس

وقد اشتمل علىٰ عدة آيات، ومن الأحاديث علىٰ نحو عشرين حديثا، ومن الحكايات زيادة علىٰ مائة.

---

(١) سفينة مولى رسول الله ﷺ: أبو عبد الرحمن، صحابي مشهور، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة، ترجمته: تقريب التهذيب (١/ ٣١٢)، الكاشف (١/ ٣٧٩)، تاريخ البخاري الصغير(١/ ١٨٨)، الجرح والتعديل (٤/ ١٣٩٢)، أسد الغابة (٢/ ٤١١)، الإصابة (٣/ ١٣٢)، سير الأعلام (٣/ ١٧٢).

(٢) القيح: إفراز ينشأ من التهاب الأنسجة بتأثير الجراثيم الصديدية، وقيح الجرح: صار فيه القيح.

(٣) الشِّبْل: ولد الأسد، وجمعها: أشبال.

مجلس في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [1] الآيات

سببها أن المسلمين قالوا يا رسول الله، بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا؛ كانوا إذا أذنبوا أصبحت كفارة ذنوبهم في عتبة بابهم: افعل كذا، فسكت ﷺ فأنزل الله: ﴿وسارعوا.....﴾ أي سابقوا إلىٰ الأعمال التي توجب المغفرة، وتشمل الصلاة والزكاة والجهاد والتوبة وغيرها، حتىٰ قال أنس: المراد التكبيرة الأولى، ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أي وإلى جنة عرضها؛ أي كعرض، كقوله: ﴿إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] أي كبعث نفس واحدة. وقد قال في سورة الحديد: ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [2]؛ لو بسطت ووصل بعضها إلىٰ بعض، وإنما خص العرض علىٰ المبالغة؛ لأن طول كل شيء في الأغلب أكبر من عرضه.

يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها؟[3] ولهذا قال الزهري: إنما وصف عرضها، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهكذا قوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الرحمٰن: ٥٤] فإذا كان هذا وصف البطانة فما ظنك؟

وقال أكثر أهل المعاني: لم يرد العرض الذي هو ضد الطول، وإنما أراد سعتها وعظمها؛ أي كعرض السموات السبع والأرضين السبع[4] عند ظنكم، كقوله:

---

(١) سورة آل عمران (١٣٣).
معنى قوله: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ تنبيه علىٰ اتساع طولها، وروى البخاري في صحيحه(٤/ ١٩): «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن».

(٢) سورة الحديد(٢١).

(٣) حث الله تعالىٰ علىٰ المبادرة إلىٰ الخيرات وفعل الطاعات، وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات، وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١] والمراد: جنس السماء والأرض. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٢)].

(٤) روى ابن جرير بسنده عن يعلى بن مرة قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلىٰ رسول الله ﷺ بحمص شيخا كبيرا قد فسد، فقال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فتناول الصحيفة رجل عن يساره قال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قال: معاوية، فإذا كتاب صاحبي: إنك كتبت تدعوني =

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾(١) يعني عند ظنكم أنهما زائلتان.

فإن قلت: فأين النار إذا كان عرضها ذلك؟ قلت: فأين النهار إذا جاء الليل، وعكسه؟ ويعلمها فوق السموات السبع كما أن النار تحت الأرضين السبع.

ووصف المتقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾(٢) يعني في العسر واليسر والشدة والرخاء، فإذا خلق من أخلاقهم الموجهة لهم الجنة (السخاوة)(٣).

وورد من حديث عائشة مرفوعا: «الجنة دار الأسخياء»(٤).

ومن حديث أبي هريرة مرفوعا: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس، قريب من النار. ولجاهل سخي أحب إلىٰ الله من العالم البخيل»(٥).

ومن حديث أنس مرفوعا: «السخاء شجرة في الجنة، أغصانها في الدنيا من تعلق بغصن من أغصانها قادته إلىٰ الجنة، والبخل شجرة في النار، أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن من أغصانها قادته إلىٰ النار»(٦). ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ

= علىٰ جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله!! فأين الليل إذا جاء النهار؟!».

(١) سورة هود (١٠٧).

(٢) سورة آل عمران (١٣٤).
أي في الشدة والرخاء والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ والمعنى أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مراضيه والإحسان إلىٰ خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. [تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٤)].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨٤)، والزبيدي في الإتحاف(٨/ ١٧٦)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٤٠٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٤٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٢٤٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه (١٩٦١)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٧/ ١٢٧)، والزبيدي في الإتحاف(٩/ ٣٢٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨١).

(٦) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ١٧١، ١٧٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٩٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٨٣)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٤٥)، وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ١٣٩)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٥٣، ٣/ ٣٠٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ٢٤٨).

ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] أي الجارعين له عند امتلاء نفوسهم منه، والمكافين غصتهم عن أعضائه يردون غيظهم في جوفهم.

وورد من حديث معاذ بن أنس: «من كظم غيظا وهو قادر أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخير من أي الحوراء شاء»(١).

وإذا غضبت فكن وقورا كاظما الغيظ تبصر ما تقول وتسمع
فكفى به شرفا بصير ساجد يرضى عنك الإله وترفع

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] من أساء إليهم ؛ قال مقاتل: بُلِّغْتُ أن رسول اللهﷺ قال عند ذلك: «إن هؤلاء من أمتي قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيرًا في الأمم التي مضت»(٢).

لن يبلغ المجد أقوام وإن كُرِّمُوا حتىٰ يذلوا فإن عز(وا لأقوم)(٣)
ويشتموا فترى الألوان مشرقة ولا عفو ذل ولكن عفو أحلام

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] (٤) أي هذه الأشياء إحسان، من فعل ذلك فهو المحسن إلىٰ من أساء إليه. ويحسن وقت الإمكان.

ليس في كل ساعة وأوان يتهيأ صنائع الإحسان
فإذا مكنت فبادر إليها حذرا من تعذر الإمكان

وروي من حديث أنس مرفوعا: «رأيت قصورا مشرفة علىٰ الجنة، فقلت: يا جبريل، لمن هذه ؟ قال: للكاظمين الغيظ».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٧٧)، والترمذي في سننه (٢٤٩٣)، وابن ماجه في سننه (٤١٨٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٦١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٥٠٨٨، ٥٠٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٤٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ٢٧٥)، والزبيدي في الإتحاف(٧/ ٥٤٩، ٨/ ٢٥)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٨٠).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] أي إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه، فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم، وقد ورد في بعض الآثار: يقول الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت فلا أهلكك فيمن أهلك.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) فهذا من مقامات الإحسان، وروى الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٩٥) عن ابن كعب رفعه: «من سره أن يشرف له البنيان، وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه». وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

مجلس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[1] الآية، أي فعلوا فعلة قبيحة، خارجة عما لدى الله فيه[2]. وقيل المراد الزنا

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] أي (..........)[3] أو مقدمات الزنا كالقبلة والنظرة ونحوهما.

﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] أي ذكروا العرض الأكبر على الله وسؤالهم.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] طلبوا سترها.

﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] أي وهل يغفرها أحد سواه ؟

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] أصله الثبات على الشيء، المعنى: ولم يدوموا، ولم يقيموا عليه، ولكنهم وتابوا وأنابوا.

وفي الحديث: «ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[4].

وفي حديث أبي هريرة مرفوعا: «ليس. . . . .»[5].

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزه ... إن الجحود جحود الذنب ذنبان

وفي الحديث: «من أذنب ذنبا وعلم أن له ربا يغفر الذنوب غفر له وإن لم يستغفر»[6].

---

(١) سورة آل عمران (١٣٥).

(٢) روى أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦) عن أبي هريرة رفعه: «إن رجلا أذنب ذنبا فقال: رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي، فقال الله ﷻ: عبدي عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي. . . . . . .» الحديث.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٤)، والترمذي في سننه (٣٥٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٨٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٤٠)، والطبري في تفسيره (٤/ ٦٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٩)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٩٩).

(٥) ذكر حديثاً غير واضح بالأصل.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٢٢، ٣٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٢)، =

وفي آخر: «يقول الله تعالى: من علم أني ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا أبالي»[1].

وفي بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»[2].

وفي الحديث[3]: «مر رجل ممن كان قبلكم من بني إسرائيل بجمجمة، فنظر إليها فقال: أي رب أنت أنت وأنا أنا، أنت العواد بالمغفرة وأنا العواد بالذنوب، ثم خر ساجداً، فقيل له ارفع رأسك، وأنا العواد بالمغفرة، وأنت العواد بالذنوب، فغفر له أجر العاملين ثواب المطيعين».

يقال: أوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ: أن يا موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، يا موسى كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي ؟

وقال شهر بن حوشب[4]: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب.

وقال ثابت البناني: بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] إلى آخرها.

= والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٦٠، ١٠/ ١٧٧)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة(٣٢٤).

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٢٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٦٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠)، (٣/ ١٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٠) بأوسع من ذلك، والدارمي في سننه (٢/ ٣٢٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٧٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٦٧).

(٣) ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٤٣٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٩٢).

(٤) شهر بن حوشب، أبو سعيد أبو عبد الله الأشعري، الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، توفي سنة (١٠٠، ١١١)، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، أخرج له البخاري في الأدب وباقي الستة، ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٦٩)، تقريب التهذيب (١/ ٣٥٥)، التاريخ الكبير (٤/ ٢٥٨).

مجلس في الاستغفار

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1].

وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾[2].

وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[3].

وقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ [آل عمران: ١٥] إلىٰ قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[4].وهو الوقت المشهود لعطايا الجبار.

وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾[5] الآية؛ فعمل السوء يفوت حق الخلق، وظلم النفس يفوت حق الحق.

قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[6].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[7].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[8].

والآيات في الباب كثيرة معلومة، وما ذكرناه كافٍ؛ لأن فيه ذكر المستغفر والمستغفر لهم والمستغفر فيه والمستغفر عنده ومن أجله، وصفة الاستغفار.

وأما الأحاديث فكثيرة، نذكر منها أحد عشر حديثا مشتملة علىٰ بيان أهمية الاستغفار وفوائده وثمراته[9] الدينية والدنيوية، وأحسن ألفاظه، وأولى الأوقات به، وما يزيل الوحشة منه.

أحدها: عن الأغر المزني مرفوعا: «إنه ليغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله

---

(١) سورة غافر(٥٥).
(٢) سورة النساء (١٠٦).
(٣) سورة النصر(٣).
(٤) سورة آل عمران (١٧).
(٥) سورة النساء (١١٠).
(٦) سورة الأنفال (٣٣).
(٧) سورة آل عمران (١٣٥).
(٨) سورة الأنبياء (٨٧).
(٩) قال العلماء للتوبة ثلاثة شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم علىٰ فعلها، وأن يعزم عزما جازما أن لا يعود إلىٰ مثلها أبدا، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع، وهو رد الظلامة إلىٰ صاحبها أو تحصيل البراءة منه.

في اليوم مائة مرة»[١]. أخرجه مسلم.

وهو دال علىٰ أن عموم الحاجة الداعية إليه لإقبال سيد الخلق عليه.

ثانيها: عن أبي هريرة مرفوعا: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٢] أخرجه البخاري.

وهو دال علىٰ الناس في ذلك إذا كان سيد الخلق يكرره كذلك.

ثالثها: عنه مرفوعا[٣]: والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» رواه مسلم.

وهو دال علىٰ أهمية الاستغفار ؛ إذ حث عليه الجليل الجبار.

أنا المذنب الخطَّا والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما حسن العفو

رابعها: عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[٤] رواه أبو داود والترمذي وصححه.

وهو دال علىٰ أنه ديدن الأكابر وهجيراهم، فلولا أهميته عندهم لما لزموه وكرروه في المجلس مائة وتابعوا به.

خامسها: عن ابن عباس مرفوعا: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١ . (٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [١٢] باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وأبو داود في سننه (١٥١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢١١، ٢٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٨٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٢٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥٧)، (٨/ ٢٩٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٣)، وذكره ابن حجر في الفتح (١١/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٠٧) كتاب الدعوات، [٣] باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٢٥)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١١ . (٢٧٤٩)] كتاب التوبة، [٢] باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢٧١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٦)، والترمذي في سننه (٣٤٣٤)، وابن ماجه في سننه (٣٨١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٢/ ١١٣)، والزبيدي في الإتحاف(٣/ ١٠٤، ٤/ ٤٩١)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢١، ٥/ ٣٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٨، ١٣/ ٤٦٢)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٥٩. الموارد)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٥٢).

مخرجا، ومن كل همٍّ فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»[١].رواه أبو داود.

وهو نعيم عام وتفخيم جالب للمصلحة، دافع للمضار.

سادسها: عن ابن مسعود مرفوعا: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرَّ من الزحف»[٢] رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وهو تعميم لرفع كثائف الحجوب وظلمات الذنوب وإيحاشها لعلام الغيوب .

سابعها: عن شداد بن أوس مرفوعا[٣]: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: **«ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخاري.**

معنى أبوء: أقر وأعترف؛ فالألسن كالَّة عن وصف ربحه وكمال سعادته.

ثامنها: عن ثوبان قال: **«كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا»**[٤] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٨)، وابن ماجه في سننه (٣٨١٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٥١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٤٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٣٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢١١)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٧٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٧٠)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٧٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٥٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٣١٤، ٣٨٣)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٣٠٦) كتاب الدعوات، [٢] باب أفضل الاستغفار، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٢، ١٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٣٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢٩٦)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٣٣٥)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٨)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٦٠)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [١٣٥ . (٥٩١)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٢٦] باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، والنسائي في السهو، باب [٨١]، وابن ماجه في سننه (٩٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ١٠٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٩٦١)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٣).

وهذا الوقت هو أولاها ؛ لأنه موطن الإجابة، واستنزال الرحمة، فلذلك طلبت الإنابة.

تاسعها: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»(١) أخرجاه.

وهذا الوقت أولى به لأنه الخاتمة.

عاشرها: عن أنس مرفوعا(٢): «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة». رواه الترمذي وحسنه، وهو من المهمات البليغة من الاسترسال في القطيعة.

الحادي عشر: عن ابن عمر أنه ﷺ قال(٣): يا معشر النساء تصدَّقْن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال: «**تُكثِرن اللعن وتَكْفُرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لُبٍّ منكنَّ» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟**

قال: «**أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي**»(٤) رواه مسلم.

لي ذنوب شغلتني عن صيامي وصلاتي
تركت حبيبي عليلا مات من قبل مماتي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١٨ . (٤٨٤)] كتاب الصلاة، [٤٢] باب ما يقال في الركوع والسجود، وأحمد في مسنده (٦/ ١٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٠)، والدارمي في سننه (٢٧٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٦٧)، والزبيدي في الإتحاف(٩/ ١٧٧).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه(١/ ٨٣، ٢/ ١٤٩)، ومسلم في الإيمان [١٣٢] باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، والترمذي في سننه (٢٦١٣) كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، والنسائي في الإيمان، باب ذكر شعب الإيمان، وابن ماجه في سننه (٤٠٠٣)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٠٨، ٤/ ٢٣٥)، و الحاكم في مستدركه (٢/ ١٩٠).

(٤) قال النووي: من أحكام الحديث: الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات، وفيه أن الحسنات يذهبن السيئات كما قال الله ﷻ، وفيه أن كفران العشير والإحسان من الكبائر، فإن التوعد بالنار من علامة كون المعصية كبيرة، وفيه: إطلاق الكفر على غير الكفر بالله تعالى، ككفر العشير والإحسان والنعمة والحق. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٥٨) طبعة دار الكتب العلمية].

ليتني تبت لربي من جميع السيئات
أنا عبد لإلهي نقضت في الخلوات
بحت جهرا بعيوبي وذنوبي قاتلات
قد تعالت سيئاتي وتلاشت حسناتي

مجلس في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[1] إلى آخر السورة

قال قتادة: إن آخر القرآن عهدا بالسماء هاتان الآيتان.

قال عروة: وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة[2].

وقرأ العامة ضم الفاء من " أنفُسكم " أي من نسبكم؛ تعرفون نسبه وحسبه من بني إسماعيل.

قال ابن عباس: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ مضرها وربيعها ويمانيها؛ قال الصادق: لم يصبه شيء من ولاد الجاهلية.

وقد روينا من حديث ابن عباس مرفوعا: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا بنكاح كنكاح الإسلام»[3].

قال قتادة: جُعِلَ من أنفسهم فلا يحسدونه علىٰ ما أعطاه الله من النبوة والكرامة.

وقراءة الدميري وجماعات بفتح الفاء، أي من أشرفكم وأفضلكم.

قال بنان: من أعلاكم نسبا.

و "عزيز"[4] شديد.

---

(١) سورة التوبة (١٢٨).
أي منكم وبلغكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته. . . .إلى آخره.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٦٧٩) كتاب تفسير القرآن، من سورة براءة، [٢٠] باب قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ. . . . .﴾ الآية. وفيه عن زيد بن ثابت: وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم. . . . .﴾ إلىٰ آخرها.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ٢١٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٩٩)، والزيلعي في نصب الراية (٣/ ٢١٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٥٦).

(٤) قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» وفي =

" ما عنتم " حاصله أي عنتكم، وهو دخول المضرة والمشقة عليكم.

" حريص عليكم " أي علىٰ إيمانكم وهداكم وصلاحكم.

" بالمؤمنين رءوف " رفيق.

" رحيم " أو رءوف بالمطيعين " رحيم " بالمذنبين، أو " رؤوف " بأقربائه "رحيم " بأوليائه، " رءوف " بمن رآه، " رحيم " بمن لم يره.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [آل عِمرَان: ٣٢] أعرضوا عن الإيمان وناصبوك.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التّوبَة: ١٢٩] : وقال الحسين لم يجمع الله لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا لرسول الله ﷺ ؛ فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التّوبَة: ١٢٩] [1] قرأه العامة بخفض الميم علىٰ نعت العرش، وقرأ (......)[2] بالرفع علىٰ نعت الرب تعالى.

= الصحيح: «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة علىٰ من يسرها الله تعالىٰ عليه. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٢)].

(١) أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو علىٰ كل شيء وكيل. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٣)].

(٢) كلمة غير واضحة.

مجلس في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1] الآية

المراد بهم أبو سفيان وأصحابه، إن ينتهوا عن الشرك وقتال سيد الأولين والآخرين، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] مما مضى من ذنوبهم قبل الإسلام.

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ لقتال محمد ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] في نصرة الأنبياء والأولياء علىٰ أهل الكفر والأعداء مثل يوم بدر.

قال يحيى بن معاذ الرازي: إني لأرجو أن لا نؤاخذ، ومن يعجز عن هدم ما قبله من كفر[2] لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

ولأبي سعيد أحمد بن محمد الزبيري:

يستوجب العفو الغبي إذا اعترف ... ثم انتهى عما أتاه واقترف

لقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن التوبة تجب ما قبلها؟»[3].

أي تقطع؛ فالتوبة أول منازل السائرين، ورأس مال السالكين.

وقد أسلفناها واضحة في المجلس الثاني فليتأمل.

---

(١) سورة الأنفال (٣٨).
أي عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد، و يدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سلف، أي من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ أي يستمروا علىٰ ما هم فيه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] أي فقد مضت سنتنا في الأولين: أنهم إذا كذبوا واستمروا علىٰ عنادهم أنا نعالجهم بالعذاب والعقوبة. [تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٥)].

(٢) الحديث الصحيح: «الإسلام يهدم ما قبله»: فيه أحكام: منها: عِظَم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي، وسيأتي تخريجه عقب هذا.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [١٩٢ . (١٢١)] كتاب الإيمان، [٥٤] باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢٣)، وفي دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٣٤٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٢١٠)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ٧٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥١).

مجلس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾[1]

أي شاهدا علىٰ ما بعثه إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم، ولا يقبل قول الشاهد العدل في الحكم، وإنما وصفه بكونه شاهدا وقت الإرسال، ومحلها عند التحمل والأداء ؛ لأنه مُعَدٌّ لذلك، وقال: " بإذنه " وهو مفهوم من الإرسال، داعيا لأجل التعديل والتيسير، ولم يرد حقيقة الإذن، فالأمر صعب لا يستطاع إلا بتسهيل الجليل، وأرسله سراجا ليجلي الظلمات، ويهتدي به أهل العنايات كما في السراج، فأيد الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمد بنور السراج نور الأبصار.

ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما تضيء إلا إذا قل (سليطة)(*) ودق فتيله، وفي كلام بعضهم: ثلاثة تضني: رسول بطيء، وسراج لا يضيء، ومائدة لا ينتظر لها من مجيء.

وسئل بعضهم عن الموحشين فقال: ظلام ساتر وسراج (فات)(*).

هذا أفضل ما يتفضل به عليهم زيادة علىٰ الثواب، وإذا ذكر المفضل به وكبره فما ظنك بالثواب، ويحتمل أن يراد به الثواب أو أن يريد أن لهم فضلا كثيرا علىٰ سائر الأمم، وذلك الفضل من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضلوهم به.

---

(١) سورة الأحزاب (٤٥ . ٤٨).

وروى أحمد في مسنده عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزا للأميين، فأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتىٰ يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا».

(*) كذا بالأصل.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معناه: الدوام والثبات كما كان عليه، أو التهييج.

﴿أَذَىٰهُمۡ﴾ أي لا تؤذهم بضرر أو قتل، وخذ بظاهرهم، وحسابهم علىٰ ربهم في باطنهم، أو دع ما يؤذونك به لا تحاربهم عليه حتىٰ تؤمر.

وعن ابن عباس: هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فإنه كافيك، وكفى به مفوضا إليه.

وانظر كيف وصفه بخمسة أوصاف، وقابل كلا منها بخطاب مناسب له؛ قابل الشاهد بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لأنه يكون شاهدا علىٰ أمته وهم يكونون شهداء علىٰ سائر الأمم، وهو الفضل الكبير، والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين؛ لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله علىٰ المؤمنين، وهو مناسب البشارة والنذير بـ ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾[1].

لأنه إذا ترك في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل، والداعي إلىٰ الله بتبشيره بقوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [النِّساء: ٨١]؛ لأن من توكل عليه يسر عليه كل عسير.

والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا ؛ لأن من أناره الله برهان أعلى جميع خلقه، كان جديرا أن يكتفى به عن جميع خلقه.

فائدة: من أسمائه ﷺ[2]: الشاهد كما سلف، وكذا الشهيد، والمبشر أيضا كما سلف، والنذير كما سلف أيضا، والداعي كما سلف، وهو أيضا دعوة إبراهيم وإسماعيل. عليهما السلام. قال تعالى: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾ [البَقَرَة: ١٢٩] الآية، فاستجاب لهما، والسراج المنير.

وصح أنه ﷺ قال: «**إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي**

---

(١) أي لا تطعهم وتسمع منهم في الذي يقولونه ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ أي اصفح وتجاوز عنهم وكِلْ أمرهم إلىٰ الله تعالى؛ فإن فيه كفاية لهم، ولهذا قال جل جلاله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النِّساء: ٨١].

(٢) قال النووي: ذكر هنا. أي في حديث مسلم عقب هذا: هذه الأسماء وله ﷺ أسماء أخر ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه " الأحوذي في شرح الترمذي " عن بعضهم أن لله تعالىٰ ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم أيضا، ثم ذكر منها علىٰ التفصيل بضعا وستين، قال أهل اللغة: يقال رجل محمد ومحمود إذا كثرت خصاله المحمودة، وقال ابن فارس وغيره: وبه سمي نبينا ﷺ محمداً وأحمد، أي ألهم الله تعالىٰ أهله أن سموه به لما علم من جميل صفاته. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٨٥) طبعة دار الكتب العلمية].

يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٦/ ١٨٨، ٢٢٥)، ومسلم في صحيحه [١٢٤ . (٢٣٥٤)]، [١٢٥] كتاب، [٣٤] باب في أسمائه ﷺ، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٤)، والزبيدي في الإتحاف(٧/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢١٤)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٨٢)، والحميدي في مسنده (٥٥٥).

مجلس في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1] الآية

سبب نزولها أن رجلا دعا الله[2] عند رجل في صلاته ودعا الرحمن، فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا ؟ فما بال هذا يزعم ربين اثنين ؟! فأنزل الله الآية.

والحسنى تأنيث الأحسن، وهي: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، ونحوها.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة مرفوعا: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»[3].

ومعنى أحصاها: حفظها، وإن لم يعلم معناها.

يلحدون: يكذبون؛ فاشتقوا اللات من " الله"، والعزى من " العزيز"، ومناة من "المنان" ويسمونه بما لا ينطق به كتاب ولا سنة.

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] في الآخرة.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٨١] عصبة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

قال ابن جريج: بلغنا أن النبيﷺ قرأ هذه الآية فقال: «**هذه لأمتي، بالحق يأخذون ويقضون ويعطون، وقد أعطى اليوم بين أيديكم مثلها، ومن موسى أمة يهدون بالحق وبه**

---

(١) سورة الأعراف (١٨٠).

(٢) قال الخطابي وغيره: فيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى: " الله" لإضافة هذه الأسماء إليه، وقد روي أن الله هو اسمه الأعظم، قال أبو القاسم الطبري: وإليه ينسب كل اسم له فيقال: الرءوف والكريم من أسماء الله تعالى، ولا يقال: من أسماء الرءوف أو الكريم الله. [النووي في شرح مسلم (١٥/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية].

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣٩٢) كتاب التوحيد، [١٢] باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، ومسلم في صحيحه [٦ . (٢٦٧٧)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، [٢] باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، والترمذي في سننه (٣٥٠٦، ٣٥٠٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦).

يعدلون»[١].

وقال الربيع بن أنس: إنه ﷺ قرأ هذه الآية فقال: «**إن من أمتي قوما على الحق حتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم ﷺ**»[٢].

وروى معاوية مرفوعا: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون علىٰ الناس»[٣].

وقال مقاتل بن حيان: هم مؤمنو أهل الكتاب.

وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، وقد سماهم الله تعالىٰ في سورة براءة.

وقال الكلبي: من جميع الخلق.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٤٩)، والطبري في تفسيره (٩/ ٩٢).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٤٩)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٥١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٧٣٢١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، [١٠] باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق يقاتلون وهم أهل العلم، ومسلم في صحيحه [١٧٤ . (١٠٣٧)] كتاب الإمارة، [٥٣] باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم، والترمذي في سننه (٢١٩٢، ٢٢٢٩)، وابن ماجه (٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٠٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٧، ٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٨٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٨١٩).

مجلس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

معنى أورثنا: أعطينا، أو أخرنا، والكتاب: القرآن، وفي هذا كرامة لهذه الأمة؛ حيث قال: أورثنا، وقال في غيرهم: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

﴿ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي هذه الأمة، ثم قسمهم ثلاث طبقات، ورتبهم علىٰ ثلاث درجات؛ فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] فبدأ اللفظ، وعلق الظلم بالنفس، فلذلك ساغ أن يكون من أهل الاصطفاء مع ظلمه، وإنما أخر السابق ليكون أقرب إلىٰ الجنات والثواب، وإنما كان من حقه التقديم؛ فإنه الأفضل، كما قدم الصوامع والبيع في سورة الحج[2] علىٰ المساجد ليكون أقرب إلىٰ الهدم، والمساجد أقرب إلىٰ ذكر الله.

وعنه جواب ثان، وهو أن هذا من الترقي من الأدنى إلىٰ الأعلى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج: ٦١] [4]، وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾[5]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾[6].

وجواب ثالث: وهو أنه قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته، وأخر السابق لئلا يعجب بعمله.

ورابع: أنه قدمه لأنه لم يكن له شيء يتكل عليه غير الرحمة، واتكل المقتصد

---

(١) سورة فاطر (٣٢).
يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلىٰ ثلاثة أنواع، فقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

(٣) سورة الأنعام (١٦٥). (٤) سورة فاطر (١٣).

(٥) سورة الشورى (٤٩). (٦) سورة الملك (٢).

علىٰ حسن ظنه بربه، والسابق علىٰ طاعاته.

ثم ثنى بالمقتصد لأنه بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدهم مكره، وكلهم في الجنة لحرمة كلمة الإخلاص.

ورتبهم علىٰ هذا النسق لأن العاصي داخل في حيز الظالمين، وإذا تاب فمن المقتصدين، وإذا صحت توبته فمن السابقين.

واختلف في معنى هذه الثلاثة[١] علىٰ أقوال: أحدها: أن السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا، والظالم يحبس في المقام. فهم الذين قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فَاطِر: ٣٤].

ورد ذلك في حديث مرفوع من طريق أبي الدرداء.

ثانيها: قال عثمان: "سابقنا أهل الجهاد، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا"[٢].

ثالثها: قالته عائشة: "السابق من مضى علىٰ عهد رسول الله ﷺ، والمقتصد أصحابه، والظالم لنفسه مثلي ومثلكم"[٣].

وروي عنها: "السابق الذي أسلم قبل الهجرة، والمقتصد الذي أسلم بعدها، والظالم نحن".

رابعها: السابق المؤمن المخلص، والمقتصد هو المرائي، والظالم الكافر نعمة الله عليه، غير الجاحد لها، وقيل غير ذلك.

وفي الحديث من طريق ابن عمر[٤]: "سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له.

و﴿ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يُوسُف: ٨٤]: حزن النار.

---

(١) روى الترمذي في سننه (٣٢٢٥) في كتاب تفسير القرآن، من سورة الملائكة. فاطر عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فَاطِر: ٣٢] قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، كلهم في الجنة.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٧٤) ونسبه إلىٰ عبد الله بن المبارك عن عثمان.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي بسنده، عن عائشة فجعلت نفسها معنا، وهذا منها من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات؛ لأن فضلها علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام.

(٤) أخرجه الزبيدي في الإتحاف(٨/ ٦٠٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٥٢)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٣٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٨٩).

وفي الحديث من طريق ابن عمر مرفوعا[١]: «ليس علىٰ أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم، ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٢] الآية.

﴿لُغُوبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٥] : كلاً وإعياء[٣].

---

(١) أخرجه والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢، ٣٣٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤١٦)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١٨٨/٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٢٦٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٠)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ١٠).

(٢) سورة فاطر (٣٤). هو الخوف من المحذور، أزاحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة.

(٣) قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فَاطِر: ٣٥] أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب علىٰ أبدانهم ولا أرواحهم، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦)].

مجلس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[1] الآيات.

"طيبات" : خيار، نظيره: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢] أو حلالات.

دليله: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] ، و﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

وفي الحديث[2] : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالىٰ طيب لا يقبل إلا الطيب[3]، لا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار، وإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن؛ فإن الخبيث لا يمحو الخبيث، ما كسبتم بالتجارة والصناعة».

ويروى من حديث ابن عباس مرفوعا: «البركة في التجارة، وصاحبها لا يفتقر، إلا تاجر حلاف مهين».

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧] : يعني الحبوب والثمار التي تقتات وتدخر مما يجب فيه الزكاة[4].

---

(١) سورة البقرة (٢٦٧).

(٢) أخرجه وأحمد في مسنده (١/ ٣٨٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٣، ٢/ ٤٤٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٩٠، ٢٢٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٩٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٩، ٣/ ٣٥٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٣٥٢).

(٣) قال القاضي: الطيب في صفة الله تعالىٰ بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي من قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وفيه الحث علىٰ الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٨٨) طبعة دار الكتب العلمية].

(٤) الزكاة: هي في اللغة النماء والتطهير، فالمال ينمى بها من حيث لا يرى، وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب، وقيل: ينمى أجرها عند الله تعالى، وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها، وقيل لأنها تزكي صاحبها وتشهد بصحة إيمانه، وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه. قال القاضي عياض: قال المازري: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت =

ومن حديث عائشة: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»[1].

وفي التوراة: "طوبى لمن أكل من ثمرة يده".

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧] أي لا تقصدوا الصدقة بالرديء من أموالكم، والحشف من التمر ونحوه.

﴿مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ أي عن بعض حقكم.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧] أي عن صدقاتكم.

﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾[2] أي بالفقر، وهو سوء الحال، فيقول: إن تصدقت افتقرت، فأمسك مالك.

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ بالبخل ومنع الزكاة، وكل فحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ ويجازيكم.

﴿مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ لذنوبكم.

﴿وَفَضۡلًاۗ﴾ رزقا وخلفا.

ويقال: مكتوب في التوراة: "عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك من فضلي".

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي النبوة، أو القرآن، أو الفهم فيه، أو السنة، أو المعرفة، أو العلم اللدني.

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي الورع في دينه.

﴿فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًاۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] أي يتعظ.

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] والعقول، فاللب من العقل ما صفي عن دواعي الهوى.

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾[3] أي فيما فرض الله عليكم.

= للمواساة، وأن المواساة لا تكون إلا في مال له بال، وهو النصاب، ثم جعلها في الأموال الثابتة، وهي العين والزرع والماشية. [المرجع السابق (٧/ ٤٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٠٣)، وذكره الهندي في كنز العمال (٩٣٠٣).

(٢) سورة البقرة (٢٦٨). أي يخوفكم ﴿ٱلۡفَقۡرَ﴾ لتمسكوا ما بأيديكم، فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق يأمركم بالمعاصي، والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٨] أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. [تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١)].

(٣) سورة البقرة (٢٧٠).

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠] أي أوجبتموه علىٰ أنفسكم، فوفيتم به.
﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠] يحفظه حتىٰ يجازيكم به.
﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠] أي الواضعين المنفقة والنذر في غير موضعها بالرياء والمعصية ونحوها.
﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٢] أعوان يدفعون عذاب الله عنهم.
﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] أي تعلنوها فنعمة الخصلة هي.
﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] تُسروُّها.
﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] تعطوها الفقراء في السر.
﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] وأفضل، وكل مقبول إذا صفت النية.

وفي الحديث[1]: «الصدقة تطفئ غضب الرب، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وتدفع سبعين بابا من البلاء».

وفي الصحيح: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»[2] وَعدَّ منهم: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

وهذه الآية في التطوع ؛ لأن الفريضة إعلانها أفضل. وعليه حُمِلَ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٧١] .

قال ابن عباس: جعل الله صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها سبعين ضعفا، وكذا سائر الفرائض والنوافل.

آخره والحمد لله.

يخبر تعالىٰ بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته علىٰ ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته بل خالف أمره وكذب خبره وعبد معه غيره، فقال: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٠] أي يوم القيامة ينقذونهم من عذاب الله ونقمته.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦١٤، ٢٦٢٦)، وابن ماجه في سننه (٣٩٧٣، ٤٢١٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣٢١، ٣٩٩، ٥/ ٢٣١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٠٥، ١٣٦)، وابن حبان في صحيحه (٨١٦، ٢٦١، ١٥٦٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١١، ٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٣/ ١١٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٥)، والزبيدي في الإتحاف(٨/ ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦١٠٦، ٦٤٧٩)، ومسلم في صحيحه [٩١] كتاب الزكاة، والترمذي في سننه (٢٣٩١)، والنسائي (٨/ ٢٢٢ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٣٥٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢١٧)، والزبيدي في الإتحاف(٤/ ١١٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٧٠١).

مجلس في شهر شعبان

روينا في سنن النسائي من حديث أسامة بن زيد ﵄ قال: "قلت يا رسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم في شعبان ؟ قال: **«ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلىٰ رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»**[1] أخرجه النسائي.

وتعلو به، أعني هذا الشهر فوائد:

الأولى: في تسميته، وسمي بذلك لتشعب القبائل فيه، أي تفرقها لقصد الملوك، والتماس العطايا.

الثانية: فيه نزل فرض رمضان، وفي النصف منه حُوِّلت القبلة.

الثالثة: روينا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتىٰ نقول لا يفطر، ويفطر حتىٰ نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان»[2].

وفي رواية للبخاري: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: «خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتىٰ تملوا»[3] وأحب الصلاة إلىٰ النبي ﷺ ما دُووِمَ عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها».

وحكى ابن دحية عن أبي الفتوح العجلي سماعها أن الشافعي احتج في القديم بهذا

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب صيام شهر شعبان، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٠١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/١١٦) وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٥١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ١٠٣)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٢١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٦٩) كتاب الصوم، [٥٢] باب صوم شعبان، ومسلم في صحيحه [١٧٥ . (١١٥٦)] كتاب الصيام، [٣٤] باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، والترمذي (٧٦٨)، وأبو داود (٢٤٣٠)، وابن ماجه (١٧١٠)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٧٠) كتاب الصوم، [٥٢] باب صوم شعبان، ومسلم في صحيحه [٢٢١ . (٧٨٥)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، [٣١] باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتىٰ يذهب عنه ذلك، وأحمد في مسنده (٦/ ٨٤، ١٢٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٦).

الحديث، فقال: وأكره أن يتخذ الرجل صوم شهر يكمله كما يكمل رمضان، وكذا من الأيام، قال: وإنما كرهته لئلا يتأسى جاهل فيظن أن ذلك واجب، وإن فعل فحسن.

وهذا الحديث يرد قوله، ومعنى صامه كله أي أكثره، فإنه إطلاق ذلك كما يقال قام ليله أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره.

ومعنى "لا يمل حتىٰ تملوا": لا يترك ثوابكم حتىٰ تملُّوا وتتركوا عبادته.

الرابعة: ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ قال لعمران بن حصين. أو قال لرجل وهو يسمع: «يا فلان أصمت سرة هذا الشهر ؟» قال: لا. قال: «**فإذا أفطرت فصم يومين**»[١].

وفي رواية: «يوما أو يومين» شك شعبة.

والسرة: الوسط.

وفي لفظ سرر، وهل هو وسطه أو آخره أو أوله في آراء.

وثانيها: لأبي عبيد[٢] حيث يستر الهلال، وأنكر عليه. وقالوا: لم يأت في صوم آخر الشهر نص، وأمره بالقضاء دالٌّ علىٰ فضيلة الصوم في هذا الشهر، وعلى قضاء النوافل.

الخامسة: صح أنه ﷺ قال: «**لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوما فليصمه**»[٣].

وفي السنن الأربعة من حديث أبي هريرة مرفوعا: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا»[٤] صححه الترمذي وابن حبان.

وأخذه بمفهوم الأول البندنيجي وابن الصباغ، وقطع المحققون بالثاني، وهو الأصح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٩٨٣) كتاب الصوم، [٦٢] باب الصوم من آخر الشهر، ومسلم في صحيحه [١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١ . (١١٦١)] كتاب الصيام، [٣٧] باب صوم سرر شعبان.

(٢) قال الأوزاعي وأبو عبيد وجمهور العلماء من أهل اللغة والحديث والغريب: المراد بالسرر آخر الشهر، سميت بذلك لاستسرار القمر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٢١ . (١٠٨٢)] كتاب الصيام، [٣] باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، والترمذي في سننه (٦٨٧، ٧٣٨)، وأبو داود في سننه (٢٣٣٥)، وابن ماجه في سننه (١٦٥٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٧٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٣)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٤٠)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢٣٣٧) كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، والترمذي في سننه (٧٣٨) كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شهر شعبان لحال رمضان، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٠٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(١٩٧٤)، والزبيدي في الإتحاف(٤/ ٢٥٦)، والشجري في أماليه(٢/ ١٠٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٨٧).

وفي وجه ثان يجوز من غير كراهة، وبه قطع المتولي، وضعف. واختار الروياني أنه مكروه كراهة تنزيه.

السادسة: صح عن عائشة أنها قالت: "كان عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان، الشغل برسول الله" ﷺ(١).

فإذا أخرته عنه من غير عذر لزمها مع القضاء مد، ويتكرر بتكرر السنين على الأصح.

السابعة: الحكمة في صوم شعبان كله أنه يشطر الدهر، فربما فاته منه، فاستوفاه في هذا الشهر، وأحسن من ذلك أنه شهر تُرفع فيه الأعمال كما سلف في حديث أسامة.

وأخرجه أحمد أيضا في مسنده(٢).

الثامنة: روي في صلاة ليلة النصف من شعبان(٣) أحاديث موضوعة، وواحد مقطوعا في صلاة مائة ركعة، في كل ركعة الحمد مرة، وسورة الإخلاص عشراً فينصرفون، وربما فاتهم الصبح التي ثبت فيها أن من صلاها في جماعة تعدل الليلة كلها(٤).

وثبت أيضا: أن «من صلى الصبح فهو في ذمة الله ﷻ، فلا يطلبنكم الله في ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»(٥).

وأما حديث عائشة: "فقدت رسول الله ﷺ فخرجت، فإذا هو بالبقيع، فقال:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [١٥١ . (١١٤٦)] كتاب الصيام، [٢٦] باب قضاء رمضان في شعبان. قال النووي: تعني بالشغل بقولها في الحديث الثاني فما تقدر على أن تقضيه: أن كل واحدة منهن كانت مهيئة نفسها لرسول الله ﷺ مترصدة لاستمتاعه في جميع أوقاتها إن أراد ذلك ولا تدري متى يريده، ولم تستأذنه في الصوم مخافة أن يأذن وقد يكون له حاجة فيها فتفوتها عليه، وهذا من الأدب.

(٢) تقدم تخريجه من قبل.

(٣) روى الترمذي في سننه (٧٣٩) كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، عن عائشة، وفيه: «إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب، قال الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حجاج، وسمعت محمدًا . أي البخاري . يضعف هذا الحديث.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٢٦٠ . (٦٥٦)] كتاب المساجد ومواضع الصلاة، [٤٦] باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، عن عثمان بن عفان رفعه: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله».

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٦٢ . (٦٥٧)] كتاب المساجد، [٤٦] باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٤٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩٢).

«أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟» قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك. فقال: «إن الله ﷻ ينزل ليلة النصف من شعبان إلىٰ السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»[1].رواه الترمذي وضعفه.

خاتمة: أبعد بعض المفسرين فقال: إن ليلة النصف من شعبان هي ليلة القدر المباركة في سورة الدخان، ويبعده قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [2]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[3].فأنزل جملة واحدة في رمضان إلىٰ سماء الدنيا.

ومعنى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾[4]: يقضي الله فيها الآجال والأعمال والرزق والخلق إلىٰ مثلها، فيكتب الحجاج بأسمائهم وأسماء آبائهم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٧٣٩) كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وابن ماجه في سننه (١٣٨٩)كتاب الإقامة، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، وأحمد في مسنده (٦/ ٢٣٨)، والشجري في أماليه (٢/ ١٠١، ١٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٤٣٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٩٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٧)، والقرطبي في تفسيره (١٦/ ١٢٧).

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) سورة القدر (١).

(٤) سورة الدخان (٤).

مجلس في قوله تعالى:
﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[1]

سمي الشهر شهرًا لشهرته، وقيل: من الشهرة، وهي البياض، ورمضان قيل إنه من أسماء الله تعالى، وفيه حديث مرفوع، وفي اشتقاقه أقوال:

أحدها: لأنه رمضت فيه الفصال من الحر، أو لأن الحجارة ترمض من الحرارة، والرمضاء[2] الحجارة المحماة.

ثانيها: لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها، أو لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكر كما تأخذ الرمل والحجارة من حرارة الشمس.

ثالثها للخليل: أنه مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي في الخريف، فسُمِّي بَذلك لأنه يغسل البدن من الآثام غسلا، ويطهر قلوبهم تطهيرا.

﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] كذا ذكر في هذه الآية، وفي القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾[3]، وفي الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[4].

وقال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾[5] الآية.

---

(١) سورة البقرة (١٨٥).
يمدح تعالىٰ شهر رمضان من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم كما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه علىٰ الأنبياء. [تفسير ابن كثير (١/٢١٦)].

(٢) روى ابن أبي حاتم بسنده، وابن مردويه بسنده، وهذا لفظه، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أنزل القرآن في النصف من شهر رمضان إلىٰ السماء الدنيا، فجعل في بيت العزة، ثم أنزل علىٰ رسول الله ﷺ في عشرين سنة لجواب كلام الناس». وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلىٰ هذه السماء الدنيا جملة واحدة، وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه.

(٣) سورة القدر (١). قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة علىٰ رسول الله ﷺ. [تفسير ابن كثير (٤/٥٢٩)].

(٤) سورة الدخان (٤).

(٥) سورة الإسراء (١٠٦).

وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[1]، ولا تنافي بينهما؛ لأنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل علىٰ محمد ﷺ نحوا من عشرين سنة.

فكذلك قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾[2]، وكان جبريل ﷺ يعارض به في رمضان بما أنزل الله، فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء.

وفي حديث أبي ذر مرفوعا: «أنزلت صحف إبراهيم في ثلاث ليال من رمضان، وأنزلت توراة موسى في ست ليال منه، والإنجيل في ثلاث عشرة منه، والزبور في ثمان عشرة منه، والفرقان في الرابعة والعشرين منه»[3].

ثم وصف القرآن فقال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي من الضلالة.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥][4] الفصل بين الحق والباطل.

---

(١) سورة الفرقان (٣٢).
يقول تعالىٰ مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفُرقان: ٣٢] أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية؟ فأجابهم الله تعالىٰ عن ذلك بأنه إنما نزل منجما في ثلاث وعشرين. [ابن كثير في تفسيره(٣/ ٣٢٧)].

(٢) سورة الواقعة (٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد(١/ ١٩٧)، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٩)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٢٩٨، ١٦/ ١٢٦)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٦)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٧٥).

(٤) هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] أي ودلائل وحجج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها، دالة علىٰ صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام.

مجلس في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾[1]

أي تطهر من الشرك، وقال: لا إله إلا الله.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ [الأعلى: ١٥] بالخوف فعبده، وصلى له.

وقد روى جابر مرفوعا: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلى: ١٤] من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله»[2].

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾[3] أي الخمس، والمحافظة عليها حيث ينادى بها، **والاهتمام بمواقيتها.**

والمفسرون يحملون الاثنين علىٰ زكاة الفطر وصلاة العيد، أفلح من تصدق قبل مروره إلىٰ العيد فصلى مع الإمام[4] رواه ابن عمر مرفوعا. "وكان ابن عمر إذا صلى الغداة قال: يا نافع أخرجت الصدقة؟ فإن قال: نعم خرج إلىٰ المصلى، وإن قال: لا قال: الآن فأخرج فإن الآية نزلت في ذلك".

وتخرج عمن مات بعد الغروب دون من ولد، والسنة أن لا تؤخر عن الصلاة، ويحرم تأخيرها عن يومه؛ لأنه قد ورد: «أغنوهم عن الطلب في هذا اليوم»[5]، ويلزمه قضاؤها مع ذلك لخروجها عن الوقت، ومن لم يفضل عن قوته وقوت من تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه لا شيء عليه، ويشترط كونه فاضلا عن مسكن وخادم يحتاج إليه.

وهي تابعة للنفقة؛ فكل من وجبت نفقته وجبت فطرته، ومن لا فلا، وهي صاع

---

(١) سورة الأعلى (١٤).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد(٧/ ١٣٧)، والقرطبي في تفسيره (٢٠/ ٢٢)، وابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٠٣).

(٣) سورة الأعلى (١٥).
أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(١٥٠٩) كتاب الزكاة، [٧٨] باب الصدقة قبل العيد، ومسلم في صحيحه [٢٢ . (٩٨٦)] [٢٣] كتاب الزكاة، [٥] باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة، والترمذي في سننه (٦٧٧) كتاب الزكاة، باب ما جاء في تقديمها قبل الصلاة.
قال النووي: فيه دليل لشافعي والجمهور في أنه لا يجوز تأخير الفطرة عن يوم العيد، وأن الأفضل إخراجها قبل الخروج إلىٰ المصلى والله أعلم.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٥)، والزيلعي في نصب الراية (٢/ ٤٣١، ٤٣٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ١٨٣)، والألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٣٢).

من جنس القوت المعتبر، وتجب من قوت بلده علىٰ الراجح[١].

مجلس في فضل العتق

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[٢] الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا: «من أعتق رقبة مسلم أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار، حتىٰ فرجه بفرجه»[٣].

وما أحسن هذا التأكيد: حتىٰ الفرج بالفرج؛ فالزنا بأنواعه، وإتيان الزوجة في الحيض وفي غير المأتى يكفره العتق في الآخرة.

وروينا فيهما[٤] من حديث أبي ذر: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: **«الإيمان بالله والجهاد في سبيله» قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا»**[٥]، وهو بيان لأفضلية العتق، وأن هذا أفضل.

---

(١) قال النووي: الواجب في الفطرة عن كل نفس صاع، فإن كان في غير حنطة وزبيب وجب صاع بالإجماع، وإن حنطة وزبيبا وجب أيضا صاع عند الشافعي ومالك والجمهور، وقال أبو حنيفة وأحمد: نصف صاع، بحديث معاوية، وحجة الجمهور حديث أبي سعيد في قوله: صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من أقط أو صاعا من زبيب، والدلالة فيه من وجهين: أحدهما: أن الطعام في عرف أهل الحجاز اسم للحنطة خاصة. والثاني: أنه ذكر أشياء قيمها مختلفة، وأوجب في كل نوع منها صاعا. [النووي في شرح مسلم (٧/ ٥٢) طبعة دار الكتب العلمية].

(٢) سورة البلد (١١، ١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٦٧١٥) كتاب كفارات الأيمان، [٦] باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المَائدة: ٨٩]، ومسلم في صحيحه [٢٣] كتاب العتق، باب فضل العتق، والترمذي في سننه (١٥٤١) كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في ثواب من أعتق رقبة، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٠، ٤٢٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ٢٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٧٣، ١٠/ ٢٧٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ٩٣)، والطبري في تفسيره (١٢٩/٣٠).

(٤) قوله ﷺ في الرقاب: «أفضلها أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا» فالمراد به والله أعلم إذا أراد أن يعتق رقبة واحدة، أما إذا كان معه ألف درهم وأمكن أن يشتري بها رقبتين مفضولتين أو رقبة نفيسة مثمنة فالرقبتان، أفضل، والمقصود من العتق تكميل حال الشخص وتخليصه من ذل الرق، فتخليص جماعة أفضل من تخليص واحد، والله أعلم. [النووي في شرح مسلم (٢/ ٦٨، ٦٩) طبعة دار الكتب العلمية].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥١٨) كتاب العتق، [٢] باب أي الرقاب أفضل، ومسلم في صحيحه [١٣٦ . (٨٤)] كتاب الإيمان، [٣٦] باب بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال،

مجلس في فضل الإحسان إلى المملوك

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[(١)] إلىٰ قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: ٣٦] فالإحسان إليهم من مراضي الرب تعالى.

وروينا في الصحيحين من حديث المعرور بن سويد قال[(٢)]: رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، قال: فذكر أنه سابَّ رجلا علىٰ عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه، قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر له، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، وهم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه».

وروينا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا: إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أُكْلة أو أُكلتين، فإنه ولي علاجه»[(٣)].

الأُكلة ـ بضم الهمزة: اللقمة.

وفي ذلك تعجيل قضاء شهوته والإفاضة علىٰ خدمهم بما عالجوه.

وابن ماجه (٢٥٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٨١، ١٠/ ٢٧٣)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٥٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٠٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٢٣).

(١) سورة النساء (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٤٥) كتاب العتق، [١٥] باب قول النبي ﷺ «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون»، ومسلم في صحيحه [٤٠ ـ (١٦٦١)] كتاب الأيمان، [١٠] باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، وأبو داود (٥١٥٧)، والترمذي في سننه (٢٨٧١)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٧)، والزبيدي في الإتحاف(٨/ ٢٤، ٣٧٥)، والألباني في إرواء الغليل (٧/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٥٧) كتاب العتق، [١٨] باب إذا أتاه خادمه بطعامه، ورقم (٥٤٦٠) كتاب الأطعمة [٥٦] باب الأكل مع الخادم، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ٢٣٨)، والزبيدي في الإتحاف(٦/ ٣٢٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٣)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٦٤)، ورواه مسلم بلفظ آخر [٤٢ ـ (١٦٦٣)] كتاب الأيمان، [١٠] باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه.

مجلس في فضل من أدى حق الله وحق مواليه

روينا في الصحيحين(١) من حديث ابن عمر مرفوعا: «إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين».

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا: "للعبد المملوك المصلح أجران، والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك"(٢).

وروينا فيهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»(٣).

وروينا في صحيح البخاري من حديثه مرفوعا: «المملوك الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي إلىٰ سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران»(٤).

فأخبر ﷺ في هذه الأحاديث بثبوت أجرين له(٥).

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٥٤٦) كتاب العتق، [١٦] باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، ورقم (٢٥٥٠)، [١٧] باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، و مسلم في صحيحه [٤٣ . (١٦٦٤)] كتاب الأيمان، [١١] باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٤)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٣٣٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٤٨) كتاب العتق،[١٦] باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، ومسلم في صحيحه [٤٤ . (١٦٦٥)] كتاب الأيمان، [١١] باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٠، ٤٠٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥)، والزبيدي في الإتحاف(٦/ ٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٩٧) كتاب العلم، [٣٢] باب تعليم الرجل أمته وأهله، ورقم (٢٥٤٤) كتاب العتق، [١٤] باب فضل من أدب جاريته وعلمها، ورقم (٢٥٤٧)، [١٦] باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، ورقم (٣٠١١)، كتاب الجهاد والسير [١٤٥] باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ورقم (٣٤٤٦) كتاب أحاديث الأنبياء [٥٠] باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريَم: ١٦] ، ومسلم في صحيحه [٢٤١. (١٥٤)] كتاب الإيمان، [٧٠] باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلىٰ جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٥١) كتاب العتق، [١٧] باب كراهية التطاول علىٰ الرقيق وقوله عبدي أو أمتي.

(٥) قال النووي فيه فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح، وهو الناصح لسيده، والقائم بعبادة ربه المتوجهة

ففي الأول شرط ومنها بنصحه لسيده، وفي الثاني المصلح نتيجة النصح القلبي، والرابع: أسهلها، والثالث أداء حق الله وحق مواليه، وعليه المدار.

مجلس في فضل السماحة في البيع والشراء، والأخذ والعطاء وحسن القضاء، وإرجاح المكيال والميزان، والنهي عن التطفيف، وفضل إنظار الموسر للمعسر والوضع عنه

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(١) أي فيجازي عليه بكل ذرة خيرا منها. وسرح (.....)(*) به، ومبالغة عليم وتأكيدان، وذكر الاسم (......)(*) وذلك. وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] الآية.

وروينا في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فأغلظ له، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا» ثم قال: **«أعطوه سنا مثل سنه» قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، فقال: أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء»**(٣).

وروينا في صحيح البخاري من حديث جابر مرفوعا: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى» زاد غيره: «وإذا اقتضي له»(٤).

عليه، وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق، وأما قول أبي هريرة: "لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك" فيه أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع، وأراد ببر أمه القيام بمصلحتها في النفقة والمؤن والخدمة، ونحو ذلك مما لا يمكن فعله من الرقيق. [النووي في شرح مسلم (٢/ ١١٣) طبعة دار الكتب العلمية].

(١) سورة البقرة (٢١٥).

(*) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) سورة هود (٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٠٦) كتاب باب الوكالة في قضاء الديون، [٦] باب الوكالة في قضاء الديون، ومسلم في صحيحه [١٢٠ . (١٦٠١)] كتاب المساقاة، [٢٢] باب من استسلف شيئا فقضى خيرا منه، و«خيركم أحسنكم قضاء»، والترمذي في سننه (١٣١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٦، ٦/ ٢٦٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٥١، ٦/ ٢٠، ٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ١٣٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٧٦) كتاب البيوع، [١٦] باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، والترمذي في سننه (١٣٢٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٩٠).

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعا: من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»[(١)].

وروينا فيهما من حديث أبي هريرة مرفوعا: كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه»[(٢)].

وروينا في صحيح مسلم من حديث أبي مسعود البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»[(٣)].

قال(. . . . .)[(٤)]: فحصل له فوز وجوزي بالوصف كما قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعَام: ١٣٩].

وروينا فيه أيضا من حديث حذيفة ﷺ قال: " أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا، فقال له ماذا عملت في الدنيا ؟ قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس، وكان من خُلِقي الجواز،فكنت أتيسر علىٰ الموسر وأنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي» فقال عقبة بن عامر الجهني، وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من في رسول الله ﷺ[(٥)].

وروينا من حديث أبي هريرة مرفوعا: «من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»[(٦)] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٢ . (١٥٦٣)] كتاب المساقاة، [٦] باب فضل إنظار المعسر، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٥٧، ٦/ ٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ١٣٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٧٨) كتاب البيوع، [١٨] باب من أنظر معسرا، ورقم (٣٤٨٠) كتاب أحاديث الأنبياء، باب [٥٦] يلي باب حديث الغار، ومسلم في صحيحه [٣١ . (١٥٦٢)] كتاب المساقاة، [٦] باب فضل إنظار المعسر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٣٠ . (١٥٦١)] كتاب المساقاة، [٦] باب فضل إنظار المعسر.

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٩ . (١٥٦٠)] كتاب المساقاة، [٦] باب فضل إنظار المعسر.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه (١٣٠٦) كتاب البيوع، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣٥٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد(٤/ ١٣٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٢٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٥، ٤٦) والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٥٠٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩٠٣).

وروينا في الصحيحين من حديث جابر ﵁ أن النبي ﷺ اشترى منه بعيرا فوزن لي ثمن البعير فأرجح لي»[١].

وروينا من حديث أبي صفوان سويد بن قيس ﵁ قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزا من هجر، فجاءنا النبي ﷺ فساومنا بسراويل، وعندي وزان يزن فقال النبي ﷺ للوزان: «زن وأرجح»[٢]. رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وفي قوله (. . . . .)[*] لعمر بن الخطاب ﵁ (. . . . .)[*] أن يعتاد الوزان إقامة القسط (. . . . . . .)[*] تمييز الحق عن الفضل.

فصل

وقد اشتملت هذه الحدائق على آيات من القرآن العظيم، وأحاديث وحكايات بديعة (. . . . . . .)[*] وأشعار رائعة لخدمة الكتاب، وتوقظ أهل الغفلة.

ختمناه

بالاستغفار (. . . . .)[*] إكماله، والصلاة على النبي ﷺ وآله وعلى أزواجه وصحبه والتابعين.

سائلا (. . . . .)[*] بالله كنز من كنوز الجنة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكان الفراغ من كتابته في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وألف ١٠٩٥.

---

(١) أخرجه البخاري في (٣/ ١٣٢)، ومسلم في صحيحه [١١٥ . (٧١٥)] كتاب المساقاة، [٢١] باب بيع البعير واستثناء ركوبه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١٣٠٥)، وأبو داود في سننه (٣٣٣٦)، وابن ماجه (٢٢٢٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠، ٤/ ١٩٢)، وابن حبان في صحيحه (١٤٤٠ ـ الموارد)، والتبريزي في مشكاة المصابيح(٢٩٢٤)، وابن أبي شيبة (٦/ ٥٨٦)، والزبيدي في الإتحاف(٥/ ٤٩٠).

(*) كلمات غير واضحة بالأصل.

فهرس المحتويات

هذا الكتاب

حدائق الأولياء

يحتوي هذا الكتاب على ١٣٤ مجلساً في جميع فروع المعرفة.

وإذا نظرت إلى جملة المجالس وجدت تنوعا عظيما؛ فقد بدا بمجلس في الحمد لله تعالى، ثم الصلاة على رسول الله ، ثم مجلس الإخلاص ، ثم التوبة ثم الصدق ثم العلم ، ثم الصبر، ثم المراقبة ، واستمر إلى آخر المجالس ، وهي جملة من المجالس المتنوعة في التفسير وغيره .

وفي كل مجلس يبدأ بكتاب الله فيذكر الآيات الدالة على المجلس مع شرح وتلميحات وإشارات في بيان معنى ومغزى هذه الآيات .

ثم يبدأ في سرد الأحاديث النبوية من كتب الصحاح الستة ومعها بعض الكتب الأخرى ، إلا أنه قد ركز على كتب الصحاح الستة ، وبدأ بالصحيحين ثم السنن الأربعة : أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، ثم ينتقل إلى ذكر حكايات عن الصالحين متخللة للنوادر والأشعار والفوائد ، وقد وصل عدد الأحاديث المذكورة نحواً من ألفي حديث ، ومن الحكايات نحو ستمائة ، مع نوادر وأشعار وآثار .

وكل ذلك في سرد جميل ورائع ومفيد ليتمكن المتناول الموضوع من الإحاطة به من شتى جوانبه .


ISBN 978-2-7451-5487-3



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban
هاتف +961 5 804810/11/12 ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
فاكس +961 5 804813 رياض الصلح - بيروت 2290 1107
info@al-ilmiyah.com e-mail: sales@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com



